أ

أبحاث تاريخية

- الأبحاث التاريخية (من الكتب والرسائل) التي صدرت في فترة القرون الثلاثة الأولى كانت وفيرة جدًا تزيد على ٦٠٠ بحث ورسالة، وحوالى الثلاثين منها كتبه أربعة أو خمسة رجال (كالمدائني وأبي مخنف وأبي عبيدة وابن الكلبي)، وهي مادة تاريخية واسعة أقامت هذا العلم على قاعدة واسعة من المعلومات الأولى. ولكن هذه المعلومات كانت على مستويات مختلفة من الدقّة والصحة والسعة والشمول، حسب المؤرّخين والرواة، كما أن الكثير منها قد لعبت به الأهواء الاجتماعية والسياسية والمذهبية الدينية والقبلية لما يحمل من وجهات نظر أصحابه، فهي أيضًا على مستويات مختلفة من التأثّر بالمواقف السياسية والدينية والقبلية والشعوبية. (مص، رخ١، ٨٣، ١٠)

إبراز

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أَبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٢)

إبراهيم

- إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن أشرغ بن ارعر بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، هكذا قال وهب. (قال أبو محمد) وقابلت بهذه النسبة ما في التوراة فوجدتها موافقة إلا أني وجدت مكان أشغر شاروغ. قال وهب كان إبراهيم عليه السلام أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأطعمه المساكين، وهو أول من قصّ شاربه واستحدّ واختتن وقلّم أظافره واستاك وفرّق شعره وتمضمض واستنثر واستنجى بالماء، قال وهو أول من شاب وهو ابن مائة وخمسين سنة. (قتي، خبط، ١٥، ١)

إبليس

- الجن، كانت سكان الأرض قبل آدم فكفرت طائفة منهم فسفكوا الدماء فأمر الله جندًا من الملائكة من أهل سماء الدنيا منهم إبليس وكان رئيسهم فهبطوا إلى الأرض فأجْلُوا عنها الجان واستشهد على ذلك بقول الله عزّ وجلّ ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ (الحجر: ٢٧) أي من قبل أن نخلق آدم فألحقوهم بأطراف التخوم وجزائر البحر، وسكن إبليس والجند الذي معه عمران الأرض وأريافها وكان اسم إبليس عزازيل، ثم ذكر خلق الله آدم وقال ثم كساه لباسًا من ظفر يزداد جلده في كل يوم حسنًا

فلما أكلا من الشجرة انكشط عنهما اللباس، وكان له مثل شعاع الشمس حتى صار في أطراف أصابعهما من أيديهما وأرجلهما. قال وخلقه يوم الجمعة ومكثه في الجنة ستة أيام. (قتي، خبط، ٨، ٧)

- إبليس. وكان الله تعالى قد حسّن خلقه وشرّفه وملّكه على سماء الدنيا والأرض فيما ذكر، وجعله مع ذلك خازنًا من خُزّان الجنّة، فاستكبر على ربّه، وادّعى الربوبية، ودعا من كان تحت يده إلى عبادته، فمسخه الله تعالى شيطانًا رجيمًا، وشوّه خلقه، وسلبه ما كان خوّله، ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل، ثمّ جعل مسكنه ومسكن أتباعه في الآخرة نار جهنم، نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور. (أث، كمل، ٢٣، ٣)

إبن خلدون

- أما ابن خلدون فيفصل فصلًا منهجيًا بين الميدانين. ولا جدال في أن هذا الفصل خطوة حاسمة نحو العقلانية في عالم يهيمن عليه الغيب. بل هي خطوة أهم مما قام به الفلاسفة: فصحيح أن هدف هؤلاء هو ردّ الوجود إلى العقل، ولكن كم هو موغل في التعالي "عقل" الفلاسفة هذا، بل أكثر تعاليًا من عالم الغيب نفسه والذي ما نصّبوا "العقل" إلا ليكون مرجعًا لكل حديث عنه. أما ابن خلدون فلا يخلط بين عالم الطبيعة وعالم الغيب. وهو يسلّم بعالم فوق العقل لا ينبغي للعقل أن يخوض فيه، ولا يستطيع، وإذن فهو يستثنيه من مجال البحث العقلي. يبقى العالم الطبيعي، له استقلاله الموضوعي والمنهجي، وهو مجال البحث العقلي. (أوم، نهج، ٤١، ٢٢)

أتابك العساكر

- أتابك العساكر المنصورة فهو الأمير الكبير ويسمّى أيضًا بكلربكي، لا تخلو الديار المصرية منه وكان قديمًا له شأن عظيم. (شاه، زبد، ١١٢، ٢٢)

إتجاه إسلامي

- بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في اتجاهين أساسيين: - الاتجاه الإسلامي أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث. - والاتجاه القبلي أو اتجاه "الأيام". وهذان الاتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام، التيار القبلي الذي يمثّل استمرار التراث القبلي والتيار الإسلامي الذي يتمثّل في المبادئ والفعاليات الإسلامية. وكان كل من الاتجاهين غالبًا في مركز ثقافي، الاتجاه الإسلامي في المدينة، دار سنة الرسول، والاتجاه القبلي في الكوفة والبصرة المصرين الجديدين اللذين كانا مركزين فعالين للقبلية. وقد كانت المدن الثلاثة المذكورة مراكز النشاط الثقافي في صدر الإسلام. وصار لكل اتجاه مدرسة تاريخية، وحصل تأثير متبادل بين المدرستين التاريخيتين، ثم بان تفوّق

الاتجاه الإسلامي أخيرًا حين غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية. (دو، نشأ، ١٩، ١٠)

إتجاه قبلي

- بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في اتجاهين أساسيين: - الاتجاه الإسلامي أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث. - والاتجاه القبلي أو اتجاه "الأيام". وهذان الاتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام، التيار القبلي الذي يمثّل استمرار التراث القبلي والتيار الإسلامي الذي يتمثّل في المبادئ والفعاليات الإسلامية. وكان كل من الاتجاهين غالبًا في مركز ثقافي، الاتجاه الإسلامي في المدينة، دار سنة الرسول، والاتجاه القبلي في الكوفة والبصرة المصرين الجديدين اللذين كانا مركزين فعالين للقبلية. وقد كانت المدن الثلاثة المذكورة مراكز النشاط الثقافي في صدر الإسلام. وصار لكل اتجاه مدرسة تاريخية، وحصل تأثير متبادل بين المدرستين التاريخيتين، ثم بان تفوّق الاتجاه الإسلامي أخيرًا حين غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية. (دو، نشأ، ١٩، ١١)

إتجاهات تاريخية

- التيار التقليدي. وهو الذي لا يزال ينبع من مصادر القرون الوسطى، ويجري ضمن الحدود والسدود التي تكوّنت في خلال القرون الماضية، ولا يُقبل مطلقًا - أو لا يقبل إلا متردّدًا - على الاستمداد من منابع ومصادر أخرى، إذ إنه مكتفٍ بمنبعه، وواثق بأنه مصدر كل حق، وبأن الابتعاد عنه أو التوجّه إلى سواه زَيْغ وضلال. يتميّز هذا التيّار بالاتجاهات التاريخية التالية: ١- لا يزال تاريخنا في عرف السائرين في هذا التيار هو تاريخ "الأمة" الإسلامية كما أن مجرى التاريخ الإسلامي هو عندهم المجرى الرئيسي في التاريخ العالمي، ولذا يكاد اهتمامهم يكون مقصورًا عليه، وإذا نظروا إلى سواه فمن خلال أحداثه ومراحله الماضية والحاضرة. ولما كان أي موقف من الماضي لا ينفصل عن الموقف المتّخذ من الحاضر والمستقبل، فإن همّ أصحاب هذا الموقف هو تمتين بعث "الأمة" الإسلامية وإنقاذها من الاعتداءات الخارجية التي نزلت بها ومن الشوائب الداخلية التي لحقتها، وإحياء أمجادها لتعيد رسالتها الماضية الحافلة بالعز والعطاء. ٢- إن تعليل نشوء الأحداث وتطوّرها هو، بحسب هذه النظرة، تعليل إلَهي. فدوافع التاريخ ليست، أو على الأقل ليس أهمها وأبلغها فعلًا، في يد الإنسان، بل تحكمها مشيئة إلَهية وقوانين سماوية. وحياة الأفراد والشعوب على هذه البسيطة ليست سوى مقدّمة للحياة الحقيقية، حياة السعادة الدائمة أو الشقاء الدائم، في العالم الآخر. فمن العبث إذن أن نحاول تعليل الأحداث الإنسانية بإعادتها إلى الجنس أو

المحيط أو أي عامل من العوامل الطبيعية أو البشرية الأخرى. إن محور التاريخ ليس في هذا العالم بل في العالم الأعلى. ٣- من حيث أسلوب المعرفة التأريخية، لا يزال الاتجاه السائد عند أصحاب هذا الموقف هو التصديق والركون إلى أخبار السلف. فمع أن الدين في جوهره ومبادئه الروحية الأساسية لا ينفي النظر النقدي إلى مصادر التأريخ والأسلوب العلمي في استنتاج حقائقه بل يقبلهما ضمن حدود معيّنة يرسمها لهما، فإن الكثرة الغالبة من أصحاب الموقف التقليدي عندنا لم تطّلع على أساليب التحقيق التأريخي التي استنبطت في القرون الثلاثة الأخيرة، بل لا نغالي إذا قلنا إنها ضعيفة الصلة بأساليب النقد التي استنبطها العلماء المسلمون في عصور نهضتهم وإنتاجهم. وإذا أردنا أن نوجز موقف هذا الفريق من مواطنينا قلنا إنه موقف متميّز بالعقلية التي كانت سائدة في الشرق والغرب في القرون الوسطى، بل في أواخر تلك القرون، عندما فقدت تلك العقلية حيويتها وإنتاجها، بخسرانها الإقدام والتفتّح ونقد الذات. (زري، نحن، ٢٩، ١٥)

- نرى بين المؤرّخين المحدثين عددًا وافرًا متكاثرًا من الذين امتلكوا ناصية الصناعة التأريخية، فأقبلوا على المصادر يدرسون نصوصها ويستخرجون منها الحقائق الجزئية، ويملأون صفحات الكتب والمجلّات بها. ولسنا لننكر خدماتهم الجزيلة في هذا المضمار، ولكننا نعتقد أنهم لا يتمّمون وظيفة التأريخ كاملة إلا إذا ضمّوا إلى هذه الصناعة الدقيقة، النظر المتأمّل في أحداث الماضي، الرابط بينها، الحاكم لها أو عليها، المكتشف أثرها في الحاضر، الدافع إلى الفهم الشامل الصحيح والعمل الإيجابي المثمر. وبكلمة أخرى: إن هذه الصناعة كثيرًا ما يذهب بها الحرص على الدقّة إلى تجزئة الماضي وإلى إضعاف صلته بالحاضر، فتحدث ثمّة هوّة بين "المعارف" التأريخية المتكاثرة المتناثرة و"الفكر" و"الاتجاهات" التأريخية التي يجب أن تحتويها الثقافة الفردية والاجتماعية. هوّة بين التأريخ كصناعة فحسب، والتأريخ كتفكير معيّن له ميزاته وخصائصه التي تكمل معنى الصناعة فيه والتي تميّزه بالوقت ذاته عن التفكير الذي يتجلّى في العلوم الأخرى. (زري، نحن، ١١٢، ٢٥)

إتجاهات روحية

- هناك مدارس أو اتجاهات مختلفة حول تفسير التاريخ وبيان الدوافع التي تحرّك الأمواج التاريخية الكبرى، فالماديون يرون أن المادية أو الاقتصاد هو المحرك الرئيسي للتاريخ، وأن كبريات الأحداث التي غمرت الكون نشأت بسبب الصراع على المادة، ويتّخذون من حروب طروادة، ومن الصراع القديم بين الفرس واليونان مثالًا. ثم بين الفرس والروم، ومن الدوافع التجارية في الحروب

الصليبية، ومن الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، دليلًا على ذلك. ويعدّ أرنولد هيرن (Arnold Heeren 1670-1742)، من أسبق من تبنّوا هذا الاتجاه، ثم تزعّمه الفكر الماركسي الذي يقرّر أن أحداث التاريخ لا ترجع إلى بواعث فكرية، بل تبرز هذه الأحداث تبعًا لظروف الحياة المادية، وبالحاصل الاقتصادي. وعلى هذا، فالفكر - عند الماركسيين - لا يحرّك أحداث التاريخ إلا بعد أن تعتنقه الجماهير وترى فيه عونًا ماديًا للخلاص من قوة مادية، فالقوة - كما يقولون - لا تقاوم إلا بالقوة المادية، ولكن النظرية تصبح قوة مادية عندما يعتنقها الجماهير، فالفكر والمادة يتعايشان في وحدة يؤثّر كل منهما على الآخر ويتطوّر معه. وهناك اتّجاه آخر يرى أن الجانب الروحي والفكري هو أهم تفسير للتاريخ، وأن معظم الهزات العالمية كانت نتائج للاتجاهات الروحية. فالصراع بين قريش والمسلمين كان دينيًا، والحروب الصليبية كان دافعها الرئيسي دينيًا، والصراع بين الأرثوذكس والبروتستانت كان دينيًا كذلك، وكذلك كان الصراع الذي اندفع له الخوارج في التاريخ الإسلامي. ومن الواضح أن الاتجاه الفكري معترف به عند الماديين، ولكنهم كما أوضحنا آنفًا لا يرونه ذا بال إلا بعد أن تعتنقه الجماهير، أما أصحاب المذهب الروحي فيرون الاتجاه الفكري قويًا حتى قبل أن تعتنقه الجماهير. فصمود المسيحيين أمام الرومان الوثنيين، وصمود القلّة المسلمة أمام قوة قريش العاتية التي كان العرب يؤيّدونها في مطلع الإسلام، كل ذلك خلق من الفكر قوة، ووهبه البقاء حتى استطاع أن ينتشر ويزدهر، ولم يكن زحف المسلمين على إمبراطوريتي الفرس والروم مؤيّدًا بالقوة بمقدار ما كان مؤيّدًا بالفكر والرغبة في إحدى الحسنين. وهناك اتجاه ثالث يفسّر التاريخ تفسيرًا نفسيًا، فيرى أن أعظم أحداث التاريخ ارتبطت بصراع نفسي لدى شخص معيّن، استطاع بطريق أو بآخر أن يحصل على سلطة مادية أو معنوية، فهو بدافع الصراع النفسي والحقد الداخلي من جانب، وبقوة السلطة التي حصل عليها من جانب آخر يدفع بالمجتمع إلى الصراع لسبب أو لآخر، فيخلق الأحداث الكبرى وينظر لها نظرة تُرضي انحرافه، ويقف في قمّة من تصرف على هذا النحو الربيع يونس وابنه الفضل اللذان شغلا أرقى المناصب في قصور الرشيد والأمين، وعاصرا البرامكة وآل سهل، مع الفرق الكبير في المحتد والأرومة، فدفعهما الصراع النفسي إلى خلق المؤامرات، وإشعال الحروب العاتية ... والذي يبدو لي أن وضع حواجز حصينة معيّنة بين هذه الدوافع لا يمكن أن يتمّ، فكل منها دافع له وزنه، وقد يوجد دافعان منها أو توجد الدوافع الثلاثة كلها متعاونة في حدث واحد. ويتّضح ذلك من دراستنا للحروب الصليبية التي تعاونت أسباب عدّة في خلقها. (شل، سلم، ٢٣، ٤)

إتحاد بالإسلام

- الاتحاد بالإسلام فإنه ظاهر في كل أعمالهم (المسلمين)، يشهد بذلك ... أمر المعاهدة والمؤاخاة في أول سنة للهجرة، ويؤيّده أن الإسلام عنوان التوحيد

كما يتّضح من مراجعة القرآن والحديث. ولا تكاد تخلو خطبة من خطب الخلفاء أو الأمراء في صدر الإسلام من الإشارة إلى تلك الوحدة، وتذكير المسلمين بما كان عليه آباؤهم في الجاهلية من التفرّق والتشتّت، وما يدعوهم إليه الإسلام من نزع العصبية وتوحيد الكلمة، وقد زاد متانة تلك الوحدة اجتماعهم خمس مرات في اليوم للصلاة خلف الإمام أو من يقوم مقامه، وفي ذلك من توطيد عرى الاتحاد والإجماع على الطاعة ما لا يخفى. (زي، مدن١، ٧٢، ٦)

إتصال

- عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج: آخر أفق المعادن متّصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له؛ وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متّصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط. ومعنى الاتّصال في هذه المكوّنات أن آخر كل أفق منها مستعدّ بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق الذي بعده. واتّسع عالم الحيوان وتعدّدت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم القردة الذي اجتمع فيه الحسّ والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده. (خلد، قدم، ٤٠٤، ١٣)

إتيوفيا

- قسّمت الأرض المعمورة على أربعة أقسام: فمنها أرُوفَى وفيها الأندلس والصقالب والروم وفرنجة وطنجة وإلى حدّ مصر، ولوبيّة وفيها مصر والقُلْزُم والحَبْشة والبربر وما والاها والبحر الجنوبيُّ وليس في هذه البلاد خنزير بريٌّ ولا أيّل ولا عير ولا تيوس، وإتْيُوفيَا وفيها تهامة واليمن والسند والهند والصين، واسْقُوتيا وفيها أرمينية وخراسان والتُّرك والخزر. (خرد، مسلك، ١٥٥، ١١)

آثار

- التاريخ لا يقوم إلا على الآثار التي خلّفتها عقول السلف أو أيديهم. فإذا سطت محن الدهر أو عوادي الزمن على بعض هذه الآثار وأزالت معالمها فقدها التاريخ وكانت كأنها لم توجد. وبفقدها يجهل تاريخ عصرها ورجالها. أما إذا بقيت وحفظت فقد حفظ التاريخ فيها. لهذا يرى المؤرّخون لزامًا في أعناقهم، قبل كل شيء، أن يتفرّغوا للبحث والتفتيش، عن شتى الآثار التي تخلّفت عن السلف، والتي اصطلحنا أن نسمّيها أصولًا. (رس، مصط، ١، ٣)

آثار الإنسان

- آثار الإنسان المتنوّعة هي نقطة البدء، والحقيقة التاريخية هي الهدف الذي يتوخّى المؤرّخ الوصول إليه. وبين نقطة البدء والهدف يوجد طريق طويل معقّد متشابك

تعتوره المصاعب والعقبات والأخطاء، التي تبعد بالباحث عن الهدف وعن بلوغه الحقيقة. ولكن المؤرّخ لا يجد غير هذا الطريق للوصول إلى غرضه. ودراسة الأصول التاريخية وتحليلها بأساليب مختلفة، هو من أهم المراحل في طريقة البحث، وهو عبارة عن ميدان نقد الأصول التاريخية. (عث، بحث، ٨٠، ٧)

آثار مادية

- الآثار المادية التي خلفها الإنسان أو الحدث، كالعمائر والتماثيل وغيرها، تكون عادة أيسر من دراسة الآثار المدوّنة أو المسجّلة بالكتابة، والسبب في ذلك واضح تمامًا، وهو أن العلاقة بين الآثار وأصحابها تكون دائمًا ماثلة أمام المؤرّخ... فهذا المعبد قد أقيم لإجراء الطقوس الدينية، وهذا المنزل قد شيّد للسكنى، وتلك المقبرة قد أعدّت للحياة الأخرى وهكذا. (علف، فت، ١٤٣، ٢٥)

آثار مسجّلة

- أما الآثار المسجّلة، فأمرها مختلف، إنها مجرّد أثر عقلي ونفسي لكاتبها، أو هي بعبارة أخرى تصوير لأثر الأحداث التاريخية في ذهن هذا الكاتب متأثرة بنفسيته ومزاجه الشخصي، وهنا مكمن الصعوبة، فالإنسان مخلوق معقّد، ولكل واحد منا مزاج خاص ولكل كاتب إنطباع معيّن عن الحدث الواحد. (علف، فت، ١٤٣، ٢٩)

آثار وسجلات

- في مطلع القرن العشرين أعلن الدكتور ج. ب بيوري (J.B. Bury 1861 - 1927) "أن التاريخ علم" ثم كرّر هذا الأستاذ إعلانه عدّة مرات في محاضرات متتالية، وقد أثار هذا الإعلان رأي كثير من الباحثين في العلوم والآداب، وشبّ نزاع خطير حول هذه القضية. واتّضح من الصراع أن تحديد لفظَي "العلم" و"التاريخ" كان له دخل كبير في تقريب وجهات النظر، أو في حسم الخلاف، فاللورد أكتن (١٨٣٤ - ١٩٠٢م) عرَّف العلم بأنه "اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامّة على هيئة مبدأ أو قانون يمكّننا على وجه اليقين من التنبّؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة في ظروف معيّنة". وبناءً على هذا التعريف لم يعتبر اللورد أكتن ومن أخذ برأيه أن التاريخ علم. ولكن تعريف اللورد أكتن للعلم ليس موضع اتّفاق لأن علم الميثيورولوجيا لم يصل إلى أقوال دقيقة خاصة بالجو، ومن هنا شاع الخطأ في تنبّؤات الخبراء عن الجو، ومع هذا فلا نستطيع أن ننفي صفة العلم عن الميثيورولوجيا، وبهذا سقط تعريف اللورد أكتن للعلم، وبالتالي سقط استبعاد التاريخ عن دائرة العلم. واتّجه الرأي لتعريف العلم بأنه المعرفة المنظّمة المبوّبة التي تؤسَّس على البحث الذي لا يتبع هوى النفس، على أن يكون قد رُدَّ إلى المبادئ الثلاث. - التصنيف - التبويب - التقنين. فهل التاريخ علم بناءً على هذا التعريف الجديد؟ إن الإجابة على هذا تستدعي أن نعرف ما هو

التاريخ؟ هل التاريخ هو "التدوين"؟ لو أجبنا بالإيجاب لكان التاريخ فنًّا لأنه إنشاء أدبي، ولكن اللفظ الدقيق لهذا المعنى هو "تأريخ" أي كتابة التاريخ. أما التاريخ فمرحلة تسبق التأريخ والكتابة، وهو يعني البحث في أحوال السابقين، وما خلّفوا من آثار ووثائق ثم نقدها وتأويلها، والمعرفة عن طريقها، وذلك المعنى هو المقصود عندما تستعمل كلمة "تاريخ" وهو بذلك يشمل الاستقصاء والبحث وطلب الحقيقة، ثم إنه يتّبع مبادئ التصنيف والتبويب والتقنين، وبهذا يكون التاريخ علمًا. وتبعًا لهذا الاتجاه أدخل رينان سنة ١٨٤٨ العلوم التاريخية في مؤلّفه عن "مستقبل العلم" وردّد فوستل ديكولاند (١٨٣٠ - ١٨٨٩م) هذا القول مرارًا، ومن ذلك ما جاء في كتابه (العصر الوسيط) ونصّه: التاريخ علم لا يتخيّل بل يرى، وهو نظير كل علم ينظر إلى الأحداث ويحلّلها ويقارن بينها، ويحقّق الروابط القائمة بين بعضها والبعض، والمؤرّخ يبحث عن الحدث ويدركه بدرس النصوص بإمعان ودقّة وهي نفس الطريقة المتّبعة في كل علم مؤسّس على الملاحظة الدقيقة. ويبقى سؤال بعد ذلك هو: من أي أنواع العلوم يعتبر التاريخ؟ الإجابة عن ذلك يوردها Hearnshaw بقوله: التاريخ علم، ليس علم نقد وتحقيق، أقرب العلوم الطبيعية شبهًا به الجيولوجيا. فكما أن الجيولوجي يدرس الأرض كما هي الآن ليعرف بقدر الطاقة كيف صارت إلى حالتها الحاضرة، فكذلك المؤرّخ يدرس الآثار المتخلّفة عن الماضي ليفسّر بواسطتها وبقدر إمكانه ظاهرة الحاضر، وكما أن الجيولوجي يجد مادته الأساسية فيما سلم في نفايات الطبيعة من أدلّة قليلة تثبت التطوّرات الجيولوجية القديمة. فكذلك المؤرّخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات، سلمت مصادفة واتّفاقًا من عوادي الزمن التي لا تبقي ولا تذر، وهذه الآثار والسجلات هي الحقائق المحسوسة الحاضرة التي ينصبُّ عليها عمل المؤرّخ وهي مادة علمه، وهي ليست قيّمة وهامّة لذاتها، ولكن لمجرّد دلالتها على الوقائع الماضية، ثم هي لا تدلّ على الوقائع الماضية مباشرة، ولكن بواسطة الضوء الذي يلقيه عليها فكر الباحث. (شل، سلم، ٢٦، ١٤)

إثبات الحقائق المفردة

- في مراحل إثبات الحقائق المفردة وتركيبها والتأليف بينها وتعليل الأسباب وإبراز النتائج، فلا بدّ للباحث من تجهز واسع بمعارف مستمدّة من علم الأجناس بفرعيه الطبيعي والحضاري (:Anthropology Physical and Cultural) والجغرافيا، والاقتصاد، وعلم النفس الفردي والاجتماعي، وعلم الاجتماع، وعلم السياسة، وأمثالها. إن هذه الحاجة لتختلف باختلاف الناحية التي هي موضوع البحث: فلكل ناحية مطالبها واحتياجاتها واستمداداتها الخاصة من هذه العلوم. (زري، نحن، ٧٧، ١٣)

إثبات الوقائع

- إن عمل المؤرّخ في المرحلة النقدية هو أشبه ما يكون بعمل المستنطق في الدوائر

القضائية الذي يأتي بالشهود والرواة فيستنطقهم ويدقّق في شهاداتهم ويحقّق في إفاداتهم ويقدّم نتيجة تدقيقاته وتحقيقاته ليستند إليها في الحكم في ما جرى. ولكن المؤرّخ لا يقف عند عمل المستنطق، بل يتجاوزه إلى عمل المدّعي العام، وإلى عمل المحامي - متّخذًا وجهة الادعاء تارة ووجهة الدفاع أخرى - ثم يصل أخيرًا إلى عمل القاضي الذي يحاول إثبات الوقائع قبل أن يقدم على الحكم فيها. (زري، نحن، ٧٣، ١٨)

إجتماع

- الإجتماع إذا حصل للبشر كما قرّرناه وتمّ عمران العالم بهم، فلا بدّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض؛ لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم. وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم. فلا بدّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض. ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم. فيكون ذلك الوازع واحدًا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة؛ حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان؛ وهذا هو معنى الملك. (خلد، قدم، ٣٣٨، ٢٠)
- الإجتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلّم فيه، وأنه لا بدّ لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه. وحكمه فيهم: تارة يكون مستندًا إلى شرع منزّل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيماتهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلِّغه؛ وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقّعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم. فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة، ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة؛ والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط. (خلد، قدم، ٧٧٣، ٣)

إجتماع إنساني

- فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، ويُنَكِّبان به عن المزلّات والمغالط. لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مجرّد النقل، ولم تُحَكَّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلّة القدم والحيد عن جادّة الصدق. وكثيرًا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثًّا أو

سمينًا، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط. (خلد، قدم، ٢٩١، ١٠)

- حقيقة التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحّش والتأنّس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. (خلد، قدم، ٣٢٨، ٥)

- الإجتماع الإنساني ضروري. ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم: "الإنساني مدني بالطبع"؛ أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران. وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله. إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه. ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلًا، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ. وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتمّ إلا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوري. هب أنه يأكله حبًّا من غير علاج؛ فهو أيضًا يحتاج في تحصيله إلى أعمال أخرى أكثر من هذه، من الزراعة والحصاد والدِّراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل. ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير. ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد. فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم؛ فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف. وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضًا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه. (خلد، قدم، ٣٣٧، ٤)

- الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ضروري. ومن ثمّ قال الحكماء: "الإنسان مدنيّ بالطبع"، أي: لا بدّ له من الاجتماع الذي هو "المدنية" عندهم ليحفظ به وجوده وبقاء نوعه؛ إذ لا يمكنه انفراده بتحصيل أسباب معاشه وإعداد ما يدفع به عن نفسه، دون مَعين من أبناء جنسه، فيضطرّ إلى اجتماع يتكفّل له بذلك على أيسر مرام، لتتمّ حكمة إيجاده وغاية ما خلق له. (أزر، بدع١، ٧١، ٥)

- الإجتماع الإنساني لا بدّ فيه من وازع عن العدوان الواقع فيه - بمقتضى الطبيعة البشرية - بما يكون له من سطوة السلطان وقهره. وتلك الخصوصية الحاصلة له بما هي منصب طبيعي للإنسان . . . هي

الملك في مشهور المراد به. (أزر، بدع١، ١٠٧، ١١)

- يريد (إبن خلدون) أن يجعل من التاريخ أداة كشف عن سر "الإجتماع الإنساني"، وعن خروج هذا الإنسان من "التوحّش إلى التأنّس" بفضل الصراع الجدلي الذي يُعبِّد سبيله، عبر حقبات متجدّدة، نحو أنسيَّة أكمل، عن طريق الرقي المستمرّ الناشئ حتمًا عمّا "ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال". وطبيعة الأحوال هذه التي يشير إليها ابن خلدون، ويعتبرها القانون الذي بمقتضاه يسير التطوّر الضروري الذي لا يعاند، إنما هي سنّة الله "التي توجِّه شراع الخليقة"، ليِّنةً تارة عنيفة أخرى، والتي أشار إليها القرآن في أكثر من آية. وهكذا يصبح التاريخ استكشافًا كليًّا لتطوّر الإنسان، ومحاولة حلّ للغز وضعه اليوم في هذا الكون، ولمصيره العاجل أو الآجل. (علف، فت، ١٩، ٢٧)

إجتماع للأمة

- إذا كان هناك توافق ما بين الاتجاه العام لسرد الطبري للتاريخ، وبين إتجاه سياسة رسمية فينبغي اللجوء إلى مستوى آخر من التفسير غير مستوى المصلحة والتزلّف لذوي السلطان. فهذا التوافق قد يكون التقاء موضوعيًّا - ولنقل على مستوى الإيديولوجيا - بين النشاط العلمي لمؤرّخ من جانب، وسياسة دولة من جانب آخر. فهناك من جهة نشاط عالم يرمي من وراء مجهوده العلمي إلى حفظ وحدة الأمة وذلك على مستوى العقيدة، والتشريع، والعودة إلى الماضي (التاريخ)، ومن جهة أخرى هناك سلطة تسعى إلى أن تحقّق للمسلمين وحدة حول الخلافة أشمل مما حقّقه الأمويون. فهناك مؤرّخ فقيه يسعى إلى توحيد الماضي في ذاكرة المسلمين، وذلك لمحاولة التغلّب على تضارب الروايات والوصول إلى سرد للتاريخ يتحقّق حوله "إجماع" مؤرّخي الأمة، وهناك سلطة ترمي إلى تحقيق اجتماع للأمة أوسع مما حقّقه الأمويون. وهكذا فإن مجهود المؤرّخ يلتقي بسياسة الدولة، لا في التفاصيل، ولا في التطابق المطلق، ولكن في الهدف المشترك للمجهودين اللذين يرميان إلى تحقيق أمة موحّدة في السياسة والفكر، وهو ما فتئ المسلمون يحنّون إليه في كل زمان. (أوم، نهج، ٣٦، ٢٠)

إجتهاد

- الاجتهاد هو إمعان الفكرة والاستقصاء في البحث عن وجه الحق الذي لا يصاب بالبديهة ولا بالحسّ لكن بالطلب والاستدلال وهو مقدّمة القياس، وكان القياس القضاء بالشيء على التمثيل والاجتهاد طلب وجه ذلك القضاء من أصحّ وجوهه والتحرّز من وقوع الغلط فيه لأنّ القياس من غير اجتهاد كالقول بالظنّ من غير استدلال. (بلخ، بدا، ٣٤، ١٥)

- الاجتهاد وقد تتوفّر الحقائق المفردة في ناحية من نواحي الماضي وتُعدم في الناحية الأخرى. فيجتهد المؤرّخ في تلافي ما قد يقع من فراغ. والاجتهاد في اللغة كما قال أبو حامد الغزالي: "هو عبارة عن بذل الجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال. ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد. فيقال اجتهد في في حمل حجر الرحا. ولا يقال اجتهد في حمل خردلة. لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصًا ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة. والاجتهاد التام أن يبذل الوسع في الطلب بحيث يحسّ من نفسه بالعجز عن مزيد الطلب". وقد يقع مثل هذا الفراغ في علم من العلوم الطبيعية. فيتلافاه العلماء بالتجربة والاختبار وإعادة المشاهدة. فلا ينفكّون عن ذلك حتى يتمّ لهم ما أرادوا. فيضيفونه إلى سائر المعلومات ويسدُّون الثّلم. أما المؤرّخ فإنه بعيد عن المشاهدة عديم التجربة. فيضطرّ والحالة هذه أن يجتهد في الأمر فيتذرّع بالمنطق. ويعمل أحيانًا بما نريد أن نسمّيه الاجتهاد السلبي وأحيانًا أخرى بالاجتهاد الإيجابي. (رس، مصط، ١٢٨، ٢)

- الأحكام التي يطلقها المؤرّخ على الحوادث هي "الحقائق" المفردة التي تتبيّن له من الماضي. وهي أشبه ما تكون بالحجارة المتفرّقة التي تحتاج إلى جمع ورصف وتركيب ليتكوّن منها البناء كاملًا أو أقرب ما يمكن إلى الكمال. ولكن كثيرًا ما تكون بعض هذه الحجارة مفقودة بسبب سكوت السلف أو ضياع آثارهم، فتظهر ثلم وثغر يجد المؤرّخ ضرورة لسدّها وملء فراغها. وسبيله إلى هذا الملء الاجتهاد والقياس، أي استنتاج ما يمكن أن يكون قد حدث الاستناد إلى ما حدث فعلًا في ظروف مماثلة أو إلى قوانين طبيعية أو اجتماعية يستمدّها من العلوم الأخرى. ولا غنى عن القول أن القياس والاستنتاج والاجتهاد يجب أن تكون متّصفة بالحذر والاحتياط، كي لا يجمح بالمؤرّخ الخيال أو يغرب به التكهّن، وكي لا يبعد عن الواقع التاريخي كما حدث فعلًا. (زري، نحن، ٧٤، ٩)

- ينبغي ألا يصحب الإجتهاد تحليل الوثيقة، لأن هذا قد يؤدّي بالباحث إلى تحميل النصوص أكثر مما تحتمل، ويعرّضه إلى أن يضيف إليها، ما ليس منها. (عث، بحث، ١٧١، ١٥)

- الحقائق التي يصل إليها الباحث عن طريق تحليل الأصول ونقدها ينبغي أن تظلّ مميّزة ولا تُخلط بالحقائق الناتجة عن طريق الإجتهاد، وينبغي الإشارة إلى ذلك عند عرض الحقائق التاريخية. (عث، بحث، ١٧١، ١٩)

- للإجتهاد طريقتان، طريقة سلبية وأخرى إيجابية. ولقد عبّر المناطقة عن الإجتهاد السلبي بقولهم "السكوت حُجَّة". فقد يقال إن الحادث لم يقع لسكوت الوثائق والمصادر عنه، وإنه لو كان الحادث حقيقيًا لسمعنا به أو لقرأنا أخباره. ولكن

هذا استنتاج خطر في أحوال كثيرة، لأننا لا يمكننا أن نسمع جميعًا بكل الحقائق. وقد تعرض كثير من الأصول التاريخية للتلف أو الضياع، فضاعت معه حوادث. وكذلك نجد كثيرًا من الحوادث التفصيلية قد أفلت من التدوين. فبعض المسائل العامة الشائعة، ربما تمرّ دون تدوين، لأنها مألوفة تمامًا. وأحيانًا لا تُدوَّن بعض الحوادث المألوفة التي عرفها كثير من الناس، لأن الحكومات منعت الكتابة عنها، وربما لم تسجلها في أوراقها الرسمية، مثل شكوى الطبقات الفقيرة من ظلم الحكام وإساءتهم استعمال سلطتهم. والإنسان في أحوال كثيرة لا يهمه أن يرتكب الظلم أو الإساءة بقدر ما يعنيه أن يمنع - إذا استطاع ذلك - معرفة الناس بما ارتكبه من الإساءة. وكما أشرنا، ربما تمنع الحكومات مؤقتًا ذيوع حقائق معيّنة حرصًا على المصلحة الوطنية، وسعيًا إلى إذكاء الروح المعنوي بين أفراد الشعب، ودفعًا للأذى الذي قد يتعرضون له من الخارج أو الداخل، في الظروف الإستثنائية. وقد ينخدع بعض الباحثين بسكوت الأصول التاريخية عن ذكر بعض الحقائق المعيّنة، أو استبدال غيرها بها. فعلى الباحث في التاريخ أن يسأل ألم يفلت ذلك الحادث المعيّن من سجل التاريخ؟ وهل تعمّدت الوثائق السكوت عنه حين كان يجب ذكره؟ وهل يُعدُّ سكوت المصادر حُجّةً قاطعة على عدم حدوثه؟ (عث، بحث، ١٧٢، ٩)

- الإجتهاد كما هو معروف نوعان: سلبي وإيجابي، فأما السلبي فهو ما يعبّر عنه المناطقة بعبارتهم المشهورة "السكوت حجّة" والمقصود هو أن سكوت المصادر عن ذكر واقعة أو خبر يؤخذ دليلًا على أنه لم يحدث ... وإلا لما سكتت عنه المصادر... لكن هذا الحكم قد يكون جائرًا، فكم من أصول تاريخية تعرّضت للتلف والضياع وكم من أحداث أفلتت من التدوين لشيوعها وذيوعها بحيث يرى الكاتب أنه لا داعي لذكرها... وكم من أحداث أخرى لم تدوّن لأن السلطات أرادت لها ذلك، فلم تسجّل في الأوراق الرسمية. وهكذا لا نستطيع أن نأخذ بعبارة "السكوت حجّة". أما الإجتهاد الإيجابي فهو الذي يهدف إلى استنتاج حقيقة أو مجموعة حقائق بمجرّد التثبّت من وقوع حادثة بعينها... بمعنى أن يبدأ الباحث بحادث ما اتّفقت الأصول على وقوعه، ثم يحاول استنتاج حوادث أخرى لم تذكرها هذه الأصول التي بين يديه، مستعينًا على ذلك بالمقارنة بين حوادث الحاضر وحوادث الماضي... فما دام هذا الحدث المعيّن قد وقع، فهو يستنتج وقوع حادث آخر لترتّب هذا على ذلك، أو لكونهما معًا نتيجة لسبب واحد. وهذا النوع من الاجتهاد ينطبق على الحقائق التاريخية كافّة، فهو يسري على العادات والتقاليد وعلى عمليات التطوّر والتغيّر في المجتمعات، وعلى الحوادث الفردية، وعلى الشؤون السياسية والدينية

والاقتصادية والأدبية. (علف، فت، ١٦٣، ٨)

إجتهاد إيجابي

- بواسطة الإجتهاد الإيجابي يحاول المؤرّخ أن يستنتج أمرًا معيّنًا عن الماضي من مجرّد تثبته من أمرٍ آخر تنصّ عليه الأصول. وذلك لأنه يرى ارتباطًا وثيقًا بين مثل هذين الأمرين في الحاضر الذي يعيش فيه. وكثيرًا ما يلجأ مؤرّخو العصور القديمة إلى مثل هذا الاجتهاد إما لقلّة الأصول أو لجهلهم قواعد المصطلح. فترى الواحد منهم يجزم بأن بلدة من البلدان هي يونانية أو فينيقية لأن أسمها يوناني أو فينيقي. ويستند في ذلك إلى ارتباط الاسم بالمسمّى في الوقت الحاضر. والواقع أن هذا الاجتهاد لا يصحّ إلا في أحوال منطقية معيّنة. فلا بدّ من كلية معترف بصحّتها. كأن نقول مثلًا إن اللغة التي ينتمي إليها اسم بلد من البلدان هي دائمًا لغة الشعب الذي أسّس هذا البلد. ولا بدّ من جزئية صحيحة أيضًا. كأن يقال إن البلد الفلاني كان يحمل إسمًا يونانيًا أو فينيقيًا. فتلزم النتيجة بطبيعة الحال. فكل ما صدق على حدّ صدق على كل ما يصدق عليه ذلك الحدّ إيجابًا أو سلبًا. (رس، مصط، ١٣١، ١٣)
- الإجتهاد الإيجابي محاولة استنتاج حقيقة أو حادث أو أكثر، بمجرّد التثبّت من حدوث واقعة معيّنة. فيبدأ الباحث في التاريخ بحادث ما، ثم يسعى إلى أن يستنتج وقوع حوادث أخرى لم يرد عنها نص فيما تحت يده من الأصول التاريخية. ويمكن أن يقارن الباحث حوادث الحاضر بحوادث الماضي حتى يساعده ذلك في استنتاجه. فيجد أن كثيرًا من الحقائق أو الحوادث مرتبط بعضها ببعض، وإذا عرفنا حادثًا معيّنًا، أمكن استنتاج وقوع حادث آخر، لترتُّب أحدهما على الآخر، أو لأنهما معًا نتيجة سبب مشترك. وينطبق هذا الإجتهاد على الحقائق التاريخية كافةً، على العادات، وعلى المجتمع وتطوّره أو تغيّره في شتّى النواحي، وعلى الحوادث الفردية، وعلى مسائل السياسة، أو الدين، أو الفن، أو الحياة العقلية... وتوجد بعض قواعد وبعض نواح من الحذر في باب الإجتهاد الإيجابي. فتوجد أولًا كليات عامة مستمدّة من تجارب الإنسان، ثم توجد جزئيات خاصة ذاتية، مستمدّة من الأصول التاريخية، وتتعلّق بحوادث أو مسائل معيّنة. (عث، بحث، ١٧٨، ١١)

إجتهاد سلبي

- الاجتهاد السلبي هو ما عبَّر عنه المناطقة بقولهم "السكوت حجّة". ومعناه أن يتمكّن المؤرّخ من القول بأن كذا وكذا لم يحدث لأن الأصول خالية منه. وهو أمر خطر للغاية. فقد يكون السكوت حجّة وقد لا يكون. ولا بدّ من التثبّت من أمور ثلاثة قبل التذرّع بمثل هذه الحجّة. وهي ما يأتي: ١) أن يكون المؤرّخ على يقين جازم من أمر اطّلاعه على جميع الأصول.

٢) أن لا يعتريه شكّ في أن ما لديه من الأصول هو جميع ما دوّنه السلف في الموضوع الذي يبحث. وأنه لم يضع منها شيء. فإنه بضياع الأصول يضيع التاريخ معها. وليس من حق المؤرّخ إذا فقدت الأصول أن يقطع برأي ما. وهكذا فإن التذرّع بمثل هذه الحجّة هو أشد خطرًا في التاريخ القديم ممّا هو في التاريخ المعاصر. وذلك لأن إمكانية الضياع في الأصول القديمة هي أشدّ بكثير منها في الأصول المعاصرة. ٣) أن يتأكّد من استحالة السكوت في الأصول عن الموضوع الذي يدرس. فقد تسكت الأصول عن أمور شتّى تكون قد وقعت في الماضي وذلك لأسباب منها جهل الراوي لها، ومنها قلّة اعتنائه بها، ومنها تحذير الحكومة نشرها. فإذا ما سكتت الأصول مثلًا عن فسق وزير من الوزراء لا يجوز للمؤرّخ أن يستنتج أنه كان شهمًا فاضلًا أو أنه كان غير فاسق. وهكذا فإن حجّة السكوت لا تتمّ إذا اقترن بالراوي حالتان لا تنفصلان. أولاهما أن تكون الوقائع التي يمكن أن يكون قد سكت عنها وقائع يهتمّ بها اهتمامًا شديدًا؛ والثانية أن يكون الراوي قد صمّم على تدوين جميع الأخبار التي أحاط علمًا بها. (رس، مصط، ١٢٨، ١٧)

- للإجتهاد طريقتان، طريقة سلبية وأخرى إيجابية. ولقد عبّر المناطقة عن الإجتهاد السلبي بقولهم "السكوت حُجَّة". فقد يقال إن الحادث لم يقع لسكوت الوثائق والمصادر عنه، وإنه لو كان الحادث حقيقيًا لسمعنا به أو لقرأنا أخباره. ولكن هذا استنتاج خطر في أحوال كثيرة، لأننا لا يمكننا أن نسمع جميعًا بكل الحقائق. وقد تعرض كثير من الأصول التاريخية للتلف أو الضياع، فضاعت معه حوادث. وكذلك نجد كثيرًا من الحوادث التفصيلية قد أفلت من التدوين. فبعض المسائل العامة الشائعة، ربما تمرّ دون تدوين، لأنها مألوفة تمامًا. وأحيانًا لا تُدوَّن بعض الحوادث المألوفة التي عرفها كثير من الناس، لأن الحكومات منعت الكتابة عنها، وربما لم تسجلها في أوراقها الرسمية، مثل شكوى الطبقات الفقيرة من ظلم الحكام وإساءتهم استعمال سلطتهم. والإنسان في أحوال كثيرة لا يهمه أن يرتكب الظلم أو الإساءة بقدر ما يعنيه أن يمنع - إذا استطاع ذلك - معرفة الناس بما ارتكبه من الإساءة. وكما أشرنا، ربما تمنع الحكومات مؤقتًا ذيوع حقائق معيّنة حرصًا على المصلحة الوطنية، وسعيًا إلى إذكاء الروح المعنوي بين أفراد الشعب، ودفعًا للأذى الذي قد يتعرضون له من الخارج أو الداخل، في الظروف الإستثنائية. وقد ينخدع بعض الباحثين بسكوت الأصول التاريخية عن ذكر بعض الحقائق المعيّنة، أو استبدال غيرها بها. فعلى الباحث في التاريخ أن يسأل ألم يفلت ذلك الحادث المعيّن من سجل التاريخ؟ وهل تعمّدت الوثائق السكوت عنه حين كان يجب ذكره؟ وهل يُعدُّ

سكوت المصادر حُجّةٌ قاطعة على عدم حدوثه؟ (عث، بحث، ١٧٢، ١٠)

أجيال

- إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نِحلَتهم من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجيّ والكمالي. فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة؛ ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها. وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة، ولا بدّ، إلى البَدو لأنه متّسع لما لا يتّسع له الحواضر من المزارع والفُدُن والمسارح للحيوان وغير ذلك. فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرًا ضروريًّا لهم؛ وكان حينئذٍ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكنّ والدّفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويُحصِّل بُلْغَة العيش من غير مزيد عليه، للعجز عما وراء ذلك. ثم إذا اتّسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرَّفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدَّعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضّر. ثم تزيد أحوال الرَّفْه والدَّعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها، والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها، فيتّخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه. ويعالون في صَرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلقون في استجادة مما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان. ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو؛ لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وُجدهم. (خلد، قدم، ٤٦٧، ٧)

إحتجاب

- (الاحتجاب) أحدهما: عن العامة، في غير اليوم الذي يجلس لهم فيه. ... الثاني: عن الخاصة في الأوقات التي تخصّه لإقامة ضرورياته ومكملاته من غير إفراط؛ خصوصًا أوقات الليل. وقد قال ابن حزم: ينبغي للملك أن يفرغ نفسه في ليله لعياله ونسائه وولده، ويعدل في القسم بين نسائه. (أزر، بدع١، ٣٥٤، ٦)

إحتذاء المشاكلة

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل

غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإنه حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ٢٢)

إحتمال

- نصل أخيرًا في مجال بحث السببية التاريخية إلى مشكلة هامة تقطع الطريق على الأسباب المعقولة هي مشكلة الاحتمال والصدفة. المؤرّخون يلاحظون أحيانًا أن ثمّة أمورًا وحوادث في التاريخ تتأبّى على "المعقولية". وتسير في ما وراء السببية التي نفهم ونصطنع.. فكأن المعقولية ليست وحدها التي تحكم قوانين التاريخ ومسيرته... بلى! ثمّة في حدود ما نعرف من أحداثه وعوامله عنصر من العبث absurd واللامعقول ليس له أي معنى ولا أي تفسير أو غاية، ولكنه مع ذلك واقع تاريخي قائم. (علف، فت، ٢٠٣، ٨)

أحد

- (الأحد) هو أول الأيام وفي "شرح المهذب" ما يقتضي أنه أول الأسبوع. وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى ابن عباس قال: أول ما خلق الله الأحد فسمّاه الأحد وكانت العرب يسمّونه الأول، وقال متأخّرو أصحابنا: الصواب أن أول الأسبوع السبت وهو الذي في الشرح والروضة والمنهاج لحديث مسلم: خلق الله التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الإثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء وبثّ فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة. وقال ابن إسحاق: قول أهل التوراة ابتدا الله الخلق يوم الأحد. ويقول أهل الإنجيل يوم الإثنين ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت. وروى ابن جرير عن السدى عن شيوخه: ابتدأ الله الخلق يوم الأحد واختاره ومال إليه طائفة، قال ابن كثير وهو أشبه بلفظ الأحد ولهذا أكمل الخلق يوم الجمعة فاتّخذه المسلمون عيدهم، وهو اليوم الذي ضلّ عنه أهل الكتاب. (سي، شم، ١٥، ٢٢)

أحزم الملوك

- أحزم الملوك من ملك جده هزله، وقهر رأيه هواه، وعبّر عن ضميره فعله، ولم يختدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده وكان يقال: الحازم من الملوك من يبعث العيون على نفسه ويتفقّدها، حتى لا يكون الناس بعيبه أعلم منه بعيب نفسه، وقالوا: أحزم الملوك من حمل رعيته على التخلّق بأخلاقه والتأدّب بآدابه، بالرفق

والتوصّل الحسن، والتأنّي اللطيف. وخطر لي في هذا المعنى سرّ لطيف، وهو أن الرعية إذا تدرجوا إلى التخلّق بأخلاق الملك، والتأدّب بآدابه، صاروا مستحسنين لصادرات أحواله وأفعاله، لأنهم هم يفعلونها ويعتمدونها، فلا يصير أحد منهم يذمّ سيرته، ولا يزري عليه، ومتى كانت طباعهم منافية لطباعه، وأخلاقهم مضادّة لأخلاقه، أغروا بالازراء عليه، والذمّ لأفعاله، وهذا سرّ لطيف، منطو في قولهم. وقالوا: أحزم الملوك من تقدّم بإحكام الأمر قبل نزول حاجته، وتدارك المهم الخطر قبل وقوعه. قيل للاسكندر ما علامة دوام الملك؟ قال: الاقتداء بالحزم والجدّ في كل الأمور. قيل: فما علامة زواله؟ قال: الهزل فيه. (طق، فخر، ٣٩، ١٩)

أحكام سلطانية

- الأحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لأن الوازع فيها أجنبي؛ وأما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتي. ولهذا كانت هذه الأحكام السلطانية والتعليمية ممّا تؤثّر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم؛ والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن أحكام السلطان والتعليم والآداب. (خلد، قدم، ٤٨١، ١٣)

أحكام الملك

- أحكام الملك القاهر بمقتضى الغضب، لما كانت مائلة عن الحق غالبًا تحمل صاحبها على ما فوق الطاقة من أغراضه وشهواته، وإذ ذاك فتعسر الطاعة، وتخشى المعصية المؤذنة بفساد الاجتماع الإنساني، وجب المرجع في ذلك إلى قوانين سياسية الوضع، يسلكها الكافة، وتنقاد لحكمها المفروض... وأن هذه القوانين المفروضة، إن كانت من العقلاء وذوي البصيرة بتدبير الدول، كانت سياسة عقلية نافعة في الدنيا فقط، وإن كانت عن الله - تعالى! - بواسطة شارع يشرعها، كانت سياسة دينية نافعة في الدنيا والآخرة. (أزر، بدع١، ٢٨٥، ٦)

أحوال واقعة في العمران

- إذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله ممّا نحكم بتزييفه. وكان ذلك لنا معيارًا صحيحًا يتحرّى به المؤرّخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه. (خلد، قدم، ٣٣١، ١٢)

أخبار

- دوّن الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطّروا. والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخّرة، هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل، ولا حركات العوامل؛ مثل ابن إسحق والطّبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن

عمر الأسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميّزين عن الجماهير؛ وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات، ومشهور بين الحفظة الثقات، إلا أن الكافة اختصّهم بقبول أخبارهم، واقتفاء سننهم في التصنيف، وإتباع آثارهم. والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم. (خلد، قدم، ٢٨٣، ٨)

- للعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار، وتُحمل عليها الروايات والآثار. (خلد، قدم، ٢٨٣، ١٦)

- قال أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس في مقدمة تاريخ مالقة أن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنّة معرفة الأخبار وتقييد المناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلّب الدهر بأبنائه وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم وتدوّن مناقبهم وأخبارهم ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ومتصرّفون ومخاطبون لك في كل حال ومعروفون بما هم به متّصفون، فيتلو سورهم من لم يعاين صورهم ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاينهم فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم ويعلم المتصرّف منهم في المنقول والمفهوم والمتميّز في المحسوس والمرسوم، ويتحقّق منهم من كسته الآداب حليها وأرضعته الرياسة ثدييها فيجد في الطلب ليلحق بهم ويتمسّك بسببهم. (سخ، ذم، ٢٥، ٣)

- كانت الأخبار تروى بالدرجة الأولى في المجالس القبلية. وتعتبر عادة ملكًا مشتركًا للعائلة أو القبيلة. وكان بعض الأفراد مثل رواة الشعر أو مشايخ القبائل الرواة الأساسيين لها. ولم يكن لهذه الأخبار أو الروايات في البدء أسانيد، بل استمرّت جزء من الثقافة العامة وتهمّ الجميع. وقد استمرّت مثل هذه الروايات الشفوية مع كثير من الشعر تتداول في المجتمع الإسلامي الأول كما كان الوضع قبل الإسلام. (دو، نشأ، ١١٩، ١٧)

- ظلّ لفظ "الأخبار" يستعمل بدلًا من "التاريخ". والذي يلاحظ أن لفظ "تاريخ" لا يوجد فيما يعرف من أدب جاهلي كما لا يوجد في القرآن. والحديث الوحيد في هذا المعنى يستعمل لفظ "عدّ" بدلًا من "أرّخ" ولهذا السبب راح المؤلّفون القدامى يبحثون عن الأصل الأجنبي لكلمة "تاريخ"، ووجدوه خصوصًا في "مامروز" الفارسية، وإن لاحظوا عدم استقامة الاشتقاق. وفي هذا الاتجاه ذهب المستشرق فرانزروزانتال ليبحث عن أصل الكلمة في اللغات السامية، بيد أن بحثه انتهى إلى نتائج سلبية. ولكن هذا النوع من البحث اللغوي لا يخلو من مأخذ، ذلك أنه يسلّم مسبقًا بأن أصالة مفهوم في ثقافة ما أو عدم أصالته متعلّق باللفظ الذي يحمله. بيد أن انتقال الكلمات من ثقافة لأخرى لا يفسّر

وحده التغيير العميق الحاصل في الثقافة المتلقّية. فإذا حدث أن هذه الثقافة المتلقّية قد عمدت إلى اقتباس كلمات جديدة، ففي داخل هذه الثقافة ينبغي البحث عن الأسباب العميقة التي أدّت بها إلى هذا الاقتباس. إن الإهتمام الذي أظهره المسلمون بالتاريخ والذي صادف الصدى الهائل الذي نعرف، يرجع إلى عوامل عدّة: الدعوة العالمية للإسلام وتحديد موقعه من الأديان الأخرى، واندفاع حملة الدين الجديد نحو آفاق من العالم بعيدة (وهو ما جعلهم يحتكّون بأمم وثقافات أخرى)، مما دفع المسلمين، وقد وجدوا أنفسهم في مستوى أحداث التاريخ الكبرى، إلى الاهتمام بالتاريخ. وكان بدهيًا أن يكون موضوع العلم الجديد هو الحدث الأكبر الذي كان أصلًا لكل ما سبق: أي ظهور الإسلام وشخصية النبي. ذلك أن هذا الحدث هو الذي جعل المسلمين "أمة"، ومكّنهم من أن يلعبوا الدور الهام الذي لعبوه في التاريخ. (أوم، نهج، ١٤، ٢١)

- "الأخبار" و"الأيام" فطابعها السياسي أكثر وضوحًا ومرجع ذلك إلى المعتقدات الدينية - السياسية لأصحابها أو لكونهم ينتمون لأحزاب أو قبائل داخلة في الصراع السياسي لعصرها. (أوم، نهج، ٢٠، ١٧)
- الأخبار، إذن، بديل عن الحجج العقلية والبراهين والأدلّة، كما قال بحق أحد دارسي ألف ليلة وليلة. فالأخبار تستعيض بمباشرية المشاهدة والعيان، وبحضور العين في صلبها، عن أية حاجة إلى الإحتجاج، وحتى إلى البيان.. فحضور العين يغني عن كل ما عداه. ولو كان التاريخ علم من الأخبار تبتنى عليه الأقيسة، فإن هذه الأقيسة المعتمدة مجالًا للفقه. أما مجالا الحكمة والسياسة، فعلاقتهما بالأخبار أكثر مباشرة وأكثر التصاقًا، إذ إن أمثال الحكماء توجد في الأخبار، كما أن سياسة الملوك والحرب "تلتمس" منها. يصبح الإعتبار بهذا الشكل قياسًا خفيًّا تختفي فيه أهمية العلّة القياسية ويضحى فيه الإلحاق القياسي تماثلًا تامًّا بين العين الأول المخبر عنه والعين الأخير وهو الفعل المقتدي بسابقه. والعلاقة مقامة بين عين وعين عبر حيّز متوسط هو الخبر الذي يفرغ فيه العين الأول جوهره وحقيقته إلى عينيته، والذي يفرغ بدوره هذه العينية في عينية أخرى التي هي الفعل الناتج عن الاعتبار والاقتداء - يقفز العين الفرد من "الواقع"، ويتحوّل إلى قول ينحل بدوره إلى عين هو فعل اقتداء. (عظم، عرف، ٤١، ١٢)

- التاريخ storia فعل للفكر، فعل نظري لأنه وصف مقولي categorial للأحداث التي أحدثتها الروح الإنسانية في الماضي، وبوصفه فعلًا نظريًّا فإنه فعل "تركيب تاريخي" و"الأخبار" cronaca فعل إرادة، لأنها يجب عليها ألا تحكم أو تصف، بل فقط عليها أن تسجّل أعني أن تحفظ. إن فعله شبيه بفعل العالم الطبيعي الذي لا يحكم

على التجارب الجديدة المختلفة التي يشاهدها بل يعمّم فيها من أجل تصنيفها، ويقوم بعمل وصف اعتباطي أو ميسّر. إن الإخباري يسجّل ما يحدث بترتيب زمني، إنه لا يتلقّى الحياة التاريخية في ميلادها ونموّها من الداخل، بل يرصدها من الخارج فحسب، ولهذا فإن الأخبار cronaca لا تنفذ إلى الفردية المميّزة للوقائع التاريخية. (علف، فت، ٢٣١، ٣٣)

- إن الأخبار والتاريخ لا يتميّزان بوصفهما شكلين للتاريخ، يكمّل كل منهما الآخر، أو يخضع أحدهما للآخر، بل هما موقفان روحيان مختلفان. إن التاريخ storia هو التاريخ الحي، والأخبار هي التاريخ الميّت، والتاريخ هو التاريخ المعاصر، بينما الأخبار Cronaca هي التاريخ الماضي، والتاريخ هو أساسًا فعل للفكر، بينما الأخبار فعل للإرادة. وكل تاريخ يصير أخبارًا إذا لم يعد مفكّرًا فيه، بل مذكورًا فقط في كلمات مجرّدة، كانت حينًا ما عينية وتعبّر عن التاريخ. وحتى تاريخ الفلسفة هو أخبار، كتبها غير الفاهمين للفلسفة، أو قرأها هؤلاء، وتاريخ هو ذلك الذي نكون على استعداد لقراءته على أنه أخبار. (علف، فت، ٢٣٢، ٣)

أخبار الأنبياء

- النفوس تشرئبّ إلى معرفة بدايات الأشياء، وتحب سماع أخبار الأنبياء، وتحنّ إلى مطالعة سير الملوك والحكماء، وترتاح إلى ذكر ما جرى للقدماء. ورأيت المؤرخين يختلف مقادهم في هذه الأنباء؛ فمنهم من يقتصر على ذكر الأنبياء والابتداء، ومنهم من يقتصر على ذكر الملوك والخلفاء، وأهل الأثر يؤثرون ذكر العلماء، والزهاد يحبون أحاديث الصلحاء، وأرباب الأرب يميلون إلى أهل الأدب والشعراء. ومعلوم أن الكل مطلوب، والمحذوف من ذلك مرغوب. (جو، نظم، ١١٥، ١٢)

أخبار عن الواقعات

- الأخبار عن الواقعات فلا بدّ في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة. فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعها، وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدّمًا عليه؛ إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط، وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة. وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران، ونميّز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه، وما يكون عارضًا لا يعتدّ به وما لا يمكن أن يعرض له. وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونًا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشكّ فيه. (خلد، قدم، ٣٣١، ٥)

أخبار الماضين

- جماعة ممّن يدّعي المعرفة والدراية، ويظنّ بنفسه التبحّر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويُعرض عنها ويلغيها، ظنًّا منه أن غاية فائدتها إنّما هو القصص

والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللبّ نظره، وأصبح مخشلبًا جوهره، ومن رزقه الله طبعًا سليمًا، وهداه صراطًا مستقيمًا، علم أنّ فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيويّة والأخرويّة جمّة غزيرة .... فأمّا فوائدها الدنيوية فمنها: أنّ الإنسان لا يخفي أنّه يحبّ البقاء، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شعري! أيّ فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين؟ فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضرهم. ومنها: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنّهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوَّنة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطَّرحوها. وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها درّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفي به فخرًا. (أث، كمل، ٧، ١)

أخبار الملك

- لأخبار المُلك إذن متعلّقات عرفية متواترة، وإن لم تكن معلنة، تقوم مقام حصر مسائل موضوعه. فليس للملك تعريف، وليس للتاريخ تعريف، يتجاوز في مفرداته تسمية مطالب هذين الموضوعين. والملك ليس بالتالي إلّا عقدة المطالب التي تتناول موضوعه. الملك هو من "يستعبد الرعية ويجبي الأموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة". فمتعلّقات الملك آثار ظاهرة لوجوده: هي ليست تجلّيات له، ولا هي أعراضه الذاتية، فهي ليست مستتبعة من تعريفه، إذ لا تعريف له. متعلّقات الملك، بعبارة قرآنية، آياته، أي إنها محسوسات تتعلّق بوجوده، برابط ليس من الضرورة أن يكون واضحًا: فهي ليست فقط أخبار الملك الفرد الشخصية، بل هي سجلّ لما جرى في عهده، فما جرى في عهده خاص به وليس خاصًّا بالعهد، ... بخصوص الملك الذي يطلق عليه المسعودي إسم أخريتا، وما جرى في عهده لا قوام له بنفسه، بل هو، بما هو تاريخ، في توابع رأس التاريخ الذي هو الملك. المُلك قوام كل تاريخ. (عظم، عرف، ٧٣، ٥)

أخبار الملوك

- (التاريخ) مع أخبار العلماء ومذاهبهم

والحكماء وكلامهم والزهاد والنساك ومواعظهم عظيم الغناء ظاهر المنفعة فيما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسريرته في اعتقاداته وسيرته في أمور الدين، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي، وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ثم سبب انقراضها وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء وما يتّصل بذلك من الأحوال التي يتكرّر مثلها وأشباهها أبدًا في العالم غزير النفع كثير الفائدة، بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرّب الأمور بأسرها وباشر تلك الأحوال بنفسه فيغزر عقله ويصير مجرّبًا غير غر ولا غمر. . . . وما أحسن قول بعض السادات العقل عقلان: مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع ما لم يكن ثمّ مطبوع. ونحو هذا ما يقع فيه من ذكر ذوي المروآت والأجواد والمتّصفين بالوفاء ومحاسن الأخلاق والمعروفين بالشجاعة والفروسية، وأنه أيضًا جمّ الفوائد كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبّه والاقتداء بأربابها ليصير لهم نصيب من حسن الثناء وطيب الذكر الذي حرض عليه خلاصة البشر. (سخ، ذم، ١٤، ١)

إخبار منضبط بتأريخ

- التاريخ، . . . إخبار منضبط بتأريخ. لهذا الإخبار مجموعة من المطالب، تتحلّق حول موضوع الملك ومتعلّقاته يتمّ أداؤها بما هي إخبار عن أفعال. فالإخبار إخبار عن أمور حادثة، والخبر هو ذلك القول السردي المتعلّق بفعل ما بحيث أنه يسرد حادثة فيها انتقال من بداية إلى نهاية، دون أن يتمكّن من سرد أي شيء عدا الحوادث. فالخبر لا يسرد فكرة ولا يسرد أمرًا إلا بما تكون الفكرة أو يكون الأمر نتاجًا لفعل هو، في الحديث والفقه، فعل قول لا قوام للخبر (أي الحديث) دونه. هو فعل قائم بصيغة حادثة يجري الإخبار عنها أو عن قسم زماني منها. فالحادثة حادثة بما هي فعل ينساب في اتّجاه واحدًا مرورًا بأدوار ثلاثة: دور تأسيسي افتتاحي، ثم دور الإكتمال، وأخيرًا دور ختامي. إن الحادثة المكتملة والمحتوية على أدوارها الثلاثة هي تلك التي حاول ابن الأثير استرداد اكتمالها في مناقشته لأسس السرد التاريخي. فقد نحا الطبري، كما فعل الكثير قبله وبعده، نحو تشتيت أدوار الحوادث وأدوار أدوارها في سنين أو أشهر عديدة من السنين وإلى تشتيتها في الأخبار المختلفة، بحيث أن الحادثة الواحدة تقطع في سنة ثم تكمل في سنة ثانية، أو تقطع حسب الأسانيد. (عظم، عرف، ٤٤، ١)

أخباريون

- لم يحاول الأخباريون جمع الأخبار بشكل شامل فقط ولكن بشكل منظم أيضًا، متّصل السلسلة في الزمن. وقد ظهر هذا

خاصة في البصرة والكوفة. (مص، رخ١، ١٧٣، ٦)

إخباريون

- يمثّل الإخباريون خط الدراسات التاريخية (الخبر يعني الرواية أو القصة)، في حين أن الآخرين قاموا بدور في الدراسات التاريخية. ومع ذلك فإن كتاباتهم، وخاصة في الفترة الأولى تدلّ على أن نواحي اهتمامهم ومؤلفاتهم كانت متداخلة أحيانًا. وتركّزت فعالياتهم خلال القرنين الأولين للهجرة في الكوفة والبصرة، وهما مركزان نشيطان للقبائل العربية. وهذا أعطى الروايات العراقية منزلة غالبة في هذا الاتجاه من الكتابة التاريخية. (دو، نشأ، ٣٣، ٢١)
- إن الإخباريين عامة يؤكّدون على مسؤولية البشر عن الحوادث ولا يحبذون فكرة الجبر في الشؤون العامة. ونجد في أخبار التوابين مثلًا قويًا لهذا الاتجاه. (دو، نشأ، ١٣٣، ٢٢)

إختلاف الأجيال

- إختلاف الأجيال في أحوالها، إذن، نتيجة لتتابع الدول المختلفة التي ترعى تجيّل الأجيال الجديدة، فالناس على دين ملوكهم. التحوّل والتغيّر في التاريخ تابع لذلك العنصر الذي يجعل من التاريخ تاريخًا ومن الأشياء أشياء: ذلك هو المُلك. والمغايرة في أطباع ومذاهب الملوك هي ما تجعل من الأجيال أجيالًا متغايرة، وما يصدق عن المسلمين في أنهم "في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأقواله" لا شكّ يصدق على غيرهم. فمشاكلة الناس لزمانهم التزام بأخلاق وأفعال ملوكهم. فقد لبس الناس لباس المعتصم، كما أن أصل ذلك التغيّر الكبير الذي بموجبه قدّم الملوك ومواليهم وغلمانهم على أقربائهم هو قيام المنصور بذلك. (عظم، عرف، ٩٥، ٧)

إختلال العمران

- الدولة إنما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب، والغلب إنما يكون بعد العداوة والحروب، والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر إحداهما عن الأخرى في العوائد والأحوال، وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمنافي الآخر، فتكون أحوال الدولة السابقة منكرة عند أهل الدولة الجديدة ومستبشعة وقبيحة، وخصوصًا أحوال الترف، فتفقد في عرفهم بنكير الدولة لها، حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد أخرى من الترف، فتكون عنها حضارة مستأنفة. وفيما بين ذلك قصور الحضارة الأولى ونقصها. وهو معنى اختلال العمران في المصر. (خلد، قدم، ٨٩٤، ٧)

إختيار الموضوع

- إختيار الموضوع: ذلك هو العنصر الثاني

من عناصر المنهج التاريخي، وعملية اختيار موضوع تاريخي معيّن لدراسته والكتابة فيه تتّصل اتّصالًا وثيقًا بميول الباحث ومدى إلمامه بالعلوم المساعدة التي يتطلّبها البحث في هذا الموضوع، وهي في الواقع أول مشكلة تواجه من يتصدّى للكتابة التاريخية، ومن واجبه أن يصرف فيها وقتًا كافيًا حتى يستقرّ على ما يريد، ويضمن قدرته على المضي فيه. (علف، فت، ١٣٦، ١٨)

إخشيد

- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيوْشار، ملك الجُوزَجان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ١)

إخلال

- كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، . . . متباينة في تحصيل الغرض، فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخلّ بكثير ممّا هو آتٍ، ومع ذلك فقد ترك كلّهم العظيم من الحادثات، وسوّد كثيرًا من الأوراق بصغائر الأعراض، والشرقي منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخًا متّصلًا إلى وقته يحتاج إلى مجلّدات كثيرة وكتب متعدّدة، مع ما فيها من الإخلال والإملال (مقدمة). (أث، كمل، ١٢، ١٢)

أخنوخ

- هرمس الأوّل وهو أخنوخ إدريس النبيّ صلعم. (بلخ، بد٢، ٩٧، ١٢)

آداب سياسة الملوك

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإنه حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ١٩)

أدب

- الأدب وثيق الصلة بالتاريخ، فهو مرآة العصر، وهو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه، وهو يفصح عن دخائل البشر ويصوّر أحلامهم وأمانيهم، ويرسم نواحي

مختلفة من حياتهم الواقعة، من حياة الأفراد أو الجماعات، ومن حياة المدينة أو الريف، بل ومن النظم، ومن الحال الإقتصادية، ومن العلم والفن، ومن الحرب والسلام، ومن كل ما يقع تحت حسّ الإنسان ويدخل في نطاق إدراكه أو تصوّره. (عث، بحث، ٣٦، ٩)

إدريس

- إدريس النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلًا طويلًا ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس وكانت إحدى أذنيه أعظم من الأخرى وكانت في جسده نكتة بيضاء من غير برص، وكان دقيق الصوت دقيق المنطق قريب الخطى إذا مشى، وإنما سمّي إدريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى وسنن الإسلام وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وهو أول من خطّ بالقلم وأول من خاطَ الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود واستجاب له ألف إنسان ممن كان يدعوه، فلما رفعه الله اختلفوا بعده وأحدثوا الأحداث إلى زمن نوح. (قتي، خبط، ١٠، ١٥)
- هرمس الأوّل وهو أخنوخ إدريس النبيّ صلعم. (بلخ، بد٢، ٩٧، ١٣)
- تأريخ المتنبّئين، فقد خرج فيما بين ما أوردناه من الأنبياء والملوك نفر من المتنبّئين يقصر الكتاب عن تعدادهم والإبانة عن أخبارهم، فمنهم من هلك غير متّبع ولم يبق إلّا الذكر بعده فقط، ومنهم من اتّبعه أمّة وبقيت نواميسه عندها وهم مستعملون تاريخ. فمن الواجب أن نذكر تواريخ المشورين منهم فإنَّ في ذلك منفعة في علم أحوالهم أيضًا، وأوّل المذكورين منهم بوذاسف وقد ظهر عند مُضِيّ سنة من ملك طهمورث بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسيّة ودعا إلى ملّة الصابئين فاتّبعه خلق كثير وكانت الملوك البيشداذيّة وبعض الكيانيّة ممَّن كان يستوطن بلخ يعظّمون النَّيِّرين والكواكب وكلّيّات العناصر ويقدِّسونها إلى وقت ظهور زرادشت عند مضيّ ثلثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئة بحرّان يُنْسَبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرّانيّة، وقد قيل إنَّها نسبة إلى هاران بن ترح أخي إبراهيم عليه السلام وأنّه كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين وأشدَّهم تمسُّكًا به، وحكى عنه ابن سنكلا النصرانيّ في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل أنَّهم يقولون إنَّ إبراهيم عليه السلام إنّما خرج عن جملتهم لأنّه ظهر في قلفته برص، وأنَّ من كان به ذلك فهو نجس لا يخالطونه، فقطع قلفته بذلك السبب يعني اختتن ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتًا من الصنم يقول له يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيبٍ واحد وجئتنا بعيبين اخرُج ولا تعاود المجيء إلينا، فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذًا وخرج من جملتهم. ثمّ أنّه ندم بعد ما فعله وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم زعم، فلمّا علم كوكب

المشتري صدق توبته فداه بكَبْش، وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكنديّ النصرانيّ عنهم في جوابه عن كتاب عبدالله بن اسمعيل الهاشميّ أنَّهم يعرفون بذبح الناس ولكنّ ذلك لا يمكنهم اليوم جهرًا، ونحن لا نعلم منهم إلّا أنَّهم أناس يوحِّدون الله وينزّهونه عن القبائح ويصفونه بالسَّلب لا الإيجاب، كقولهم لا يُحدُّ ولا يُرى ولا يظلم ولا يجور ويسمّونه بالأسماء الحُسنى مجازًا، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويُعظِّمون الأنوار، ومن آثارهم القبَّة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلّاهم أيّام كان اليونانيّون والروم على دينهم ثمّ صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ثمّ تغلّب عليها النصارى فصيَّروها بيعةً إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتَّخذوها مسجدًا، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخيّ في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس، وحرَّان فإنّها منسوبة إلى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان وبقربها قرية تسمّى سلمسين واسمها القديم صنم سين أي صنم، وقرية أخرى تسمّى ترع عوز أي باب الزهرة. ويذكرون أنّ الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم وأنّ اللّات كان باسم زحل والعُزّى باسم الزُّهرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصريّ وأغاذيمون وواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جدّ أفلاطون من جهة أمّه وأمثالهم، ومنهم من حرَّم عليه السَّمك خوفًا أن يكون رعادةً والفرخ لأنّه أبدًا محموم والثُّوم لأنَّه مصدِّع محرق للدم أو المنى الذي منه قوام العالم والباقلاء فإنّه يُغلِّظ الذِّهن ويفسده وإنّه في أوّل الأمر إنَّما نبت في جمجمة إنسان، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أوّلها عند طلوع الشمس ثماني ركعات والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات وفي كلّ ركعة في صلوتهم ثلث سجدات ويتنفَّلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار وأخرى في التاسعة من النهار وثالثة في الساعة الثالثة من الليل ويُصَلُّون على طهر ووضوء ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين وفي التَّنجُّس عند مسّ الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتورية، ولهم قرابين متعلّقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولّاها كهنتهم وفاتنوهم ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرِّب وجواب ما يسأل عنه، وقد يُسمَّى هرمس بادريس الذي ذكر في التورية أخنوخ وبعضهم زعم أنّ بوذاسف هو هرمس وقد قيل إنَّ هؤلاء الحرّانيّة ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمّون في الكتب بالحنفاء والوثنيَّة، فإنّ الصابئة هم الذين تخلَّفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيّام كورش وأيّام

أرطحشست إلى بيت المقدس ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بُخْتَنَصَّر فذهبوا مذهبًا ممتزجًا من المجوسيّة واليهوديّة كالسامرة بالشام، وقد يُوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصِّلة متمين إلى أنوش بن شيث ومخالفين للحرّانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلّا في أشياء قليلة حتّى إنّهم يتوجَّهون في الصلواة إلى جهة القطب الشماليّ والحرّانيّة إلى الجنوبيّ. (بير، بقي، ٢٠٦، ٨)

– الأقدمون من اليونانيين يزعمون أن حنوخ هو هرمس ويلقّب طريسميجيسطيس أي ثلاثي التعليم لأنه كان يصف الباري تعالى بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة. والعرب تسمّيه إدريس. وقيل إن الهرامسة ثلاثة: الأول هرمس الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو أول من تكلّم في الجواهر العلوية وأنذر بالطوفان وخاف ذهاب العلوم ودرس الصنائع فبنى الأهرام وصوّر فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها طبقات العلوم حرصًا منه على تخليدها لمن بعده. والثاني هرمس البابلي سكن كلواذا مدينة الكلدانيين وكان بعد الطوفان وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش. والثالث هرمس المصري وهو الذي يسمّى طريسميجيسطيس أي المثلث بالحكمة لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء ونُقلت من صحفه نبذ وهي من مقالاته إلى تلميذه طاطي علىَ سبيل سؤال وجواب بينهما وهي على غير نظام وولاء لأن الأصل كان باليًا مفرقًا والنسخة موجودة عندنا بالسريانية. وقيل إن هرمس الأول بنى مائة وثمانين مدينة صغراها الرها وسنّ للناس عبادة الله والصوم والصلاة والزكاة والتعييد لحلول السيّارة ببيوتها وأشرافها وكذلك كلما استهلّ الهلال وحلّت الشمس برجًا من الإثني عشر. وأن يقرّبوا قرابين من كل فاكهة باكورتها ومن الطيّب والذبائح والخمور أنفسها. وحرَّم السكر والمآكل النجسة. والصابئة تزعم أن شيث بن آدم هو أغاثاديمون المصري معلم هرمس. وكان اسقليبياذيس الملك أحد من أخذ الحكمة عن هرمس وولّاه هرمس ربع الأرض المعمورة يومئذٍ وهو الربع الذي ملكه اليونانيون بعد الطوفان. ولما رفع الله هرمس إليه حزن اسقليبياذيس حزنًا شديدًا تأسّفًا على ما فات الأرض من بركته وعلمه وصاغ له تمثالًا على صورته ونصبه في هيكل عبادته. وكان التمثال على غاية ما يمكن من إظهار أهبة الوقار عليه والعظمة في هيبته ثم صوّره مرتفعًا إلى السماء وكان يمثُل بين يديه تارة ويجلس أخرى ويتذكّر شيئًا من حكمه ومواعظه على العبادة. وبعد الطوفان ظنّ اليونانيون أن الصورة لاسقليبياذيس فعظموه غاية التعظيم. وكان أبقراط إذا عهد إلى تلامذته يقول: نشدتكم الله باري الموت والحياة وأبي وأباكم اسقليبياذيس. وكان يصوّره وبيده نبات الخطميّ رمزًا منه إلى فضيلة الاعتدال في الأمور واللين والمؤاتاة

والمطاوعة في المعاملة. وقال جالينوس: لا يجب أن يرفض الشفاء الذي يحصل عليه المرضى بدخولهم هيكل اسقليبياذيس. أقول كلما ورد من أخبار ما قبل الطوفان ولم يسند إلى نبإ نبوي فهو حدس وتخمين لعدم المخبر به على الوجه. (عب، خصر، ٧، ١١)

أدلّة

- الأدلّة على إثبات الصانع بعدد أجزاء أعيان الموجودات كلها، إذ ما من شيء إلا وفيه دليل على صانعه، وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد، وقد ثبت في الأزمان أنه لا كتابة إلا بكاتب، ولا بناء إلا ببان. ومن الدليل عليه نظم العالم وتركيبه وترتيبه وإحكام صنعته، فإن تفكرت في هذه على لطف جرمها، كيف كوّنت وركّبت أعضاؤها، ثم قد ركّب فيها علم مصالحها، واجتناب مضارها، ومناقد أغذيتها، وسمعها وبصرها. (جو، نظم، ١١٩، ٦)

آدم

- خلق آدم من أدمة الأرض ونفخ في وجهه نسمة الحياة وقال إن آدم لا يصلح أن يكون وحده ولكن أصنع له عينًا مثله فألقى عليه السبات، فأخذ إحدى أضلاعه فلامها وسمّى الضلع الذي أخذ امرأة لأنها من المرء أخذت فقربها إلى آدم فقال آدم عظم من عظامي ولحم من لحمي ومن أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتبع امرأته، ويكونان كلاهما جسمًا واحدًا وباركهما الله وقال أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وتسلّطوا على أنوان البحور وطير السماء والأنعام والدواب وعشب الأرض وشجرها وثمرها ورأى كل ما خلق، فإذا هو حسن جدًّا. (قتي، خبط، ٧، ١)

- قال ابن إسحق يذكر أهل العلم أن مهبط آدم وحواء على جبل يقال له واسم من أرض الهند وهو جبل بين قرى الهند واليوم به الدهنج والمندل - الدهنج من الأحجار الكريمة كالزمرّد والمندل أجود أنواع العود - قال أبو محمد والعرب تنسب الطيب واليلنجوج إلى المندل. قال الشاعر يذكر امرأة

إذا برزت نادى بها في ثيابها
ذكى الشذا والمندلي المطير

المندلي العود والمطير المشقق. قال وكان آدم صلى الله عليه وسلم أمرد وإنما نبتت اللحا لولده بعده، وكان طويلًا كثير الشعر جعدًا آدم أجمل البرية، ولما هبط إلى الأرض حرث وغزلت حواء الشعر وحاكته بيدها. (قتي، خبط، ٨، ٢٢)

- عند بعضهم أنّ آدم تولّد من رطوبة الأرض كما يتولّد سائر الهوامّ وكان جلده كقشر السمك، ثمّ لمّا أتى الزمان عليه جفّ وسقط عنه وعند آخر لم يظهر بكماله وأنّها ظهر شيئًا بعد شيءٍ ثمّ تركّبت واتّصلت على مرور الزمان وصار إنسانًا تامًّا. واختلف المنجّمون في ذلك فمنهم من يزعم أنّ الفلك دار كذا وكذا ألف سنة

فكلّما دار على استقامة ظهر نوع من الخلق إلى أن دار على أتمّ الاستقامة وأكمل الاعتدال فظهر هذا الإنسان الذي لا شيء أكمل ولا أفضل منه. (بلخ، بد٢، ٧٥، ١١)

- سُمّي آدم لأنّه خُلِق من أديم الأرض، وقال الضحّاك سُمّي آدم لأنّه خُلِق من الأرض السادسة واسمها كامًا، والرواية الأولى أشهر وأعرف. وزعم بعضهم أنّ الله قبض من جميع وجه الأرض من سباخها وبطائحها وأسودها وأحمرها قبضةً فلذلك جاء ولد آدم على تلك الألوان أبيض وأسود وأحمر. وروى بعضهم أنّ الله جمّع في آدم المياه كلّها فموضع العذب في فمه والمالح في عينه والمرّ في أُذُنه والمُنْتِن في خيشومه. (بلخ، بد٢، ٨٢، ١١)

- آدم عاش ألف سنة وكان بين موته والطوفان ألف سنة ومائتا سنة واثنان وأربعون سنة، وبين الطوفان وبين موت نوح ثلثمائة وخمسون سنة، وبين نوح وإبراهيم عم ألفا سنة ومائتا سنة وأربعون سنة، وبين إبراهيم وموسى تسع مائة سنة، وبين موسى وداود خمس مائة سنة، وبين داود وعيسى ألف سنة ومائتا سنة، وبين عيسى ومحمّد صلعم ستّمائة سنة وعشرون سنة. فكان من عهد آدم إلى محمّد صلعم سبعة ألف سنة وثمان مائة عام. (بلخ، بد٢، ١٥٠، ١١)

- من هبوط آدم إلى الطوفان ألفان ومائتا سنة وستّ وخمسون سنة ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم عم اثني وثلاثين سنة خلت من عمر موسى، وذلك عند خروج بني إسرائيل من مصر خمس مائة وخمسون سنة ومن خروجهم إلى سنة أربع من ملك سليمان، وذلك وقت ابتدائه ببناء بيت المَقدس ستّمائة وستّ وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبع مائة سنة وسبع عشر سنة ومن ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاث مائة وسبع وستّون سنة ومن مولد المسيح إلى هجرة النبيّ صلعم خمس مائة وأربع وستّون سنة. (بلخ، بد٢، ١٥١، ٧)

- روى أبو موسى عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: إنّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيّب، ثمّ بُلّت طينته حتى صارت طينًا لازبًا ثمّ تُركت حتى صارت حمأً مسنونًا ثمّ تُركت حتى صارت صلصالًا. (أث، كمل، ٢٨، ٤)

- سُمّي آدم لأنّه خُلق من أديم الأرض. قال ابن عبّاس: أمر الله بتربة آدم فرُفعت، فخلق آدم من طين لازب من حمإٍ مسنون، وإنّما كان حمأً مسنونًا بعد التراب فخلق منه آدم بيده لئلّا يتكبّر إبليس عن السجود له. (أث، كمل، ٢٨، ١١)

- قال ابن عبّاس وابن مسعود: فلمّا أسكن آدم الجنّة كان يمشي فيها فردًا ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة واستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه،

فسألها فقال: من أنت؟ قالت: امرأة. قال ولِمَ خُلقت؟ قالت: لتسكن إليّ. قالت له الملائكة لينظروا مبلغ علمه: ما اسمها؟ قال: حوّاء. قالوا: ولم سُمّيت حوّاء؟ قال: لأنّها خُلقت من حيّ. (أث، كمل، ٣٢، ١١)

- إنّ الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه، وهو يوم الجمعة، مع زوجته حوّاء من السماء. فقال علي وابن عبّاس وقتادة وأبو العالية: إنّه أُهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سَرَنْدِيب، وحوّاء بجدّة. قال ابن عبّاس: فجاء في طلبها فكان كلّما وضع قدمه بموضع صار قرية، وما بين خطوتَيه مفاوز، فسار حتى بلغ جمعًا فازدلفت إليه حوّاء، فلذلك سُمّيت المُزْدَلِفة، وتعارفا بعرفات فلذلك سُمّيت عرفات، واجتمعا بجمع فلذلك سُمّيت جمعًا. وأُهبطت الحيّة بأصفهان، وإبليس بمَيْسان. وقيل: أُهبط آدم بالبريّة، وإبليس بالأُبُلَّة. (أث، كمل، ٣٦، ١٦)

- حجّ آدم من الهند أربعين حجّة ماشيًا. ولما نزل إلى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنّة، فلمّا وصل إلى الأرض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه أنواع الطيب بالهند. وقيل: بال الطيب من الورق الذي خصفه آدم وحوّاء عليهما. وقيل: لما أُمر بالخروج من الجنّة جعل لا يمرّ بشجرة منها إلّا أخذ منها غصنًا فهبط وتلك الأغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها، وزوّده الله من ثمار الجنّة، فثمارنا هذه منها، غير أنّ هذه تتغيّر وتلك لا تتغيّر، وعلّمه صنعة كلّ شيء، ونزل معه من طيب الجنّة، والحجر الأسود، وكان أشدّ بياضًا من الثلج، وكان من ياقوت الجنّة، ونزل معه عصا موسى، وهي من آس الجنّة ومن لبان، وأنزل بعد ذلك العلاة والمطرقة والكلبتان. وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف. وأُنزل عليه جبرائيل بصرّة فيها حنطة، فقال آدم: ما هذا؟ قال: هذا الذي أخرجك من الجنّة. فقال: ما أصنع به؟ فقال: انثره في الأرض. ففعل، فأنبته الله من ساعته، ثمّ حصده وجمعه وفركه وذرّاه وطحنه وعجنه وخبزه، كلّ ذلك بتعليم جبرائيل، وجمع له جبرائيل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النّار، وعلّمه جبرائيل صنعة الحديد والحراثة، وأنزل إليه ثورًا، فكان يحرث عليه. (أث، كمل، ٣٨، ١٦)

- (آدم) أبو البشر خلق يوم العروبة - أي الجمعة - سادس الشهر الأول وهو نيسان سنة إحدى للعالم بعد أن خلق الله تعالى في يوم الأحد وهو أول نيسان السماء العليا أي الفلك التاسع المتحرّك بالحركة الأولى من المشرق إلى المغرب والأرض وتسع مراتب الملائكة والنور والأركان الأربعة. وخلق تعالى في يوم الإثنين الرقيع وهو السماء الدنيا أي الفلك الثامن وما في ضمنه من الأرقعة السبع المتحرّكة بالحركة الثانية من المغرب إلى المشرق. وفي يوم الثلثاء أمر الله تعالى الماء فاجتمع إلى مكان واحد صائرًا بحرًا وأُظهرت

الأرض منبتة عشبًا وأشجارًا مثمرة وغير مثمرة. وفي يوم الأربعاء قال عزّ من قائل: لتكن مصابيح أي كواكب في علو الرقيع للفصل بين الليل والنهار ولدلالات الأوقات والأيام والأعوام فرُصّعت الثوابت بالفلك الثامن والنيّران والخمسة المتحيّرة كل بفلكه واستولت الشمس على سلطان النهار واستولى القمر على سلطان الليل وبقي الفلك التاسع وحده متطلّسًا. وفي يوم الخميس خلق الله تعالى التنانين العظام وكل نفس متحرّكة في الماء وكل طائر ذي جناح. وفي يوم الجمعة أمر الله تعالى الأرض فأخرجت أنفسًا حيوانية بهائم وسباعًا وحشرات. ثم خاطب ملائكته قائلًا: هلّموا نخلق إنسانًا بصورتنا ومثالنا عارفًا بالخير والشرّ مستطيعًا لفعلهما. فظهرت يمين مبسوطة فيها أجزاء من العناصر الأربع ونفخ فيها نسيم الحياة فوُجد آدم شابًّا. ثم ألقى الله عليه الرقاد وانتزع إحدى أضلاعه من جنبه الأيمن وخلق منها حواء أم البشر وأسكنهما فردوس عدن وهو الجنة ومستقرّها نحو المشرق وأباحهما الأكل من جميع ثمار الجنة خلا شجرة معرفة الخير والشر. وأردف ذلك يوم السبت فلم يخلق فيه شيئًا. ومن علمائنا مار غريغوريوس النوسويّ ويعقوب الرهاويّ يزعمان أن جميع المخلوقات إنما وجدت في آن واحد والكتاب الإلهي إنما خصّص كون كل كائن بيوم لتعليمنا حسن الترتيب في الأمور وأن الله غير موجب بالذات بل فاعل بالاختيار له أن يبرأ ما شاء متى شاء. (عب، خصر، ٤، ٥)

- كان آدم وحواء عاريَين بغير لباس ولم يستح أحدهما من الآخر حتى دخل الشيطان في الحية وخدعت حواء فأكلت من الثمرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها وأعطت أيضًا آدم بعلها فأكل. فانفتحت أعين قلبيهما وأحسّا بالعُري فاستحيا واتّزرا بورق التين وأُهبط بهما من جنة عدن إلى الأرض على تسع ساعات من نهار الجمعة وكانت خلقتهما في الساعة الأولى من هذا النهار بعينه. وقد اختلفت علماؤنا في أمر الثمرة المنهي عنها فقال قوم إنها البُرّ وقال آخرون إنها العنب وقال الأكثرون إنها التين وغريغوريوس النوسويّ يزعم أنها رمز إلى القوة الشهوانية والنازينزيّ يرى أنها رمز إلى المراء في ذات الله وصفاته. وعلى رأي مار ثوديوس بعد ثلاثين سنة للانتفاء من الجنة باشر آدم حواء فولدت قابين وقليميا أخته توأمين. وبعد ثلاثين أخرى غشيها فولدت هابيل ولبوذا أخته توأمين. وبعد سبعين سنة أخرى حاول آدم تزويج كل واحد منهما بتوأمة أخيه. فأبى قايين طالبًا توأمته ولأجل ذلك قرّب قربانًا من ثمار أرضه لكونه فلاحًا فلم يُقبل لفساد طريقته. ورفع هابيل قربانًا من أبكار غنمه لكونه راعيًا فقبُل لحسن سيرته. فأسرّ قايين عداوة أخيه فقتله غيلة واستوطن أرض نوذ الخارجة عن حدود ولد أبيه. وحزن آدم على هابيل مائة سنة. ثم عاد مفضيًا إلى

حواء فولدت شيث والماضي من عمر آدم يومئذٍ على رأي الاثنين والسبعين حبرًا الذين نقلوا التوراة وكتب الأنبياء لبطليموس ملك مصر قبل مجيء السيد المسيح لذكره التبجيل كما سيأتي شرح ذلك في موضعه مائتان وثلاثون سنة. وعلى رأي التوراة التي بأيدي اليهود بعد مجيئه مائة وثلاثون سنة. وجميع أيام آدم على الرأيين تسعمائة وثلثون سنة. (عب، خصر، ٥، ٥)

- التاريخ من آدم إلى محمد، إذن، تاريخ ذو دورين: دور الكمال ودور النقص. فآدم أبو محمد لأن محمدًا المكمّل التام لجده، إذ أن خاتم النبوّة لا يسعه أن يكون إلا ذلك الذي يتناوله من نقطة بدئها ويتطابق تطابقًا تامًّا مع نموذجها الأصلي. هذا معنى كون كل الأديان، جوهريًّا إسلامية. ويأخذ الإسلاميون هذا الشأن ويترجمونه من مجاله المفهومي إلى مجال التاريخ بإدخال إسم محمد في حقبات التاريخ السابق عليه. (عظم، عرف، ١١٦، ١٦)

أذواء

- وزراء الخلافة قد لُقِّبوا بالأذواء كذي اليمينين وذي الرئاستين وذي الكفايتين وذي السيفين وذي القلمين وأمثال ذلك. (بير، بقي، ١٣٤، ١٣)

إرادة

- حدّ الإرادة ما يضطمره الإنسان في قلبه من فعل أو قول أو حركة. (بلخ، بدا١، ٣٩، ٦)

أربعاء

- "الأربعاء" ممدود مثلّث الباء وجمعه أربعاوات وأرابيع، وكان اسمه عند العرب دُبارًا واشتهر على ألسنة الناس أنّه المراد في قوله تعالى ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: ١٩) وتشأموا لذلك. وهو خطأ فاحش لأن الله تعالى قال في ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ (فصلت: ١٦) وهي ثمانية فيلزم أن تكون الأيّام كلّها نحسات وإنما المراد نحس عليهم. (سي، شم، ١٧، ١)

إرتقاء

- التحفّظات التي يتطلّبها التفكير التأريخي ليكون صحيحًا متّزنًا ما يلي: ١- قد يستنتج ... أن الحياة صيرورة دائمة وسيلان مستمرّ، إن هذه الصيرورة هادئة سليمة في جميع مراحلها، وأن نهر الحياة يجري وادعًا مطمئنًّا في اتجاه واحد دون انحراف أو ارتداد. ولعلّ هذه النظرة كانت سائدة في القرن الماضي لما كان يشعر به الناس حينذاك من ثبات واستقرار ومن تقدّم مستمرّ في العلم والإنتاج. غير أن الزعازع التي عصفت بالإنسانية في النصف الأول من هذا القرن، والأخطار التي تلوح في الآفاق الحاضرة وهي أشدّ هولًا، قد هزّت منا الوعي والضمير، وجعلتنا نعود فندرك مجدّدًا أن مجرى الحياة يختلف في مراحله المتتالية هدوءًا وصخبًا، وعلوًّا

وهبوطًا، وبطأ وسرعة، وأن الصيرورة تأتي رقيقة مستقرّة حينًا عنيفة عاصفة حينًا آخر، وأن طريقها ليس مستقيمًا دومًا، بل كثيرًا ما يلتوي وينحرف ويرتد. ولذا يجب علينا أن نميّز بين هذه المراحل المختلفة، ونتبيّن خصائصها، ونلحظ الشدّة والعنف والثورة والارتداد كما نلحظ الدعة والاستقرار والتقدّم، ونرى الإبداع حيث يكون الإبداع ونقرّ بالجدب والتأخّر والانتكاس حين تطلّ علينا حقائقها المؤلمة من وراء الأحداث. إن الحياة ظفر ومأساة، والتفكير التأريخي الصحيح يدرك ما ينطوي عليه كل من هذين المعنيين، وما ينطويان عليه معًا. ٢- يقودنا هذا التحفّظ إلى تحفّظ آخر متّصل به. وهو شكّنا وارتيابنا في كل تحتيم يؤكّد أن الحياة قد سارت في الماضي وستسير في المستقبل نحو غاية معيّنة ليس لها بدل ولا عنها مرد. لقد عرف الفكر الإنساني مذاهب متعدّدة تقول هذا القول، وهي إن اختلفت في تعيين القوة أو القوى التي تدفع التاريخ في مجراه، أو في تحديد الاتجاه الذي يسير فيه أو الغاية التي يجدّ نحوها، فإنها تكاد تتّفق في تحتيم الاتجاه والمراحل والمصير فمنها مثلًا ما يرى أن الحياة في ارتقاء مستمرّ وتقدّم دائم إلى أن يبلغ الإنسان الكمال والسعادة التامة على سطح هذه البسيطة، ومنها ما يقول إن كل حضارة تنشأ وتزدهر ثم تنحطّ وتندثر بحسب قوانين معيّنة لا هرب لها منها ولا نجاة. بعضها تجعل القوة المسيّرة المحتّمة قوة علوية، وأخرى تؤمن بالقوى الإنتاجية والعلاقات الإقتصادية، وغيرها تركز اهتمامها بالعقل واستمرار تفتحه وتدرّجه في رؤية الحقيقة والسير في هديها. . . .
٣- ومن أخطاء التفكير التأريخي المتطرّف في تركّزه على الصيرورة والتغيّر، نظرته إلى كل حدث من حيث زمنه وعصره ومرحلته فحسب. فكل عمل من الأعمال الإنسانية يصبح، حسب هذه النظرة، نتيجة "الظروف" التي كانت قائمة في زمنه، و"الأحوال" التي كانت سائدة، فإذا فهمنا منشأه والمرحلة التي يمثّلها، فقد استوعبنا معناه، ولن نستطيع أن نحكم له أو عليه إلا من ضمن هذه الظروف والأحوال. فليس ثمّة شيء ثابت مطلقًا: ليس ثمّة حقيقة ثابتة أو خير ثابت، أو أية عناصر في الإنسان غير خاضعة للتحوّل والتغيّر. بل كل ما لدينا أشياء وأحداث وأحكام نسبية تصحّ في زمن ولا تصحّ في زمن آخر، وتقوم في مرحلة وتختفي في أخرى. (زري، نحن، ١٢١، ١٨)

أرجا

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ"

بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٦)

أرجح الملوك

- من أرجح الملوك عقلًا وأكملهم أدبًا وفضلًا؟ قال: من صحب أيامه بالعدل، وتحرّز جهده من الجور، ولقي الناس بالمجاملة، وعاملهم بالمسالمة، ولم يفارق السياسة مع لين في الحكم وصلابة في الحق، فلا يأمن الجريء بطشته، ولا يخاف البريء سطوته. (أزر، بدع١، ٢٣٤، ٦)

أرّخ

- حدّثني يحيى بن محمد الكعبي قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران قال: كانت بنو إسماعيل بن إبراهيم يؤرّخون من بنيان الكعبة، فلم يزل كذلك حتى مات كعب بن لؤي فأرّخوا من موته، فلم يزل كذلك حتى كان عام الفيل، فأرّخوا من عام الفيل، ثم أرَّخ المسلمون بعد من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان للعرب أيضًا تأريخ. (خ، تارخ، ٥٠، ١٦)

- حدّثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب وإسحق بن إدريس قالا: أن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي قال: أخطأ الناس العدد ما عدُّوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته، وما عدُّوا إلا من مقدمِهِ المدينة. قال: وأخبرنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى قال: ناقرة بن خالد عن محمد بن سيرين قال: قال عامل لعمر بن الخطاب: أما تؤرّخون؟ فأرادوا أن يؤرِّخوا فقالوا: من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من وفاته؟ ثم أجمعوا أن يجعلوه من هجرته. فأرادوا أن يبتدوا بشهر رمضان ثم رأوا أن يجعلوه في المحرَّم. (خ، تارخ، ٥١، ٦)

- قبل الإسلام فقد كان بنو إبراهيم يؤرّخون من نار إبراهيم إلى بنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، ثمّ أرّخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرّقوا، فكان كلّما خرج قوم من تهامة أرّخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونَهْد وجُهَيْنة بني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي وأرّخوا من موته إلى الفيل، ثمّ كان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطّاب من الهجرة، وذلك سنة سبع

عشرة أو ثماني عشرة. وقد كان كلّ طائفة من العرب تؤرّخ بالحادثات المشهورة فيها، ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم. (أث، كمل، ١١، ١١)

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٧)

- إنّما يؤرّخ بالليالي لأن الليلة سابقة على يومها إلا يوم عرفة شرعًا. (سي، شم، ١٤، ١١)

أرخو

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٦)

أرض

- صفة الأرض إنها مدوّرة كتدوير الكُرَة موضوعة في جوف الفلك كالمُحّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض إن النسيم جاذب

لما في أبدانهم من الخِفَّة والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد، والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بناتُ نَعْش، فاستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والأصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خطّ الاستواء وبين كلّ واحد من القطبين تسعون درجة أُصطرلابيّة واستدارتها عرضًا مثل ذلك إلَّا أن العمارة في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الرُّبْع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلُّ ربع من الشماليّ والجنوبيّ سبعة أقاليم. وذكر بطلميوس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومائتي مدينة. (خرد، مسلك، ٤، ٥)

- الأرض مستديرة كالكرة وأنّ السماء محيطة بها من كلّ جانب إحاطة البيضة بالمُحّة، فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة الهواء وجلدها بمنزلة السماء غير أنّ خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستوية الخرط. (بلخ، بد٢، ٤٠، ٨)

أرض معمورة

- قسّمت الأرض المعمورة على أربعة أقسام: فمنها أُرُوفَى وفيها الأندلس والصقالب والروم وفرنجة وطنجة وإلى حدّ مصر، ولوبيَة وفيها مصر والقُلْزُم والحَبْشة والبربر وما والاها والبحر الجنوبيُّ وليس في هذه البلاد خنزير بريٌّ ولا أيّل ولا عير ولا تيوس، وإتْيُوفيَا وفيها تهامة واليمن والسند والهند والصين، واسْقُوتيا وفيها أرمينية وخراسان والتُّرك والخزر. (خرد، مسلك، ١٥٥، ٧)

أركيولوجيا

- أهم نتيجة للأركيولوجيا بأوسع معانيها هي فيما قدّمته من تقوية للنظرة التي ترى أن الموضوع المركزي في تاريخ البشرية هو صراع الإنسان مع محيطه، وهو موضوع لا يستطيع المؤرّخ معالجته إلا إذا كان مستعدًّا لتوسيع نظره إلى ما وراء مادة مصادره التقليدية، فالسجلات المكتوبة لم تذكر لنا إلا القليل، هذا إن كانت قد ذكرت شيئًا عن الصراع المستمرّ الذي استنزف جهود الملايين في العالم، وقد ظلّ هذا الأمر إلى أزمنة حديثة جدًّا، بل في الحقيقة إلى أن أصبحت الحكومات تهتمّ بالتخطيط وبمشاكل التبدّل الإجتماعي

وعملياته، وأغلبها لم تظهر حتى أواسط القرن العشرين، والواقع أن الأدلّة المفيدة للمؤرّخ لم تأت إلا من الأركيولوجيا ومن علم الإجتماع الأنترويولوجي، وذلك حتى القرن السابع عشر أو الثامن عشر. (بار، وجه، ١٨٤، ٩)

- الأركيولوجيا تعتبر عادة من مجموعة العلوم الإجتماعية، فهي مثل هذه العلوم يمكنها أن تفتح جوانب للنظر جديدة في أي منطقة وفي أي زمن في الماضي، إنها تصحّح التشويهات التي لا بدّ أن تظهر من السماح لنوع واحد من المصادر، وخاصة الأدلّة المكتوبة، من السيطرة على التفسير التاريخي، غير أن مساهمتها الخاصة هي في التوسّع الهائل الذي قدّمته في رؤية المؤرّخ للزمان والمكان. إنها فتحت ميادين كانت مغلقة كليًّا، وأجبرت المؤرّخ أن يتّخذ من عمله نظرة أوسع وأكثر عالمية. (بار، وجه، ١٨٥، ٨)

أروفى

- قسّمت الأرض المعمورة على أربعة أقسام: فمنها أرُوفَى وفيها الأندلس والصقالب والروم وفرنجة وطنجة وإلى حدّ مصر، ولوبيَة وفيها مصر والقُلْزُم والحَبْشة والبربر وما والاها والبحر الجنوبيُّ وليس في هذه البلاد خنزير بريٌّ ولا أيّل ولا عير ولا تيوس، وإِتْيُوفيَا وفيها تهامة واليمن والسند والهند والصين، واسْقُوتيا وفيها أرمينية وخراسان والتُّرك والخزر. (خرد، مسلك، ١٥٥، ٨)

أريوسية

- الأريوسيّة ورأيهم في المسيح أقرب إلى ما عليه أهل الإسلام وأبعد ممّا يقول به كافّة النصارى. (بير، بقي، ٢٨٨، ٧)

أساطير

- الأساطير من أهم أنواع الروايات الشفوية، وتكثر عند الجماعات الفطرية أو في البيئات غير المثقّفة، مثل بعض القبائل أو سكان الريف أو الجند. ويوجد عصر أساطير في تاريخ كل أمة مثل أساطير قدماء المصريين وأساطير الفرس والهنود واليونان والرومان والصقالبة والجرمان. . . وفي عهود الحضارة تستمرّ الأساطير الشعبية فيما يتعلّق بالحوادث ذات التأثير في أذهان الناس. وحينما تبدأ أمة من الأمم في تدوين تاريخها لا تنتهي الروايات الشفوية، بل تستمرّ ولكنها تبقى في حيّز ضيّق، وتصبح مقصورة على وقائع لم تدوّن، لأنها سرية بطبيعتها أو لأن أحدًا لم يُعن بتدوينها، وذلك مثل بعض التصرّفات أو الأقوال الخاصة، أو بعض تفاصيل الحوادث التي أفلتت من سجلّ التاريخ. وعلى ذلك تنشأ النوادر أو القصص المسمّأة بأساطير الجماعات المتحضّرة، مثل الإشاعات والأوهام والتفسيرات الخاطئة لبعض الظواهر، والحكايات التي تتركّز حول بعض الشخصيات أو الحوادث. (عث، بحث، ١٣٢، ١٦)

أساليب التأريخ

- دخل على أساليب التأريخ بدورها مجموعتان مساعدتان: - جاءت من جهة معطيات العلوم والبحوث الجديدة لتفتح في التاريخ كوى ومسارب ما كان له من قبل أن يطرقها. علم النفس أضاف إليه أشياء، والبحوث الجنسية (الفرويدية خاصة) أضافت إليه أشياء أخرى. وبينما أعطته علوم الاقتصاد أبعادًا جديدة، أضافت إليه علوم الاجتماع أبعادًا أخرى، وجاءت الإحصاءات، بل جاءت الرياضيات إليه بأمور وأمور، وجاءت الأنثروبولوجيا في الوقت نفسه بمثلها وبأكثر منها. وجاءت من جهة أخرى طرق الإحصاء الرياضية وتطبيقاتها، ودخلت العقول الإلكترونية لخزن وفرز ومقارنة المعلومات وأدوات التحليل الطيفي واليكاوي في الوثائق والآثار. وأدوات التنقيب الجيوفيزيائي في الأراضي التاريخية. (وهي أدوات كهربائية، وكهرومغناطيسية) وتصوير أعماق التربة. وكان استخدام هذه أو تلك من مبتكرات العلوم، مدهش النتائج في كثير من الأحيان. (علف، فت، ١٧٢، ٣١)

أساليب الكتابة التاريخية

- كانت أساليب الكتابة التاريخية تجري أول الأمر - وخاصة في روايات الأخباريين على الأسلوب المرسل غير المسجوع، إلى أن دخلت الصنعة في الكتابة العربية جملة، ومال أكثر الكتّاب في بعض العصور إلى السجع، فآثر بعض المؤرّخين هذه الطريقة واستعملوها في كتاباتهم، ومن هؤلاء المؤرّخين أبو النصر العتبي المتوفي سنة ٤٢٧هـ وصاحب كتاب "اليميني" في سيرة وتاريخ السلطان محمود الغزنوي وسيرة أبيه سبكتكين، وما جرى له من الحروب مع الدولة الخوارزمية. (حس، عر، ١٤٦، ١٧)

أسباب الأحداث

- علينا أن نهتمَّ بأسباب الأحداث ونتائجها لأن المؤرّخ الذي لا يُعنى بهذه الأسباب والنتائج ينحدر في سلَّم المنطق حتى يصبح حكّاءً (ناقلًا للقصص عن ألسن الناس راغبًا في إطراف العوامّ بالحكايات العادية). (فر، علل، ٤، ١٧)

إستبداد

- حال استبدادها (دولة بني العباس) بشماخة الملك والسلطان، ففيها ازداد سموّ الوزير بمصير النيابة إليه في الحل والعقد، وجعل النظر له في ديوان الحسبان ثم القلم والترسيل، فصار اسمه جامعًا لخطتي: السيف والقلم وسائر معاني المعاونة، فعنت له الوجوه، وخضعت له الرقاب. (أزر، بدع١، ١٩٠، ٢)

- حال الاستبداد على سلطانها تارة واستقلاله بالأمر أخرى. وفيها انقسمت الوزارة إلى وزارة تنفيذ؛ وهي حال قيام السلطان على نفسه، وإلى وزارة تفويض،

وهي حال استبداد الوزير عليه. (أزر، بدع١، ١٩٠، ٨)

إستخلاف

– التصوّر الخلدوني للعمران هو إسلامي محض ويقوم على مفهوم "الاستخلاف" القرآني، وهو مفهوم أساسي في الفكر الإسلامي، ومُحَدَّدٌ في جملة من الآيات وفي شروحها. تتحدّث تلك الآيات عن حياة البشر في هذا العالم فتقول إنهم لم يخلقوا بدون غاية وإنما في سبيل مهمّة محدّدة: أن يكونوا "خلائف" الله على الأرض. (أوم، نهج، ١٩٨، ٥)

إستدلال

– التاريخ دراسة تقوم أولًا وقبل كل شيء على الاستدلال، فما معنى هذه العبارة؟ الواقع أن التاريخ كغيره من الدراسات العلمية لا يستطيع أصحابه ادّعاء صدق ما يكتبون إلا إذا استطاعوا تبرير ذلك... ولا يمكن أن يعتبر المرء مؤرّخًا إلا إذا أدرك تمامًا ما يمكن أن تتمخّض عنه المادة التاريخية المطروحة أمامه من براهين وأدلّة تفسّر الأحداث التاريخية... فلو فرضنا أن إنسانًا استطاع أن يحصل على هذا الإدراك نفسه عن طريق الذاكرة مثلًا... فإن هذا الإدراك أو هذه المعرفة ليست من قبيل المعرفة التاريخية، لأنها لم تأت عن طريق الاستدلال من مادة تاريخية اعتمد عليها... وهذا الطريق هو وحده الطريق العلمي، فلو قلت مثلًا إنني رأيت فلانًا منذ أسبوع على ما أذكر، فتلك عبارة غير تاريخية؛ ولكن لو أضفت إليها قولي "وذاكرتي في هذا لا تخونني ولا تخدعني لأنني تسلّمت منه هذه الرسالة التي كتبها أمامي" كان ذلك بمثابة دليل استندت إليه لإثبات صدق عبارتي الأولى التي قلتها عن الماضي ... وهنا تصبح العبارة تاريخية لأنها تعتمد على الاستدلال، ولأنها كتبت أو قيلت تبعًا لأسلوب أو لمنهج البحث العلمي. فالاستدلال إذن هو الأساس في صياغة التاريخ والاعتماد عليه هو الذي يعطي الباحث صفة المؤرّخ. (علف، فت، ١٥٨، ٢٠)

إستعادة الماضي

– التيّار العلمي الذي يتكوّن تدريجًا بفعل تنبهنا للمدنية الحديثة واقتباسنا عقليتها. ولعلّنا نبالغ ونعدو الحقيقة إذا دعوناه تيارًا، فهو لا يزال جدولًا صغيرًا يتزايد يومًا بعد يوم، ولكنه لا يعادل التيارات الأخرى زخمًا واتّساعًا. زد إلى ذلك أن من طبيعته أن يجري هادئًا، وأن يسير بحذر وتبصّر، مبتعدًا عن الصخب مجافيًا للدعاوة وحب التسلّط. غير أنه، على هدوئه وتدرّجه، يمثّل أملًا من آمال المستقبل لأنه لا يقبل إلا العقل هاديًا ومرشدًا وإلا الحق الذي يكشفه العقل هدفًا وسيّدًا. يتوجّه هذا المجرى إلى الماضي دون فكرة مسبقة أو فلسفة مفروضة ويحاول استعادة الماضي من أصوله، أي من آثاره المادية والأدبية،

فيقبل على هذه الآثار ليستخرج نصوصها وأشكالها الأولى -- ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. ثم يستنطقها ويحقّق في رواياتها، ويخضع هذه الروايات للتدقيق والنقد، فلا يقبل منها إلا ما تثبت صحّته وعدالة رواته حسب أحكام العقل وقواعد العلم. وأخيرًا يسعى إلى ربط الحقائق المفردة المضبوطة بعضها ببعض لكي يستخرج منها صورة للماضي، إن لم تكن صادقة كل الصدق، فهي أقرب ما يمكن إلى ذلك. وتبقى هذه الصورة، على كل حال، خاضعة للتبديل والتعديل حسبما يظهر من أصول جديدة، أو ما يكتشف من حقائق مجهولة، أو ما يصحّح من أخطاء في التدقيق والاستنتاج. هذا الأسلوب العلمي كانت له جذوره عند المؤرّخين العرب القدماء، وكانت بدايته مرتبطة بما بذلوا من عناية في جمع أحاديث الرسول ونقدها وتجريحها. ثم أخذت الرواية تتغلّب على التحقيق، والعقل يخضع للتصديق، فلم يكتمل هذا الأسلوب ولم يعمّ المؤرّخين، بل لم يكن مقدرًا له أن يكتمل ويعمّ ما دامت العقلية السائدة حينذاك - في الشرق والغرب - هي عقلية القرون الوسطى. فلما حدثت ثورة العقل في مطلع العصر الحديث، وأخذت هذه الثورة تتكامل وتتّسع، اكتسحت في ما اكتسحته المجهود التأريخي، وتكوّن في القرون الثلاثة الأخيرة تقليد علميَ متراكم، وتيار متضخّم، هو التيار الغالب في دوائر العلماء المؤرّخين في الغرب، والصابغ عقلية مثقفية بشكل عام. (زري، نحن، ٤٢، ٢٠)

إستغرافية إسلامية

- إذا كان للتاريخ كما يرويه "الكتاب المقدّس" تأثير على الاستغراقية الإسلامية، فلأن هذا التاريخ يعتبر أهم مرجع للقرآن حين يذكر الأزمان القديمة. إن تأكيد الإسلام على قرباه باليهودية والمسيحية "الحقيقيتين" قد أعطى للوعي الإسلامي بعدًا تاريخيًّا دعاه إلى أن يقطع صلته بالجاهلية ليرتبط بتاريخ مقدّس يبدأ بخلق الله للعالم (الخلقية) ويتعاقب فيه أنبياء الله ورسله. وفي البدء، كان المسلمون، لكي يعرفوا هذا التاريخ القديم الذي يحيل إليه القرآن، يتوجّهون إلى "أهل الكتاب" الذين اعتنقوا الإسلام فتكوّنت "الإسرائيليات"، هذا الأدب "التاريخي" الذي كان له أثره الهام على علمي التفسير والتاريخ الإسلاميين. وابن خلدون نفسه يرجع إلى الإسرائيليات ليس فيما يتعلّق بالتاريخ اليهودي فحسب، بل وأيضًا بالنسبة لتواريخ قديمة أخرى. (أوم، نهج، ١١١، ١٢)

إستلاب

- تقديس اللغة أي تحجيرها في مستوى معيّن وأخذ الثقافة العتيقة كسمة تمييزية للقومية العربية، هما تشجيع الاستمرار في الفكر الوسطوي ونفي موضوعية التاريخ. أن السلفي يظنّ أنه حرّ في أفكاره، لكنه في

الواقع لا يفكّر باللغة العتيقة وفي نطاق التراث، بل أن اللغة والتراث هما اللذان يفكران من خلال فكره. هذا واقع لا يعيه ولا يمكن أن يعترف به السلفي لكنه محقّق ولم يعد في استطاعة أي شخص له أدنى اطّلاع على العلوم اللسنية الحديثة أن ينكره. أما الانتقائي فإنه غالبًا ما يفكّر في نطاق الثقافة التي استقى منها معلوماته وباللغة التي استعملها لذلك؛ فتغيّب عنه تمامًا مشكلات اللغة العربية والثقافية التقليدية أو لا يهتمّ بهما كثيرًا، وبذلك يقوّي حتمًا موقف السلفي... على الملاحظ المنصف أن يعترف أن الاستلاب الحقيقي هو الضياع في تلك المطلقات التي ذكرناها: في اللغة، في التراث، في التاريخ القديم. يفنى فيها المثقّف العربي بكل طواعية واعتزاز، ويعتبر الذوبان فيها منتهى حرية الاختيار والتعبير الصادق عن هويته القارة الدائمة. هذه هي الأوزار والسلاسل ولن نتحرّر منها إلا بكسب وعي تاريخي. (عر، فكر، ١٨٦، ١٧)

إسرائيليات

- اعتنى وهب بالإسرائيليات، وهي قصص وأساطير عن العهد القديم، وأراد بها توضيح بعض الإشارات القرآنية. وهو بهذا استطاع أن يدخل عنصر القصص إلى الدراسات الإسلامية. وقد جمع وهب من هذه القصص ما كان متداولًا بين المسلمين، وخاصة قصص كعب الأحبار (ت ٣٢ - ٣٤هـ/ ٦٥٢ - ٦٥٤م) وعبدالله بن سلام (ت حوالى سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م). وقد أضاف إليها ما حصل عليه من القصص نتيجة اتصالاته بأهل الكتاب ومن قراءته للكتب المقدّسة. وكان كتابه (المبتدأ) أول محاولة لكتابة تاريخ للرسالات. (دو، نشأ، ٢٦، ١)

- إذا كان للتاريخ كما يرويه "الكتاب المقدّس" تأثير على الاستغراقية الإسلامية، فلأن هذا التاريخ يعتبر أهم مرجع للقرآن حين يذكر الأزمان القديمة. إن تأكيد الإسلام على قرباه باليهودية والمسيحية "الحقيقيتين" قد أعطى للوعي الإسلامي بعدًا تاريخيًّا دعاه إلى أن يقطع صلته بالجاهلية ليرتبط بتاريخ مقدّس يبدأ بخلق الله للعالم (الخلقية) ويتعاقب فيه أنبياء الله ورسله. وفي البدء، كان المسلمون، لكي يعرفوا هذا التاريخ القديم الذي يحيل إليه القرآن، يتوجّهون إلى "أهل الكتاب" الذين اعتنقوا الإسلام فتكوّنت "الإسرائيليات"، هذا الأدب "التاريخي" الذي كان له أثره الهام على علمي التفسير والتاريخ الإسلاميين. وابن خلدون نفسه يرجع إلى الإسرائيليات ليس فيما يتعلّق بالتاريخ اليهودي فحسب، بل وأيضًا بالنسبة لتواريخ قديمة أخرى. (أوم، نهج، ١١١، ١٧)

أسطورة

- التأريخ أي الإحساس بمرور الزمن والأحوال عبر جيل بعد جيل وتسجيل ذلك الإحساس على صورة من الصور (قد تكون

أسطورة أو قصة أو نسبًا أو أغنية أو نقشًا أو سجل أحداث) هو ممارسة إنسانية تعمّق وتتبلور مع الارتقاء في الدرجة الحضارية. وعرب ما قبل الإسلام لم يكونوا بعيدين عن التأريخ، وكل جماعة منهم كان لها على طريقتها وبمقدار سويتها الحضارية تأريخها الخاص بعضه مدوّن أو منقوش وبعضه شفهي. وهو تراث واسع من الكتابات والنقوش والأخبار العديدة جدًّا والمتفاوتة في الأهمية تفاوتها في الصحة والصدق، وما كانت كلها بالطبع مدوّنة بلغة قريش والقرآن الكريم. (مص، رخ١، ٥٢، ١١)

أسقف

- البَطْرَك، وهو رئيس الملّة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه إلى ما بَعُدَ عنه من أمم النصرانية، ويسمّونه الأسقف أي نائب البطرك. ويسمّون الإمام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس. ويسمّون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب. (خلد، قدم، ٦٥٩، ١)

أسقوتيا

- قسّمت الأرض المعمورة على أربعة أقسام: فمنها أُروفَى وفيها الأندلس والصقالب والروم وفرنجة وطنجة وإلى حدّ مصر، ولوبيَة وفيها مصر والقُلْزُم والحَبْشة والبربر وما والاها والبحر الجنوبيُّ وليس في هذه البلاد خنزير بريٌّ ولا أيّل ولا عير ولا تيوس، وإتْيُوفيَا وفيها تهامة واليمن والسند والهند والصين، واسْقُوتيا وفيها أرمينية وخراسان والتُّرك والخزر. (خرد، مسلك، ١٥٥، ١٢)

إسكندرية

- ثغر الاسكندرية وهو أجلّ ثغور الإسلام وأعظمه يشتمل على سورين محكمين، بها عدّة أبراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة؛ وللثغر عدّة أبواب محكمة حتى أن على كل الباب منها ثلاثة أبواب محكمة حتى أن على كل الباب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مناجنيق ومكاحل، وفي وقت الضرورة يعلّق على كل شرّافة قنديل. وهذا الثغر في غاية التحصين وعلى كل برج منه أعلام وطبلخاناه وأبواق وحرسيّة يشهر ذلك وقت الضرورة. وهي مدينة مركّبة على العمد وشبّهها بعضهم لرقعة الشطرنج لأن جميع شوارعها وأزقّتها نافذة بعضها إلى بعض. وبالثغر قصر السلاح مملوء بالعدد المتنوّعة، حتى أن لو جاء إليه أهل الديار المصريّة لكفاهم في اللبوس. وحكى بعض الثقاة أنّه اطّلع على تأريخ الهرويّ فرأى فيه أن بالثغر المذكور أثني عشر ألف قبلة وبه من الجوامع الحسنة والمدارس المرخّمة والمنقوشة ما يطول شرح وصفهم، وبالثغر مكان يعرف بدار السلطان بها دور متّسعة وهي عجيبة من عجائب الدنيا وبها دار عظيمة وبها تخت الملك قيل إنه لم تعمّر دار وسعها،

أنشأها في الأصل المقوقس ثم بعده جوهر الموتفكيّ ثم بعده صلاح الدين بن أيّوب ثم بعده الملك الناصر فرج بن برقوق، وبها من الأعمدة الرخام الملوّنة والقياع المفروشة بالرخام الملوّن والأماكن المزخرفة والبساتين الحسنة ما يطول شرح وصفه وهي مشرفة على البحر المحيط لا يسكنها إلا السلاطين خاصّةً. (شاه، زبد، ٣٩، ١٧)

إسلام

- الإسلام دين تاريخي الروح. يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقة، فإن العقيدة الإسلامية لا تعتبر نفسها جديدة ولكنها عريقة الجذور في التاريخ. (مص، رخ١، ٥٧، ١٠)

أسلوب أدبي

- لم يبتدع أسلوب خاص للكتابة التاريخية وإنما جرى التدوين ضمن أسلوبين: - الأسلوب المرسل الذي كتب به معظم المؤرّخين كتبهم منذ الطبري إلى المسعودي إلى الهمذاني وابن الجوزي والخطيب البغدادي وأبي نعيم وابن الأثير وسبط ابن الجوزي، وقد يتخلّل الكتابة الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث أو مثل شائع، وقد يهبط هذا الأسلوب ليصبح مجرّد حديث عادي مكتوب. - الأسلوب الأدبي المتأنّق وقد بدأ هذا الأسلوب في بعض الكتابات المشرقة على أيدي مسكويه والتنوخي ولكنه سرعان ما غرته أعمال الصنعة البديعية على يد إبراهيم الصابيء في كتاب التاج والعتبي في كتاب اليميني فصار سجعًا. بدا أول الأمر نوعًا من البراعة في الجمع بين الأدب والتاريخ ثم ما لبث أن أسرف في الصنعة وثقلت عليه القشور اللفظية حتى لتغيم الفكرة التاريخية أحيانًا وراء الكلمات الطنانة المرصوفة رصفًا. ذلكم كان الأسلوب الذي انتهى إليه العماد الأصفهاني في مجلّداته التاريخية التي تصل إلى الثلاثين مجلّدًا. (مص، رخ١، ٣٩٩، ٢٤)

أسلوب أدبي في الرواية

- الأسلوب الأدبي في الرواية. وذلك لأن الأدب فن وكفن لا يتطلّب صاحبه فيه الحقيقة كما هي بل كما يريدها أن تكون. ولذا فإن الأديب يتعمّد مداعبة الألفاظ والتراكيب للتأثير في النفس. وقد يتطلّب ذوقه الفني ما لا يتّفق مع الحقيقة. فمن زيادة بسيطة هنا إلى تقديم أو تأخير هناك وما إلى ذلك من أساليب الفن مما يزعج المؤرّخ العالم ويدفعه للتيقّظ. فيتعقّب خطوات الراوي الأديب ويراقب حركاته وسكناته. ثم يسعى ما أمكنه للتعرّف إلى أدب العصر الذي عاش فيه الراوي. فيطّلع على بدائعه وروائعه لعلّه يقف على المثل العليا التي أثّرت في أسلوب الراوي. فيسهل عليه عندئذٍ أن يتفهّم الرواية ويقدّرها حق قدرها. (رس، مصط، ٦٢، ١٢)

أسلوب الرواية

- الدراسات التاريخية بدأت متّصلة بدراسة الحديث، بل أنها فرع منها، وأن أسلوب الرواية هو أسلوب الحديث شكلًا ومبنى. (دو، نشأ، ٧٦، ٧)

أسلوب قصصي في التاريخ

- اتباع الأسلوب القصصي في التأريخ يتطلّب شيئًا أكثر من ترتيب الحقائق المفردة بموجب زمن وقوعها. ولو اكتفينا بذلك وحده لأصبح التاريخ مجرّد ضم الحقائق بعضها إلى بعض. فلا بدّ للمؤرّخ في مثل هذه الظروف من النظر في الأسباب والمسبّبات وإظهار العلاقات المنطقية التي تربط حقائق الماضي بما قبلها وما بعدها. وذلك لأجل تبيان التطوّر في التاريخ. وهو من أهم أهداف المؤرّخ وأنفع الوسائل التي يتذّرع بها لفهم الحاضر. (رس، مصط، ١٢٦، ١٧)

أسلوب المحدّثين

- إن أسلوب المحدّثين في النقد صار يطبق بصورة أتمّ في هذا القرن (الثالث الهجري). فالطبري محدّث يتّبع أسلوب أهل الحديث بدقّة كما يبدو من تأكيده على الأسانيد وابتعاده عن نقد المادة. وابن قتيبة ينقد مصادره لدرجة أنه يعود إلى التوراة ليصحّح ما جاء به وهب بن منبه عن بدء الخليقة والأنبياء، ولا يأخذ من مصادره إلا ما ثبتت صحته. واليعقوبي يتّخذ وجهة النقد نحو مصادره وخاصة تلك التي تتعلّق بما قبل الإسلام، وهو يمحّص مصادر الفترة الإسلامية ويكتفي بالإشارة إليها في مقدّمته لأن أسانيدها معروفة. ويتّخذ البلاذري سبيلًا وسطًا إذ يأخذ من المؤرّخين السالفين فيذكرهم. وفي كل حالة، ولا يورد سلاسل أسانيدهم لأنها معروفة إلا في حالات الضرورة. (دو، نشأ، ١٢٩، ١٩)

أسلوب مرسل

- لم يبتدع أسلوب خاص للكتابة التاريخية وإنما جرى التدوين ضمن أسلوبين: - الأسلوب المرسل الذي كتب به معظم المؤرّخين كتبهم منذ الطبري إلى المسعودي إلى الهمذاني وابن الجوزي والخطيب البغدادي وأبي نعيم وابن الأثير وسبط ابن الجوزي، وقد يتخلّل الكتابة الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث أو مثل شائع، وقد يهبط هذا الأسلوب ليصبح مجرّد حديث عادي مكتوب. - الأسلوب الأدبي المتأنّق وقد بدأ هذا الأسلوب في بعض الكتابات المشرقة على أيدي مسكويه والتنوخي ولكنه سرعان ما غرته أعمال الصنعة البديعية على يد إبراهيم الصابيء في كتاب التاج والعتبي في كتاب اليميني فصار سجعًا. بدا أول الأمر نوعًا من البراعة في الجمع بين الأدب والتاريخ ثم ما لبث أن أسرف في الصنعة وثقلت عليه القشور اللفظية حتى لتغيم الفكرة التاريخية أحيانًا وراء الكلمات الطنانة المرصوفة رصفًا. ذلكم كان الأسلوب الذي انتهى

إليه العماد الأصفهاني في مجلّداته التاريخية التي تصل إلى الثلاثين مجلّدًا. (مص، رخ١، ٣٩٩، ١٩)

إسم

- حدّ الاسم ما دلّ على المسمّى بالتميز من جنسه والصفة كالاسم في بعض الأحوال إلّا أنّ خاصّيّة حدّها الإخبار عمّا في الشيء، كالعلم في العالم، وقد يفرّق قوم بين الوصف والصفة فيجعلون الصفة ما هو ملازم للموصوف والوصف قول الواصف ذلك. (بلخ، بد١، ٣٩، ٢)

إسم العلم

- إسم العلم قد يُطاق في الجملة على الفهم والوهم والذهن والفطنة واليقين والخطرة والمعرفة، وكلّ ما يحصل منه إدراك شيء ظاهرًا أو باطنًا ببديهة عقل أو مباشره حاسّة أو استعمال آلة كالاستدلال والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأنّ هذه الخصال كلّها آلات إدراك العلم وطُرُق التوصّل إليه. (بلخ، بد١، ٢٠، ١٦)

إسناد

- حين ظهر الإسناد في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري فإنما كان سببه ضرورة "الشهادة" على الرواية نقلًا عن مصدرها الأول. وهكذا فإن الأسماء الواردة في الإسناد لدى الطبري أو الواقدي أو البلاذري مثلًا إنما تكشف في الواقع عن أسماء المدوّنين الأولين والمدوّنين التالين لهم. وعلينا أن ننظر إلى النصوص التي وردتنا في المؤلّفات المسندة خاصة على أنها مجموعة من مصادر مدوّنة تعود بدورها إلى مصادر أقدم منها. وبهذا الشكل فإن دراستها الدقيقة قد تسمح برسم "شجرات" التدوين والتأليف كما تسمح التفرّعات المتكرّرة بعد أسماء معينة بتحديد أسماء المؤلّفين الأساسيين وتسمح لقاءات هذه الفروع عند عقد محدّدة ببيان نقل المؤلّفين بعضهم عن بعض. (مص، رخ١، ٧٩، ٥)

- أهمية "الإسناد" - أو سلسلة الرواة في تقدير قيمة المغازي ويعني ذلك ربط قيمة الحديث أو الرواية بمنزلة المحدّثين أو الرواة. وهذا الاتجاه ولّد في فترة مبكرة نظرة نقّادة إلى الرواة، أو مصادر المعلومات، وأدخل عنصر البحث والتحرّي، في جمع الروايات، وكوّن أساسًا متينًا للدراسة التاريخية. ومن ناحية أخرى تنوقلت الأخبار والقصص عن "المغازي" وتوسّع فيها القصاص وجعلوها أدبًا شعبيًّا، ومع أن بعض هذه الأخبار والقصص وجد طريقه إلى بعض كتب السيرة فيما بعد، إلا أن النظرة إلى الروايات وطرق نقدها بقيت في الأساس تسير على طريقة أهل الحديث. وقد سمّيت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم "المغازي" وتعني لغويًا غزوات الرسول وحروبه، ولكنها تناولت في

الحقيقة فترة الرسالة بكاملها. (دو، نشأ، ٢٠، ٩)

- عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ/ ٧١٢م)، وهو فقيه ومحدّث مشهور، كان مؤسّس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألّف كتابًا في "المغازي". وقد وصلنا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرّخين كالطبري وابن إسحق والواقدي وابن سيد الناس وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصلنا من تاريخ المغازي. وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول، كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول، ولم يدخل عروة في رواياته في تفاصيل القتال في المغازي. وقد كتب عروة بعض رواياته في حين أن بعض كتاباته التاريخية هي أجوبة مكتوبة على أسئلة وجّهت إليه من البلاط الأموي. وقد استعمل عروة "الإسناد" بشكل يعكس نظرة عصره. ويبدو أنه اعتمد على الأحاديث في أجوبته المكتوبة، ولكنه قدّم رواية (أو قصة) متسلسلة دون ذكر الإسناد. وهو في رواياته عن الحوادث المهمّة مثل بدء الوحي والهجرة يعطي إسناده. وقد كانت النظرة إلى الإسناد في زمنه لا تزال مرنة ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد. (دو، نشأ، ٢١، ١٤)

- الإسناد والذي قام عليه التأريخ العربي الأول. (أوم، نهج، ٦، ١٠)

- إن ابن خلدون وهو يرفض الإسناد منهجًا للتاريخ يخرج عن تقليد متداول منذ قرون ويرفع مفهوم التاريخ إلى مستوى إنتاج التاريخ، ذلك أنه على الرغم من النمو الهائل للإنتاج التاريخي العربي، فإن هذا النمو لم يترجم على مستوى النظرية، فظلّ تنظير التاريخ العربي متخلّفًا عن مستوى إنتاجه. ولكن لنقد منهج الإسناد دلالة أعمق لأن ابن خلدون يربطه بنقد التقليد، أي تكرار إنتاج لا ينتهي لأخبار وأنماط جامدة، وهكذا يحدث الطلاق ويستقرّ بين التاريخ وخطابه، ولذا فإن ردّ علم التاريخ إلى قوانين التاريخ والمجتمع (طبائع العمران) يعني وضع حدّ لاستنساخ لا ينتهي لأنماط السرد والخبر، وتقريب الهوّة بين "التاريخ" و"الخطاب عن التاريخ". (أوم، نهج، ٦، ١٥)

- نشأ علم التاريخ العربي للحفاظ على تراثين: تراث النبي (حروبه، أفعاله، أقواله والظروف التي قيلت فيها)، وماضي القبائل العربية السابق على الإسلام (حروبها وما سمّي "بالأيام" بوجه عام، وكذا الأنساب)، يضاف إلى هذا التراث الأخير البحث في التراث الشعري واللغوي لهذه القبائل. إن التاريخ الأول الناشئ عن هذه الأصول اتّخذ شكلًا محددًا في السرد: "الخبر" وهو الشكل الأصلي للتاريخ العربي، وهو رواية لحدث مفرد عبر سلسلة رواة تناقلوا الخبر ابتداء ممن شهده أو زعم ذلك، وذلك طبقًا لمنهج اختصّت به العلوم الدينية، وهو منهج الإسناد (أي تصحيح الخبر بناء على مدى الثقة بناقليه). (أوم، نهج، ١٤، ٢)

- طبيعة النشأة إذن هي التي جعلت علم التاريخ العربي يعتمد الإسناد منهجًا، وهو منهج تحرّى رجال الحديث أن يكون دقيقًا (ولذا كان التاريخ الأول تاريخ حديث)، وتبنّته جميع العلوم "الأصلية" بما فيها علوم اللغة والأدب. (أوم، نهج، ٤١، ٩)

إسناد جمعي

- أسند الزهري رواياته واشتهر بقوة إسناده. ونظرته في ذلك تمثّل نظرة عصره حيث نجده يعتبر رواية التابعين أحيانًا وافية بشروط الإسناد. ولكنه أدخل شيئًا جديدًا وهو الإسناد الجمعي، حيث يدمج عدد روايات في خبر متسلسل وبذلك يسير خطوة مهمّة نحو الكتابة التاريخية المتّصلة. (دو، نشأ، ٢٤، ١١)

أشناق

- الأشناق: وهي الديّات والمغرم وصاحبها إذا احتمل شيئًا فسأل فيه قريشًا صدّقوه فيه. وكانت لتيم. (زي، مدن١، ٣٨، ١٧)

أصالة

- مفهوم الأصالة غير مستقرّ، يرمز مرة إلى الدين ومرة إلى الثقافة، يشير مرة إلى واقع أنثروبولوجي ومرة إلى اختيار تاريخي. والمدافعون عن كل واحد من هذه المفاهيم، الذين ينتمون إلى فئات مختلفة ويتّجهون اتجاهات سياسية مختلفة، يحزر بعضهم البعض. وهذا ما يجعل النقاش في هذا المضمار صعبًا وعميقًا. (عر، فكر، ١٩، ٣)

أصالة الأصول

- هل يبدأ المؤرّخ، فور انتهائه من درس العلوم الموصلة، في مطالعة الأصول لاستخراج مكنوناتها، أم يتربّص قليلًا للنظر في أصالة ما لديه منها (أي من الأصول)؟ وهل من مبرّر للتردّد في هذا الأمر؟ فلو بدأنا فور انتهائنا من العلوم الموصلة في استخراج المهمّ من أخبار الأصول، وزاولنا العمل مدّة من الزمن، ثم تيقّنا بعد ذلك، أن ما اعتبرناه أصلًا من الأصول، هو في الحقيقة أثر من آثار المتخلّفين غير المعاصرين، أو أنه وُضع خصّيصًا للمغالطة والتضليل، أقول لو بدأنا بمثل ما تقدّم ذكره وتيقّنا وقوع التضليل والتزوير، لضاع وقتنا سدى، وأصبحنا من الخاسرين. فعلى المؤرّخ إذًا عند انتهائه من العلوم الموصلة، أن يتأكّد أولًا من أصالة الأصول، ويتثبّت من خلوّها من كل دس أو تزوير. (رس، مصط، ١٠، ١٦)
- على المؤرّخ، بعد جمع الأصول وبعد الانتهاء من درس العلوم الموصلة، أن يتأكّد من أصالة الأصول، ويتثبّت من خلوها من كل دسّ أو تزوير. ويتّضح ... أنه بإمكان المؤرّخ أن يستعين بطائفتين من الأدلّة. فهنالك أدلّة باطنية، يتوصّل إليها بعد درس نصّ الأصل نفسه، وأدلّة ظاهرية، يقف عليها بعد درس الأصول الأخرى، أو بعد التمكّن من

بعض العلوم الموصلة. هذا ولا نرى بدًّا في هذا الصدد، من الإشارة إلى وجوب التريّث، والترزُّن والتثبت. فلا فائدة ترجى من التهالك في الأمر والإسراع في العمل ولا يخفى أن التثبّت من صحة الأصول وأصالتها أمر صعب الممارسة، عزيز المنال وحذار حذار من الاستسلام إلى الأصول بالثقة العمياء والاسترسال إليها، إذ لا يجوز للمؤرّخ أن يكون قنوعًا يثق بكل أحد أو يَقِنًا يصدق كل ما يقرأ. (رس، مصط، ٢١، ٥)

أصل تاريخي

- قد يكون الأصل التاريخي من عمل أكثر من مؤلّف واحد. فالكثير من الأصول تدخل عليها إضافات وزيادات وتعليقات في مواضع مختلفة، ثم تطبع ويعدّ الأصل وما أضيف إليه كأنه من وضع مؤلّف واحد. فلا بدّ من السعي إلى كشف الحقيقة. وإذا وُجد الأصل المخطوط كان من الميسور تمييز الأصل من الإضافات والزيادات التي طرأت عليه. أما إذا ضاع الأصل المخطوط ولم يبق أمام الباحث سوى المطبوع منه، أصبحت المسألة أكثر صعوبة. فعلى الباحث أن يدرس اللغة، لكي يرى أهي واحدة أم متغيّرة؟ وهل الأسلوب واحد أم متغيّر؟ وهل تسود الكتاب فكرة واحدة وروح واحدة؟ وهل توجد خلافات ومتناقضات أو فجوات في تسلسل الأفكار؟ وإذا كان الكاتب الذي أضاف في موضع أو أكثر من النص الأصلي رجلًا واضح الشخصية، أمكن تمييزه والتعرّف عليه، وإلا بقي مجهولًا لدى الباحث في التاريخ. (عث، بحث، ٩٨، ٢٠)

- معرفة الزمن الذي دُوِّنَ فيه الأصل التاريخي. فقد يكون الأصل صحيحًا غير مزيّف، وقد يكون كاتبه من الأشخاص الذين يتحرّون الصدق والبعد عن الهوى، ومع ذلك فقد يُنقص من قيمته التاريخية بُعد الزمن بين وقوع الحادث ورؤيته وبين تدوين أخباره. فالذاكرة تخون الإنسان، وكلما بَعُدَ بالكاتب العهد عن زمن وقوع الحادث تعرّض لأن يفوته قليل أو كثير من التفاصيل الخاصة، مهما كانت رغبته في قول الصدق قوية، ومهما حاول استرجاع وقائع الماضي. فإذا لم يحدّد الكاتب التاريخ الذي دوَّن فيه ما كتبه، فكيف يستطيع الباحث أن يحدّد ذلك ولو على وجه التقريب؟ يمكن للباحث في التاريخ أن يضع حدّين لبدء الأصل التاريخي ونهايته، بناءً على دراسة محتوياته، أي أنه يعيِّن التاريخ الذي لا يمكن أن تكون الحوادث قد وقعت قبله، والتاريخ الذي لا يمكن أن تكون قد وقعت بعده. ولتحديد ذلك ينبغي أن يكون ملمًّا بثقافة تاريخية واسعة تتعلّق بالعصر الذي يدرسه. ومن الواضح أن الأصل التاريخي يُدوَّن بعد آخر حادث ورد به. ولكن لا يُعرف دائمًا متى تمّ ذلك التدوين، أبعد آخر حادث ورد به بزمن قصير أم طويل، وهل

يمكن تعيين تاريخ تدوينه على وجه التحديد؟ (عث، بحث، ١٠٠، ١٣)

أصول

- التاريخ لا يقوم إلا على الآثار التي خلّفتها عقول السلف أو أيديهم. فإذا سطت محن الدهر أو عوادي الزمن على بعض هذه الآثار وأزالت معالمها فقدها التاريخ وكانت كأنها لم توجد. وبفقدها يجهل تاريخ عصرها ورجالها. أما إذا بقيت وحفظت فقد حفظ التاريخ فيها. لهذا يرى المؤرّخون لزامًا في أعناقهم، قبل كل شيء، أن يتفرّغوا للبحث والتفتيش، عن شتى الآثار التي تخلّفت عن السلف، والتي اصطلحنا أن نسمّيها أصولًا. (رس، مصط، ١، ٩)
- الأصول لدى المؤرّخ هي جميع الآثار التي تخلّفت عن السلف. فالرسائل الواردة إلى مجلس محمد علي باشا والصادرة عنه هي أصول لتأريخ هذه الحقبة من تاريخ العرب. ومجموعة المدافع والأسلحة التي ترجع إلى عهده والتي لا تزال محفوظة في وزارة الحربية في مصر وفي سراي عابدين الملكية هي أيضًا أصول بعرف المؤرّخ واصطلاحه. وكذلك جامعه الشهير القائم اليوم على هضبة المقطم والذي يطلّ ويشرف على مدينة القاهرة. وقل الأمر نفسه عن عظامه المحفوظة في مثواه في داخل هذا الجامع العظيم، وعن بقايا ألبسته وأدواته الشخصية التي لا تزال محفوظة لدى أحفاده في سراي عابدين الملكية وسائر قصورهم. وما يصحّ من هذا القبيل على الآثار الشخصية المتخلّفة عنه يصحّ أيضًا على آراء غيره من المعاصرين وآثارهم. فتاريخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذي عاش في القاهرة وعاصر عزيز مصر هو أيضًا أصل من الأصول وكذلك كتاب الدكتور كلوت بك الذي أستخدم في حكومة الباشا والذي أسّس كلية الطب في القصر العيني، وكتاب الدكتور مخايل مشاقة الدمشقي الذي درّس الطب في القصر العيني والذي التحق بخدمة الأمير بشير الثاني وغيره من الأمراء الشهابيين الذين عاصروا عزيز مصر ودخلوا تحت حكمة ردحًا من الزمن، كل هذه في عرف المؤرخين ضروب من أصول. وهلمّ جرًّا. (رس، مصط، ١، ١٠)
- الأصول هي في غالب الأحيان صلتنا الوحيدة بحوادث الماضي فإن أخبرتنا الخبر على حقه توصّلنا إلى الحقيقة التي ننشدها وإن ارجفت فخاضت في الأخبار المخطئة أو الكاذبة أوقعتنا في مهاوي الضلال والتضليل. ولذا فإننا نرى لزامًا في أعناقنا أن نتعرّف إلى شخصية المؤرّخين الذين نصّوا هذه الأصول كي نمزّق ظلمات الإشكال ونكشف معالم الهدى. (رس، مصط، ٢٢، ١٣)
- التأريخ علم في تحرية الحقيقة وكعلم يطلب الحقيقة كما هي. والأصول هي صلة المؤرّخ الوحيدة بحوادث الماضي. وإذًا فهدف المؤرّخ المنقّب أن يتحقّق من

هذه الصلة ومن حرفية نص الشهادة التي فيها ثم يروي هذه الشهادة كما صدرت عن صاحبها الأصلي متحرّيًا في ذلك درس ما يمكن أن يكون قد عرض عليها من زيادة أو تحريف أو نقصان. (رس، مصط، ٣١، ٢)

- ينبغي إرجاع الخطاب عن التاريخ إلى وقائع التاريخ. ينبغي العودة إلى الأصول، هذا المصطلح ... المستعار من علم ديني يعني هنا شيئًا آخر: فالأصول هنا هي قوانين المجتمع والتاريخ: طبائع العمران. فاللجوء إلى مصطلحات علم ديني إنما من أجل إحداث فصل منهجي: انتزاع التاريخ من مجال العلوم الدينية وإرجاع أخبار التاريخ إلى قوانين التاريخ، وباختصار: إلغاء الانفصام بين التاريخ والخطاب التاريخي. (أوم، نهج، ٦٦، ٩)

أصول إسمية للأشياء

- أفعال التأسيس تعنون الأشياء بأصولها، إذن، دون أن تفضي إلى الأشياء هذه بأي معنى فعلي. والبحث عن الأصول الإسمية للأشياء هو أسّ تاريخ العالم والتواريخ التفصيلية للشعوب. إن التاريخ... وصل المفردات بأمهاتها من الأسماء وتوزيع أحداث الماضي على مواضيع هي مواضع مكانية في السرد تتّخذ لها عناوين زمانية ودولية (من دولة). فبالمعنى التأسيسي هذا تكون الدولة ومتعلّقاتها من الأحداث دولة حفصية أو أموية أو برمكية مثلًا، أو دولة معاوية ودولة عبد المؤمن ودولة أوشهنج ونيرون وقسطنطين واخريتا. فحوادث التاريخ ترجع لمراجع تنظيمية هي... الدول والفترات الزمنية في سنة وطبقة. وكما ترجع الحوادث إلى أصولها هذه، ترجع هذه الأصول بدورها إلى أصول هي شجرة أنساب الشعوب التي تستنسخ في بنيتها الهرمية رجوع الحوادث المفردة إلى دول فردية ثم كلّية، وإلى تاريخ معيّن يرجع بدوره إلى نقطة بدء التأريخ التي هي بداية التقويم الذي ينظّم الحوادث. (عظم، عرف، ١٠٢، ١٠)

أصول الأمم

- أصول الأمم من سالف الدهر سبعة: الفرس والكلدانيون واليونانيون والقبط والترك والهند والصين. ثم تفرّع كل واحدة من هذه الأمم إلى أمم وتشعّبت اللغات وتباينت الأديان. وكانوا جميعًا صابئة يعبدون الأصنام تمثيلًا للجواهر العلوية والأشخاص الفلكية. وهم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتان: طبقة عنيت بالعلوم كالكلدانيين والفرس وسائر من يأتي ذكره في موضعه، وطبقة لم تُعنَ بهذا كأهل الصين والترك والصقالبة والبرابر والحبشة ومن اتّصل بهم. (عب، خصر، ٣، ٣)

أصول التاريخ

- علم أصول التاريخ أو مراجعه المسمّى باسم historiography. (علف، فت، ٦٢، ١٣)

أصول تاريخية

- الأصول التاريخية، من حيث تحري النص والمجيء باللفظ، تكن على وجوه ثلاثة. فإما أن يكون الأصل بذاته أمامنا بخط واضعه أو بتقديه، أو أن يكون الأصل مفقودًا ولم يبق منه سوى نسخة واحدة، أو أن يكون الأصل قد فقد أيضًا وبقيت عنه نسخ متعدّدة. فحيث يظفر المؤرّخ بالأصل نفسه، بخطّ واضعه أو بتصديقه، عليه أن يبقيه كما هو بحروفه وغلطاته. لأن ما يصحّح اليوم ويحسب تقويمًا قد يمكن أن يكون اعوجاجًا وتضليلًا. فكم وكم من الاصطلاحات العامية، تفقد قوّتها أو ضعفها. عندما تبدل بما يفتكره الناشر مقابلًا لها بلغته الفصحى. وكم وكم من المعاني الفصيحة والعامية أيضًا تتغيّر بتقديم أو تأخير أجزاء جملها بعض عن بعض. لا لا! علينا أن نثبت الأخبار كما رواها شاهدها لا كما كان "يجب عليه أن يرويها" وعلينا أيضًا أن نتحاشى جميع الطرق في النشر التي تعرض الأصل لمثل هذه المخاطر. التاريخ علم في تحريه الحقيقة. وكعلم يطلب الحقيقة كما هي لا كما يجب أن تكون. فهو يختلف عن الفنون بأسرها، أدبًا كانت أم تصويرًا. ويكتفي هو بما لا تكتفي هي به أحيانًا. وزد على هذا كلّه، أنه إذا بقيت الأصول التاريخية على حالها الأول، سهل على الباحث إدراك ما وصل إليه رواته من العلم والرقي، إذ أن تضلّع هؤلاء من قوانين اللغة وآدابها، ينبئ أحيانًا عن تهذيبهم العمومي، ومقدرتهم على فهم مجريات الأمور والتدقيق في العمل. هذا ولا يخفى ما في إبقاء لغة هذا النوع من الأصول، على حالتها الأولى من الفائدة الكبرى، لفهم تاريخ تطوّر معنى الكلمات والاصطلاحات بتطوّر الأزمنة والأحوال، ولإدراك دورة عقول الذين تكلّموها . . . وقد تفنى أو تضيع نسخة المؤلّف ولا يبقى عنها سوى نسخة واحدة. وفي مثل هذا الظرف يترتّب على المؤرّخ المدقّق، الذي يودّ تحرّي النص الأصلي والمجيء بلفظ المؤلّف، أن يبدأ بدرس هذه النسخة درسًا وافيًا من جميع نواحيها. ثم ينتقل إلى ترجمة مؤلّفها، فالمصادر التي أخذ عنها وتآليفه الأخرى. وعليه أن يتعرّف إلى أشهر كتّاب العصر الذي عاش فيه المؤلّف ولا سيّما زملائه في الموضوع. وإذا ما وقف على جلائل النسخة ودقائقها وعجم عود مؤلفها وتعرَّف إلى معاصريه وزملائه عاد إلى نص النسخة التي يدرس ونبذ من صيغ كلماتها ما لا يتّفق مع ذوق مؤلّفها أو ذوق معاصريه، وأثبت في الهامش جميع ما ينبذه كما ورد في النسخة التي يستعرضها، وليس في وسعنا إلا أن نعترف بأن العمل على هذا الشكل ضرب من المغامرات التي يتوقّف النجاح فيها على ذكاء الباحث وسعة اطلاعه وسلامة استنتاجه. . . . وقد تضيع أو تفنى نسخة المؤلّف الأصلية ويبقى عنها نسخ متعدّدة، وفي مثل هذه الحال، يجتهد المؤرّخ المدقّق في نبذ بعض هذه النسخ إذا ظهر

له أن ذلك البعض يعتمد على سابقه. ثم يقسم النسخ الباقية إلى فضائل متّخذًا الأغلاط المشتركة بينها قاعدة لهذا التقسيم. لأنه ليس من المرجّح أن يجمع النساخ على غلطة ما، إلا ويكون أحدهم قد أخذ عن سابقه. كما أنه ليس من المحتمل أن يتّفقوا منفردين بعضهم عن بعض إلا على الصحة. ثم يحاول المؤرّخ استعادة اللفظ الأصلي بالمقابلة بين النسخ الباقية وما يكون قد تشربه من روح المؤلّف وذوق معاصريه. ولا بدّ من الإشارة إلى الاختلافات في منطوق هذه النسخ على هوامش ما ينشر تسهيلًا للتحقيق وضنًا بالحقيقة. (رس، مصط، ٣١، ٧)

- التاريخ يُدرس بواسطة الأصول التاريخية كالوثائق بما تشمله - في المعنى الأعم - من آثار الإنسان ومخلفاته. ويمكن أن تعرف أشياء عن حوادث التاريخ من طريقين: طريق مباشر بملاحظة الحوادث في أثناء وقوعها، وطريق غير مباشر بدراسة الآثار التي خلّفتها هذه الحوادث. (عث، بحث، ٧٩، ٤)

- تقسّم الأصول التاريخية المخطوطة من ناحية تحرّي النص وتحقيق اللفظ إلى ثلاث حالات. فالحالة الأولى أن يكون أمام الباحث الأصل الأول بخط المؤلّف نفسه. ويمكن التحقّق من ذلك بملاحظة نوع الورق والحبر، وبدراسة خط المؤلّف ولغته ومعلوماته، وذلك من كتاباته الأخرى إن وُجدت، وبتطبيق ذلك على الأصل الموجود، يستطيع الباحث أن يفيد - وهو مطمئنّ من هذه الناحية - بالمعلومات التي يوردها هذا الأصل الأول، كما يمكنه أن ينشر هذا الأصل التاريخي لفائدة العلم. ولكن ينبغي عليه أن يراعي عند النشر في كل الحالات. إبقاء الأصل الأول كما هو بحروفه وألفاظه وأجروميته وأخطائه الخاصة به، بغير تصحيح أو تعديل في النص نفسه، تجنبًا لما يمكن أن يغيّر من معنى النص، وإن كان في استطاعته أن يجري التصويب الذي يراه في الحاشية. وبقاء النص الأول كما هو يساعد الباحث على فهم تاريخ ذلك العصر المعيّن بالحال التي كان عليها في الواقع فيدرك عقلية رجال ذلك العصر وأساليبهم في التعبير، ويُلمّ بتطوّر اللغة، وبالاصطلاحات التي سادت في الزمن الماضي. ... والحالة الثانية في هذه الناحية من نقد الأصول هي التي تضيع فيها نسخة المؤلّف الأولى، ولا يبقى أمام الباحث سوى نسخة واحدة منقولة عنها. وإن دراسة هذه النسخة الوحيدة المنقولة عن الأصل المفقود لتستلزم الدقّة والحذر للتثبّت من صحة ألفاظها ونصوصها. ومهما كانت دقّة الناسخ وأمانته فقد يتعرّض للخطأ في النقل. وتوجد أسباب وأنواع للاختلافات التي من المحتمل حدوثها في أثناء النقل. فربما تسقط ألفاظ أو جمل عند النقل من باب السهو أو النسيان، أو لعدم وضوح المعنى، أو للخطأ في قراءة بعض الألفاظ، أو للخطأ

في السمع إذا ما أملى على الناسخ ما يكتب، كما أن بعض النساخ قد يغيّرون ويعدّلون الألفاظ التي ظنّوا أنها وردت خطأً أو محرّفة في الأصل الأول، واعتقدوا أن من واجبهم تصحيحها. والتغييرات التي تصيب الأصل التاريخي عند نسخه، والصادرة عن عمد أو عن خطأ في فهم النصوص، قد يصعب كشفها وبالتالي لا يمكن تحقيقها، وربما تسقط بعض الفقرات التي قد لا يمكن التعويض عنها. ولكن من المستطاع في أحوال كثيرة معرفة الأخطاء التي تحدث عفوًا أو سهوًا، وذلك بملاحظة الإرتباك في المعنى أو الخلط في بعض الحروف والكلمات، أو وضع أحرف أو كلمات مكان أخرى، أو تكرار بعض المقاطع، أو كتابة المقاطع في بعض الكلمات مرّة واحدة بدلًا من مرّتين، أو الخطأ في تقسيم بعض الكلمات أو بعض الجمل. وكل هذه الأنواع من الأخطاء والتغييرات في النصوص الأولى، التي تحدث عفوًا أو عن قصد، قد قام بها الناسخون في كل اللغات وفي جميع الأقطار وفي كل عصور التاريخ. وعلى الباحث، في حالة ضياع نسخة المؤلّف الأولى، مع بقاء نسخة واحدة منقولة عنها، أن يدرس هذه النسخة، ويعرف كل خصائصها من ناحية الشكل واللفظ والمصطلحات والمعلومات التاريخية، ثم يدرس حياة المؤلّف ومؤلّفاته الأخرى إن وجدت، ويُلمّ بأشهر الكتاب المعاصرين الذين تناولوا نفس الموضوع الذي كتب عنه. وتطبيق هذه المعلومات على النسخة الوحيدة المنقولة عن الأصل الأول المجهول، يساعد في أحوال كثيرة على تحرّي نصها والتثبّت من صحة ألفاظها.

... والحالة الثالثة هي التي يضيع فيها الأصل الأول. وتبقى عدّة نسخ منقولة تتشابه وتختلط فيما بينها، ولكن لا تُعرف الصلة بين بعضها وبعض، ولا الصلة بينها وبين ذلك الأصل الأول الضائع. وكان على الباحثين السابقين أن يكافحوا للوصول إلى استخدام أول نسخة منقولة تصل إلى أيديهم، والإفادة بمعلوماتها، مهما كان نوعها ومهما كانت صلتها بالأصل الأول المجهول. ثم أخذ الباحثون يتّجهون إلى استخدام أقدم نسخة موجودة، ولكن قِدَم تدوينها لا يعني دائمًا أنها أصحّ النسخ المنقولة عن الأصل الأول الضائع، إذ أن مخطوطًا من القرن الخامس عشر مثلًا، ينقل عن أصل قديم ضائع من القرن الحادي عشر، قد يكون أكثر قيمة من نسخة أخرى نقلت في القرن الثالث عشر عن ذلك الأصل الضائع، وتحتوي على أخطاء وتغييرات في النص الأصلي الأول. ولا شكّ أن الباحثين المحدثين يمتازون عن سابقيهم في هذه الناحية. فهم يستطيعون أن يقارنوا بين النسخ المتعدّدة المنقولة عن الأصل الأول المجهول، فضلًا عن إمكان حصولهم على معلومات أفضل وأدقّ عن تلك النسخ وعن العصر الذي وُجدت فيه، بقصد الوصول إلى النص الأول الصحيح بقدر المستطاع.

وفي هذه الحالة يعمد الباحث في التاريخ إلى محاولة السعي إلى تحديد النص الأوّل، أو أقرب ما يمكن إليه، بالدراسة المقارنة، على أساس التشابه والإختلاف بين النسخ المتعدّدة، وعلى أساس التوصّل إلى فهم لغة المؤلّف وروحه، والدراية بأحوال عصره، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ولنفرض أن لدى الباحث عشرين نسخة لمخطوط واحد، أصلها الأول مفقود، وأن ثماني عشرة نسخة منها تتشابه نصوصها، ولْنسمّها مجموعة (أ)، وأن نسختين منها تتشابهان، ولنسمّهما وحدة (ب). فالأغلبية العددية هنا لا قيمة لها في حدّ ذاتها، ولا تدلّ كثرة العدد وحدها على أنها هي الصحيحة. إذ أنه من الجائز أن سبع عشرة نسخة من مجموعة (أ) قد نقلت عن النسخة الثامنة عشرة، وفي هذه الحالة تكون المجموعة (١) عبارة عن نسخة واحدة تكرّرت في النسخ الباقية التي نقلت عنها. فينبغي على الباحث إذًا أن يسعى إلى تحديد أيّ النصين أقرب إلى الأصل الأول الضائع، أهو النص (أ) أم النص (ب)؟ ويلاحظ الباحث عند تحديد العلاقة بين النسخ المتعدّدة لمخطوط واحد، قاعدة شبه عامة، وهي أن النسخ المتشابهة التي تحتوي على نفس المعلومات، واردة بنفس اللغة وبنفس الأخطاء، إما أن تكون قد نقلت جميعًا عن أصل أقدم منها أخذ عن الأصل الأول الضائع، وتحتوي على نفس المعلومات ونفس الأخطاء. ولا يُعقل من الناحية السيكولوجية أن عددًا من الناسخين ينقلون مستقلّين أصلًا تاريخيًّا معيّنًا، ويوردون نفس المعلومات بنفس اللغة وبنفس الأخطاء، بل لا بدّ من أن يوجد بينهم فوارق متنوّعة. فعلى الباحث إذًا أن ينحّي جانبًا النسخ المنقولة عن أصل واحد محفوظ، وأن يستبقي فقط، بقدر المستطاع، النسخ الرئيسية المستقلّة التي نقلت عن الأصل الأول مباشرة، أو التي نقلت عن أصل ثانوي معيّن، منسوخ بدوره مباشرة عن ذلك الأصل الأول المجهول. وتُقسّم النسخ إلى جماعات وفصائل على أساس التقارب والاختلاف، والقرب والبعد عن الأصل الأول، بقدر ما يثبت ذلك. وإنه لمن الأفضل دائمًا أن يكون لدى الباحث عدّة نسخ أخذت مستقلّة عن الأصل الأول الضائع، حتى يكون الوصول إليه أيسر منالًا. ونلاحظ أن كثرة النسخ المخطوطة قد تُتعب الباحث أحيانًا بدلًا من أن تيسّر له مجال العمل. وعند طبع الأصل التاريخي، في هذه الحالة، ينبغي أن ترفق به في الهامش الإختلافات التي توجد في النسخ الرئيسية الأخرى، لكي يكون النص مع احتمالات تفاوته ماثلًا بقدر المستطاع، بين يدي الباحثين من بعد. (عث، بحث، ١٠٣، ١٣)

- ينبغي أن تُدرس الأصول التاريخية على اعتبار أنها تحتوي فقط على آراء الأشخاص الذين دوّنوها. وعلى الباحث أن يجعل النص يفسّر نفسه بنفسه - بقدر الإمكان - قبل السعي إلى استخراج

الحقائق التاريخية منه. ونخرج من ذلك بقاعدة عامة في منهج البحث التاريخي، ألا وهي أن دراسة الأصل التاريخي ينبغي أن تبدأ بتحليل محتوياته للوصول إلى المعنى الحقيقي الذي قصده كاتب ذلك الأصل. (عث، بحث، ١١٦، ٢)

- تقدّم الأصولُ التاريخية للباحث في التاريخ معلومات يمكن أن تقسّم إلى ثلاثة أنواع من الحقائق: ١- كائنات حيّة وأجسام مادية: فالوثائق مثلًا تعرّفنا بوجود بعض الأشخاص وبعض منتجات الفنون أو الصناعات. ومن البديهي أن الباحث يجد أمامه الحقائق خلال تصوّر كاتبها وليست الحقائق في ذاتها. فهيكل أورشليم القديم مثلًا كان شيئًا ماديًّا ماثلًا أمام الأعين، ولكننا لا نستطيع رؤيته الآن. وكل ما يمكن أن يفعله الباحث هو أن يُكوِّن في ذهنه صورة عقلية، مشابهة على نحوٍ ما، للصورة التي وُجدت في أذهان مَن رأوه وسجلوا وصفه بالكتابة. ٢- أفعال الإنسان: تسجّل الوثائق والأصول معلومات عن أفعال أو أقوال الناس في الزمن الماضي، والتي يعرفها كاتب الأصل التاريخي عن طريق المشاهدة أو السماع. ولكنها أمام الباحث في التاريخ لا تزيد عن كونها مجرّد صور ذاتية مستمدّة من الكتابة. فمثلًا لا يجد الباحث غير صورة عقلية عن حادث مقتل يوليوس قيصر، وهو بإزائه لا يستطيع أكثر من أن يتخيّل وقوع ذلك الحادث من خلال الأصل التاريخي الذي وصل إليه. ٣- الدوافع والتصوّرات: تحرّك الإنسان دوافع خاصة للتصرّف على نحو معيّن. ويدلّ الدافع على المحرّك الذي يدفعه إلى العمل، كما يدلّ على تطبيق الرأي أو تحقيق الهدف القائم في ذهن الإنسان في اللحظة التي يؤدّي فيها عملًا معيّنًا. وهناك أنواع من الدوافع الإنسانية. فمنها دوافع وتصوّرات تقوم في ذهن كاتب الأصل التاريخي ويعبّر هو عنها في كتابته، ومنها دوافع وأفكار رجال العصر الذي عاش فيه ذلك الكاتب، ومنها دوافع يمكن أن يفترضها الباحث في التاريخ، بشأن ما ورد في الأصل التاريخي، على غرار ما يحدث في البيئة المعاصرة. (عث، بحث، ١٥٧، ١٦)

أصول العلم

- أصول العلم وطرقها ومحصولها راجع إلى ثلاثة أصناف: إلى المعقول بديهةً. والمحسوس ضرورةً، لأنّ ما يدرك بهما يدرك بلا واسطة ومقدّمات. والثالث المستدلّ عليه المستنبط بالبحث والأمارة، فهذه يقع فيها الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيّز الحاسّة والبديهة وتفاوت قوى المستدلّين والناظرين وتفاوت آرائهم وعقولهم. (بلخ، بد١، ٢٣، ١)

أصول الفضائل

- أصول الفضائل أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفّة، مجموعها: العدالة. فالحكمة الخلق الذي يصدر به الفعل

المتوسّط بين فعلي الحدّة والغباوة. والشجاعة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي التهور والجبن. والعفّة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسّط بين فعلي الفجور والخمود. (أزر، بدع١، ٣٩٨، ١٦)

أطوار الدولة

- الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجدّدة، ويكتسب القائمون بها في طور خُلُقًا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر، لأن الخُلُق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه. وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار: الطور الأول: طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها. فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أُسوَة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية، لا ينفرد دونهم بشيء؛ لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها. الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة. ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيًّا باصطناع الرجال واتّخاذ الموالي والصنائع، والاستكثار من ذلك، لجدع أنوف أهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبة، الضاربين في الملك بمثل سهمه. فهو يدافعهم عن الأمر، ويصدّهم عن موارده، ويردّهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه، حتى يُقِرَّ الأمر في نصابه، ويُفرد أهل بيته بما يبني من مجده. فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر أو أشدّ؛ لأن الأولين دافعتهم الأجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل العصبية بأجمعهم؛ وهذا يدافع الأقارب لا يظاهره على مدافعتهم إلا الأقل من الأباعد، فيركبُ صعبًا من الأمر. الطور الثالث: طور الفراغ والدَّعَة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدَّخل والخرج وإحصاء النفقات والقصد فيها، وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتّسعة والهياكل المرتفعة، وإجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل، وبثّ المعروف في أهله، هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في أحوالهم بالمال والجاه؛ واعتراض جنوده وإدرار أرزاقهم وإنصافهم في أعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشِكَّتهم وشاراتهم يوم الزينة، فيباهي بهم الدول المسالمة، ويُرْهِب الدول المحاربة. وهذا آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدولة. لأنهم في هذه الأطوار كلها مستقلون بآرائهم، بانون لعزّهم، موضحون الطرق لمن بعدهم. الطور الرابع: طور القنوع والمسالمة. ويكون صاحب الدولة في هذا

قانعًا بما بنى أولوه، سلمًا لأنظاره من الملوك وأقتاله، مقلّدًا للماضين من سلفه، فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل، ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء، ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده. الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير. ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفًا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه، واصطناع أخوان السوء وخضراء الدِّمن (الذي يخرج من أصل سيّئ)، وتقليدهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها، ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها، مستفسدًا لكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه، حتى يضطغنوا عليه، ويتخاذلوا عن نصرته، مضيعًا من جنده بما أنفق أعطياتهم في شهواته، وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقّده. فيكون مُخَرِّبًا لما كان سلفه يؤسّسون، وهادمًا لما كانوا يبنون. وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهَرَم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه بُرءٌ، إلى أن تنقرض. (خلد، قدم، ٥٥٣، ١٤)

إعتبار ومتابعات وشواهد

- الذين يعنون بالعصور الوسطى والعصور القديمة يهملون القاعدة الأساسية في مصطلح التاريخ فيثبتون في تواريخهم روايات جمّة انفرد بها راوٍ واحد فيضلّون ويضلّلون. وإذا ما تسرّب إلى عقول البعض أن بعض المؤلّفات الحديثة في العصور الوسطى وفي التاريخ القديم هي أكثر جزمًا من بعض أخواتها في العصور الحديثة فإنما السبب في ذلك يرجع إلى إهمال واضعيها وقلّة درايتهم بقواعد مصطلح التاريخ. على أنه يجدر بالمؤرّخ المدقّق، قبل إسقاط الرواية التي ينفرد بها راوٍ واحد، أن يعيد البحث والتنقيب لعلّه يجد بين الروايات المختلفة ما يزكي به روايته المنفردة. وهو أمر عرفه المحدثون وعملوا به فأفردوا له بابًا خاصًّا سمّوه باب الاعتبار والمتابعات والشواهد. (رس، مصط، ٩٣، ١١)

إعتراب

- الاعتراب، أي الانغماس في الفكر الوسطوي، نتيجة سياسية ثقافية. (عر، فكر، ١٨٩، ١٨)

إعتمار

- الجباية أوّل الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة. والسبب في ذلك أن الدولة: إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية، وهي قليلة الوزائع - (ما يتوزّع على الأشخاص) - لأن مقدار الزكاة من المال قليل. . .، وكذا زكاة الحبوب والماشية، وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية، وهي حدود لا تُتعدى؛ وإن كانت على سنن التغلّب

والعصبية فلا بدّ من البداوة في أولها . . . ، والبداوة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن أموال الناس، والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر، فيقلّ لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الأموال من مجموعها. وإذا قلّت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه، فيكثر الاعتمار. ويتزايد محصول الاغتباط بقلّة المغرم، وإذا كثر الاعتمار كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع، فكثرت الجباية التي هي جملتها. فإذا استمرّت الدولة واتّصلت، وتعاقب ملوكها واحدًا بعد واحد واتّصفوا بالكَيس، وذهب شرّ البداوة والسذاجة وخلقها من الإغضاء والتجافي، وجاء الملك العضوض والحضارة الداعية إلى الكيس، وتخلق أهل الدولة حينئذٍ بخلق التحذلق، وتكثرت عوائدهم وحوائجهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف، فيكثّرون الوظائف والوزائع حينئذٍ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم، ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارًا عظيمًا لتكثر لهم الجباية، ويضعون المكوس على المبايعات وفي الأبواب كما نذكر بعد، ثم تتدرّج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرّج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والإنفاق بسببه، حتى تثقل المغارم على الرعايا وتنهضم وتصير عادة مفروضة، لأن تلك الزيادة تدرّجت قليلًا قليلًا ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين، ولا من هو واضعها، إنما تثبت على الرعايا كأنها عادة مفروضة ثم تزيد إلى الخروج عن حدّ الاعتدال فتذهب غبطة الرعايا في الاعتمار لذهاب الأمل من نفوسهم بقلّة النفع، إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين ثمرته وفائدته، فتنقبض كثير من الأيدي عن الاعتمار جملة، فتنقص جملة الجباية حينئذٍ بنقصان تلك الوزائع منها. وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه جبرًا لما نقص، حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة، لكثرة الإنفاق حينئذٍ في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوّة به. فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها، إلى أن ينتقض العمران بذهاب الآمال من الاعتمار، ويعود وبال ذلك على الدولة، لأن فائدة الاعتمار عائدة إليها. وإذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن؛ فبذلك تنبسط النفوس إليه لثقتها بإدراك المنفعة فيه. (خلد، قدم، ٧٣٠، ٥)

إعلام بالوقت

- التاريخ لغة الإعلام بالوقت، يقال: أرخت الكتاب، وورخته؛ أي: بيّنت وقت كتابته. (جو، نظم، ٨، ٤)

أعنّة

- الأعنة: وهي أعنة الخيل وصاحب هذا المنصب يتولّى خيل قريش ويدبّر شؤونها في الحرب. (زي، مدن١، ٣٨، ٢١)

آفة التاريخ

- آفة التاريخ حين يكتب أن يتعرّض لأمور تفسد صحته، أو تشوّه وجه الحق فيه، كأن يحابي المؤرّخ أميرًا، أو وزيرًا أو صاحب سلطان، فيتقرّب إليه بتاريخ يكيل له فيه المدح، ويتغاضى له فيه عن السيّئة، أو كأن يخشى المؤرّخ صاحب سلطان لأنه في ملكه سيدركه منه الأذى، وإن خال أن المنتأى عنه واسع. أو كأن تميل بالمؤرّخ دواعي الهوى والعصبية، فيتعصّب لقوم على قوم، ويفضل جماعة على جماعة، كما نجده عند أصحاب المذاهب المختلفة، سواء أكانت تلك المذاهب سياسية أم دينية. فقلّ أن تجد أمويًّا أنصف علويًّا، وندر أن تجد عباسيًّا أنصف أمويًّا. وحسبنا ما نراه في أمهات كتب التاريخ ومصادره من الميل لقوم على قوم، حتى صرنا نسمع أن هذا المؤرّخ متعصّب للشيعة، وأن ذاك المؤرّخ متعصّب للأمويين مثلًا. وقد يبلغ الهوى عند بعض المؤرّخين - ولو كانوا مؤرّخي أدب - إلى إهمال بعض الأشخاص، وتحاشي الحديث عنهم وإسقاطهم من الحساب التاريخي، ظنًّا منهم أن ذلك قد يطمس وجودهم، أو يضيع كيانهم. (حس، عر، ١١٥، ٢)

أفريذون

- كان أفْرِيذُون قسّم الأرض بين بنيه الثلثة، فملَّك سَلَم وهو شَرَم على المغرب فملوك الروم والسُّغْد من ولده، وملَّك طُوش وهو طُوج على المشرق فملوك التُرك والصين من ولده، وملَّك إيران وهو إيرَج على إيرانْشَهْر وهو العراق فالأكاسرة ملوك العراق من ولده. (خرد، مسلك، ١٥، ١١)

- ملك العراق الذي تسمّيه العامَّة كِسْرَى وهو شاهانشاه، ملك الروم الذي تسمّيه العامَّة قَيْصَر هو باسيل، ملوك الترك والتُّبَّت والخَرَز كلُّهم خاقان خلا ملك الخَرْلُخ فإنهم يسمُّونهم جَبْغُويه، ملك الصين بَغْبُور فهؤلاء ولد افريذون، ملك الهند الأكبر بَلْهَرا أي ملك الملوك. (خرد، مسلك، ١٦، ٩)

أفشين

- ملك التِّرمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيْوشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ٤)

أفعال

- الأفعال على وجوه كثيرة فمنه الفعل بالقصد والاختيار ومنه الفعال من غير قصد على السهو ومنه الفعل بالاتّفاق والبحث، وكلّها حركات. ومنه فعل التولّد كما ينفعل الشيء بطبعه وفعل الله تعالى غير مُشبّه بشيء ممّا ذكرنا. (بلخ، بدا، ١١٣، ١٦)

أفكار رمزية

- اعتبر ماكس ويبر تكوين الأفكار الرمزية أكبر مساهمة قدمها علم الاجتماع للتاريخ، وخاصة هذه الأنواع أو النماذج خاصيتها الأساسية أنها تحاول الذهاب إلى ما وراء المعلومات، وتعمل على تثبيت أفكار مطلقة أو مطابقات، بالرغم من أنها مأخوذة من المادة العملية التطبيقية التي هي في الغالب تاريخية. (بار، وجه، ١٠٢، ١٥)

إقتداء

- المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده والسبب في ذلك أن النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه؛ أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتّصل لها حصل اعتقادًا، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبّهت به، وذلك هو الاقتداء؛ أو لما تراه، والله أعلم، من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب، تغالط أيضًا بذلك عن الغلب، وهذا راجع للأول. ولذلك ترى المغلوب يتشبّه أبدًا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتّخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله. (خلد، قدم، ٥١٠، ١٥)

إقتصاد

- الإقتصاد من العلوم (المساعدة) الأساسية التي يساعد الإلمام بها على دراسة التاريخ، إذْ العوامل الإقتصادية ذات أثر فعّال في سير التاريخ. فالثروة الطبيعية في بلد ما تحدِّد نوع الإنتاج الزراعي والصناعي، ونوع التبادل التجاري ومدى نشاطه. وطريقة توزيع الثروة الطبيعية أو الأموال ومدى تركّزها في يد طبقة أو طبقات معيّنة، أو مستوى توزّعها بين فئات أكثر عددًا، يؤثر في السياسة الداخلية لدولة ما، ويؤثر في نظام الحكم بها، وفي مستوى الرخاء أو الفقر، وفي حياة الشعب، وفي علاقة طوائفه بعضها ببعض، ويؤثر في مستوى العمران ونهوض الحضارة أو تدهورها. وتؤثر الظروف الإقتصادية في علاقة الدولة بالعالم الخارجي، سواء أكان ذلك في الناحية الإقتصادية البحتة، أم في العلاقات السياسية، وكذلك تؤثر في مستوى قوّتها العسكرية ومركزها في المجتمع الدولي. ومن الأمثلة على أثر الظروف الإقتصادية

في مجرى التاريخ، ما نلاحظه من أن العامل الإقتصادي كان من بين العوامل الهامة التي أدّت إلى اندفاع العرب عند ظهور الإسلام، من شبه الجزيرة، التي يغلب على أكثرها الطبيعية المجدبة، إلى سهول العراق الفسيحة وربوع الشام المورقة. ويرجع ثراء المماليك والبنادقة وقوّتهم في أثناء العصور الوسطى، إلى مرور التجارة العالمية بأراضيهم، وكان تحوّل طريق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح إيذانًا بتدهورهم جميعًا. (عث، بحث، ٣٤، ٢٠)

أكاسرة

- كانت الأكاسرة إذا ورد عليها رسل ملوك العرب والروم أمرت بتعبئة الجيش في عشر كتائب، كل كتيبة عشرة آلاف فارس، بالجواشن المذهبة، والحراب اللامعة، والدروع المفرغة، والأعلام المذهبة، من ساباط المدائن إلى الإيوان. ثم يُمرّ بالرسل على كتيبة كتيبة. حتى إذا أشرفوا على باب الإيوان رُفع لهم عنه. وكانا إيوانين متقابلين بينهما فسيح من الأرض، وفي وسط ذلك قبلة من الأرجوان ارتفاعها عشرون ذراعًا مغشّاة بأجلّة الديباج المنسوج بالذهب الأحمر، وفيها جامعات من البلّور الأحمر والأبيض، وأنواع الأصباغ وفي وسطها سلسلة من الذهب، معلّق في طرف تلك السلسلة القنقل؛ وكان تاجًا كعمامة الرجل مرصّعة بالدرّ والجوهر والياقوت الأحمر. وكان الملك يجلس تحت تلك القبة والتاج معلّق على جبينه، وفي طرف السلسلة من الذهب سلسلة من النحاس مطروحة خارج الإيوان، فإذا أتى المتظلّم يأتي إلى السلسلة النحاس فيحركها، فيتحرّك التاج المعلّق على رأسه، فيعلم كسرى أنّ متظلّمًا ببابه، فيأمر الحجّاب فيأتون به فيوقفونه بين يديه فينصفه ممّن ظلمه. وكان الملك يُقيم عن يمينه مئة غلام من أولاد الملوك قد ألبسهم الديباج الملوّن من الثياب والقراطق. وفي أوساطهم مناطق الذهب الأحمر مرصّعة بأنواع الجواهر، وعن شماله أولاد المرازبة عليهم القراطق، وفي أوساطهم المناطق، بأيديهم أعمدة الحديد المذهبة. وكان الملك يُقعد أربعين جارية مختارات عشرين عن يمينه وعشرين عن شماله، بأيديهنّ الملاهي في أحسن زينة وأكمل زيّ، والتراجمة بين يدي الملك. فإذا وقفت الرسل بين يدي الملك أمرت بالجلوس فتبادرت إليهم الحجّاب بكراسي الذهب والفضّة فيجلسون عليها ويؤدّون الرسالة وينصرفون. (ز، ذخر، ١٢٧، ٣)

إلتزام

- معنى الإلتزام، ولعلّ أوضح معنى للإلتزام هو وجوب مشاركة المفكر في قضايا قومه الدينية والوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آمال، فليس للفكر أن يستغرق في التجريدات على حين يعاني وطنه مذلّة احتلال، أو طغيان ظالم مستبدّ. (شل، سلم، ٤٢، ٢١)

- هناك وسائل كثيرة للمؤرّخ يحقّق خلالها مبدأ الإلتزام في خدمة مجتمعه، وفي الوقت نفسه تجعله بمنأى عن تزييف التاريخ الذي لا يرضى به أحد وبخاصة المسلم. ومن هذه الوسائل نسوق بعض نماذج. ١- أن يرعى المؤرّخ الدين والوطن في فلسفة التاريخ، فإذا تحدّث عن حروب الصحابة عَبَرَها دون إدانة، ذاكرًا وجهات النظر التي لا تجرح أحدًا ولا تقوّض تراثًا، ومثل ذلك أيضًا إذا تحدّثنا عن هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧، فإننا نعترف بذلك، ونحذر من تكراره، ولكنّا نجعل تعليقنا على هذا الحدث يبعث فينا الأمل ويشحذ الهمّة، كأن نذكر أن هذه الهزيمة تسبّبت عن خطأ يمكن تداركه، أو غفلة أمكن التغلّب عليها، ومثل هذا يتّبع عند الحديث عن خلافات بين دولتين إسلاميتين، فنسرد الأحداث دون تعليق يثير القلق ويزيد من الخطب. ٢- أن يتحاشى الغمزات التي تضرّ وطنه ودينه، فمن الظلم ومن البعد عن الالتزام أن ذهب بعض الأشخاص مرّة لزيارة دولة عربية، وهناك ألقى محاضراته مهاجمًا الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، وسعد زغلول وصفية زغلول وغير هؤلاء من الأعلام، وارتفع صوت عاقل يقول: لمصلحة من تدمّر تاريخنا وتقضي على الهالة الطيّبة التي رسمها الزمن لزعمائنا في الفكر والسياسة.... ٣- ومن الالتزام في التاريخ كذلك أن نقدّم للتلاميذ والطلاب في المدارس والجامعات، وأن نقدّم للقرّاء والمثقّفين بوجه عام صورًا تبعث القوة وتشحذ الهمّة من التاريخ الإسلامي، والتاريخ الوطني، لعلّنا نربّي بذلك النشء تربية تجعله يحب دينه ويحترم الأسلاف، ويسعد بالتراث ويرتبط به، إن لأجدادنا مفاخر ينبغي أن نتذكّرها ونتمثّلها، وبين أسلافنا قمم يتحتّم أن ندرس تاريخهم، ونسعد ونحن نعايش هذا التاريخ، ولشيوخنا وباحثينا الأقدمين جولات علمية وابتكارات فكرية تعطّر تاريخنا وتشرّفنا، ومن الالتزام أن نقدّم كل هذه القمم وتلك القيم لندفع بالجيل الجديد أن يرتبط بالتراث وأن يسير على نمط الأجيال السابقة ليحقّق ما حقّقت من خير ورفاهية وانتصارات. ٤- ومن الالتزام في التاريخ أن نعنى في بلادنا بدراسة الاستعمار والصهيونية وتبيان خطرهما على أوطاننا وأهلينا، وأن نوضح ما عانيناه من الاستعمار الأروبي من جوع وحرمان، وقتل للحريات ومحاربة التطوّر، وأن نوضح أن الاستعمار قبل أن يرحل وضع إسرائيل في بلادنا ولا يزال يؤيّدها، لتؤدّي نفس الدور الذي كان يؤدّيه من إضعاف وتدمير. (شل، سلم، ٤٣، ١٣)

إلتزام في التاريخ

- الإلتزام في التاريخ - ما لم يكن في خدمة الحقيقة - يجرّ حتمًا إلى التزوير. فالأولَى إذن بكل رجال السياسة، على اختلاف مشاربهم، ألا يكون المؤرّخ متحزّبًا، حتى لا يكون حربًا، وحتى يتمكّن من أداء

رسالته العسيرة بأكثر ما يمكن من أمانة. (علف، فت، ٣١، ١٥)

إلجاء

- من أسباب كثرة الضياع عند أهل الخلفاء ورجال الدولة إلجاء الأهالي ضياعهم ومغارسهم إلى بعض أقارب الخلفاء أو العمال تعزّزًا بهم من جباة الخراج. فكان صاحب الأرض يلتجئ إلى بعض أولئك الكبراء فيستأذنه أن يكتب ضيعته أو ضياعه باسمه، فلا يجرؤ الجباة على العنف أو الظلم في اقتضاء خراجها بل هم قد يكتفون منهم بنصف الخراج أو ربعه مراعاة لذلك الكبير. ويجعل صاحب الضيعة نفسه مزارعًا له ويدوّن ذلك في دفاتر الحكومة. فتصبح تلك الضيعة بتوالي الأعوام ملكًا للمُلجأ إليه ويصبح صاحبها الأصلي شريكًا في غلّتها. ومثل هذا الإلجاء يحدث في كل العصور في البلاد التي يخاف أهلها سطوة الحكام واستبدادهم. وقد بدأ الإلجاء في الإسلام في أيام بني أمية لما كان من ظلم عمالهم. فألجأ أهل السواد في ولاية مسلمة بن عبد الملك وخلافة أخيه الوليد ضياعهم إلى مسلمة المذكور تعزّزًا به من جباة الخراج. ثم صارت تلك الضياع له وبقيت في أعقابه حتى قامت الدولة العباسية، فاستولى الخلفاء العباسيون عليها في جملة ما استولوا عليه من أموال بني أمية وضياعهم. وأقطعت هذه الضياع لداود بن علي بن عبدالله بن عباس، ثم صارت من الضياع السلطانية وكذلك فعل بعض أهل المراغة في آذربيجان مع مروان بن محمد لما تولّى أرمينية فإنهم ألجأوا تلك الضيعة إليه فقبضت في جملة ما قبض من ضياعهم. وامتدّ الإلجاء إلى أيام بني العباس بالاستمرار فألجأ أهل زنجان ضياعهم إلى القاسم بن الرشيد تقرّبًا إليه ودفعًا لمكروه الصعاليك عنهم. فكتبوا له الأشرية (أي كتبوا له صكوكًا ببيعها له) وصاروا مزارعين له ثم صارت تلك الأرض من الضياع السلطانية. (زي، مدن٢، ١٢٦، ٣٠)

ألفة

- الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرّق ثمرة سوء الخلق. فحسن الخلق يوجب التحابب، والتآلف، والتوافق. وسوء الخلق يثمر التباغض، والتحاسد، والتدابر. (أزر، بدع٢، ٨٨٦، ٥)

ألقاب مخصوصة

- الألقاب المخصوصة بالمتغلّبين على الدول، تشريفًا لهم ممن غلبوه على الأمر، وإشعارًا بحسن ولايتهم له. وهم - في ذلك - فرقتان: إحداهما: الواقفون عند هذا الحدّ، كملوك عجم المشرق وفي تسمية الخلفاء المتقلبين لهم بـ"شرف الدولة" و"عضد الدولة"، و"نظام الملك"، و"بهاء الملك"، ونحو ذلك. الثانية: المتجاوزون إلى ما وراء الغاية من ذلك في انتحال ما هو خاص بالملك،

إشعارًا بالخروج عن ربقة الاصطناع، حيث أضافوها إلى الدين فقط، كـ"صلاح الدين"، و"نور الدين"، ونحو ذلك. وهم المتأخّرون منهم، لما قوي استبدادهم، وتلاشت بهم عصبية الخلافة. (أزر، بدع٢، ٧٤٣، ١٤)

ألوية

- (الألوية والرايات) أنها من شعار الحرب منذ عهد الخليقة، فلم تزل الأمم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي - صلى الله عليه وسلم! - ومن بعده من الخلفاء. وعند انقلاب الخلافة ملكًا اتّخذوها في ذلك زينة وتنويهًا. فكثيرًا ما كان العامل أو قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين والعبيديين لواء، ويخرج إلى عمله أو يبعثه في موكب من أصحاب الرايات. فلا يتميّز موكب العامل والخليفة إلّا بكثرة الألوية أو قلّتها، أو بما اختصّ به الخليفة من الألوان لرايته وبنده. (أزر، بدع٢، ٧٢٤، ٦)

إلياس

- إلياس عليه السلام وهو من سبط يوشع بن نون بعثه الله في أهل بعلبك وكانوا يعبدون صنمًا يقال له بعل وملكهم اسمه أحب وامرأته إزبيل، وكان يستخلفها على ملكه إذ غاب فتحكم بين الناس. وكان قتالة الأنبياء قد قتلت منهم بشرًا وهي بنت ملك صيدا وعمّرت عمرًا طويلًا وتزوّجها سبعة من ملوك بني إسرائيل (وما ملك إلا وتقتله). وهي التي قتلت يحيى بن زكريا. وقال الله عزّ وجلّ لإلياس سلني أعطك. فقال ترفعني إليك وتؤخّر عني مذاقة الموت. فرفعه الله إليه بعد أن كساه الريش وجعله أرضيًّا سمائيًّا ملكيًّا يطير مع الملائكة صلى الله عليهم وسلم. (قتي، خبط، ٢٣، ١٧)

إمارة الإستكفاء

- إمارة الاستكفاء أو إمارة التفويض، هي التي كان يعقدها الخليفة لمن يختاره من رجاله الأكفّاء، فيفوّض إليه إمارة الإقليم على جميع أهله، ويجعله عام النظر في كل أموره. ويشتمل نظره فيه على سبعة أمور: ١- تدبير الجيوش، وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاقهم (إلا إذا كان الخليفة قدّرها). ٢- النظر في الأحكام، وتقليد القضاة والحكام. ٣- جباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحقّ منهما. ٤- حماية الدين والدفاع عن الحريم. ٥- إقامة حدود الشرع. ٦- الإمامة في الصلوات. ٧- تيسير الحجّ. وإذا كان الإقليم المشار إليه متاخمًا لعدو، ترتّب على العامل أمر ثامن هو جهاد ذلك العدو، وقسمة الغنائم في المقاتلة. (زي، مدن١، ١٥٣، ٢٩)

إمارة الإستيلاء

- إمارة الإستيلاء أن يعقد الخليفة لأمير على إقليم اضطرارًا، بعد أن يستولي الأمير على ذلك الإقليم بالقوة. فكان الخليفة يثبته في

إمارته، ويفوّض إليه تدبير سياسته فيكون الأمير باستيلائه مستبدًّا بالسياسة والتدبير، ويكون الخليفة بإذنه منفِّذًا لأحكام الدين. ولهذه الإمارة شروط تفرض على الأمير في مقابل ذلك وهي: ١- حفظ منصب الإمامة في خلافة النبوّة وتدبير أمور الملّة. ٢- إلزام الناس بالتزام أشراط العقيدة. ٣- جمع الكلمة على الألفة والتناصر ليكون للمسلمين يد على من سواهم. ٤- أن تكون عقود الولايات الدينية جائزة والأحكام فيها نافذة. ٥- أن يكون استيفاء الأموال الشرعية بحق تبرأ به ذمّة مؤدّيها. ٦- أن تكون الحدود مستوفاة بحق وقائمة على مستحق. ٧- أن يهتمّ الأمير في حفظ الدين. ولأمير الاستيلاء أن يستخدم الوزراء وغيرهم. ومن هذه الإمارات ما انتهت إليه الدولة العباسية من التشعّب وظهور الدول الصغرى فيها، كالدولة الحمدانية والبويهية والغزنوية والأخشيدية وغيرها، وكلها كانت إمارات مستقلّة تدعو للخليفة على المنابر، وتضرب السكة باسمه، وترسل إليه مالًا معيّنًا في السنة يتمّ الاتّفاق عليه، وهو الذي يثبت أمراءها، ويكون الحكم متسلسلًا في أعقابهم. (زي، مدن١، ١٥٦، ٢)

إمارة التفويض

- إمارة الاستكفاء أو إمارة التفويض، هي التي كان يعقدها الخليفة لمن يختاره من رجاله الأكفّاء، فيفوّض إليه إمارة الإقليم على جميع أهله، ويجعله عام النظر في كل أموره. ويشتمل نظره فيه على سبعة أمور: ١- تدبير الجيوش، وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاقهم (إلا إذا كان الخليفة قدّرها). ٢- النظر في الأحكام، وتقليد القضاة والحكام. ٣- جباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحقّ منهما. ٤- حماية الدين والدفاع عن الحريم. ٥- إقامة حدود الشرع. ٦- الإمامة في الصلوات. ٧- تيسير الحجّ. وإذا كان الإقليم المشار إليه متاخمًا لعدو، ترتّب على العامل أمر ثامن هو جهاد ذلك العدو، وقسمة الغنائم في المقاتلة. (زي، مدن١، ١٥٣، ٢٩)

إمارة خاصة

- الإمارة الخاصة، فهي أن يكون الأمير فيها مقصورًا على تدبير الجيش، وسياسة الرعية، وحماية البيضة، والدفاع عن الحريم ضمن حدود معيّنة. وليس له أن يتعرّض للقضاء أو الأحكام أو لجباية الخراج أو الصدقات في شيء، حتى الإمامة في الصلاة، فربما كان القاضي أولَى بها منه. والخليفة يعيّن لهذه الإمارة قضاة وجباة من عنده، فالجباة يجمعون الخراج لحساب بيت المال المركزي، وهم يؤدّون أعطيات الجند وغيرها مما يجمعونه. والإمارات الخاصة كانت قليلة في إبان الدولة العباسية. (زي، مدن١، ١٥٦، ٢٠)

إمام

- تسميته (الملك) إمامًا فتشبيهًا بإمام الصلاة

في اتباعه والاقتداء به؛ ولهذا يقال الإمامة الكبرى. وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته، فيقال خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله. (خلد، قدم، ٥٧٩، ٢)

- شروط هذا المنصب (الإمام) فهي أربعة: العلم؛ والعدالة؛ والكفاية؛ وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثّر في الرأي والعمل. واختُلِف في شرط خامس وهو النسب القرشي. فأما اشتراط العلم فظاهر؛ لأنه إنما يكون منفذًا لأحكام الله تعالى إذا كان عالمًا بها، وما لم يعلمها لا يصحّ تقديمه لها. ولا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهدًا، لأن التقليد نقص؛ والإمامة تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال. وأما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها، فكان أولى باشتراطها فيه. ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها. وفي انتفائها بالبدع الاعتقادية خلاف. وأما الكفاية فهو أن يكون جريئًا على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرًا بها، كفيلًا بحمل الناس عليها، عارفًا بالعصبية وأحوال الدهاء، قويًا على معاناة السياسة؛ ليصحّ له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين، وجهاد العدو، وإقامة الأحكام، وتدبير المصالح. وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس، وما يؤثّر فقده من الأعضاء في العمل كفقد اليدين والرجلين والانثيين، فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل إليه. وإن كان إنما يشين في المنظر فقط، كفقد إحدى هذه الأعضاء، فشرط السلامة منه شرط كمال. (خلد، قدم، ٥٨٣، ١)

إمام معصوم

- "الإمام المعصوم". سمّي بذلك مهدي الموحّدين لأمرين: أحدهما: اعتقاد رأي "الشيعة" في وجوب نصب إمام معصوم يحفظ به نظام العالم في كل زمان. الثاني: الترفّع - عند أتباعه - عن "أمير المؤمنين"، لما فيها من مشاركة الوالدان من أعقاب أهل الخلافة يومئذٍ، شرقًا وغربًا، كذا قرّره ابن خلدون. قال: ثم انتحل ولي عهده عبد المؤمن الملقّب بـ"أمير المؤمنين"، وجرى عليه أعقابه من بعده، وآل أبي حفص من بعدهم، استئثارًا به عمّ سواهم، لوراثتهم ما جاء به إمامهم، ولذهاب عصبية قريش وتلاشيها. فكان ذلك دأبهم. (أزر، بدع٢، ٧٤٤، ١)

أمة

- جاء الإسلام بفكرة "الأمّة" وقد تركّزت هذه الفكرة في المدينة، ثم بدأت تستقرّ بصورة تدريجية في العراق. ودفع الإسلام بالقبائل إلى الاستقرار في الأمصار، وشجّع على إدخال أوليات الكتابة إلى الحياة الثقافية. (دو، نشأ، ١٣١، ١١)
- إن فكرة الأمة ظهر أثرها في جعل الاهتمام بالأخبار والقصص يتعدّى القبيلة

إلى المجتمع وبذلك فتحت الباب للدراسة التاريخية. (دو، نشأ، ١٣٢، ١٦)

- في التعريف العلمي للقومية والأمة عدّة شروط وقسمات لا بدّ من توافرها حتى نستطيع أن نقول إن هذه الجماعة البشرية أمة واحدة، وإنها تكوّن قومية واحدة من القوميات. وهذه الشروط والقسمات هي: ١- أن تكون لهذه الجماعة البشرية إقامة ثابتة في وطنها، بحيث لا يكون لقاؤها عرضًا ينتهي بالهجرات والرحيل. وأن يكون تكوين هذه الجماعة قد حدث خلال المراحل التاريخية، فأصبح طبيعيًّا راسخًا، وليس مجرّد عملية مصطنعة قهرية. وأن يكون المعيار الذي يحدّد الدخول في هذه الجماعة، والخروج منها مبرأ من النزعات القبلية والعرقية والعنصرية. ٢- أن تكون لهذه الجماعة البشرية لغة مشتركة. ٣- وأن تكون لها أرض مشتركة، تصبح بالنسبة لقسماتها القومية الوعاء الذي يتمّ فيه التفاعل والانصهار. بحيث تخلو من الحواجز الطبيعية والصناعية التي تحول دون هذا التفاعل وذلك الانصهار. ٤- وأن تكون لهذه الجماعة البشرية حياة اقتصادية مشتركة. ٥- وأن يكون لها تكوين نفسي مشترك، ينعكس ويتجسّد في ثقافتها العامة والمشتركة. (عم، وعى، ٩٥، ٣)

أمة عربية

- إن الأمة العربية من أعظم الأمم شأنًا وأجلّها مكانة غير أنها لم تصبح كذلك إلا بعد الإسلام وكانت قبله منحصرة في بقعتها، ليس لها في الخارج عنها كبير فعل ولا ذكر ولا في داخلها من الحكمة أو السياسة أو الصناعة أو الدين ما تمتاز به عن الأمم القديمة مثلها. (مط، مرأ، ٧٢، ١١)

- (الأمة العربية) إن لصراع هذه الأمة ضدّ أعدائها طابعًا حضاريًّا، موغلًا في القدم، وسابقًا على كل الملابسات الآنية والمتغيّرة، ووثيق الصلة بالطابع المميّز لهذه الأمة عن أعدائها. وهو "حسّاس" و"خطير" لأن هذه الأمة ليست مجرّد شعب يسعى للاستقلال والتقدّم، وإنما هي أمة صاحبة عطاء حضاري قديم. وهي اليوم لا تنشد حريتها وتقدّمها ووحدتها لتضيف، فقط، إلى معسكر الأحرار أمة جديدة، وإنما لتعود من جديد إلى مواصلة العطاء الحضاري، بل ولتقفز إلى صدارة الأمم التي مارست هذا اللون من العطاء عبر تاريخ الإنسانية الطويل. (عم، وعى، ١٣، ٢٠)

إملال

- كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، . . . متباينة في تحصيل الغرض، فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخلّ بكثير ممّا هو آتٍ، ومع ذلك فقد ترك كلّهم العظيم من الحادثات، وسوّد كثيرًا من الأوراق بصغائر الأعراض، والشرقي منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق، فكان الطالب إذا

أراد أن يطالع تاريخًا متّصلًا إلى وقته يحتاج إلى مجلّدات كثيرة وكتب متعدّدة، مع ما فيها من الإخلال والإملال (مقدمة). (أث، كمل، ١٢، ١٢)

أمم

- أصول الأمم من سالف الدهر سبعة: الفرس والكلدانيون واليونانيون والقبط والترك والهند والصين. ثم تفرّع كل واحدة من هذه الأمم إلى أمم وتشعّبت اللغات وتباينت الأديان. وكانوا جميعًا صابئة يعبدون الأصنام تمثيلًا للجواهر العلوية والأشخاص الفلكية. وهم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتان: طبقة عنيت بالعلوم كالكلدانيين والفرس وسائر من يأتي ذكره في موضعه، وطبقة لم تُعنَ بهذا كأهل الصين والترك والصقالبة والبرابر والحبشة ومن اتّصل بهم. (عب، خصر، ٣، ٣)

أمم متفرقة

- التأريخ هي مدّة معلومة تُعدُّ من لدن أوّل سنة ماضية كان فيها مبعث نبيّ بآيات وبرهان أو قيام ملك مسلَّط عظيم الشأن أو هلاك أمّة بطوفان عامّ مخرِّب أو زلزلة وخسف مبيد أو وباء مهلك أو قحط مستأصل أو انتقال دولة أو تبدُّل ملَّة أو حادثة عظيمة من الآيات السماويّة والعلامات المشهورة الأرضيّة التي لا تحدث إلّا في دهور متطاولة وأزمنة متراخية تعرف بها الأوقات المحدَّدة فلا غنى عنها في جميع الأحوال الدنياويّة والدينيّة. ولكلٍّ واحدة من الأمم المتفرّقة في الأقاليم تأريخ على حدة تعدُّها من أزمنة ملوكهم أو أنبيائهم أو دولهم أو سبب من الأسباب التي قدَّمت ذكرها وتستخرج بها ما يحتاج إليه في المعاملات ومعرفة الأوقات وتنفرد به دون غيره. (بير، بقي، ١٣، ١٦)

أموال محجرة

- الأموال المحجرة: وهي أموال كانوا يسمّونها لآلهتهم، وفيها النقد والحلى وربما أشبهت بيت المال. وكانت ولايتها في بني سهم. (زي، مدن١، ٣٩، ١٦)

أمير

- "الأمير". كانوا في صدر الإسلام يسمّون به قواد البعوث وهو "فعيل" من "أمر"، مبالغة في آمر، قال ابن خلدون: وكان الجاهلية يدعون النبي - صلى الله عليه وسلم! - "أمير مكّة" و"أمير الحجاز". (أزر، بدع٢، ٧٤٢، ١٦)

أمير المؤمنين

- أمير المؤمنين وما يتعلّق به وهو خليفة الله في أرضه وابن عمّ رسوله سيّد المرسلين ووارث الخلافة عنه، وقد جعله الله تعالى حاكمًا على جميع أرض الإسلام ولا يجوز أن يطلق في حقّ أحد لفظ سلطان من ملوك الشرق والغرب إلا إذا كان بالمبايعة منه. وقد أفتت بعض الأئمّة أنه من أقام

نفسه سلطانًا قهرًا بالسيف من غير مبايعة منه فيكون خارجيًا ولا يجوّز توليته أحد من النوّاب والقضاة، وإن فعل شيء من ذلك كان جميع حكمهم باطلًا وعقد الأنكحة باطل وفي ذلك أقوال كثيرة. (شاه، زبد، ٨٩، ٥)

- أمير المؤمنين، وفيه كلام من وجوه: أحدها: أن أول من تسمّى به عمر - رضي الله عنه! - لما بويع بعد أبي بكر - رضي الله عنه! -، استثقالًا لكثرة الإضافات في قولهم له قبل ذلك: "خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم! -؛ خصوصًا عند تزايد ذلك دائمًا إلى أن ينتهي إلى الهجنة، ويذهب منه التمييز، بتعدّد المضافات فعدلوا عنه إلى ما يناسبه ويدعى به مثله. الثاني: ذكر الشيخ أبو عمر - في التسمية به - علّتين: إحداهما: ما أشير إليه من كراهية الاستثقال، حيث قال: كان أبو بكر يقال له: "خليفة رسول الله" - صلى الله عليه وسلم!-. فكيف يقال لي: "خليفة خليفة؟"، يطول هذا. فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا، ونحن المؤمنون، فأنت "أمير المؤمنين". قال: فذاك إذن. الثانية: أن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما المدينة، وأناخا راحلتيهما بفناء المسجد. ثم دخلا، فإذا بهما: بعمرو بن العاص، فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين - يا عمرو! - فقال عمرو: أنتما - والله! - أصبتما اسمه. نحن المؤمنون، وهو أميرنا، فوثب عمرو، فدخل على عمر، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال: ما بدا لك في هذا الاسم؟ يعلم الله لتخرجن مما قلت. قال: إن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا وقالا لي استأذن لنا - يا عمرو! - على أمير المؤمنين. فهما - والله! - أصابا باسمك. أنت الأمير، ونحن المؤمنون، فجرى الأمر على ذلك. (أزر، بدع٢، ٧٣٨، ٢١)

أمير المسلمين

- "أمير المسلمين". دعي بذلك سعد بن أبي وقّاص - رضي الله عنه! -، لإمارته على جيش القادسية. وهم معظم المسلمين يومئذٍ. (أزر، بدع٢، ٧٤٣، ٩)

أميرال

- دار الصناعة يراد بدار الصناعة عندهم ما نعبّر عنه اليوم بالترسانة أو الترسخانة، وهما منقولتان عن تلك الكلمة. لأن الإفرنج لما فتحوا بلاد العرب كان في جملة ما اقتبسوه عنهم صناعة المراكب، كما اقتبسها العرب من أسلافهم، وسمّى الإسبان دار الصناعة Darsina, وأخذتها عنهم سائر لغات أوربا، فتقلّبت بالنحت حتى صارت أرسنال Arsenal، وأخذها العرب عن الإسبان Tarsanah بطريق التركية، فظنّوها تركية فعرّبوها ترس خانة أو ترسانة، وهي أولى أن تسمّى دار الصناعة. وقد يقال ذلك في اشتقاق لفظ "أميرال" Amiral

الإفرنجية عن "أمير البحر" العربية. (زي، مدن١، ٢١٩، ١٦)

أنباط

- الأنباط أصحاب مدين بطرا Petra بين فلسطين وشبه جزيرة سينا. وقد امتدّت سيطرتهم على تلك الجزيرة وما جاورها من جزيرة العرب إلى الحجاز. وكان الأنباط واسطة عقد التجارة بين الشرق والغرب، وقد عاصروا الرومان في إبّان مجدهم. (زي، مدن١، ٢٧، ١٨)
- الأنباط أو النبطيون قبائل بدوية نزحت من الأرض المعروفة اليوم بأرض "شرق الأردن" ونزلت جنوب سوريا وكوّنت لها مملكة امتدّت من غزّة شمالًا حتى العقبة جنوبًا، وعلى هذا اتّخذت هذه المملكة مكانًا هامًّا في طريق التجارة بين الشمال والجنوب، وكانت لهم إتاوة على التجارة الصاعدة والهابطة. وعاصمة الأنباط مدينة البتراء أو "بطرة" وهي مدينة شهيرة في بلاد العرب حتى اليوم، تمتاز بأنقاضها الضخمة وبخاصة أنقاض المعبد الذي كان به الآلهة التي عبدها سكان الأنباط، ولا تزال أعمدته الشاهقة شاهد صدق على ما وصلت له البتراء من حضارة ورقي. وقد بدأت دولة الأنباط في حوالى القرن الرابع ق.م. ولكنها بلغت غاية مجدها في القرن الأول الميلادي حيث امتدّت إلى دمشق التي أصبح حاكمها واليًا تابعًا لملك الأنباط، وهذا الوالي هو الذي حاول القبض على بولس الرسول. يقول بولس: "في دمشق والي الحارث الملك الذي يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني فتدلّيت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه. وامتدّت الأنباط في نفس القرن جنوبًا حتى مدائن صالح (الحجر) في شمال الحجاز. (شل، سلم، ١٠٣، ٣)

أنبياء

- الأنبياء والرسل إنما يختصّ بهم أكمل النوع في خلقهم وأخلاقهم. (خلد، قدم، ٣٨٧، ١٢)
- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه

مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٤، ١٤)

إنتخاب الخلفاء

- طريقة الخلفاء الراشدين في انتخاب الخلفاء من أفضل ما بلغ إليه جهد المتمدّنين حتى الآن، وهي جامعة بين الجمهورية والملكية والشورى، أما الجمهورية فلأن الخليفة كان ينتخب من جمهور القرشيين بلا حصر ولا تعيين، وهي شورية لأن الانتخاب يكون بالشورى، وهي مطلقة لأن الخليفة إذا قبض على أزمة الملك كان مطلق التصرّف. (زي، مدن١، ١٣٠، ١٨)

إنتقاء

- الانتقاء: ولا مفرّ من المفاضلة بين الحقائق المفردة والاستمساك ببعضها وصرف النظر عن البعض الآخر. فإنها تكثر في غالب الأحيان فتربو على الألوف وعشرات الألوف. ويضطرّ المؤرّخ إما لضيق وقته أو لقلّة مورده أن ينتقي مما تجمّع لديه من الحقائق ما يؤثّره على غيره. فيجدر به أن يتبع خطّة معيّنة في الانتقاء. ولا نرى في ملء هذه الظروف أفضل من تنسيق الحقائق المفردة على أساس علاقتها بالحاضر. فما يعاوننا منها على فهم الحاضر هو أهم بدرجات من غيره إذ القصد من درس الماضي إنما هو فهم الحاضر وإعداد العدّة للمستقبل. (رس، مصط، ١٢٢، ١)

إنتقاء الحقائق المفردة

- قد يقول المؤرّخ بوجوب انتقاء الحقائق المفردة على أساس علاقتها بالحاضر، ولكنه يبقى في حيرة من أمره إما لكثرة الحقائق الباقية أو لشدّة اختلافها من حيث النوع أو الموضوع أو الاثنين معًا أو ما شاكل ذلك. فيجدر به عندئذٍ أن يعيد النظر فيها ليتأكّد من شدّة علاقة بعضها بالحاضر فيؤثره على غيره. وحيث تختلف في النوع أو الموضوع، يحسن به أن يقدّم ما يتعلّق منها بالمجتمع الكبير على الجماعات التي تؤلّفه، وما يتعلّق بالجماعات على الأفراد. هذا ولا يغرب عن البال بأن سير الأفراد تتفاوت في شدّة ارتباطها بحياة المجموع. (رس، مصط، ١٢٣، ١٣)

إنتقائية

- الماركسية، بالنسبة للعرب، هي أساسًا مدرسة للفكر التاريخي، وهذا الأخير هو مقياس المعاصرة. بدونه تغرق كل فكرة في بحر الحاضر الدائم أي ترجع إلى

أرضية الفكر السلفي. إن السلفية والانتقائية وهما المميّزين لذهنيتنا الحاضرة، تسبحان في الحاضر الدائم، وهذا هو سبب عدم انتفاع المجتمع العربي بمثقفيه منذ عقود. إن المثقّف عندنا لا يتحرّر فعلًا، فلا يعين مجتمعه على التحرّر، لأنه ينفصل دائمًا عن المحيط الذي يعيش فيه وينتقل إلى عالم ماض يجعل منه الحقيقة المطلقة. ورغم تبجّحه بالعمل السياسي، فإنه لا يؤثّر إطلاقًا في الأوضاع ويترك التأثير لدعاة الاستمرار. إن السلاح الوحيد ضدّ اللاتأثير هو كسب الفكر التاريخي الذي لا يتعلّم من دراسة التاريخ، كما يتبادر إلى الذهن، بل يتطلّب الإقتناع بنظرية في التاريخ وهذه لا توجد اليوم بكيفية شاملة ومقنعة إلا في الماركسية. (عر، فكر، ٦٠، ١٧)

إنتقال الملك

- إنتقال الملك من مؤسسه إلى غير من هو من صلبه يعلّل لذلك بقوله - ابن الأثير - : "والذي أظنّه السبب في ذلك أن الذي يكون أوّل دولة يكبر ويأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلّقة به، فلهذا يحرمه الله أعقابه". فهذا التعليل غير قويّ، وإنّما هو يرتكز على الظن لا على أساس متين. ومن خصائصه أنّه كان يضبط في آخر كلّ سنة أو فصل الأسماء بالحركات ويقيّدها إزالة لكلّ لبس؛ كما أنّه كان إذا ذكر فتح بلد أو ناحية شرح اسم البلد ولم سمي به، وممّ اشتقّ هذا الاسم (مقدمة). (أث، كمل، ١٤، ١١)

إنجيل

- كتبوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه، في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم: فكتب متّى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية، ونقله يُوحنّا بن زبدي منهم إلى اللسان اللطيني، وكتب لوقا منهم إنجيله باللطيني إلى بعض أكابر الروم؛ وكتب يوحنّا ابن زبدي منهم إنجيله برومة؛ وكتب بطرس إنجيله باللطيني ونسبه إلى مرقاص تلميذه. واختلفت هذه النسخ الأربع من الإنجيل. مع أنها ليست كلها وحيًا صرفًا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام، وبكلام الحواريين؛ وكلها مواعظ وقصص؛ والأحكام فيها قليلة جدًّا. واجتمع الحورايون الرسل لذلك العهد برومة، ووضعوا قوانين الملّة النصرانية، وصيّروها بيد أقليمنطس تلميذ بطرس، وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها. (خلد، قدم، ٦٥٠، ١٠)

إنحطاط

- إن الانحطاط لا معنى له في منظور التراثيين كذلك مفهوم التجديد يخرج عن تصوّرهم، إذا كان التجديد ينحصر في الصور والأشكال، في المظاهر الخارجية للحياة الاجتماعية فهذا يعني ترديدًا لمضمون واحد وهو أساس التكرار في التعبير وإذا كان يهدف إلى معان مستحدثة

حينئذٍ يكون خروجًا عن المقصد وقضاء على الثقافة كوحدة متكاملة متميّزة. قد يطمح المرء إلى الجدة، قد يختارها كخطة، لكنه لن يحقّقها أبدًا في إطار تراث معيّن. وفيما يتعلّق بإسلام اليوم: إن أنصار الماضي لا يهدفون إلى التجديد، والليبراليين يقلّدون جدة الغير، والفئة الثالثة (أنصار الإصلاح) يرضخون للواقع بدون إفصاح عن ذلك. عندما يكون ذلك الواقع قد تخطّاه الزمن؛ الفئة الأولى لا ترى أن الإسلام اكتمل منذ قرون، تحقّق فعلًا في إطار أسئلة وأجوبة معيّنة لا تتغيّر، الفئة الثانية تقدّس الغير ولا تجرؤ على الإبداع، والثالثة عاجزة عن إدراك أن الثقافات وحدات متكاملة لا تتلاقح حسب المشيئة الفردية وبدون نواميس قارة. (عر، فكر، ١١٦، ٢)

أندلس

- (الأندلس) كقرطبة وأشبيلية وغرناطة وبلنسية فتحت في أيام الوليد بن عبد الملك وجلب إليها العلم لكن اشتهر بها العلم والحدي في المائة الثالثة بابن حبيب ويحيى بن يحيى وأصحابهما ثم بقي مخلد ومحمد بن وضاح وخرج منها مثل ابن عبد البر وأبي عمرو الداني وابن حزم وأبي الوليد الباجي وأبي علي الغساني، ولم يزل بها إثارة من علم إلى أن استولى على قرطبة وإشبيلية النصارى فتناقص بها العلم. (سخ، ذم، ١٤٠، ٩)

أنساب

- أما عرب الحجاز وبدو نجد فكان لهم في تراثهم الثقافي الشفهي قصص تاريخي يتمثّل في "الأيام" المعروفة، ولهم حفظ الأنساب وما يتعلّق بها. لكن التاريخ العربي بعد الإسلام لم يكن تطورًا لتلك الأسس التاريخية الأولى في اليمن أو الجزيرة أو الشام. ثمّة انقطاع بين العهدين لكن صلة عملية التدوين التاريخي الإسلامي بالقصص التاريخي الجاهلي وأيام العرب وبعلم الأنساب تفرض التساؤل عن مدى صلة التطوّر والاستمرار بين الطرفين؟ أ- فأما المادة التاريخية الجاهلية فنوعان: بعضها قصص ديني وثني أو يهودي أو مسيحي نقله الأحبار والرهبان معهم أو أخبار من التاريخ الفارسي كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي في القرآن، وما يحكى من أخبار الأولين، ونجد شيئًا من أصداء هذه المعارف ولا سيما ما يتعلّق بأهل الكتاب في القرآن الكريم. وأما النوع الآخر فروايات جماعية، بدوية المنشأ تروي النزاع القبلي، وتحمل اسم "الأيام" وتضمّ ذكريات التاريخ البدوي للقبائل. وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية إلا أن صلتها بالتأريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة. إنها قصص مرسل مقطوع الصلة بالزمن أو يحمل فكرة جدّ غامضة عنه ويقدّم روايات مسجّلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية. ... ب- وأما

الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية الملحّة للتعارف والتمايز. إنها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يعمل على تكوينها. هي في الواقع: التاريخ الأنتروبولوجي التقليدي والهيكل العام للفكرة التاريخية. وبالرغم من أنها أكثر تاريخية من القصص باعتبارها شكل من أشكال التعبير التأريخي يسجّل إطار التكوّن القبلي، إلا أن المعلومات التاريخية الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة بعد الإسلام، وتحوم حول شكلها المسجّل من بعد شكوك كثيرة. (مص، رخ١، ٥٥، ١٤)

- إن الحاجات الإدارية كتنظيم العطاء وإسكان القبائل في الأمصار أدّت إلى وضع سجلات بالأنساب وعززت الاهتمام بها. يضاف إلى ذلك الخصومات القبلية، وأثر الأوضاع السياسية على وضع القبائل، وظهور أرستقراطية جديدة في الإسلام، والعوامل الاجتماعية، وكل هذه شجّعت دراسات الأنساب. وأخيرًا فإن المناقشات مع الشعوبية وتهجّم هؤلاء على الأنساب أدّت إلى تأكيد جديد على دراسة الأنساب. جاءت المعلومات عن الأنساب في الشعر، خاصة شعر النقائض، وفي الروايات العائلية والقبلية، وفي سجلات دواوين الجند. ظهر النسّابون الأولون في الفترة الأموية. وكانت عنايتهم محدودة بأنساب قبيلة من القبائل. ثم ظهر نسّابون عنوا بأنساب أكثر من قبيلة، وذلك في فترة جمع الروايات في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. (دو، نشأ، ٤٠، ٧)

- ابن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣م) قام بدراسات في الأنساب واللغة والتاريخ. وتشير دراساته للأنساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية معتمدًا كما ادّعى على أفضل نسابة في كل قبيلة. وبالإضافة إلى ذلك فإنه رجع إلى شعر النقائض ودرس نقائض الفرزدق على الشاعر الكبير نفسه. (دو، نشأ، ٤٠، ١٩)

إنسان

- عند بعضهم أنّ آدم تولّد من رطوبة الأرض كما يتولّد سائر الهوامّ وكان جلده كقشر السمك، ثمّ لمّا أتى الزمان عليه جفّ وسقط عنه وعند آخر لم يظهر بكماله وأنّها ظهر شيئًا بعد شيء ثمّ تركّبت واتّصلت على مرور الزمان وصار إنسانًا تامًّا. واختلف المنجّمون في ذلك فمنهم من يزعم أنّ الفلك دار كذا وكذا ألف سنة فكلّما دار على استقامة ظهر نوع من الخلق إلى أن دار على أتمّ الاستقامة وأكمل الاعتدال فظهر هذا الإنسان الذي لا شيء أكمل ولا أفضل منه. (بلخ، بد٢، ٧٦، ١)

- منهم من يزعم أنّ الفلك لمّا دار على استقامة ظهرت البهائم ثمّ دار على أعدل من ذلك فأظهر القرد وكاد يكون إنسانًا، ولا شيء أشبه به منه، ثمّ دار على غاية العدل فأظهر الإنسان واختلف سائر الأمم في ذلك، فزعمت فرقة من الهند أنّ أوّل

ما كان من ظهور الإنسان أنّ السماء ذَكَرٌ والأرض أنثى وأنّه مطرت السماء فقبلَت الأرض ماءها بمنزلة قبول المرأة ماء الرجل في رحمها وأَجَلَها الفلك بسرعة جَرْيه ودورانه فبدا أوّل ما بدا هذا النبت الشبيه بالإنسان الذي يُسمَّى بروح الصَنَميّ، ثُمّ ألحّ عليه الفلك بدورانه حتّى أقلع من منبته وأفاده حركة مكانته فصار إنسانًا يسعى. (بلخ، بد٢، ٧٦، ٨)

إنسياح التاريخ في الجغرافيا

- انسياح التاريخ في الجغرافيا يعود في الواقع إلى القرن الثالث وجغرافييه من أمثال: البلاذري واليعقوبي وابن رسته وابن الفقيه الهمذاني وابن خرداذبه. فقد كانوا مؤرّخين وجغرافيين في وقت معًا ولم يستطيعوا التحرّر عند التأليف والبحث الجغرافي من ضغط معلوماتهم التاريخية على الأقلام. فابن خرداذبه لم يضع معلوماته التاريخية في مؤلّفه التاريخي الضائع، ولكنّا نجد الكثير منها في كتابه المعروف (المسالك والممالك) الذي استخرج منه المستشرق كريمر ميزانية الدولة الإسلامية لأواسط القرن الثالث والذي نجد فيه وصف طرق التجارة بين الصين وبلاد الإسلام والغرب في روسيا وأوروبا والبحر المتوسط، وكذلك فعل اليعقوبي الذي وضع مع تاريخه "كتاب البلدان" بعد أن عُني بعلم أخبار البلدان - حسب قوله - منذ عنفوان شبابه، ويحفل كتابه بجانب أمور الخراج بالملاحظات الاتنوغرافية والإشارة إلى الصناعة والفنون وطبغرافية المدن. وإذا تركنا جانبًا كتاب البلاذري الذي هو كتاب تاريخ رغم معلوماته الجغرافية نجد أن كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني يشبه كتاب اليعقوبي في الهدف وإن غلب عليه الأدب والتاريخ في النهج والرواية. ومع أنه لم يصلنا من الكتاب الذي كان في خمس مجلّدات إلا مختصره فهو يكفي لبيان صفته الأدبية التاريخية رغم عنوانه الجغرافي، ولبيان أنه أقرب إلى تاريخ الحضارة منه إلى ميدان الجغرافية. (مص، رخ٢، ٦٨، ٦)

أنصار

- اصطلح المؤرّخون على إطلاق كلمة المهاجرين على المسلمين الذين انتقلوا من مكّة إلى المدينة، وكلمة الأنصار على مسلمي المدينة، ومن الملاحظ أن المهاجرين كانوا فقراء تركوا متاعهم وثرواتهم ونزحوا بدينهم وعقيدتهم إلى المدينة، وقد عقد الرسول بين طوائف المسلمين أخوّة، فاتّخذ هو عليًا بن أبي طالب أخًا له، وآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد بن زهير، وبين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وهكذا، فربط الرسول بين المهاجرين والأنصار، وبذلك أصبحت كل أسرة مرتبطة بأسر كثيرة عن طريق هذه المؤاخاة، وكان لهذه المؤاخاة قوة أخوّة النسب بما في ذلك الميراث حتى نزلت آيات المواريث، وبهذه المؤاخاة خلق الرسول وحدة دينية بدل الوحدة القبلية التي

كانت سائدة عند العرب. (شل، سلم، ٢٤٧، ١٠)

أنصار الإصلاح

- إن الانحطاط لا معنى له في منظور التراثيين كذلك مفهوم التجديد يخرج عن تصوّرهم، إذا كان التجديد ينحصر في الصور والأشكال، في المظاهر الخارجية للحياة الاجتماعية فهذا يعني ترديدًا لمضمون واحد وهو أساس التكرار في التعبير، وإذا كان يهدف إلى معان مستحدثة حينئذٍ يكون خروجًا عن المقصد وقضاء على الثقافة كوحدة متكاملة متميّزة. قد يطمح المرء إلى الجدة، قد يختارها كخطة، لكنه لن يحقّقها أبدًا في إطار تراث معيّن. وفيما يتعلّق بإسلام اليوم: إن أنصار الماضي لا يهدفون إلى التجديد، والليبراليين يقلّدون جدة الغير، والفئة الثالثة (أنصار الإصلاح) يرضخون للواقع بدون إفصاح عن ذلك. عندما يكون ذلك الواقع قد تخطّاه الزمن؛ الفئة الأولى لا ترى أن الإسلام اكتمل منذ قرون، تحقّق فعلًا في إطار أسئلة وأجوبة معيّنة لا تتغيّر، الفئة الثانية تقدّس الغير ولا تجرؤ على الإبداع، والثالثة عاجزة عن إدراك أن الثقافات وحدات متكاملة لا تتلاقح حسب المشيئة الفردية وبدون نواميس قارة. (عر، فكر، ١١٦، ٩)

أنواع الملوك

- أنواع الملوك

أنواع الملوك	الألقاب الواقعة على أشخاص تلك الأنواع
ملوك الفرس الساسانيّة	شاهنشاه وكسرى
ملوك الرُّوم	باسلي وهو قيصر
ملوك الإسكندريَّة	بطلميوس
ملوك اليمن	تُبَّع
ملوك التُّرك الخزر والتغزغز	خاقان
ملوك التُّرك الغُزِّيّة	حنوته
ملوك الصِّين	بغبور
ملوك الهند	بلهرا
ملوك قنُّوج	راق
ملوك الحبشة	النَّجاشيّ
ملوك النُّوبة	كابيل
ملوك جزائر البحر الشرقيّ	مهراج
ملوك جبال طبرستان	اصْفَهْبَذ
ملوك نباوند	مَصْمَغان
ملوك غَرْجِسْتان	شار
ملوك سَرْخَس	زاذويه
ملوك نسا وأبِيوَرْد	بهمنه
ملوك كَشٍّ	نيدون
ملوك فَرْغانة	اخْشيد
ملوك أشرُوشَنَة	أفْشين
ملوك الشَّاش	تدن
ملوك مَرْو	ماهويه
ملوك نَيسابُور	كنبار
ملوك سَمَرْقَنْد	طرخون
ملوك السَّرير	الحجّاج
ملوك دَهِسْتان	صول

ملوك جُرْجان	اناهيذ
ملوك الصَّقالبة	قبَّار
ملوك السُّريانيّين	نِمْرُوذ
ملوك القبط	فرعون
ملوك باميان	شيرِباميان
ملوك مصر	العزيز
ملوك كابُل	كابل شاه
ملوك التِّرْمذ	ترمذ شاه
ملوك خوارزم	خوارزم شاه
ملوك شروان	شروان شاه
ملوك بخارا	بخارخداه
ملوك كوزكانان	كوزكان خذاه

(بير، بقي، ١٠٠، ١٩)

أهل البدو

- أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيّئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شرّ؛ قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه" (صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد...، ح ٢٦٥٨، ٤/٢٠٤٧ . بلفظ: "ما من مولود إلا يولد..."). وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه: فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته وبعد عن الشرّ وصعب عليه طريقه؛ وكذا صاحب الشرّ إذا سبقت إليه أيضًا عوائده. وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها، قد تلوّثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشرّ، وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك. (خلد، قدم، ٤٧٤، ٦)

- أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة، وانغمسوا في النعيم والترف، ووكّلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولّت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم، فلا تهيجهم هَيْعَة - صوت مفزع - ولا يُنفِّر لهم صيد؛ فهم غارُّون آمنون، قد ألقوا السلاح، وتوالت على ذلك منهم الأجيال، وتنزّلوا منزلة النساء والولدان الذي هم عيال على أبي مثواهم؛ حتى صار ذلك خلقًا يتنزّل منزلة الطبيعة. وأهل البدو لتفرّدهم عن المجتمع، وتوحّشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلّونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم. فهم دائمًا يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوع إلا غرارًا في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب، ويتوجّسون للنبات والهيعات، ويتفرّدون في القفر والبيداء، مُدِلِّين ببأسهم؛ قد صار لهم البأس خلقًا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم

أو استنفرهم صارخ. (خلد، قدم، ٤٧٨، ١٢)

أهل التاريخ

- أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس أو رفعوا أناسًا إما التعصّب أو جهل أو لمجرّد اعتماد على نقل من لا يوثق به أو لغير ذلك من الأسباب، والجهل في المؤرّخين كثر منه في أهل الجرح والتعديل وكذلك التعصّب قل أن رأيت تاريخًا خاليًا منه. (سخ، ذم، ٧٣، ١٠)

أهل الحضر

- أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيّئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شرّ؛ قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه" (صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد...، ح ٢٦٥٨، ٤/٢٠٤٧ . بلفظ: "ما من مولود إلا يولد..."). وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه: فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته وبعد عن الشرّ وصعب عليه طريقه؛ وكذا صاحب الشرّ إذا سبقت إليه أيضًا عوائده. وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها، قد تلوّثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشرّ، وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك. (خلد، قدم، ٤٧٤، ٧)

- أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة، وانغمسوا في النعيم والترف، ووكّلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولّت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم، فلا تهيجهم هَيْعَة - صوت مفزع - ولا يُنفَّر لهم صيد؛ فهم غارُّون آمنون، قد ألقوا السلاح، وتوالت على ذلك منهم الأجيال، وتنزّلوا منزلة النساء والولدان الذي هم عيال على أبي مثواهم؛ حتى صار ذلك خلقًا يتنزّل منزلة الطبيعة. وأهل البدو لتفرّدهم عن المجتمع، وتوحّشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلّونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم. فهم دائمًا يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوع إلا غرارًا في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب، ويتوجّسون للنبات والهيعات، ويتفرّدون في القفر والبيداء، مُدِلِّين ببأسهم؛ قد صار لهم البأس خلقًا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم أو استنفرهم صارخ. (خلد، قدم، ٤٧٨، ٦)

أهل الخراج

- القرى، أما القرى فقد كان سكانها الفلاحين من أهل البلاد الأصليين، ويسمّونهم "أهل الخراج"، فهؤلاء يعملون بالأجرة أو شركاء لأصحاب الأملاك من الخلفاء أو الأمراء، أو من ينتمي إليهم من الأعيان، وخصوصًا الدهاقين في العراق وفارس، وهم أصحاب الإقطاعات الكبرى قبل الإسلام. فلما كان الإسلام تقرّب أولئك الدهاقين من الحكومة بأموالهم ونفوذهم في أهل بلادهم. ويندر أن يكون للفلاحين ملك خاص بهم لأسباب. (زي، مدن٢، ١٧٤، ١٣)

أهل الذمة

- أما العرب فقد اشترطوا مع دفع المال الخضوع لهم عملًا بنص الآية: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)، وكانوا مع ذلك يتعهّدون بحماية الذين يدفعون الجزية أي يعتبرونهم في ذمّتهم، ولهذا فقد سمّوا أهل الذمّة. والغالب أن يراد بها حماية أهل البلاد الأصليين من حكامهم الروم، لأنهم كانوا يريدون الخروج من طاعتهم وهم يخافون سطوتهم. (زي، مدن١، ٨١، ٢٧)

أهل الردّة

- (أهل الردّة) لما قبض رسول الله "صلوات الله عليه وسلامه" ارتدّ ناس من الأعراب عن الإسلام، وامتنعوا من أداء الزكاة، وقالوا: لو كان محمد نبيًّا لما مات. فوعظهم ذوو اللب والعقل، وقالوا لهم: أخبرونا عن الأنبياء "عليهم السلام" هل تقرّون بنبوّتهم؟ قالوا: نعم. قالوا: فهل ماتوا؟ قالوا: نعم. فما الذي تنكرونه من نبوة محمد "عليه السلام" فلم ينجع القول فيهم، فجهز أبو بكر "رضي الله عنه" إلى كل طائفة منهم جيشًا، فتوجّهت الجيوش إليهم وقاتلتهم وكانت الغلبة للجيوش الإسلامية فأبادتهم قتلًا وأسرًا، ورجع من تبقى منهم إلى الإسلام، وأدّى الزكاة. ومن وقائعها فتنة مسيلمة الكذاب. (طق، فخر، ٥١، ٥)

أهلّة

- الأهلّة قل هي مواقيتُ للناس والحج قال: سألوا (لِمَ جُعِلت) هذه الأهلّة؟ فأنزل الله ما تسمعون: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩). (فجعلها الله لصوم المسلمين وإفطارهم) (في الأصل ممسوح والزيادة من ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، المجلدة الأولى ص ٢١). وحجّهم ومناسكهم وعدد نسائهم (ومحال ديونهم) في أشياء والله أعلم بما يصلح خلقه. (خ، تارخ، ٤٩، ٧)

أورشليم

- (شام بن نوح) وُلد له أرفخشد وعمره مائة سنة وسنة واحدة. وجميع أيامه ستمائة سنة. وقيل إن نوح أوصى إلى شام ابنه وقال له: إني إذا متُّ فأخرج تابوت أبينا آدم من الفلك وخذ معك من أولادك ملكيزدق لأنه كاهن الله تعالى وسيرا معًا

بالتابوت إلى حيث يهديكما ملاك الرب. فعملا بهذه الوصية وهداهما الملاك إلى جبل بيت المقدس ووضعا التابوت على قلّة هناك فغاص فيها. فعاد شام إلى أهله ولم يعد ملكيزدق لكنه بنى ثمّ مدينة اسمها أورشليم أي قرية السلام ولذلك تَسمَّى هو أيضًا مليخ شليم أي ملك السلام وسكنها باقي أيامه لهجًا بالعبادة، وما غشي امرأة ولا أراق دمًا وكان قربانه خبزًا وخمرًا فقط. ولأن الكتاب الإلهي أبان عن عظم شأنه وأعرض عن إبانة نسبه وتاريخَي ولادته ووفاته. (عب، خصر، ١٠، ٨)

أوطان خالية من العصبيات

- الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها، ويكون سلطانها وازعًا لقلّة الهَرْج والانتقاض، ولا تحتاج الدولة فيها إلى كثير من العصبية، كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد، إذ هي خلو من القبائل والعصبيات كأن لم يكن الشام معدنًا لهم. (خلد، قدم، ٥٣٨، ٣)

أول ملك

- ذكر المؤرّخون أن أول ملك وضع في الأرض، "كيومرت" بن آدم - عليه السلام! - فساروا إليه وعرّفوه حاجتهم إلى ملك قيم، وقالوا له: أنت أكبرنا وأشرفنا وبقية أبينا، وليس في العصر من يوازيك، فاضمم أمرنا إليك، وكن القائم فينا، فإننا سمعك وطاعتك والقائلون بما تراه. فأجابهم إلى ما دعوه إليه، واستوثق منهم توكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه. فلما وضع التاج على رأسه، قال: إن النعمة لا تدوم، إلا بالشكر. وإنا نحمد الله على أياديه، ونشكره على نعمه، ونرغب إليه في مزيدها، ونسأله المعونة على ما دفعنا إليه، وحسن الهداية إلى العقل الذي يجمع الشمل ويصفّي العيش. فثقوا بالعدل منّا، وأنصفونا من أنفسكم نوردكم فضل ما في هممكم. والسلام. (أزر، بدع١، ١٣١، ١٦)

أيام

- أما عرب الحجاز وبدو نجد فكان لهم في تراثهم الثقافي الشفهي قصص تاريخي يتمثّل في "الأيام" المعروفة، ولهم حفظ الأنساب وما يتعلّق بها. لكن التاريخ العربي بعد الإسلام لم يكن تطورًا لتلك الأسس التاريخية الأولى في اليمن أو الجزيرة أو الشام. ثمّة انقطاع بين العهدين لكن صلة عملية التدوين التاريخي الإسلامي بالقصص التاريخي الجاهلي وأيام العرب وبعلم الأنساب تفرض التساؤل عن مدى صلة التطوّر والاستمرار بين الطرفين؟ أ- فأما المادة التاريخية الجاهلية فنوعان: بعضها قصص ديني وثني أو يهودي أو مسيحي نقله الأحبار والرهبان معهم أو أخبار من التاريخ الفارسي كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي في القرآن، وما يحكى من أخبار الأولين، ونجد شيئًا

من أصداء هذه المعارف ولا سيما ما يتعلّق بأهل الكتاب في القرآن الكريم. وأما النوع الآخر فروايات جماعية، بدوية المنشأ تروي النزاع القبلي، وتحمل اسم "الأيام" وتضمّ ذكريات التاريخ البدوي للقبائل. وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية إلا أن صلتها بالتأريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة. إنها قصص مرسل مقطوع الصلة بالزمن أو يحمل فكرة جدّ غامضة عنه ويقدّم روايات مسجّلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية. ... ب- وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية الملحّة للتعارف والتمايز. إنها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يعمل على تكوينها. هي في الواقع: التاريخ الأنتروبولوجي التقليدي والهيكل العام للفكرة التاريخية. وبالرغم من أنها أكثر تاريخية من القصص باعتبارها شكل من أشكال التعبير التأريخي يسجّل إطار التكوّن القبلي، إلا أن المعلومات التاريخية الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة بعد الإسلام، وتحوم حول شكلها المسجّل من بعد شكوك كثيرة. (مص، رخ١، ٥٤، ٣)

- "الأخبار" و"الأيام" فطابعها السياسي أكثر وضوحًا ومرجع ذلك إلى المعتقدات الدينية - السياسية لأصحابها أو لكونهم ينتمون لأحزاب أو قبائل داخلة في الصراع السياسي لعصرها. (أوم، نهج، ٢٠، ١٧)

إيجابية تاريخية

- الإيجابية التاريخية La positivité historique أي التزام الدقّة العلمية في كتابة التاريخ مع البحث عن المنطق الدقيق وراء كل حادث وتطوّر. وقد لقيت الإيجابية التاريخية نجاحًا كبيرًا وجعلت أي مُقْدِم على التأليف في التاريخ يبذل غاية وسعه في استقصاء مادته وتنقيتها وتحليلها بأقصى ما يستطاع من الدقّة أي بأدقّ ما يستطاع من المنطق. (علف، فت، ١٠١، ١٢)

إيديولوجيا

- يتلخّص الفرق بين العلم والإيديولوجيا في الفرق بين الوعي الصحيح والوعي الخاطئ. (عر، فكر، ٢٤، ٢٤)

إيديولوجيا متغلّبة في مجتمع عربي

- ما هي الإيديولوجيا المتغلّبة في المجتمع العربي؟ لا نعني إيدولوجيا المثقفين كما تعبّر عنها بعض الأندية الثقافية في العواصم الكبرى، ولا الإيديولوجيا الرسمية، ولا الثقافة الشعبية كانعكاس لحياة الشعب. إنما نعني القواعد الذهنية المتبطّنة في سلوك الأفراد، وفي احلام الرجال ورسوم الأطفال، في الآداب الريفية ونفسانيات الأبطال الروائية، في نصائح الأمهات ودروس التربية الأخلاقية. هذه الإيديولوجيا هي منطلق تصوّر الأحوال السياسية العامة، الداخلية والخارجية، وعلى أساسها تتّخذ قراراتها

كل الفئات المتصارعة على النطاق المحلي والعربي. (عر، فكر، ١٦، ٢١)

إيسار

- الإيسار: وهي الأزلام التي كانوا يستقسمون بها بالاستخارة ونحوها إذا همّوا بأمر عام من سفر أو قتال، فكانوا يستقسمون بالأزلام بما يشبه سحب القرعة عندنا، وكان يتولّى ذلك رجل من بني جمح. (زي، مدن١، ٣٩، ١١)

إيضاح التاريخ

- (التعليل) بإمكان المؤرّخ أن يوضح الوقائع الماضية على طريقة علماء الطبيعة. فإنك لو طلبت إلى أحد هؤلاء أن يوضح أو يعلّل لك ظاهرة من ظواهر هذه العلوم، لبدأ بوصفها ثم استطرد إلى ذكر خصائصها وعلاقاتها بمثل غيرها من الظواهر. غير أن هذه الأمور كلها لا تخرج عن أنها وجوه مختلفة لحقيقة واحدة. وليس علمنا بها إلا مجموعة لهذه الوجوه فتعليل علماء الطبيعة لظواهر الطبيعة ليس إلا وصفًا لخصائصها ومميزاتها. والآن إذا بدلنا الوصف بالقصة قلنا إنه بإمكان المؤرّخ أن يوضح الوقائع الماضية على طريقة علماء الطبيعة. فحيث تضطرّه الظروف لإيضاح بعض الحقائق يأتي بحقائق أخرى توضح ما سبق سرده من حوادث الماضي. فإما أن يزيدنا علمًا ببعض الحوادث التي سبقت وقوع ما يروي أو أن يذكر حوادث أخرى وقعت في الوقت نفسه وأثّرت فيما يروي. مما يسوقنا إلى القول بأن الفرق بين التاريخ وإيضاح التاريخ من هذه الناحية إنما هو فرق في الكم لا الكيف. (رس، مصط، ١٣٤، ١٥)

أيوب

- أيوب بن صوص بن رعويل وكان أبوه ممن آمن لإبراهيم يوم أحرق، وكان أيوب في زمن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وكان صهره وكانت تحته بنت ليعقوب يقال لها إليا وهي التي ضربها بالضغث. وكانت أم أيوب بنت لوط صلى الله عليه وسلم. وكانت لها البتنيه وهي مدينة بالشام. (قتي، خبط، ١٩، ١٩)

إيوليوس

- إيوليوس ومعناه ملك العالم. (بير، بقي، ٩٢، ١٩)

ب

باحث

- يقال إن الباحث لا يختار الموضوع التاريخي، ولكن الموضوع التاريخي هو الذي يختار الباحث. فعلى الباحث أن يرتاد المناطق المجهولة، وأن يشحذ أسلحته وكفايته، ويتحدّث، ويفكّر، حتى ينبثق أمامه الضوء الجديد. (عث، بحث، ٥٤، ٢٤)

- ينبغي أن يلاحظ الباحث عند التفكير في اختيار موضوع بحثه ميله - بغير تحيّز - أو استعداده الخاص، سواء أكان ذلك في الناحية السياسية أم الإقتصادية أم الدينية أم العسكرية أم الحضارية... وليس هناك ما يدعو الباحث إلى أن يقسر نفسه على ولوج ميدان لا يشعر في نفسه بالميل إليه. وعلى العكس فإن طَرْقَ المجال الذي يميل إليه الباحث يجعله أقدر على العمل وأقوى على كشف الحقائق التاريخية. ومن الضروري للباحث أن يمرّ كذلك خلال المرحلة التالية، قبل أن يستقر على اختيار موضوع معيّن، وتلخّص هذه المرحلة فيما يلي: هل الموضوع الذي فكّر فيه الباحث يحتاج إلى أن يُبحث؟ ألم يبحث من قبل بحثًا علميًّا؟ أم هل بُحث بطريقة غير مستوفاة؟ وألم تُدرس المادة الأصلية المعروفة عنه ولم تُنقد ولم يُستخلص مضمونها على الوجه الأكمل؟ وهل وُجدت - أو هل يمكن أن يُكشف عن أصول تاريخية جديدة تبرّر إعادة بحث هذا الموضوع من جديد؟ إذا توفّرت بعض هذه الشروط، فمعنى ذلك أن الموضوع قابل للدرس والبحث. (عث، بحث، ٥٦، ١٩)

- على الباحث أن يتتبّع المسألة أو الفكرة الواحدة في بعض الكتب الجيّدة والرديئة على السواء، مع التعرّف على الكتب التي اعتمد عليها أولئك وهؤلاء، لكي يدرك كيف نَمَت هذه الفكرة وتطوّرت، وكيف عالجها الكتّاب المختلفون. وهذه القراءة المقارنة تساعد الباحث على معرفة أوجه القوة وأوجه الضعف، وتعينه على الوصول إلى تحديد المسائل الجديرة بالدرس والإيضاح. (عث، بحث، ٦٥، ١٣)

- يتّجه الباحث ... إلى البحث عن الوثائق والأصول التاريخية اللازمة لدراسته، بما تشمله من المعاهدات أو المراسلات السياسية أو التعليمات أو الأوامر أو المذكرات أو القوانين... والتي كانت تُحفظ عادة عند الملوك أو الأمراء أو عند بعض رجال الدين، أو عند بعض الزعماء أو رجال السياسة أو رجال الحرب أو عند عامة الأفراد، أو عند تجار الوثائق. (عث، بحث، ٦٨، ١)

- ينبغي على الباحث أن يرجع دائمًا إلى التصميم العام الذي رسمه لموضوع دراسته، لكي يعدّل ما يرى تعديله بحسب الطريق العملي الذي يسلكه، وعليه أن

يدوِّن النقط الثابتة عنه، والمسائل المستجدّة التي يداخله الشكّ في شأنها، والنقط المجهولة لديه، وكل ما يتوقّع أن يكشف عنه. ويقرأ الباحث بالتدريج المراجع التي تخصّه، وستُلقى المعلومات الواردة بها، والمعلومات التي تتضمّنها الوثائق والأصول التاريخية، الضوء بعضها على بعض. وعلى الباحث أن يأخذ من المراجع المعلومات التي تعنيه بلغتها الأصلية أحيانًا، وبالترجمة، وبالتلخيص، بحسب الأهمية التي يراها من موضع لآخر، مع بيان أرقام المجلّدات في دور الكتب، والصفحات التي ينقل أو يترجم أو يقتبس عنها، في هوامش أوراقه الجانبية، حتى يمكن الرجوع إليها في مظانّها إذا اقتضى الأمر ذلك، ولكي تكون من الأدلّة على إثبات صحّة ما كشف عنه من الحقائق. وعلى الباحث أن ينقل بنفسه جزءًا من الوثائق التي يجدها في دور الأرشيف، حتى يكسب شيئًا من التجربة الذاتية، بتعامله مع هذه الأوراق المكدّسة، فيفهم أشياء من خصائصها، من حيث نوع الورق، والحبر، وأقلام الكتابة، والأختام الممهورة بها الأوراق، إن وجدت، وسيزيده هذا قربًا من العصر أو من الموضوع الذي يتناوله. ويمكنه في الوقت نفسه أن يُشرك معه بعض الإخصائيين في نسخ جزء من الوثائق التي تعنيه، كما يصوّر جزءًا منها بطريقة (الفوتوستات) أو (الميكروفيلم) بحسب الضرورة، واختصارًا للوقت. ومن المستحسن أن ينقل الباحث شيئًا من المعلومات التي لا تتّصل مباشرة بموضوع بحثه، ولكنها تفيده في إيضاح كثير من المسائل التي تدور حول موضوعه. ومن الضروري أن يفهم الباحث محتويات ما ينقله، من الوثائق والأصول والمراجع، ويستوعبها أولًا بأول، حتى لا تتراكم الأوراق أمامه، ولذلك ينبغي عليه أن يلخّص مضمونها في هوامش الصفحات، لكي تكون واضحة سهلة التناول. (عث، بحث، ٧٦، ١٠)

باحث عن الوثائق

- الباحث عن الوثائق يشبه المنقِّب عن الآثار الذي قد يظلّ زمنًا طويلًا ينقِّب في مناطق مختلفة، حتى يعثر في النهاية على ما يُرضيه ويُرضي العلم. (عث، بحث، ٧٠، ١٤)

بادٍ

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإنه حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها

العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ٢٠)

باذغيش وسجستان

- خراسان وكانت تحت يدي أصبهبذها باذُوشْبان وأربعة مرازبة إلى كلّ مرزبان ربع خراسان فربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها وربع إلى مرزبان بلخ وطخارستان وربع إلى مرزبان هَرَاة وبُوشَنْج وباذَغيش وسجستان. (خرد، مسلك، ١٨، ٩)

بحث تاريخي

- أقوى الإتجاهات الحديثة في البحث التاريخي... هو الانتقال من العناية بالحالات الفردية إلى العناية بالأحوال العامة، ومحاولة وضع التاريخ منسجمًا مع العلوم الإجتماعية باعتباره علم الإنسان في الزمان، ولا شكّ أن التبدّل المهم الثاني هو اتّساع نطاق رؤية المؤرّخ في كلا الزمان والمكان. وهذا طبعًا غير جديد من حيث المبدأ، فإن كل مؤرّخ يقظ الذهن سيهتمّ عاجلًا أو آجلًا بتاريخ الأمم الأخرى أكثر من اهتمامه بتاريخه، ونستطيع أن نتتبّع اهتمام المؤرّخين الأوروبيين بالحوادث الخارجة عن مدى رؤياهم المباشر إلى زمن فولتير على الأقل، ولكن الذي زاد العناية بهذه النظرة المتوسّعة وجعلها إحدى الاتجاهات المعاصرة المهمّة هو التبدّل العظيم في الوضع الدولي العام. (بار، وجه، ١٦٣، ٢)

بحث عن الوثائق

- البحث عن الوثائق (heuristic) من العمليات الأساسية في كتابة التاريخ. وإن كشف كمية من الوثائق الهامة عن موضوع معيّن، هو الذي يُحدّد إمكان الإستمرار في بحثه أو العدول عنه إلى موضوع آخر. والباحث الذي يكتب التاريخ دون أن يحصل على مجموعة من الوثائق الأساسية الجديدة، أو التي لم يكن قد سبق استخدامها استخدامًا علميًا مكتملًا، تنقص قيمة بحثه العلمية أو تتضاءل أو تنعدم، مهما بذل من مجهود. (عث، بحث، ٦٨، ١٥)

- البحث عن الوثائق من أهم العمليات الجذرية في كتابة التاريخ، ونستطيع أن نقرّر أن الكشف عن قدر من الوثائق في موضوع معيّن هو الفيصل في إمكانية دراسته والكتابة فيه أو الكفّ عن هذه الدراسة التي لن نخرج منها بجديد. (علف، فت، ١٤٢، ٩)

بخارا خذاه

- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيوْشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشَنَة أَفْشِين، ملك

سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ٣)

بدء التاريخ

– في بدء التأريخ إذن افتراض: افتراض في تعليل الكون وما وراء الكون والحياة ودوافعها ومجاريها، وبصفة خاصة افتراض في طبيعة الإنسان. والمهم في هذا الافتراض أن لا يأتي عفوًا أو بخفّة ويسر. فهو، إذا فهم على حقيقته، أخطر ما يقبل عليه المرء. إنه خلاصة إيمانه، ومعقد رجائه، ومصدر القرارات الفكرية والعملية التي يتّخذها. إنه أصدق تعبير عن شخصيته، إذ فيه يتمثّل مقدار إحساسه بالمسؤولية، ومدى الجهد الذي بذله لتبيّن الحق وقدرته على هذا التبيّن. منه يظهر نوع الأسئلة التي تثيرها الحياة في ذهنه، وموقفه إزاءها وقراراته بصددها. فالخير كل الخير في أن يتّخذ له المرء كل عدّة ممكنة، من حيث التجهز الفكري والاطلاع العلمي والاختبار النفسي، وأن يكون استعداده هذا مفعمًا بالشعور بالمسؤولية الدقيقة والتبعة الخطيرة، والنقد الذاتي الملحّ الصارم. (زري، نحن، ١٤٤، ٧)

بدء الخلق

– سياقة التأريخ من لدنه من الخلاف ما لا يجوز مثله في التواريخ وكلُّ ما يتعلّق معرفته ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فهو مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد به وامتداد الزمان بيننا وبينه وعجز المعتني به عن حفظه وضبطه. وقد قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (التوبة: ٧٠) لا يعلمهم إلّا الله فالأولى أن لا نقبل من قولهم في مثله إلّا ما يشهد به كتاب معتمد على صحّته أو خبر مشفوع به بشرائط الثّقة في الظنّ الأغلب، فإذا نظرنا في هذا التاريخ أوّلًا وجدنا فيه بين هؤلاء الأمم اختلافًا غير يسير وهو أنّ الفرس والمجوس زعموا أنّ عمر العالم اثنتا عشرة ألف سنة على عدد البروج والشهور، وأنّ زرادشت صاحب شريعتهم زعم أنّ الماضي منها إلى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة بالأرباع إذ كان تولّى حسابها ونقصان ما كان لزمها من جهة الأرباع حتّى انكبست وصحّت وبين ظهوره وأوّل تاريخ الاسكندر مائتان وثمانٍ وخمسون سنة فيكون الماضي من أوّل العالم إلى الإسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائتين وثمانيا وخمسين سنة، ولكنّا إذا حسبنا من أول كيومرث وهو عندهم الإنسان الأوّل وجمعنا مدّة كلّ ملك بعده فإنّ الملك متّسق فيهم غير منقطع عنهم بلغ المجتمع من ذلك العدد إلى الإسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعة وخمسين فليس يتّفق التفصيل مع الجملة. (بير، بقي، ١٤، ١)

بداوة

– البداوة التي كانت طابع العرب والتي لم تحفزهم على النقش، إذ كانوا في الغالب رحلًا، والنقوش والآثار تحتاج إلى استقرار وإقامة. (شل، سلم، ٦٦، ٩)

بدايات الأشياء

- النفوس تشرئبّ إلى معرفة بدايات الأشياء، وتحب سماع أخبار الأنبياء، وتحنّ إلى مطالعة سير الملوك والحكماء، وترتاح إلى ذكر ما جرى للقدماء. ورأيت المؤرخين يختلف مقادهم في هذه الأنباء؛ فمنهم من يقتصر على ذكر الأنبياء والابتداء، ومنهم من يقتصر على ذكر الملوك والخلفاء، وأهل الأثر يؤثرون ذكر العلماء، والزهاد يحبون أحاديث الصلحاء، وأرباب الأرب يميلون إلى أهل الأدب والشعراء. ومعلوم أن الكل مطلوب، والمحذوف من ذلك مرغوب. (جو، نظم، ١١٥، ١٢)

بدر

- بدر آبار بين مكّة والمدينة، تنزل عندها القوافل التجارية المسافرة بين مكّة والشام، وكان القرشيون أهل تجارة تسير قوافلهم إلى الشام تحمل إليها البضائع...، فعلم المسلمون في السنة الثانية للهجرة أن قافلة من القرشيين أهل مكّة، قادمة من الشام ومعها الأموال يخفرها ثلاثون رجلًا يرأسهم أبو سفيان بن حرب كبير أهل مكّة يومئذٍ، فانتدب النبي أصحابه لغزو القافلة. (زي، مدن١، ٥٨، ٦)

بدو

- إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نِحلَتهم من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجيّ والكمالي. فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة؛ ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها. وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة، ولا بدّ، إلى البَدو لأنه متّسع لما لا يتّسع له الحواضر من المزارع والفُدُن والمسارح للحيوان وغير ذلك. فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرًا ضروريًا لهم؛ وكان حينئذٍ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكنّ والدِّفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويُحصِّل بُلْغَة العيش من غير مزيد عليه، للعجز عما وراء ذلك. ثم إذا اتّسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرَّفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدَّعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضّر. ثم تزيد أحوال الرَّفْه والدَّعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها، والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها، فيتّخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه. ويعالون في صَرحها،

ويبالغون في تنجيدها، ويختلقون في استجادة مما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان. ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو؛ لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وُجدهم. (خلد، قدم، ٤٦٨، ١)

- البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عمّا فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم. ولا شكّ أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه؛ لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه. فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما؛ لأن أول مطالب الإنسان الضروري، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلًا. فخشونة البداوة قبل رقّة الحضارة. ولهذا نجد التمدّن غاية للبدوي يجري إليها، وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها. (خلد، قدم، ٤٧٣، ٩)

- البدوي، الذي يكون في الضواحي، وفي الجبال، وفي الحلل المنتجعة للقفار وأطراف الرمال. (أزر، بدع١، ٧١، ١٣)

- الموجب لانقسام العمران إلى بدوي وحضري أن للتعاون به مقصدين: أحدهما: أن يتقرّر بحسب الضروري فقط - وهذا هو البدوي، ضرورة أن انتحال الفلح فيه يضطرّ إلى البدو، المتّسع المسارح للحيوان، والمزارع للغرس والزرع. وإذ ذاك فالسكن فيه والدفء إنما هو بقدر ما يحفظ الحياة خاصة. الثاني: أن يتجاوز إلى الحاجيّ والتكميليّ. وهذا هو الحضري، لأجل أن التوسّع بحصول ما فوق الحاجة يدعو إلى السكون والدعة. واختطاط المدن والأمصار. وعند ذلك يتزايد الرفه، فتجيء عوائد الترف ويتكسّب بالصنائع والتجارة. (أزر، بدع١، ٧٢، ٨)

- البدو لما اقتصر فيه على الضروريّ الذي هو أقدم من الحاجيّ الذي تجوز إليه في الحضر - وكان الضروري أصلًا والحاجيّ فرعًا - دلّ ذلك على أن البدوي متقدّم على الحضري، وأصل له ومادة. (أزر، بدع١، ٧٢، ٢١)

براز بنده

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٢)

براهمة

- البراهمة أقرّوا بالصانع وأنكروا الرسالة واحتجّوا بأنّ الرسول لا يأتي إلّا بما في العقل أو بخلافه فإن كان يأتي بموجب العقل فما في العقل كافٍ ممّا يجب لله تعالى على العباد من معرفته وتوحيده وشكره وعبادته واستعمال الحسن واستقباح

القبيح، وإن كان يأتي بخلافه فلا وجه لقبوله لأنّ الخطاب وقع على نوى العقول والقضيّة لها والتمييز أودعتاها فأجابهم المسلمون بأن الرسول أبدًا لا يأتي إلّا بما في العقول إيجابه أو تجويزه. وحاشا لله ولرسوله أن يأتوا بخلاف ما في العقول ولكن من الأشياء مما يغمض ويلطف حتى يخطئه العقل أو يخفى ويحتجب حتى يقصر دونه العقل كانتفاع الإنسان بما ينزع إليه نفسه ويشتاق إليه طبعه من ملاذ الأغذية والملاهي المقوّية. (بلخ، بد١، ١٠٩، ٥)

بروج

- البروج اثنا عشر ينزل الشمس كلَّ شهر من شهور السنة برج منها: فأوّلها الحمل ثمّ الثور ثم الجوزاء ثم السرطان ثم الأسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب ثم القوس ثم الجدي ثم الدلو ثم الحوت، وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين جُزْءًا تسمّى منازل القمر ينزل القمر منها كلّ ليلة منزلًا وهي الشرطان والبُطَيْن والثريّا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزُبرة والصرفة والعوّاء والسماك والغفر والزبانى والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بُلَعَ وسعد السَعُود وسعد الأخبية وفرغ الأوّل وفرغ الثاني وبطن الحوت، كلّ برج منها منزلان وثُلُثُ منزلٍ فيما يقطعه الشمس في السنة ويقطعه القمر في الشهر. (بلخ، بد٢، ١٥، ١١)

- إضافة الفعل الاختياريّ إلى البروج والنجوم من أعظم الخطاء والخطل إنما هي مخلوقة مسخَّرة موضوعة على ما أراد الله منها كسائر السموات والجوامد المخلوقة على طباعها وكما جُعلت النار محرقة والماء مرطبة. (بلخ، بد٢، ١٦، ١٠)

بريد

- البريد يراد بالبريد في الدول الإسلامية غير ما يراد به الآن. فقد كان صاحب البريد أو صاحب الخبر أشبه برئيس البوليس السري، أو رقيب أصحاب الأعمال، أو هو عبارة عن جاسوس الخليفة أو الأمير، أو عينه الباصرة وأذنه السامعة، ينقل إليه أخبار عمّاله أو مساعي أعدائه. فالبريد من هذا القبيل أشبه بقلم المخابرات. وكان الخلفاء لا يولون البريد إلا ثقتهم من أهل التعقّل والدراية، لأن على ما ينقلونه من الأخبار تتوقّف علاقات الخلافاء بعمّالهم أو بمعاصريهم. (زي، مدن١، ٢٣٩، ١)

بصرة

- (البصرة) نزلها أبو موسى الأشعري وعمران بن حصين وابن عباس وعدّة من الصحابة فكان خاتمتهم خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصويحبه أنس ابن مالك رضي الله عنه، ثم الحسن وابن سيرين وأبو العالية ثم قتادة وأيوب وثابت البناني ويونس وابن عون ثم حماد بن سلمة وحماد بن زيد وأصحابهما، وما زال

بها هذا الشأن وافرًا إلى رأس المائة الثالثة وتناقص جدًّا إلى أن تلاشى. (سخ، ذم، ١٣٩، ١٦)

بطانة

- من طبيعة الملك اتّخاذ البطانة المنقسمة إلى آمرة بخير ومعينة عليه، وإلى مشيرة بشرٍّ داعية إليه. (أزر، بدع١، ٣٣٥، ٤)

بطرك

- البَطْرَك، وهو رئيس الملّة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه إلى ما بَعُدَ عنه من أمم النصرانية، ويسمّونه الأسقف أي نائب البطرك. ويسمّون الإمام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس. ويسمّون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب. (خلد، قدم، ٦٥٨، ٤)

بغبور

- ملك العراق الذي تسمّيه العامَّة كِسْرَى وهو شاهانشاه، ملك الروم الذي تسمّيه العامَّة قَيْصَر هو باسيل، ملوك الترك والتُّبَّت والخَزَر كلُّهم خاقان خلا ملك الخَرْلُخ فإنهم يسمُّونهم جَبْغُويه، ملك الصين بَغْبُور فهؤلاء ولد افريذون، ملك الهند الأكبر بَلْهَرا أي ملك الملوك. (خرد، مسلك، ١٦، ٩)

بغداد

- (بغداد) وهي أعظم بلاد العراق بنيت في آخر أيام التابعين وأول من بثّ بها الحديث هشام بن عروة وبعده شعبة وهشيم وكثر بها هذا الشأن، فلم تزل معمورة بالأثر والخبر وإلى زمن الإمام أحمد ثم أصحابه وهي دار الإسناد للعلم والحفظ ومنزل الخلافة والعلم إلى أن استؤصلت في كائنة التتار الكفرة، فبقيت على نحو الربع ثم تزايد خرابها حتى لم يبق فيها من يعرف شيئًا من العلم والأمر لله. (سخ، ذم، ١٣٩، ٣)

بغي وعدوان

- البغي والعدوان، وأكثر ما يكون من الأمم الوحشية: كالعربي والتركي والكردي، وأشبههم، لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم. ومن دافعهم عن متاعه أذنوه بالحرب، ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك. (أزر، بدع١، ١٦٨، ١٧)

بلخ وطخارستان

- خراسان وكانت تحت يدي أصبهبذها باذُوسْبان وأربعة مرازبة إلى كلّ مرزبان ربع خراسان فربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها وربع إلى مرزبان بلخ وطخارستان وربع إلى مرزبان هَرَاة وبُوشَنْج وباذَغيش وسجستان. (خرد، مسلك، ١٨، ٩)

بلهرا

- ملك العراق الذي تسمّيه العامَّة كِسْرَى وهو شاهانشاه، ملك الروم الذي تسمّيه

العامّة قَيْصَر هو باسيل، ملوك الترك والتُّبَّت والخَزَر كلُّهم خاقان خلا ملك الخَرْلُخ فإنهم يسمُّونهم جَبْغُويه، ملك الصين بَغْبُور فهؤلاء ولد افريذون، ملك الهند الأكبر بَلْهَرا أي ملك الملوك. (خرد، مسلك، ١٦، ٩)

بنات نعش

- صفة الأرض إنها مدوَّرة كتدوير الكُرَة موضوعة في جوف الفلك كالمُحَّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض إن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخِفَّة والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد، والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الإستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بناتُ نَعْش، فاستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والأصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خطّ الاستواء وبين كلّ واحد من القطبين تسعون درجة أُصطرلابيّة واستدارتها عرضًا مثل ذلك إلّا أن العمارة في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الرُّبْع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلُّ ربع من الشماليّ والجنوبيّ سبعة أقاليم. وذكر بطلميوس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومائتي مدينة. (خرد، مسلك، ٤، ١٣)

بنو إبراهيم

- قبل الإسلام فقد كان بنو إبراهيم يؤرّخون من نار إبراهيم إلى بنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، ثمّ أرّخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرّقوا، فكان كلّما خرج قوم من تهامة أرّخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونَهْد وجُهَيْنة بني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي وأرّخوا من موته إلى الفيل، ثمّ كان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطّاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة. وقد كان كلّ طائفة من العرب تؤرّخ بالحادثات المشهورة فيها، ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم. (أث، كمل، ١١، ١١)

بنية قبلية

- يؤكّد ابن خلدون أن الفترات التاريخية التي تصبح فيها الدعوة الدينية قوة محرّكة فعّالة

لا تكون كذلك إلا بشرط واحد، وهو أن تتبناها عصبية. ولا يصدق هذا المبدأ بالطبع إلا حيث توجد بنية قبلية أي في مستوى مجال التاريخ الخلدوني، وقد استطاع ابن خلدون أن يعثر بسهولة، سواء في تاريخ العرب أو تاريخ البربر، على أمثلة تؤيّد هذا التفسير. (أوم، نهج، ١٧٣، ١٧)

بهمنه

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٢)

بوذية

- البوذية: وجد في القرن السادس قبل الميلاد رجل يدعى ساكيموني لقّب بالحكيم أو بوذا. وكان والده أميرًا في قطر مجاور لنابول. ولما بلغ التاسعة والعشرين من العمر تخلّى عن ملك أبيه وثروته وأسرته وانفرد في القفر يطلب معرفة الحقيقة. وفي السادسة والثلاثين عاد من القفر وأخذ يخاطب الجماعات على اختلافها بدون نظر إلى تفاوتها في الطبقات وكان يحدّثها بالأمثال فيؤثّر في النفوس تأثيرًا عظيمًا. على أن مخاطبته بأسرار الدين للطبقة السفلى كان خروجًا منه عن قاعدة الدين البرهمي القاضية بمنع تعليم مثل ذلك للسوادره. وكان فضلًا عن ذلك يهدم أساسات الدين المذكور بتعليمه أن الناس أمام الشرائع الأدبية متساوون وأن الفضيلة ما يفعله الإنسان من خير لا ما يقوم به من الشعائر الدينية. وأن كل امرئ من أي طبقة كان يحصل بتقواه وفضله على النجاة والاتحاد بالجوهر الإلهي. وأن كلًّا من غني وفقير يستطيع أن يكون كاهنًا. وأن للإنسان ستة مكملات: العلم، وقوة العزيمة على مقاومة الشهوات، والطهارة، والصبر، وحبّ الناس، والبرّ. وكان يقول لهم "إني أتيت لأفرغ الحكمة في قلوب الجهلة والحكمة هي العلم والفضيلة والصدقة. والرجل الكامل لا يعدّ شيئًا إذا لم يغث الملهوفين. إن تعليمي لهو تعليم رحمة. ويجده السعداء في هذا العصر صعب المراس ويأنفون من الانقياد إليه لشرف أصلهم، ولكن باب الخلاص مفتوح لجميع الذين يبيدون شهواتهم ورذائلهم كما يحطم الفيل كوخ القصب". وقد انتشر هذا المذهب الحسن انتشارًا عظيمًا وعلى الخصوص بين السوادرة والمحاربين. واستمرّ صاحبه يجاهد في تأييده مع مقاومة البراهمة إلى أن بلغ الثمانين. ولم يحتج قط إلى الاستعانة بالقوة وكان يوصي باحترام الأمراء والقيام بما يجب لهم فلم يضطهدوه. وبعد وفاته عقد تلامذته مجتمعًا اشترك فيه خمس مئة من رجال هذا الدين فتناقشوا سبعة أشهر إلى أن قرّروا قواعد المذهب وأوضاعه ثم زادوها جلاءً وتثبيتًا في مجتمعَيْن آخرين

عقدوا أحدهما في القرن الخامس قبل الميلاد والثاني قبل المسيح بمئة وخمسين سنة. وخلاصة هذا الدين أنه عدّل الدين الهندي القديم من حيث فتح باب النجاة للجميع على السواء وزاد على الآلهة القديمة آلهة جعلها أطهر منها. وكان معبد البوذيين لا يوجد فيه إلا تمثال بوذا يكرّمه الناس تكريمًا ولا يعبدونه عبادة وكانت لا تقدّم فيه ضحايا ولا تجري حفلات خرافية. كل ذلك قبل أن يدخل الفساد على هذا الدين. (مط، مرأ، ٣٠، ٤)

بيت المال

- بيت المال، البحث في بيت المال يشمل النظر في كل ما يتعلّق بأموال الدولة من خراج وصدقة وأعشار وأخماس وجزية وغير ذلك، ويسمّى الديوان السامي. وهو أصل الدواوين ومرجعها عندهم، ووظيفته أن يثبت في جرائده جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها، من عين وغلال وفيء وغنائم وأعشار وأخماس، ويثبت ما تحصّل من ذلك ويتّخذ بيوتًا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسًا. فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة، ويجب أن يكون مباشروه قضاة المسلمين بأنفسهم بلا نواب عنهم، ومعهم خزندارية أمناء أكفّاء من أقوى الناس ديانة. والغلال لها ديوان الأهراء، يجب أن يكون مباشروه من أكبر العدول الدينيين الأعفاء. والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح، يجب أن يكون مباشر هذه الجهة محتسب البلد، لأنه يعرف أمور الاستعمالات وأجور الصناع وأسعار الآلات. وكل ما استحقّه المسلمون ولم يتعيّن مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال. (زي، مدن١، ٢٢١، ٢٣)

بيت المقدس

- بيت المقدس وهو المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصابئة موضع الزُّهرة وكانوا يقرّبون إليه الزيت فيما يقرّبونه يصبّونه على الصخرة التي هناك. ثم دثر ذلك الهيكل، واتّخذها بنو إسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم. وذلك أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني إسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله أباهم إسرائيل وأباه إسحق من قبله وأقاموا بأرض التيه أمره الله باتّخاذ قبّة من خشب السنط عُيِّن بالوحي مقدارها وصفتها وهياكلها وتماثيلها، وأن يكون فيها التابوت ومائدة بصِحافها ومنارة بقناديلها، وأن يصنع مذبحًا للقربان، وصف ذلك كله في التوراة أكمل وصف. فصنع القبّة ووضع فيها تابوت العهد، وهو التابوت الذي فيه الألواح المصنوعة عوضًا عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسّرت، ووضع المذبح عندها. وعهد الله إلى موسى بأن يكون هرون صاحب القربان. (خلد، قدم، ٨٦١، ١٠)

بيعة

- البَيْعَةُ هي العهد على الطاعة؛ كأن المبايع

يعاهد أميره على أنه يسلّم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلّفه به من الأمر على المَنْشَط والمَكْره. وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدًا للعهد؛ فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري؛ فسمّي بيعة، مصدر باع؛ وصارت البيعة مصافحة بالأيدي. هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع. (خلد، قدم، ٦٠٨، ٢٠)

- البيعة المشهورة لهذا العهد: فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الأرض أو اليد أو الرجل أو الذيل، أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازًا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها، وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل لما في المصافحة لكل أحد من التنزل والابتذال المنافيين للرياسة، وصون المنصب الملوكي إلا في الأقل ممن يقصد التواضع من الملوك، فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته. (خلد، قدم، ٦١٠، ٢)

- البيعة هي العهد على الطاعة، فإذا بايع الرجل أميرًا كأنه عاهده وسلم إليه النظر في أمر نفسه لا ينازعه في شيء من ذلك، وأنه يطيعه فيما كلّفه به من الأمر على المنشط والمكره. وكان العرب إذا بايعوا أميرًا جعلوا أيديهم في يده، تأكيدًا للعهد بما يشبه فعل البائع والمشتري، فسمّي "بيعة" مصدر "باع". وصارت البيعة مصافحة الأيدي، وهو مدلولها بعرف اللغة أيضًا. وأقدم بيعة في الإسلام بيعة العقبة، ومنها إيمان البيعة التي كان الخلفاء يستحلفونها على العهد ويستوعبون الإيمان كلها. (زي، مدن١، ١٣١، ١٨)

بيعة بني العباس

- بيعة بني العباس منذ طلبها لهم أبو مسلم الخراساني هي: "أبايعكم على كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله الحرام على أن لا تسألوا رزقًا ولا طعمًا حتى يبتدئكم به ولاتكم". (زي، مدن١، ١٣٢، ٢٤)

بيعة النساء

- بيعة النساء، وهي: "بايعنا على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن خشيتم من ذلك شيئًا، فأمركم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذب وإن شاء غفر". (زي، مدن١، ١٣٢، ٢٠)

بيّنة

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن

أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٦، ٣)

بيوتات
- البيوتات فهي الشربخاناه التي توضع بها الأشربة والسكّر والحلو والعقاقير والفواكه وما أشبه ذلك لها مهتار وعدّة شرابداريّة. (شاه، زبد، ١٢٤، ٥)

ت

تأخر تاريخي

- حالة ثورة لتدارك تأخّر تاريخي، ... النظرية سابقة للوضعية الملائمة لها؛ تكون صورة المجتمع الذي يهدف إليه الثائرون موجودة في أذهانهم وتخيّلاتهم قبل أن تتموضع، والمنظِّر هو الذي يملي على السياسي، فالعقدية إذن ضرورية، تنتج أولًا عن كون مضمون الثورة هو إعادة ما وقع فعلًا في زمن ماض بكيفية تدريجية، (تحصيل الحاصل)، وثانيًا عن كونها مفروضة من فوق. وهناك ارتباط منطقي وثيق، لا مفرّ منه، بين العقدية والتصميم أو التخطيط، أكان في الميدان القانوني والتعليمي أم في الميدان الاقتصادي. (عر، فكر، ١٧٣، ٢٧)

تأريخ

- حدّثني يحيى بن محمد الكعبي قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران قال: كانت بنو إسماعيل بن إبراهيم يؤرّخون من بنيان الكعبة، فلم يزل كذلك حتى مات كعب بن لؤي فأرّخوا من موته، فلم يزل كذلك حتى كان عام الفيل، فأرّخوا من عام الفيل، ثم أرَّخ المسلمون بعد من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان للعرب أيضًا تأريخ. (خ، تارخ، ٥٠، ١٧)
- حدّثنا كثير بن هشام قال: أن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال: ائتمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يكتبون التأريخ، فقال بعضهم: نكتبه من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: منذ أوحيَ إليه، وقال بعضهم: من هجرته التي هجر فيها دار الشرك إلى دار الإيمان، فأجمع رأيهم أن يكتبوه من هجرته. (خ، تارخ، ٥١، ١٠)
- أنا محمد بن عبدالله بن الزبير قال: أنا حبّان عن مجالد عن عامر قال: كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر أنه تأتينا كتب ما ندري ما تأريخها، فاستشار عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: من المبعث، وقال بعضهم: من وفاته، فقال عمر: أرِّخوا من هجرته فإن مهاجره فرّق بين الحق والباطل. (خ، تارخ، ٥١، ١٥)
- التاريخ فنٌّ يعبّر تماسكه عن وحدته، ويعبّر عدم انضباطه عن حدود هذه الوحدة. فهذه الوحدة ليست بتلك المنطبعة في تحديد الموضوع ومعالجته، بل هي أشبه بالوحدة الإدارية التي تأتي بعناصر من مواضع ومواقع شتى وتطرح بها في حيّز يعمل على التنسيق فيما بينها تبعًا لأسس إدارية معروفة: التأريخ. التاريخية وحدة لا يجمع بين عناصرها غير كونها تتعلّق بالحوادث الماضية. التاريخ، بذلك، معين من الأخبار والنماذج التي ليس لها مؤسسة

متخصّصة - هو نوع معرفي، إذن، ولكن نوع لا قوام له بجنس، بل بأجناس. هو نوع معرفي لا تتأتّى وحدته عن محور داخلي محصور به، بل تتحدّد بأطر خارجية. تحديد التاريخ، بكلمة أوضح، ليس تحديدًا علميًّا بحصر الموضوع، بل هو تحديد سوسيولوجي لنوع من المشاغل والمباحث. ليس التاريخ نموذجًا لموضوع ومسائل إلا ضمن توجّهات عامّة، ولا يتعرّض كتّاب التاريخ للنقد إلا عندما ينتهجون مسالك العوام والجهلة فيما يتعلّق بالإسرائيليات التي انتقدها من وجهة نظر تطهيرية ودينية (حديثية) ابن كثير والسخاوي وغيرهما. مما يؤكّد أن النقد ليس من "المؤسسة التاريخية" (فلا وجود لها) بل من مؤسسة الحديث. ولا يتقدّم التاريخ بما هو تاريخ بنقد لرسالة تاريخية ما إلا إذا تناولت بالتشويه التام الأسس العامة التي تستند إليها. (عظم، عرف، ١٣١، ١٤)

- لما كان التأريخ لا يقتصر على تثبيت ما حدث في الماضي بأدقّ ما يمكن، وإنما يشمل أيضًا معنى وميكانيكية ما حدث - أي بأهمية وتفسيرات الحوادث الخاصة - فإن البحوث المفصّلة ينبغي أن تربط بمنهاج أوسع وتوضع بنطاقها الأوسع، إذا أريد أن يكون لها أية علاقة عامة. ولا حاجة للتأكيد على خطر التخصّص وتكاثر الفروع في التأريخ وسير كل فرع منها بطريقه الخاص دون الإشارة إلى الفروع الأخرى مما يؤدّي إلى التجزّؤ والتفكّك وبازدياد التخصّص تزداد الحاجة إلى التوحيد، غير أن التوحيد نفسه لن يتحقّق إلا ضمن نطاق هيكل أوسع. (بار، وجه، ٢٥٢، ٨)

تاريخ

- بالتاريخ عرف الناس أمر حجّهم وصومهم وانقضاء عدَد نسائهم ومحل ديونهم. يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩). (خ، تارخ، ٤٩، ٣)

- حدّثنا خليفة قال: حدّثني يحيى بن الكعبي عن عبد العزيز بن عمران قال: لم يزل للناس تاريخ، كانوا يؤرخون في الدهر الأول من هبوط آدم من الجنة، فلم يزل ذلك حتى بعث الله نوحًا فأرخوا من دعاء نوحٍ قومَه، ثم أرَّخوا من الطوفان، فلم يزلْ كذلك حتى حُرِّق إبراهيم فأرَّخوا من تحريق إبراهيم، وأرَّخَت بنو إسماعيل من بنيان الكعبة. (خ، تارخ، ٥٠، ٤)

- حدّثني محمد بن معاوية عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: لم يزل لفارس تاريخ يعرفون أمورهم به، وتاريخ حسابهم إلى هذا اليوم مذ ملك يزدَجِرْد ابن شهريار، وذلك في سنة ست عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم و(هو) تاريخ الناس اليوم. قال: ولبني إسرائيل تأريخ آخر بسني ذي القرنين. (خ، تارخ، ٥٠، ٩)

- حدّثنا خليفة قال: أنا إسحق بن إدريس

قال: أنا عبد العزيز بن محمد قال: أنا عثمان بن عبيدالله عن سعيد بن المسيب قال: جمع عمر المهاجرين والأنصار فقال: من أين أكتب التاريخ؟ فقال له علي: مذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك فهو يوم هاجر، فكتب ذلك عمر بن الخطاب. (خ، تارخ، ٥١، ٢٠)

- التأريخ هي مدّة معلومة تُعدُّ من لدن أوّل سنة ماضية كان فيها مبعث نبيّ بآيات وبرهان أو قيام ملك مسلَّط عظيم الشأن أو هلاك أمّة بطوفان عامّ مخرِّب أو زلزلة وخسف مبيد أو وباء مهلك أو قحط مستأصل أو انتقال دولة أو تبدُّل ملّة أو حادثة عظيمة من الآيات السماويّة والعلامات المشهورة الأرضيّة التي لا تحدث إلّا في دهور متطاولة وأزمنة متراخية تعرف بها الأوقات المحدَّدة فلا غنى عنها في جميع الأحوال الدنياويّة والدينيّة. ولكلٍّ واحدة من الأمم المتفرّقة في الأقاليم تأريخ على حدة تعدُّها من أزمنة ملوكهم أو أنبيائهم أو دولهم أو سبب من الأسباب التي قدَّمت ذكرها وتستخرج بها ما يحتاج إليه في المعاملات ومعرفة الأوقات وتنفرد به دون غيره. (بير، بقي، ١٣، ١٢)

- سياقة التأريخ من لدنه من الخلاف ما لا يجوز مثله في التواريخ وكلُّ ما يتعلّق معرفته ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فهو مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد به وامتداد الزمان بيننا وبينه وعجز المعتني به عن حفظه وضبطه. وقد قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (التوبة: ٧٠) لا يعلمهم إلّا الله فالأولى أن لا نقبل من قولهم في مثله إلّا ما يشهد به كتاب معتمد على صحّته أو خبر مشفوع به بشرائط الثّقة في الظنّ الأغلب، فإذا نظرنا في هذا التاريخ أوّلًا وجدنا فيه بين هؤلاء الأمم اختلافًا غير يسير وهو أنّ الفرس والمجوس زعموا أنّ عمر العالم اثنتا عشرة ألف سنة على عدد البروج، والشهور وأنّ زرادشت صاحب شريعتهم زعم أنّ الماضي منها إلى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة بالأرباع إذ كان تولّى حسابها ونقصان ما كان لزمها من جهة الأرباع حتّى انكبست وصحّت وبين ظهوره وأوّل تاريخ الاسكندر مائتان وثمانٍ وخمسون سنة فيكون الماضي من أوّل العالم إلى الإسكندر ثلثة آلاف سنة ومائتين وثمانيا وخمسين سنة، ولكنّا إذا حسبنا من أول كيومرث وهو عندهم الإنسان الأوّل وجمعنا مدّة كلّ ملك بعده فإنّ الملك متّسق فيهم غير منقطع عنهم بلغ المجتمع من ذلك العدد إلى الإسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعة وخمسين فليس يتّفق التفصيل مع الجملة. (بير، بقي، ١٣، ٢١)

- التاريخ لغة الإعلام بالوقت، يقال: أرخت الكتاب، وورخته؛ أي: بيّنت وقت كتابته. (جو، نظم، ٨، ٤)

- التاريخ تعريف الوقت، والتوريخ مثله، يقال: أرخت وورخت. وقيل: اشتقاقه من الأرخ - بفتح الهمزة وكسرها - وهو صغار الأنثى من بقر الوحش؛ لأنه شيء

حدث كما يحدث الولد. (جو، نظم، ٨، ٦)

- تاريخ كل شيء آخره، فيؤرخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة. (جو، نظم، ٨، ٩)

- (التاريخ) التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة، وصحة، وعقل، وبدن، ورحلة وحجّ، وحفظ، وضبط، وتوثيق، وتجريح، وما أشبه هذا، مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتّفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسّع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدّماتها مما سيأتي. أو دونها: كبناء جامع، أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها؛ ممّا يعمّ الانتفاع به ممّا هو شائع ومشاهد، أو خفي: سماوي: كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضي: كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام. والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم. (جو، نظم، ٨، ١٢)

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإنه حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ١٧)

- التصانيف في التاريخ فكثيرة جدًّا، لا تدخل تحت الحصر، بحيث قال الحافظ العلاء مُغلطاي الحنفي في كتاب "إصلاح ابن الصلاح" له فيما قرأته بخطه: رأيت من ملك نحوًا من ألف تصنيف فيه. (جو، نظم، ١٠، ٢)

- (كتابة التاريخ) وأبتدئ بعون الله وتوفيقه وأذكر الدليل على وجود الصانع سبحانه وتعالى، ثم أردف ذلك بذكر أول المخلوقات، ثم ما يلي ذلك من الموجودات على ترتيب الوجود في الحادثات إلا أن يخفى زمان حادث فيذكر في الجملة، ثم أتبع ذلك بذكر آدم عليه السلام وأحواله وما جرى له، ثم أذكر عظائم الحوادث التي كانت في زمانه ومن كان في مدة ولايته من أهل الخير، وروس أهل الشر. ثم أذكر من خلفه من أولاده، وما حدث في زمان ذلك الخالف من الأحداث، ومن كان في وقته من أهل

الخير والشر، ثم من يخلف ذلك كذلك إلى زمان نبينا محمد، فيندرج في ذلك ذكر الأنبياء والملوك والعلماء والزهاد والحكماء والفراعنة والنماردة ومن له خبر يصلح إيراده من العوام، وما يحسن ذكره من الأمور والحوادث في كل زمن. فإذا آل الأمر إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، ابتدأ بذكر مولده ونسبه، وذكر عيون ما جرى في سنة مولده من الحوادث، ثم ما جرى في سنته الثانية من مولده كذلك إلى زمان نبوته، ثم بذكر ما جرى في كل سنة من سني النبوة إلى سنة هجرته إلى المدينة. فإذا انتهينا إلى مفتتح سني الهجرة، وهي التي عليها التاريخ إلى اليوم ذكرنا ما كان في (كل) سنة من الحوادث المستحسنة والمهمة وما لا بأس بذكره، ونضرب عن ما لا طائل في الإطالة به تحته مما يضيع الزمان بكتابته؛ إما لعدم صحته أو لفقد فائدته. (جو، نظم، ١١٦، ٢)

- (التاريخ) ذكر الأنبياء، والسلاطين، والأحداث والمحدثين والفقهاء والمحدّثين، والزهاد، والمتعبدين، والشعراء، والمتأدّبين، وفي الجملة جميع المتميّزين، من أهل الخير والشرّ أجمعين، فيحصل بما يذكره مراد المسامر والمحدث، ومقصود الناقل المحدث، فكان هذا الكتاب مرآة يرى فيها العالم كله والحوادث بأسرها إلا أن يكون من لا وقع له فليس لذلك ذكر أو حادثة لا يغنى تحتها ولا وجه لذكرها، وقد انتقى كتابنا نقي التواريخ كلها، وأغنى من يعنى بالمهم منها عنها، وجمع محاسن الأحاديث والأخبار اللائقة بالتواريخ، وانتخب أحسن الأشعار عند ذكر قائلها، وسلم من فضول الحشو ومرذول الحديث، ومن لم يدخل فيه ما يصلح حذفه. وقد كنت عزمت على مد النفس فيه بزيادة الأسانيد، وجمع وشرح أخبار الشخص كلها ثم رأيت أن تخيّر الأوساط خير من الانبساط، فأخذت في كف الكف عن التطويل، وحذف أكثر الأسانيد لئلّا يوجب الطول بحر الكتاب، على أنه كثير بالإضافة إلى قلّة الهمم. (جو، نظم، ١١٨، ١)

- قيل: لما قدم رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، المدينة أمر بعمل التاريخ. والصحيح المشهور أنّ عمر بن الخطّاب أمر بوضع التاريخ. وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر: إنّه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم: أرّخ لمبعث النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم. وقال بعضهم: لمهاجرة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم. فقال عمر: بل نؤرّخ لمهاجرة رسول الله، فإنّ مهاجرته فرق بين الحقّ والباطل؛ قاله الشعبيّ. وقال ميمون بن مهران: رُفع إلى عمر صكّ محلّه شعبان فقال: أيّ شعبان؟ أشعبان الذي هو آتٍ أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثمّ قال لأصحاب رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: ضعوا للناس شيئًا يعرفونه. فقال بعضهم: اكتبوا

على تاريخ الروم فإنّهم يؤرّخون من عهد ذي القرنين. فقال: هذا يطول. فقال: اكتبوا على تاريخ الفرس. فقيل: إن الفرس كلّما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله. فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة، فوجدوه عشر سنين، فكتبوا التاريخ من هجرة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم. وقال محمد بن سيرين: قام رجل إلى عمر فقال: أرّخوا. فقال عمر: ما ارّخوا؟ فقال: شيء تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حَسَنٌ، فأرّخوا. فاتّفقوا على الهجرة ثمّ قالوا: من أي الشهور؟ فقالوا: من رمضان، ثمّ قالوا: فالمحرم هو منصرف الناس من حجّهم وهو شهر حرام. فأجمعوا عليه. وقال سعيد بن المسيب: جمع عمر الناس فقال: من أيّ يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي: من مهاجرة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وفراقه أرض الشرك. ففعله عمر. وقال عمرو بن دينار: أوّل من أرّخ يعلى بن أميّة وهو باليمن. (أث، كمل، ١٠، ٣)

- فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشدّ إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السُّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهّال. إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتُضرب فيها الأمثال، وتُطرف بها الأندية إذا غصّها الاحتفال، وتؤدّي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتّسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمّروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال. وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعدّ في علومها وخليق. وإن فحول المؤرّخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطّروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفّلون بدسائس من الباطل وهمّوا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفّقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتّبعوها، وأدّوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا تُرَّهات الأحاديث ولا دفعوها. فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفّل على الفنون عريض وطويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل. والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقّل، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل. (خلد، قدم، ٢٨٢، ٤)

- فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على

أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، ويُنكّبان به عن المزلّات والمغالط. لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مجرّد النقل، ولم تُحَكَّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلّة القدم والحيد عن جادّة الصدق. وكثيرًا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثًّا أو سمينًا، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط. (خلد، قدم، ٢٩١، ٥)

- يحتاج صاحب هذا الفن (فن التاريخ) إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السِّيَر والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتّفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعيًا لأسباب كل حادث، واقفًا على أصول كل خبر. وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان، وإلا زيّفه واستغنى عنه. وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلك؛ حتى انتحله الطبري والبخاري وابن إسحق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأمة. وقد ذهل الكثير عن هذا السرّ فيه حتى صار انتحاله مجهلة، واستخفّ العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفّل عليه، فاختلط المرعيُّ بالمهمل، واللُّباب بالقسر، والصادق بالكاذب. وإلى الله عاقبة الأمور. (خلد، قدم، ٣٢٠، ٢)

- الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدّل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدّل الأعصار ومرور الأيام، وهو دواء دويٌّ شديد الخفاء، إذ لا يقع إلّا بعد أحقاب متطاولة، فلا يكاد يتفطّن له إلا الآحاد من أهل الخليقة. وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقرّ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول: سنة الله التي قد خلت في عباده. وقد

كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو إسرائيل والقبط، وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركتهم مع أبناء جنسهم. وأحوال اعتمارهم للعالم، تشهد بها آثارهم. ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب، فتبدّلت تلك الأحوال وانقلبت بها العوائد إلى ما يجانسها أو يشابهها، وإلى ما يباينها أو يباعدها. ثم جاء الإسلام بدولة مضر، فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلابة أخرى، وصارت إلى ما أكثره متعارف لهذا العهد، يأخذه الخلف عن السلف. ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهبت الأسلاف الذين شيّدوا عزّهم، ومهدوا ملكهم، وصار الأمر في أيدي سواهم، من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال؛ فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نُسي شأنها وأُغفِل أمرها. (خلد، قدم، ٣٢٠، ١٥)

- التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل. فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أسٌّ للمؤرّخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبيّن به أخباره. وقد كان الناس يفردونه بالتأليف؛ كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب؛ شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلثمائة غربًا وشرقًا، وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم؛ فصار إمامًا للمؤرّخين يرجعون إليه، وأصلًا يعوّلون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه. (خلد، قدم، ٣٢٥، ٤)

- حقيقة التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحّش والتأنّس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. (خلد، قدم، ٣٢٨، ٥)

- جملة العلوم النافعة في المبدأ والمعاد، وما بينهما، علم التأريخ، الذي فوائده وغرائبه لا تعدّ ولا تحصى، وهو بحر الدرر والمرجان، لا يحيط بمنافعه نطاق التحديد والتبيان، وفيه عجائب الملك والملكوت، وفيه إيصال إلى جناب الحق ذي العظمة والجبروت. ولكن لما كان دررًا منثورة في عجاج بحر العمان، غير منتظم في سلك القواعد والتبيان. (كاف، مخ، ٥١، ٨)

- التأريخ في اللغة هو تعريف الوقت، وفي العرف والاصطلاح هو تعيين وقت لينسب إليه زمان مطلقًا، سواء كان قد مضى، أو كان حاضرًا، أو سيأتي. وقيل: التأريخ تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع، كظهور ملّة، أو وقوع حادثة هائلة،

من طوفان أو زلزلة عظيمة ونحوهما من الآيات السماوية والعلامات الأرضية. وقيل: التأريخ مدة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات حوادث أخر. ولكل واحد من هذه الاصطلاحات وجه وجيه، فاختر منها ما كان أحلى عندك وأولى. فعلم من هذا أن التأريخ في الاصطلاح لفظ مشترك كاشتراك العين بين معانيها. (كاف، مخ، ٥٣، ٣)

- فيكون لفظ التأريخ منقولًا عرفيًا كسائر المنقولات الشرعية والعرفية، كالإيمان والصلاة ونحوهما، وكالدابة ونحوها. فإن قلت: فما الفرق بين التأريخ اللغوي والتأريخ الاصطلاحي؟ قلت: الفرق بينهما بالعموم والخصوص فاللغوي أعمّ من التأريخ الاصطلاحي عموم الحيوان من الإنسان. وأما علم التأريخ، فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته. ثم الزمان في اللغة هو الوقت، والوقت معروف عند القوم، والميقات أعمّ من الوقت. يُقال للوقت المضروب للفعل، كوقت الحجّ والصلاة ونحوهما: ميقات، كما يقال: ميقات للموضع المعيّن لأمر من الأمور، تقول: ميقات أهل الشام هو الموضع الذي يحرمون منه، وهو الجحفة، كما تقول: ميقات أهل اليمن يلملم، وميقات أهل العراق ذات عرق، وهكذا سائر المواقيت. وتقول: وقته فلان، إذا بيّن للفعل وقتًا يُفعل فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣)، أي مفروضًا في الأوقات. والتوقيت هو تحديد الأوقات، تقول: وقته ليوم كذا، مثل أجلته، وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ (المرسلات: ١١) و﴿أُقِتَتۡ﴾ مخفّفة، وأقتت لغة - أيضًا - مثل: وجوه وأجوه. وأما الموقت فهو مفعل من الوقت، قال العجاج: "والجامعُ الناسِ ليومِ المَوْقِتِ" والزمان في العرف هو مقدار الحركة على الرأي المشهور، وهو الذي يحتاج إلى معرفته أهل التأريخ، وقيل: الزمان في العرف هو أمر متجدّد يتقدّر به متجدّد آخر. (كاف، مخ، ٥٥، ٥)

- لفظة "التأريخ" معرّبة، مأخوذة من "ماه روز"، والأصل فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما أنه: "يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل، قد قرأنا صكًا محله شعبان، فما ندري أي الشعبان هو؟ أهو الماضي أو الآتي". وقيل: إنه رُفِعَ إلى عمر صكّ محله شعبان، فقال: "أي الشعبان هذا؟ أهو الذي نحن فيه أو الذي هو آت". ثم جمع وجوه الصحابة، وقال: "إن الأموال قد كثرت، وما قسّمناه غير موقت، فكيف التوصّل إلى ما يضبط به ذلك؟" فقال الهرمزان - وهو ملك الأهواز - وقد أُسِرَ عند فتوح فارس وحُمِلَ إلى عمر وأسلم على يده: "إن للعجم حسابًا يسمّونه ماه روز، ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة". فعرّبوا لفظة "ماه روز" بمؤرخ، وجعلوا مصدره التأريخ،

واستعملوه في وجوه التصريف. ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك، فقال عمر - رضي الله عنه: "ضعوا للناس تأريخًا يتعاملون عليه، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم". فقال له بعض من حضر من مسلمي اليهود: لنا حساب مثله، نسنده إلى الإسكندر. فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول. وقال قوم: نكتب على تاريخ الفرس. فقيل: إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين، بل كلما قام فيهم ملك ابتدؤا من لدن قيامه وطرحوا ما قبله. فاتّفقوا على أن يجعلوا تأريخ دولة الإسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت مبعثه، فإنه مُختلف فيه، وكذا وقت ولادته، حتى قيل: إنه ولد ليلة الثاني من ربيع الآخر، وقيل: ليلة الثامن، وقيل: ليلة الثالث عشر منه. وكذا اختلفوا في السنة التي وُلِدَ فيها، فقيل: سنة أربعين من ملك أنو شروان، وقيل سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة ثلاث وأربعين منه. وأما وقت وفاته صلى الله عليه وسلم وإن كان معينًا، فلم يحسن أن يجعلوه مبدأ التأريخ، فإن جعله أصلًا غير مستحسن عقلًا، لكن جُعِلَ وقت الهجرة لكونه وقت استقامة ملّة الإسلام، وتوالي الفتوح، وترادف الوفود، واستيلاء المسلمين أصلًا أولى، لأنه مما يُتَبرك به ويَعْظُم وقعه في النفوس. وكانت الهجرة يوم الثلاثاء، لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وأول السنة - أعني المحرم - هو يوم الخميس بحسب أمر الأوسط، ولما كان مشتهرًا عند القوم اعتبروه، وأما بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات فهو يوم الجمعة. وقال صاحب "نهاية الإدراك": "العمل عليه"، وأرّخ منه في مستأنف الزمان. وكان اتّفاقهم على هذا الأمر في سنة سبع عشرة من الهجرة، وإلى هذه السنة كانوا يسمّون كل سنة باسم الحادثة التي وقعت فيها، ويؤرّخون بها، فسمّيت السنة الأولى من سني مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة الإذن بالرحيل، أي من مكة إلى المدينة، والثانية سنة الأمر بالقتال، والثالثة سنة التمحيص، وعلى هذا. ثم بعد ذلك تركوا تسمية السنين بالحوادث، والتأريخ بها. وهذا التأريخ يعرف بتأريخ الهجرة. (كاف، مخ، ٦٠، ١٠)

- التأريخ من المهمات العظام، مقبول عند الأنام، مشتمل على فكر وعبر، ومنطو على مصالح ومحاسن، على وجه معتبر. ولولا التأريخ لم يصل إلينا لا خبر ولا أثر، وهو غذاء الأرواح والأشباح، وهو خزينة أخبار الناس والرجال، وهو معدن العجائب والغرائب والروايات والأمثال، والتأريخ زينة الأديب، وعمدة اللبيب، وعون المحدث، وذخر الأريب. والتأريخ يحتاج إليه الملك والوزير والقائد وغيرهم. أما الملك، فيعتبر بما مضى من الدول، ومن سلف من الأمم. وأما الوزير، فيعتبر بفعال من تقدّم ممن حاز فضلي السيف

والقلم. وأما قائد الجيوش، فيطلع منه على مكائد الحرب ومواقف الطعن والضرب. وأما غيرهم، فيستمعونه على سبيل المسامرة، فيحصل لهم بذلك المبادرة إلى أنواع الخيرات، والاجتناب عن المنكرات. ولأجل هذا قالوا: يجب على الملك أن يسلك طريق الملوك الذين تقدّموا، ويعمل عملهم في الخير، وأن يقرأ كتب مواعظهم ووصاياهم، لأنهم أكثر تجربة واعتبارًا، وأنهم فرّقوا بين الجيّد والرديء، وعرفوا الجلي من الخفي. وكان "أنوشروان" مع حسن سيرته يقرأ كتب الأولين، ويطلب استماع حكاياتهم، ويمضي على طريقتهم. فإذن لا غناء عن التأريخ. فينبغي أن يعتنى بشأنه، ويكتب وينقل، لكن ليس كيف ما اتّفق، للاحتراز عن المجازفة والرجم بالغيب. (كاف، مخ، ١١٧، ١٠)

- التاريخ في اللغة الإعلام بالوقت يقال أرّخت الكتاب وورّخته أي بيّنت وقت كتابته. قال الجوهري التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله يقال أرّخت وورّخت وقيل اشتقاقه من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرها وهو الانثي من بقر الوحش لأنه شيء حدث كما يحدث الولد انتهى. وقد فرّق الأصمعي بين اللغتين فقال بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخًا وقيس تقول أرّخته تأريخًا وهذا يؤيّد كونه عربيًا. وقيل إنه ليس بعربي محض بل هو معرّب مأخوذ من ماه روز بالفارسية ماه القمر وروز اليوم وكان الليل والنهار طرفة. قال أبو منصور الجواليقي في كتابه المعرّب من الكلام الأعجمي يقال إن التاريخ الذي يؤرّخه الناس ليس بعربي محض وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب وتاريخ المسلمين أرّخ من سنة الهجرة كتب في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخًا إلى اليوم انتهى. قال أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتاب الخراج له تاريخ كل شيء آخره فيؤرّخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة ونحوه، قول الصولي تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه ومنه. قيل لفلان تاريخ قومه إما لكون إليه المنتهى في شرف قومه، كما قال المطرزي وذلك بالنظر لإضافة الأمور الجليلة من كرم أو فخر أو نحوهما إليه؛ وإما لكونه ذاكرًا للأخبار وما شاكلها، وممّن يلقب بذلك أبو البركات محمد بن سعد بن سعيد البغدادي العسال المقرئ الحنبلي المتوفي في سنة تسع وخمسمائة. وفي الاصطلاح التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحجّ وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه. هذا ممّا مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتّفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمّة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد وانتزاعه من متغلّب عليه وانتقال دولة، وربما يتوسّع فيه لبدئ الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال

القيامة ومقدّماتها مما سيأتي أو دونها كبناء جامع أو خفي سماوي كجراد وكسوف وخسوف أو أرضي كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام، والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عمّا كان في العالم. (سخ، ذم، ٦، ١٢)

- موضوع (التاريخ) الإنسان والزمان. ومسائله أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان. وأما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها، ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذّر الجمع بينهما. أما بالإضافة لوقت متأخّر كرأيته قبل أن يموت بعام أو نحوه أو عن صحابي متأخّر، وقد يكون بتصريح الراوي كقوله كان آخر الأمرين من النبي صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء ممّا مسّت النار. وقول عائشة إنه صلى الله عليه وسلم كان قبل فتح مكّة إذا لم ينزل لم يغتسل ثم اغتسل بعد وأمر به إلى غيرها، وكون المروي من طريق بعض المختلطين من قديم حديثه أو ضدّه، وكون الراوي لم يلقَ من حدّث عنه إما لكونه كذب أو أرسل، وذلك ينشأ عنه معرفة ما في السند من انقطاع أو عضل أو تدليس أو إرسال ظاهر أو خفي للوقوف به، على أن الراوي مثلًا لم يعاصر من روى عنه أو عاصره، ولكنه لم يلقه لكونهما من بلدين مختلفين ولم يدخل أحدهما بلد الآخر ولا التقيا في حجّ ونحوه مع كونه ليست له منه إجازة أو نحوها. (سخ، ذم، ٧، ١٨)

- (التاريخ) مع أخبار العلماء ومذاهبهم والحكماء وكلامهم والزهاد والنساك ومواعظهم عظيم الغناء ظاهر المنفعة فيما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسريرته في اعتقاداته وسيرته في أمور الدين، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي، وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ثم سبب انقراضها وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء وما يتّصل بذلك من الأحوال التي يتكرّر مثلها وأشباهها أبدًا في العالم غزير النفع كثير الفائدة، بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرّب الأمور بأسرها وباشر تلك الأحوال بنفسه فيغزر عقله ويصير مجرّبًا غير غر ولا غمر. . . وما أحسن قول بعض السادات العقل عقلان: مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع ما لم يكن ثمّ مطبوع. ونحو هذا ما يقع فيه من ذكر ذوي المروآت والأجواد والمتّصفين بالوفاء ومحاسن الأخلاق والمعروفين بالشجاعة والفروسية، وأنه أيضًا جمّ الفوائد كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبّه والاقتداء بأربابها ليصير لهم نصيب من حسن الثناء وطيب الذكر الذي حرض عليه خلاصة البشر. (سخ، ذم، ١٣، ١٩)

- قال أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: (جلالة علم التاريخ) في الحكمة في قص الله تعالى على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الأنبياء الماضين والأمم السالفين أمور: منها إظهار نبوّته والاستدلال بذكرها على رسالته لأنه صلى الله عليه وسلم كان أمّيًّا لم يختلف إلى مؤدّب ولا معلّم ولا فارق وطنه مدّة يمكنه الانقطاع فيها إلى عالم يأخذ ذلك عنه، فإذا علم بها وتدبّر العاقل من قومه ذلك علم أنه بوحي من الله سبحانه وتعالى فآمن به وصدّقه. وكان ذلك من المعجزات الدالّة على صحّة نبوّته وقد ينكر ويجحد حسدًا وعنادًا. ومنها التأسّي بهم فيما أثنى الله عليهم به والانتهاء عن ضدّه. ومنها التثبيت له والإعلام بشرفه وشرف أمّته حيث عوفي وأمته عن كثير ممّا امتحن به من قبلهم وخفّف عنهم في الشرائع وخصّهم بكرامات انفردوا بها عنهم، وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠) الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع. ومنها التهذيب والتأديب لأمته كما أشار إليه تعالى في قوله آيات للسائلين وعبرة لأولي الألباب وموعظة للمتّقين، ولذا كان الشبلي يقول فيها اشتغل العامة بذكر القصص والخاصة باعتبار من القصص ومنها الإحياء لذكرهم وآثارهم ليكون للمحسن سببًا للاجتهاد في العمل رجاء تعجيل ثوابه وبقاء لذكره وآثاره الحسنة، كما رغب خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤)، والناس أحاديث يقال مات ميت ولذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر. (سخ، ذم، ١٦، ١٢)

- قال أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني الكاتب في مقدمة الأغاني: إن القارئ إذا تأمّل ما فيه (التاريخ) من الفقر ونحوها لم يزل منتقلًا بها من فائدة إلى فائدة ومتصرّفًا منها بين جدّ وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متّصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام، يجمل بالمتأدّبين معرفتها وتحتاج الأحداث إلى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها إذ كانت منتحلة من غرر الأخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها، ومن غرائبه أن شخصًا جهنيًا كان من ندماء المهلبي فكان يأتي بالطامات فجرى مرة حديث النعنع فقال في البلد الفلاني نعنع يطول حتى يصير شجرًا ويعمل من خشبه سلالم، فثار منه أبو الفرج هذا فقال نعم عجائب الدنيا كثرة ولا ينكر هذا والقدرة صالحة وأنا عندي ما هو أغرب من هذا أن زوج حمام يبيض بيضتين فآخذهما وأضع تحتهما سنجة مائة وسنجة خمسين فإذا فرغ زمن الحضان انفقست السنجتان عن طست وإبريق فضحك أهل المجلس وفطن الجهني لما

قصد به أبو الفرج من الطنز وانقبض عن كثير من حكاياته. (سخ، ذم، ١٨، ٣)

- قال محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمداني الفرضي الشافعي في ذيله لتاريخ ابن جرير أنه رغب في الاطلاع عليه سادة الأمم والقبائل وأهل المحامد والفضائل كالأئمة من ولد العباس وغيرهم بدون إلباس إلى أن قال فما كان في ذلك من استقامة في الأحوال كان بالنعم مذكرًا وما شاهدوا فيه من الاختلال كان منبّهًا ومنذرًا. وقد روي أن رجلًا قال لسعيد بن المسيب رضي الله عنه إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال له: يا هذا إن الله تعالى بعث نبيّه صلى الله عليه وسلم بشيرًا ونذيرًا فمن كان على خير بشّره وأمره بالزيادة ومن كان على شرّ حذّره وأمره بالتوبة والاطلاع في أخبار الناس مرآة الناظر يصدق فيرغب في المحاسن ويرهب من القبائح ومهذّب ذوي البصائر والقرائح، وبها يذكر الله من عباده من يراه أهلًا لذكره ومستوجبًا لكريم ثوابه وأجره. (سخ، ذم، ١٩، ٣)

- قال أبو القاسم محمد بن يوسف المدني الحنفي نزيل بلخ ومؤلّف النافع في فقههم في تاريخ بلخ الذي ألّف في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وجعله متوسطًا لقلّة رغبة الناس وضعف همّتهم إنزالًا لهم منازلهم وتكليمًا معهم على قدر عقولهم وختمه بأحواله وتصانيفه فيما ذكره من منافعه بزيادة بعض ألفاظ في غير محل من مواضعه فيه إحياء ذكر الأولين والآخرين من علمائها والطارئين عليها، فإن ذكر حياة جديدة ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا وتصوّرهم في القلوب ومعرفة أفعالهم وزهدهم وورعهم وديانتهم وانصرافهم عن الدنيا واحتقارهم لها وصبرهم على شدائد الطاعات والمصائب في الله فيتخلّق الناظر بأخلاقهم ويتعطّر السامع بأحوالهم، فالطبع منقاد والإنسان معتاد والأذن تعشق قبل العين أحيانًا، ولما كان سبب النجاة الاستقامة في الأحوال والأفعال ولا يتمّ ذلك إلا بسائق وقائد كصحبة الصالحين أو سماع أحوالهم والنظر في آثارهم عند تعذر الصحبة حيث تتصوّر النفس أعيانهم وتتخيّل مذاهبهم، لأنك لو أبصرت لم يبق عندك إلا التذكّر والتخيّل وكان السمع كالبصر والعيان كالخبر وإن كان بينهما بون ولكن إن لم يكن وابل بطل سيما وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وذكر للآخرين واعتبارهم، فلولا الكتب المسي أكثر الأخبار والأحوال وكان بعد قريب لم يذكر الصادر ولا الوارد ولا الطريف ولا التالد. (سخ، ذم، ١٩، ١٣)

- قال العماد إبن محمد بن حامد الأصبهاني الشافعي الكاتب في الفتح القدسي على يد الصلاح أبي المظفر يوسف بن أيوب الذي ابتداه بسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وقال إن عادة التواريخ الابتداء ببدء الخلق أو بدولة من الدول، فليست أمة أو دولة إلا ولها تاريخ يرجعون إليه ويعوّلون عليه ينقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها

تقيد به شوارد الأيام وتنصب به معالم الأعلام، ولولا ذلك لانقطعت الوصل وجهلت الدول ومات في أيام الأواخر ذكر الأول ولم يعلم الناس أنهم لعرق الثرى وإنهم نطف في ظلمات الأصلاب طويلة السرى وأن أعمارهم مبتدأة من العهد القديم لآدم، وقد أخذ ربك من ظهورهم ذرياتهم لما أراده من ظهورهم وتقادم فيعلم المرء أنه قبل انقضاء عمره وقبل نزول قبره ما استبعده أهل الطي من حقيقة النشر وليقبل في واحدة من الأطوال شهادة عشرة فقد قطع عمرًا بعد عمر وسار دهرًا بعد دهر وثوى وانشر في ألف قبر، وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر، ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة وتعذّر الاعتبار بمسالمة الأيام وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها، ثم ذكر ما كان يؤرّخ كثيرون مما مضى به كالطوفان والسيل والأرصاد القصير الذيل، وإن التاريخ بالهجرة نسخ كل تاريخ متقدّم وهدم كل ما لم يكن مرتكبه فيه متندم بحيث أمن به بيقين ووقوع الخلق الواقع في الماضين واستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأمر الله عباده ببذل ما عين لهم في الأموال بل والأنفس مما يعيده إليهم مضاعفًا من الفرض. (سخ، ذم، ٢٢، ١٠)

- قال الجمال أبو الحسن علي بن أبي المنصور ظافر بن حسين الأزدي المصري المالكي في أخبار الدول الإسلامية: أنه لو لم يكن من فوائده (التاريخ) غير وعظه بأن الدهر لا يبقى على حاله ولا يلزم من أخلاقه غير الاستحالة لكان كافيًا ولغرض المتأمّل شافيًا، فكيف وفوائده لا تحصى وفرائده لا تستقصى والناظر فيه جامع بين عبرة تسلها عبرة وفرحة تنيلها منحة ثم عدّ الدول وأطال في الإشارة إليها. (سخ، ذم، ٢٢، ١٩)

- قال العزّ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير في كامله: أن فوائده (التاريخ) كثيرة ومنافعه الدنيوية والأخروية غزيرة وها نحن نذكر شيئًا مما يظهر لنا فيها ونكل إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها. فأما الدنيوية فمنها أن الإنسان لا خفاء به أنه يجب البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شعري أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين، فإذا طالعها فكأنه عاصرهم وإذا علمها فكأنه حاضرهم. ومنها أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوّنة في الكتب يتناقلها الناس فيروبها خلف عن سلف ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبح الأحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطّرحوها، فإذا رأوا سيرة الولاة والعارفين وحسنها وما يتبعهم من

الذكر الجميل بعد ذهابهم وأن بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درّت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء وخلصوا بها من المهالك واستضافوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن منها غير هذا لكفي به فخرًا. ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها وأنه لا يحدث له أمر إلا وقد تقدّم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلًا ويصبح لأن يقتدي به أهلًا، ولقد أحسن القائل حيث يقول وجدت العقل عقلان: فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع، يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلا فهو زيادة في عقله الأول انتهى. ويشير إليه المروي في المرفوع (إن حدّثت أن رجلًا تحوّل عن طباعه فلا تصدّق). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ونقل طريقة من طرائقها فترى الأسماع مصغية إليه الوجوه مقبلة عليه والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره. وأما الأخروية فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها ورأى تقلّب الدنيا بأهاليها وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها وإنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد فيها وأعرض عنها وأقبل على التزوّد للآخرة منها ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص. ولعلّ قائلًا يقول ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا الفاخرة، فيا ليت شعري كما رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز الذي هو سيّد المواعظ وأفصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام، فإن القلوب مولعة بحب العاجل ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق، فإن العاقل إذا رأى أن شرّ الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ولا ملك معظم بل ولا واحد من البشر علم أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم. (سخ، ذم، ٢٣، ٤)

- قال الكمال جعفر الأدفوي في مقدمة الطالع السعيد: هو (التاريخ) فن يحتاج إليه وتشدّ يد الضنانة عليه إذ به يعرف الخلف أحوال السلف ويميّزوا منهم من يستحقّ التعظيم والتبجيل، ممن هو أهون من النقير وأحقر من الفتيل ومن وسم منهم بالجرح أو بالتعديل وما سلكوه من الطرائق واتّصفوا به من الخلائق وأبرزوه من الحقائق للخلائق، وهو أيضًا من أقوى الأسباب في حفظ الأنساب أن تنساب. وقد وضع فيه السادة الحفاظ والأئمة العلماء الإيقاظ كتبًا تكاثر نجوم السماء ثم منهم بيقين من رتّب على السنين ومنهم من رتّب على الأسماء ليكون أسنى وأسمى،

ثم منهم من خصّ بعض البلاد ومنهم من عم كل قطر وناد. (سخ، ذم، ٢٩، ١٣)

- قال الموفق أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي في مقدمة تاريخ اليمن ما نصّه: حداني على جمعه ما رأيت من إهمال الناس لفن التاريخ مع شدّة احتياجهم إليه وتعويلهم في كثير من الأمور عليه، ولما يندرج في ضمنه من المواعظ والآداب وتفصيل شوابك الأرحام والأنساب. قال ولولا معرفة التاريخ ما اتّصل أحد من الخلف بشيء من أخبار السلف ولا عرف فاضل من مفضول ولا امتاز معروف من مجهول. (سخ، ذم، ٣٢، ١٥)

- قال الشمس محمد بن عمار المصري المالكي: لو لم يكن من فوائده (التاريخ) إلا رؤية الحكايات السالفة والروايات المترادفة فإن فيها ما يسلي الوجد من سوء هذا الزمن الأليم ويعلم منها أن مصراع الهم قديم. (سخ، ذم، ٣٢، ١٨)

- قال التقي المقريزي: العلم في الجملة على قسمين عقلي ونقلي فينبغي أن يتفرّغ المرء بعد اتّقان ما يجب معرفته منهما لمطالعة التاريخ وتدبّر مواعظه فإنه يحصل بتدبيره لمن أزال الله تعالى أكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار إليه أبناء جنسه من الغناء والبيود بعد التخول في الأموال والجنود فيخطئ بالعزوف عن الدنيا والرغبة في الآخرة، ثم قال فما أقبح من اتّسم بالعلم وزعم أنه من ذوي الدراية والفهم إذا سئل عن رسل الله تعالى الذين أمر بالإيمان بهم فلم يجب بغير سرد أسماء يجهل مسمّياتها وما أسوأ من تصدّى للتدريس والإفتاء وتصدّى للحكم بين الناس وفصل القضايا إذا جهل من أحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم ونسبه وجميل سيرته ورفع منصبه وما كان له من الفضائل الذاتية والعرضية ما لا غناء لمن آمن به عن معرفته. ولا بدّ لكل من اتّسم بالعلم من درايته فما أجدر من كان كذلك أن يجيب فتاني القبر إذا سألاه ما تقول في هذا الرجل بأن يقول لا أدري سمعت الناس يقولون فقلت أعاذنا الله من ذلك. (سخ، ذم، ٣٥، ٤)

- التاريخ من المهمّات العظام مقبول عند الأنام مشتمل على فكر وعبر ومنطو على مصالح ومحاسن على وجه معتبر، ولولاه لم يصل إلينا لا خبر ولا أثر وهو غذاء الأرواح والأشباح خزانة أخبار الناس والرجال معدن العجائب والغرائب والروايات والأمثال زين الأديب وعمدة اللبيب عون المحدّث وذخر الأديب يحتاج إليه الملك والوزير والقائد البصير وغيرهم ممن عزّ أمرهم. أما الملك فيعتبر بما مضى من الدول ومن سلف من الأمم، وأما الوزير فيعتبر بفعال من تقدّم ممّن حاز فضلي السيف والقلم. وأما قائد الجيوش فيطلع به على مكائد الحرب ومواقف الطعن والضرب. وأما غيرهم فيستمعونه على سبيل المسامرة فيحصل لهم بذلك إلى أنواع الخيرات والاجتناب عن المنكرات المبادرة، ولأجل هذا قالوا يجب على

الملك أن يسلك طريق الملوك الذين تقدّموا ويعمل عملهم في الخير لا فيما عليه تندّموا وأن يقرأ كتب مواعظهم ووصاياهم وينظر أحكامهم وقضاياهم لأنهم أكثر تجربة واعتبارًا وأبصر غالبًا ممن بعدهم سرًّا وجهارًا، لأنهم ممن فرّق بين الجيّد والردي وعرف الجليّ من الخفيّ. (سخ، ذم، ٣٧، ١٠)

- (من الذامين للتاريخ من) يعمّم فيحقّر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها لظنّه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار ونهاية معرفتها الأحادي والأسمار. ومنهم من نسب بعضهم إلى القصور حيث لم يتعرّض للجرح وضدّه مع كونه أعظم فوائده ولا على أخبار الأئمة والزهّاد والعلماء الذين بذكرهم تنزل الرحمة ولا على شرح مذاهب الناس مع عموم الحاجة إليه بل اقتصر على الحروب والفتوحات ونحوها مع أن من أنصف يعلم أنه ليس من العلم فتح البلد الفلاني في سنة كذا ولا أن عدد الجيش كان كذا. ومنهم من نسب المتعرّض منهم للتجريح في الأزمان المتأخّرة إلى ارتكاب المحرّم لكونه غيبة وأن الأخبار المرخّص له من أجلها قد دوّنت وما بقي له فائدة. وممّن صرّح بهذا أبو عمرو بن المرابط وقال إن فائدته انقطعت من رأس الأربعمائة ودندن هو وغيره ممّن لم يتدبّر مقاله بعيب المحدّين بذلك وصرّح بعضهم بأن ما يقع في كلام جماعة من المتأخّرين القائمين بالتاريخ وما أشبهه كالذهبي ثم شيخنا من ذكر المعائب ولو كان المعاب من أهل الرواية غيبة محضة. ونحوه تعقّب التقي بن دقيق العيد ابن السمعاني في ذكره بعض الشعراء وقدح فيه بقوله إذا لم يضطرّ إلى القدح فيه للرواية لم يجز. ومنهم من نسب بعضهم إلى التقصير والتعصّب حيث لم يستوعب القول فيمن هو منحرف عنهم بل يحذف كثيرًا ممّا يراه من ثناء الناس عليهم ويستوفي الكلام فيمن عداهم غير مقتصر عليهم. ومنهم من الحامل له على الذم مجرّد الجهل، فأما الأول فلا شكّ في تحريم الاقتصار عليه حسبما قرّرناه، وأما الثاني فقد رواه ابن الأثير بما حاصله أنه ظنّ من اقتصر على القشر دون اللب واختصر فلم ينظر ما فيها من الجواهر لما عنده من التعصّب ومن رزقه الله تعالى طبعًا سليمًا وهداه صراطًا مستقيمًا علم أن فوائده كثيرة ومنافعه الدنيوية والأخروية ... غزيرة. (سخ، ذم، ٥٠، ٥)

- كان التاريخ في السنة التي قدم فيها النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها ولد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وكانت العرب قبل ذلك تؤرّخ بعام الفيل وهو العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سعد بن أبي وقاص لعمر: أرّخ بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم. فقال علي: بل أرّخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه فرّقت بين الحق والباطل وأظهرت الإسلام فاجتمع رأي المسلمين على الابتداء بسنة الهجرة إذ هي

السنة التي عزّ فيها الإسلام وأهله. (سخ، ذم، ٨٠، ١٨)

- التاريخ علم سامية شرفه عالية بين الأنام غرفه وفيه بما فيه من المنافع، حتى لقد قال الإمام الشافعي في خبر قد صحّ عنه نقله من حفَظَ التاريخ زادَ عقله وهو كلام ظاهر لا شكّ في صحّته وسرّه غير خفي. (سخ، ذم، ٩٥، ١٣)

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦ : ١٥ وسفر دانيال ٤ : ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٨)

- لمّا أُهبط آدم من الجنّة وانتشر ولده أرّخ بنو من هبوط آدم فكان ذلك التأريخ حتّى بعث الله نوحًا فأرّخوا ببعث نوح حتّى كان الغرق فهلك من هلك ممّن كان على وجه الأرض، فلمّا هبط نوح وذرّيّته وكل من كان في السفينة قسّم الأرض بين ولده أثلاثًا فجعل لسام وسطًا من الأرض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وقيون، وذلك ما بين فيشون إلى شرقيّ النيل وما بين منخر ريح الجنوب إلى منخر الشمال، وجعل لحام قسمه غربيّ النيل فما وراءه إلى منخر ريح الدبور، وجعل قسم يافث من قيون فما وراءه إلى منخر ريح الصبا. فكان التأريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم، فلمّا كثر بنو إسمعيل افترقوا، فأرّخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى مبعث يوسف، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى مبعث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأرّخ بنو إسمعيل من نار إبراهيم إلى بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسمعيل. ثم أرّخ بنو إسمعيل من بنيان البيت إلى أن تفرّقت بعد، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا بخروجهم. ومن بقي من بني إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونهد وجهينة حتى مات كعب بن لؤي فأرّخوا من موته إلى الفيل فكان التأريخ من الفيل، إلى أن أرّخ عمر بن الخطاب من الهجرة وكان ذلك

سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة. (سي، شم، ٨، ١٢)

- النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتأريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع الأول، رواه يعقوب بن سفيان: حدثنا يونس بن وهب عن ابن جريج عن ابن شهاب أنه قال: التأريخ من يوم قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرًا، قال ابن عساكر: هذا أصوب والمحفوظ أن الآمر بالتأريخ عمر، قلت: وقفت على ما يعضد الأول فرأيت بخط ابن القماح في مجموع له: قال ابن الصلاح: وقفت على كتاب في الشروط للأستاذ أبي طاهر محمد بن محمش الزيادي ذكر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرّخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران وأمر عليًا أن يكتب فيه أنه كتب لخمس من الهجرة. فالمؤرّخ بالهجرة إذًا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر تبعه في ذلك. وقد يقال: هذا صريح في أنه يقال أرّخ سنة خمس. والحديث الأول فيه: أنه أرّخ يوم قدوم المدينة ويجاب بأنه لا منافاة فإن الظرف وهو قوله "يوم قدم المدينة" ليس متعلّقًا بالفعل وهو "أمر" بل بالمصدر وهو "التأريخ" أي أمر بأن يؤرّخ بذلك اليوم لا أن الأمر في ذلك اليوم فتأمل فإنه نفيس. (سي، شم، ١٠، ٤)

- في فوائده (التاريخ) منها: معرفة الأجيال وحلولها، وانقضاء العدد، وأوقات التعاليق، ووفيات الشيوخ ومواليدهم. والرواة عنهم، فتعرف بذلك كذب الكاذبين وصدق الصادقين. (سي، شم، ١٣، ٢)

- التاريخ لا يقوم إلا على الآثار التي خلّفتها عقول السلف أو أيديهم. فإذا سطت محن الدهر أو عوادي الزمن على بعض هذه الآثار وأزالت معالمها فقدها التاريخ وكانت كأنها لم توجد. وبفقدها يجهل تاريخ عصرها ورجالها. أما إذا بقيت وحفظت فقد حفظ التاريخ فيها. لهذا يرى المؤرّخون لزامًا في أعناقهم، قبل كل شيء، أن يتفرّغوا للبحث والتفتيش، عن شتى الآثار التي تخلّفت عن السلف، والتي اصطلحنا أن نسمّيها أصولًا. (رس، مصط، ١، ٣)

- التأريخ علم في تحرية الحقيقة وكعلم يطلب الحقيقة كما هي. والأصول هي صلة المؤرّخ الوحيدة بحوادث الماضي. وإذًا فهدف المؤرّخ المنقّب أن يتحقّق من هذه الصلة ومن حرفية نص الشهادة التي فيها ثم يروي هذه الشهادة كما صدرت عن صاحبها الأصلي متحرّيًا في ذلك درس ما يمكن أن يكون قد عرض عليها من زيادة أو تحريف أو نقصان. (رس، مصط، ٣١، ١)

- قال علماء التاريخ شكّ المؤرّخ رائد حكمته وقالوا الأصل في التأريخ الاتهام لا براءة الذمّة. (رس، مصط، ٥٨، ٨)

- لا بدّ للمؤرّخ ... من متابعة البحث والتنقيب للوصول إلى طمأنينة العقل وسلامة الاستنتاج. وعليه أولًا أن يبتعد كل الابتعاد عن الروايات التي انفرد بها

راوٍ واحد. فإذا كانت العلوم الطبيعية تتطلّب المشاهدة والاستدلال القياسي والتحقيق بالمقابلة والتجربة، فتبعد كل الابتعاد عن الإطلاق في النتيجة من مشاهدة واحدة، فالتأريخ أولَى بذلك منها لأنه بعيد عن المشاهدة ضعيف الاستدلال بالقياس عديم التجربة. (رس، مصط، ٨٩، ٣)

- لا بدّ من الاعتراف بأن ما يحسبه المؤرّخ الحاضر يتوقّف على الفلسفة التي يدين بها. فقد يقول بآراء هيكل وقد يؤيّد البلشفية أو النازية أو ما يسمّيه فلاسفة ألمانية اليوم الفينومنولوجية. فيضطرّ والحالة هذه أن ينتقي على أساس فلسفته في الحياة. وليذكر المؤرّخ المستجدّ أن الفلسفة هي من أهم العلوم الموصلة وأنه لا بدّ للمؤرّخ من تفهّمها في ماضيها وحاضرها، وأن الفيلسوف المؤرّخ الإيطالي غروتشي ذهب إلى أكثر من هذا فقال بأن التاريخ هو التاريخ هو الفلسفة وأن الفلسفة هي التاريخ. (رس، مصط، ١٢٣، ٦)

- تفهم الوعي التاريخي عند الأفراد والشعوب، وإدراك معنى التأريخ كعلم ينتظم فيه هذا الوعي. (زري، نحن، ١٣، ٢)

- (لفظة التاريخ) تطلق تارة على الماضي البشري ذاته، وتارة على الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية أخباره، أو العلم المعني بهذا الموضوع ويظهر أن الذهن البشري يتنقل عفوًا بين المعنيين دون تمييز دقيق بينهما. فنحن نرى هذا اللبس ذاته في اللغات الأجنبية الحية. فـ: Histoire الفرنسية History الإنكليزية وGeschichte الألمانية تستعمل للمعنيين على السواء، إذ يراد بكل منها أحيانًا حوادث الماضي وأحيانًا أخبار هذه الحوادث أو العلم الذي يحقّقها. وقد حاول بعض الباحثين الغربيين محاولات شتّى للتمييز، فأطلق بعض الفرنسيين مثلًا (Histoire بِـ H كبرى) على الماضي و histoire على العلم، واحتفظ بعض الألمان بـ Geschichte للمعنى الأول و Historie للمعنى الثاني، واضطرّ هيجل إلى أن يعود إلى اللاتينية ليميّز بين resgestae و historia rerum gestarum. ولكن العادة الجارية ظلّت غالبة، ولا يزال هذا اللبس قائمًا، ولعلّه ناشئ عن شعور أصيل في الإنسان بالارتباط الدقيق بين معرفة الماضي والماضي ذاته. ويقوى هذا الشعور بصفة خاصة في الأدوار التي يزداد الإنسان فيها إحساسًا بماضيه وتلفتًا إليه وتأثرًا به. (زري، نحن، ١٣، ٧)

- إطلاق "التأريخ" (بالهمز) على دراسة الماضي و"التاريخ" (بالألف اللينة) على الماضي ذاته. (زري، نحن، ١٤، ١١)

- إن هذا العود إلى التاريخ طبيعي في كل آن ومكان، ولكنه يشتدّ بصفة خاصة في عهود النهضات القومية عندما تهب الشعوب لتنشد الوحدة والقوة فتجد أن من أهم هذه الأمجاد والتقاليد، ويعيدها إليها قادتها وموجهوها، لتتقوّى بها ولتفيد منها العضد المعنوي والروحي في نهضتها المتوثّبة وفي

سعيها لبناء حياتها القومية الجديدة. (زري، نحن، ١٧، ١٢)

- التأريخ، في ما نرى، هو "السعي لإدراك الماضي البشري وإحيائه". هذا التعريف الموجز يتضمّن لبّ المطلوب، ولكن هذا اللبّ يحتاج إلى نشر وإيضاح، وإلى زيادة في التحديد، وإلى التميز بينه وبين ما قد يعلق به أو يغشاه من معانٍ عارضة أو مغايرة. فلنقدم على هذا التحديد والتميز، متناولين كلًا من أجزاء التعريف وتعابيره، في سبيل استخراج صورة جامعة واضحة لموضوع التأريخ ولغرضه الأصيل. لنذكر أولًا أن التأريخ ينصب على الماضي. وهو بهذا يتميّز عن سواه من المجهودات الفكرية الإنسانية. وليس معنى هذا أننا نستطيع أن نفصل فصلًا جازمًا بين الماضي والحاضر والمستقبل. فقد رأينا في ما سبق، وسنرى أيضًا في المراحل التالية من دراستنا، أن الحياة في سيرها وحدة متكاملة، وأن المواقف المتّخذة من الماضي تتأثّر بمعتقدات الحاضر وآمال المستقبل، كما تتأثّر هذه بتلك. وكذلك لا نقصد مما ذكرنا إلى أن العلوم والفنون الأخرى تهمل الماضي وتشيح بوجهها عنه. فلكل منها تأريخها الخاص بها كتواريخ الطب والفلسفة والنظم الإقتصادية والسياسية والأدب والتصوير وما إلى ذلك، حتى أنه ليمكننا القول إنه حيثما نجد تغيّرًا وتراكمًا في الحياة البشرية فثمّة مجال للتأريخ. إن التأريخ لا يرتدّ عن أي حقل من حقول الإنتاج البشري بل يطمح إلى ولوجها جميعًا وإلى تتبّع التغيّرات التي طرأت عليها والمراحل المتتابعة التي جازتها. بل نذهب إلى أبعد من هذا فنلاحظ أن كل عالم أو أديب أو فنان لا غنى له في عمله أو فنه من أخذ الماضي بعين الاعتبار والتأثّر به إلى حدّ قريب أو بعيد. فالطبيب إذ يعالج الداء يبدأ، أول ما يبدأ، بالسؤال عن نشوئه وتطوّره وعمّا اعترى المريض من علل سابقة، والفلكي الذي يتتبّع تكوّن العوالم والأجرام السماوية ودوران الكواكب في أفلاكها لا بدّ له من أن ينظر إليها في تحوّلها مما كانت عليه إلى ما هي الآن وإلى ما ينتظر أن تكون، والكيميائي إذ يخضع مادة من المواد لعملية معيّنة يدرس تغيّرها من حال إلى حال، من "ماضٍ" إلى "حاضر" أو من "حاضر" إلى "مستقبل". والعالم الاجتماعي - أيًّا كان اختصاصه - لا يستطيع دراسة المشكلات التي يعالجها إذا لم يأخذ بعين الاعتبار الجذور التي نبتت منها والتبدلات التي طرأت عليها. وهكذا الأمر في العلوم الأخرى، الطبيعية منها والبشرية. فكلها تهتمّ بماضي الحقائق المتعلّقة بموضوعها، وتنظر إليها كـ "أحداث"، وإن كان هذا النظر والاهتمام على درجات متفاوتة وبأشكال مختلفة بحسب طبيعة كل منها. أما الأديب والفنان، فهل بمكنة أي منهما، إذ ينتج ما ينتج، أن يتعرّى عن اختباراته السابقة ومشاعره الموروثة والمكتسبة والجو الذي نشأ فيه والتقاليد السائدة في محيطه

وعصره؟ ذلك أمر مستحيل ما دام الإنسان - أيّ إنسان - وليد أحداث وملتقى عوامل متطوّرة مطوّرة تعمل في نفسه وفي مجتمعه. فالتأريخ هو إذن، من هذا الوجه، منساب في شتى العلوم والآداب مرتبط بها متفاعل وإياها. ولكنه يتميّز عنها من حيث انصبابه على الماضي بالذات، بينما هي تتّجه إلى أغراض وغايات أخرى. (زري، نحن، ٤٩، ١١)

- التأريخ يعنى بالماضي البشري من جميع وجوهه، لا يهمل منها شيئًا ولا يرتدّ عن شيء. (زري، نحن، ٥٥، ٤)

- التأريخ مجموعة تواريخ خاصة للسياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب وسواها. بل معناه أن الحياة البشرية هي في الماضي مثلها في الحاضر: وحدة عضوية تتفاعل فيها مختلف العناصر وتتكامل. فكل حدث من الأحداث - كبيرًا كان أو صغيرًا، بارزًا أو خفيًا - هو ملتقى مؤثرات متداخلة وعلاقات منبثة، والحياة التي تتألّف من هذه الأحداث هي كيان متشابك معقد ولكنه، بالوقت ذاته، مترابط موحّد يأبى التجزؤ والانقسام. ولذلك يصحّ أن يقال إن المرء لا يدرك حدثًا من أحداث الحياة على حقيقته إلا إذا وعى الحياة كلها، ولا يدرك قسمًا من أقسام التأريخ إدراكًا صحيحًا إلا إذا فهم التأريخ البشري بكامله. (زري، نحن، ٥٥، ٢١)

- لئن كان التأريخ علمًا من حيث تحقيقه، وفلسفة من حيث ما يحاول من تفهّم كلي وربط للأحداث وتعليل للأسباب والنتائج، فهو أدب وفن من حيث العرض والأداء والبيان. ولا يعني هذا طبعًا أن يعتبر التأريخ أدبًا فحسب، أو أن تتغلّب فيه العناية بالتعبير على الدقّة في التحقيق، كما حصل عند فريق كبير من المؤرّخين من مختلف الأجناس والثقافات. فإن صفة التأريخ الأدبية يجب ألا تتجاوز صفته العلمية وألا تسلبها مقامها الأول ومرتبتها الأساسية. والمؤرّخ المتميّز هو الذي يعرف كيف يكسو العلم الدقيق بالأسلوب الرفيع. (زري، نحن، ٧٥، ١٦)

- التاريخ تاريخان: التاريخ العبء، والتاريخ الحافز. فثمّة تاريخ يثقل كاهل صاحبه - فردًا كان أو أمّة - ويشلّ حيويته، ويضعف همّته، ويجعل إنتاجه هزيلًا سقيمًا. وثمّة تاريخ آخر يحفز وينشط ويبعث، ويدفع إلى الإبداع والتقدّم. (زري، نحن، ٢٠٨، ٢)

- التاريخ ذاته هو هو لا يتغيّر، وأنه لا يمكن أحدًا، مهما يسع أو مهما يعظم فعله، أن يبدّله أو أن يعود فيفكّ خيوطه لينسجها من جديد. أما الموقف المتّخذ منه فهو تابع لدرجة الاستعداد ونوع الأهلية وما ادّخر الفرد والقوم من معرفة وخبرة وما اكتسبوه من صفات عقلية وخلقية. فكم من تاريخ جليل حافل كان لأهله عامل استكانة وتأخّر، وكم من تاريخ هزيل مظلم كان لأبنائه مثار نقمة ومبدأ انطلاق لأعمال باهرة مجيدة. ولذا فإن نوع الأثر الذي يكون لتاريخنا فينا متوقّف، آخر الأمر، علينا. فكون الأثر إيجابيًا أو سلبيًا، أو نصيبه من هذه الصفة

أو تلك، رهين بجدارتنا واستحقاقنا وصحّة موقفنا. (زري، نحن، ٢٠٨، ١٥)

- كلمة خبر التي استعملها العرب في صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها في اللغات السامية قصة طويلة، فيها معنى الربط والتقييد وفيها من خلال كلمة خبر معنى البحث والفحص ومعنى الأخبار أيضًا. وقد تأخّرت كلمة تأريخ حتى ظهرت وفشت على الأقلام الإسلامية، ولئن اضطربت تفاسير اللغويين حول هذه الكلمة وشكّوا في عروبتها حتى أعطوها أصلًا فارسيًا: "ماه روخ" وقيل إنها حرفت عنه، والأرجح أن جذرها (ورخ) جذر سامي ولكنها من لغة اليمن الجنوبية وليس عن كلمة يرح أو ياريح العبرية أو السرد كما ورد في الموسوعة الإسلامية. (مص، رخ١، ٤٩، ٥)

- إذا كانت كلمة تاريخ، تحمل في العربية منذ زمن بعيد خمسة من المعاني على الأقل هي: ١) سير الزمن والأحداث أي التطوّر التاريخي، تقابل كلمة The History of ... وتعني ما يفهم من كلمة التاريخ الإسلامي أو تاريخ إيطاليا. ٢) تاريخ الرجال أو ما يقابل The Biography ٣) عملية التدوين التاريخي أو التأريخ ووصف التطوّر وتحليله وهي التي تقابل كلمة Historiography. ٤) علم التاريخ والمعرفة به، وكتب التاريخ وما فيها وهو ما يقابل كلمة The History المفردة. ٥) تحديد زمن الواقعة أو الحادث باليوم والشهر والسنة (The date). إذا كان ذلك فقد مرّت هذه الكلمة بأطوار عدّة قبل أن تستقرّ فيها تلك المعاني وتحملها في الإسلام، بدأت مسيرتها أولًا بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام الأول، وبعد أن استعملت الكلمة فترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن. وكان يقوم مقامها في معنى هذه العملية التاريخية: كلمة خبر، وأخبار وأخباري، ثم بدأت كلمة تاريخ تحلّ بالتدريج محل كلمة خبر وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل متّصل الزمن والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطوّر في الخبر والعملية الإخبارية. وكان ذلك على ما يبدو في أواسط القرن الثاني الهجري، فما أطلّ القرن الثالث حتى صارت كلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره، وبأخبار الرجال وعلى الكتب التي تحوي ذلك، وحلّت نهائيًا محل كلمة الخبر والإخباري اللتين انحطّت قيمتهما العلمية قبل أن تختفيا من الاستعمال في القرن الرابع. (مص، رخ١، ٥٠، ٥)

- التأريخ أي الإحساس بمرور الزمن والأحوال عبر جيل بعد جيل وتسجيل ذلك الإحساس على صورة من الصور (قد تكون أسطورة أو قصة أو نسبًا أو أغنية أو نقشًا أو سجل أحداث) هو ممارسة إنسانية تتعمّق وتتبلور مع الارتقاء في الدرجة الحضارية. وعرب ما قبل الإسلام لم يكونوا بعيدين عن التأريخ، وكل جماعة منهم كان لها على طريقتها وبمقدار سويتها الحضارية تأريخها الخاص بعضه مدوّن أو

منقوش وبعضه شفهي. وهو تراث واسع من الكتابات والنقوش والأخبار العديدة جدًّا والمتفاوتة في الأهمية تفاوتها في الصحة والصدق، وما كانت كلها بالطبع مدوّنة بلغة قريش والقرآن الكريم. (مص، رخ١، ٥٢، ١٠)

- ميدان التنجيم هو التنبّؤ بالمستقبل وكل ما أفاده منه التاريخ هو محاولة بعض المؤرّخين تصحيح أو ضبط بعض الأحداث التاريخية عن طريق الأزياج والحسابات الفلكية. ولعلنا نذكر هنا منجّمًا معروفًا أسهم بدوره في كتابة التاريخ ضمن هذا المفهوم وإن لم يبق لما كتبه من أثر هو ما شاء الله المنجّم. واسمه الأصلي ميشى (معناه يثرو) بن أثرى. وكان يهوديًّا عاش من أيام المنصور إلى أيام المأمون يصفه ابن النديم بأنه "كان أوحد زمانه في علم الأحكام". وقد كتب كتاب الدول والملل وكتاب السلطان ولا شكّ أنه مارس فيهما معلوماته النجومية كما كتب كتابًا واضح العلاقة بين التاريخ والنجوم هو كتاب الواحد والعشرين في القرانات والأديان والملل. (مص، رخ١، ١٧٤، ١٢)

- بلغ التاريخ، كعلم، سن الرشد، أي فترة الاستقلال بمادته وإسمه ومناهجه ورجاله، في أواخر القرن الثالث الهجري وكانت البواكير الأولى من مؤلفاته قد ظهرت منذ أواسط القرن الثاني. ثم ما زال المؤرّخون يوفّقون بين المواد المستمدّة من السيرة والكتب الإخبارية المتنوّعة وعناصر التاريخ الأجنبي لتنسيقها وإدماجها في رواية تاريخية متماسكة متّصلة الزّمن، وما زالوا يخضعونها لفكرة تاريخية متزايدة النمو والوضوح في أبعاد الزمان والمكان وتنوّع الأمم حتى استكمل علم التاريخ عناصره: في المنهج والمادة والممثّلين وصار علمًا مستقلًّا. (مص، رخ١، ٢٦٨، ١٤)

- عدّد الذهبي ما سمّاه "فنون التاريخ" التي تدخل في تاريخه الكبير المحيط: تاريخ الإسلام. ولم ينهض لها على حدّ قوله - ولو عمله على أساسها لجاء في ٦٠٠ مجلّد - فجعل تلك الفنون "أربعين" فنًّا ونوعًا. يشكّل تاريخ السيرة والأنبياء والصحابة والخلفاء والملوك خمسة فنون منها. أما باقي الفنون فإنما تتعلّق تارة بتاريخ التنظيم السياسي (تاريخ الوزراء. تاريخ الأمراء والأكابر ونواب الممالك والولاة وكبار الكتاب) أو بتاريخ الحاضرة (تاريخ البخلاء وتاريخ التجار وتاريخ أولي الصنائع العجيبة. وقطّاع الطريق. ولعّاب الشطرنج والنرد والقمار. وتاريخ الملاح والعشّاق وشربة الخمور وأهل الخلاعة وأولي الدهاء والمخنّثين وأهل المجون وعقلاء المجانين. وتاريخ السائلة والشحّاذين والوراقين والقصاص والندماء والأذكياء والمطربين... وتاريخ الرهبان وأولي الصوامع. وعجائب الأسفار والشجعان والفرسان والشطار والسعاة...) أو تتعلّق بالعلوم والعلماء (تاريخ الفقهاء. الحفّاظ. النحّاة. القضاة. الوعّاظ. الأطباء. الفلاسفة المتكلّمين.

الشيعة. الخوارج...) وإذا كان الذهبي متأخّرًا عن العصر الذي ندرس حوالى القرن مما قد يمنع من الاستشهاد بتوزيعه التاريخي فإن الاعتراض ينتفي إذا تذكّرنا أن كافّة فنون التاريخ التي صنّف وعدّد إنما كانت موجودة معروفة قبله بقرون وقد توطّدت وألّف الناس فيها أو في معظمها منذ القرن الثاني والثالث الهجريين ثم انتشرت في القرون التالية. (مص، رخ١، ٢٩٧، ١)

- انقسم التاريخ، في شكله التسجيلي، إلى فرعين: فرع للأحداث وفرع للتراجم. وإذا تنحّى الفقيه والمحدّث لعمال الدواوين عن مكانهما في تدوين التاريخ السياسي فإنهما ظلّا على الاستئثار بتاريخ الرجال. وإذا صار التاريخ السياسي "مدنيًا" وكان الحفّاظ والفقهاء راضين عن تركه وإهماله لما فيه ممّا لا يرضي الله فإن تمسّكهم بعلم الرجال كان جزءًا من علومهم الخاصة برواية الحديث ونقله، وقد مارسوا في تسجيله أصولهم وقواعدهم الحديثية بما في ذلك ذكر السند والشيوخ والتلاميذ. على أن ميدان التراجم والرجال لم يبق، مع ذلك، ميدانًا خاصًا بأهل الحديث ورجاله، ذلك أن الصفة "الدنيوية" ما لبثت بدورها أن لحقت التراجم التي دخلها بالتدريج أعيان الرجال وكبار القادة وأهل الدولة. و"تحييد" التاريخ الذي نجح أولًا في ميدان الأحداث السياسية عاد فنجح كرة أخرى في ميدان التراجم وكتب الرجال. أدخل الجماعات غير الدينية في دنيا التراجم التي تحفظ وتروى. بل أدخل أحيانًا بعض البارزين من غير المسلمين ولا سيما في مجالات التخصّص الفكري كالطب والفلسفة أو في العمل السياسي في الوزارة والكتابة والدواوين. (مص، رخ١، ٤٥٥، ١٧)

- في مطلع القرن العشرين أعلن الدكتور ج. ب بيوري (J.B. Bury 1861 - 1927) "أن التاريخ علم" ثم كرّر هذا الأستاذ إعلانه عدّة مرات في محاضرات متتالية، وقد أثار هذا الإعلان رأي كثير من الباحثين في العلوم والآداب، وشبّ نزاع خطير حول هذه القضية. واتّضح من الصراع أن تحديد لفظَي "العلم" و"التاريخ" كان له دخل كبير في تقريب وجهات النظر، أو في حسم الخلاف، فاللورد أكتن (١٨٣٤ - ١٩٠٢م) عرّف العلم بأنه "اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامّة على هيئة مبدأ أو قانون يمكّننا على وجه اليقين من التنبّؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة في ظروف معيّنة". وبناءً على هذا التعريف لم يعتبر اللورد أكتن ومن أخذ برأيه أن التاريخ علم. ولكن تعريف اللورد أكتن للعلم ليس موضع اتّفاق لأن علم الميثيورولوجيا لم يصل إلى أقوال دقيقة خاصة بالجو، ومن هنا شاع الخطأ في تنبّؤات الخبراء عن الجو، ومع هذا فلا نستطيع أن ننفي صفة العلم عن الميثيورولوجيا، وبهذا سقط تعريف اللورد أكتن للعلم، وبالتالي سقط استبعاد التاريخ عن دائرة العلم. واتّجه الرأي لتعريف العلم بأنه المعرفة المنظّمة المبوّبة التي تؤسّس على

البحث الذي لا يتبع هوى النفس، على أن يكون قد رُدَّ إلى المبادئ الثلاث. - التصنيف - التبويب - التقنين. فهل التاريخ علم بناءً على هذا التعريف الجديد؟ إن الإجابة على هذا تستدعي أن نعرف ما هو التاريخ؟ هل التاريخ هو "التدوين"؟ لو أجبنا بالإيجاب لكان التاريخ فنًّا لأنه إنشاء أدبي، ولكن اللفظ الدقيق لهذا المعنى هو "تأريخ" أي كتابة التاريخ. أما التاريخ فمرحلة تسبق التأريخ والكتابة، وهو يعني البحث في أحوال السابقين، وما خلّفوا من آثار ووثائق ثم نقدها وتأويلها، والمعرفة عن طريقها، وذلك المعنى هو المقصود عندما تستعمل كلمة "تاريخ" وهو بذلك يشمل الاستقصاء والبحث وطلب الحقيقة، ثم إنه يتّبع مبادئ التصنيف والتبويب والتقنين، وبهذا يكون التاريخ علمًا. وتبعًا لهذا الاتجاه أدخل رينان سنة ١٨٤٨ العلوم التاريخية في مؤلّفه عن "مستقبل العلم" وردّد فوستل ديكولاند (١٨٣٠ - ١٨٨٩م) هذا القول مرارًا، ومن ذلك ما جاء في كتابه (العصر الوسيط) ونصّه: التاريخ علم لا يتخيّل بل يرى، وهو نظير كل علم ينظر إلى الأحداث ويحلّلها ويقارن بينها، ويحقّق الروابط القائمة بين بعضها والبعض، والمؤرّخ يبحث عن الحدث ويدركه بدرس النصوص بإمعان ودقّة وهي نفس الطريقة المتّبعة في كل علم مؤسّس على الملاحظة الدقيقة. ويبقى سؤال بعد ذلك هو: من أي أنواع العلوم يعتبر التاريخ؟ الإجابة عن ذلك يوردها Hearnshaw بقوله: التاريخ علم، ليس علم نقد وتحقيق، أقرب العلوم الطبيعية شبهًا به الجيولوجيا. فكما أن الجيولوجي يدرس الأرض كما هي الآن ليعرف بقدر الطاقة كيف صارت إلى حالتها الحاضرة، فكذلك المؤرّخ يدرس الآثار المتخلّفة عن الماضي ليفسّر بواسطتها وبقدر إمكانه ظاهرة الحاضر، وكما أن الجيولوجي يجد مادته الأساسية فيما سلم في نفايات الطبيعة من أدلّة قليلة تثبت التطوّرات الجيولوجية القديمة. فكذلك المؤرّخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات، سلمت مصادفة واتّفاقًا من عوادي الزمن التي لا تبقي ولا تذر، وهذه الآثار والسجلات هي الحقائق المحسوسة الحاضرة التي ينصبُّ عليها عمل المؤرّخ وهي مادة علمه، وهي ليست قيّمة وهامّة لذاتها، ولكن لمجرّد دلالتها على الوقائع الماضية، ثم هي لا تدلّ على الوقائع الماضية مباشرة، ولكن بواسطة الضوء الذي يلقيه عليها فكر الباحث. (شل، سلم، ٢٥، ١١)

- التاريخ كله تاريخ الحاضر، فنحن لا نبغي حقًّا من دراسة التاريخ غير التعرّف على الإطار الذي نعيش فيه ومعرفة أصوله، ولا يتسنّى لنا معرفة الحاضر وتفسيره ما لم ندرك الماضي بالبحث في حقيقة وجوده. (شل، سلم، ٣٣، ١٤)
- التاريخ مدرسة الأجيال يتعلّم فيه الأحياء ما ينفعهم فيعملونه، وما يضرّهم فيجتنبونه، وهو الجسر الذي يصل ماضي كل أمة بحاضرها، وبقدر العناية به، والاهتمام بتدريبه تستطيع الأمم أن تبني حياتها على أسس متينة وثابتة، وكيف لا والحياة كلها بدروبها الطويلة المتعاقبة ليست إلا تاريخًا أمينًا، فاليوم هو حاضرك

لكنه سيكون غدًا في حساب تاريخك لا يعود إليك ولا تملك تغيير معالمه، والإنسان يبني واقعه على الماضي؛ فأنت تلتقي بالأمجاد فتشدّ نفسك إليها، وتلتقي بالسيّئ من الأحداث فتحجز نفسك عن انتهاج الطرق المؤدّية إليها، وإذا رأيت أمة قد اضطربت واختلطت عليها معالم الطريق، فاعرف أنه في مقدمة الأسباب لذلك انقطاع الصلة بين ماضيها وحاضرها. (شل، سلم، ٣٥، ١٤)

- التاريخ وسيلة لتهذيب الأخلاق والتربية، فيقرّرون أن الفائدة الأخلاقية هي بالدقّة ما يجعل للتاريخ قيمة من حيث التربية. (شل، سلم، ٣٦، ٦)
- هناك وسائل كثيرة للمؤرّخ يحقّق خلالها مبدأ الإلتزام في خدمة مجتمعه، وفي الوقت نفسه تجعله بمنأى عن تزييف التاريخ الذي لا يرضى به أحد وبخاصة المسلم. ومن هذه الوسائل نسوق بعض نماذج. ١- أن يرعى المؤرّخ الدين والوطن في فلسفة التاريخ، فإذا تحدّث عن حروب الصحابة عَبَرَها دون إدانة، ذاكرًا وجهات النظر التي لا تجرح أحدًا ولا تقوّض تراثًا، ومثل ذلك أيضًا إذا تحدّثنا عن هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧، فإننا نعترف بذلك، ونحذر من تكراره، ولكنّا نجعل تعليقنا على هذا الحدث يبعث فينا الأمل ويشحذ الهمّة، كأن نذكر أن هذه الهزيمة تسبّبت عن خطأ يمكن تداركه، أو غفلة أمكن التغلّب عليها، ومثل هذا يتّبع عند الحديث عن خلافات بين دولتين إسلاميتين، فنسرد الأحداث دون تعليق يثير القلق ويزيد من الخطب. ٢- أن يتحاشى الغمزات التي تضرّ وطنه ودينه، فمن الظلم ومن البعد عن الالتزام أن ذهب بعض الأشخاص مرّة لزيارة دولة عربية، وهناك ألقى محاضراته مهاجمًا الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، وسعد زغلول وصفية زغلول وغير هؤلاء من الأعلام، وارتفع صوت عاقل يقول: لمصلحة من تدمّر تاريخنا وتقضي على الهالة الطيّبة التي رسمها الزمن لزعمائنا في الفكر والسياسة.... ٣- ومن الالتزام في التاريخ كذلك أن نقدّم للتلاميذ والطلاب في المدارس والجامعات، وأن نقدّم للقرّاء والمثقّفين بوجه عام صورًا تبعث القوة وتشحذ الهمّة من التاريخ الإسلامي، والتاريخ الوطني، لعلّنا نربّي بذلك النشء تربية تجعله يحب دينه ويحترم الأسلاف، ويسعد بالتراث ويرتبط به، إن لأجدادنا مفاخر ينبغي أن نتذكّرها ونتمثّلها، وبين أسلافنا قمم يتحتّم أن ندرس تاريخهم، ونسعد ونحن نعايش هذا التاريخ، ولشيوخنا وباحثينا الأقدمين جولات علمية وابتكارات فكرية تعطّر تاريخنا وتشرّفنا، ومن الالتزام أن نقدّم كل هذه القمم وتلك القيم لندفع بالجيل الجديد أن يرتبط بالتراث وأن يسير على نمط الأجيال السابقة ليحقّق ما حقّقت من خير ورفاهية وانتصارات. ٤- ومن الالتزام في التاريخ أن نعنى في بلادنا بدراسة الاستعمار والصهيونية وتبيان خطرهما على أوطاننا

وأهلينا، وأن نوضح ما عانيناه من الاستعمار الأروبي من جوع وحرمان، وقتل للحريات ومحاربة التطوّر، وأن نوضح أن الاستعمار قبل أن يرحل وضع إسرائيل في بلادنا ولا يزال يؤيّدها، لتؤدّي نفس الدور الذي كان يؤدّيه من إضعاف وتدمير. (شل، سلم، ٤٣، ١٤)

- كلمة تاريخ history تعني الآن العملية التي بموجبها يصل شيء خاص إلى مستوى خاص في تطوّره، وقد كان هذا الشيء الخاص بالنسبة إلى النظرة التقليدية للتاريخ هو الإنسان، وبصورة خاصة الفعاليات والمؤسسات السياسية الإنسانية. إلا أن فكرة التاريخ صارت عامة في القرن التاسع عشر وأصبحت تطبّق على كل شيء يمكن إدراكه سواء أكان حيًّا أم جامدًا، وكان هذا منطقيًّا. وأصبح التاريخ بهذا المعنى فكرة شاملة، بمقدوره الادعاء، كمثل الفلسفة، بأن كل شيء وكل نشاط هو موضوع لبحثه وداخل ضمن نطاقه. (روز، علم، ١٧، ١٣)
- قد تشير كلمة تاريخ إلى كل من عملية التطوّر التاريخي وإلى وصف تلك العملية، وهما أمران مختلفان تمامًا، لا يميّز بينهما تمييزًا دقيقًا في أكثر الأحيان. (روز، علم، ١٨، ٨)
- كلمة التاريخ التي يمكن اعتبارها منذ القرن التاسع تعبيرًا فنيًّا خاصًّا مرادفًا من حيث العموم لكلمة history الانكليزية، فهي كلمة مختلفة تمامًا، إذ يبدو أن أصول الكلمة مستمدّة من الكلمة السامية التي تعني القمر أو الشهر، وهي في الأكدية (ارخو) وفي العبرية (يرخ)، وهذه الكلمة لم تستعمل في العربية على ما نعلم. فأما استعارة العربية لهذه الكلمة من الأكدية فبعيد الاحتمال، كما وأنه ليس من المحتمل الافتراض أنها استعيرت مباشرة من العبرية أو الآرامية، وخاصة لوجود حرف (ي) في الصورة العبرية والآرامية لهذه الكلمة. لذا لم يبق بعد هذا إلا العربية الجنوبية والأثيوبية، أو الافتراض بأن هذه الكلمة كانت مستعملة في إحدى اللهجات العربية الشمالية التي لا نعرفها الآن. إن كلمة (تاريخ) هي ليست الشكل البسيط للجذر، بل هي صيغة الاسم التي توجد في اللغة العربية والعربية الجنوبية، وهذا غير موجود في الآثيوبية، مما يجعل احتمال اشتقاقها من الأثيوبية بعيدًا، ثم إنه يبدو أن العرب أخذوها كتعبير فنّي، وهذا بدوره يبعد أصلها الأثيوبي، إذ لو كان أصلها أثيوبيًّا لكانت باقية في لغتهم. يضاف إلى ذلك أن احتمال كون أصلها من العربية الشمالية بعيد، لأن احتمال ذلك يتطلّب مركزًا ثقافيًّا صدرت منه، نظرًا لأن هذه الكلمة لها معنى فنّي. فأغلب الاحتمال إذًا أن أصلها من العربية الجنوبية، حيث نجد في هذه المنطقة المركز الثقافي المأمول الذي يمكن أن يصاغ فيه مثل هذا التعبير الفني. وفي هذه الحالة يمكن أن نفترض أن شكلها الأصلي الفرضي (من العربية) هو "توريخ"، وأن تاريخ هو التكوين القديم من "مؤرَّخ - مؤرِّخ". (روز، علم، ٢٠، ٩)

- كلمة تاريخ العربية تعني كلًّا من الزمن والحقبة. ومن الواضح أن هذه الكلمة لا تظهر في الأدب الجاهلي؛ كما أنها غير مذكورة في القرآن ولا في الأحاديث

النبوية. ومن المهم أن نلاحظ أن الحديث الوحيد الذي يشير إلى إدخال التقويم الإسلامي في صحيح البخاري يستعمل كلمة عدّ ولا يستعمل أرّخ، ولكن كل الظواهر تدلّ على أن كلمة تاريخ استعملت لأول مرّة في الآداب العربية مع أخبار إدخال التقويم الهجري. فالروايات الإسلامية ترجّح الرأي القائل إن التقويم الهجري أدخله عمر، ويجدر بالملاحظة أنه استعمل في ورقة بردي يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢هـ ولما كان هذا الأمر قائمًا في النصف الأول من القرن السابع فيمكن الافتراض بأن هذه الكلمة كانت معروفة آنذاك، رغم أن الأدلّة المدعّمة بالوثائق تنقصه. (روز، علم، ٢٣، ١٤)

- ليس في الإسلام تاريخ مرتّب على السنين خالٍ تمامًا من مبدأ متّسق في الترتيب، كحكم الخلفاء والسلاطين، يضاف إلى ذلك أنه يخصّص عادة ترجمة خاصة لحاكم معيّن إما في السنة التي تولّى فيها الحكم أو في سنة وفاته. وتؤكّد هذه التراجم على الصفات الخلقية والمعنوية (أو انعدام هذه الصفات) لذلك الحاكم وكثيرًا ما تعطي وصفًا لمظاهره الجسمية، كما تذكر أيضًا قائمة بأولاده ونسائه وموظّفيه وبعض المعلومات الإحصائية (كأسماء أمراء الحجّ في عهد خلافته)، وتبدو الأهمية التي تعطى للمعلومات الإدارية من أنها تكون تقريبًا جميع محتويات القسم الخاص بكل خليفة إذا أراد المؤلّف أن يكون موجزًا كما ذكر القضاعي مثلًا في عيون المعارف. (روز، علم، ١٢٥، ٣)

- أدقّ محاولة لإخضاع التاريخ للفلسفة من الناحية الظاهرية على الأقل، هي التي قام بها المطهر بن طاهر المقدسي في كتابه "البدء والتاريخ" الذي ألّفه سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م)، ففي مقدّمة هذا الكتاب بحث نظري عن المعرفة والعقل، ويتجلّى فيه استهداف المؤلّف النظر إلى الكون وتاريخه بمنظار الفلسفة. وهو يتبع في هذا الكتاب التنظيم المألوف من خليقة العالم إلى الرسول وتاريخه وصحابته، وتاريخ الدولتين الأموية والعباسية، ويؤكّد في بحثه على بعض الموضوعات كصفات الخالق. والأهمية الثقافية والفلسفية للأديان القديمة، والخلافات في العقائد بين مختلف الفرق الإسلامية ويحاول أن يقدّم معلومات علمية وفلسفية كلما أمكن ذلك. غير أنه لم ينجح قط في إبداع صورة متماسكة للتاريخ باعتباره من وظائف العمليات العقلية، ويمكننا القول إن الملاحظات الفلسفية هي كالبقع القرمزية التي تناثرت في ثنايا مختلف أجزاء الكتاب، غير أنه بقي علينا الاعتراف برغبة المؤلّف الصحيحة في وجدان اتحاد بين الفلسفة بأوسع معانيها والتاريخ. (روز، علم، ١٦١، ٩)

- قام التاريخ بعدد من الواجبات المهمّة، فكان وسيلة لغرس مثل الإسلام وآماله في قلوب عدد كبير من المسلمين، ولم يتفوّق عليه في هذا المضمار سوى تقاليد الحياة

الدينية وأعمالها، والإسلام دين تاريخي بارز في أصوله وتطوّراته الأخيرة. ثم إن التاريخ كان يساعد أيضًا على إبقاء حيوية ذكريات مختلف الشعوب الإسلامية عن أهمية تراثها القومي البارز. كما وأنه كان يحتلّ دائمًا مركزًا يمكنه من استثمار بعض الاهتمام في الجوانب الهامة من النشاط الثقافي والتي كانت مهدّدة بالإقصاء عن الحياة الإسلامية، وإن إنتاجه الأدبي المستمرّ كان بنفسه نوعًا من الضمان للحياة الفكرية أيّد المعرفة العالمية بعد كبت الدافع العلمي لتنميته بأمد طويل. ثم إن التاريخ بارتباطه بالتراجم أصبح الوسيلة الوحيدة المؤثّرة في الإسلام للنظر إلى الحياة الواقعية باعتبار أن هذه النظرة إلى الحياة الواقعية وتحليل الإنسان وآماله هما المصدر الوحيد للتطوّر الثقافي، إذا استعملنا هذه الكلمة للإشارة إلى مبادئ علم النفس التي وجدت في الإسلام في العصور الوسطى. (روز، علم، ٢٦٨، ١٤)

- إعتبر التاريخ منذ البداية "علمًا"، وكان التأكيد على تمحيص الروايات ونقدها عن طريق الإسناد. ولما كانت الروايات والأخبار عرضة لتأثير الرغبات والميول الحزبية والعصبيات، لذا كان التأكّد من سلسلة الرواة هو السبيل إلى التثبّت من صحّة الرواية. ويمكن القول بعد هذا أن ميول المؤرّخ تظهر من نوع الروايات والأخبار التي يقبلها ويوردها. ويجوز إبداء الرأي بعد إيراد نصّ الرواية أو الخبر لا قبل ذلك. وتتكوّن الثقة بالمؤرّخ حينما يورد الروايات المتباينة أو حينما يورد روايات مشهورة محايدة. وعلى هذا فدرجة التدقيق والنقد لدى المؤرّخ تظهر في فحص الروايات. (دو، نشأ، ٥٨، ٣)

- التاريخ بخطوطه الكبرى تعبير عن إرادة الله، أما الحوادث أو الحركات الفردية فالمسؤولية البشرية فيها أكيدة ولذا تتباين الآراء فيها. فالتاريخ إذن وبصورة عامة مفيد لفهم تطوّر الأمة. وهو مفيد للدراسات الإسلامية الدينية حين يقدّم تواريخ السير، وحين يعطي سوابق عملية للإدارة، وحين يلقي ضوء على الخبرات والإجماع. ومن ناحية أخرى فإن الكثير من التاريخ كتب لأسباب سياسية أو اجتماعية، وهذا يصْدق على أكثر "كتب" الإخباريين. وقد يصدق كذلك على بعض التواريخ العامة إذ يتعذّر أن نجد الثقافية العامة. (دو، نشأ، ٥٨، ١٥)

- كلمة تاريخ، من المعلوم عند الجميع أنها تحمل، في كل اللغات العصرية ومنذ القرن الثامن عشر على الأقل، معنيين: تعني سلسلة الوقائع الماضية، مجموع الأحداث الواقعة فعلًا، وتعني في نفس الوقت الكيفية التي تسرد فيها تلك الوقائع. ومن المحتمل، بل من المؤكّد، أن الصعوبات التي تواجه المفكّرين عندما يحاولون تحليل مغزى التاريخ تنحدر كلها من هذا الازدواج في المعنى. ازدواج واضح، بديهي وفي نفس الوقت لازم وضروري، لأننا إذا فكّرنا في الأمر دقيقة

واحدة تبيّن لنا بدون غموض أن الوقائع لا تعرف ولا تلمس إلا في المشاهدة وبالسرد شفويًا كان أو كتابيًا. كل حدث يصبح حدثًا عندما يوصف حتى بالنسبة للمعاصر، المشاهد له. ولا يتصوّر وصف يطابق الحدث الواقع كامل المطابقة. اعتاد الإنسان منذ بدأ يدوّن التاريخ. ثم أكثر فأكثر، أن يمزج بين التسلسل الذي يقحمه في سرده للوقائع، أي بين التعليل المترتّب ولو على تتابع الكلمات والجمل، وبين ارتباط الحوادث الموضوعي الذي يفترضه الإنسان ولا يقدر أبدًا على التماسه بكيفية شاملة. (عر، فكر، ٦٨، ١٣)

- أميّز بين التاريخ كدراسة لوقائع الماضي، كتقنية من تقنيات المعرفة (وسائل التنقيب عن الوثائق، طرق النقد والتحقيق، فنون السرد.. الخ) وبين النظرة الشاملة التي يلقيها مجتمع ما على مجموع حوادث الماضي، أو بعبارة أخرى بين التاريخ كفن والتاريخ كوسيلة تقييم الحاضر وتحديد المستقبل عن طريق اختيار سياسة قومية. ولا نعني بالنظرة إلى التاريخ فلسفة التاريخ مثل ما نجد عند هيجل أو شبنجلر، لأن فلسفة التاريخ دائمًا فردية، وافتراضية، في حين أن النظرة جماعية وغير واعية، لأنها تعبّر عن استمرار الماضي في حاضر الجماعة. وسنرى أن التمييز المقترح بين التاريخ كفن والتاريخ كنظرة تمييز تجريدي فقط، وأما في الواقع فالإثنان متّحدان في لحمة التأليف التاريخي. (عر، فكر، ٦٩، ١٦)

- لعب التاريخ دورًا فعّالًا في نشر وتثبيت العقيدة (الإيديولوجيا) التي ستسمّى بحق عقيدة أهل السنّة والجماعة. ومن العناصر التي قوّت هذا الاتجاه التاريخ الكامل الشامل الذي ألّفه في نهاية القرن الثالث "أمير المؤرّخين" ابن جرير الطبري. احتفظ بالطبع بفن الرواية وطرق التعديل والتجريح، لكنه زاد مقياسًا آخر لقبول أقوال الناس وهو عدم الغلوّ في الآراء والأحكام. يعتمد خاصة رجال الاعتدال الذين لا يسبّون ولا يلعنون، ولا يفسّقون ولا يكفّرون بدون تأويل، حرصًا على حماية وحدة الأمة. ثم نزيد إلى العاملين السابقين عاملًا آخر، سياسيًا أيضًا لكنه يخصّ كل طائفة من الطوائف الإسلامية على حدة: أسرة مالكة، عائلة شريفة بالنسب أو بالعلم، مذهب فقهي، طريقة صوفية.. هذا التاريخ الطبقي بالمعنى الأصلي، تطوّر ونما تحت ظلّ وبجوار التاريخ الجامع العام، خادمًا نفس الهدف، مستعملًا نفس الطرائق في البحث والعرض. (عر، فكر، ٧٣، ٣)

- التاريخ، باعتباره مجموع الأحداث والوقائع المروية، لا يكون مجالًا بين مجالات الواقع الإنساني، متلاحمًا متماسًا، قائمًا بذاته، تتابع فيه الأعمال البشرية على نسق ثابت، معروف ومنتظر، تترتّب فيه الأحداث اللاحقة عن الأحداث السابقة، بل يراه كمجال مهلهل، متقطّع محتاج إلى موضوعية تنضاف إليه من ميدان آخر. قد يلتحم ويترتّب ميدان الأحداث

التاريخية في حالة معيّنة، حين يحل الأمر الإلهي في الحياة البشرية، أثناء حياة النبي وأثناء كل رواية تعكس ملامح السيرة النبوية، وما عدا تلك الحالة الخاصة، يفتقد التاريخ الإيجابية كليًّا. (عر، فكر، ٧٧، ٢٩)

- التاريخ ليس وحدة كلية مغلقة أو مجموعة وحدات مغلقة، هو عملية متطوّرة مستمرّة، ومعناها في هذا التطوّر ذاته، لا في صورة ثابتة إلى الأبد، معروفة منذ القدم، أو عرفت أثناء التطوّر أو ستعرف في نهايته. (عر، فكر، ٨١، ١٧)

- التاريخ يجب أن يُتّخذ حافزًا للهمم في الأمّة، ولكن لا يجوز أن يصبح التاريخ وعاءً للألفاظ الوطنيّة الجوف ولا وسيلة إلى تبرير خمول الأمة وتأخّرها. يجب أن ندرس أحداث الماضي حتى ندرك أحوال حاضرنا ثم نحاول أن نتلافى تكرار سيّئات الماضي في المستقبل. (فر، علل، ٤، ١٠)

- للتاريخ تعاريف مختلفة أقصرها وأسهلها "حكاية الحوادث الماضية". ولكن بما أن الحوادث الماضية يمكن أن تعني الحوادث الفلكية أو الجغرافية، كما يمكن أن تتناول عالم النبات وعالم الحيوان البهيم، فإننا نقصر التاريخ عادة على الحوادث التي تتعلّق بحياة الإنسان على الأرض. غير أن الحوادث المتعلّقة بالإنسان كثيرة متشعّبة لأنّ نشاط الإنسان نفسه متعدّد الأوجه: النشاط الفكري والأدبي والفني والاجتماعي والسياسي والعسكري. من أجل ذلك اقتصر المؤرّخون المتقدّمون عادة على الأحداث السياسية، وعلى تلك الأحداث السياسية البارزة فقط من تعاقب الحكام ونشوب المعارك وحدوث المَوْتان وما يشبه ذلك. (فر، علل، ٥، ٣)

- التاريخ الذي ورد في القرآن الكريم فجاء مجملًا، وكانت الغاية منه (حتى في سورة يوسف التي كان الجانب التاريخيّ منها مبسوطًا بسطًا وافيًا) ضرب الأمثال لتهذيب البشر وتزكية نفوسهم. (فر، علل، ٩، ١٨)

- التاريخ في نظر ابن خلدون علم من علوم الفلسفة، وهو في ظاهره: "إخبار عن الأيام والدول"؛ ولكنه في حقيقته تمحيص للروايات وتعليل للكائنات (الحوادث) وعلم بأسباب الوقائع وبكيفية وقوعها. ولا يجوز أن يقتصر التاريخ على ذكر الملوك والمعارك، بل يجب أن يتناول شرح أحوال العمران والتمدّن وما يعرض في الإجتماع الإنساني من العوارض. والمؤرّخ محتاج إلى الإحاطة بعلومٍ مختلفة ومعارف متنوّعة، لأنّ التاريخ ليسَ قصصًا فحسب، بل هو وصف للبيئة الاجتماعية كلها ولما فيها من الحركات والمظاهر والحضارة والثقافة والفنّ وغيرها. (فر، علل، ١١، ٢٣)

- حين قام مؤرّخو العرب والإسلام بالتأليف في التاريخ، لم يفتهم أن ينبّهوا في استهلال مؤلّفاتهم إلى منزلة علم التاريخ وقدره وفائدته. ولعلّ قصدهم بذلك أن يدلّوا على أن ما كانوا يشتغلون به من ذلك

العلم ليس مجرّد جمع وتصنيف من دون نظر إلى تحصيل فائدة، أو إحراز منفعة، أو تحقيق مكسب للقارئ الذي لن يضيع وقته سدى من قراءة التاريخ. ولعلّهم بذلك أيضًا كانوا يردّون - بطريقة لبقة - على من قالوا إن الاشتغال بالتاريخ لغو وإضاعة وقت وتتبّع لعثرات الماضين، واشتغال بما لا جدوى فيه، ولا طائل تحته. ومن هنا اهتمّ أغلب المؤرّخين والمشتغلين بالتاريخ العربي الإسلامي بالتدليل على أهمية "التاريخ" وفائدته. حتى قلَّ أن نجد مصنفًا في التاريخ خلا من الإشادة بهذا العلم وإظهار فضله، وبيان منفعته. (حس، عر، ٥، ١٣)

- استظهر بعض العلماء ضرورة الاشتغال بالتاريخ والمعرفة بالحوادث والأخبار، لاستكمال أمر الدين وإصلاح أمر المعاملات والمعاش الدنيوي، حتى تتحقّق الحكمة من الوجود الإنساني في الحياة على أكمل الوجوه التي خلق الله من أجلها الإنسان وجعله سيد المخلوقات. (حس، عر، ٥، ١٦)

- العبرة في التاريخ ... ما يبعث على اجتلاب الفضائل، واجتناب الرذائل، وفي مصارع الأعيان، ومن ساعده الزمان، وملك البنيان، اعتبار لمن اعتبر، وتجربة لمن تفكّر، إذ اللبيب يرى مكارم الأخلاق فيستحسنها، ورذائل الأفعال فيستهجنها، وعوائد الخير فيطلبها، وعواقب السر فيجتنبها. وما زال أرباب الهمم العليّة، والنفوس الأبية يتطلّعون إلى محاسن الأخبار، ليجعلوها لقاحًا لأفهامهم، وصقالًا لأذهانهم، وتذكرة لقلوبهم، ورياضة لعقولهم. ثم إن تأمّل ذلك يبعث على التوحيد والاعتراف بوحدانية الباري جلّ جلاله؛ إذ في تدبّر مجاري الأقدار، وتقلّب الأدوار، واختلاف الليل والنهار، وتوالي الأمم وتعاقبها، وتداول الدول وتناوبها، عظة للمتّعظين، وتنبيه للغافلين. (حس، عر، ١٤، ٣)

- كثير ممن اشتغلوا بالتاريخ كانت عواطفهم تتحكّم في حوادثه تحكّمًا تضيع به الفائدة من دراسة التاريخ، فإن عاطفة الحب تجعل كل ما ليس بحسن حسنًا، وتجتهد في تأويل الحوادث بوجه ليس فيه غضاضة، حتى ما أدّى منها إلى سقوط فاعله وخيبته، وعاطفة الكراهة تدعو إلى ضدّ ذلك، فتجعل الحسن قبيحًا، وتستنبط من الخير شرًّا. ولم يخلص من هذا الشرّ العظيم الذي يطمس معالم التاريخ ويضيع الفائدة من تجارب الأمم إلا نفر قليل جدًّا. وإذا نظرنا إلى أنفسنا نجدها لا تحكم على شيء من الحوادث التي تشعر بها حكمًا بحسب ما تستحقّ، فربّ فعل صدر ممن نحبه فنحمله محملًا حسنًا جميلًا، والفعل نفسه يصدر ممن نبغضه فنحمله على أسوأ محامله: نحكم على متصدّق بالتبذير لأنه تذكّر الفقراء والمعوزين في حالة رغده، ولا نأبه بتلك الصدقة من آخر، بل نسمّيه بأنه مراء يحب الشهرة الكاذبة. والتجرّد من هذه العواطف في دراسة التاريخ أمر صعب المنال، لا

يصل إليه الإنسان إلا بعد عقبات شديدة لا بدّ له من اجتيازها، إن كان المراد تمثيل الأمم والحكومات بما كانت عليه، لا بما نحب أن تكون. فلا بدّ أن نجعل أمام أعيننا أننا سندرس تاريخ أمم إن كانت أخطأت في بعض تصرفاتها فليس علينا من تبعية ذلك الخطأ شيء، وليس لنا إلا أن نعرفه ونستفيد منه، وإن كانت أصابت المحجّة فإن ذلك لا ينفعنا إذا لم يكن لنا مثل أعمالهم. لذلك يحتاج دارس التاريخ إلى سعة صدر تحتمل كل ما يرد على تاريخ قومه من نقد، حتى لا تبقى حقائق الأشياء محجوبة بسحب عاطفتي الحب والبغض. (حس، عر، ٣٦، ٨)

- آفة التاريخ حين يكتب أن يتعرّض لأمور تفسد صحته، أو تشوّه وجه الحق فيه، كأن يحابي المؤرّخ أميرًا، أو وزيرًا أو صاحب سلطان، فيتقرّب إليه بتاريخ يكيل له فيه المدح، ويتغاضى له فيه عن السيّئة، أو كأن يخشى المؤرّخ صاحب سلطان لأنه في ملكه سيدركه منه الأذى، وإن خال أن المنتأى عنه واسع. أو كأن تميل بالمؤرّخ دواعي الهوى والعصبية، فيتعصّب لقوم على قوم، ويفضل جماعة على جماعة، كما نجده عند أصحاب المذاهب المختلفة، سواء أكانت تلك المذاهب سياسية أم دينية. فقلّ أن تجد أمويًا أنصف علويًا، وندر أن تجد عباسيًا أنصف أمويًا. وحسبنا ما نراه في أمهات كتب التاريخ ومصادره من الميل لقوم على قوم، حتى صرنا نسمع أن هذا المؤرّخ متعصّب للشيعة، وأن ذاك المؤرّخ متعصّب للأمويين مثلًا. وقد يبلغ الهوى عند بعض المؤرّخين - ولو كانوا مؤرّخي أدب - إلى إهمال بعض الأشخاص، وتحاشي الحديث عنهم وإسقاطهم من الحساب التاريخي، ظنًّا منهم أن ذلك قد يطمس وجودهم، أو يضيع كيانهم. (حس، عر، ١١٥، ٢)

- إن قراءة التاريخ تضيف لقارئه عمرًا ثانيًا، وأنها من ثم تضاعف العمر، لأنها تضيف إلى عمر القارئ عمر الشعوب والقادة والأبطال الذين قرأ تاريخهم، عن طريق إكسابه خبراتهم، وجعله يعيش ما عاشوا من أحداث ووقائع وأيام. ولما كان كلام أسلافنا القدماء عن "قارئ" التاريخ، فإننا نستطيع أن نضيف هنا: أن "الوعي" بالتاريخ يكسب أصحابه إلى جانب عمرهم وعمر أسلافهم، أيضًا عمر الأجيال التي لم تأت بعدا!. لأن "الوعي" بالتاريخ تتجاوز فائدته وثمراته حدود الاستفادة بهذا "الوعي" في حياتنا الحاضرة وبناء واقعنا المعاش، إلى التأثير في المستقبل، القريب منه والبعيد، ومن ثم فنحن نضيف إلى أعمارنا - إذا "وعينا" تاريخنا - أعمار الأقدمين، ونسهم كذلك في زيادة أعمار الأجيال القادمة، بما نضعه على دروبها من أضواء، وما نقدّمه لتجاربها وخبراتها من إضافات. (عم، وعى، ١٧، ٢)

- سيظلّ الحديث عن حقيقة التاريخ غائبًا عن التأليف التاريخي برمّته، ما لم يُردّ كل حديث عن التاريخ إلى التاريخ نفسه أو إلى

شيء يشمل قوانين التاريخ وقوانين المجتمع معًا وهو ما يطلق عليه ابن خلدون اسم طبائع العمران. (أوم، نهج، ١١، ٦)

- ظلّ لفظ "الأخبار" يستعمل بدلًا من "التاريخ". والذي يلاحظ أن لفظ "تاريخ" لا يوجد فيما يعرف من أدب جاهلي كما لا يوجد في القرآن. والحديث الوحيد في هذا المعنى يستعمل لفظ "عدّ" بدلًا من "أرّخ" ولهذا السبب راح المؤلّفون القدامى يبحثون عن الأصل الأجنبي لكلمة "تاريخ"، ووجدوه خصوصًا في "ماMروز" الفارسية، وإن لاحظوا عدم استقامة الاشتقاق. وفي هذا الاتجاه ذهب المستشرق فرانزروزانتال ليبحث عن أصل الكلمة في اللغات السامية، بيد أن بحثه انتهى إلى نتائج سلبية. ولكن هذا النوع من البحث اللغوي لا يخلو من مأخذ، ذلك أنه يسلّم مسبقًا بأن أصالة مفهوم في ثقافة ما أو عدم أصالته متعلّق باللفظ الذي يحمله. بيد أن انتقال الكلمات من ثقافة لأخرى لا يفسّر وحده التغيير العميق الحاصل في الثقافة المتلقّية. فإذا حدث أن هذه الثقافة المتلقّية قد عمدت إلى اقتباس كلمات جديدة، ففي داخل هذه الثقافة ينبغي البحث عن الأسباب العميقة التي أدّت بها إلى هذا الاقتباس. إن الإهتمام الذي أظهره المسلمون بالتاريخ والذي صادف الصدى الهائل الذي نعرف، يرجع إلى عوامل عدّة: الدعوة العالمية للإسلام وتحديد موقعه من الأديان الأخرى، واندفاع حملة الدين الجديد نحو آفاق من العالم بعيدة (وهو ما جعلهم يحتكّون بأمم وثقافات أخرى)، مما دفع المسلمين، وقد وجدوا أنفسهم في مستوى أحداث التاريخ الكبرى، إلى الاهتمام بالتاريخ. وكان بدهيًا أن يكون موضوع العلم الجديد هو الحدث الأكبر الذي كان أصلًا لكل ما سبق: أي ظهور الإسلام وشخصية النبي. ذلك أن هذا الحدث هو الذي جعل المسلمين "أمة"، ومكّنهم من أن يلعبوا الدور الهام الذي لعبوه في التاريخ. (أوم، نهج، ١٤، ٢١)

- إذا كان هناك توافق ما بين الاتجاه العام لسرد الطبري للتاريخ، وبين إتجاه سياسة رسمية فينبغي اللجوء إلى مستوى آخر من التفسير غير مستوى المصلحة والتزلّف لذوي السلطان. فهذا التوافق قد يكون التقاء موضوعيًا - ولنقل على مستوى الإيديولوجيا - بين النشاط العلمي لمؤرّخ من جانب، وسياسة دولة من جانب آخر. فهناك من جهة نشاط عالم يرمي من وراء مجهوده العلمي إلى حفظ وحدة الأمة وذلك على مستوى العقيدة، والتشريع، والعودة إلى الماضي (التاريخ)، ومن جهة أخرى هناك سلطة تسعى إلى أن تحقّق للمسلمين وحدة حول الخلافة أشمل مما حقّقه الأمويون. فهناك مؤرّخ فقيه يسعى إلى توحيد الماضي في ذاكرة المسلمين، وذلك لمحاولة التغلّب على تضارب الروايات والوصول إلى سرد للتاريخ يتحقّق

حوله "إجماع" مؤرّخي الأمة، وهناك سلطة ترمي إلى تحقيق اجتماع للأمة أوسع مما حقّقه الأمويون. وهكذا فإن مجهود المؤرّخ يلتقي بسياسة الدولة، لا في التفاصيل، ولا في التطابق المطلق، ولكن في الهدف المشترك للمجهودين اللذين يرميان إلى تحقيق أمة موحّدة في السياسة والفكر، وهو ما فتئ المسلمون يحنّون إليه في كل زمان. (أوم، نهج، ٣٦، ١٦)

- إذا اعتبرنا التاريخ في حدود التصوّر الخلدوني، فإنه لا يتحدّد إلا بفعل قوة القبيل وحدها. فبالرغم من أن العصبي تقوم على شعور غريزي (النسب) وهو شعور لا تاريخي، إلّا أنها تعمل مع ذلك عن طريق بنية قبلية وعلى هذا النحو فهي تصبح تاريخية، بل أنها تعمل على تحديد ما يتجاوز التاريخ ذاته، أي العقيدة الدينية. فبالرغم من أن ابن خلدون لا يضع عالم الغيب الذي تصدر عنه هذه العقيدة موضع سؤال، إلّا أن هذا العالم عندما يُوحَى خبره إلى البشر، يصبح داخلًا في التاريخ؛ وهكذا فإن الوحي ذاته ينبغي أن يأخذ التاريخ في اعتباره، أي أنه ينبغي أن يخضع لطبائع العمران، وبناءً على ذلك، فلا يبدو لنا أن السؤال عن أي الطرفين يحدّد الآخر: أهو النموذج الديني أم العمران، سؤال مشروع ولكنه يطرح مسألة الاختيار بين حدّين لم يكن تاريخ الأفكار قد هيّأ له بعد، فعالم الغيب حق مثلما أن طبائع العمران هي أيضًا كذلك، وحقيقة هذين العالمين أساسية في فكر ابن خلدون. (أوم، نهج، ١٧٣، ٤)

- انتهى النقد الخلدوني لعلم التاريخ العربي ... إلى هذه النتيجة: وهي أن الخطاب التاريخي التقليدي خاطئ من الأساس، ذلك أن الجهل بقوانين العمران التي يؤكّد ابن خلدون أنّه مكتشفها يحرم المؤرّخين من أهم معيار لقياس صحة الأخبار. بل نتج عنه فارق بين التاريخ والخطاب التاريخي ينتهي إلى انقطاع بينهما حين يحلّ بالعمران (أو التاريخ) تغيّر جذري لا يترجم على مستوى الخطاب. لا سيما حين يستقرّ التقليد، آنذاك يكرّر المؤرّخون وهم في غفلة تامة، إنتاج أخبار وأنماط من ماضٍ بائد، فيخلّدون الخطأ والخطاب المجرّد الذي يحمله. (أوم، نهج، ٢١٣، ٨)

- ليس التاريخ علمًا للواقع، بل معرفة بخبر عن الواقع. فكتابة التاريخ إخبار وإعلام عن الحادثات الماضية، والتاريخ، حسب الكافيجي أحد منظّريه القلائل، منقول عرفي "كسائر المنقولات الشرعية والعرفية كالإيمان والصلاة ونحوها وكالدابة ونحوها". كما هو "ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل" حسب التعريف الذائع لابن خلدون، إذ هو "علم من الاخبار" التي تتناول "أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم"، و"ذكر أحداث مشهورة كانت في أزمنة خالية... كطوفان مخرب أو زلزلة مبيدة أو أوباء وقحوط مستأصلة لأمم

وأسماء الملوك مذكورون في الأقاليم بعددهم وأيامهم ومدّة ملكهم وانتقال دولهم". وباختصار، فالتاريخ "فن يبحث فيه عن وقائع الزمان". بهذه الصورة، التاريخ خبر، كما أن الحديث والقرآن والشعر خبر. والفرق بين التاريخ والأطر الأخرى لسياقة الأخبار - من كتب الخراج والحديث والفقه والأدب والتفسير - هو في انحصار الإخبار التاريخي في ذكر الملوك والرسل والصحابة وتواريخ مولدهم ووفاتهم، تعيينًا بالزمان وتحديدًا بالتأريخ من أجل "ضبط الحوادث" بتتاليها. فالتاريخ ليس أخبارًا "بحتًا" بل هو "تعيين الوقت" لحادث من الحوادث، هو تأريخ شيء بالنسبة لشيء حدث قبله ضمن إطار تقويم ما، إذ هو "يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته". (عظم، عرف، ١٢، ١)

- التاريخ ليس بعلم مستقلّ، وهو لا يعرف حدًا لموضوعه كما هو الحال في العلوم كافة في الثقافة العربية الإسلامية. وبما أنه لا يعرف الحدّ فهو لا يخضع للمعالجة المنهجية المفلسفة التي نرى فيها ترقيًا بين البسيط والمعقّد وبين الخصوص والعموم، كما أن تقسيم مسائله وإحصائها لا يعود لاندراجها اندراجًا نوعيًا تحت موضوعها، بل لتفرّعها إلى مطالب لا موضوع لها ولا جنس، بل إن مفردات هذا "الموضوع" تساق في إطارها كمفردات على قدم المساواة فيما يتعلّق بعمومها وخصوصها، ولها بالتالي الخصائص المعرفية عينها - هذا هو فحوى التحليل الصائب لفخر الدين الرازي الذي يرتّب التاريخ بين الحديث والمغازي ويقسّمه إلى مطالب هي مفرداته: فالتاريخ ينقسم إلى السيرة وتاريخ الخلافة وأخبار علي بن أبي طالب ثم إلى بني أمية وبني العباس والغزنويين وخوارزم شاه وولي نعمته، وهو عين تصوّر ابن خلدون للحوادث التي "لم تعلم أصولها وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحقّقت فصولها". ويتوازى مع هذا تقسيم الخوارزمي لعلم الخبر إلى مطالبه: أخبار الفرس وملوك الإسلام والروم واليونان واليمن والمغازي والجاهلية، ومع تقسيم السخاوي المحتوي على "مولد الرواة والأئمة... وما يتّفق من الحوادث الوقائع الجليلة من ظهور ملّة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وانتقال دولة". تلك هي الوقائع المفردة التي يضطلع التاريخ بتأريخها، وتلك هي "الأحداث المشهورة" التي تؤرّخ وتساق بما هي أخبار مفردة، شأنها شأن "كتاب من جمع بين أختين" و"كتاب اللواطيين" للمدائني و"كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام" لهشام بن محمد الكلبي، وسياقة ابن قتيبة لأخبار البرص في المعارف أو لكتاب مجهول المؤلّف حول "تاريخ غرباء مصر". فكل هذه تحتوي على أخبار مفردة هي مساقة بما هي أخبار ومن باب "المحاضرات والتواريخ" التي تتضمّن المغازي والسير والطبقات وغيرهما

من الحادثات الماضية. الواقع أن انعدام حدّ للتاريخ يجعل لمجال إخباره رحابة تكاد تكون لامتناهية، واللامتناهي هذا يندرج بدوره في باب انقسام التاريخ إلى مطالب دون أن يكون له موضوع يحدّه. وهذا الإنقسام اللامتناهي إلى مسائل هو إنقسام إلى إخبار. فالتاريخ، حسب التعريف الأكثر منهجية ونسقًا في الثقافة العربية - الإسلامية، هو صنف من علوم الخبر التي تتضمّن أيضًا السير والقصص والأنساب والآثار: فهو علم أدبي (أدبي بما هو ليس شرعيًا) يتناول الأعيان في نثر متبّع بحسب المعنى دون اللفظ، وعدم اشتراط دقّة اللفظ فصل له عن الحديث. والأخبار تحتلّ حيّزًا يتوسّط بين الأسماء المفردة والبرهان، كما يتبيّن من ترتيب ابن حزم لكتابه في التقريب لحدّ المنطق. التاريخ إذن إخبار ليس إنشائيًا أي أنه لا يؤدّي بالضرورة إلى عمل، من أمر ونهي وما إلى ذلك. ولكن كونه غير شرعي لا يبطل من فاعليته في الشرع، فإن الشرع بحدّ ذاته يبتنى على أخبار هي، وإن كانت ذات فحوى إنشائي كخطاب الشرع كما نراه في القرآن والحديث والإجماع، تظلّ أخبارًا. فالتاريخ كما قال المسعودي "كل علم من الأخبار يستنبط، تبتنى عليه الأقيسة ويستشار منها الفقه ويحتجّ بها أهل المقالات وتوجد فيها أمثلة الحكماء وتلتمس منها سياسة الملوك والحرب". وببقائها أخبارًا، فإن الإنشاءات الشرعية تخضع، معرفيًا، لعين المتطلّبات التي يخضع لها الخبر غير الإنشائي من خبر تاريخي وغيره. فالخبر، كما يقول منظّر فذ، سبب العلم لعامة الخلق بمجرّد كونه خبرًا، و"مع قطع النظر عن القرائن"، مثل كونه خبر الرسول أو خبر التواتر عن الملوك السابقة، فكلاهما "مساويان بالضرورة" وثابتان كثبوت المحسوسات والبديهيات. (عظم، عرف، ١٥، ٤)

- التاريخ، ... إخبار منضبط بتأريخ. لهذا الإخبار مجموعة من المطالب، تتحلّق حول موضوع الملك ومتعلّقاته يتمّ أداؤها بما هي إخبار عن أفعال. فالإخبار إخبار عن أمور حادثة، والخبر هو ذلك القول السردي المتعلّق بفعل ما بحيث أنه يسرد حادثة فيها انتقال من بداية إلى نهاية، دون أن يتمكّن من سرد أي شيء عدا الحوادث. فالخبر لا يسرد فكرة ولا يسرد أمرًا إلا بما تكون الفكرة أو يكون الأمر نتاجًا لفعل هو، في الحديث والفقه، فعل قول لا قوام للخبر (أي الحديث) دونه. هو فعل قائم بصيغة حادثة يجري الإخبار عنها أو عن قسم زماني منها. فالحادثة حادثة بما هي فعل ينساب في اتّجاه واحدًا مرورًا بأدوار ثلاثة: دور تأسيسي افتتاحي، ثم دور الإكتمال، وأخيرًا دور ختامي. إن الحادثة المكتملة والمحتوية على أدوارها الثلاثة هي تلك التي حاول ابن الأثير استرداد اكتمالها في مناقشته لأسس السرد التاريخي. فقد نحا الطبري، كما فعل الكثير قبله وبعده، نحو تشتيت أدوار الحوادث وأدوار أدوارها في سنين أو

أشهر عديدة من السنين وإلى تشتيتها في الأخبار المختلفة، بحيث أن الحادثة الواحدة تقطع في سنة ثم تكمل في سنة ثانية، أو تقطع حسب الأسانيد. (عظم، عرف، ٤٤، ١)

- التاريخ ليس فقط سردًا للحوادث، بل هو "ضبط وترتيب" لها. فالأحوال المفصّلة للإنسان والزمان تجعل من التاريخ فنًّا يبحث فيه عن "وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت". والتاريخ كل تعيين للوقت، وهو، بعبارة رائعة الإجمال، "الأخبار الخاصة بعصر أو جيل". إنه تنظيم الأخبار في إطار تتالي يتجزّأ فيه الزمان إلى مقاطع، قد تكون سنة كما في الكتابة الحولية أو ملك أو حكم سلالة، تنظيم في إطارها أحداث التاريخ، بغضّ النظر عن طبيعة هذه الأحداث، انتظامًا درسنا البعض من بناه. (عظم، عرف، ٦٨، ١٥)

- كون المُلك إطار التاريخ يجعل من التاريخ تابعًا للملك كما أن كون الزمان إطارًا للأخبار يجعل من هذه الأخبار تابعة للزمان. فإطار الأخبار مرجعها ولا قوام لها، في الكتابة التاريخية، إلّا بهذا المرجع. ولو كان للأخبار المفردة المجرّدة عن تاريخ قوام في أطر أدبية أخرى، ككتب السياسة أو مجموعات آداب الكتاب مثلًا. هذا المرجع يجعل من الأخبار وحدات تاريخية ويضفي عليها تاريخيتها. فهي، بكل بساطة، تصبح تاريخية لحظة اندراجها في هذه الوحدات، وتكون خارج التاريخ (إن لم تكن خارج الماضي) إن خرجت على هذا الأطر. (عظم، عرف، ٨٨، ٥)

- التاريخ من آدم إلى محمد، إذن، تاريخ ذو دورين: دور الكمال ودور النقص. فآدم أبو محمد لأن محمدًا المكمّل التام لجده، إذ أن خاتم النبوّة لا يسعه أن يكون إلا ذلك الذي يتناوله من نقطة بدئها ويتطابق تطابقًا تامًّا مع نموذجها الأصلي. هذا معنى كون كل الأديان، جوهريًّا إسلامية. ويأخذ الإسلاميون هذا الشأن ويترجمونه من مجاله المفهومي إلى مجال التاريخ بإدخال إسم محمد في حقبات التاريخ السابق عليه. (عظم، عرف، ١١٦، ١٦)

- التاريخ فنٌّ يعبّر تماسكه عن وحدته، ويعبّر عدم انضباطه عن حدود هذه الوحدة. فهذه الوحدة ليست بتلك المنطبعة في تحديد الموضوع ومعالجته، بل هي أشبه بالوحدة الإدارية التي تأتي بعناصر من مواضع ومواقع شتى وتطرح بها في حيّز يعمل على التنسيق فيما بينها تبعًا لأسس إدارية معروفة: التأريخ. التاريخية وحدة لا يجمع بين عناصرها غير كونها تتعلّق بالحوادث الماضية. التاريخ، بذلك، معين من الأخبار والنماذج التي ليس لها مؤسسة متخصّصة - هو نوع معرفي، إذن، ولكن نوع لا قوام له بجنس، بل بأجناس. هو نوع معرفي لا تتأتّى وحدته عن محور داخلي محصور به، بل تتحدّد بأطر خارجية. تحديد التاريخ، بكلمة أوضح، ليس تحديدًا علميًّا بحصر الموضوع، بل

هو تحديد سوسيولوجي لنوع من المشاغل والمباحث. ليس التاريخ نموذجًا لموضوع ومسائل إلا ضمن توجّهات عامّة، ولا يتعرّض كتّاب التاريخ للنقد إلا عندما ينتهجون مسالك العوام والجهلة فيما يتعلّق بالإسرائيليات التي انتقدها من وجهة نظر تطهيرية ودينية (حديثية) ابن كثير والسخاوي وغيرهما. مما يؤكّد أن النقد ليس من "المؤسسة التاريخية" (فلا وجود لها) بل من مؤسسة الحديث. ولا يتقدّم التاريخ بما هو تاريخ بنقد لرسالة تاريخية ما إلا إذا تناولت بالتشويه التام الأسس العامة التي تستند إليها. (عظم، عرف، ١٣١، ١٠)

- يدلّ لفظ "التاريخ" على معانٍ متفاوتة. فيعتبر بعض الكتّاب أن التاريخ يشتمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله، مما يحويه من أجرام وكواكب ومن بينها الأرض، وما جرى على سطحها من حوادث الإنسان. وبدأ المؤرّخون الأقدمون كتاباتهم بالكلام عن نشأة الأرض. ومن المحدثين نجد المؤرّخ هـ. ج. وِلْز يبدأ كتابه عن "موجز تاريخ العالم" بدراسة نشأة الكون والأرض، وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة. (عث، بحث، ١١، ٩)

- قد تدلّ كلمة تاريخ على مطلق مجرى الحوادث الفعلي الذي يصنعه الأبطال والشعوب، والتي وقعت منذ أقدم العصور، واستمرّت وتطوّرت في الزمان والمكان حتى الوقت الحاضر. (عث، بحث، ١٢، ٤)

- في اللغة العربية التاريخ والتأريخ والتوريخ يعني الإعلام بالوقت. وقد يدلّ تاريخ الشيء على غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ويلتحق به ما يتّفق من الحوادث والوقائع الجليلة. وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان، ومسائله أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان وفي الزمان. (عث، بحث، ١٢، ٧)

- إن التاريخ لا يمكن أن يكون علمًا لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والإختبار والتجربة، وبذلك لا يمكن في دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة، على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الطبيعة أو علم الكيمياء مثلًا. ومما يبعد بالتاريخ عن صفة العلم، في نظرهم، قيام عنصر المصادفة، ووجود عنصر الشخصية الإنسانية وحرية الإرادة، مما يهدم الجهود الرامية إلى إقامة التاريخ على أسس علمية، على نحو ما يفعل علماء الطبيعة أو الكيمياء وأضرابهم. ويرى بعض رجال الأدب أنه سواء أكان التاريخ علمًا أم لم يكن، فهو فن من الفنون، وأن العلم لا يمكنه أن يعطينا عن الماضي سوى العظام المعروقة اليابسة، وأنه لا بدّ من الاستعانة بالخيال لكي تُنشر تلك العظام وتُبعث فيها الحياة، ثم هي بحاجة

كذلك إلى براعة الكاتب حتى تبرز في الثوب اللائق بها. فمثلًا لا يستطيع العلم الطبيعي أن يفسّر لنا حريق موسكو في عهد نابليون بونابرت في سنة ١٨١٢م ، إلا على أساس قوانين الاشتعال. ولا بدّ من تدخّل المؤرّخ لكي يشرح الأسباب والظروف السياسية والعسكرية التي أدّت إلى ذلك الحريق، ولا بدّ من قلم المؤرّخ - أو قلم الأديب - لكي يصف لنا الحريق وما تركه من الآثار. فكل من العالم الطبيعي والمؤرّخ يشرح الحادث بطريقته، وكل منهما يكمّل الآخر، وكلاهما ضروري لتقدّم المعرفة الإنسانية. (عث، بحث، ١٦، ٢)

- إن التاريخ ليس علم تجربة واختبار، ولكنه علم نقد وتحقيق، وإن أقرب العلوم الطبيعية شبهًا به هو علم الجيولوجيا. فكل من الجيولوجيّ والمؤرّخ يدرس آثار الماضي ومخلّفاته، لكي يستخلص ما يمكنه استخلاصه عن الماضي والحاضر على السواء. ويزيد عمل المؤرّخ عن عمل الجيولوجي من حيث اضطرار الأول إلى أن أن يدرس ويفسّر العامل البشري الإرادي الانفعالي، حتى يقترب بقدر المستطاع من الحقائق التاريخية. وعلى ذلك نجد التاريخ مزاجًا من العلم والأدب والفن في وقت واحد. (عث، بحث، ١٧، ٦)

- توسيع نطاق التاريخ، فإن علوم الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا الجديدة سحبت آفاق المؤرّخ إلى قرون أقدم، وأجبرته على توسيع نظرته وإدراكاته. كما أن التشكّك المتنامي في كفاية اقتصار البحث على الحقائق، أدخله، من جهة أخرى، في سلسلة من التصفيات المتميّزة. فقليل من المؤرّخين منذ زمن رانكه حتى عهد أكتون شكّوا بأن الخيط الرئيسي للتاريخ هو السياسة. (بار، وجه، ٢٠، ١٩)

- الماركسية، إذًا، لم تقلّص قط التاريخ إلى حالة علم الإجتماع المجرّد، أو تبالغ في دور أفكار علم الإجتماع. غير أنها من جهة أخرى دافعت عن صيغ التاريخ اجتماعيًا. وبمعنى آخر أنها كانت ترى أن الدراسات التاريخية ينبغي أن تتوجّه نحو البحث عن الخصائص والنماذج الثابتة أو المتكرّرة للتطوّر التاريخي. (بار، وجه، ٣٩، ٧)

- التاريخ هو ليس مجرّد "علم الإنسان"، وإنما هو "علم الناس في الزمن". (بار، وجه، ٧٢، ٢٠)

- التاريخ وعلم الإجتماع يشتركان في أهداف واحدة، وبعض جذورهما على الأقل تنبع من نفس التربة، فكلاهما يدّعي، في المبدأ على الأقل، أنه يبحث في كل أبعاد الحياة الإجتماعية "وبكل الوضع القائم في أي زمن محدّد" وإن غايتهما فهم شامل لأعمال البشرية وعلاقاتها. ومع أن للتاريخ عدّة جذور يرجع بعضها إلى الماضي البعيد، ويقرنه بالدين والفلسفة، إلا أن أصوله كعملية استطلاع عقلية ترجع، كعلم الإجتماع، إلى نفس تربة

"وضعية" القرن التاسع عشر. وبعبارة أخرى فإن علم الإجتماع والتاريخ كلاهما يدّعيان أنهما يبحثان بعض الحقائق، وكلاهما يرى أن أمثلة علماء الطبيعة تمثّل البلاهة وأنها تقف على النقيض منهما بدل أن تكون حليفًا لهما، حيث أنه لا علاقة لها بالعلوم الاجتماعية. (بار، وجه، ٧٩، ١٦)

- التاريخ هو ذاكرة الجماعات هكذا كان قديمًا، وهكذا هو اليوم. غير أننا اليوم توغّلنا في منعرج سوف يصبح فيه التاريخ، عندما يبلغ التطوّر غايته، ذاكرة الجنس البشري بدون حصر أو تقييد. والحقيقة أن هذا التطوّر الذي سيجعل في النهاية من التاريخ ذاكرة الجنس الذي ننتمي إليه بدأ منذ أحقاب أو قرون، لكن بصفة بطيئة وئيدة، لا يسلك سبلًا واضحة سوية، بل كثيرًا ما يتيه في أدغال التعصّب والتحزّب والشعوبيات، قبل أن يعود إلى الجادة. (علف، فت، ١٢، ٢٢)

- ليس التاريخ ... في نظر إنسان اليوم، كما كان الشأن بالنسبة لإنسان الأمس، سلسلة من حوادث متعاقبة في زمن مضى ومنسوبة إلى الأهمية بوجه وبدون وجه. فإذا خرج التاريخ أن يكون هذا تعريفه، فما هو إذن؟ فلقد عرَّفه بعضهم بأنه "علم الماضي" غير أن هذا التعريف لا يرضى تمامًا أيضًا، لأن الماضي وعاء لكل مظاهر الكون. بمختلف أشكالها وألوانها، يتّسع للجيولوجية، ولعلم تطوّر الحياة ونشوئها وارتقائها، ولعلم الفلك وغيره.

فلكل صنف من أصناف الكائنات، من جماد ونبات وحيوان تاريخ وهذا التاريخ له علماؤه وله اختصاصيوه. وكذلك للكائن البشري تاريخه - في جملة الكائنات - إذ أن هذا الكائن لا نستطيع أن نتصوّره إلا في محيط وفي وضع وحالة. فالتاريخ إذن علم الإنسان في وضعه وأحواله المتبدِّلة دائمًا أبدًا. فهو علم نطلب منه أن يساعدنا على حلّ لغز الحياة، وفي حلِّه طبعًا حلّ للغز الكائن البشري على العموم. وهذا العلم لا يبسط سلطانه طبعًا إلا على الماضي، إلا أن هذا الماضي التاريخي من نوع خاص. فهو ليس بماضٍ ذي حدود معيّنة ثابتة. هو ماضٍ في امتداد مستمرّ. فهو كالظل يأكل في كل آن ولحظة الحاضر ويتحفَّز ليرخي سدوله على المستقبل. فالتاريخ إذن ليس علم ماضي الإنسان، بل هو علم تطوّر الإنسان بلا انقطاع على مدى الزمان. لهو علم يعدو وراء الإنسان محاولًا أن يدركه وأن يفهمه ويفهِمَه، وأن ينيره لنا في مختلف المراحل المتتابعة المتداخلة التي مرّ بها، ويتّجه نحوها ويدأب على المرور بها وطيّها في طيّات التاريخ. (علف، فت، ١٤، ١٣)

- هناك حركة جدلية بين الإنسان والتاريخ. فالتاريخ يضع الإنسان ويكيِّفه، والإنسان هو الذي يصوغ التاريخ ويصوّره. لا تاريخ لو لم ينقش الإنسان التاريخ على صفحات ذهنه قبل أن ينقشه على صفحات أبقى على مرّ الزمان. فالإنسان، في علاقته مع تاريخه، فاعل منفعل. فهو يجلي هذا

التاريخ في مرآة فكره ويقلبه إلى متصوّرات محكمة الهيكل ينعكس تأثيرها بدورها على اتجاه مصيره. فلا وجود للتاريخ، كما لا وجود للزمن الذي هو وعاء التاريخ أي لا وجود للظروف والمظروف لولا الفكر الذي يفكّر التاريخ والزمن. إنما التاريخ من خلق فكر الإنسان فليس الإنسان إذن ريشة تسير في اتجاه ريح التاريخ، إنما هو يريد أن يكون إرادة تحاول أن تجري الرياح بما تشتهي السفن، فيعكس المثل ويخضعه لعزيمته. (علف، فت، ١٥، ١٣)

- التاريخ إنما هو التجلّي التدريجي لحاجات الإنسان الكامنة في بنيته الأولى، واتّخاذ الوسائل المؤدّية لتحقيقها. فهو خروج مسترسل من القوة إلى الوجود، وتحقيق متواصل للغاية التي يحمل سرَّها الإنسان في غيب تكوينه وفي الطاقات المودعة فيه، وإن كان لا يدركها دائمًا على حقيقتها، وفي كل وضوح تلك الغاية، وإن كثيرًا ما اشتبهت عليه السبل، وانحرف وتاه في معارجها، وأساء استعمال طاقاته ولم يحسن تقييمها وتوجيهها. غير أن الطاقة الموجِّهة للتاريخ كامنة فيه بلا منازع، فتاريخ الإنسان في الإنسان من أول الخليقة. (علف، فت، ١٨، ١)

- يريد (إبن خلدون) أن يجعل من التاريخ أداة كشف عن سر "الإجتماع الإنساني"، وعن خروج هذا الإنسان من "التوحّش إلى التأنّس" بفضل الصراع الجدلي الذي يُعبِّد سبيله، عبر حقبات متجدّدة، نحو أنسيَّة أكمل، عن طريق الرقي المستمرّ الناشئ حتمًا عمّا "ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال". وطبيعة الأحوال هذه التي يشير إليها ابن خلدون، ويعتبرها القانون الذي بمقتضاه يسير التطوّر الضروري الذي لا يعاند، إنما هي سنّة الله "التي توجِّه شراع الخليقة"، ليِّنةً تارة عنيفة أخرى، والتي أشار إليها القرآن في أكثر من آية. وهكذا يصبح التاريخ استكشافًا كليًّا لتطوّر الإنسان، ومحاولة حلّ للغز وضعه اليوم في هذا الكون، ولمصيره العاجل أو الآجل. (علف، فت، ١٩، ٢٨)

- التاريخ الذي نكتبه ليس أبدًا عين الحقيقة في ذاتها المجرّدة، إنما هو صورة نتزعها من ذهننا نتوهّم بصدق أنها تعكس عين الحقيقة. فكل كتابة للتاريخ مبنية في قرارتها على هذا الوهم. ثم أن هناك مشكلة الوثائق التي نعتمدها في كتابة التاريخ. فهذه الوثائق لا تمثل أبدًا كامل أوجه الواقع. مهما كان التاريخ الذي نكتبه قريبًا أو بعيدًا، وخاصة إذا ما كان بعيدًا، فإن ما يبلغنا من وثائق لا يحيط بجميع نواحيه. ذلك أن يد الدهر ويد الإنسان وانواع الصدف في النهاية تضمن البقاء للبعض وتتلف البعض الآخر إتلافًا بلا رجعة. وهكذا تكتسي كتابتنا للتاريخ صبغة اعتباطية تميّز بعض الظواهر دون بعض وما ذلك إلا لجهلنا، وعدم شمول وثائقنا، التي تترك في نسيج التاريخ ثقوبًا تكثر

وتقلّ ويتّسع خرقها ويضيق. وكل هذا يختم في النهاية بألوان من التحريف، لا سيما عندما يستعين المؤرّخ بالخيال ليرتق الفتق، ويملأ البياض، ويرفو الثقب. (علف، فت، ٣٠، ١)

- إن التاريخ أخطر إنتاج أنتجته الكيمياء الذهنية. فهو يهيج الأحلام، ويمثل الشعوب، ويولد لهم ذكريات موهومة، ويزيد ردود فعلهم حدّة، ويغذي جراحهم القديمة، ويعكّر عليهم صفو راحتهم، ويقودهم إلى الهذيان بالمجد أو بالاضطهاد، ويجعل الأمم تشعر بالمرارة والعجب، ويصيّرها لا تحتمل زهوًا بنفسها. (علف، فت، ٣٤، ٤)

- التاريخ ... ليس لغوا، فهو لا يقتصر على أخبار الماضين وأساطير الأولين، بل هو يدرس التجربة الإنسانية أو جوانب منها، ويسعى إلى فهم الإنسان وطبيعة الحياة على وجه الأرض، وإذا نحن اعتبرنا الحياة طريقًا يقطعه الإنسان، فلا شكّ في أن معرفتنا بما قطعناه من الطريق تعيننا على قطع ما بقي منه. (علف، فت، ٤٨، ٢٩)

- أما تفكير هيجل فيقوم على الإيمان بأن التاريخ هو تحقّق الغاية التي أرادها الله من وراء الخلق، وأن الإنسان وصل في بداية القرن التاسع عشر إلى درجة من التقدّم تمكّنه من الكشف عن هذه الغاية وهي تحقيق حرية البشر تحقيقًا تدريجيًا. والحرية التي يعنيها هيجل هي تحرّر الإنسان من عقال الجهل والخوف والظلم. وفي رأي هيجل أن الخطوة الأولى في هذا الطريق كانت الانتقال من حالة التوحّش الطبيعية إلى مستوى النظام والقانون. خلال هذه المرحلة كان لا بدّ من إنشاء الدول، وكان على أولئك الذين أنشأوا هذه الدول أن يستعملوا القوة والعنف، ولا سبيل غير القوّة والعنف لإلزام الناس بطاعة القانون قبل أن يصلوا إلى درجة كافية من التقدّم العقلي تجعلهم يلزمون النظام والقانون من تلقاء أنفسهم. (علف، فت، ٥٠، ٢٩)

- فإذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث، وكانت الحوادث هي التغيّرات، والتغيّرات وليدة الزمان أو سير الزمان انتهينا إلى أن التاريخ هو الزمان. ويكون ميدان اهتمام المؤرّخ على هذا هو دراسة كل تغيّر طرأ على الكون والأرض وكان له تأثير على حياة البشر. ثم دراسة كل تغيّر طرأ على حياة البشر أنفسهم، مهما كان هذا التغيّر صغيرًا أو غير ظاهر الأهمية. فالحقيقة أنه لا توجد حوادث صغيرة وأخرى كبيرة، لأن الحوادث الكبيرة إنما هي تجمع حوادث صغيرة بعضها إلى بعض في نطاق مكاني وزماني ضيّق. (علف، فت، ٥٢، ٢٩)

- التاريخ ليس له تفسير واحد بل إن كلًّا منا يفهمه ويفسّره على قدر ما يستطيع ذهنه، وهذا التفسير لا يمكن أن يتحلّل من شخصية المؤرّخ وثقافته، وهذا يفسّر لنا كيف أن كل مؤرّخ يرى في نفس الحوادث شيئًا آخر، وعلى هذا فإنه لا يمكن القضاء

على العنصر الشخصي وأن التاريخ الموضوعي الصرف يكاد أن يكون لا وجود له. (علف، فت، ٩٩، ٣٣)

- تاريخ شيء من الأشياء قد يدلّ على وقته الذي ينتهي إليه، مضافًا إليه ما وقع خلال هذا الوقت من حوادث ووقائع، ويقول السخاوي أنه فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت، وموضوعه الإنسان والزمان. وكلمة "تاريخ" في لغتنا هي المقابل لكلمة History في اللغة الإنجليزية، وكلمة Histoire في اللغة الفرنسية، وكلاهما اشتقاق من الكلمة اليونانية Histor بمعنى التعلّم أو المشاهدة أي كل ما يتعلّق بالإنسان منذ بدأ بترك آثاره على الأرض. وقد استعمل أرسطو كلمة "هستوريا" بمعنى السرد المنظّم لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاء ذلك السرد وفقًا للتسلسل الزمني أم جاء غير كذلك، ولا يزال هذا الاستعمال شائعًا فيما نسمّيه "التاريخ الطبيعي". وقد تدلّ كلمة "تاريخ" على مطلق مجرى الحوادث الذي يصنعه الأبطال أو تصنعه الشعوب. ونحن لا نستخدم كلمة تاريخ الآن إلا في حالة السرد المرتّب زمنيًا، وفي المعنى العام صارت كلمة تاريخ تعني ماضي الإنسان، ولهذا وضع لها الألمان كلمة تحمل نفس المعنى، وهي Geschichte المشتقّة من الفعل الألماني Geschehen بمعنى يحدث، ولكن الواقع أن كلمة تاريخ تعني مجموعة الأحداث التي وقعت في الماضي، والتي تقع حاليًّا، ثم التنبّؤ على هدى ذلك وفي ضوئه بما سوف يقع مستقبلًا. (علف، فت، ١١٥، ٣)

- العلم بصفة عامة لا يخرج عن كونه محاولة لتركيز الجهد حول شيء لا نعرفه في محاولة جادة لمعرفته والوقوف على حقيقته، فالعلم إذًا هو الكشف عن حقيقة الأشياء وهذا هو المعنى المقصود من قولنا إن التاريخ علم. لكن ابن خلدون يقول في عبارته التي يُعرِّف بها التاريخ أنه فن، فما هي الحقيقة؟ وهل يعتبر التاريخ علمًا أم فنًّا؟ هناك من يقول إن التاريخ لا يمكن أن يكون علمًا لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والاختبار والتجربة، ودراسة التاريخ لا توصلنا إلى استخلاص قوانين يقينية ثابتة على نحو ما يصل إليه الكيمائيون والفزيائيون مثلًا. وذلك رأي له وجاهته؛ ولكن التاريخ مع ذلك يعتبر علمًا من حيث المنهج، لأن نتائجه تخضع للتحقيق، والاتّفاق بين المؤرّخين أو عدم الاتّفاق بينهم، وذلك عن فهم وإدراك. والذي أريد أن أقطع به هو أن التاريخ يبحث عن أسباب تسلسل الظواهر ويحاول ربطها إلى بعضها وتعليلها تعليلًا يقبله العقل. ولكن هذا لا يفضي إلى وضع القوانين الثابتة، لأن المؤرّخ لا يجرّد، والتاريخ قصص وليس برهانًا، ... وهو يتناول أحداثًا مستقلة لا تقع إلا مرة واحدة، ومن هنا لا يستطيع المؤرّخ أن يستخلص منها نواميس عامة شاملة. وليس هناك شكّ في أن المؤرّخ يستخدم أحيانًا

تحقيقات الاختبارات العامة ونتائج الملاحظة الاجتماعية ليدرك مدى الحدث الواحد الفريد، وكذلك نرى المؤرّخ اليوم يبسط الأوضاع الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية ليوضح آثارها على مجرى التاريخ، وهذه وتلك من الأشياء المجرّدة. ولقد نستطيع أن نُعرِّف التاريخ بأنه العلم الذي يوازن العلوم الأخرى، ذلك بأن حياة المجتمعات الإنسانية هي في الحقيقة تاريخ هذه المجتمعات، وبما أن التاريخ لا يعيد نفسه، ولا يضع سننًا عامة ثابتة لا تتغيّر، فلن تكون لأي علم القدرة على الوصف الدقيق في كل تفاصيله ... لكن التفاصيل ذات قيمة كبرى، ومعرفة هذه التفاصيل والعوارض الفريدة هي المجال الذي يخوضه التاريخ. ومن هنا فإن التاريخ لا يستطيع أن يصل أبدًا إلى غايته المنشودة وهي إعادة تمثيل الحياة البشرية كما كانت، وإعادة رسم مظاهر النشاط العقلي بكل تطوّراته وتقدمه. والإنسان هو الوحدة التي يدور التاريخ من حولها، وكل جهد يحاول به صاحبه أن يعزل فئة من الناس خارج تاريخ الإنسان، إنما هو جهد فاشل. وبهذا المفهوم فإن التاريخ يتضخّم إلى درجة الشمول لكل أنواع المعرفة، حتى العلوم الطبيعية يستطيع التاريخ أن يخرجها عن الرسم التجريدي اللازمني ويعرضها عرضًا مؤسسًا على مجهود الإنسان، بوصفها نتيجة لهذا الجهد. (علف، فت، ١١٨، ٧)

- التاريخ دراسة تقوم أولًا وقبل كل شيء على الاستدلال، فما معنى هذه العبارة؟ الواقع أن التاريخ كغيره من الدراسات العلمية لا يستطيع أصحابه ادّعاء صدق ما يكتبون إلا إذا استطاعوا تبرير ذلك... ولا يمكن أن يعتبر المرء مؤرّخًا إلا إذا أدرك تمامًا ما يمكن أن تتمخّض عنه المادة التاريخية المطروحة أمامه من براهين وأدلّة تفسّر الأحداث التاريخية... فلو فرضنا أن إنسانًا استطاع أن يحصل على هذا الإدراك نفسه عن طريق الذاكرة مثلًا... فإن هذا الإدراك أو هذه المعرفة ليست من قبيل المعرفة التاريخية، لأنها لم تأت عن طريق الاستدلال من مادة تاريخية اعتمد عليها... وهذا الطريق هو وحده الطريق العلمي، فلو قلت مثلًا إنني رأيت فلانًا منذ أسبوع على ما أذكر، فتلك عبارة غير تاريخية؛ ولكن لو أضفت إليها قولي "وذاكرتي في هذا لا تخونني ولا تخدعني لأنني تسلّمت منه هذه الرسالة التي كتبها أمامي" كان ذلك بمثابة دليل استندت إليه لإثبات صدق عبارتي الأولى التي قلتها عن الماضي ... وهنا تصبح العبارة تاريخية لأنها تعتمد على الاستدلال، ولأنها كتبت أو قيلت تبعًا لأسلوب أو لمنهج البحث العلمي. فالاستدلال إذن هو الأساس في صياغة التاريخ والاعتماد عليه هو الذي يعطي الباحث صفة المؤرّخ. (علف، فت، ١٥٨، ٢٠)

- أصبح مألوفًا شائعًا التفريق بين التاريخ كمسيرة للإنسانية History وبين علم التاريخ، Historiography كفاعلية فكرية

إنشائية. ولعلّنا نستطيع أن نستعير هنا كلمة سانتيانا التي يقول فيها: ".. بين المعاني الكثيرة التي تعنيها كلمة التاريخ يجب ألا نخلط بين معنيين هما: أولًا: سياق الحوادث كما تقع فعلًا، وثانيًا مشهد هذه الأحداث التي يلتقطه المؤرّخ ويضمّنه كتابه. والتاريخ في المعنى الأول دفق هائل وفي الثاني تأليف محدود.... ولا تعنينا في بحثنا هذا المسيرة الإنسانية. "هذا الدفق الهائل" من الأحداث والأعمال والأفكار الذي ينساب في استمرار واطّراد بدون فترات ولا عصور ولا فصول أو أقسام، وينساب في حركة مستمرّة لا يحيط بدقائق أحوالها وقوانينها عقل بشري، ولا يستطيع التكهّن بمسارها أو مصيرها، إنما يقع الآن على الطرف الآخر من اهتمامنا بها الذي يتركّز خاصة حول المعنى الثاني، حول "التأريخ" كفاعلية فكرية تتناول ذلك الدفق الهائل نفسه بالتنظيم والدرس والتقسيم والتحليل واستخلاص النتائج. (علف، فت، ١٦٨، ٢٢)

- التاريخ لا يعنى بكل الماضي ولا بأي ماض: إنما ميدانه الماضي الإنساني فقط. علوم كثيرة غير التاريخ ميدانها دراسة الماضي وليس الحاضر: الجيولوجيا، الباليثتولوجيا، التاريخ الطبيعي، الأنثروبولوجيا، الاثنولوجيا كلها بدورها تدرس الماضي القديم وليست من التاريخ في شيء.. ماضي الكائنات الإنسانية وحده يهم التاريخ. ونستطيع القول في صيغة أخرى أنه لا تاريخ فيما وراء الإنساني أي لا تاريخ قبل الإنسان زمنًا، ذلك ما قبل التاريخ، ولا تاريخ لغير الإنسان موضوعًا، ذلكم التاريخ الطبيعي للنبات والحيوان والجماد. ولا تاريخ فيما وراء اهتمامات الإنسان، ذلكم هي الجيولوجيا والباليونتوجيا.. الخ. "الإنسان هو الوحيد بين الكائنات الحيّة التي يعي الزمن" كما يقول دلتاي ولهذا فهو الوحيد ذو التاريخ بينها. وهو يصنع التاريخ، والتاريخ بدوره يصنعه في جدلية حياتية لا تنتهي. (علف، فت، ١٧٥، ١٩)

- ليس من أحد المؤرّخين أو في غيرهم يعتبر التاريخ مجرّد نسخ حرفيّ لأقوال الآخرين، كما ليس من أحد يقبل أن يكون التاريخ مجرّد سنوات ولادة ووفاة وحروب متّفق على موعدها وأسمائها. هموم المؤرّخين مرتبطة دومًا بالتعدّد، موصولة دومًا بالمزيد من الجزئي والفردي، هاربة أبدًا من التجريد لأنه يقطع فورًا ما بينها وبين منبعها الحي في الواقع، وذلك شرط أساسي في الإدراك التاريخي. (علف، فت، ٢٠٠، ١٧)

- التاريخ علم إنساني (في مقابل العلم الطبيعي). إنه معرفة مختلفة في الطبيعة والميدان والموضوع عن العلوم الطبيعية. وعدم علميتها حسب مناهج هذه العلوم لا يعني عدم علميتها المطلقة. ولا ينقص من قيمتها كمعرفة إنسانية. ولكنه يعني أن العلماء لم يصلوا بعد إلى المقولات والوسائل والمناهج التي تتناسب في التعقيد مع مادة التاريخ والتي تستطيع أن تضمّ بين حدودها الشاملة آفاقه اللامتناهية. (علف، فت، ٢١٣، ٣)

- التاريخ storia فعل للفكر، فعل نظري لأنه وصف مقولي categorial للأحداث التي أحدثتها الروح الإنسانية في الماضي، وبوصفه فعلًا نظريًا فإنه فعل "تركيب تاريخي" و"الأخبار" cronaca فعل إرادة، لأنها يجب عليها ألا تحكم أو تصف، بل فقط عليها أن تسجّل أعني أن تحفظ. إن فعله شبيه بفعل العالم الطبيعي الذي لا يحكم على التجارب الجديدة المختلفة التي يشاهدها بل يعمّم فيها من أجل تصنيفها، ويقوم بعمل وصف اعتباطي أو ميسّر. إن الإخباري يسجّل ما يحدث بترتيب زمني، إنه لا يتلقّى الحياة التاريخية في ميلادها ونموّها من الداخل، بل يرصدها من الخارج فحسب، ولهذا فإن الأخبار cronaca لا تنفذ إلى الفردية المميّزة للوقائع التاريخية. (علف، فت، ٢٣١، ٣١)

- إن الأخبار والتاريخ لا يتميّزان بوصفهما شكلين للتاريخ، يكمّل كل منهما الآخر، أو يخضع أحدهما للآخر، بل هما موقفان روحيان مختلفان. إن التاريخ storia هو التاريخ الحي، والأخبار هي التاريخ الميّت، والتاريخ هو التاريخ المعاصر، بينما الأخبار Cronaca هي التاريخ الماضي، والتاريخ هو أساسًا فعل للفكر، بينما الأخبار فعل للإرادة. وكل تاريخ يصير أخبارًا إذا لم يعد مفكّرًا فيه، بل مذكورًا فقط في كلمات مجرّدة، كانت حينًا ما عينية وتعبّر عن التاريخ. وحتى تاريخ الفلسفة هو أخبار، كتبها غير الفاهمين للفلسفة، أو قرأها هؤلاء، وتاريخ هو ذلك الذي نكون على استعداد لقراءته على أنه أخبار. (علف، فت، ٢٣٢، ٣)

- يرى يسبرز أن التاريخ حدث وشعور بالحدث، تاريخ ومعرفة بالتاريخ. إنه محاط بما يشبه الهاويات. فإن تردّى فيها، لم يعد بعد تاريخًا. وعلينا أن نغلقه دائمًا على نفسه، وأن نفتحه للعلو. أولًا: للتاريخ حدود تعزله عن كل واقع آخر: طبيعة كان أو كونًا. وحوله ينتشر المكان اللامتناهي للوجود بوجه عام. ثانيًا: للتاريخ تركيب باطن، يرجع إلى تحوّل الواقع البسيط للظواهر الجزئية ولكل ما يمضي دون توقّف. وهو لا يصير تاريخًا إلا باتّحاد الكلي مع الفردي، لكن بحيث في ضوئه الفردي، في كل صفاته، يتّخذ أهمية لا يمكن الاستغناء عنها ويصير كليًّا على نحو ما. إنه عبور يتحقّق فيه الموجود. ثالثًا: يصير التاريخ فكرة شمولية حين نضع السؤال: أين تقوم وحدة التاريخ؟ ورؤية هذه الهاويات: الطبيعية الخارجية عن التاريخ التي هي بمثابة تربته السفلى البركانية، والواقع الذي يتجلّى فيها بصورة عابرة فانية، والتشتّت اللانهائي الذي تحاول التخلّص منه وحدة إشكالية دائمًا - إن رؤية هذه الهاويات يسمو فنيًا، بمعنى ما هو تاريخي حقًّا. (علف، فت، ٢٣٣، ٢٠)

- نحن طبيعة ونحن تاريخ. والطبيعة فينا تتجلّى في الوراثة، والتاريخ يتجلّى في المنقول tradition. والنموّ التاريخي يمكن أن يحدث له انقطاع يسبّب النسيان أو ضياع

التراث المنقول. ولكننا أناس بالمنقول أكثر منا بالوراثة. ففي الوراثة يجد الإنسان عنصرًا لا يمكن تدميره، ولكن في المنقول عنصر يمكنه أن يفقده نهائيًا. (علف، فت، ٢٣٥، ١٠)

تاريخ الإسلام

- بظهور الإسلام، بدأت نظرات جديدة. فقد جاء القرآن بنظرة جدّية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة وعاد إلى بدء الخلقية. وأكّد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها. وجاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ تتمثّل في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشّر بها أنبياء عديدون وكان الرسول الأعظم خاتم الأنبياء والمرسلين. وكان لهذه النظرة أثرها في الالتفات إلى تاريخ الأنبياء وإلى الإسرائيليات. إلا أن هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت ظهور الإسلام، أما بعد ذلك فإن الاهتمام انصبّ على تاريخ الإسلام. (دو، نشأ، ١٨، ١٧)

تاريخ إسلامي

- قال أبو إسحق إبراهيم بن عبدالله بن عبد المنعم بن أبي الدم الفقيه القاضي الحموي الشافعي: إنما الفائدة في التاريخ الإسلامي مع قربه من الصحة ذكره لعلماء هذه الأمة المحمدية وذكر محاسنهم وعلومهم ومواعظهم وحكمهم وسيرهم التي يستدلّ العامل بها في أموره ويتدبّرها ويتفكّر فيها فينتفع بما قالوه وعانوه وما ينقل عنهم من المحاسن دنيا وأخرى، إلى أن قال وإن كان هذا العلم كالعلاوة على ما نعتمده من العلوم الشرعية ونتوخّاه من الفنون السمعية والعقلية. (سخ، ذم، ٢٥، ١٢)

- التاريخ الإسلامي هو تاريخ الشعوب والدول الإسلامية منذ دخلها الإسلام حتى العهد الحاضر، وبهذا فالتاريخ الإسلامي طويل طول القرون الأربعة عشرة التي اجتازها، وواسع سعة الرقعة التي يشغلها من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، متماسك تماسك مبادئ الإسلام التي يباشرها المسلمون على هذه الخريطة الفسيحة. (شل، سلم، ٢١، ٢)

- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جزء من الدراسات الإسلامية، ولا يمكن إطلاقًا اعتبار التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية شيئًا مستقلًا عن الدراسات الإسلامية، وقد ظلّت هذه الحقيقة مهملة قصدًا أو سهوًا، مما أتاح لقليلي البضاعة في الدراسات الإسلامية أن يكتبوا في التاريخ الإسلامي، وعلى هذا جاءت كتاباتهم ضحلة قليلة الغور، وقد كان المستشرقون أكثر وعيًا لهذه الحقيقة؛ فلم يكتبوا في التاريخ الإسلامي، أو قل لم يتّجهوا للتاريخ إلا بعد أن اتّجهوا بعناياتهم اتّجاهًا كاملًا للدراسات الإسلامية في أكثر

شعبها، أو في جميعها، فحصلوا منها على قدر قليل أو كثير، ونريد لهذا أن نقول بصراحة: إن الذي يكتب في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لا بدّ له من الإلمام بدراسة القرآن وقراءاته؛ وأسباب نزوله، وأخذ الأحكام منه؛ وبلاغته، وصلته بالأحداث الإسلامية والعربية. وتفسيره، وكذلك معرفة الحديث والفقه وأصول الفقه والتوحيد وتاريخ التشريع الإسلامي وغيرها من العلوم الإسلامية؛ فتلك تعتبر أهم مصادر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وبدونها يقع الكاتب في أخطاء قد يكون بعضها خطيرًا. (شل، سلم، ٥٧، ٢)

- ما كتبه المستشرقون من الدراسات في بعض عصور التاريخ الإسلامي أو مسائله الجزئية أعمق من كتبهم الشاملة. وإذا كان للمراجع العربية والفارسية القديمة المقام الأول والأساسي في دراسة التاريخ الإسلامي، فمن الإنصاف أن نعترف بأننا لم نحسن الإفادة من تلك المراجع الأصيلة، حتى اتّصلنا بالغرب، واستطاع الرعيل الأول من المؤرّخين المسلمين المحدثين أن يأخذوا عن المستشرقين كثيرًا من أساليب البحث العلمي الدقيق. وحسبنا مثلًا أن المستشرقين هم الذين كشفوا لنا عظمة ابن خلدون وما في مقدّمته من نظريات اجتماعية سبق بها العلماء الذين ينسب إليهم الغربيون وضع الأسس الأولى في علم الاجتماع. ولا ريب في أن بعض المستشرقين لا تلين لهم قناة اللغة العربية بحيث يصبحون في مأمن من سوء الفهم ومجانبة التفسير الصحيح، وما من شكّ في أن بعض المستشرقين يعميهم التعصّب الديني أو القومي عن الحقائق، أو يدفعهم إلى قلبها، ولكن هذا لا يقلّل من فضل المستشرقين في العناية بتاريخ حضارتنا وفي دفعنا إلى العناية بها، في أسلوب علمي سليم، نستطيع بواسطته أن نكمّل ما في دراستهم من نقص، أو نقوّم ما فيها من عيوب. ولقد كان الأب لامنس Lammens من أشدّ المتعصّبين على الإسلام، وهو بعد ذلك من المعجبين ببني أمية، لأن الدولة التي أقاموها كانت تعنى بمظاهر الملك وبالعصبية العربية أكثر من عنايتها بالدين وشؤونه، ولأنها قامت في الشام، وتأثّرت بالمدنيات القديمة التي قامت في ربوعه، وكان المستشرقون أنفسهم يعرفون في لامنس هذا العيب ويأخذونه عليه ولكنه كان واسع الاطّلاع. وحسب الدارس نفعًا ومرانًا في التاريخ الإسلامي أن يقرأ لامنس وأن يهضم ما يروقه من أبحاثه، وأن يبحث وينقّب ليستطيع الرد على الجزء الباقي فيها، وأن يراجع النصوص التي كان لامنس يبني عليها أحكامه، ليرى كيف كان يجحف في تفسير بعضها، ويحمل بعضها الآخر ما لا تحتمل، وكيف كان يهمل ما لا يتّفق ورأيه أو ما لا يؤيّد نظريته، وكيف أنه كان يغضّ الطرف أحيانًا عن المناسبات، فيستنبط من الشواذ قواعد، ومن الحالات الفردية أحكامًا عامة. وقصارى القول أن قراءة لامنس ومن على شاكلته رياضة علمية ميدانها الكتب والمكتبات، وتقرع فيها الحجّة بالحجّة،

ويدفع النص الواحد بالنصوص الكثيرة. ومع ذلك كله فلسنا نظنّ أن باحثًا منصفًا يستطيع أن ينكر ضرورة الإلمام بكل ما يكتب المستشرقون، لأن أكثر ما يكتبونه دقيق ومنظّم، وفيه كثير من مزايا البحث العلمي الصحيح. أما عيوب التعصّب فمن السهل أن ندركها ونحذر شرّها. (حس، عر، ٢٠٧، ٣)

تاريخ الأشراف

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون

الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٧)

تاريخ الأضراء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١٦)

تاريخ الأطباء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٨)

تاريخ أغسطس

- تاريخ أغسطس الملك وهو أوَّل القياصرة، ومعنى قيصر بالإفرنجيَّة شقَّ عنه، والسبب في ذلك أنّ أمَّه ماتت في المخاض وهي

حامل به فشُقَّ بطنها وأخرج عنه ولُقِّب بقيصر وكان يفخر على الملوك بأنّه لم يخرج من بُضْعِ امرأة كما كان يفخر أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن حملة بن كامكار بن يزدجرد بن شهريار بمثله لاتّفاقه له، وكان يشتم الناس بهذه اللفظة أعني ابن البُضْع. (بير، بقي، ٢٩، ١)

تاريخ الأمراء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقِّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون

الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ١٨)

تاريخ أنطنينس

- تاريخ أنطنينس وهو أحد ملوك الروم واستعماله بسني الروم وقد صحّح بطلميوس الكواكب الثابتة لأوّل ملكه ووضعها في المجسطي وأمر بتسييرها في كلّ سنة درجة واحدة. (بير، بقي، ٢٩، ١٠)

تاريخ أنواع الشيعة

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة.

تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١١)

تاريخ أهل السنة

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون

الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١٣)

تاريخ أولي الصنائع العجيبة

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٢١)

تاريخ البخلاء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١٤)

تاريخ التاريخ

- "تاريخ التاريخ" أو تطوّر الكتابة التاريخية وما رافقها من مناهج وآراء تاريخية. (دو، نشأ، ٩، ١٥)

تاريخ التجار

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٢٠)

تاريخ جاهلي

- (التاريخ الجاهلي) كان من آدم إلى الطوفان ثم إلى زمان نار الخليل عليه السلام ثم أرّخ بنو اسمعيل من بناء البيت

ثم إلى معد بن عدنان ثم إلى كعب بن لؤي ثم من كعب إلى عام الفيل قاله الواقدي وعن بعضهم كان بنو إبراهيم عليه السلام يؤرّخون من نار إبراهيم إلى بنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام ثم أرّخ بنو إسمعيل من بنيان البيت حتى تفرّقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا بمخرجهم ومن بقي بتهامة من بني إسمعيل يؤرّخون من خروج سعد وفهد وجهينة بني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي فأرّخوا من موته إلى الفيل ثم كان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر من الهجرة وذلك في سنة ست عشرة أو سبع عشرة أو ثمان عشرة ومنها أن حمير كانت تؤرّخ بالتبابعة وغسانًا بالسند وأهل صنعاء بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس ثم أرّخت العرب بالأيام المشهورة كحرب البسوس وداحس والغبراء وبيوم ذي قار والفجار ونحوه وبين حرب البسوس ومبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ستون سنة حكاه محمد بن سعد عن أبي الكلبي.
(سخ، ذم، ٨٢، ٢١)

تاريخ الحفاظ

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون

الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ٢٢)

تاريخ حولي

- التقطّع الجذري الذي يحكم التاريخ الحولي لا يسم فقط التواريخ على السنين. فهذا التقطّع، كما يصار الإفصاح عنه في بنية الحادثة كما تناولناها بالتحليل، يبتدى في كل التأريخ الكرونولوجي، بغض النظر عن الوحدة التي ينقسم الزمان على أساسها. فهي قد تكون سنة وقد تكون جيل أو دولة أو عصر أو مُلك ملك. فهذه هي أسس تنظيم الوحدات البشرية الداخلة في التاريخ. فنحن نجد التقطّع حتى في تضاعيف أكثر نصوص الكتابة التاريخية العربية مقاليّة، مثل كتاب العبر لابن خلدون، وهو عين التقطّع الذي نجده داخل بنية الخبر الواحد كما نجده في ممارسته الأفضل والأكمل عند الطبري. (عظم، عرف، ٥٦، ٧)

- التتالي تتال صرف، كما هو الشأن في التاريخ الحولي، إذ لا فرق إن كان لعلاقة بنى متميّزة عن التسلسل في الزمان. إن ما يجمع بين عناصر هذا التتالي هو الموضوع العام المتعلّق بدولة ما والمطالب التفصيلية التي تتناول متعلّقات الملك من حروب وجباية ووزارة وغيرها. لا ترجع الأحداث المتسلسلة إلى بعضها البعض، بل هي ترجع للعنوان الذي يجمعها وهو الدولة الفاطمية. ليست أحداث الدولة هذه أحداث لها استقلال وطبيعة تربطها ببعضها البعض بل إن الترابط الوحيد بينها هو الرابط الأفقي. (عظم، عرف، ٦٢، ١١)

تاريخ الخلفاء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق

ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ١١)

تاريخ الرهبان

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في

الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٢٣)

تاريخ شامي

- اتّجهت مشاريع التاريخ الشامي إلى التضخّم في أواخر الفترة في ميدانين: تواريخ المدن، والتواريخ العامة. فأما في تواريخ المدن فقد تركّز الانتباه على مدينتي دمشق وحلب. وخرجت الموسوعة التاريخية الضخمة لابن عساكر تترجم لكل من عرفته دمشق من العلماء والكبار في الإسلام كما خرجت الموسوعة الأخرى - وإن لم تكمل على ما يظهر - لابن العديم عن تاريخ حلب. هذا بجانب تواريخ أخرى أصغر حجمًا وشهرة من مثل تاريخ دمشق لابن القلانسي وتاريخ حلب للعظيمي وأخبار الشام للسميساطي وتاريخ دمشق للارمنازي... وكان هذا الاتجاه تعبيرًا عن الدور الضخم الذي كانت كل من المدينتين تلعبه ضدّ التحدّي الصليبي العنيف في تلك الأوقات. (مص، رخ٢، ٢٢٠، ٢٣)

تاريخ الشجعان

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١٩)

تاريخ الصحابة

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى

الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ١٠)

تاريخ الطوفان

- تأريخ الطُّوفان الأعظم الذي طفئ فيه كلُّ شيء في زمان نوح عم وهو كذلك من التفاوت والاختلاف والاضطراب بحيث لا يقطع على صحّته ولا يطمع في الإحاطة بحقيقته لما ... من الاختلاف فيما بين تاريخ آدم وبينه ولما ... من التفاوت بينه

وبين تاريخ الإسكندر. (بير، بقي، ٢٣، ١٥)

تاريخ عالمي

- التاريخ العالمي يتألّف، كما يعتقد البعض، من وحدات حضارية مستقلّة تدور كل منها في فلكها الخاص. فما دام العقل الإنساني في جوهره واحدًا، وما دامت النزعات الإنسانية تعود إلى أصول متماثلة، وما دامت الشعوب تتلاقى وتتصارع، وتأخذ وتعطي، فلا بدّ من أن تكون ثمّة وحدة أصيلة في التراث الإنساني تشمل خلاصة تحقيقاته ومآثره من ضمن مظاهرها المختلفة وأشكالها المتنوّعة. (زري، نحن، ٢٢٤، ١٣)

تاريخ عام عالمي

- منهج عام واحد في التاريخ العام العالمي هو الذي بقي وانتشر هو منهج الطبري منهج الخبر الحولي ولكن بعد حذف الإسناد... في نصف القرن الأخير من هذه الفترة ... أي ما بين أواخر القرن السادس وأواسط السابع تظهر هبة أخرى من التواريخ العامة تطبع الفترة كلها بطابع الاهتمام التاريخي الواسع على أن أهمّ ميّزاتها أنها مع اتّباعها مدرسة الطبري الحولية وسعة نظر اليعقوبي والمسعودي في الشمول الأممي وأسلوب مسكويه في السرد السياسي دون السند ودون الاهتمام بالجو الحضاري قد ضيّقت أحيانًا مفهوم التاريخ العام كما أضافت منهجين جديدين إليه: أولًا: فأمّا ضيق المفهوم فتجلّى في اقتصارها التاريخ على تاريخ المسلمين العام وتقصيرها الزمن التاريخي على مدى التاريخ الإسلامي فقط دون السابق له، ولعلّ السبب هو توسّع هذا التاريخ وتزايد مادته من جهة واعتبار بعض المؤرّخين - سواء عن تقى أو عن اقتناع - أن تاريخ الإسلام هو الذي يهمّ الناس وهو الجدير بالتدوين والمعرفة وما عداه ممّا سلف لا يعدو أن يكون زيادة لا قيمة لها ولا أثر... ولذلك كثيرًا ما نجد كتب التاريخ العامة إنما تبدأ بعصر الرسالة. وسوف نرى خلال البحث الأمثلة العديدة على ذلك. ثانيًا: أضافت أهم كتب التاريخ العام إلى مادتها في الحوادث مادة جديدة أخذتها من كتب التراجم. وقد جاءت هذه الإضافة ذيلًا وتتمّة للقسم الإسلامي منها. ثالثًا: فتحت بابًا يأتي في نهاية حوادث كل سنة هو باب الوفيات. لقد دمج المؤرّخون منذ أواخر القرن السادس تاريخ الرجال مع الأحداث في كتاب واحد. مفهوم التاريخ العام التقى فيه عندهم لا الأمم المختلفة في المناطق المختلفة فقط ولكن التقى فيه أيضًا فرعا التاريخ الداخليان: الأحداث والتراجم. الثاني: التنظيم الأبجدي وهو ابتكار ظهر في نهاية الفترة أي في النصف الثاني من القرن السابع. ومع أنه نقل عن كتب التراجم إلا أنه يعبّر عن فكر موسوعي نما حتى أدخل أحداث التاريخ في إطاره. (مص، رخ١، ٤١١، ١٠)

تاريخ العباد

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٣)

تاريخ علم

- في مطلع القرن العشرين أعلن الدكتور ج. ب بيوري (J.B. Bury 1861 - 1927) "أن التاريخ علم" ثم كرّر هذا الأستاذ إعلانه عدّة

مرات في محاضرات متتالية، وقد أثار هذا الإعلان رأي كثير من الباحثين في العلوم والآداب، وشبّ نزاع خطير حول هذه القضية. واتّضح من الصراع أن تحديد لفظَي "العلم" و"التاريخ" كان له دخل كبير في تقريب وجهات النظر، أو في حسم الخلاف، فاللورد أكتن (١٨٣٤ - ١٩٠٢م) عرَّف العلم بأنه "اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامّة على هيئة مبدأ أو قانون يمكّننا على وجه اليقين من التنبّؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة في ظروف معيّنة". وبناءً على هذا التعريف لم يعتبر اللورد أكتن ومن أخذ برأيه أن التاريخ علم. ولكن تعريف اللورد أكتن للعلم ليس موضع اتّفاق لأن علم الميثيورولوجيا لم يصل إلى أقوال دقيقة خاصة بالجو، ومن هنا شاع الخطأ في تنبّؤات الخبراء عن الجو، ومع هذا فلا نستطيع أن ننفي صفة العلم عن الميثيورولوجيا، وبهذا سقط تعريف اللورد أكتن للعلم، وبالتالي سقط استبعاد التاريخ عن دائرة العلم. واتّجه الرأي لتعريف العلم بأنه المعرفة المنظّمة المبوّبة التي تؤسَّس على البحث الذي لا يتبع هوى النفس، على أن يكون قد رُدَّ إلى المبادئ الثلاث. - التصنيف - التبويب - التقنين. فهل التاريخ علم بناءً على هذا التعريف الجديد؟ إن الإجابة على هذا تستدعي أن نعرف ما هو التاريخ؟ هل التاريخ هو "التدوين"؟ لو أجبنا بالإيجاب لكان التاريخ فنًّا لأنه إنشاء أدبي، ولكن اللفظ الدقيق لهذا المعنى هو "تأريخ" أي كتابة التاريخ. أما التاريخ فمرحلة تسبق التأريخ والكتابة، وهو يعني البحث في أحوال السابقين، وما خلّفوا من آثار ووثائق ثم نقدها وتأويلها، والمعرفة عن طريقها، وذلك المعنى هو المقصود عندما تستعمل كلمة "تاريخ" وهو بذلك يشمل الاستقصاء والبحث وطلب الحقيقة، ثم إنه يتّبع مبادئ التصنيف والتبويب والتقنين، وبهذا يكون التاريخ علمًا. وتبعًا لهذا الاتجاه أدخل رينان سنة ١٨٤٨ العلوم التاريخية في مؤلّفه عن "مستقبل العلم" وردّد فوستل ديكولانند (١٨٣٠ - ١٨٨٩م) هذا القول مرارًا، ومن ذلك ما جاء في كتابه (العصر الوسيط) ونصّه: التاريخ علم لا يتخيّل بل يرى، وهو نظير كل علم ينظر إلى الأحداث ويحلّلها ويقارن بينها، ويحقّق الروابط القائمة بين بعضها والبعض، والمؤرّخ يبحث عن الحدث ويدركه بدرس النصوص بإمعان ودقّة وهي نفس الطريقة المتّبعة في كل علم مؤسّس على الملاحظة الدقيقة. ويبقى سؤال بعد ذلك هو: من أي أنواع العلوم يعتبر التاريخ؟ الإجابة عن ذلك يوردها Hearnshaw بقوله: التاريخ علم، ليس علم نقد وتحقيق، أقرب العلوم الطبيعية شبهًا به الجيولوجيا. فكما أن الجيولوجي يدرس الأرض كما هي الآن ليعرف بقدر الطاقة كيف صارت إلى حالتها الحاضرة، فكذلك المؤرّخ يدرس الآثار المتخلّفة عن الماضي ليفسّر بواسطتها وبقدر إمكانه ظاهرة الحاضر، وكما أن الجيولوجي يجد مادته الأساسية فيما سلم في نفايات الطبيعة من أدلّة قليلة تثبت التطوّرات الجيولوجية القديمة. فكذلك المؤرّخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو

سجلات، سلمت مصادفة واتّفاقًا من عوادي الزمن التي لا تبقي ولا تذر، وهذه الآثار والسجلات هي الحقائق المحسوسة الحاضرة التي ينصبُّ عليها عمل المؤرّخ وهي مادة علمه، وهي ليست قيّمة وهامّة لذاتها، ولكن لمجرّد دلالتها على الوقائع الماضية، ثم هي لا تدلّ على الوقائع الماضية مباشرة، ولكن بواسطة الضوء الذي يلقيه عليها فكر الباحث. (شل، سلم، ٢٤، ١١)

تاريخ علم متزمّن

- التاريخ علم "متزمن" هو الوحيد بين العلوم الذي يقوم الزمن في قاعدته. التاريخ ليس شيئًا سوى إضافة الزمن إلى الحدث يصبح أقصوصة أو أسطورة. الحدث خلال الزمن هو الاسم البديل الممكن لكلمة تاريخ. دون زمن، ثمّة كيمياء وبيولوجيا وسوسيولوجيا وما شئت من عائلة "اللوجيا" ولكن ليس ثمّة تاريخ. أنه يسير في فلك ذي ثلاثة حدود: الإنسان والمكان والزمان. تلك هي ثلاثية التاريخ الرئيسية التي تدخل على موضوعه المتحوّلات الواسعة المدى. كافة العلوم لا يدخل الزمن في حسابها، ولا يلعب بقوانينها إلا عند حساب المتحوّلات. كلها تسير في الأبعاد المكانية الثلاثة إلا التاريخ فإنه لا يعيش ولا يوجد دون البعد الرابع: الزمن. كلها تسير في إطار مقولتين: الواقع والمنطق أما التاريخ فيضيف إليهما، مرغمًا المقولة الثالثة: الزمن. التي تلعب بالمقولتين الأخريين. على أن الزمن التاريخي سلبي. (علف، فت، ١٨١، ٣٠)

تاريخ الفقهاء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء

الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشـراف، والأجـواد، والـعـقـلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ٢٠)

تاريخ فنون الخوارج

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشـراف، والأجـواد، والـعـقـلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو

ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١٢)

تاريخ فيلفس

- تاريخ فيلفس والد الإسكندر وهو على سني القبط، وكثيرًا ما يستعمل هذا التاريخ من ممات الإسكندر الماقدونيّ البنّاء وكلا الأمرين متّفقان إلّا أنّ الاختلاف واقع في الاسم لأنّ القائم بعد الإسكندر البنّاء كان فيلفس، فسواء كان التاريخ من ممات الأوّل أو كان من قيام الآخر لأنّ الحالة المؤرَّخة هي كالفصل المشترك بينهما ولُقِّب العاملون على هذا التاريخ بالإسكندرانيِّين، وعليه بنى ثاون الإسكندرانيُّ زيجه المعروف بالقانون. (بير، بقي، ٢٨، ٥)

تاريخ القرّاء السبع

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء،

والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة.

(جو، نظم، ١٠، ٢١)

تاريخ القضاة

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ

الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٤)

تاريخ قومي

- أي تاريخ قومي لا يدرك إدراكًا صحيحًا إلا إذا نظر إليه في الإطار العالمي العام، أي إذا فهمت صلاته بتواريخ الشعوب والحضارات الأخرى، وقورنت وقوبلت اختباراته واختباراتها، واعتبر مظهرًا من مظاهر التاريخ الإنساني له جوهره العام المشترك، وفي الوقت ذاته، مميّزاته وطوابعه الخاصة. (زري، نحن، ٢١١، ٤)

تاريخ كامل

- النواة في التاريخ الكامل لا تسرد مرة واحدة، لا تنحصر في حياة النبي فقط، بل تتجدّد في التواريخ الخصوصية لأنها تلعب دور النمط، أي البنية الخفية التي تُفصَّل وتبوّب عليها تلك التواريخ المحلية. الفاطميون مثلًا والموحّدون، والوهابيون بعدهم سيرتّبون مراحل نشأة وتطوّر حركاتهم على نمط حياة الرسول بهجرتها ومحنتها ودعوتها وسراياها واحدها وعشرتها وفوزها وفتوحاتها وتنظيماتها. وحتى الزوايا وحتى الأسر التي تدّعي بعض الشرف في النسب أو الفقه أو علم الباطن رأت وصوّرت ماضيها على غرار النمط المذكور. وهذا هو معنى السنة والتقليد لكل مذهب ونحلة لأن الوسيلة الوحيدة لإضفاء الحقيقة على التاريخ، أي لتحويل العرض، إلى الجوهر هي إدخاله في قالب السيرة. (عر، فكر، ٧٥، ١٠)

تاريخ كتفكير

- نرى بين المؤرّخين المحدثين عددًا وافرًا متكاثرًا من الذين امتلكوا ناصية الصناعة التأريخية، فأقبلوا على المصادر يدرسون نصوصها ويستخرجون منها الحقائق الجزئية، ويملأون صفحات الكتب والمجلّات بها. ولسنا لننكر خدماتهم الجزيلة في هذا المضمار، ولكننا نعتقد أنهم لا يتمّمون وظيفة التأريخ كاملة إلا إذا ضمّوا إلى هذه الصناعة الدقيقة، النظر المتأمّل في أحداث الماضي، الرابط بينها، الحاكم لها أو عليها، المكتشف أثرها في الحاضر، الدافع إلى الفهم الشامل الصحيح والعمل الإيجابي المثمر. وبكلمة أخرى: إن هذه الصناعة كثيرًا ما يذهب بها الحرص على الدقّة إلى تجزئة الماضي وإلى إضعاف صلته بالحاضر، فتحدث ثمّة هوّة بين "المعارف" التأريخية المتكاثرة المتناثرة و"الفكر" و"الاتجاهات" التأريخية التي يجب أن تحتويها الثقافة الفردية والاجتماعية - هوّة بين التأريخ كصناعة فحسب، والتأريخ كتفكير معيّن له ميزاته وخصائصه التي تكمل معنى الصناعة فيه والتي تميّزه بالوقت ذاته عن التفكير الذي يتجلّى في العلوم الأخرى. (زري، نحن، ١١٣، ٢)

تاريخ المؤرخين

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو

ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ٢٤)

تاريخ المتكلمين

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون

الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٩)

تاريخ المتنبئين

- تأريخ المتنبّئين، فقد خرج فيما بين ما أوردناه من الأنبياء والملوك نفر من المتنبّئين يقصر الكتاب عن تعدادهم والإبانة عن أخبارهم، فمنهم من هلك غير متّبع ولم يبق إلّا الذكر بعده فقط، ومنهم من اتّبعه أمّة وبقيت نواميسه عندها وهم مستعملون تاريخ. فمن الواجب أن نذكر تواريخ المشورين منهم فإنّ في ذلك منفعة في علم أحوالهم أيضًا، وأوّل المذكورين منهم بوذاسف وقد ظهر عند مُضِيّ سنة من ملك طهمورث بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسيّة ودعا إلى ملّة الصابئين فاتّبعه خلق كثير وكانت الملوك البيشداذيّة وبعض الكيانيّة ممّن كان يستوطن بلخ يعظّمون النّيّرين والكواكب وكلّيّات العناصر ويقدّسونها إلى وقت ظهور زرادشت عند مضيّ ثلثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئة بحرّان يُنْسَبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرّانيّة، وقد قيل إنّها نسبة إلى هاران بن ترح أخي إبراهيم عليه السلام وأنّه كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين وأشدّهم تمسّكًا به، وحكى عنه ابن سنكلا النصرانيّ في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل أنّهم يقولون إنّ إبراهيم عليه السلام إنّما خرج عن جملتهم لأنّه ظهر في قلفته برص، وأنّ من كان به ذلك فهو نجس لا يخالطونه، فقطع قلفته بذلك السبب يعني اختتن ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتًا من الصنم يقول له يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيبٍ واحد وجئتنا بعيبين اخرُج ولا تعاود المجيء إلينا، فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذًا وخرج من جملتهم. ثمّ أنّه ندم بعد ما فعله وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم زعم، فلمّا علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكَبْش، وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكنديّ النصرانيّ عنهم في جوابه عن كتاب عبدالله بن اسمعيل الهاشميّ أنّهم يعرفون بذبح الناس ولكنّ ذلك لا يمكنهم اليوم جهرًا، ونحن لا نعلم منهم إلّا أنّهم أناس

يوحِّدون الله وينزّهونه عن القبائح ويصفونه بالسَّلب لا الإيجاب، كقولهم لا يُحدُّ ولا يُرى ولا يظلم ولا يجور ويسمّونه بالأسماء الحُسنى مجازًا، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويُعظِّمون الأنوار، ومن آثارهم القبَّة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلَّاهم أيّام كان اليونانيّون والروم على دينهم ثمّ صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ثمّ تغلّب عليها النصارى فصيَّروها بيعةً إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتَّخذوها مسجدًا، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخيّ في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس، وحرّان فإنّها منسوبة إلى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان وبقربها قرية تسمّى سلمسين واسمها القديم صنم سين أي صنم، وقرية أخرى تسمّى ترع عوز أي باب الزهرة. ويذكرون أنّ الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم وأنّ اللّات كان باسم زحل والعُزَّى باسم الزُّهرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصريّ وأغاذيمون وواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جدّ أفلاطون من جهة أمّه وأمثالهم، ومنهم من حرَّم عليه السَّمك خوفًا أن يكون رعادةً والفرخ لأنّه أبدًا محموم والثُّوم لأنَّه مصدِّع محرق للدم أو المنى الذي منه قوام العالم والباقلاء فإنّه يُغلِّط الذِّهن ويفسده وإنّه في أوّل الأمر إنَّما نبت في جمجمة إنسان، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أوّلها عند طلوع الشمس ثماني ركعات والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات وفي كلّ ركعة في صلوتهم ثلث سجدات ويتنفَّلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار وأخرى في التاسعة من النهار وثالثة في الساعة الثالثة من الليل ويُصَلُّون على طهر ووضوء ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين وفي التَّنجُّس عند مسّ الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتورية، ولهم قرابين متعلّقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولَّاها كهنتهم وفاتنوهم ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرَّب وجواب ما يسأل عنه، وقد يُسمَّى هرمس بادريس الذي ذكر في التورية أحنوخ وبعضهم زعم أنّ بوذاسف هو هرمس وقد قيل إنَّ هؤلاء الحرّانيّة ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمَّون في الكتب بالحنفاء والوثنيَّة، فإنّ الصابئة هم الذين تخلَّفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيّام كورش وأيّام أرطحشست إلى بيت المقدس ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بُخْتَنَصَّر فذهبوا مذهبًا ممتزجًا من المجوسيّة واليهوديّة كالسامرة بالشام، وقد يُوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصّلة منتمين إلى أنوش

بن شيث ومخالفين للجرّانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلّا في أشياء قليلة حتّى إنّهم يتوجّهون في الصلواة إلى جهة القطب الشماليّ والحرّانيّة إلى الجنوبيّ. (بير، بقي، ٢٠٤، ١٤)

تاريخ المستقبل

- قيمة التاريخ باعتباره تفكيرًا في العوامل الواقعية والمؤثّرات في الحياة الإنسانية، ف"تاريخ المستقبل" كهذا لن يستطيع استثارة التفكير التاريخي، لأنه يعوزه التنوّع، ولأنه يتركّز بصورة جامدة حول حقائق محدودة، غير أن فكرة يوم القيامة يمكن أن تطبّق مباشرة على تقدير أعمال الحاضر، من حيث أن المرء يحاسب في الآخرة على كل ما جنت يداه في هذه الدنيا وأن كل ما يعمله اليوم مسجّل عليه ولن ينسى، وبذلك اكتسبت كافّة أعمال البشر سمة الخلود، وكان ذلك دافعًا واضحًا للتذكّر وتسجيل الأعمال. (روز، علم، ٣٩، ١٨)

تاريخ مشيخة المحدّثين

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة

وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة.
(جو، نظم، ١٠، ٢٣)

تاريخ المعلمين

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء،

والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٥)

تاريخ مقارن

- يمكن تعريف التاريخ المقارن بأنه، تصويرات الماضي ودراسته تبعًا لمجموع الصيغ والأصناف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسيكولوجية، وليس على أسس تقسيمات قومية أو فترات مصطنعة. والمؤرّخون، ... غير راضين عن كل من التاريخ القومي والتقسيمات الزمنية العرفية، وبصورة أخصّ عن المفترضات المسبقة للأصول المسبّبة التي تشملها تلك التقسيمات. ولا ريب في أن أي تخطيط لتنظيم الماضي هو في آخر المطاف بناء فكري. ويتزايد اهتمام المؤرّخين اليوم بأشكال السلوك الإجتماعي والاقتصادي الذي يجتاز أو يقطع الحدود القومية والزمنية. وهذا يرجع بعضه إلى نتائج عدم الاكتفاء بالتأريخ السرديّ العرفي، وبعضه إلى تأثير السلوك الاجتماعي والسياسي، فإنكلترة وفرنسا وألمانيا في القرن الثاني عشر كانت لها مثلًا، عدّة قضايا مشتركة إذا وضعنا تأريخهم تحت صنف المجتمع الإقطاعي. إن كافة بلاد أوربا الغربية من سنة ١٤٠٠م إلى سنة ١٧٥٠م، كانت أشكال الحكومة فيها نتيجة علاقات منوّعة بين الحكم الملكي الفردي، والأرستقراطية والبوروقراطية، وقد تتنوّع النتيجة النهائية في كل حالة، وتكون التنوّعات ذات أهمية تاريخية كبيرة. غير أن الأبعاد التي عملت في داخلها الحكومات كانت واحدة في كل مكان سواء في إنكلترة أو فرنسا أو إسبانيا أو ألمانيا. ثم إن كافة المجتمعات في القرنين التاسع عشر والعشرين كانت مشكلتها المشتركة هي درجة التكيّف لحاجات المجتمع المصنع والحضري، وكانت نقطة التقسيم الأساسية في التاريخ، هي الفصل بين المجتمعات المتأخّرة والزراعية بالدرجة الأولى، وبين المجتمعات الصناعية والحضرية، وليس بين كيانات كفرنسا وألمانيا أو بين العصور الحديثة والعصور الوسطى وعصر النهضة. إن هذه الأمثلة تعطي بعض المؤشرات إلى مكونات التاريخ المقارن وإلى أسباب نموّه السريع في السنوات الحديثة وإلى نوع الأسئلة التي يحاول الإجابة عليها. (بار، وجه، ٢٨٧، ٢)

- التاريخ المقارن هو "كفلسفة التاريخ" من حيث إنه لا يهتمّ بمسألة "كيف حدثت"

بقدر ما يهتمّ بمسألة "لماذا حدثت"، والأسئلة التي يسألها عن الماضي قد وضعت لكشف، مثلًا، طبيعة الحكومة وأشكال التنظيم الاجتماعي وأسباب التبدّل الاقتصادي وجذور الإبداع الفكري. وهي تختلف عن "ما وراء التاريخ" من حيث إنها تسأل الأسئلة دقيقة محدّدة عن مواضيع محدّدة وتتبع أعماقها، وفرضيتها الأساسية هي أنه من التسرّع والانهزامية أن تقوم بتعميمات واسعة عن الأسرة والملكية والعادات والقانونية والأقسام الطبقية، حتى نثبت بوجه أوسع منظور تأريخي ما تعنيه بالفعل كل من هذه المؤسسات وكيف عملت فعليًّا في مجتمعات معيّنة في أزمنة معيّنة. فالتاريخ المقارن عندما ينظر إليه من هذه الوجهة، يصبح الجواب الحديث وطريقة البحث المفضّلة للمؤرّخين المعاصرين - على سؤال معنى التاريخ - أنها تكون كالتاريخ القومي من حيث إنها لا تبحث عن معنى في السرد المتتابع للتطوّر البشري، وهي كطريقة الباحثين في ما وراء التاريخ، لا تبحث عن صورة شاملة عامة، وإنما تبسط طبيعة المشاكل الدائمية التي تعرّض لها الجنس البشري طوال تاريخه، وهي تفعل ذلك بتنظيم الماضي في مجموعات وأصناف، يحاول فيها علماء الاجتماع والسلوك أن يخرجوا بمعنى لها من الحاضر، وهذا نتيجة تطوّرات في البحث التاريخي. (بار، وجه، ٢٨٨، ٢)

تاريخ الملوك والدول

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء

الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة.
(جو، نظم، ١٠، ١٣)

تاريخ المنجّمين

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو

ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١٧)

تاريخ النحاة

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون

الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١)

تاريخ النسّابين

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء،

والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ١٨)

تاريخ الهجرة

- لفظة "التأريخ" معرّبة، مأخوذة من "ماه روز"، والأصل فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما أنه: "يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل، قد قرأنا صكًا محله شعبان، فما ندري أي الشعبان هو؟ أهو الماضي أو الآتي". وقيل: إنه رُفِعَ إلى عمر صكّ محله شعبان، فقال: "أي الشعبان هذا؟ أهو الذي نحن فيه أو الذي هو آت". ثم جمع وجوه الصحابة، وقال: "إن الأموال قد كثرت، وما قسّمناه غير موقت، فكيف التوصّل إلى ما يضبط به ذلك؟" فقال الهرمزان - وهو ملك الأهواز - وقد أُسِرَ عند فتوح فارس وحُمِلَ إلى عمر وأسلم على يده: "إن للعجم حسابًا يسمّونه ماه روز، ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة". فعرّبوا لفظة "ماه روز" بمؤرخ، وجعلوا مصدره التأريخ، واستعملوه في وجوه التصريف. ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك، فقال عمر - رضي الله عنه: "ضعوا للناس تأريخًا يتعاملون عليه، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم". فقال له بعض من حضر من مسلمي اليهود: لنا حساب مثله، نسنده إلى الإسكندر. فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول. وقال قوم: نكتب على تاريخ الفرس. فقيل: إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين، بل كلما قام فيهم ملك ابتدؤا من لدن قيامه وطرحوا ما قبله. فاتّفقوا على أن يجعلوا تأريخ دولة الإسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت مبعثه، فإنه مُختلف فيه، وكذا وقت ولادته، حتى قيل: إنه ولد ليلة الثاني من ربيع الآخر، وقيل: ليلة الثامن، وقيل: ليلة الثالث عشر منه. وكذا اختلفوا في السنة التي وُلِدَ فيها، فقيل: سنة أربعين من ملك أنو شروان، وقيل سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة ثلاث وأربعين منه. وأما وقت وفاته صلى الله عليه وسلم وإن كان معينًا، فلم يحسن أن يجعلوه مبدأ التأريخ، فإن جعله أصلًا غير مستحسن عقلًا، لكن جُعِلَ وقت الهجرة لكونه وقت استقامة ملّة الإسلام،

وتوالي الفتوح، وترادف الوفود، واستيلاء المسلمين أصلًا أولى، لأنه مما يُتبرك به ويَعْظُم وقعه في النفوس. وكانت الهجرة يوم الثلاثاء، لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وأول السنة - أعني المحرم - هو يوم الخميس بحسب أمر الأوسط، ولما كان مشتهرًا عند القوم اعتبروه، وأما بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات فهو يوم الجمعة. وقال صاحب "نهاية الإدراك": "العمل عليه"، وأرّخ منه في مستأنف الزمان. وكان اتّفاقهم على هذا الأمر في سنة سبع عشرة من الهجرة، وإلى هذه السنة كانوا يسمّون كل سنة باسم الحادثة التي وقعت فيها، ويؤرّخون بها، فسمّيت السنة الأولى من سني مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة الإذن بالرحيل، أي من مكة إلى المدينة، والثانية سنة الأمر بالقتال، والثالثة سنة التمحيص، وعلى هذا. ثم بعد ذلك تركوا تسمية السنين بالحوادث، والتأريخ بها. وهذا التأريخ يعرف بتأريخ الهجرة. (كاف، مخ، ٦٤، ١١)

تاريخ هجرة النبي

- تاريخ هجرة النَّبيّ محمَّد صلّى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة وهو على السنين القمريَّة برؤية الأهِلَّة لا الحساب وعليه يعمل أهل الإسلام بأسرهم، وإنَّما خُصَّ هذا الوقت بذلك دون المولد والمبعث والوفاة لأنّ عمر بن الخطّاب علي رواية ميمون بن مهران لمّا رفع إليه صكٌّ محلّه في شعبان فقال عمر أيّ شعبان الذي نحن فيه أو الذي هو آتٍ، ثمّ جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاستشارهم فيما دهمه من الحيرة في أمر الأوقات، فقالوا يجب أن نتعرَّف الحيلة في ذلك من رسوم الفرس فاستحضروا الهرمزان واستعملوه ذلك، فقال إنَّ لنا حسابًا نسمِّيه ماه روز أي حساب الشهور والأيّام فعرَّبوا ماه روز فقالوا مورخ وجعلوا مصدره التَّاريخ، وشرح لهم الهرمزان كيفيّة استعمالهم ذلك وما عليه الروم من مثله. فقال عمر لأصحاب رسول الله ضعوا للناس تأريخًا يتعاملون عليه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فإنَّهم يكتبون على تاريخ الإسكندر فقيل إنَّه يطول، فقال الآخرون اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل إنَّ الفرس كلَّما قام ملك منهم طرح التاريخ ممَّن كان قبله فاختلفوا في ذلك. فروى الشَّعبيُّ أنَّ أبا موسى الأشعريَّ كتب إلى عمر بن الخطّاب إنَّه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ وقد كان عمر دوَّن الدواوين ووضع الأخرجة والقوانين واحتاج إلى تاريخ ولم يحبّ التاريخات القديمة فجمع عليه عند ذلك واستشار، فكان أظهر الأوقات وأبعدها من الشُّبه والآفات وقت الهجرة وموافاة المدينة وكانت يوم الإثنين لثمان خلون من ربيع الأوَّل وأوَّل السنة يوم الخميس فعمل عليها وأرَّخ منها ما احتاج إليه وذلك في سنة سبع عشرة للهجرة، وذلك لأنّ في المولد والمبعث من الخلاف ما لا يجوز أن يجعل معه

أصلًا لما يجب أن لا يقع فيه خلاف، فقال قيل في المولد أنّه كان ليلة الإثنين الثاني وقيل الثامن وقيل الثالث عشر من ربيع الأوّل ثمّ قيل أنه في ستّة وأربعين من ملك كسرى أنوشيروان ولذلك اختُلِف في مقدار عمره بالموازاة لهذا الاختلاف، وأيضًا فإنَّ السنين متفاوتة فيما بينها بعضها مكبوسة وبعضها غير مكبوسة حين حرِّم النَّسِيءَ وعلى أن بعد الهجرة استقام أمر الإسلام وأدبر الشّرك ونجا النبيُّ عم من بوائق كفَّار مكَّة وتوالت له بعدها الفتوح فصارت الهجرة للنَّبيِّ كالقيام للملوك وصفاء الملك لهم. (بير، بقي، ٢٩، ١٦)

تاريخ واقع

- تاريخ الماضي بأكمله (وهو ما يسمّى بالتاريخ الواقع) لا يعرفه المؤرّخ إلا بواسطة السجل المحفوظ أي التاريخ المسجّل. ومعظم التاريخ المحفوظ هو الجزء الباقي من الجزء المسجّل عن الجزء المتذكّر من الجزء الملاحظ من ذلك الكل. وحتى حين يكون الماضي مأخوذًا مباشرة من المخطوطات الأثرية أو الأنثروبولوجية فهذه هي فقط الأجزاء التي اختارها العالم من بين الأجزاء المكتشفة مما ساعد الحظ على بقائه من مجموع الماضي كله. (علف، فت، ١٧٨، ٢٥)

تاريخ الوزراء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء،

والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ١٦)

تاريخ الوعّاظ

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من

الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١١، ٦)

تاريخاني

- يتميّز موقفان: الوضعي والتاريخاني. ينفي المحلّل الوضعي كل فكرة مسبقة وبالتالي يعارض كل تقييم، جماليًّا كان أو أخلاقيًّا أو فلسفيًّا أو دينيًّا، فينتهي آخر الأمر، رغم كل محاولاته إلى أن كل تعبير مطابق للحالة التي يعبّر عنها. فتلتقي الوضعية المنهجية بالواقعية في الأدب، والحيادية في السياسة، والعدمية في الأخلاق. ومن هنا يؤخذ على الوضعية أنها تبرّر كل عمل فكري، مع أن القارئ يحسّ بداهة بالفروق في القيمة والمستوى، ومن هذه الفجوة يتسرّب من جديد منطق الكشف. أما الموقف التاريخاني فإنه يرفض بالطبع وجود حقيقة مسبقة لكنه يرفض أيضًا الحياد. انطلاقًا من المجتمع الإنساني مجزّأ إلى قوميات وكل قومية إلى فئات، وأن التطوّر التاريخي لا يتّبع وتيرة واحدة، نقول إن كل تطوّر في أي مجتمع يضع حدودًا لحركة المجتمعات الأخرى وضرورة اجتياز هذه الحدود هي التي تحدّد "حقيقة" كل فترة بالنسبة لكل مجموعة. توحّدت فرنسا وانجلترا، فأصبحت الوحدة القومية حقيقة الفترة اللاحقة بالنسبة لألمانيا وإيطاليا مع أنها لم تكن كذلك في الفترات السابقة. بناءً على هذا الوضع يمكن الحكم، إيجابًا أو سلبًا، على التنظيمات الاجتماعية والإنتاج الفكري، على أسس إنجازية تاريخية لا فلسفية أو أخلاقية. (عر، فكر، ٢٤، ٢)

تاريخانية

- المقوّمات التي تحدّد مفهوم الفكر التاريخي، هي: - صيرورة الحقيقة. - إيجابية الحدث التاريخي. - تسلسل الأحداث. - مسؤولية الأفراد (بمعنى أن الإنسان هو صانع التاريخ). وأربعة، تحدّد معنى التاريخانية وهي: - ثبوت قوانين التطوّر التاريخي (حتمية المراحل). - وحدة الاتجاه (الماضي المستقبل). - أمانية اقتباس الثقافة (وحدة الجنس). -

إيجابية دور المثقّف والسياسي (الطفرة واقتصاد الزمان). (عر، فكر، ١٨٥، ١)

تاريخية

- المسألة الفلسفية الأساسية التي أثارتها "التاريخية" ثم ازدادت تعقيدًا عندما روعي أن المؤرّخ منغمر بنفسه في التاريخ، ولا يستطيع أن يقف خارجه أو ينظر إليه بتجرّد، أجل إنّ هذه المسألة هي فيما إذا كان يمكن الوصول إلى العالم التاريخي بالبصيرة والإلهام. (بار، وجه، ٢٨، ٢١)
- "التأريخية" بإنكارها المعالجة المنظّمة للتاريخ، وبإعطائها الأسبقية للإلهام والبصيرة، فتحت الباب فعليًا - إنْ لم يكن بالضرورة نظريًا - إلى نظرة شخصية ونسبية. وأنّها شجعًت اهتمامًا ذا جانب واحد في كل حالة أو فرد، على حساب التّعميم، أو محاولة كشف العناصر العامة من الماضي. وأنّها كانت تعني الانغمار في تفاصيل مضنية، وكيف يستطيع مؤرّخ بغير ذلك أن يأمل الوصول إلى كل ظلّ أو صوت للفردية؟ وأنها أدّت إلى دراسة الماضي "لذاته"، أو كما قال أحد كبار المدافعين المحدثين عن "التاريخية": إن الهدف الوحيد للتاريخية هو أن تعرف وتفهم خبرات الإنسان في الماضي. وأخيرًا أنها أيّدت الاعتقاد بأن جوهر التاريخ هو أن يسرد ويروي الحوادث، وما يلازم ذلك من مقت السببية أو ما دعاه مارك بلوش مرة "عبادة صنم الأصول". (بار، وجه، ٢٩، ٥)
- "التأريخية" جعلت البحث التاريخي مجدبًا جدًّا، عندما رفضت اعتبار المسائل النظرية الكبرى التي تواجه الإنسانية غرضًا مشروعًا للدراسة التاريخية. إنّ عبادة التاريخ الذري الخاص، وعبادة الماضي "كغاية لذاته" وقطع الخيط بين التاريخ والحياة، وإنكار إمكانية التعميم في خبرات الماضي، والتأكيد على تفرّد الحوادث، قطعت كلها الصلة لا مع العلم فقط، بل ومع الفلسفة أيضًا. (بار، وجه، ٣٠، ١٢)

تاريخية الإنسان

- تاريخية الإنسان: أي إحساسه بالماضي وتعلّقه به، ذلك الإحساس الذي يؤلّف عنصرًا أساسيًّا من عناصر كيانه الذي يميّزه عن سائر المخلوقات. ولا تقتصر هذه "التاريخية" على توق الإنسان، في كل حال وزمان، إلى تذكّر حوادث الماضي وحفظها وترديدها، بل تتعدّى ذلك إلى التساؤل عن القوى التي تحرّك ذلك الماضي، وعن المصير الذي يسير إليه، والقدر المخبأ له. نرى هذا التساؤل في دعوات الأنبياء والمصلحين، وفي تطلّعات الشعراء والفنانين، وفي استقراءات العلماء والفلاسفة، بل في خلجات نفس كل حي وتأمّلات فكره عندما يعود إلى نفسه ويحاول استجلاء معنى الحياة وسرّ الوجود. (زري، نحن، ١٣٤، ١)

تأسيس

- أفعال التأسيس تعنون الأشياء بأصولها،

إذن، دون أن تفضي إلى الأشياء هذه بأي معنى فعلي. والبحث عن الأصول الإسمية للأشياء هو أسّ تاريخ العالم والتواريخ التفصيلية للشعوب. إن التاريخ... وصل المفردات بأمهاتها من الأسماء وتوزيع أحداث الماضي على مواضيع هي مواضع مكانية في السرد تتّخذ لها عناوين زمانية ودولية (من دولة). فبالمعنى التأسيسي هذا تكون الدولة ومتعلّقاتها من الأحداث دولة حفصية أو أموية أو برمكية مثلًا، أو دولة معاوية ودولة عبد المؤمن ودولة أوشهنج ونيرون وقسطنطين واخريتا. فحوادث التاريخ ترجع لمراجع تنظيمية هي... الدول والفترات الزمنية في سنة وطبقة. وكما ترجع الحوادث إلى أصولها هذه، ترجع هذه الأصول بدورها إلى أصول هي شجرة أنساب الشعوب التي تستنسخ في بنيتها الهرمية رجوع الحوادث المفردة إلى دول فردية ثم كلّية، وإلى تاريخ معيّن يرجع بدوره إلى نقطة بدء التأريخ التي هي بداية التقويم الذي ينظّم الحوادث. (عظم، عرف، ١٠٢، ٩)

تأليف

- بعد التثبّت من صحة الروايات يشرع المؤرّخ في التأليف وربط الروايات المختلفة. فينتقي البعض منها ويصرف النظر عن البعض الآخر ثم ينسق ما انتقى منها فينظّمه ويجعله واحدة متجانسة متآلفة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. (رس، مصط، ١١٩، ٣)

تأليف تاريخي

- مميّزات التأليف التاريخي العربي. لا يهدف السرد إلى معرفة الماضي فقط، بل يهدف أساسًا إلى تحديد حكم شرعي لصالح فرد أو جماعة. لهذا السبب كثر بين المؤلّفين في التاريخ أول الأمر عدد الفقهاء. ثم بما أن الحوادث المدوّنة قريبة العهد، لا تتعدّى الجيل أو الجيلين في القدم، اعتمد المؤلّفون على النقل والرواية أي على شهادة المعاصرين للأحداث. وتحمل المؤلّفات الأولى اسم أخبار، أي أنها بمثابة مذكرات الشهود. ولا غرابة إذا انحصر النقد، أي التمييز بين الحق والباطل بالنسبة لنا، بين المقبول المرفوض لدينا، في نقد الشهادات اعتمادًا على أمانة الشاهد. هذه نقطة يليق بنا التوسّع فيها لأنها أثارت مناقشات كثيرة وقيل إن نقد الشهادة هو سبب ضعف أساسي وملازم للتأليف التاريخي العربي. (عر، فكر، ٧١، ٢٢)

تأليف تاريخي شامي

- التأليف التاريخي الشامي كان يمشي في إطار الأنواع التاريخية المعروفة غير أن ثمّة تفاوتًا في الاهتمام بنوع دون آخر أو أكثر من آخر. فبينما نجد التركيز يتّجه في بعض الأقاليم إلى التراجم ومعاجم الشيوخ والحفّاظ نجد المدرسة الشامية تتّجه بالعكس إلى رواية الأحداث. ثمّة ما بين تاريخ عام وخاص وتعليق تاريخي ما يزيد

على مائة وخمسة وعشرين مؤلّفًا. (مص، رخ٢، ٢٢٢، ١٧)

تأليف في التاريخ

- ليس من هدف التأليف في التاريخ جلب المتعة إلى القارئ أو استخراج قواعد عملية للسلوك أو إثارة المشاعر، وإنما الهدف الحقيقي هو المعرفة الخالصة البسيطة. (علف، فت، ٩٢، ٢٣)

تأليف في كتابة تاريخ

- التأليف في كتابة تاريخ أمة أو فترة خاصة لا يعني إلا شيئًا واحدًا هو: إظهار تطوّر الفكرة التاريخية لدى مؤرّخي تلك الفترة أو الأمة وتطوّر معالجتهم العلمية، وكذلك وصف أصول صور التعبير الأدبي ونموّها أو انحطاطها، تلك الصور التي استعملت لعرض المادة التاريخية. (روز، علم، ٩، ٥)

تأويل

- مرحلة التأويل؛ وهي أشقّ المراحل الثلاث وأصعبها مرامًا، ففيها تتجلّى عبقرية المؤرّخ وسعة خياله بحيث يصبح قادرًا على السبح في أعلى الأجواء دون أن يخرج من نطاق الحقيقة، وسيصادف المؤرّخ عقبات جسامًا منها ما يتّصل بقلّة الوثائق والمادة التاريخية، ومنها ما يتّصل باختلاف الظروف والقيم بين العصر الذي وقعت فيه الأحداث وعصر المؤرّخ، ومنها ما يتّصل بانحراف بعض ما وجده من كتابات لسبب أو لآخر، ولكن المؤرّخ يتحتّم فيه رجحان العقل والعاطفة جميعًا ليستطيع أن يرسم الصورة التي تعدّ أقرب إلى الحقيقة، وأن يضفي عليها من التأويل ما يجعلها واضحة مقبولة. (شل، سلم، ٢٨، ٩)

تبدّل الأحوال

- السبب الشائع في تبدّل الأحوال والعوائد، أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه، كما يقال في الأمثال الحكميَّة: "الناس على دين الملك". وأهل الملك والسلطان إذ استولوا على الدولة والأمر فلا بدّ وأن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك. فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول. فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضًا بعض الشيء؛ وكانت للأولى أشدَّ مخالفة. ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة. فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان، لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة. (خلد، قدم، ٣٢١، ١٠)

تجارب

- لم أزل محبًّا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثرًا للاطلاع على الجليّ من حوادثها وخافيها، مائلًا إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها،

فلمّا تأمّلتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض؛ فمن بين مُطَوَّل قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخلّ بكثير ممّا هو آت، ومع ذلك فقد ترك كلُّهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات. وسوّد كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى، وترك تسطيرها أحرى، كقولهم خلع فلان الذميّ صاحب العيار، وزاد رطلًا في الأسعار، وأُكرم فلان؛ وأُهين فلان، وقد أرّخ كلٌّ منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذيّل عليه، وأضاف المتجدّدات بعد تاريخ إليه. والشرقيّ منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق؛ فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخًا متّصلًا إلى وقته يحتاج إلى مجلّدات كثيرة وكتب متعدّدة مع ما فيها من الإخلال والإملال. فلمّا رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرةً لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أوّل الزمان، متتابعةً يتلو بعضها بعضًا إلى وقتنا هذا. (أث، كمل، ٢، ٥)

– ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يُقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشَّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ

(يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماء مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابُع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعلّ قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز، وهو سيّج المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولّعة بحبّ العاجل. ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق. فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرّم، ولا ملك معظّم، بل ولا أحد من

البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعرًا:

وهل أنا إلّا من غَزِيَّة إن غوَت
غويتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧). فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها. (أث، كمل، ٧، ١٣)

تجديد

- إن الانحطاط لا معنى له في منظور التراثيين كذلك مفهوم التجديد يخرج عن تصوّرهم، إذا كان التجديد ينحصر في الصور والأشكال، في المظاهر الخارجية للحياة الاجتماعية فهذا يعني ترديدًا لمضمون واحد وهو أساس التكرار في التعبير، وإذا كان يهدف إلى معان مستحدثة حينئذٍ يكون خروجًا عن المقصد وقضاء على الثقافة كوحدة متكاملة متميّزة. قد يطمح المرء إلى الجدة، قد يختارها كخطة، لكنه لن يحقّقها أبدًا في إطار تراث معيّن. وفيما يتعلّق بإسلام اليوم: إن أنصار الماضي لا يهدفون إلى التجديد، والليبراليين يقلّدون جدة الغير، والفئة الثالثة (أنصار الإصلاح) يرضخون للواقع بدون إفصاح عن ذلك. عندما يكون ذلك الواقع قد تخطّاه الزمن؛ الفئة الأولى لا ترى أن الإسلام اكتمل منذ قرون، تحقق فعلًا في إطار أسئلة وأجوبة معيّنة لا تتغيّر، الفئة الثانية تقدّس الغير ولا تجرؤ على الإبداع، والثالثة عاجزة عن إدراك أن الثقافات وحدات متكاملة لا تتلاقح حسب المشيئة الفردية وبدون نواميس قارة. (عر، فكر، ١١٦، ٣)

تجرّد

- ليس التجرّد صفة سلبية فحسب. ليس هو التخلّص من كل شعور أو فكر أو معتقد. فما من شخص يستطيع ذلك عمليًّا، وإن هو استطاع، فلن يأتي عمله بأفضل النتائج وأخصبها. وإنما للتجرّد في التأريخ معناه الإيجابي، وهو أن يتمكّن المؤرّخ بما له من دقّة شعور وحدّة بصيرة من أن ينفذ إلى أعماق الأفراد والجماعات في الماضي فيحسّ أحاسيسهم، ويتلمّس أهواءهم، ويختبر ميولهم ورغباتهم، وآمالهم وأمانيهم، والظروف التي كانت تحيط بهم، وتأثّرهم بهذه الظروف وتأثيرهم فيها. (زري، نحن، ٩٩، ١٣)
- التجرّد التأريخي المثمر إيجابي بمعنى آخر. فالمؤرّخ الحق لا يحيا الماضي فحسب، بل يعيش الحاضر أيضًا ويختبره في نفسه وينطق بلغته وروحه، ولا يمكن أحدًا أن يطلب منه - ولا يسوغ له أن يطلب هو من نفسه - أن يتخلّى عن معتقداته الأساسية ومواقفه الفكرية الأصلية. وهذه المعتقدات والمواقف تؤثر، كما قلنا، في حكمه في الماضي (وفي ما ينطوي عليه هذا الحكم من

اختيار وتنسيق للأحداث ومن تعليل لعواملها). ولكنه يدرك تمامًا أين ينتهي إحياء الماضي وأين يبدأ الحكم فيه، فلا يمزج العملين ولا يخلط بين الوظيفتين. فالتجرّد بهذا المعنى الثاني هو إذن ليس التخلّص التام من الحاضر، أو من أية مبادئ أو معتقدات أو مواقف منبعثة منه، وإنما هو معرفة الحدّ بين الاختبارين - اختبار الحاضر واختبار الماضي - ووظيفة كل منهما، وعدم السماح لأي منهما بأن يطغى على الآخر، بل بالعكس - وهنا الوجه الإيجابي الجديد للتجرّد - السعي إلى تقابلهما وتفاعلهما بحيث يحتفظ كل منهما باستقلاله ويقوى ويغنى بالآخر. (زري، نحن، ١٠٠، ١٢)

تحدٍ وردّ

- التحدّي والردّ (عند طوينبي)، ومن الذين يهتمّون بتعليل التاريخ من المعاصرين لنا المفكّر الإنكليزي أرنولد طوينبي ، وله ثلاث خصائص: الاهتمام بتاريخ الحضارة، التوفّر على تاريخ اليونان قديمًا وحديثًا، الميل إلى اعتبار التاريخ في مجراه العالميّ الواسع لا في مجاريه السياسية والإقليمية الضيّقة. ويبدو أن معرفة طوينبي بتاريخ الشرق القديم وبتاريخ العرب خاصّة كان قليلًا جدًّا. (فر، علل، ٣٠، ٢١)

تحزّب سياسي لدى المؤرّخين

- التحزّب السياسي و"الإيديولوجي" لدى المؤرّخين. ينبغي أن نسجّل هنا أن من بين الأسباب السبعة التي أوردها ابن خلدون في مقدّمته كأسباب توقع المؤرّخين في "المغالط" وفي "الكذب" خمسة منها ترجع إما إلى التحزّب السياسي أو "الإيديولوجي" وهي: - "التشيّع للآراء والمذاهب فإن النفس (...) إذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقه من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك التشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقال والتمحيص فيقع الكذب...". - "الثقة بالناقلين...". - "الذهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد مما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخوينه فيقع في الكذب...". - "الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع...". - "تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الأخبار بها على غير حقيقة...". (أوم، نهج، ٢٨، ١١)

تحليل

- تحليل محتويات الأصل التاريخي بالنقد الباطني الإيجابي الضروري للتحقّق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلّف بما كتبه. تحليل الظروف التي دُوِّن فيها الأصل التاريخي، بالنقد الباطني السلبي ... والضروري لإثبات صحة المعلومات المدوّنة. وربما يتوقّف بعض الباحثين في التاريخ عن تطبيق هذا النقد المزدوج نظرًا

لما يلاقونه فيه من المشقّة والعناء. ولكن التاريخ العلمي لا يُكتب بغير هذه الوسيلة. وبقدر ما يحرص الباحث على تطبيق النقد بهذا المعنى، تصبح كتابته أقرب إلى الصدق وأدخل في نطاق البحث العلمي. (عث، بحث، ١١٥، ١)

- التحليل يشمل إيضاح المعنى العام للوثيقة أو الأصل التاريخي، ومجمل محتوياته، ثم تفصيلاته، ثم وجهة نظر الكاتب، ورأي الباحث وملاحظته وتعليقه. وينبغي ألا تُستخرج فقرة معيّنة أو تُفسر بدون فهم الأصل في مجموعه، حتى لا يخطئ الباحث في استنتاجه. وتحليل أصل تاريخي ما، معناه السعي إلى فهم الحوادث والآراء والأفكار الواردة به، والتمييز بين كل منها على حدة. (عث، بحث، ١١٦، ١٦)

تحليل تاريخي

- التحليل التاريخي أو مورفولوجية التاريخ Geschichsmorphologie أو تحليل الحضارات Kulturmorfologie والمراد بذلك أن يأخذ المؤرّخ مجموعة من الحضارات يعتبرها نماذج ثم يحلّل عناصرها ومكوّناتها ويحاول أن يجد عناصر متشابهة بينها تساعده على أن يرى إن كان هناك بالفعل - أو لم يكن - نظام واحد يمكن أن يطبق عليها جميعًا. وهذا المفهوم للتاريخ العالمي يختلف عن مفهومه التقليدي الذي يقوم على رواية تاريخ البشر عصرًا عصرًا أو أمة أمة. (علف، فت، ١٠١، ٣٥)

تحليل الحضارات

- التحليل التاريخي أو مورفولوجية التاريخ Geschichsmorphologie أو تحليل الحضارات Kulturmorfologie والمراد بذلك أن يأخذ المؤرّخ مجموعة من الحضارات يعتبرها نماذج ثم يحلّل عناصرها ومكوّناتها ويحاول أن يجد عناصر متشابهة بينها تساعده على أن يرى إن كان هناك بالفعل - أو لم يكن - نظام واحد يمكن أن يطبق عليها جميعًا. وهذا المفهوم للتاريخ العالمي يختلف عن مفهومه التقليدي الذي يقوم على رواية تاريخ البشر عصرًا عصرًا أو أمة أمة. (علف، فت، ١٠١، ٣٦)

تحمّس

- كانت منزلة قريش من سائر قبائل العرب مثل منزلة اللاويين من بني إسرائيل. ولهم مثل امتيازاتهم، وهي تشبه امتيازات الكهنة في النصرانية. وكانوا لا يؤدّون أتاوة ولا يتكلّفون دفاعًا. يحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد. وكانوا يتزوّجون من أية قبيلة شاءوا ولا شرط عليهم في ذلك، وكانوا لا يزوجون أحدًا إلا اشترطوا عليه أن يكون متحمّسًا لدينهم - "التحمّس التشدّد في الدين" - وقد فرضوا فروضًا ألزموا الناس باتّباعها. (زي، مدن١، ٣٥، ٤)

تحوّل

- إختلاف الأجيال في أحوالها، إذن، نتيجة لتتابع الدول المختلفة التي ترعى تجيّل

الأجيال الجديدة، فالناس على دين ملوكهم. التحوّل والتغيّر في التاريخ تابع لذلك العنصر الذي يجعل من التاريخ تاريخًا ومن الأشياء أشياء: ذلك هو المُلك. والمغايرة في أطباع ومذاهب الملوك هي ما تجعل من الأجيال أجيالًا متغايرة، وما يصدق عن المسلمين في أنهم "في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأقواله" لا شكّ يصدق على غيرهم. فمشاكلة الناس لزمانهم التزام بأخلاق وأفعال ملوكهم: فقد لبس الناس لباس المعتصم، كما أن أصل ذلك التغيّر الكبير الذي بموجبه قدّم الملوك ومواليهم وغلمانهم على أقربائهم هو قيام المنصور بذلك. (عظم، عرف، ٩٥، ٨)

تدمر

- تدمر هي باليونانية (بالميرا) وهي عريقة في القدم، ولا يعرف بالضبط تاريخ هجرة العرب إليها، ويبدو أن ذلك كان في وقت مبكر جدًّا، وقد ورد لها ذكر قبل الميلاد بأكثر من ألف عام. ولكن شهرتها ترجع إلى المجد الذي حقّقته في القرنين الثاني والثالث بعد المسيح، فقد استطاعت مملكة تدمر أن تقف في الغالب موقف الحياد بين جارتيها القويتين: الفرثيين (الإيرانيين) والرومان، وقد انتفعت بهذا الحياد انتفاعًا كبيرًا ونالت عون الدولتين، ثم كان لموقعها الجغرافي وما بها من مياه معدنية ما سبّب لها الرخاء والمجد. وعلى الرغم من محاولة الحياد فقد تورّطت تدمر في صراع مع الفرس حينًا ومع الروم حينًا. وتدلّ بعض النصوص الأثرية على أن تدمر ارتبطت سياسيًّا بالرومان منذ القرن الميلادي الأول، ولكنها لم تفقد استقلالها الداخلي، وظلّت تدير شؤونها بنفسها، وبحكم هذا الارتباط بالرومان خاضت تدمر حروبًا مدمّرة ضدّ الفرس كتب لتدمر النصر المؤزّر فيها، وردّت شابور الأول إلى عاصمته بعد أن كان قد استولى على جزء كبير من أرض الشام، وكان ملك تدمر آنذاك أذينه (٢٠٥م) وقد منحه إمبراطور الرومان لقب "إمبراطور الشرق" اعترافًا له بخدماته ونجاحه. وبسط أذينة سلطانه على سوريا كلها، وبعد أذينة تولّت الحكم زوجته زنوبيا (وتسمّى أيضًا زينب والزباء) وصية على ابنها القاصر، ولكن زنوبيا تحدّت الرومان وصارعتهم، بيد أنها انهزمت في نهاية الصراع، ودخل الإمبراطور أورليانوس مدينة تدمر ودمّرها وأسر الملكة العربية البطلة، ولكن الأقاصيص سارت ببطولتها عبر البوادي والحواضر. (شل، سلم، ١٠٤، ١٩)

تدوين

- المرحلة الثانية (من التدوين): وقد امتدّت خلال القرن الثاني كله تقريبًا. واهتم الاخباريون خلالها بجمع أخبار الأحداث المختلفة والمواضيع المتنوّعة كلها، ومن

جميع الأفواه والرواة، كل منها على حدة وفي كتاب يحمل عنوانه الخاص. ومع أن الاهتمام بالسيرة النبوية لم ينقطع في هذه المرحلة إن لم يتّسع وينتظم ويعطي السيرة شكلها النهائي المنتظم على يد ابن إسحق (المتوفي سنة ١٥١هـ) صاحب أقدم وأكمل سيرة نعرفها الآن، إلا أن العناية بالأخبار التاريخية الأخرى صارت أكثر وضوحًا، بل لقد واكبت وزاحمت أحيانًا كثيرة الاهتمام بالسيرة نفسها. (مص، رخ١، ٩٦، ٦)

- المرحلة الثالثة، مرحلة تدوين التاريخ على الأساس الزمني المتسلسل وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد وهي تستند في فلسفتها العميقة إلى فكرتين أساسيتين: - وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمة الإسلامية. - وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء. وقد امتدّت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث حتى استقرّت وتوطّدت، فتوطّد بها علم التاريخ الإسلامي ومناهجه في التدوين. وإنا لنجد بواكير ذلك لدى ابن إسحق صاحب السيرة في أواسط القرن الثاني إذ ينسب إليه كتاب ضائع في (تاريخ الخلفاء)، ثم لدى عوانة بن الحكم الذي كتب، مع كتبه الأخرى مؤلّفًا في "التاريخ" جمع فيه الحديث عن الردّة والفتوح وعهد الراشدين - حسب ما تدلّ النصوص الباقية المنقولة عنه - ثم جاء أبو إسحق إبراهيم بن محمد المتوفي سنة ١٨٨هـ فكتب "كتاب السير في الأخبار والحوادث" وهو خطوة أخرى نحو جمع السير والأخبار في كتاب واحد. ثم جاء الهيثم بن عدي فوضع أول كتاب في التاريخ على أساس السنين محققًا بذلك ثورة في المنهج التاريخي على مطالع المائة الثالثة للهجرة. كما وضع أول كتاب في التاريخ على أساس الطبقات لتراجم الرجال... وهاتان الخطوتان هما اللتان قدّر لهما أن تكونا أساس مناهج التدوين التاريخي في الإسلام فيما بعد. (مص، رخ١، ٩٩، ١٥)

- التثبيت الكتابي للتراث (التدوين) ارتبط هو أيضًا باستتباب سلطان سياسي محدّد، أن هذا لا يعني أن اللجوء إلى الكتابة في الثقافة الإسلامية وتدوين "العلم" وتناقله بواسطة المكتوب يرجع الفضل فيه فقط إلى مبادرة سلطة سياسية، ما دام تدوين العلم وحفظ التراث بالكتابة يرتبطان بتطوّر عام للمجتمع نحو التنظيم بواسطة الدولة المعتمدة على الكتابة لضبط المجتمع والسيطرة عليه. بل نحن سنلحّ فقط على الفترات التي كان الانتقال فيها من التداول الشفوي إلى التسجيل الكتابي للتراث يمرّ تحت رعاية سلطة سياسية، إن لم يكن بإيعاز منها. (أوم، نهج، ٢٣، ٨)

- إن هذا الدور "الإيجابي" للتدوين لا ينبغي أن يُنسينا أن هذا التدوين فرضه الاختلاف، وهو ما يقوله أحد المختصّين المتأخرين في تاريخ العلم الإسلامي وهو حاجي خليفة: "... الصحابة والتابعون لقربهم من النبي وببركته ولقلّة الاختلاف

والواقعات، كانوا مستغنين عن التدوين (...) ولما انتشر الإسلام واتّسعت الأمصار وحدثت الفتن واختلاف الآراء وكثرت الفتاوي والرجوع إلى الكبراء أخذوا في تدوين الحديث والفقه والقرآن..." (أوم، نهج، ٢٦، ٢)

- إذا كان التدوين قد نشأ عن الفرقة والاختلاف فإن لهذا أهميته البالغة بالنسبة لعلم التاريخ الذي أسهمت بداياته، وبكيفية حاسمة، في تثبيت تراث (سنة) الأمة الناشئة ولم يكن هذا التثبيت ... بمعزل عن السلطان السياسي، ولم يتجلّ ذلك في رعاية هذا الخليفة أو ذاك للذين قاموا بالتدوين في هذا النمط أو ذاك من أنماط التاريخ الأولى فقط، بل تجلّى ذلك خاصة في فترات انتقال هذه الأنماط من المرحلة الشفوية إلى المرحلة الكتابية. نعني أن هذا التاريخ الذي ارتبط بالتدوين الأول قد أسهم بشكل حاسم في تحديد الصورة التي سيتّخذها التراث حين سيثبت بالكتابة. (أوم، نهج، ٢٦، ١٦)

تدوين أوّلي

- مرحلة التدوين الأوّلي. ويتّسم التدوين فيها بالطابع الشخصي بالنسبة للهدف من استخدام التدوين وبطابع العفوية والفضول العلمي والمنفعة الدينية أو الاجتماعية بالنسبة للدوافع العامة. وقد بدأت عملية التدوين نقلًا عن الشفاه، وعن غيرها من المسجلات (كالوثائق والكتب) مبكرة جدًا. وبعضها يرقى إلى العهد النبوي لكنها ما اتّسعت ولا وضحت إلا في العصر الأموي، وقد أخذت فيه عددًا من الاتجاهات فبعضها للسيرة النبوية وبعضها لتاريخ اليمن وبعضٌ للأنساب وبعضٌ لأخبار الفتوح... الخ. (مص، رخ١، ٩٣، ٧)

تدوين التاريخ

- لم يكن تدوين التاريخ عملًا "رسميًا" أبدًا. لم يعرف هذا العمل أبدًا في التاريخ الإسلامي كله إلا مرة واحدة في أواخر القرن السابع (عند تعيين ابن الفوطي مؤرّخًا للمغول الإيلخانيين في العراق). وإذا جرى أن شعر الخلفاء الأمويون ثم العباسيون (الحاجة) إلى تدوين التاريخ فلم يكن ذلك بغرض الوصول إلى إقامة تاريخ رسمي للدولة، ولكن لمجرّد إثبات المعارف الهامة وتسجيل ما كان يهم أو يشوّق الخليفة أو الوالي معرفته. (مص، رخ١، ٨٩، ٢٢)

تدوين تاريخي

- تقيّد التدوين التاريخي في عصر الاستنارة بفكرة البحث التاريخي، فكان ذلك مدخلًا للتاريخ العلمي، الذي استنفد إقراره جهودًا صامتة جاءت بمثابة فاتحة لعهد جديد، وكان السبب في هذا التطوّر تلك المناظرات التي انصبت على الأمور الدينية بين البروتستانت ومخالفيهم. (علف، فت، ١٣٠، ٢٢)

تدوين العلوم

- يحدّد الذهبي، في نص هام يرد في كتابه تذكرة الحفاظ وينقله عنه ابن تغري بردي والسيوطي، السنة التي بدأ فيها تدوين العلوم العربية في الإسلام بأنها سنة ١٤٣هـ. يقول: "... في سنة ثلاث وأربعين (ومائة) شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث، والفقه، والتفسير. فصنف ابن جريج بمكة، ومالك (ابن أنس) الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان بالكوفة. وصنف ابن إسحاق المغازي. وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي. ثم بعد يسير صنّف هشيم والليث (بن سعد) وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب... وكثر تدوين العلم وتبويبه. ودوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلّمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة". (مص، رخ١، ٩٢، ٥)

تراتب الروايات

- تراتب الروايات حسب الرواة، وقد يكون من الممكن للباحث، خصوصًا وإن استخدم حاسبة آلية، أن يصدر جداول بمصادر كتب التاريخ العربية ترتّب هذه المصادر حسب هرمية للثقة، وذلك استنادًا إلى ما يذكر عن هذه المصادر في الكتب التاريخية اللاحقة عليها. وقد يكون من المجدي مقارنة هذه بجداول أخرى، هي أقرب منالًا بسبب كثرة كتب الرجال، تتناول مصادر الحديث. والدرجة الأولى في تراتب الرواة من البشر هو التواتر، كتواتر وشهرة أنساب العرب إلى عدنان "لا لبس فيها"، وكنسبة البربر إلى كنعان بن سام بن نوح بدلًا من انتمائهم إلى حمير، وهو قول باطل، إذ "ما علم النسابون لقيس بن عيلان ابنًا اسمه برّ أصلًا". ثم هناك تفضيل الرواة والثقة بهم كأساس للمفاضلة بين الروايات. فرواية ابن حزم عن أصل البربر أفضل من رواية نسابة البربر مثل سليم المطماطي وهاني بن مسرور والكومي، إذ إن "رواية ابن حزم أصحّ لأنه أوثق". (عظم، عرف، ٢٧، ١٣)

تراجم

- ليس في الإسلام تاريخ مرتّب على السنين خالٍ تمامًا من مبدأ متّسق في الترتيب، كحكم الخلفاء والسلاطين، يضاف إلى ذلك أنه يخصّص عادة ترجمة خاصة لحاكم معيّن إما في السنة التي تولّى فيها الحكم أو في سنة وفاته. وتؤكّد هذه التراجم على الصفات الخلقية والمعنوية (أو انعدام هذه الصفات) لذلك الحاكم وكثيرًا ما تعطي وصفًا لمظاهره الجسمية، كما تذكر أيضًا قائمة بأولاده ونسائه وموظّفيه وبعض المعلومات الإحصائية (كأسماء أمراء الحجّ في عهد خلافته)، وتبدو الأهمية التي تعطى للمعلومات

الإدارية من أنها تكون تقريبًا جميع محتويات القسم الخاص بكل خليفة إذا أراد المؤلّف أن يكون موجزًا كما ذكر القضاعي مثلًا في عيون المعارف. (روز، علم، ١٢٥، ٧)

- التراجم أثبت صور التعبير التاريخي، وقد سبقت التراجم مبادئ صور التاريخ وهو أمر يمكن استنتاجه من الطابع الشخصي للنقوش الملكية في الشرق الأوسط القديم. ثم إن المؤلّفات التاريخية الراقية تميل دائمًا نحو التراجم. (روز، علم، ١٤١، ١٦)

- النزاع بين الفرق في الإسلام نشب معظمه باسم الشخصيات والفضائل أو العيوب الشخصية. وبذلك أصبحت التراجم موضوعًا لازمًا للمتكلّمين وعلماء الدين، وأعطت المؤرّخين أعظم فرصة ليصبحوا مفيدين عمليًا وليجدوا لهم عملًا في المجتمع الإسلامي، ثم إن علاقات المؤرّخين الدنيوية دفعتهم بدورها إلى الاهتمام بالتراجم، فالخلفاء والولاة وكبار الموظّفين وجمهرة المتعلّمين وجدوا المثل الأعلى للخلق الفاضل في حياة السلف الصالح. لذلك فإن تدوين سيرهم وجعل التاريخ يدور حول حياتهم من شأنه أن يرضي متطلّبات هذه الجماعات المهمّة من قرّاء كتب التاريخ. أضف إلى ذلك أن المسلمين جميعًا كانوا يعتقدون بأن السياسة كانت كلها من عمل الأشخاص، وأنها لا تفهم إلا على ضوء صفاتهم وخبراتهم، وبذلك أصبح التاريخ في أذهان كثير من المسلمين مرادفًا تقريبًا للتراجم وسير الرجال. (روز، علم، ١٤٢، ١٠)

تراجم إسلامية

- تبدأ كتب التراجم عادة بذكر ولادة المترجم وتنهيها بذكر وفاته. وهذا هو النظام المألوف في التراجم الإسلامية، كما نجده سائدًا مثلًا في التراجم التي أوردها الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" . وفي كثير من الأحيان يذكر تاريخ الميلاد والوفاة في بداية الترجمة. والراجح أن هذا ناتج من أن تواريخ الوفيات يسبق تواريخ الولادات، وأن المؤرّخين اعتادوا ذكر ترجمة أي شخص تبعًا للسَنة التي توفّي فيها. أما ذوي المحتد والنسب الأصيل، فكثيرًا ما تبدأ تراجمهم ببعض الملاحظات عن النسب، وقد تكون هذه الملاحظات مطوّلة كما هي الحالة في كتابة سيرة الرسول أو بعض الأمراء الأعاجم في الأصل، وكثيرًا ما تذكر أيضًا بعض الملاحظات اللغوية كضبط اسم المترجم. أما بقية محتويات الترجمة فهي منوّعة متباينة، والعادة أن الأحداث الخارجية لحياة صاحب الترجمة لا تظفر إلا بقليل من الاهتمام، اللهم إلا في بعض الحالات المتعلّقة بتراجم الولاة والسياسيين. أما تراجم علماء الدين والعلماء، فأكثر ما تحويه قصص تربيتهم والشيوخ الذين درّسوهم والأماكن التي زاروها والأحاديث التي رووها. أما تراجم

الشعراء والأدباء، فتهتمّ بالقصص الطريفة عن حياتهم ومنجزاتهم الشعرية والأدبية، والعادة أن تراجم العلماء والمفكّرين تلحق في نهايتها قائمة بما ألّفوه من كتب، أما تراجم علماء الدين فكانت قوائم المؤلّفات فيها تختصره، وتكاد التراجم كافة تشترك بصفة بارزة في وصف الخصائص الخلقية والعقلية للشخص المترجم. وتذكر هذه الخصائص الخلقية والعقلية للشخص المترجم. وتذكر هذه الخصائص إما بصورة صريحة أو عن طريق إيراد قصص وحكايات توضحها، وكثيرًا ما تذكر المظاهر البدنية أيضًا. إن الأغلبية المطلقة من التراجم الإسلامية كانت أجزاء من مجموعات أكبر، كأن تكون أجزاء من كتب عن الطبقات، أو عن تاريخ الأسر أو الحوليات حيث تبدو بعض الملاحظات عن التراجم متّصلة بالسَنة التي توفي فيها شخص معيّن. أما طول هذه التراجم فيتراوح من بضعة أسطر إلى ما يزيد على مائة صحيفة. (روز، علم، ١٤٤، ٨)

ترتيب النصوص

- ترتيب النصوص على أساس تواريخها ضروري في غالب الأحيان. وذلك لأنه يوضح له - للمؤرّخ - تسلسل الرواية والحوادث المرويّة، ولأنه يقيه شرّ تقديم المسبّبات على أسبابها. وحيث ترد بعض الأصول مجهولة التاريخ، عليه أن يسعى سعيًا حثيثًا لتأريخها، كي يتمكّن من ترتيبها بموجب تواريخها. (رس، مصط، ٤١، ١٧)

ترتيب زمني

- الترتيب المفضّل عادة هو الترتيب الزمني في المراحل المبكرة من البحث والاستقصاء، ولا بأس من التزام هذا الترتيب إذا كان البحث سيخرج آخر الأمر في شكل متسلسل زمنيًا. هذا ولا شكّ أن الترتيب الزمني يسهل على الباحث مشكلة ضبط المصادر ومقارنتها ببعضها، خصوصًا حين تكون نفس الملحوظة متّصلة بأكثر من مكان واحد في سياق البحث. (علف، فت، ١٥٣، ١١)

ترف

- الترف، وذلك أن الأمة إذا تغلّبت على ما بيد ذوي الملك قبلها كثر رياشها وعوائد نعمها، وتجاوزوا ضرورات العيش وخشونته إلى نوافله ورقّته، وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها، تابعين في ذلك سنن من قبلهم في أكل الطيب، ولبس الأنيق، وركوب الفاره واستجادة الفروش والآنية إلى آخر الدولة. وعلى قدر ما لهم يكون حظّهم منه؛ إلى أن يبلغوا فيه الغاية التي للدولة أن تبلغها؛ بحسب قوتها وعوائد من قبلها. سنّة الله في خلقه. (أزر، بدع٢، ٧٢٣، ٧)

ترك

- الترك فأمة كثيرة العدد أيضًا فخمة المملكة

وفضيلتهم التي برعوا فيها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها. فهم أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب والرماية. (عب، خصر، ٣، ١٣)

تركيب أو بناء تاريخي

- تلخّص عمليّات التركيب أو البناء التاريخي في بعض مراحل، وعلى الباحث أن يجمع خلالها العناصر المأخوذة من أصول تاريخية متعدّدة، ويحاول أن يُكوِّن عنها صورة عقلية تشابه بقدر الإمكان الصورة التي وُجدت في ذهن شاهد العِيان أو كاتب الأصل التاريخي. ثم يقسّم الباحث الحقائق إلى مجموعات على أساسٍ من التشابه القائم بينها، وعلى أساس المسائل المتعلّقة بنقطة أو حادث معيّن. وحينما تصادف الباحث فجوات صغيرة أو كبيرة، فعليه أن يحاول ملأها بالاستنتاج العقلي المستمدّ من الحقائق التي توفّرت لديه، وعليه كذلك أن يستخرج من هذه الحقائق صفاتها العامة، وعلاقة بعضها ببعض، ويؤدّي ذلك في النهاية إلى كتابة التاريخ. (عث، بحث، ١٥٩، ١١)

ترمذشاه

- ملك التِّرمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيْوشار، ملك الجُوزَجان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٦)

تساس الدول

- الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال، وعدمت فيه خصال، فأما الخصال التي يستحب أن توجد فيه، فمنها العقل. وهو أصلها وأفضلها، وبه تساس الدول، بل الملل، وفي هذا الوصف كفاية. ومنها العدل، وهو الذي تستغزر به الأموال، وتعمر به الأعمال، وتستصلح به الرجال. ولما فتح السلطان هلاكو بغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة. أمر أن يستفتي العلماء: أيما أفضل: السلطان الكافر العادل، أو السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب. وكان رضي الدين، علي بن طاوس حاضرًا هذا المجلس، وكان مقدمًا محترمًا، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا، ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر، على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده. ومنها العلم، وهو ثمرة العقل، وبه يستبصر الملك، فيما يأتيه ويذره، ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه، وبه يتزيّن الملك في عيون العامة والخاصة، ويصير به معدودًا في خواص الملوك. قال بعض الحكماء: الملك إذا كان خلوًا من العلم كان كالفيل الهائج، لا

يمرّ بشيء إلا خبطه، ليس له زاجر من عقل، ولا رادع من علم. واعلم أنه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصوّر المسائل المشكلة، والتبحّر في غوامض العلوم، والإغراق في طلبها. قال معاوية: ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم، وإنما المراد من العلم في الملك، هو أن لا يكون له أنس بها، إلا بحيث يمكنه أن يفاوض أربابها فيها، مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر، ولا ضرورة في ذلك إلى التدقيق. (طق، فخر، ١٠، ٣)

تشبيه

- التشبيه يوجب الاتفاق في الحكم والمعنى على قدر المواقع من الاشتباه، وذلك يزعم أن حدّ الجسم أنه طويل عريض عميق يلزمه أن يقتضي على كلّ ذي طول وعرض وعُمق بالتجسيم لأنّ الاشتباه بينهما واقع في جميع الوجوه. (بلخ، بد١، ٩٣، ٦)

تشيّع للرأي

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ١٢)

تصانيف

- التصانيف في رتبتين: مجيد مقصر ومسهب مقصر والأخبار زائدة مع زيادة الأيام حادثة مع حدوث الزمان، وربما عاب البارع منها على لطيف الطبق الذكي الذكاء، ولكل واحد منهما قسط يخصّه بمقدار عنايته ولكل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهلها، وليس من لزم جمرات وطنه بما نمى إليه من أخبار إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخرج كل دقيق من معدنه وأثار كل نفيس من معطنه. (سخ، ذم، ١٤٥، ١٤)

تصانيف في التاريخ

- أما التصانيف في التاريخ فكثيرة جدًّا، لا تدخل تحت الحصر، بحيث قال الحافظ العلاء مُغلطاي الحنفي في كتاب "إصلاح ابن الصلاح" له فيما قرأته بخطه: رأيت من ملك نحوًا من ألف تصنيف فيه. (جو، نظم، ١٠، ٢)

تصوف

- نستطيع أن نردّ كل ما يقول عن التصوّف إلى فكرة أساسية فحواها أن التصوّف استعداد طبيعي في الإنسان، غير أن التصوّف في الإسلام ينحصر في تعميق التديّن. وابن خلدون يسخّر الفلسفة والكلام والتاريخ لخدمة هذه الفكرة، وينتهي إلى الأخذ بتصوّف معتدل. فالفلسفة، بمختلف علومها، تزوّده بقاعدة لتفسير "عقلي" للتصوّف: فيثبت أنه عريق في النفس البشرية، غير أنه لا يختلف هنا عن نزعات أخرى تنحو نحو عالم الغيب. وهو بلوغ لحال صفاء تام يتجاوز حدود القدرة البشرية والمعرفة الإنسانية، وهو هنا صنو للكهانة وللنبوة. (أوم، نهج، ١٨٣، ١٩)

- يرجع التصوّف عند ابن خلدون إلى ما يمتاز به الإنسان من انتماء مزدوج إلى العالم الطبيعي والعالم فوق الطبيعي. وظاهر أننا هنا أمام معطى فلسفي قديم سلّم به الفلاسفة وحتى غير الفلاسفة؛ فالإنسان بما لديه من "لطيفة ربانية" (النفس) ينزع إلى عالم الغيب، وذلك عن طريق "الرؤيا" أو الحدس أو الوحي. فالاستعداد للتصوّف إذن ميل دفين في الإنسان، إلا أن التصوّف الإسلامي يتطلّب إلى جانب ذلك تفسيرًا خاصًّا. (أوم، نهج، ١٨٧، ٥)

تعارض الأصول

- في حالة تعارض الأصول والمصادر وتناقض الروايات بشأن حادث تاريخي معيّن، ينبغي على الباحث في التاريخ أن يتبع بعض القواعد التي قد تعينه في الوصول إلى الحقيقة التاريخية. فأولًا، لكي يتثبّت الباحث من أن هذه الأصول والمصادر متعارضة حقًّا، ينبغي أن يستوثق من أنها تتعلّق بنفس الحادث، لأنه من الجائز أن خبرين متعارضين ظاهريًّا، يكونان متعلّقين بحادثين مختلفين، وربما

لا ينطبقان على نفس الزمن أو على نفس المكان أو على ذات الأشخاص الذين تناولهم ذلك الحادث. وثانيًا، إذا كان تعارض المصادر حقيقيًا، فربما يكون بعضها صادقًا وبعضها الآخر كاذبًا. وفي مثل هذه الحالة يوجد اتّجاه طبيعي نحو التوفيق بين الخبرين المتعارضين، واتّخاذ موقف وسط بينهما. ولكن هذه ليست طريقة علمية سليمة. فإذا اختلف مصدران مثلًا في عدد جيش ما، فلا يصحّ أن نأخذ المتوسّط بينهما. إذْ من الجائز أن أحد المصدرين صحيح والآخر خطأ. فلا بدّ من السعي إلى معرفة أي المصدرين أصحّ، لإسقاط ما لا يقبله النقد. وإذا تعذّر الوصول إلى رأي محدّد، فيجب الإعتراف بذلك، وذكر ما قاله المصدران معًا، دون ترجيح رأي أحدهما على الآخر. وثالثًا، ينبغي على الباحث في التاريخ أن يلاحظ أنه إذا وُجدت عدّة أصول تقول برأي معيّن، ووُجد مصدر واحد يقول برأي مخالف، فمن الجائز أن يكون الرأي الواحد هو الصحيح. والكثرة العددية لا تحدّد حتمًا صحّة ما تورده، والعبرة قائمة في نوع هذه الكثرة أو في نوع الواحد، من حيث صفات الكتاب وظروفهم ووسائل بحثهم. ولا عبرة بالعدد أحيانًا في بعض المسائل التاريخية. ورابعًا، ينبغي على الباحث في التاريخ أن يحاول ترجيح جانب على آخر بواسطة النقد التاريخي. وإذا لم يستطع ذلك فعليه أن يمتنع عن إعطاء حكم نهائي، حتى يعثر على أدلّة جديدة تنير له السبيل. (عث، بحث، ١٤٤، ١٨)

تعارض بلا ترجيح

- الاعتبارات الحاصلة له (المؤرّخ) عند إرادة تأريخ شيء من الأشياء، أولها اعتبار وجه الحضور والعيان، وثانيها اعتبار وجه العلم واليقين، وثالثها اعتبار وجه غلبة الظن، ورابعها اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح، وخامسها اعتبار وجه غير الوجوه الأربعة. أما لو حصل له الوجه الأول، الذي هو أحسن الوجوه - قال الله - تعالى - حكاية عن الخليل صلوات الله عليه: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، ومنه قول من قال: "من فقد حسًّا فقد فقد علمًا". وقد شاع هذا الخبر بين أولي الأثر والبيان، وليس الخبر كالعيان. ... و(إن) أراد المؤرّخ تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يعتني بتأريخه غاية الاعتناء، اغتنامًا بالفرصة بهذه النعمة العظيمة النفيسة، وابتهاجًا بهذه المرتبة الشريفة اللطيفة، فكيف لا وفيه مصالح ومنافع وعبر لأولي الألباب. ... وأما الوجه الثاني، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يؤرّخه على أحسن ما يكون، لما فيه من المصالح والتنشيط والعبر، إلى غير ذلك من سائر النصائح. وأما الوجه الثالث، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحبه فهو يؤرّخه - أيضًا - لما فيه من الاعتبار وسائر المصالح النافعة في أمر الدين. وأما الوجه الرابع، يؤرّخ صاحبه مع تنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ما

لم يتحقّق فيه مرجّح لأحد جانبيه على الآخر، وأما إذا علم أو رجّح أحد جانبيه على الآخر فهو في حكم ما مرّ من الوجه الثاني والثالث. فإن قلت: فهل في تأريخ هذا الوجه إذا لم يترجّح أحد جانبيه على الآخر فائدة؟ قلت: نعم، فيه فائدة في الحكم والمصالح والعبر، إذا ظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد، وإن لم يترجّح الآن، وهي الإطلاع على ما فيه. ولذلك نرى العلماء ينقلون المذاهب المختلفة مع أدلّتها، يخالف بعضها بعضًا في كتبهم، والكتب مشحونة بذلك، يشهد به من يطالعها شهادة صدق وعيان. تنبيه: في تأريخ هذا الوجه يحصل له ولغيره تصوّر صاحبه بوجه من الوجوه، وإن لم يحصل له التصديق به وتصوّره بوجه من الوجوه نوع من العلم. ... وأنت تعلم أن السعي والاجتهاد إنما هو بحسب الطاقة والإمكان، وتعلم - أيضًا - أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك، وأن انتفاء التصديق المخصوص به لا يستلزم انتفاء تصديق به في الجملة، فضلًا عن انتفاء تصوّره. وأما الوجه الخامس، فينبغي أن لا يؤرّخه، بل يسكت عنه، لا يتكلّم فيه ببنت شفة، لا بالنفي ولا بالإثبات، ... وللاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت، ولئن ورّخه بيّن حاله، بأنه مجهول عنده، ويعترف بعجزه عنه، مع تفويض علمه به إلى جناب علام الغيوب، ستار العيوب، جلّ ثناؤه ولا إله غيره. (كاف، مخ، ٧٧، ١)

تعبئة العساكر

- تعبئة العساكر وفيه نظران: أحدهما: في موجبها، وهو ما يخشى عند اختلاط الجيوش الكثيرة في الحرب؛ من التدافع فيما بينهم لجهل بعضهم بعضًا، فإذا قسّموا جموعًا وضمّ المتعارفون بعضهم إلى بعض أمن ذلك المحذور. الثاني: في صورتها، وهو أن يجعل بين يدي الملك عسكر منفرد بصفوفه، متميّز بقائده ورايته من ورائه يسمّى "المُقَدِّمَة"، ثم آخر عن يمينه يسمّى "الميمنة"، ثم آخر عن شماله يسمّى "المَيْسَرَة"، ثم آخر من ورائه يسمّى "السَّاقَة"، ويقف الملك وأصحابه وسط هذه الأربعة القريب ترتبها من الترتيب الطبيعي في الجهات الأربع، ويسمّى "القَلْبَ". (أزر، بدع١، ١٧٠، ١٤)

تعليل

- (التعليل) بإمكان المؤرّخ أن يوضح الوقائع الماضية على طريقة علماء الطبيعة. فإنك لو طلبت إلى أحد هؤلاء أن يوضح أو يعلّل لك ظاهرة من ظواهر هذه العلوم، لبدأ بوصفها ثم استطرد إلى ذكر خصائصها وعلاقاتها بمثل غيرها من الظواهر. غير أن هذه الأمور كلها لا تخرج عن أنها وجوه مختلفة لحقيقة واحدة. وليس علمنا بها إلا مجموعة لهذه الوجوه فتعليل علماء الطبيعة لظواهر الطبيعة ليس إلا وصفًا لخصائصها ومميزاتها. والآن إذا بدلنا الوصف بالقصة قلنا إنه بإمكان المؤرّخ أن يوضح الوقائع الماضية على طريقة علماء

الطبيعة. فحيث تضطرّه الظروف لإيضاح بعض الحقائق يأتي بحقائق أخرى توضح ما سبق سرده من حوادث الماضي. فإما أن يزيدنا علمًا ببعض الحوادث التي سبقت وقوع ما يروي أو أن يذكر حوادث أخرى وقعت في الوقت نفسه وأثّرت فيما يروي. مما يسوقنا إلى القول بأن الفرق بين التاريخ وإيضاح التاريخ من هذه الناحية إنما هو فرق في الكم لا الكيف. (رس، مصط، ١٣٤، ٤)

- التعليل استنادًا إلى أحوال عامة، كتعليل ابن الخطيب لكثرة الثوار في الأندلس أيام الأمويين في منعة البلاد وكثرة المعاقل "وبأس أهلها بمقاربتهم عدو الدين"، إضافة إلى "علوّ الهمم وشمخ الأنوف... إذ كان ما يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرافًا" يأنف بعضهم من الإذعان لبعض، وكترجيح الأخبار استنادًا إلى أمور عامة، فإن هذا النمط في التعليل ليس من باب تعليل الأحداث العينيّة بل هو تفسير لوضع باقٍ، إذ هو عرض لوضع عام لا يدخل في مجال التاريخية. فهو يقدّم شروطًا لاستمرار وليس أسبابًا للحوادث. (عظم، عرف، ٩٨، ١٧)

- التعليل يحاول المؤرّخ دائمًا معرفة الأسباب والدوافع التي أدّت إلى الحقائق التاريخية، أعني أنه يحاول أن يرد كل معلول إلى علّته، وهذه العملية بالذات هي التي تضفي على الدراسات التاريخية كثيرًا من المتعة، وبسط الحقيقة مجرّدة لا يمكن أن يكفي القارئ ويقنعه، وإنما الذي يقنعه أن يجد سبب هذه الحقيقة مبسوطًا أمامه في وضوح، فيعرف مثلًا لماذا ازدهرت أمّة من الأمم ولماذا انحلّت وتدهورت، ولماذا تفوّقت حضارة من الحضارات ثم لماذا هبطت وسقطت، ولماذا كسب أحد القادة معركة من المعارك ثم لماذا خسر معركة أخرى وهكذا. (علف، فت، ١٥٦، ١٩)

- السببية في التاريخ هي في الواقع محاولة الكشف لا عن "السبب" ولكن عن تلك المجموعة المركّبة من الأسباب والعوامل الكامنة في كل حدث. وقد دخل مفهوم السببية في السرد التاريخي بشكل أصبحت كتابة التاريخ بدونه مجرّد فهرسة أو تخطيط زمني للسنين. ارتبطت في الواقع، علمية التاريخ إلى حدّ كبير بهذه المحاولة الفكرية لتلمّس الأسباب. ومع أن المؤرّخين قد حقّقوا - فيما يبدو - جانبًا من النجاح في هذا الميدان فإنه من الواجب أن نعترف أن مشكلة السبب التاريخي ما زالت في جوهرها دون حلّ. وأهم مشاكلها ليس الغموض فحسب وتركيز بعض المؤرّخين على أسباب دون أخرى ولكن أيضًا تحديد الفترة الزمنية التي يجب أن نفتّش فيها عن الأسباب والبنى المتشابكة للأحداث اللاحقة ثم معرفة العوامل الثابتة والمتحوّلة في كل حدث: عددًا ونوعًا وأثرًا. مع الأخذ بعين الاعتبار أن بحث العلل الأولى هو مشكلة غيبية تخرجنا من ميدان التاريخ إلى رحاب الميتافيزيك. وإذا كانت عملية التأريخ مرتبطة بخطّين من الأعمال:

كيف حدث؟ (الوصف) ولماذا حدث؟ (التعليل) فقد يكون الجواب على (كيف؟) حتى بالشكل الدقيق المنطقي أسهل بكثير من الجواب على الـ (لماذا؟) التعليلية. وإذا كانت (كيف؟) قد تجرّ إلى السؤال عن أي الطرق وبأي الوسائل وضمن أي الظروف من اجتماعية أو طبيعية أو دينية أو نفسية، تمّ ذلك الحادث المركّب الذي تحقّق في وقت ما وفي مكان ما من التاريخ فإن مشكلة الـ (لماذا؟) ترتبط بعملية غوص بعيدة الأغوار عن العوامل السيكولوجية والاقتصادية والجغرافية والمناخية والفكرية والاجتماعية التي أثّرت في تكوينه وإخراجه على الشكل الذي خرج فيه. (علف، فت، ٢٠٢، ٢٧)

تعليل إجتماعي

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل، من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد. ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي

متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبِّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلُّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن (الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرُّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته

الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًا فيعجّل ارتقاءها أو يُسبّب انتكاسها. ... وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلّا أنّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجّلان انقراضها. (فر، علل، ١٢، ١٧)

تعليل إقتصادي

- التعليل الاقتصاديّ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأ الانقلاب الصناعي (الثورة الصناعية) يفعل فعله ويبرز العوامل الاقتصادية في البيئة الإجتماعية. ثم بدأت الآلة تحلّ محلَّ الأيدي العاملة فتنتشر البطالة في البلاد ثم تجمع الثروة في جانب ضيّق من المجتمع وتزيد الفقر في الجانب الواسع منه. فتنبّه علماء التاريخ والاجتماع إلى أثر العوامل الاقتصادية في سير التاريخ. من أوائل الذين اهتمّوا بالتعليل الاقتصادي توماس مالثوس (١٧٦٦ - ١٨٣٤م)، وهو عالم اقتصادي إنكليزي كان متشائمًا فلم يستطع أن يرى إلّا "البؤس الذي ينغّص سعادة المجتمع". لقد رأى أن البشر يزدادون بنسبة أكبر من النسبة التي تزداد بها أسباب الحياة على هذه الأرض. ثم أن الحروب والجوع والأوبئة لا تمنع ازدياد البشر. والبشر الكثيرون يتنافسون في الحصول على أسباب الحياة المحدودة فتقع الفتن والحروب. وقال مالثوس إن الإحسان لا يُحلّ مشكلة الفقر والبطالة لأنه في الحقيقة يطمع الكسالى فيزداد عدد الفقراء. فاقترح لتخفيف مشكلة الغذاء تأخير الزواج وتحديد النسل. وكان دانيال ريكاردو (١٧٧٢ - ١٨٢٣م) صديقًا لمالثوس ومشايعًا له، ولكنه اهتمّ بالجانب الاقتصادي البحت أكثر مما اهتمّ بالآثار الاجتماعية التي يتركها العامل الاقتصادي في المجتمع. وتكلّم ريكاردو على تضخُّم العملة وعلى الأجور والضرائب. ومن أقواله: إن الضرائب لا يدفعها عادةً أولئك الذين تفرض عليهم، بل يدفعها المستهلك. وقال: العمل آلة في يد الرأسماليّ لاستغلال العمال. على أن الرجل الذي اقترن التعليل الاقتصادي باسمه كان كارل ماركس الألماني (١٨١٨ - ١٨٨٣م). رأى ماركس أن الشرائع وأشكال الحكم ليست مظاهر متفرّقة متميّزة، ولا هي مظاهر لنزعات النفس الإنسانية، ولكنها تنبت من جذور عميقة للأحوال الاقتصادية في البيئة الاجتماعية. ثم رأى أن الإنتاج والتبادل، والنظام

الاجتماعي الناتج منهما، كانت في كل زمن هي الأسس التي قام عليها التاريخ السياسي والفكري. أما الانقلابات الاجتماعية والثورات السياسية فكانت دائمًا نتيجةً للتغيّرات التي طرأت على نظامي الإنتاج والتبادل. والمجتمع ينتقل في رأي ماركس ضرورةً من الرأسمالية إلى اشتراكية اجتماعية (لا طبقات فيها) ثم إلى اشتراكية مطلقة (لا دولة فيها). هذه الاشتراكية المطلقة ستكون الدور النهائيّ للمجتمع الذي سيعيش أهله في رفاهية عامة. (فر، علل، ٢٥، ٩)

تعليل بطولي

- التعليل البطوليّ من المؤرّخين نفر يرون أنّ صانعي التاريخ إنما هم عظماء الرجال، فالفرد العظيم عندهم يقود أمّته ويجمع شملها ويتغلّب على أعدائها ويثبّت دعائم ملكها ويخلق حضارتها. ونحن لا نستطيع أن ننكر أن في هذا الرأي جانبًا من الصحة، فإن أفرادًا نابهين، نعدُّ منهم الإسكندر وصلاح الدين ويوسف بن تاشفين وواشنطون وبسمارك ومصطفى كمال، قد خلقوا شعوبهم خلقًا جديدًا وكتبوا في بعض سنوات صفحات من التاريخ لم يكتب مثلها ولا قريبًا منها في أجيال كثيرة. ومما يلفت النظر أن هؤلاء العظماء يستكثرون عادةً على هممهم وهمم أمثالهم ما تمّ على أيديهم من جلائل الأعمال فيذكرون أنهم إنما فعلوا ذلك بتأييد من الله أو باتّحاد كلمة الأمة أو باتّفاق أحداث أتاحت لهم القيام بما قاموا به. (فر، علل، ١٦، ٢٢)

تعليل التاريخ

- يفرض تعليل التاريخ الحاجة التي نشعر بها إلى اختيار بعض الحوادث الماضية دون بعض أو إيلائها قسطًا من العناية والاهتمام أعظم مما نولي سواها. فحوادث التاريخ غزيرة متدفّقة متشعّبة، وليس بمكنة أحد أن يحيط بها كلها. ومهما يحاول المرء أن يحدّد مجال دراسته أو يضيّق الناحية التي ينظر إليها، فإن الحقائق التي تنكشف له، أو يمكن أن تنكشف له، هي أكثر مما يستطيع استيعابه وأغزر وأوسع نطاقًا. حتى أنه لو اقتصر على أحداث سنة من السنوات في تاريخ شعب من الشعوب، أو على مدّة محدودة من سيرة إنسان، يظلّ هذا القدر الضيّق المحدود يشمل أحداثًا وافرة ليست كلها جديرة بالحفظ والتسجيل. (زري، نحن، ١٣٦، ٢٠)
- (تعليل التاريخ) تخطئ عندما "نفرض" تعليلًا معيّنًا على التاريخ فرضًا، ونقسر الحوادث لتدخل في نطاقه وتنصبّ في قالبه. وهذا ما حدث فعلًا في أكثر التعليلات التي حاولت فلسفة التاريخ. إننا نجد أصحابها قد تعلّقوا بها وتمسّكوا بمنطوقها، وضربوا صفحًا عمّا يخالفها، فجاء فهمهم للماضي مبتورًا أو مختلًّا أو مناقضًا لطبيعة الحياة. ويحدث هذا الفرض لسبب من سببين. قد يكون لغرض في النفس: لبثّ دعاوة أو بلوغ غاية

عملية، فيأتي التعليل التأريخي من ضمن "المبرّرات النظرية" لدعوة من الدعوات أو حركة من الحركات. هنا ينبث الانحياز وعدم التجرّد، فيصبح التعليل التأريخي والتأريخ ذاته واسطة لغاية أخرى غير غايتهما الأصلية التي يجب ألا ينحرفا عنها، وهي الإدراك المتجرّد الصحيح. فكل صاحب سلطة، وكل منظّمة أو هيئة أو طبقة - كل فرد أو جماعة - يستخدم التعليل التأريخي في سبيل هدف خاص ويفرضه على الماضي فرضًا، يخرج به عن غايته ويخلّ بوظيفته، وينافي التجرّد الذي هو شرطه الأساسي. ويأتي هذا الفرض من ناحية ثانية نتيجة لاقتناع خالص، ولكنه اقتناع مستمدّ من خارج التاريخ، غير خاضع خضوعًا كافيًا للنقد والامتحان بمحكّ الحوادث التاريخية ذاتها. فمن هؤلاء المعلّلين من يستمدّ نظرته التأريخية من اعتقاداته الدينية، إذ اللاهوت أو الكلام هو عنده أضمن الطرق وأسماها إلى المعرفة وإلى الحقيقة، فما ينكشف فيه يجب أن يصدق على التاريخ، ولا يمكن أن يكون التاريخ إلا تعبيرًا عن الحقائق الأساسية التي أظهرها الوحي أو التقليد أو التأمّل. ومنهم من يصدر في تعليله التأريخي عن عقيدة فلسفية توصّل إليها بالنظر العقلي: فهو مادي، أو مثالي، أو واقعي، أو ما إلى ذلك من المذاهب الفلسفية، وتصويره للماضي ناتج حتمًا عن مضمون مذهبه واتجاهه. ومنهم من تتكوّن معتقداته الأساسية من العلم الاختباري.

وهؤلاء أيضًا فرق متعدّدة حسب ما يؤدّي إليه علمهم من مفاهيم لطبيعة الكون، ولجوهر الإنسان وتأثّره بمحيطه وتأثيره فيه. فبعضهم مثلًا يجعلون الإنسان، وبالتالي التاريخ، وليد المؤثّرات الجغرافية وحدها، وبعضهم يعتبرونهما نتيجة لقوى الإنتاج المادي وللعلاقات الاقتصادية، وآخرون يرون أن الإنسان هو في جوهره عقل وأن التاريخ ليس سوى تفتّح هذا العقل وتجسّده في شتّى المظاهر الحضارية والاجتماعية، وهكذا. إن هؤلاء جميعًا يختلفون في تعليلهم للتاريخ. ولا بأس في ذلك، ولا ضرر ما داموا مستعدّين لأن يحكوا تعليلاتهم المختلفة بمحكّ الاختبار، ويمتحنوها بواقع الحوادث كما تكشفه تدريجًا دراسة الماضي. ولكن الخطأ كل الخطأ هو في تجاهل هذا الواقع، والانقياد الأعمى لتعليل معيّن، أو في المحاولة، الواعية أو غير الواعية، لتطبيق الواقع على التعليل، أو سكبه في قالبه. (زري، نحن، ١٣٨، ١١)

- تعليل التاريخ هو، في الوقت ذاته، مقدّمة للتأريخ وخاتمة له: مقدّمة، لأنه يكشف عن الافتراضات التي ينطوي عليها نظرنا إلى الإنسان وإلى الماضي، وخاتمة لأنه يظهر خلاصة مفهومنا للماضي المستمدّة من الحوادث كما تكشفت لنا بالتحقيق العلمي ومن الافتراضات الممتحنة بها. وبين المقدّمة والخاتمة اغتناء مستمرّ وبيان متزايد. ولكن كل خاتمة، مهما تكن جليلة، ليست، في معيار التعليل

الصحيح، سوى مقدّمة لجهد آخر. وهكذا دواليك: شأن التعليل في هذا شأن أي تفكير حي وأي عمل مثمر. (زري، نحن، ١٤٥، ١٣)

- الغاية من تعليل التاريخ أن يُدرك الطالب، وهو يقرأ في المصادر والمراجع التاريخيّة، مَدى الصحة والخطأ في ما يقرأ وأن يفرّق بين التاريخ (الصحيح العلميّ) وبين الحكاية (الشعبيّة الخرافية) لأحداث الماضي. وهذا التعليل يهتمّ اهتمامًا كبيرًا بالأسباب والنتائج. أما الأحداث نفسها فتتفاوت قيمتها بمدى ثباتها على التعليل وبتفسيرها للأسباب وللنتائج. (فر، علل، ٤، ٢)

- اتّسع الخيال الإنساني باتّساع الحضارة وأصبح العقل أكثر تطلُّعًا إلى الإحاطة بمظاهر الوجود المادية والروحية، فانقلب ثانية إلى ذلك الذي حدث وأراد أن يعرف كيف حدث. ثم ارتقى العقل الإنساني وأحاط بكثير من مظاهر الوجود وأدرك أن لكل شيء في هذا العالم أسبابًا وعِلَلًا، فأراد أن يعرف "ذلك الذي حدث" لماذا حدث. من ذلك الحين بدأ تعليلُ التاريخ. غير أن تعليل التاريخ كان دائمًا متأثّرًا بالبيئة التي عاش فيها المؤرّخ، فالإنسان لا يستطيع أن ينفلت من بيئته ولا من الاعتقادات السائدة في أهل بيئته. وهكذا ارتقى تعليل التاريخ تدريجًا من دور فطري بدائي كان فيه خياليًا محدودًا قاصرًا - مارًّا في أدوار مختلفة - حتى بلغ دورًا زاهيًا بالعلم والحضارة فأصبح فيه علمًا منطقيًّا شاملًا، أو قريبًا من ذلك. (فر، علل، ٦، ١٥)

- تعليل التاريخ عند أوغست كونت، ومن أعلام فلسفة التاريخ في الغرب أوغست كونت الفرنسي (١٧١٨ - ١٨٥٧م) الذي ولد من أبوين كاثوليكيين ملكيين ثم أصبح، لما بلغ الرابعة عشرة من عمره، جمهوريًّا ملحدًا. اشتهر كونت بفلسفته الإيجابية التي قال فيها: "إن المعرفة الصحيحة (للحياة الإنسانية) لا تمكن باللاهوت (التفكير الديني) ولا بالماورائية (التفكير المجرّد)، بل بملاحظة البيئة الاجتماعية وبالاختبار. ولقد فسح كونت في تعليل التاريخ مجالًا كبيرًا للعلوم الطبيعية والاجتماعية. من أجل ذلك نَسَبَ إليه قومه تأسيس علم الاجتماع. ولقد حاول كونت أن يوجد مذهبًا واضح المعالم للنظام الاجتماعي ولفهم التاريخ لما قال: إن المجتمع كائن عضويّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وللمجتمع أيضًا أطوار تتعاقب على منهج مخصوص قليل الشذوذ. ثم أن كل طور من أطوار المجتمع ينشأ من الطور الذي سبقه ضرورة، ثم يكون هو بدوره تمهيدًا للطور الذي سيأتي بعده بالضرورة أيضًا. والمجتمع يجب أن يمرّ في هذه الأطوار كلها بالتدريج والترتيب، وإن اختلفت هذه الأطوار طولًا وقصرًا بين أمة وأمة. والأطوار الأساسية للمجتمع ثلاثة: (١) الطور اللاهوتي (دور الخرافة والخيال)، وهو مؤقّت. (٢) الطور الماورائي (أي

المجرَّد، أو دور التجريد الفكري) الذي حاولت فيه الإنسانية أن تتحرّر من قبضة الخرافات وأن تغزو مظاهر الطبيعة إلى أسباب مركوزة في الأشياء نفسها لا إلى عوامل غيبيَّة: تنسب هياج البحر مثلًا إلى الاستعداد الطبيعي في الماء للتحرّك بحركة الريح لا إلى غضب نبتون إلّه البحر. (٣) الطور الإيجابي (الدور العلمي)، وهو الدور النهائي ودور الاستقرار. في هذا الدور يتخلّى العقل عن أوهامه وأخيلته ويتسامى فوق عالم الطبيعة فيدرك حينئذٍ بالتفكير أكثر مما كان يدرك بالحسّ والاختبار. وكذلك يعرف العقل في هذا الدور حدوده وما يقع في نطاق إدراكه فيقصر نظره على ما يقع في هذا النطاق، أي على العلوم التجريبية ونتائجها. أمّا ما يقع خارج هذا النطاق من الماورائيات (المطلقة أو المثالية أو الخيالية) ومن الغيبيات اللاهوتية فلا يلقي إليها بالًا. ولتعاقب أحداث التاريخ عند أوغست كونت قوانين ليست على كل حال تجريبيةً (يمكن اختبارها، أو تتكرّر آثارها مرةً بعد مرة)، بل هي قوانين عقلية بمعنى أن استنتاجها ممكن من قوانين طبيعية واجتماعية أشمل منها، وأن من الممكن عرضها على محكّ النظر ثم الموازنة بين منتوجاتها: إذا تجمّعت أسباب متماثلة (في زمنين مختلفين أو في بيئتين مختلفتين) فمن المنتظر أن تحدث بفعلها نتيجتين متماثلتين. (فر، علل، ٢٣، ٨)

تعليل التاريخ عند ابن خلدون

- تعليل التاريخ عند ابن خلدون يقوم على أساسين: ١- استقراء القوانين المسيطرة على سير التاريخ من حادث التاريخ نفسها: ليس ثمّة قانون خارج عن نطاق حوادث التاريخ يؤثّر في تلك الحوادث. ٢- الإلمام بأكبر عدد ممكن من العوامل التي يجوز أن تؤثّر في تطوّر المجتمع. إنّ أحداث التاريخ ترجع عادة إلى أسباب متنوّعة متشابكة ثمّ يكون لها نتائج كثيرة مختلفة، فدرس التاريخ، إذن، محتاج إلى الإلمام بتلك العوامل كلّها، ولا يكون ذلك إلّا بالنظرة الشاملة في بناء المجتمع وفي طراز المعيشة ووجوه النشاط الإنسانيّ. (فر، علل، ١٢، ٨)

تعليل تاريخي

- ما هو التعليل التأريخي؟ إنه محاولة استكشاف علّة الأحداث الماضية أو عللها. إنه الإجابة عن السؤال: لماذا؟ لماذا وقعت حادثة ما، أو لماذا اتّخذت شكلها المعيّن؟ وبالمعنى الواسع الذي يقصد إليه بـ "تعليل التاريخ": لماذا حدث التاريخ كما حدث، واتّخذ الشكل الذي يتراءى لنا به؟. (زري، نحن، ١٣٣، ١٠)

تعليل تركيبي

- التعليل التركيبيّ يرى أصحاب هذا المذهب أن نوعًا واحدًا من أنواع التعليل لا يكفي لتفسير جميع الأحداث في جميع العصور، فيجب اللجوء إلى أنواع متعدّدة

من التعليل لفهم التاريخ فهمًا صحيحًا. وعلى المؤرّخ أن يكشف العوامل المهمّة في سير التاريخ في تعاقب أحداثه وأن يعطي كلَّ عامل حقَّه من الأهمية. (فر، علل، ٢٨، ١٨)

- يؤكّد القائلون بالتعليل الحديث أهمية التعليل التركيبي، ولكنهم يرون أن الجانب الاجتماعي منه أعظم أثرًا، وهم يؤكّدون العامل الجغرافي والعامل النفسي تأكيدًا خاصًّا. - والتعليل الاجتماعي لا يعنى كثيرًا بالحوادث الفردية ولا بالملوك والعظماء، ولا بالأحداث النادرة مهما عظمت، ولكنه يعنى أشدَّ العناية بحركة التطوّر في البيئة، وبالعادات والحضارات وباختلاط الشعوب بالهجرات والفتوح وبتأثير النحلة (العمل لكسب الرزق) في البيئة، وبالأحداث التي تتكرّر وتستمرّ لتستقرَّ وتخلق خصائص البيئات الاجتماعية: إنه يُعنى بالإنسان ككائن اجتماعي يتطوّر، ويُعنى بصلته بمن حوله وبما حوله. ولقد مرّت الإشارة إلى ذلك عند الكلام على أوغست كونت. - هنالك عالمان فرنسيان عُنيا بالتعليل الاجتماعي هما غبريال تارد (١٨٤٣ - ١٩٠٤م) وأميل دوركهايم (١٨٥٨ - ١٩١٧م). أما تارد فاهتمّ بالتقليد وأثره في المجتمع وبحث فيه من ناحيته النفسية والاجتماعية، ولكنه عدّ الناحية النفسية أشدَّ أثرًا: رأى تارد أن أفراد الجماعة الواحدة ينهجون في تفكيرهم نهجًا واحدًا عامًّا في العادة. فإذا بدأت بعض الأعمال تشيع في جماعة من الجماعات بتكرار الأفراد لها محاكاةً وتقليدًا في الأكثر، نشأ في جانب من جوانب تلك الجماعة مقاومة لتلك الأفعال (أو مخالفة لأهل تلك الأعمال، كما يقول ابن خلدون)، وإذا استمرّ شيوع هذه الأعمال أصبحت مع الأيام عادةً وخلقًا وأثّرت في اعتقادات تلك الجماعة ورغباتها. وهكذا يصدر أهل تلك الجماعة حينئذٍ عن آراء متماثلة. وأما دوركهايم فاهتمّ بدراسة المجتمعات الفطرية (البدائية)، ولكن مما ألّفه العلماء عنها، بخلاف ابن خلدون الذي درس تلك المجتمعات في بيئاتها بعد أن مكث في تلك البيئة مددًا مختلفة. يرى دوركهايم أن العقلية العامّة (عقلية الجماعة، روح الجماعة) ليست مجموع "عقليات" الأفراد الذين تتألّف منهم تلك الجماعة: إن الفرد مهما كان مثقّفًا فإنه ينساق عادةً في تيار الجماعة، وخصوصًا في الحفل الوفير والاجتماعات العامة والمظاهرات والفتن والحروب - إن الفرد يتأثّر عادةً بسلوك الجماعة التي يحيا فيها. وبما أن عقلية الفرد تتكوّن من عوامل بيئته فإن التعليم عامل مهمّ في تزويد الفرد بمعلوماته ومعارفه وفي الكشف عن استعداده وجلاء شخصيته، إلا أن تطوّر الفرد ذو صلة وثيقة ببيئته، فالفرد الناشئ في بيئة راقية أكثر استعدادًا للتطوّر من الفرد الناشئ في بيئة متأخّرة. حتى إن سلوك الفرد يتأثّر بالعناصر والدوافع السائدة في بيئته. وأسباب الانتحار نفسه إجتماعية وليست

فردية شخصية. وتماسك الأفراد في أخلاقهم تابع لتماسك أممهم سياسيًّا واجتماعيًّا، فكلما ضعفت الجماعة أصبحت أخلاق الأفراد الذين تتألّف منهم تلك الجماعة أكثر ضعفًا وتفسُّخًا. فإذا انحلّت الأمة انحلّت أخلاق أفرادها. (فر، علل، ٢٩، ٨)

لفائدة المجتمع وتلبية حاجاته، وبذلك يعلّل ظهورها ونموّها وتطوّرها. ومع ذلك لا يمكننا أن نخرج من ذلك بقاعدة ثابتة، إذ لا تدلّ حوادث التاريخ على أنها حدثت دائمًا بطريقة عقلية منطقية، أو بطريقة تحقّق أكبر نفع ممكن للإنسان. (عث، بحث، ١٨١، ٦)

تعليل الحوادث

- البحث في تعليل الحوادث وإيضاحها، من العوامل التي تجعل دراسة التاريخ دراسة شائقة. وهو في ذلك يجتهد مثلًا في معرفة أسباب الحوادث العامة كارتفاع أمة وسقوطها، وظهور حضارة ونموّها وازدهارها وهبوطها أو زوالها، كما يحاول أن يعرف أسباب الحوادث الخاصة مثل كسب معركة أو كشف طريق. ولقد حاول بعض الباحثين ردّ الحوادث إلى العناية الإلهية التي تسيطر على العالم وتقود الوجود إلى غاية لا يعلمها إلا الله. وهذا تفسير عُلوي، ولا يُنتظر من الباحث في التاريخ أن يبحث العلّة الأولى للوجود. واستمدّ بعض الباحثين آراء ونظريات لتعليل الحوادث من الأصل الميتافيزيقي. فمن ذلك مثلًا الفكرة التي سادت عند تلاميذ هيجيل، مثل مومسون، وميشليه، وهي التي تقول بأن كل حادث تاريخي هو في الوقت نفسه حادث عقلي، يقع طبقًا لخطة منطقية عامة، وبأن لكل حادث مبرّرات وجوده، وله دور خاصّ في تقدّم المجتمع الإنساني. فالنظم مثلًا وجدت

تعليل خرافي

- التعليل الخرافيّ "الخرافة حادثة حقيقية فُسّرت تفسيرًا خاطئًا". إن بوذا وهرقل القديم وعنترة أشخاص تاريخيون، كما كان طوفان نوح والألعاب الأولمبية وبناء تَدْمُر حوادث تاريخية. ولكنّ الكهان والقصّاصين والشعراء تناولوا أولئك الأشخاص وتلك الحوادث بالخيال والمبالغة والتقديس حتى أخرجوها من نطاق التاريخ إلى حيّز الخرافة. كان بوذا رجلًا صالحًا في قومه وابن ملك، فيما قالوا، فقام بحركة إصلاح فلسفي أخلاقي ثم خلّف مذهبًا وأتباعًا. غير أن أتباعه فيما بعد زعموا أن صَدَفَةً صعدت في يوم صحو جميل من قعر البحر إلى سطح الماء. فلما مسّتها أشعّة الشمس انفتحت وخرج منها بوذا. وكذلك لما رأى عرب الجاهلية مدينة تدمُر هالهم بناؤها الضخم وزخارفها العجيبة فزعموا أن الجن بنوها، وذلك قول النابغة:

وخَيِّسِ الجِنّ، إني قد أذِنْتُ لهم
يبنُون تدمُرَ بالصُفّاح والعَمَدِ

ولا ريب أيضًا في أنه كان لامرئ القيس حصان. ولكن امرأ القيس نفسه خلع على حصانه صفات خيالية خرافية لما قال:

لـه أيْـطَـلا ظَـبْـيٍ وسـاقـا نَـعـامـةٍ
وإرخـاء سَرْحـان وتـقـريـبُ تُـتْـفُـل!

فكيف يكون الحصان هيكلًا (ضخمَ الجُثّة) ثم يكون له خاصرتا غزال وساقا نعامة؟ والخرافات - مع كل ما فيها من المبالغات والمحالات والحوادث المصنوعة - تدخل مع الأيام في خيال الأمم، ثم يتناولها الكهّان والقصّاصون والشعراء بالتبسّط والتأنّق وبالتشابيه والاستعارات ويتناقلها الناسُ جيلًا بعد جيل حتى تصبح قطعة من حياة الأمة وعقيدة راسخة فيها ونسيجًا في حضارتها. ومما يساعد على انتشار الخرافة وشيوعها أنها تنسب عادة إلى كائن له قداسة أو رهبة، أو إلى أمر من أمور الغيب مما ليس للبشر عليه سلطان (إلى إلّه أو شيطان أو سلف وجيه في الأمة أو إلى حسن الحظ أو سوء الحظ) فيتقبّل السامعون إرادة ذلك الكائن، في تلك الحوادث، ثم يقفون بعقولهم دونها. وبما أن الجهل كان سائدًا في الأزمنة القديمة فإن التعليل الخرافي للتاريخ لاقى انتشارًا. ولكن لما بدأ التفكير الفلسفي يسود في بلاد اليونان خاصة بدأ التعليل الخرافي يضعف، وإن كان قد استمرّ بعد ذلك زمنًا طويلًا. (فر، علل، ٦، ٢١)

تعليل ديني

- إن المؤرّخين المسلمين الموثوقين لم يحتاجوا إلى التعليل الديني كثيرًا، فالتاريخ في الإسلام بدأ روايات - على عادة العرب في رواية الأدب واللغة والأخبار - كما اتّبعوا ذلك فيما بعد في الحديث والفقه أيضًا؛ كلُّ رواية مستقلّة في إسنادها ومتنها. فلم تتّصل حوادث التاريخ في أول الأمر في تآليفهم حتى يتمكنوا من التعليل، فقد كان معظم تآليفهم التاريخية مجموعات من أخبار مستقلّة رواها بعضهم عن بعض. (فر، علل، ١٠، ١٦)
- إن للتعليل الديني جانبًا صحيحًا: ذلك أن الدين عنصر مهمّ في حياة الأمم والأفراد، بل هو أعظم أثرًا مما يبدو أحيانًا. وهكذا نجد أن سير التاريخ قد تأثّر في الماضي تأثّرًا عظيمًا بالحميّة الدينية، وخصوصًا في الحضارة والثقافة، وهو لا يزال يتأثّر بالدين إلى اليوم، وخصوصًا في الأحداث العظيمة والمآسي القومية والكوارث الطبيعية والاحتفالات العامة. (فر، علل، ١٠، ٢٢)

تعليل طبيعي

- التعليل الطبيعيّ لما بدأت العلوم الطبيعية تتقدّم وتتّسع منذ أوائل القرن التاسع عشر حاول نفر من المؤرّخين: (أ) إيجاد أسلوب علميّ لمعالجة التاريخ فهمًا وتدوينًا (الطريقة العلمية). (ب) جعل تاريخ العلوم الطبيعية جزءًا من التاريخ العامّ لأهمية تلك العلوم في حياة الإنسان. ذلك لأن بيئة الإنسان تخضع للقوانين الطبيعية، ولأن رقيّ العلوم

الطبيعية في أمة ما يساعد على رقيّ أحوالها العامّة وعلى رقي أفرادها. ثم أن تاريخ العلوم يقرّب بعض الأمم من بعض، بينما التاريخ السياسي والتاريخ القومي يباعدان الشقّة بين تلك الأمم. (ج) الاهتمام بالجغرافية لشدّة صلتها بالتاريخ: إننا لا نستطيع فهم تاريخ مصر مفصولًا عن النيل، ولا تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده مفصولًا عن البادية: "إنّ التاريخ يتحرَّك في الجغرافية". من أجل ذلك يحسن أن ندرس تاريخ "الوحدات الجغرافية" الكبرى ما أمكن ونهمل تاريخ "الوحدات السياسية" الصغرى. (د) درس الحضارات والثقافات من خلال الأحوال المناخية: يبدو أن الجنس الأبيض الشمالي يصعب عليه اليوم أن يحيا في المناطق الاستوائية حياةً طبيعيةً دائمةً، وإن كان بإمكانه أن يوجد لنفسه بيئة صناعية إلى حين (كحياة نفر من الإنكليز في الملايو، ونفر من البلجيكيين في الكونغو). ويبدو أيضًا أن للمناخ أثرًا في الصلات الدولية: فالحروب قليلة في الشمال البارد، وهي في المناطق المعتدلة تنشب عادةً في الربيع أو الصيف. (هـ) توجيه النظر إلى العامل الحياتي، فإن النسل يقلُّ عادةً في الطبقات الراقية والطبقات الحاكمة (الغالبة) ويكثر أحيانًا في الطبقات الفقيرة وفي الطبقات المغلوبة إذا أَلِفَتْ حياة الغلب. ومع الأيام يقلُّ عدد الحاكمين ويكثر عدد المحكومين وينشأ في تلك الطبقات المحكومة شيء من الوعي أو الطموح فتُسفر المنافسات عن وجهها وتحدث الانقلابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (فر، علل، ١٧، ١٧)

تعليل عاقل للتاريخ

- التعليل العاقل للتاريخ يقوم ... على ما يلي: ١- العوامل التي تؤثّر في سير التاريخ كثيرة، فلا يجوز الاكتفاء بعامل واحد منها عند التعليل. ٢- إنّ بعض العوامل يكون في بعض وقائع التاريخ أشدَّ أثرًا من بعضها الآخر. ٣- إن الدافع الأول في سير التاريخ إنّما هو العصبية (الخصائص الماديّة في العدد والسلاح والمال والعلم) وإنّ ظفر جماعة بجماعة يقوم على أوجه مختلفة من القوّة في العصبيّة الظافرة. ٤- إنّ طبيعة البيئة تؤثّر تأثيرًا ظاهرًا في سير التاريخ بين أهلها. ٥- إنّ التاريخ صورةٌ للحضارة كلّها، فيجب أن يتناول المؤرِّخ أوجه الحضارة كلّها عند كتابة التاريخ. من أجل ذلك وجب أن يكون المؤرّخ ملمًّا إلمامًا كافيًا بعدد من العلوم والفنون حتّى يستطيع فهم عوامل التاريخ وتدوين نتائج التاريخ على وجهه الصحيح ووصف تطوّر الحضارة. ٦- إنّ أحوال المجتمع تتبدّل باستمرار - ولكن ببطء - فعلى قارئ التاريخ وعلى مدوّن أحداث التاريخ أن يفطنا لذلك. ٧- لا يجوز لنا أن نقبل خبرًا إذا كان مستحيلًا في العقل أو في العادة. وكذلك يجب أن نتروّى في قبول الأخبار الممكنة في العقل

وفي العادة حتّى تثبت لنا صحّتها بثبوت صدق ناقلها. (فر، علل، ٣٣، ١)

تعليل فلسفي

- التعليل الفلسفيّ بدأ التعليل الفلسفي للتاريخ مع نهضة الفكر في اليونان منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولكنه كان في ذلك الحين تعليلًا سلبيًّا فقط. إن نفرًا من فلاسفة اليونان أمثال أناكسيمندروس (ت ٥٤٦ق.م) وهيراكليطوس (ت ٤٧٥ق.م) رفضوا أن يكون للآلهة أثر في حياة البشر ثم عزوا كل أثر في المجتمع إلى عوامل طبيعية مادية، ولكنهم لم يؤلّفوا من تلك الأسباب الطبيعية المادية نظامًا يعلّلون به الحوادث ويفسّرون تعاقبها. وجاء فيقو الإيطالي (ت ١٧٤٤م) بعد ابن خلدون بثلاثة قرون أو تزيد فكتب كتابًا في فلسفة التاريخ سمّاه "العلم الجديد" ذكر فيه أن البيئة الاجتماعية من صنع الإنسان. ثم أنه حاول درس المجتمع الإنساني ليستنبط منه أسسًا لفهم التاريخ. غير أن فيقو ظلّ يتقبّل خرافات كثيرة ويأخذ يالتعليل اللاهوتي مما صرفه عن استقراء التاريخ من الوقائع إلى الاعتقاد بأنّ حوادث التاريخ تتعاقب وفق مبادئ أولية (مثل بديهيّات الهندسة) يجب علينا التسليم بها. ثم جاء فولتير الفرنسي (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) فكان أول من استعمل التعبير "فلسفة التاريخ"، ولكنه لم يعن به ما نعني به نحن اليوم. لقد عنى به "كيف يجب أن ينظر الفيلسوف إلى التاريخ". ثم إنه اهتمّ بالإنسان ودوره في سير التاريخ وأنكر العناية الإلآهية فيه، ولم يعر الملوك والمعارك إلّا اهتمامًا يسيرًا بينما أكثر الاهتمام بالجانب الحضاريّ من الحياة. ويرى فولتير أن الأمم تنتقل بالتدريج في أدوار تاريخها المختلفة، من الجهل والخرافة والشظف إلى العلم والتفكير والترف، ولكنه لم يبن ذلك الانتقال على نظام أو قانون، بل اعتقد أن حوادث التاريخ تتعاقب اتّفاقًا. بعدئذٍ جاء هيغل الألماني (١٧٧٠ - ١٨٣١م) ففسّر التاريخ تفسيرًا ماورائيًّا فلسفيًّا ودينيًّا مسيحيًّا، وبنى نظامه التاريخي على نظامه الفلسفي المثالي. إن للفكرة عنده وجودين: (١) وجودًا أصيلًا، هو وجود ذاتيّ قائم بنفسه، مفارق (غير متلبّس بالمادة)، أمثل (مدرك بالخيال وغير مشاهد في الواقع) ومعروف بالمنطق المحض. هذا الوجود هو الروح الكلّي المطلق لهذا العالم. (٢) وجودًا آخر: وجودًا خارجيًّا، ظاهريًّا هو الوجود الواقع في عالم الحس والمتحيّز في المكان، وهو الذي نسمّيه الطبيعة. هذه الطبيعة تتألّف من أعيان الموجودات المحسوسة. وفلسفة هيغل في الروح أهم من فلسفته في الطبيعة عمومًا وخصوصًا. والروح يفهم في فلسفته على ثلاثة معانٍ: أ- الروح الذاتي (الواعي العاقل) الفاعل في الوجود، يهب الوجود صورته (أي يخلع عليه الشكل الراهن) ويسيطر عليه. ثم هنالك: ب- الروح الموضوعي الماثل في مقابل العقل الذاتي، وهو الوجود الموضوعي المعقول

المتبدّي في عالم البشر أفرادًا ومجموعًا. ثم هنالك: ج - العقل المطلق، وهو في الحقيقة اتّحاد العقل الذاتي بالعقل الموضوعي، أو هو - في فلسفة هيغل - "الله". أما أبرز خصائص الروح المطلق فهو أنه يعمل عملًا خاصًا به مستقلًا عن عمل العقلين الموضوعي والذاتي اللذين يتألّف منهما: إنه يستشرف وجوده الخاصّ به فيكون منه فلسفة الفن (والفن هو الجمال أو المظهر الحسّي للفكرة). ثم هو يحسّ ويتخيّل فيكون منه فلسفة الدين. ثم هو يعرف فيكون منه تاريخ الفلسفة. أما الروح الذاتي فأبرز خصائصه أنه يتطوّر صعدًا في مراقٍ متعانقة متوالية، هي: الوعي الحسّيّ الساذج في الفرد (تلك أول درجات المعرفة وأدناها: يستمدّ الفرد فيها معرفته من شاهد ماديٍّ ماثلٍ أمامه)، ثم الملاحظة (المعرفة الحسية)، ثم الفهم (الإدراك المجرَّد، إدراك المعاني ووعي الذات)، ثم العقل (مصدر الفعل: عقل)، أي الموقف الفلسفي من المعرفة المطلقة. هذه المراقي أو الدرجات بين طرفي المعرفة هي مظاهر للروح يتبدّى فيها وهو يتطوّر ليرقى. ومن هذه المظاهر جاء اسم النظام الفلسفي الذي قال به هيغل: "الظواهرية". وأما الروح الموضوعي فإنه يتناول مبدعات الروح العاقل في الوجود الإنساني ويتبدّى في الجماعات البشرية وفي تلك الأشكال التي تتجلّى فيها الحرية (أنواع السلوك الروحي) في حياة الإنسان. هذه الأشكال هي: التشريع ثم الأخلاق والسلوك الاجتماعي ثم فلسفة التاريخ. (فر، علل، ١٨، ١٩)

تعليل لاهوتي

- التعليل اللاهوتي (قبل الإسلام)، لما بحث علماء التاريخ في التوراة وفي إصحاحاتها (فصولها) المتعلّقة بالتاريخ خاصة أجمعوا على أن هذه التوراة (الموجودة بأيدي الناس) هي في الحقيقة مجموع من الروايات اليهودية في التاريخ والقصص والأدب الفصيح والأدب الشعبي والأمثال، وأنها ليست وحدةً تأليفية بل تقميش (تجميع) قام به أفراد متعدّدون في أعصر متعدّدة. من أجل ذلك كانت التوراة "مصدرًا تاريخيًا لعقلية الذين عاصروا نشوءها" فقط. ثم إن التوراة تعلّل التاريخ تعليلًا لاهوتيًا، (إلّهيًا، دينيًا)، وزبدة فلسفتها التاريخية أن البشر كانوا يعيشون حياةً فاضلة سعيدة ثم شملتهم الخطيئة فانقلبت حياتهم ناقصة شقية وأصبح الشر طبعًا فيهم؛ وأن الجنس اليهودي يمثّل الأمة الفاضلة (شعب الله المختار)، تلك الأمَّة التي اختارها الله لتؤدّي إلى الأرض رسالة السماء. وللتاريخ في التوراة مجرى محتوم على الناس لا سلطة للإنسان على تبديله أو التأثير فيه. وكذلك ترى التوراة أن لحوادث التاريخ حكمةً (مغزى روحيًا أو أخلاقيًا). واستمرّ هذا التعليل اللاهوتي سائدًا في الغرب زمنًا طويلًا. ومن أبرز الأمثلة عليه ما ذكره القديس أوغسطينوس (ت ٤٣٠م) في كتابه "مدينة الله" في سبب

سقوط رومية في أيدي القوط الشرقيين (٤١٠م)، قال: "إنّ الوثنيين من أهل رومية قالوا إن سبب الكارثة أن أهل رومية هجروا آلهتهم واتّخذوا إلّه خرافة أجنبية عنهم، أي النصرانية. وإلّا، فلماذا ازدهرت رومية وتبسّطت في الأرض حينما كانت على الوثنية، ثم لما اعتنقت النصرانية استباحها البرابرة وعرضوا أهلها على السيف؟ وقد ردّ أوغسطينوس على هذا الاعتراض بقوله: إن آلهة رومية لم تدفع عن أهل رومية لأن تلك الآلهة لم تكن موجودة. ولكن الله الحق هو الذي كان ينعم على الرومان، من غير أن يعلموا هم ذلك، وهو الآن يُذيقهم العذاب بإرادته وأمره. فاستأنف الوثنيون اعتراضهم قائلين: ولكن لماذا اتّفق - لما استولى البرابرة على رومية ونهبوها - إن قتّل البرابرة جموعًا من النصارى رجالًا ونساء ثم جرّوا العذارى النصرانيات من أديرتهن واستحلّوهن ثم قتلوهن؟ أين كان إلّهم؟ ولماذا لم ينقذ قومه؟ عندئذٍ استأنف أوغسطينوس ردّه وقال: إن الله كان موجودًا لما وقعت تلك الحوادث، وهو الذي شاء لوقته أن يقتّلوا ويساموا سوء العذاب للّذي مضى من خطيئاتهم، ثم سمح بعذاراه أن يُستحللن ويعذّبن حتى يجرِّبهن ويطهّر نفوسهن بنار الآلام والموت. (فر، علل، ٨، ٣)

تعليل نفسي

- التعليل النفسيّ أو النفسانيّ يصدر الناس في أعمالهم عن شعورهم وانفعالاتهم (من الحب والبغض والحميّة والغفلة) أكثر مما يصدرون عن عقولهم وتفكيرهم الهادئ (من الحق والعدل والواجب والإحسان والمثل العليا). وأكثر أعمال الأفراد والجماعات ترجع إلى المؤثّرات النفسية التي يخضع البشر لها عادةً في حياتهم اليومية. لما قرأ بونابرت كتاب فولني "رحلة في الشرق" تأثّر بما ذكر فولني عن عكاء (من أنها مدينة غير حصينة وأن أهلها ناقمون على حكامهم مستعدّون أن يستسلموا لأول فاتح). ثم لما قام بحملته على عكاء انهزم بعد أن خسر قسمًا كبيرًا من جيشه. فلما عاد إلى مصر ثم بلغه عن زوجه جوزفين سلوكًا لا يرضاه ترك جيشه في عهدة قواده وعاد وحده إلى فرنسة (ففي كلا الحالين اندفع بونابرت بحافز من عاطفته وخياله ولم يعتمد العقل والمنطق). وتقوى الانفعالات النفسية في الأفراد وتنتشر ثم تعمّ أحيانًا فتصبح خصائص في الأعصر المختلفة وفي الجماعات المختلفة فيقوى حينئذٍ أثرها في النفوس فتمسي عوامل فعّالة في توجيه تلك الجماعات وفي تطوّرها الاجتماعي. إن كثيرًا من التطوّر في حياة الأمم يعود إلى تقليد بعضها بعضًا وإلى نفور بعضها من بعض. فالعصبية في الجاهلية، والشعوبية في الإسلام، وحركة الاستخفاف في الأندلس ورغبة المسيحيين في تخليص قبر المسيح من أيدي المسلمين، والكراهية بين ألمانية وفرنسة أمثلة على مظاهر نفسية كان لها

نتائج خطيرة جدًّا في التاريخ وفي الصلات الإنسانية. قد يكون لهذه المظاهر النفسية أسس مادية أو إجتماعية أو عقلية، ولكنّ الذي كان يدفع الجماهير في جاهلية العرب إلى الغزو ويدفع الإفرنج إلى المجيء في الحملات الصليبية إنما هو المظاهر النفسية أكثر مما هو الأسباب الحقيقية من سياسية واقتصادية. (فر، علل، ٢٧، ١٧)

تعليل وتوضيح

- يفترض في التعليل والتوضيح ما يأتي: (١) إن التاريخ يشمل جميع أخبار الماضي على أنواعها وفروعها. وأنه لا بدّ من الالتفاف إلى الحياة الماضية من جميع نواحيها كي نحسن الإيضاح والتعليل. (٢) وجوب التضلّع من الفلسفة والعلوم الاجتماعية والجغرافية للاستبصار بنورها والتذرّع بوسائلها واستنتاجاتها في فهم الماضي وإيضاحه. فلا بدّ للمؤرّخ من فهم العقل البشري فهمًا وافيًا كافيًا. وعليه أن يتعرَّف إلى المحيط الذي عاش أو يعيش فيه الإنسان من وجهتيه الجغرافية والمادية. ويجدر بالمؤرّخ بعد هذا القدر من الاستعداد، أي بعد أن يكون قد درس الفلسفة على رجالها وتمكّن من العلوم الاجتماعية على أنواعها ومنها علم النفس، يجدر به أن ينسج على منوال علماء الطبيعة مرة أخرى، فيتذرّع بطريقتهم في فهم ما يجهلون، ويبدأ عمله بفرض يفترضه. ثم يمتحن هذا الفرض على ضوء الحقائق بين يديه. فإن أحسن التعليل وتناصرت حقائق الماضي على تأييد فرضه اطمأنّ عقله وأعلن رأيه. وإلا تراجع وافترض فرضًا آخر وهلمّ جرًّا. (رس، مصط، ١٣٧، ١٦)

تعليم التاريخ

- الأمر في تعليم التأريخ في كثير من الأحيان: أنه يكاد لا يتعدّى تلقين "حقائق الماضي" - وأهمها في نظر الملقِّنين والملقَّنين أسماء الملوك والحكّام وقادة الحرب، والمعارك التي خاضوها والمعاهدات التي عقدوها، والأحداث السياسية والتواريخ التي جرت فيها. هذه "الحقائق" ينتظر من التلميذ أو الطالب أن يحفظها ويردّدها. فلا عجب في أن يعرض النشء عن هذا العلم ويجفوه، وأن يتحوّل عنه إلى ما هو أدعى إلى أعمال الفكر وأوثق صلة بالحياة. بل كثيرًا ما يكون التدريب العلمي التأريخي في المراحل الجامعية خلوًّا من هذا العنصر الإحيائي، فيأتي فاترًا جافًّا آليًّا قد ينجح في الترويض على أسلوب وطريقة، ولكنه يخفق في تفتيح العقل وإنماء الشخصية. والعيب في هذا التعليم كله إنه لا يتوصّل إلى الكشف عن جوهر الماضي، وإحياء العنصر الذي يكوّنه، ألا وهو الإنسان، فردًا ومجموعًا: الإنسان شاعرًا ومفكّرًا، مغتبطًا ومتألّمًا، جاهدًا وخاملًا، غالبًا ومغلوبًا، حريصًا على العيش وخائفًا من الفناء، متأثّرًا بما حوله ومؤثرًا فيه. إن النفاذ إلى هذا

الجوهر هو الشرط الأول من شروط التفكير التأريخي الصحيح. (زري، نحن، ١١٤، ١٠)

تعليمية

- التعليمية التي أخذ بها من عهد الصبا، تأديبًا وتقويمًا. وهذه تؤثّر في ذلك بعض الشيء، لمرباه على المخالفة والانقياد. (أزر، بدع١، ٧٤، ١٦)

تعميم

- التعميم إنما هو استنتاج في أساسه لا مشاهدة، فينظر (المؤرّخ) عندئذٍ في عدد الحقائق المفردة التي بنى الراوي استنتاجه عليها، ويلتفت بصورة خاصة إلى مقدرة الراوي في الاستنتاج. ولا بدّ من درس الراوي في جميع مؤلّفاته للتعرّف إلى عاداته في التفكير والاستنتاج. وإذا ما ذكرنا بهذه المناسبة أن العقل البشري يتأثّر بالعادة في التفكير أدركنا إمكانية التوصّل إلى نقد الراوي من هذه الناحية وتقدير تدقيقه في التفكير والاستنتاج. (رس، مصط، ٦٥، ٤)

تغلّب

- إذا حصل التغلّب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلّب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها. فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالًا وأنظارًا، ولكل واحدة منهما التغلّب على حوزتها وقومها، شأن القبائل والأمم المفترقة في العالم. وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضًا، وزادتها قوة في التغلّب إلى قوّتها، وطلبت غاية من التغلّب والتحكّم أعلى من الغاية الأولى وأبعد. وهكذا دائمًا حتى تكافئ بقوّتها قوّة الدولة. فإن أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها، وصار الملك أجمع لها. وإن انتهت إلى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وإنما قارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أوليائها تستظهر بها على ما يعن من مقاصدها. وذلك ملك آخر دون الملك المستبد. وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس، ولصنهاجة وزناتة مع كتامة، ولبني حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية. (خلد، قدم، ٥٠٠، ٥)

- التغلّب إنما يكون بالعصبية واتّفاق الأهواء على المطالبة. (خلد، قدم، ٥٢٦، ٧)

- التغلّب، الذي غايته الملك بالعصبية القاهرة. (أزر، بدع١، ٧١، ١٥)

تغيّر

- التغيّر، فالتاريخ حسب ابن خلدون والعمران بوجه عام في تغيّر مستمرّ. بل إن المقدّمة نفسها تخضع في بنائها لحركة تتخلّلها من البداية إلى النهاية. فقد بنى المؤلّف مقدّمته بحيث يتبع هذا الكتاب حركة العمران نفسها؛ فالعمران ينتقل بطبيعته من البسيط إلى المركّب، ابتداء من إنتاج البسيط من المعاش (المعاش

الضروري كما يتجلّى في أنواع المعاش البدوي) إلى المركّب منه (كما يتجلّى في الاقتصاد الحضري)، وذلك عبر انتقال الجماعة نفسها من مستوى البداوة إلى مستوى التحضّر. هذا الانتقال اجتماعي - اقتصادي ولكنه أيضًا سياسي. ولذا تتابع المقدمة في الآن نفسه هذا الانتقال السياسي عبر مفهوم الوازع (السلطة) ابتداء من شكله البسيط: الرئاسة (السلطة القبلية)، حتى المستوى المعقّد وهو الدولة. فالمقدمة تتبع في بنائها إذن حركة العمران وذلك على مستويين: مستوى المعاش (ابتداء من أنماط المعاش الأكثر بساطة حتى الصّنائع والعلوم وأنواع معاش الحضر)، ومستوى السلطة (الوازع) الذي تتبع المقدّمة تطوّره ابتداء من السلطة البسيطة أي الأقل قسرًا حتى الدولة بمختلف مؤسساتها (الخطط). يعبّر ابن خلدون أيضًا، عن وعي قوي بالتغيّر حين يعرض لمؤسسات لحق تاريخها تحوّل عميق، كالقضاء والتعليم. بل أن الخلافة نفسها كمؤسسة سياسية ارتبطت عنده بمجموعة قبلية محدّدة (القرشيين) واختفت باختفاء القوة السياسية لهؤلاء ونهاية السيادة العربية على العالم الإسلامي، فنتج عن ذلك تغيّر عميق في مؤسسات الخلافة (الخطط الخلافية) كالحسبة والجهاد. (أوم، نهج، ٦٦، ١٨)

- الذي ينبغي أن نبرزه في تصوّر ابن خلدون للتغيّر، هو أن هذا التغيّر كما يجري في التاريخ والعمران ينتهي في آخر الأمر إلى نوع من القطيعة، تتمثّل في الاختلاف الجذري الذي يفصل الأجيال عن ماضيها البعيد، وفي التحوّلات الكبرى التي تلحق مؤسسات العمران. والقطيعة تحدث على نحوين: إما أن تكون نتيجة لمسلسل من تراكم تغيّرات بطيئة، أو تحدث على نحو عنيف مفاجئ. أ- الحالة الأولى هي حالة التغيّر العادي للعمران، وهو تغيّر ما يفتأ يلحق كل مظاهر حياة البشر. إلا أن هؤلاء لا يعونه عادة لأنه لا يلحظ إلا عبر الأجيال. فعلى مستوى الجيل الواحد قلّما تحصل تغيّرات كبرى، فأهل الجيل غارقون عادة في "العوائد" السائدة معتقدين أنها لا تتزعزع. ومع ذلك ففي كل جيل تحدث تغيرات ولو طفيفة وغير ملحوظة ما تفتأ تتفاقم مع تعاقب الأجيال، وهكذا فإن التغيّرات التي تحدث وتتناقل عبر الأجيال تنتهي في آخر المطاف إلى تحوّل جذري، أو ما يسمّيه ابن خلدون "المباينة بالجملة". لابن خلدون مصطلح خاص: "الجيل"، يلجأ إليه لتفسير بعض نظرياته (كنظرية الدولة الوراثية ذات الأصل القبلي والتي تمرّ عادة من مسلسل الظهور - القوة - السقوط، وذلك عبر تغيّرات تطرأ على الأجيال الحاكمة). "الجيل" عند ابن خلدون وحدة اجتماعية - تاريخية، ويستعمله لتفسير ما يلحق العمران من تغيّر واستقرار معًا، وذلك حين يتعلّق الأمر بالتغيّر البطيء المتراكم. فالجيل يتلقّى "عوائد" ما سبقه من أجيال - وفي هذا ما يضمن الاستقرار

الاجتماعي - ولكن الجيل لا يكتفي بهذا، أي لا يقتصر على مجرّد إعادة إنتاج الماضي (لأن الحفاظ المطلق على التراث والتكرار اللانهائي للماضي ممتنعان بسبب طبيعة التغيّر في العمران)، بل يضيف إليه ما يبتكره من عنده، لكن بالدرجة التي لا تضع التقاليد موضع سؤال، ثم يورث الجيل اللاحق تراث الماضي وقد عدّل تعديلًا ما، وهذا الجيل بدوره يترك أثره على ما يتلقّاه، وهكذا تتراكم التعديلات إلى أن تنتهي إلى التغيّر الشامل: "المباينة بالجملة". عملية تلقي التراث وتعديله تقودها "طبقة" الحكام "أهل الملك والسلطان"، ويحاكيهم بقية السكان، فبواسطة هذه "الطبقة" يجري مسلسل تغيّر "العوائد". "والسبب الشائع في تبدّل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه ... وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر، فلا بدّ من أن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها، ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك... فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت بعض الشيء وكانت للأولى أشدّ مخالفة، ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة". ب- في الحالة الثانية يتمّ التغيّر على نحو مفاجئ وعنيف. وفي التاريخ فترات كهذه تحصل فيتغيّر مجراه. ويعيّن ابن خلدون على الخصوص عاملين من شأنهما أن يحدثا في التاريخ تحوّلات جذرية: أن يحدث انهيار عام في العمران وعلى امتداد واسع، كذلك الذي قد يحدثه وباء جارف (مثلًا الانهيار الذي نتج عن الطاعون الأسود في عصر ابن خلدون)، أو ظهور شعب قوي على مسرح التاريخ ينتزع السيادة من شعب آخر آلت قوّته إلى الأفول. ويعطي ابن خلدون أمثلة لانتقال القوة من أمة إلى أخرى: فقد حلّ الروم (اليونان والرومان) محلّ الفرس، وحلّ العرب حملة الإسلام محلّ الروم والفرس، وأخيرًا انتزع الترك والبربر الهيمنة على العالم الإسلامي من أيدي العرب. إن هذا النوع الثاني من التغيير هو ما يعنينا أكثر. ذلك لأنه نتيجة لمثل التغيّر الانقلابي (ظهور شعب قوي ببلاد المغرب وهم العرب البدو، وانهيار عمرانه بسبب طاعون القرن الثامن) قرّر ابن خلدون أن يعيد كتابة التاريخ حتى "يُدوّن" ما حلّ من أوضاع جديدة في التاريخ. (أوم، نهج، ٦٧، ١٣)

- ليس التغيّر من فعل الزمان، إذن، بل التغيّر مصاحب للزمان، يحدث عندما يحدثه أحدهم بصورة لا تجد معقوليتها في الزمان أو توالي الأمور، بل بصورة لامعقولية لها إلا حدثيتها. الزمان انسياب أخرس لا يفصح عن تحوّل، بل إن هذا التحوّل يفصح عن نفسه بموازاة الزمان وبالتزامن مع واحدة في لحظاته، دون أن تخرج العلاقة عن طور الاتّفاق ودون أن تلم الزمانية بالتاريخية، وحتى دون أن يكون للزمانية أي معنى يزيد على التعيين

الصرف للوقت، على التأريخ المحض. (عظم، عرف، ٩٥، ١٧)

تغيّر مستمر

- الديمومة هي المقولة الأولى في الزمن التاريخي أما الثانية فهي التغيّر المستمرّ. وإذا كان كل كائن حي في تجدّد دائم فالإنسان هو الوحيد في الكائنات، الذي يشعر بذلك التغيّر ويسجّله ويعطي الحياة البشرية بذلك وحدتها ما بين الأمس والغد. أما المقولة الثالثة في الزمن التاريخي فهي التنوّع، تنوّع الأفعال وردود الأفعال. الحياة الإنسانية لا تتغيّر فقط ولكن تخصب باستمرار. تزداد غنى وتنوّعًا وتعقدًا وتركيبًا بالتأثير والتأثير المرتدّ، وتنامي المعرفة، وتشعّب الفكر والعمل. مجموع هذه المقولات الثلاث المميّزة للزمن التاريخي هي ما يمكن أن نسمّيه بحس الماضي أو الحس التاريخي. (علف، فت، ١٨٢، ١٧)

تفاضل في الجماعة

- إذا كان التفاضل في الجماعة الإسلامية الجديدة إنما يقوم على السبق في الإسلام وعلى مدى السابقة في النضال دونه مما أوجد طبقات المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان والمبشرين بالجنة وأصحاب فتح مكة... فإن النظام الإسلامي حين سجّل على يد عمر وحسب تعليماته، إنما اتّبع بعد ذكر رسول الله وآله، النظام القبلي من جديد. ودوّن المسلمون للعطاء على هذا الأساس فعاد الاهتمام بالأنساب إلى سابق عهده. ولا شكّ أن تنظيم الجيوش الإسلامية عند الفتح على أساس القبائل هو الذي دعا إلى هذا التنظيم ولكن النتيجة العملية لذلك كانت عودة الأنساب إلى مكانتها لا كحاجة علمية - اجتماعية فقط، ولكن كحاجة اقتصادية أيضًا لما ارتبط بها من العطاء والأرزاق، لا سيّما وقد نظّمت المدن الإسلامية الجديدة وجرى نزول الناس فيها على أساس قبلي. ومن جهة أخرى فقد وصلت "الأيام" الجاهلية القبلية "بأيام قومية" جديدة حقّقتها الفتوح وتجاوزت في أبعادها حدود الوسط القبلي لتصبح حدثًا "قوميًّا" و"عالميًّا". ولم يترتّب على حفظ أخبارها ورواياتها من المفاخر الهامة بقدر ما ترتّب على ذلك من نتائج مادية تتعلّق من جهة بعطاء الجنود الفاتحين وأرزاقهم وإقطاعهم الذي أقطع لهم، وتتعلّق من جهة أخرى بالبلاد المفتوحة نفسها وشروط فتحها ومقدار ما تدفع من جزية وما يجب على أرضها من خراج أو عشر وما أعطي لبعض المدن المفتوحة أو الفئات الدينية أو الأقطار من حقوق أو عهود محفوظة. (مص، رخ١، ١١٥، ٥)

تفتيش

- لاعتماد التأريخ على المصادر اعتمادًا أساسيًّا إن لم نقل كليًّا هو الذي يدفع المؤرّخين، وسواهم من المهتمين

بالماضي، إلى التفتيش عن هذه الآثار، وجمعها، وحفظها من التلف والضياع، وتيسير الوصول إليها. من هنا كانت المتاحف والمكتبات وسواها من المؤسسات، القائمة في أنحاء العالم المتحضّر، المتسابقة إلى البحث عن الآثار المخطوطة وغير المخطوطة، وإلى اقتنائها وصيانتها من العبث والاندثار. ومن هذا أيضًا كانت الفهارس الوافرة الضخمة لوصفها وإرشاد الناس إليها، والوسائل المستحدثة لتسهيل نقلها وتصويرها وجعلها في متناول من يريد الاطلاع عليها. (زري، نحن، ٧٠، ٢١)

تفرّق

- الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرّق ثمرة سوء الخلق. فحسن الخلق يوجب التحابب، والتآلف، والتوافق. وسوء الخلق يثمر التباغض، والتحاسد، والتدابر. (أزر، بدع٢، ٨٨٦، ٥)

تفسير التاريخ

- هناك مدارس أو اتجاهات مختلفة حول تفسير التاريخ وبيان الدوافع التي تحرّك الأمواج التاريخية الكبرى، فالماديون يرون أن المادية أو الاقتصاد هو المحرك الرئيسي للتاريخ، وأن كبريات الأحداث التي غمرت الكون نشأت بسبب الصراع على المادة، ويتّخذون من حروب طروادة، ومن الصراع القديم بين الفرس واليونان مثالًا. ثم بين الفرس والروم، ومن الدوافع التجارية في الحروب الصليبية، ومن الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، دليلًا على ذلك. ويعدّ أرنولد هيرن (Arnold Heeren 1670-1742)، من أسبق من تبنّوا هذا الاتجاه، ثم تزعّمه الفكر الماركسي الذي يقرّر أن أحداث التاريخ لا ترجع إلى بواعث فكرية، بل تبرز هذه الأحداث تبعًا لظروف الحياة المادية، وبالحاصل الاقتصادي. وعلى هذا، فالفكر - عند الماركسيين - لا يحرّك أحداث التاريخ إلا بعد أن تعتنقه الجماهير وترى فيه عونًا ماديًا للخلاص من قوة مادية، فالقوة - كما يقولون - لا تقاوم إلا بالقوة المادية، ولكن النظرية تصبح قوة مادية عندما يعتنقها الجماهير، فالفكر والمادة يتعايشان في وحدة يؤثّر كل منهما على الآخر ويتطوّر معه. وهناك اتّجاه آخر يرى أن الجانب الروحي والفكري هو أهم تفسير للتاريخ، وأن معظم الهزات العالمية كانت نتائج للاتجاهات الروحية. فالصراع بين قريش والمسلمين كان دينيًا، والحروب الصليبية كان دافعها الرئيسي دينيًا، والصراع بين الأرثوذكس والبروتستانت كان دينيًا كذلك، وكذلك كان الصراع الذي اندفع له الخوارج في التاريخ الإسلامي. ومن الواضح أن الاتجاه الفكري معترف به عند الماديين، ولكنهم كما أوضحنا آنفًا لا يرونه ذا بال إلا بعد أن تعتنقه الجماهير، أما أصحاب المذهب الروحي فيرون الاتجاه الفكري قويًا حتى قبل أن تعتنقه الجماهير. فصمود المسيحيين أمام الرومان الوثنيين، وصمود القلّة المسلمة أمام قوة قريش العاتية التي كان

العرب يؤيّدونها في مطلع الإسلام، كل ذلك خلق من الفكر قوة، ووهبه البقاء حتى استطاع أن ينتشر ويزدهر، ولم يكن زحف المسلمين على إمبراطوريتي الفرس والروم مؤيّدًا بالقوة بمقدار ما كان مؤيّدًا بالفكر والرغبة في إحدى الحسنين. وهناك اتجاه ثالث يفسّر التاريخ تفسيرًا نفسيًا، فيرى أن أعظم أحداث التاريخ ارتبطت بصراع نفسي لدى شخص معيّن، استطاع بطريق أو بآخر أن يحصل على سلطة مادية أو معنوية، فهو بدافع الصراع النفسي والحقد الداخلي من جانب، وبقوة السلطة التي حصل عليها من جانب آخر يدفع بالمجتمع إلى الصراع لسبب أو لآخر، فيخلق الأحداث الكبرى وينظر لها نظرة تُرضي انحرافه، ويقف في قمّة من تصرف على هذا النحو الربيع يونس وابنه الفضل اللذان شغلا أرقى المناصب في قصور الرشيد والأمين، وعاصرا البرامكة وآل سهل، مع الفرق الكبير في المحتد والأرومة، فدفعهما الصراع النفسي إلى خلق المؤامرات، وإشعال الحروب العاتية ... والذي يبدو لي أن وضع حواجز حصينة معيّنة بين هذه الدوافع لا يمكن أن يتمّ، فكل منها دافع له وزنه، وقد يوجد دافعان منها أو توجد الدوافع الثلاثة كلها متعاونة في حدث واحد. ويتّضح ذلك من دراستنا للحروب الصليبية التي تعاونت أسباب عدّة في خلقها. (شل، سلم، ٢٢، ٦)

تفسير تاريخي

- الأركيولوجيا تعتبر عادة من مجموعة العلوم الإجتماعية، فهي مثل هذه العلوم يمكنها أن تفتح جوانب للنظر جديدة في أي منطقة وفي أي زمن في الماضي، إنها تصحّح التشويهات التي لا بدّ أن تظهر من السماح لنوع واحد من المصادر، وخاصة الأدلّة المكتوبة، من السيطرة على التفسير التاريخي، غير أن مساهمتها الخاصة هي في التوسّع الهائل الذي قدّمته في رؤية المؤرّخ للزمان والمكان. إنها فتحت ميادين كانت مغلقة كليًّا، وأجبرت المؤرّخ أن يتّخذ من عمله نظرة أوسع وأكثر عالمية. (بار، وجه، ١٨٥، ١١)

تفسير النص

- تفسير النص ... يكون على وجهين: أولهما تفسير ظاهر النص، وثانيهما إدراك غرض المؤلّف. فعلى المؤرّخ المدقّق المنقّب، حيث يحاول تفسير ظاهر النص، أن يلمّ أولًا بلغة الأصل الذي يدرس. وعليه أن يجيد فهم هذه اللغة كما عُرِفت واستعملت في العصر الذي عاش فيه راوي الرواية. فمعاني المفردات تتطوّر وتتغيّر أحيانًا مع تطوّر الظروف وتغيّر الأحوال، وكفانا دليلًا على ذلك بعض أعمال المجمع اللغوي في مصر، وما وضعنا في هذا الكتاب من المعاني الجديدة العصرية في بعض المفردات والاصطلاحات التي استعملت في كتب الحديث والتفسير منذ مئات السنين. وعلى المؤرّخ أيضًا أن يذكر أن المفردات والاصطلاحات اللغوية تختلف أيضًا باختلاف الإقليم. وقد تختلف باختلاف الكاتب نفسه. وحيث

يشعر المؤرّخ المدقّق بشيءٍ من الشكّ في فهم بعض هذه الدقائق اللغوية في أصل من الأصول يجدر به أن يكمل قراءة النص أولًا لعلّه يقف على إيضاح ما التبس. فإن أعياه ذلك فعليه بسائر كتب المؤلّف. وإذا لم يجد التفسير في النص نفسه، ولا في مؤلّفات المؤلّف الأخرى، رجع في ذلك إلى أقوال الزملاء المعاصرين. هذا وأن "لا أدري" لمن العلم! وقد يكتفي المؤرّخ، في قراءة الأوامر الإدارية وبعض النصوص التاريخية القصصية، بتفسير ظاهر النص لإدراك غرض المؤلّف. وذلك أن واضع النص، في مثل هذهِ الظروف، يتوخّى استعمال الألفاظ التي توضّح المعنى دون أي تردّد في الأمر. فإذا ما نجح المؤرّخ في فهم ظاهر النص توصّل إلى إدراك المعنى الحقيقي. وقد يلمس المؤرّخ غموضًا أو نقصًا أو تناقضًا في المعنى، إذا هو استمسك بظاهر النص. فقد يكون في الكلام كناية، أو مجاز، أو استعارة، أو تشبيه، أو هزل، أو مداعبة، أو تلميح، أو تعريض، وما إلى ذلك.
(رس، مصط، ٤٣، ٨)

تفسير نفسي

- هناك مدارس أو اتجاهات مختلفة حول تفسير التاريخ وبيان الدوافع التي تحرّك الأمواج التاريخية الكبرى، فالماديون يرون أن المادية أو الاقتصاد هو المحرك الرئيسي للتاريخ، وأن كبريات الأحداث التي غمرت الكون نشأت بسبب الصراع على المادة، ويتّخذون من حروب طروادة، ومن الصراع القديم بين الفرس واليونان مثالًا. ثم بين الفرس والروم، ومن الدوافع التجارية في الحروب الصليبية، ومن الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، دليلًا على ذلك. ويعدّ أرنولد هيرن (Arnold Heeren 1670-1742)، من أسبق من تبنّوا هذا الاتجاه، ثم تزعّمه الفكر الماركسي الذي يقرّر أن أحداث التاريخ لا ترجع إلى بواعث فكرية، بل تبرز هذه الأحداث تبعًا لظروف الحياة المادية، وبالحاصل الاقتصادي. وعلى هذا، فالفكر - عند الماركسيين - لا يحرّك أحداث التاريخ إلا بعد أن تعتنقه الجماهير وترى فيه عونًا ماديًا للخلاص من قوة مادية، فالقوة - كما يقولون - لا تقاوم إلا بالقوة المادية، ولكن النظرية تصبح قوة مادية عندما يعتنقها الجماهير، فالفكر والمادة يتعايشان في وحدة يؤثّر كل منهما على الآخر ويتطوّر معه. وهناك اتّجاه آخر يرى أن الجانب الروحي والفكري هو أهم تفسير للتاريخ، وأن معظم الهزات العالمية كانت نتائج للاتجاهات الروحية. فالصراع بين قريش والمسلمين كان دينيًّا، والحروب الصليبية كان دافعها الرئيسي دينيًّا، والصراع بين الأرثوذكس والبروتستانت كان دينيًّا كذلك، وكذلك كان الصراع الذي اندفع له الخوارج في التاريخ الإسلامي. ومن الواضح أن الاتجاه الفكري معترف به عند الماديين، ولكنهم كما أوضحنا آنفًا لا يرونه ذا بال إلا بعد أن تعتنقه الجماهير، أما أصحاب المذهب الروحي فيرون الاتجاه الفكري قويًّا

حتى قبل أن تعتنقه الجماهير. فصمود المسيحيين أمام الرومان الوثنيين، وصمود القلّة المسلمة أمام قوة قريش العاتية التي كان العرب يؤيّدونها في مطلع الإسلام، كل ذلك خلق من الفكر قوة، ووهبه البقاء حتى استطاع أن ينتشر ويزدهر، ولم يكن زحف المسلمين على إمبراطوريتي الفرس والروم مؤيّدًا بالقوة بمقدار ما كان مؤيّدًا بالفكر والرغبة في إحدى الحسنين. وهناك اتجاه ثالث يفسّر التاريخ تفسيرًا نفسيًا، فيرى أن أعظم أحداث التاريخ ارتبطت بصراع نفسي لدى شخص معيّن، استطاع بطريق أو بآخر أن يحصل على سلطة مادية أو معنوية، فهو بدافع الصراع النفسي والحقد الداخلي من جانب، وبقوة السلطة التي حصل عليها من جانب آخر يدفع بالمجتمع إلى الصراع لسبب أو لآخر، فيخلق الأحداث الكبرى وينظر لها نظرة تُرضي انحرافه، ويقف في قمّة من تصرف على هذا النحو الربيع يونس وابنه الفضل اللذان شغلا أرقى المناصب في قصور الرشيد والأمين، وعاصرا البرامكة وآل سهل، مع الفرق الكبير في المحتد والأرومة، فدفعهما الصراع النفسي إلى خلق المؤامرات، وإشعال الحروب العاتية ... والذي يبدو لي أن وضع حواجز حصينة معيّنة بين هذه الدوافع لا يمكن أن يتمّ، فكل منها دافع له وزنه، وقد يوجد دافعان منها أو توجد الدوافع الثلاثة كلها متعاونة في حدث واحد. ويتّضح ذلك من دراستنا للحروب الصليبية التي تعاونت أسباب عدّة في خلقها. (شل، سلم، ٢٣، ١٦)

تفكير تاريخي

- من اختبر العلم وعرف العلماء حق المعرفة يستطيع أن يميّز بين من حذق الصناعة العلمية فحسب وبقي ضمن حدودها فكان تكنيكيًا محضًا، ومن اتّسع أفقه وألحّ تساؤله وعمّق اختباره فحقّق معنى العلم والعالم بصورة أشمل وأغنى، فنفذ إلى متضمّنات الأسلوب وعرف حدوده، وناقش موضوع علمه ومعطياته، وربط نتائجه بنتائج سواه من العلوم، وسيطر بفكره على مادته وأسلوبه وصناعته بدلًا من أن يكون محدودًا بها وخاضعًا لها (هوذا صاحب التفكير العلمي أو التفكير التاريخي). (زري، نحن، ١١٢، ١١)
- أول ما يتميّز به التفكير التأريخي هو أنه نظر في الإنسان. فالمعروف المتناقل أن التأريخ يبحث في الماضي. ولكن ماضي من أو ماذا؟ إن للكائنات غير الحية: للكواكب والنجوم، للجبال والسهول والبحار إن لهذه كلها ماضيها. ولكن هذا الماضي هو موضوع علم أو علوم أخرى غير التأريخ بالمعنى الدقيق، ولا تتّصل بهذا التأريخ إلا بقدر ما أثّرت الأحداث التي تعنى بها، بالإنسان أو بقدر ما أثّر هو بها. وكذلك أن للنبات والحيوان ماضيًا، إذ هما يخضعان للتحوّل والتغيّر. على أن التأريخ هنا أيضًا لا يعنى بهما إلا بالنسبة لعلاقة هذا التغيّر والتحوّل بالإنسان فاعلًا أو منفعلًا. ولذا قلنا: "لا تأريخ بلا إنسان". إن كثيرين من الناس يدرسون التأريخ ويدرّسونه بشكل مجرّد، فيسلبونه

لبّه ومحتواه. إنهم يردّدون سنوات وأسماء وأحداثًا دون أن ينفذوا إلى الحياة البشرية التي تنساب فيها. وكذلك ينظر بعض المؤرّخين إلى الآثار والمخلّفات الماضية: يقرأون نقوشها، ويفكّون رموزها، ويحلّلون لغتها، دون أن يلمسوا النشاط الإنساني الذي صدرت عنه. فوراء أي أثر أو نقش أو كتاب أو أية بقية مادية من بقايا الماضي: إنسان، أو أناس عاشوا وجهدوا، وأحبوا وكرهوا، وفرحوا وتألّموا، واختبروا الحياة اختبارات قد تكون مماثلة لاختباراتنا الحاضرة أو مختلفة عنها، ولكنها على كل حال، اختبارات إنسانية هي، في النهاية، لبّ الماضي ومحتواه. (زري، نحن، ١١٣، ٥)

- الأمر في تعليم التأريخ في كثير من الأحيان: أنه يكاد لا يتعدّى تلقين "حقائق الماضي" - وأهمها في نظر الملقّنين والملقَّنين أسماء الملوك والحكّام وقادة الحرب، والمعارك التي خاضوها والمعاهدات التي عقدوها، والأحداث السياسية والتواريخ التي جرت فيها. هذه "الحقائق" ينتظر من التلميذ أو الطالب أن يحفظها ويردّدها. فلا عجب في أن يعرض النشء عن هذا العلم ويجفوه، وأن يتحوّل عنه إلى ما هو أدعى إلى أعمال الفكر وأوثق صلة بالحياة. بل كثيرًا ما يكون التدريب العلمي التأريخي في المراحل الجامعية خلوًّا من هذا العنصر الإحيائي، فيأتي فاترًا جافًّا آليًّا قد ينجح في الترويض على أسلوب وطريقة، ولكنه يخفق في تفتيح العقل وإنماء الشخصية. والعيب في هذا التعليم كله إنه لا يتوصّل إلى الكشف عن جوهر الماضي، وإحياء العنصر الذي يكوّنه، ألا وهو الإنسان، فردًا ومجموعًا: الإنسان شاعرًا ومفكّرًا، مغتبطًا ومتألّمًا، جاهدًا وخاملًا، غالبًا ومغلوبًا، حريصًا على العيش وخائفًا من الفناء، متأثّرًا بما حوله ومؤثّرًا فيه. إن النفاذ إلى هذا الجوهر هو الشرط الأول من شروط التفكير التأريخي الصحيح. (زري، نحن، ١١٤، ٢٣)

- التفكير التأريخي يحرص على أن يضع الإنسان في حيّزه الاجتماعي، وأن يدرك العلاقات التي تربطه بما حوله وأثر هذه العلاقات في تكوين معتقداته وأساليب فكره وعمله. فالإنسان، كما قال أرسطو، حيوان ناطق، ولكنه بتعريف آخر لأرسطو أيضًا: حيوان سياسي (أي إجتماعي). بل أن المعنى الأول (النطق أو العقل) لا يتحقّق، ولا تتحقّق بالتالي إنسانية الإنسان، إلا بالاجتماع. ولذا فكل "تجريد" للإنسان، أو فصل للفرد عن المجتمع، إنما هو إخلال بالحياة وتجاوز لسننها، لأن الحياة كيان عضوي متماسك يأبى البتر ويرفض الانقسام. حتى الناسك المتزهّد المنعزل عن سواه من الناس، لا يمكننا أن ننفذ إلى صميمه وندرك حقيقته إلا إذا وضعناه في حيّزه الاجتماعي ضمن الظروف والأحوال التي كانت سائدة في مجتمعه، وأدركنا على ضوئها الدوافع التي

دفعته لأن يثور على المجتمع أو يهرب منه. ويذهب بعض الباحثين في تأكيد هذه الحقيقة إلى جعل الإنسان كله مجتمعًا أو طبقة أو أمة أو حضارة. فالتأريخ عندهم هو إدراك المجتمعات أو الطبقات أو الأمم أو الحضارات الماضية في علاقاتها بعضها ببعض وفي تطوّرها بعضها إلى بعض. وهم إن اختلفوا في ما يعدّونه الوحدة الاجتماعية الأصيلة - الأمة أو الطبقة أو الحضارة أو سواها - فهم يكادون يتّفقون في جعل وحدتهم التي يختارون محور الحياة ولبّ التاريخ. (زري، نحن، ١١٥، ٦)

- من مقوّمات التفكير التأريخي الصحيح إبداء ما تتميّز به الحياة الإنسانية من غنى وتشابك وتعقّد. لنأخذ أي حدث من الأحداث التي تتوالى على مسرح حياتنا الحاضرة: نرَ أنه نتيجة عوامل كثيرة متداخِلة، وملتقى تيارات تجري من كل صوب وناحية. (زري، نحن، ١١٦، ١٠)
- التفكير التأريخي ... لا يكتفي بوضع الأحداث في حيّزها الاجتماعي. بل يتناولها في حيّزها الزمني أيضًا. أنه يعي الزمن. فإذا نظر غيره إلى الأمور بأبعادها الثلاثة (ولنقل في حيّزها المكاني)، أضاف هو بعدًا رابعًا، ووضعها في حيّزها الزماني والمكاني معًا. إنه يتساءل عن الـ "متى" ولا يستقرّ أو يستريح إلا إذا ربط الحدث بما قبل وما بعد وركّزه في برهة معيّنة من مجرى الزمن المتدفّق. على أن التفكير التأريخي يأبى هنا أيضًا التجريد وبتر الأوصال. فليس الزمن الذي يهتمّ به شيئًا قائمًا بذاته منفصلًا عن الحياة، وإنما هو الحياة نفسها في تحرّكها وجيشانها وتدفّقها وانتقالها من حال إلى حال. وبكلمة أخرى هو الحياة في صيرورتها. فموضوعه ليس موضوعًا جامدًا ثابتًا، بل "الأحداث" البشرية، والأحداث نتيجة تغيّر وتبدّل. فإذا وقف عند أحد هذه الأحداث، كإعلان الحرب بين انكلترا وألمانيا في ١ أيلول ١٩٣٩ ، أو كمبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة في شوال سنة ٤٠هـ، أو كاكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية صيف عام ١٦٦٦ ، فإنه لا يتمالك من أن يتساءل عمّا حدث قبله وأدّى إليه، وعمّا جاء بعده ونتج عنه. (زري، نحن، ١١٨، ١٦)
- التحفّظات التي يتطلّبها التفكير التأريخي ليكون صحيحًا متّزنًا ما يلي: ١- قد يستنتج ... أن الحياة صيرورة دائمة وسيلان مستمرّ، إن هذه الصيرورة هادئة سليمة في جميع مراحلها، وأن نهر الحياة يجري وادعًا مطمئنًّا في اتجاه واحد دون انحراف أو ارتداد. ولعلّ هذه النظرة كانت سائدة في القرن الماضي لما كان يشعر به الناس حينذاك من ثبات واستقرار ومن تقدّم مستمرّ في العلم والإنتاج. غير أن الزعازع التي عصفت بالإنسانية في النصف الأول من هذا القرن، والأخطار التي تلوح في الآفاق الحاضرة وهي أشدّ هولًا، قد هزّت منا الوعي والضمير، وجعلتنا نعود فندرك مجدّدًا أن مجرى الحياة يختلف في مراحله المتتالية هدوءًا وصخبًا، وعلوًّا

وهبوطًا، وبطأ وسرعة، وأن الصيرورة تأتي رقيقة مستقرّة حينًا عنيفة عاصفة حينًا آخر، وأن طريقها ليس مستقيمًا دومًا، بل كثيرًا ما يلتوي وينحرف ويرتد. ولذا يجب علينا أن نميّز بين هذه المراحل المختلفة، ونتبيّن خصائصها، ونلحظ الشدّة والعنف والثورة والارتداد كما نلحظ الدعة والاستقرار والتقدّم، ونرى الإبداع حيث يكون الإبداع ونقرّ بالجدب والتأخّر والانتكاس حين تطلّ علينا حقائقها المؤلمة من وراء الأحداث. إن الحياة ظفر ومأساة، والتفكير التأريخي الصحيح يدرك ما ينطوي عليه كل من هذين المعنيين، وما ينطويان عليه معًا. ٢- يقودنا هذا التحفّظ إلى تحفّظ آخر متّصل به. وهو شكّنا وارتيابنا في كل تحتيم يؤكّد أن الحياة قد سارت في الماضي وستسير في المستقبل نحو غاية معيّنة ليس لها بدل ولا عنها مرد. لقد عرف الفكر الإنساني مذاهب متعدّدة تقول هذا القول، وهي إن اختلفت في تعيين القوة أو القوى التي تدفع التاريخ في مجراه، أو في تحديد الاتجاه الذي يسير فيه أو الغاية التي يجدّ نحوها، فإنها تكاد تتّفق في تحتيم الاتجاه والمراحل والمصير فمنها مثلًا ما يرى أن الحياة في ارتقاء مستمرّ وتقدّم دائم إلى أن يبلغ الإنسان الكمال والسعادة التامة على سطح هذه البسيطة، ومنها ما يقول إن كل حضارة تنشأ وتزدهر ثم تنحطّ وتندثر بحسب قوانين معيّنة لا هرب لها منها ولا نجاة. بعضها تجعل القوة المسيّرة المحتّمة قوة علوية، وأخرى تؤمن بالقوى الإنتاجية والعلاقات الإقتصادية، وغيرها تركز اهتمامها بالعقل واستمرار تفتحه وتدرّجه في رؤية الحقيقة والسير في هديها. . . . ٣- ومن أخطاء التفكير التأريخي المتطرّف في تركّزه على الصيرورة والتغيّر، نظرته إلى كل حدث من حيث زمنه وعصره ومرحلته فحسب. فكل عمل من الأعمال الإنسانية يصبح، حسب هذه النظرة، نتيجة "الظروف" التي كانت قائمة في زمنه، و"الأحوال" التي كانت سائدة، فإذا فهمنا منشأه والمرحلة التي يمثّلها، فقد استوعبنا معناه، ولن نستطيع أن نحكم له أو عليه إلا من ضمن هذه الظروف والأحوال. فليس ثمّة شيء ثابت مطلقًا: ليس ثمّة حقيقة ثابتة أو خير ثابت، أو أية عناصر في الإنسان غير خاضعة للتحوّل والتغيّر. بل كل ما لدينا أشياء وأحداث وأحكام نسبية تصحّ في زمن ولا تصحّ في زمن آخر، وتقوم في مرحلة وتختفي في أخرى. (زري، نحن، ١٢٠، ١٧)

- ينبغي للتفكير التأريخي، في نظرنا، أن يستجلي العوامل التي أدّت إلى تقدّم الإنسان ورقيه وتحرّره وتلك التي عملت على إضعافه وتأخّره وانحطاطه. (زري، نحن، ١٢٥، ١١)

- التفكير التأريخي . . . ينفذ من خلال الأحداث الماضية إلى مضمونها الإنساني، ويرى ما في هذا المضمون من غنى وتعقد وترابط صلات، وما يجيش به من حركة، وما يتّصف به من صيرورة، ثم يسعى إلى

الوقوف على أسرار هذه الصيرورة، من حيث اتجاهها ومصيرها والعوامل الدافعة لها ومدى ما تتضمّنه من تراكم وتقدّم ومن وحدة وتكامل. (زري، نحن، ١٢٨، ٦)

تفكير علمي

- من اختبر العلم وعرف العلماء حق المعرفة يستطيع أن يميّز بين من حذقَ الصناعة العلمية فحسب وبقي ضمن حدودها فكان تكنيكيًّا محضًا، ومن اتّسع أفقه وألحّ تساؤله وعمّق اختباره فحقّق معنى العلم والعالم بصورة أشمل وأغنى، فنفذ إلى متضمّنات الأسلوب وعرف حدوده، وناقش موضوع علمه ومعطياته، وربط نتائجه بنتائج سواه من العلوم، وسيطر بفكره على مادته وأسلوبه وصناعته بدلًا من أن يكون محدودًا بها وخاضعًا لها (هوذا صاحب التفكير العلمي أو التفكير التاريخي). (زري، نحن، ١١٢، ١١)

تقرّب الناس

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ١٩)

تقليد

- يعطي ابن خلدون لمفهوم التقليد في مجال علم التاريخ معنى يتّفق مع تصوّره لهذا العلم. فنقد التقليد هنا يعني رفض كل خبر تاريخي لا تسنده قوانين العمران. فعلى العقل أن يستردّ كل حقّه في النقد. لذا، ففي الجزء الخاص بنقد التاريخ من المقدمة نجد المؤلّف يلحّ على عمل خاص للعقل: النقد. فأمام التراكم الهائل للمكتوب التاريخي والاستنساخ اللاواعي لكلّ ما قاله القدامى تكون مهمة العقل الأولى هي النقد، ويكون الهدف هو الإفلات من التقليد. المؤرّخون المقلّدون يعيدون وهم ذاهلون إنتاج أخبار أُنشئت في ظروف مضت ومن أجل أعيان وَلّوا مع أزمان خلت. (أوم، نهج، ٦٥، ١٥)

تقميش

- قال المحدّث الشهير أبو حاتم الرازي من أعيان القرن الثالث "إذا كتبت فقمّش وإذا حدّثت ففتش" وقد جاء في المحيط قمش القماش يقمشه قمشًا جمعه من ههنا وههنا والقماش ما على وجه الأرض من فتاة الأشياء وتقمّش الرجل أكل ما وجد وإن كان دونًا. فإحياء لذكر الرازي واعترافًا بجهود المحدثين وفضلهم على علم التاريخ نرى من الواجب أن نسمّي أول خطوات المؤرّخ المدقّق المنقّب التقميش. فنقول على المؤرّخ قبل كل شيء أن يُعنى بتقميش الأصول لأنه إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها. والآن وقد ثبت لدينا

وجوب التقميش ننتقل إلى النظر في كميته فنتساءل أيجب أن نجب كل الأصول أم نكتفي ببعضها؟ وبطبيعة الحال يصبح هذا البعض ما يسهل علينا الوصول إليه - ما قد نجده مثلًا في البلدة التي نقيم فيها أو في أقرب المكاتب إلينا - نتساءل فنجيب إذا كانت غاية المؤرّخ الوصول إلى الحقيقة فالحقيقة هي كل الحقيقة لا بعضها وهي وحدة تامة لا تتجزّأ. (رس، مصط، ٣، ٣)

تقميش الأصول

- قال المحدّث الشهير أبو حاتم الرازي من أعيان القرن الثالث "إذا كتبت فقمّش وإذا حدّثت ففتش" وقد جاء في المحيط قمش القماش يقمشه قمشًا جمعه من ههنا وههنا والقماش ما على وجه الأرض من فتاة الأشياء وتقمّش الرجل أكل ما وجد وإن كان دونًا. فإحياء لذكر الرازي واعترافًا بجهود المحدثين وفضلهم على علم التاريخ نرى من الواجب أن نسمّي أول خطوات المؤرّخ المدقّق المنقّب التقميش. فنقول على المؤرّخ قبل كل شيء أن يُعنى بتقميش الأصول لأنه إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها. والآن وقد ثبت لدينا وجوب التقميش ننتقل إلى النظر في كميته فنتساءل أيجب أن نجب كل الأصول أم نكتفي ببعضها؟ وبطبيعة الحال يصبح هذا البعض ما يسهل علينا الوصول إليه - ما قد نجده مثلًا في البلدة التي نقيم فيها أو في أقرب المكاتب إلينا - نتساءل فنجيب

إذا كانت غاية المؤرّخ الوصول إلى الحقيقة فالحقيقة هي كل الحقيقة لا بعضها وهي وحدة تامة لا تتجزأ. (رس، مصط، ٣، ٤)

تقنيات جديدة

- للتقنيات الجديدة أثر غير مباشر على المؤرّخ، من حيث إنها وسيلة لجعل مصادره أقرب تناولًا، كما أن لها أثرًا مباشرًا أكثر أهمية على عمله وعلى موقفه من عمله، وعلى تنظيم البحث التاريخي، وأهم هذه التقنيات الجديدة هو استعمال الآلة الحاسبة الإلكترونية. وقد قيل "إن التاريخ هو ليس أول علم أكاديمي يتبدّل بظهور الأجهزة المتعلّقة بعملية المعلومات، والواقع أنه واحد من أواخر العلوم التي تبدّلت بهذا السبب، غير أنه يبدو أن النتائج ستكون واسعة ومستمرّة، ومن بين كافة العلوم المساعدة الحديثة التي تحت تصرّف المؤرّخ؛ ستكون تقنيات الآلات الحسّابة أكثرها ثورية عند التطبيق. (بار، وجه، ٣٢٧، ٢)

تمدّن

- النظر في التمدّن ... لا يكون واضحًا وافيًا إلا إذا تقدّمه البحث عن حال تلك الأمة في بداوتها، وكيف تدرّجت إلى الحضارة وما هي العوامل التي ساعدتها على ذلك. (زي، مدن١، ٢١، ٨)
- دولة حمورابي واضع أقدم الشرائع الإنسانية التي وصلت إلينا، وقد أتينا ... بالأدلّة التي ترجح كون دولته عربية، وبيّنا أن تلك الأمة كان لها تمدّن عظيم وآداب راقية. وكانت للمرأة فيها منزلة وحرية، حتى تقلّدت المناصب السياسية والقلمية وتفرّع من الحمورابيين بعد ذهاب دولتهم دول العمالقة المختلفة، ومن فروعهم عاد وثمود والأنباط وعرب تدمر وغيرها. (زي، مدن١، ٢١، ٢١)
- العرب الإسماعيلية وهم أهل الحجاز ونجد فأكثرهم أهل بادية، وقد ظهر منهم دول قبل الميلاد وبعده، أشهرها دول القبائل صاحبة الوقائع التي جرت بينهم قبيل الإسلام والتي تعرف بأيام العرب ثم أن العرب ليس في أرومتهم ما يمنع استعدادهم للحضارة، لأنهم أخوان الآشوريين والكلدانيين والفينيقيين، ولهم استعدادهم وأهليتهم. فالذين أقاموا منهم في بلاد مثل بلاد ما بين النهرين أدهشوا العالم بمدنيتهم. والمقيمون في جزيرة أكثر بقاعها جرداء لا أنهر فيها ولا جداول، وإنما يستقون من مياه المطر، قضوا قرونا في البداوة. فلما أتيحت لهم الإقامة في البلاد الخصبة بعد الإسلام، لم يكن تمدّنهم فيها يقصر عن تمدّن أولئك. (زي، مدن١، ٢٢، ٢٤)
- ثمار التمدّن كالثروة والأبّهة والعلم والأدب والصناعة والتجارة ونظام الهيئة الاجتماعية وآدابها. وأما حقيقة التمدّن فهي ما ينتج عنه من الخير أو الشرّ، من السعادة أو الشقاء للمستظلّين بظلّه أو سواهم من بني الإنسان. ومن ظواهر

التمدّن الإسلامي الثروة والعلم والأدب والصناعة والتجارة، ونظام الهيئة الاجتماعية وآدابها. (زي، مدن٢، ١١، ٥)

تمدّن إسلامي

- التمدّن الإسلامي ليس أول عهد العرب بالحضارة. فقد كان المعينيون والسبأيون والحميريون واسطة عقد التجارة بين الشرق والغرب، لتوسّط بلاد اليمن بين الممالك المتمدّنة في ذلك الحين. فكانت تجارات الهند تحمل في البحر الهندي إلى بلاد اليمن وحضرموت، فيحملها أهل اليمن إلى الحبشة ومصر وفينيقية وبلاد الادوميين والعمالقة وبلاد مدين وبلاد المغرب. وكذلك كان الإسماعيليون ينقلون التجارة من اليمن وموانىء بحر العرب إلى بلاد الشام، وساعد العرب على التوسّع في وسائل التجارة - فضلًا عن توسّط بلادهم - أنهم كانوا يتكلّمون لغة قريبة من لغات أكثر الأمم المتمدّنة في ذلك الحين. لأن اللغات السامية كانت يؤمئذٍ لا تزال متقاربة لفظًا ومعنى. فالعربي والكلداني والآشوري والعبراني والحبشي والفينيقي كانوا يتفاهمون بلا واسطة لقرب عهد تلك اللغات بالتشعّب. (زي، مدن١، ٢٢، ٢٦)

- لا ننكر أن التمدّن الإسلامي قام على أنقاض التمدّنين اليوناني والفارسي، لكن شأن العرب في ذلك مثل شأن اليونان والرومان والفرس وسائر الدول العظمى. لأن اليونان اقتبسوا أكثر عوامل تمدّنهم من المصريين وزادوا فيها ووسعوها على مقتضى مؤثرات الطبيعة، حتى صار تمدّنًا معروفًا بهم. فأخذ عنهم الرومان وعدّلوا فيه تعديلًا طفيفًا جدًّا. وكذلك الفرس فإن تمدّنهم قام على أنقاض تمدّن الآشوريين والبابليين والكلدانيين قبلهم وأخذوا أيضًا عن اليونان. على أن تلك الأمم لم تستطع الظهور في عالم الحضارة إلا بعد أجيال متوالية. (زي، مدن١، ٢٩، ١٠)

تمدّن الأمة

- تمدّن الأمة يتناول النظر فيما بلغت إليه من سعة الملك والعظمة والثروة ووصف ما رافق تمدّنها من أسباب الحضارة وثمارها، ويدخل في ذلك تاريخ العلم والأدب والصناعة ولوازمها، كالمدارس والمكاتب والجمعيات، وبسط حال الدولة ومناصبها وما انتهت إليه من الرخاء، وما هو مقدار تأثير ذلك في هيئتها الاجتماعية. وذلك يستلزم وصف عادات الأمة وآدابها الاجتماعية ومناحيها السياسية وإسناد ذلك إلى أسبابه وبواعثه. (زي، مدن١، ٢١، ٢)

تمدّن حديث

- من أدران التمدّن الحديث، انغماس الحكومات الأوربية في الديون، وما من دولة إلا وهي مدينة بمال لا بدّ لها من تأدية فوائده، أو تسديد بعضه من دخلها كل عام. فهو عبء ثقيل على ماليتها

وسبب كبير في قلّة ما يفضل من دخلها، مع كثرة أبواب الدخل عندها ممّا فرضته من الضرائب المختلفة التي لم تكن معروفة في الدولة العباسية، أو كانت معروفة على صورة خفيفة جدًّا. (زي، مدن٢، ٩٩، ٨)

تمدّن غاية للبدوي

- نستطيع أن نفهم حركة التوجُّه من البادية نحو المدينة على نحو ما شرح ذلك ابن خلدون. إلا أن الشرح الذي يسوقه لهذه الحركة ليس مبنيًّا على تناقض تاريخي ... بل هو قائم على أسباب ذات طبيعة ميتافيزيقية. بعبارة أخرى، فإن هذه الحركة التي لم يدركها ابن خلدون إدراكًا كافيًا من حيث مصطلحات التاريخ، قد تحوَّل إدراكها عنده، في نهاية الأمر، إلى إدراك فلسفي. ومن ثم، فإن الفلسفة تقدّم لصاحب المقدّمة أحد مفاهيمه الأساسية، وهو مفهوم الغائية حتى يتسنّى له صياغة هذه الحركة الواقعية في تاريخ المغرب. إن ابن خلدون يستعير مبدأ الغائية الأرسطي، ليعبّر عن ميل البدو "الطبيعي" إلى حياة الحضر؛ فما دام كل كائن يسعى إلى غاية، فإننا نجد "التمدّن غاية للبدوي". (أوم، نهج، ١٥١، ٥)

تنافس قبلي

- ثلاثة أنواع من التوازن يمكن أن ينتهي إليها التنافس القبلي: أ- توازن قائم على تكافؤ عصبيتين قويتين. ب- توازن تضمنه هيمنة عصبية على العصائب الأخرى، وتنجح بعد ذلك في انتزاع الأمر من دولة في مرحلة الهرم. ج- حين تنجح عصبية في غلب جميع العصبيات الأخرى، ولكنها تصطدم بدولة لا تزال قوية، يقوم، عندئذٍ، توازن بين هذه العصبية وبين الدولة، ويكون هذا التوازن مرتكزًا على مشاركة الأولى في قسط من الثروة والسلطة، تتخلّى عنه الثانية مقابل وضعية الاستتباع. (أوم، نهج، ١٥٤، ٤)

تناقض بين روايتين

- قد تتعدّد الروايات التاريخية في أمر واحد فتتوافق أن تتناقض. وحيث تتناقض يحسن بالمؤرّخ أن يؤكّد بادئ بدء وقوع التناقض. لأن ما يظهر من التناقض لأول وهلة قد يتلاشى لدى التدقيق والتحقيق. فقد لا تتّفق الروايات في الزمان أو المكان أو الشخص المقصود أو ما شاكل ذلك. أما إذا ثبت التناقض فعلى المؤرّخ ما يأتي: ١) أن يترفّع عن اتّخاذ موقف وسط بين الطرفين. فإذا ما وقع مثلًا على أصل من الأصول فيه أن عدد المحاربين في واقعة كان عشرين ألفًا وآخر فيه أنهم كانوا أربعين ألفًا، فإنه من الخطإ الفاضح أن يوفق بين الطرفين فيزعم أن العدد كان وسطًا بين الطرفين أي ثلاثين ألفًا. فإن ما يصحّ في علم الرياضيات يصحّ هنا. فإذا جعل أحدهم حاصل الرقمين ٢ ضرب ٢ أربعة وجعل الآخر الحاصل ستة، فهل يقال إن الحاصل الحقيقي لا هذا ولا ذاك بل هو خمسة!. ٢) أن يعيد النظر في

الطرفين لعلّه يكشف الستار عن عيب في إحدى الروايتين لم ينتبه إليه أولًا. أو لعلّه يجد ما يجعله يثق بالواحدة أكثر من الأخرى. فيسقط ما قلّت ثقته فيه ويرجّح القول الآخر. ٣) أن يمتنع عن الحكم بين الطرفين إذا عمَّ الشكّ وبانت قلّة الثقة. فليس هنالك ما يضطرّه لإبداء رأيه وإصدار حكمه. والعالم من يعلم أنه لا يعلم. وما يصحّ عن التناقض بين روايتين يصحّ أيضًا عن التناقض بين رواية من الجهة الواحدة وروايتين أو أكثر من الجهة الأخرى. فلا عبرة للعدد في مثل هذه المواقف. والحقيقة العلمية لا تثبت بالتصويت والأكثرية، وقد قال الفلاسفة القدماء: "الوزن لا العدد" وحيث تتوافق الروايات التاريخية يجدر بالمؤرّخ المدقّق أن يتلفت إلى أمور عدّة منها ما يأتي: ١) عليه أن لا يتسرّع في الحكم فيظنّ أن جميع ما لديه من الروايات هو من النوع الذي يعوَّل عليه. فالناس كثيرًا ما ينقل بعضهم عن بعض وهذه جرائدنا اليومية. ألا ترى أن مخبرًا واحدًا أحيانًا ينقل الخبر نفسه إلى جرائد متعدّدة؟ وإذًا فالمؤرّخ المدقّق هو من يتروى في الأمر ويعيد النظر في الروايات ليؤكّد عدم اعتماد الرواة بعضهم على بعض. والتأكّد من الاعتماد أو عدمه ميسور لمن يسعى إليه. ... ٢) وعليه أن يذكر أيضًا أن شدّة الانطباق بين الروايات المختلفة توجب الشكّ لا الثقة. وهو أمر عرفه علماء التزوير في الخطوط وقالوا به منذ زمن بعيد. فحيث ينطبق إمضاء، معترض عليه، من جميع نواحيه وفي جميع دقائقه، على إمضاءٍ معترف به، يُرجّح وقوع التزوير. وحيث يشتدّ انطباق الروايات بعضها على بعض يزداد قلق المؤرّخ ويكثر ريبه. ٣) وهنالك تآلف بين الحقائق التاريخية لا بدّ من الالتفات إليه. والاستعارة هنا من علم الموسيقى. فكلّما تآلف الألحان المختلفة فتشكل مجموعًا موسيقيًا شائقًا مؤثّرًا في النفس، كذلك الروايات التاريخية المختلفة فإنها إذا ما عبّرت عن الحقيقة الراهنة تتآلف بعضها مع بعض فتتناصر على البطل وتلمع لمعان الحق. فيترتّب على المؤرّخ المدقّق أن ينظر إلى رواياته المتوافقة ليرى إذا كانت تتآلف فتتناصر وتظهر الحقيقة والعكس بالعكس. وقد تكتمل هذه الشروط في رواية من الروايات. ولكن المؤرّخ يجد تناقضًا بين مضمونها وناموس من نواميس العلوم الطبيعية. فيضطر والحالة هذه إلى إسقاط الرواية وصرف النظر عنها. (رس، مصط، ٩٥، ١٨)

تنجيم

- ميدان التنجيم هو التنبّؤ بالمستقبل وكل ما أفاده منه التاريخ هو محاولة بعض المؤرّخين تصحيح أو ضبط بعض الأحداث التاريخية عن طريق الأزياج والحسابات الفلكية. ولعلنا نذكر هنا منجّمًا معروفًا أسهم بدوره في كتابة التاريخ ضمن هذا المفهوم وإن لم يبق لما كتبه من أثر هو ما شاء الله المنجّم. واسمه

الأصلي ميشى (معناه يثرو) بن أثرى. وكان يهوديًا عاش من أيام المنصور إلى أيام المأمون يصفه ابن النديم بأنه "كان أوحد زمانه في علم الأحكام". وقد كتب كتاب الدول والملل وكتاب السلطان ولا شكّ أنه مارس فيهما معلوماته النجومية كما كتب كتابًا واضح العلاقة بين التاريخ والنجوم هو كتاب الواحد والعشرين في القرانات والأديان والملل. (مص، رخ١، ١٧٤، ١٢)

- كان أثر التنجيم بتنبؤاته السريعة الزوال والبعيدة المدى أقوى في التاريخ الوسيط منه في علم التاريخ الوسيط. لقد كان المؤرّخون مخلصين في واجبهم بالإخبار عن الماضي، لذا أخذوا من الفلكيين حساباتهم فيما يتعلّق بتاريخ الدنيا وتاريخ ما قبل الإسلام. وبهذه الوسيلة توفّر للمؤرّخين المسلمين الأوائل مقدار غير قليل من المواد التاريخية المهمّة، غير أنهم لم يعيروا تنبؤات المنجمين إلا اهتمامًا قليلًا، اللهم إلا عندما كان بمقدورهم لفت النظر إلى بعض الصدف الغريبة التي تحقّقت فيها النبؤات، أو إلى مجموعات النجوم التي كان لها الأهمية التاريخية خاصة. غير أن حب الاستطلاع العلمي الذي توفّر لمؤرّخي القرنين التاسع والعاشر لم يتجاهل تمامًا هذا العلم الذي كان مثار النقاش والجدل، لذلك نجد أن اليعقوبي يشير إلى الطوالع والتنجيم في بداية كل حكم، كما أن التواريخ المحلية أخذت فيما بعد تشير إلى الطوالع التي كانت قائمة عند بناء أية مدينة. (روز، علم، ١٥٥، ١٢)

تنظيم الحقائق التاريخية

- تنظيم الحقائق التاريخية بموجب محتوياتها (١) الأحوال المادية أ) درس الجسد ١: النظر في أجناس البشر وعلم التشريح والفيزيولوجيا وغير ذلك. ٢: النظر في التكاثر وما يقع تحته من دروس في الزواج والتوالد والوفيات وما إلى ذلك. ب) درس المحيط ١: المحيط الطبيعي والنظر في شكل الإقليم ومناخه ومياهه وتربته ونباته وحيوانه. ٢: المحيط المصطنع والنظر في الفلاحة والتشجير وإنشاء الطرق وغير ذلك. (٢) العادات العقلية أ) اللغة وما يتفرّع عنها. ب) الفنون من يدوية وغيرها. ج) العلوم. د) الفلسفة والأخلاق. هـ) الدين. (٣) العادات التي تتعلّق بالمادة أ) الحياة المادية والطعام واللباس والمنزل. ب) الحياة الخصوصية والعناية بالجسد وعوائد الاجتماع ووسائل التسلية. (٤) العادات التي تتعلّق بالاقتصاد. أ) الإنتاج والزراعة والتعدين وما شاكل ذلك. ب) الصناعة والمواصلات. ج) التجارة (٥) المؤسسات الاجتماعية أ) العائلة وتشكيلها ب) التعليم ج) الطبقات الاجتماعية. (٦) المؤسسات العمومية أ) الحكومة والمؤسسات السياسية ب) الكنيسة والمؤسسات الدينية ج) المؤسسات الدولية والسياسية العامة

والحرب والقوانين التجارية الدولية. (رس، مصط، ١٢٤، ١٨)

تنظيم الحقائق المفردة

- لا يستغنى في تنظيم الحقائق المفردة بموجب مضمونها عن اتباع التسلسل الزمني وذلك لإظهار تطوّر الحقائق التي ندرس. كما وأنه لا يستغنى عن الالتفات إلى مثل هذه المواضيع... إذا ما أراد المؤرّخ أن ينظّم حقائقه المفردة على أساس القصة. (رس، مصط، ١٢٦، ١٣)

تنظيم وتأليف

- التنظيم والتأليف: وبعد المفاضلة والانتقاء يبدأ المؤرّخ بالتنسيق والتنظيم. فيجد أنه بإمكانه أن ينظر إلى كل حقيقة من حقائقه المفردة من ناحيتين مختلفتين. فإذا نظر إليها من حيث وقوعها في زمن محدود وتعلّقها بشخص معيّن، رآها فريدةً في بابها لا تشاركها في ذلك حقيقةٌ من الحقائق. وإذا ذكر أن الناس جميعهم خلق الله، وأنهم كثيرًا ما يتشابهون في أغراضهم وحاجاتهم وأعمالهم، قال بالتشابه بين الحقائق التاريخية المفردة وبتكرار وقوعها. وهكذا فإن بعض المؤرّخين الذين ينظرون إلى الحقائق المفردة من الناحية الأولى فيرونها مجموعةً من الحقائق الفريدة في بابها يستمسكون بالتنظيم القصصي ويؤثرونه على غيره. والبعض الآخر ينظر إلى التشابه بين الحقائق المفردة وإلى تكرار وقوعها فيهتمّ بعادات الجماعات في الماضي وعرفهم ومؤسساتهم وما إلى ذلك من المظاهر المشتركة بين الأقوام والجماعات. والواقع أنه بإمكان المؤرّخ أن يعتبر حقائقه مجموعة من الوقائع الفذّة فينظّمها بموجب تسلسلها الزمني ويقدّم لقرّائه قصة كسائر القصص. وبإمكانه أيضًا أن يحصر عمله في التشابه ووقوع التكرار فينظّم حقائقه بموجب محتوياتها. (رس، مصط، ١٢٤، ١)

تنوّع

- الديمومة هي المقولة الأولى في الزمن التاريخي أما الثانية فهي التغيّر المستمرّ. وإذا كان كل كائن حي في تجدّد دائم فالإنسان هو الوحيد في الكائنات، الذي يشعر بذلك التغيّر ويسجّله ويعطي الحياة البشرية بذلك وحدتها ما بين الأمس والغد. أما المقولة الثالثة في الزمن التاريخي فهي التنوّع، تنوّع الأفعال وردود الأفعال. الحياة الإنسانية لا تتغيّر فقط ولكن تخصب باستمرار. تزداد غنى وتنوّعًا وتعقدًا وتركيبًا بالتأثير والتأثير المرتدّ، وتنامي المعرفة، وتشعّب الفكر والعمل. مجموع هذه المقولات الثلاث المميّزة للزمن التاريخي هي ما يمكن أن نسمّيه بحس الماضي أو الحس التاريخي. (علف، فت، ١٨٢، ٢٠)

تواريخ

- للسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة

حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحرم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار. (جو، نظم، ٩، ٩)

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في

أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ٦)

- في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها فائدتان؛ أحدهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله علمت حسن التدبير واستعمال الحزم، وإن ذكرت سيرة مفرط ووصفت عاقبته خويت من التفريط فيتأدّب المسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن، وتصاريف القدر، والنفس تجد راحة بسماع الأخبار. (جو، نظم، ١١٧، ٩)

- (التاريخ) ذكر الأنبياء، والسلاطين، والأحداث والمحدثين والفقهاء والمحدّثين، والزهاد، والمتعبدين، والشعراء، والمتأدّبين، وفي الجملة جميع المتميّزين، من أهل الخير والشرّ أجمعين، فيحصل بما يذكره مراد المسامر والمحدث، ومقصود الناقل المحدث، فكان هذا الكتاب مرآة يرى فيها العالم كله والحوادث بأسرها إلا أن يكون من لا وقع له فليس لذلك ذكر أو حادثة لا يغنى تحتها ولا وجه لذكرها، وقد انتقى كتابنا نقي التواريخ كلها، وأغنى من يعنى بالمهم منها عنها، وجمع محاسن الأحاديث والأخبار اللائقة بالتواريخ، وانتخب أحسن الأشعار عند ذكر قائلها، وسلم من فضول الحشو ومرذول الحديث، ومن لم يدخل فيه ما يصلح حذفه. وقد كنت عزمت على مد النفس فيه بزيادة الأسانيد، وجمع وشرح أخبار الشخص كلها، ثم رأيت أن تخيّر الأوساط خير من الانبساط، فأخذت في كف الكف عن التطويل، وحذف أكثر الأسانيد لئلّا يوجب الطول بحر الكتاب، على أنه كثير بالإضافة إلى قلّة الهمم. (جو، نظم، ١١٨، ٦)

- جماعة ممّن يدّعي المعرفة والدراية، ويظنّ بنفسه التبحّر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويُعرض عنها ويلغيها، ظنًّا منه أن غاية فائدتها إنّما هو القصص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللبّ نظره، وأصبح مخشلبًا جوهره، ومن رزقه الله طبعًا سليمًا، وهداه صراطًا مستقيمًا، علم أنّ فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيويّة والأخرويّة جمّة غزيرة .... فأمّا فوائدها الدنيوية فمنها: أنّ الإنسان لا يخفي أنّه يحبّ البقاء، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شعري! أيّ فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين؟ فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضرهم. ومنها: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنّهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوَّنة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف

عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطّرحوها. وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها درّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفي به فخرًا. (أث، كمل، ٦، ١١)

- كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، ... متباينة في تحصيل الغرض، فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخلّ بكثير ممّا هو آتٍ، ومع ذلك فقد ترك كلّهم العظيم من الحادثات، وسوّد كثيرًا من الأوراق بصغائر الأعراض، والشرقي منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخًا متّصلًا إلى وقته يحتاج إلى مجلّدات كثيرة وكتب متعدّدة، مع ما فيها من الإخلال والإملال (مقدمة). (أث، كمل، ١٢، ٦)

- في مطالعة التواريخ من فائدة، فإن الإنسان يحبّ البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فإذا قرأ أخبار الماضين فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضرهم. ثمّ إنّ الملوك ومن إليهم الأمر والنهي، إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان، ونظروا ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطّرحوها (مقدمة). (أث، كمل، ١٣، ١)

- التواريخ المشهورة في زماننا: سنة تأريخ الهجرة، والروم، والفرس، والملكي، واليهود، والترك. (كاف، مخ، ٦٥، ١)

- قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في مقدّمة المنتظم والسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما إنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط فيتأدّب المتسلّط ويعتبر المتذكّر ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية أن يطّلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن وتصاريف القدر وسماع الأخبار. قال أبو عمرو بن العلاء لرجل من بكر بن وائل كبر حتى ذهبت منه لذّة المأكل والمشرب والنكاح أتحب أن تموت قال لا قبل فما بقي من لذّتك في الدنيا قال اسمع العجائب. وقال أيضًا في أول شذور العقود في تاريخ العهود الذي اختصره منه أن التواريخ وذكر السير راحة القلب وجلاء الهم وتنبيه للعقل فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات دلّت على عظمة الصانع، وإن شرحت سيرة حازم علمت

حسن التدبير، وإن قصّت قصة مفرط خوّفت من إهمال الحزم، وإن وصفت أحوال ظريف أوجبت التعجّب من الأقدار والتنزّه فيما يشبه الأسمار. (سخ، ذم، ٢١، ٨)

- قال العماد إبن محمد بن حامد الأصبهاني الشافعي الكاتب في الفتح القدسي على يد الصلاح أبي المظفر يوسف بن أيوب الذي ابتدأه بسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وقال إن عادة التواريخ الابتداء ببدء الخلق أو بدولة من الدول، فليست أمة أو دولة إلا ولها تاريخ يرجعون إليه ويعوّلون عليه ينقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الأيام وتنصب به معالم الأعلام، ولولا ذلك لانقطعت الوصل وجهلت الدول ومات في أيام الأواخر ذكر الأول ولم يعلم الناس أنهم لعرق الثرى وإنهم نطف في ظلمات الأصلاب طويلة السرى وأن أعمارهم مبتدأة من العهد القديم لآدم، وقد أخذ ربك من ظهورهم ذرياتهم لما أراده من ظهورهم وتقادم فيعلم المرء أنه قبل انقضاء عمره وقبل نزول قبره ما استبعده أهل الطي من حقيقة النشر وليقبل في واحدة من الأطوال شهادة عشرة فقد قطع عمرًا بعد عمر وسار دهرًا بعد دهر وثوى وانشر في ألف قبر، وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر، ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة وتعذّر الاعتبار بمسالمة الأيام وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها، ثم ذكر ما كان يؤرّخ كثيرون مما مضى به كالطوفان والسيل والأرصاد القصير الذيل، وإن التاريخ بالهجرة نسخ كل تاريخ متقدّم وهدم كل ما لم يكن مرتكبه فيه متندم بحيث أمن به بيقين ووقوع الخلق الواقع في الماضين واستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأمر الله عباده ببذل ما عين لهم في الأموال بل والأنفس مما يعيده إليهم مضاعفًا من الفرض. (سخ، ذم، ٢٢، ١)

- كتب التواريخ ينتفع بها في الاطلاع على أخبار الملوك والعلماء والأعيان وحوادث الحدثان في الماضي في الزمان وفي ذلك ترويح للخاطر وعِبر لأولي البصائر. وأضبط التواريخ في زماننا الذي جمعه ابن الأثير الجزري. وقد جمع في بعض الكتب بين عيون الأخبار ومستحسنات الأشعار فجاءت حسنة التأليف كالتذكرة الحمدونية وتجارب الأمم لابن سعيد والعقد لابن عبد ربه وفصل الخطاب للسفاقسي وهو درر اللآلي ونحوها. (سخ، ذم، ٣٠، ١)

- قال أبو معشر: التواريخ أكثرها مدخول والفساد يعتريها من أجل أنه يأتي على سني أمة من الأمم زمان من الأزمنة وتطول أيامه فإذا نقلوه من كتاب إلى كتاب أو من لسان إلى لسان يقع فيه الغلط إما بالزيادة فيه أو النقصان منه، كالغلط الذي وقع بين آدم ونوح والأنبياء في السنين فإن اليهود اختلفوا في ذلك اختلافًا متفاوتًا،

وكذا ما وقع في تواريخ الفرس مع اتّصال ملكهم إلى أن زال في تخليط كثير. (سخ، ذم، ٨٣، ١٩)

- للسير والتواريخ فوائد كثيرة، أهمها فائدتان: إحداهما أنه إن ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حالة أفادة حسن التدبير واستعمال الحزم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكّر. ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطّلع بذلك على عجائب الأمور، وتقلّبات الزمن، وتصاريف القدر، وسماع الأخبار. (حس، عر، ١١، ٦)

- التواريخ وذكر السير راحة القلب، وجلاء الهمّ، وتنبيه للعقل؛ فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات دلّت على عظمة الصانع، وإن شرحت سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قصّت قصة مفرط خوفت من إهمال الحزم، وإن وصفت أحوال ظريف أوجبت التعجّب من الأقدار، والتنزّه فيما يشبه الأسمار. (حس، عر، ١١، ١٥)

تواريخ إقليمية ومحلية

- التواريخ الإقليمية والمحلية وتواريخ المدن. كان ذلك نوعًا من التعويض. ضاقت رقعة التواريخ، مع ضيق مناطق الدول ورقاع الإمارات كما قصرت وتقلّصت أحيانًا كثيرة في الزمن. فاقتصرت على فترة محدّدة أو على أسرة معيّنة أو على مدينة أو على شخصية واحدة. وبالرغم من أنه لم يكن ثمّة حدّ واضح ولا خط فاصل لدى المؤلّفين بين التاريخ الإقليمي والتاريخ العام ولا بين الأخبار الحضارية والسياسية، فإن مجموع الكتب التاريخية التي أرّخت للفترة الممتدّة ما بين القرن الرابع حتى القرن السابع كانت محدودة المدى الزمني كما أخذت العناوين المحلية أو عناوين المدن، أو اختصّت بأسر أو بأشخاص... وقد اختفت تدريجيًّا من بينها تلك العناوين "الأخبارية" والمواضيع التي تفرد لحدث خاص أو واقعة سياسية محدّدة كما كان عليه العهد بالرسائل والكتب التاريخية في القرنين الثاني والثالث. ومعظمها إنما كان في القرن الرابع ولم يجاوزه. (مص، رخ١، ٣٥٥، ١٥)

تواريخ الأمم

- دوّن الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطّروا. والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخّرة، هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل، ولا حركات العوامل؛ مثل ابن إسحق والطّبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الأسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميّزين عن الجماهير؛ وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند

الأثبات، ومشهور بين الحفظة الثقات، إلا أن الكافة اختصّهم بقبول أخبارهم، واقتفاء سننهم في التصنيف، وإتباع آثارهم. والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم. (خلد، قدم، ٢٨٣، ٨)

تواريخ المدن

- التواريخ الإقليمية والمحلية وتواريخ المدن: كان ذلك نوعًا من التعويض. ضاقت رقعة التواريخ، مع ضيق مناطق الدول ورقاع الإمارات كما قصرت وتقلّصت أحيانًا كثيرة في الزمن. فاقتصرت على فترة محدّدة أو على أسرة معيّنة أو على مدينة أو على شخصية واحدة. وبالرغم من أنه لم يكن ثمّة حدّ واضح ولا خط فاصل لدى المؤلّفين بين التاريخ الإقليمي والتاريخ العام ولا بين الأخبار الحضارية والسياسية، فإن مجموع الكتب التاريخية التي أرّخت للفترة الممتدّة ما بين القرن الرابع حتى القرن السابع كانت محدودة المدى الزمني كما أخذت العناوين المحلية أو عناوين المدن، أو اختصّت بأسر أو بأشخاص... وقد اختفت تدريجيًّا من بينها تلك العناوين "الأخبارية" والمواضيع التي تفرد لحدث خاص أو واقعة سياسية محدّدة كما كان عليه العهد بالرسائل والكتب التاريخية في القرنين الثاني والثالث. ومعظمها إنما كان في القرن الرابع ولم يجاوزه. (مص، رخ١، ٣٥٥، ١٥)

توالد أحداث التاريخ

- ساد في الغرب الأوروبي خلال القرن التاسع عشر تياران رئيسيان: الأول تيار الواقعية الموضوعية objective empiricism الذي يقول أصحابه بأنه من الممكن أن نكتب الحقائق التاريخية بالضبط كما كانت في الماضي، وتيار القائلين بتوالد أحداث التاريخ بعضها عن بعض The genetic view of history وأصحابها - الذين كانوا يستعملون ذلك المصطلح البغيض "الهيستوريسيزم historicism أي الفكرية التاريخية - يرون أن التاريخ عملية توالد مستمرّة ويؤمنون باضطراد التوالد من عصر إلى عصر. وكلا التيارين ثمرة من ثمرات تلك الثقة البالغة في النفس التي ملأت نفوس أهل العلم في الغرب في القرن التاسع عشر، حتى ليشعر من يقرأ لهم أنهم كانوا يحسبون أنهم جمعوا العلم كله من أطرافه جميعًا. ويدخل في هذا النطاق أيضًا فريق التقريريين المقننين أو الإيجابيين من المؤرّخين positivist historians أولئك الذين حسبوا أنهم يستطيعون أن يوجزوا التاريخ كله في سلسلة من القوانين العامة. (علف، فت، ٦٧، ٢٨)

توالي النبوات

- بظهور الإسلام، بدأت نظرات جديدة. فقد جاء القرآن بنظرة جدّية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة وعاد إلى بدء الخلقية. وأكّد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة

للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها. وجاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ تتمثّل في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشّر بها أنبياء عديدون وكان الرسول الأعظم خاتم الأنبياء والمرسلين. وكان لهذه النظرة أثرها في الالتفات إلى تاريخ الأنبياء وإلى الإسرائيليات. إلا أن هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت ظهور الإسلام، أما بعد ذلك فإن الاهتمام انصبّ على تاريخ الإسلام. (دو، نشأ، ١٨، ١٣)

توحيد

- التوحيد أربعة أشياء: معرفة الوحدانيّة والإقرار بالربوبيّة وإخلاص الإلهية والاجتهاد في العبوديّة. (بلخ، بدا، ٧٥، ٢)

توراة

- التوراة، وهي خمسة أسفار، وكتاب يوشع، وكتاب القضاة، وكتاب راعوث، وكتاب يهوذا، وأسفار الملوك أربعة، وسفر بنيامين، وكتب المقابيين لابن كريون ثلاثة، وكتاب عزرا الإمام، وكتاب أوشير وقصة هامان، وكتاب أيوب الصديق، ومزامير داود عليه السلام، وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة، ونبوات الأنبياء الكبار والصغار ستة عشر، وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان. (خلد، قدم، ٦٥٣، ١)

توريخ

- التاريخ تعريف الوقت، والتوريخ مثله، يقال: أرخت وورخت. وقيل: اشتقاقه من الأرخ - بفتح الهمزة وكسرها - وهو صغار الأنثى من بقر الوحش؛ لأنه شيء حدث كما يحدث الولد. (جو، نظم، ٨، ٦)

توهم الصدق

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في

الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ١٦)

تيار تقليدي

- التيار التقليدي. وهو الذي لا يزال ينبع من مصادر القرون الوسطى، ويجري ضمن الحدود والسدود التي تكوّنت في خلال القرون الماضية، ولا يُقبل مطلقًا - أو لا يقبل إلا متردّدًا - على الاستمداد من منابع ومصادر أخرى، إذ إنه مكتفٍ بمنبعه، وواثق بأنه مصدر كل حق، وبأن الابتعاد عنه أو التوجّه إلى سواه زَيْغ وضلال. يتميّز هذا التيّار بالاتجاهات التاريخية التالية: ١- لا يزال تاريخنا في عرف السائرين في هذا التيار هو تاريخ "الأمة" الإسلامية كما أن مجرى التاريخ الإسلامي هو عندهم المجرى الرئيسي في التاريخ العالمي، ولذا يكاد اهتمامهم يكون مقصورًا عليه، وإذا نظروا إلى سواه فمن خلال أحداثه ومراحله الماضية والحاضرة. ولما كان أي موقف من الماضي لا ينفصل عن الموقف المتّخذ من الحاضر والمستقبل، فإن همّ أصحاب هذا الموقف هو تمتين بعث "الأمة" الإسلامية وإنقاذها من الاعتداءات الخارجية التي نزلت بها ومن الشوائب الداخلية التي لحقتها، وإحياء أمجادها لتعيد رسالتها الماضية الحافلة بالعز والعطاء. ٢- إن تعليل نشوء الأحداث وتطوّرها هو، بحسب هذه النظرة، تعليل إلّهي. فدوافع التاريخ ليست، أو على الأقل ليس أهمها وأبلغها فعلًا، في يد الإنسان، بل تحكمها مشيئة إلّهية وقوانين سماوية. وحياة الأفراد والشعوب على هذه البسيطة ليست سوى مقدّمة للحياة الحقيقية، حياة السعادة الدائمة أو الشقاء الدائم، في العالم الآخر. فمن العبث إذن أن نحاول تعليل الأحداث الإنسانية بإعادتها إلى الجنس أو المحيط أو أي عامل من العوامل الطبيعية أو البشرية الأخرى. إن محور التاريخ ليس في هذا العالم بل في العالم الأعلى. ٣- من حيث أسلوب المعرفة التأريخية، لا يزال الاتجاه السائد عند أصحاب هذا الموقف هو التصديق والركون إلى أخبار السلف. فمع أن الدين في جوهره ومبادئه الروحية الأساسية لا ينفي النظر النقدي إلى مصادر التأريخ والأسلوب العلمي في

استنتاج حقائقه بل يقبلهما ضمن حدود معيّنة يرسمها لهما، فإن الكثرة الغالبة من أصحاب الموقف التقليدي عندنا لم تطّلع على أساليب التحقيق التأريخي التي استنبطت في القرون الثلاثة الأخيرة، بل لا نغالي إذا قلنا إنها ضعيفة الصلة بأساليب النقد التي استنبطها العلماء المسلمون في عصور نهضتهم وإنتاجهم. وإذا أردنا أن نوجز موقف هذا الفريق من مواطنينا قلنا إنه موقف متميّز بالعقلية التي كانت سائدة في الشرق والغرب في القرون الوسطى، بل في أواخر تلك القرون، عندما فقدت تلك العقلية حيويتها وإنتاجها، بخسرانها الإقدام والتفتّح ونقد الذات. (زري، نحن، ٢٩، ١٠)

تيار علمي

- التيّار العلمي الذي يتكوّن تدريجًا بفعل تنبهنا للمدنية الحديثة واقتباسنا عقليتها. ولعلّنا نبالغ ونعدو الحقيقة إذا دعوناه تيارًا، فهو لا يزال جدولًا صغيرًا يتزايد يومًا بعد يوم، ولكنه لا يعادل التيارات الأخرى زخمًا واتّساعًا. زد إلى ذلك أن من طبيعته أن يجري هادئًا، وأن يسير بحذر وتبصّر، مبتعدًا عن الصخب مجافيًا للدعاوة وحب التسلّط. غير أنه، على هدوئه وتدرّجه، يمثّل أملًا من آمال المستقبل لأنه لا يقبل إلا العقل هاديًا ومرشدًا وإلا الحق الذي يكشفه العقل هدفًا وسيّدًا. يتوجّه هذا المجرى إلى الماضي دون فكرة مسبقة أو فلسفة مفروضة ويحاول استعادة الماضي من أصوله، أي من آثاره المادية والأدبية، فيقبل على هذه الآثار ليستخرج نصوصها وأشكالها الأولى - ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. ثم يستنطقها ويحقّق في رواياتها، ويخضع هذه الروايات للتدقيق والنقد، فلا يقبل منها إلا ما تثبت صحّته وعدالة رواته حسب أحكام العقل وقواعد العلم. وأخيرًا يسعى إلى ربط الحقائق المفردة المضبوطة بعضها ببعض لكي يستخرج منها صورة للماضي، إن لم تكن صادقة كل الصدق، فهي أقرب ما يمكن إلى ذلك. وتبقى هذه الصورة، على كل حال، خاضعة للتبديل والتعديل حسبما يظهر من أصول جديدة، أو ما يكتشف من حقائق مجهولة، أو ما يصحّح من أخطاء في التدقيق والاستنتاج. هذا الأسلوب العلمي كانت له جذوره عند المؤرّخين العرب القدماء، وكانت بدايته مرتبطة بما بذلوا من عناية في جمع أحاديث الرسول ونقدها وتجريحها. ثم أخذت الرواية تتغلّب على التحقيق، والعقل يخضع للتصديق، فلم يكتمل هذا الأسلوب ولم يعمّ المؤرّخين، بل لم يكن مقدرًا له أن يكتمل ويعمّ ما دامت العقلية السائدة حينذاك - في الشرق والغرب - هي عقلية القرون الوسطى. فلما حدثت ثورة العقل في مطلع العصر الحديث، وأخذت هذه الثورة تتكامل وتتّسع، اكتسحت في ما اكتسحته المجهود التأريخي، وتكوّن في القرون الثلاثة الأخيرة تقليد علمي متراكم، وتيار

متضخّم، هو التيار الغالب في دوائر العلماء المؤرّخين في الغرب، والصابغ عقلية مثقفية بشكل عام. (زري، نحن، ٤٢، ١١)

تيار قومي

– التيار القومي، سواء أعربيًا شاملًا كان أم إقليميًّا محصورًا، والتضخّم والتصاعد أبين في الأول وأعظم. إن هذا التيار، ككل تيار قومي، يصدر من منابع كيان الإنسان من حيث هو فرد من جماعة، يشاركها لغتها وتقاليدها وآمالها وآلامها؛ ويجد سلامته ومنعته في سلامتها ومنعتها، ويطمح إلى أن يراها تحتلّ مراتب العزّ والفخار. ولكن المجاري التي يجري فيها هذا الشعور تختلف باختلاف النظم الاجتماعية والإقتصادية والعقلية السائدة. ولقد كان المجرى الرئيسي الذي اتّخذه في العصر الحديث هو المجرى القومي. فغدا هذا الشعور، بتأثير قوى هذا العصر واتجاهاته يتمثّل بمفاهيم ونظم معيّنة: مفاهيم تقول بوحدة الأمة المستمدّة من وحدة لغتها وتقاليدها ومصالحها وآمالها وآلامها، ونظم تتجلّى فيها إرادة تمتين الكيان القومي وإغناء نتاجه المادي والعقلي والروحي والجهد لحمايته من الأخطار الخارجية. وقد حدث هذا التطوّر أول ما حدث في بلدان غربي أوروبة بفعل الاختبارات الاقتصادية والاجتماعية والعقلية التي جازتها في أوائل العصر الحديث حين ثارت على مفاهيم القرون الوسطى ونظمها. ومن هذه البلدان تسرّب هذا التطوّر إلى البلدان الأوروبية الأخرى وإلى القارة الأميركية، وها هو منذ أوائل القرن الحاضر يجري باندفاع متزايد نحو شعوب آسية وأفريقية سواء العريقة منها التي أصابها انتكاس فتراخى فعلها وطمر مجدها الغابر، أو التي بدأت تلج اليوم ميدان التاريخ الحي الفاعل. وقد كانت هذه وتلك قد خضعت لنفوذ الأمم الغربية واستعمارها، فأخذت بنتيجة تأثّرها بتطوّرات الحياة الحديثة تستفيق لتتحرّر منهما؛ ولتنشد الاستقلال والوحدة ورفع مستوى العيش والإسهام في الحضارة. (زري، نحن، ٣٢، ١٨)

– النظرة التأريخية التي تتجلى في هذا التيار القومي. إن هذه النظرة، في ما يبدو لنا، تتّصف بما يلي: ١– إقبال على الماضي إقبالًا يكاد في بعض الأحيان يبلغ حدّ الانغماس التام والخضوع الكلّي له، بحيث ينصرف الخيال والفكر والسعي إلى ما يبدو لنا في ذلك الماضي من أمجاد، فنقف عندها ونتغنّى بها وننزع إلى إحيائها وبثّ روائعها في القلوب والنفوس. يتجلّى هذا الإقبال وهذا الاستيحاء في مظاهر عدّة: منها المكانة التي نحلّ بها التأريخ القومي في مناهجنا الرسمية، واتّجاه هذه المناهج والكتب التي تؤلّف لتطبيقها، ومنها هذا الميل الجارف الذي نجده عند أدبائنا إلى معالجة موضوعات التاريخ القومي، وإلى كتابة سير أبطاله وإحياء أمجاده بأسلوب شعبي مشوّق . . . ٢– إن

هذا الإحياء القومي الذي نبتغيه ونسعى إليه يختلف حسب تقديرنا لواقعنا وحسب الصورة التي نرسمها لمستقبلنا. فالذين يؤمنون منا بقومية عربية شاملة ينصبون على التاريخ العربي والحضارة العربية. أما الذين يؤمنون بقومية أخرى - سورية كانت أو لبنانية أو مصرية أو عراقية - فإن كل فريق منهم ينصرف إلى إحياء مجد البلد الذي يخصّه والحضارة التي يعتقدها لبّ قوميّته وميزة أمته. وهنا أيضًا نجد ما يماثل هذا الاختلاف في اختبارات الأمم التي سبقتنا في هذا التطوّر. نجده في تاريخ فرنسة وألمانية وإيطالية وغيرها من الأمم. وهو إن دلّ على شيء، فعلى حقيقة أساسية تتغلغل في فكر الإنسان وفي كيانه، وتتراءى لنا من مختلف نوافذ البحث الذي نتناوله في هذه الفصول. هذه الحقيقة هي أن نظرة الإنسان لماضيه تتأثر إلى حدّ بعيد بنوع تقديره لحاضره وبالصورة التي يرسمها لمستقبله. ففي ذهن الإنسان الحي ونفسه يتجاذب الحاضر والماضي والمستقبل تجاذبًا دائمًا، وتتفاعل جميعها تفاعلًا مستمرًّا، فلا يستطيع الفرد أو الشعب أن ينصرف إلى أي منها انصرافًا تامًّا مستقلًّا بل هو أبدًا في وسط تجاذبها وملتقى تفاعلها. والنظرة التي يكوّنها لكل منها، وقيمة هذه النظرة وأثرها، تأتيان دائمًا نتيجة لنظرته المشتركة لها جميعًا. ٣- إن لب الماضي، حسب هذه النظرة القومية، هو الماضي القومي. وهذه النظرة، إذ تضخّم هذا الماضي، تهمل في أحيان كثيرة الروابط التي تشدّه إلى تواريخ الشعوب والأمم الأخرى، وتسهو عن وحدة التاريخ البشري المتشابكة. والخطأ الذي يؤدّي إليه مثل هذا الموقف هو بتر هذه الوحدة وإغفال المؤثرات الخارجية التي تعرّض لها الشعب في مراحل حياته، أو الانتقاص من قيمتها وأثرها. فكثيرون منا مثلًا يبدأون درس التاريخ العربي بالجاهلية، ويتابعون مجراه تحت حكم الخلفاء في الحُجاز والشام وبغداد ومصر والأندلس حتى سقوط بغداد في أيدي التتر أو زوال ملك أبي عبد الله في غرناطة، ثم يقفزون متخطّين قرونًا عديدة إلى عصر النهضة الحديثة. وهم في غالب الأحيان يضربون صفحًا عن كل ما جرى في هذه البلاد العريقة قبل ظهور العرب في ميدان الفعل التاريخي، ويهملون التفاعلات الحضارية التي حدثت بعد ظهورهم بينهم وبين سواهم من الشعوب، فيعزلون بذلك التاريخ العربي عن المجاري التي انصبّت فيه وتلك التي انصبّ فيها، ويخلّون بوحدة الحياة الكبرى التي يؤلّف هذا التاريخ جزءًا منها. إن أي فصل بين أجزاء الحياة المتماسكة أو أي تقطيع للخيوط التي تربطها أو أي سدّ مصطنع نقيمه بين مجاريها إن أي انحراف من هذا القبيل يقف دون فهمنا الصحيح للحياة البشرية وحكمنا الصادق لها أو عليها وتحكمنا الفاعل بها. وسنعود إلى هذا في مناسبة أخرى. ٤- أما من حيث نقد حوادث

التاريخ أو تعليلها، فإن الذين يتّجهون هذا الاتّجاه لا يتّخذون موقفًا معيّنًا ثابتًا بل يختلفون في نوع مواقفهم ودرجة وضوحها وحدّتها. فنراهم من جهة النقد يتأرجحون بين التصديق التام لروايات التأريخ وتغليب الخيال والوهم على النقد والتجريح وبين النظرة الموضوعية التي تنزع إلى التحقيق والتدقيق واستخراج اللبّ الصحيح مما علق به من خطأ وبطلان. منهم من هو في الطرف الأول، ومنهم من هو في الطرف الآخر، ومنهم من هو على درجات متفاوتة بينهما، وإن كانت الغلبة لا تزال، فيما نعتقد، للتصديق وللانسياق في مجرى الخيال المثير المضخّم أكثر مما هي للنقد الضابط المقيّد. وكذلك الأمر في التعليل: فبين تعليل لا يزال ثيوقراطيًّا في جوهره واتّجاهه وآخر يشدّ الحياة القومية إلى جذورها الطبيعية والبشرية، تضطرب الميول وتختلف المنازع، واعية أو غير واعية، وتتّخذ مواقف متفاوتة، بحيث لا يمكننا أن نطلق عليها حكمًا عامًّا أو وصفًا مميّزًا. ونحن نرى هذا لا عندنا فحسب، بل عند شعوب أخرى، في حال كحالنا أو في أحوال مختلفة. إذ قلّ بين الناظرين إلى الماضي - بل قلّ بين المؤرّخين الاختصاصيين أنفسهم - من أوضح في ذهنه تفسيره لنشوء الحوادث وتطوّرها وسلك مذهبًا صريحًا ثابتًا في تعليله. (زري، نحن، ٣٤، ١)

تيار الواقعية

- ساد في الغرب الأوروبي خلال القرن التاسع عشر تياران رئيسيان: الأول تيار الواقعية الموضوعية objective empiricism الذي يقول أصحابه بأنه من الممكن أن نكتب الحقائق التاريخية بالضبط كما كانت في الماضي، وتيار القائلين بتوالد أحداث التاريخ بعضها عن بعض The genetic view of history وأصحابها - الذين كانوا يستعملون ذلك المصطلح البغيض "الهيستوريسيزم historicism أي الفكرية التاريخية - يرون أن التاريخ عملية توالد مستمرّة ويؤمنون باضطراد التوالد من عصر إلى عصر. وكلا التيارين ثمرة من ثمرات تلك الثقة البالغة في النفس التي ملأت نفوس أهل العلم في الغرب في القرن التاسع عشر، حتى ليشعر من يقرأ لهم أنهم كانوا يحسبون أنهم جمعوا العلم كله من أطرافه جميعًا. ويدخل في هذا النطاق أيضًا فريق التقريريين المقننين أو الإيجابيين من المؤرّخين positivist historians أولئك الذين حسبوا أنهم يستطيعون أن يوجزوا التاريخ كله في سلسلة من القوانين العامة. (علف، فت، ٦٧، ٢٦)

ث

ثروة الدولة

- ثروة الدولة ما يزيد من دخلها على خرجها أو ما تختزنه بعد نفقاتها من الأموال ونحوها، فالدولة الإسلامية في عصر النبي لم يكن عندها ثروة حقيقية، لأنهم لم يكونوا يختزنون مالًا ولا كان عندهم بيت مال، بل كانوا إذا أصابوا غنيمة فرّقوها فيما بينهم. وكذلك الصدقات فإنها كانت تفرّق في أهلها، وإذا ظلّ منها شيء استبقوه لحين الحاجة إليه. وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتولّى ذلك بنفسه، وأكثر الصدقات من الماشية والإبل والخيل، فكان يسمها بميسم خاص بها تمتاز به عن سواها، فكانت ثروة الدولة في عصر النبي عبارة عن بقايا الزكاة من إبل أو خيل أو ماشية، وتمتاز عن أموال سائر الناس بمراع خاصة كانت تحبس فيها بالبقيع قرب المدينة يعبّرون عنها بالحمى وبميسم كان النبي نفسه يسمها به. (زي، مدن٢، ١٣، ٤)

ثغر

- الثغر؛ ويحيط بالدولة من سائر جهاتها كالنطاق. (خلد، قدم، ٧٦٠، ٧)

ثغور

- الثغور والعواصم ويراد بها حدود المملكة الإسلامية برًّا وبحرًا، فقد رأيت فيما تقدّم أن العرب لما جاءوا لفتح الشام إنما بدأوا ببرها من جهة حوران ممّا يلي الصحراء، لأن قوات الروم كان معظمها في مدن السواحل، فجعلوا فتوحهم تمتدّ من البر نحو البحر، ومن العرب وأهل البلاد الأصليين إلى الروم. فبعد أن فتحوا دمشق ساروا نحو السواحل، وفي مقدّمتهم يزيد بن أبي سفيان وأخوه معاوية، وكان ذلك في أيام أبي عبيدة عامر بن الجراح على دمشق. جاءوا بيروت وصيدا وجبيل ففتحوها فتحًا يسيرًا، ثم عاد الروم بعدئذٍ فاسترجعوها لأن قواتهم في البحر كانت كبيرة. وما زالت في أيدي الروم حتى تولّى الخليفة عثمان، ومعاوية عامله على الشام، ففتحوا طرابلس وغيرها. وكانت لمعاوية رغبة في غزو البحر، وعثمان يخافه كما كان عمر يخافه من قبل، وما زال معاوية يلحّ على عثمان حتى أذن له، فسلمت ثغور الشام عندئذٍ للمسلمين، فجعل الناس ينتقلون إليها من كل ناحية، فعمرت بهم. وكانت ثغور الشام في أيام الخلفاء الراشدين إنطاكية، وغيرها من السواحل التي سمّاها الرشيد عواصم، فكان المسلمون يغزون ما وراءها. وكان للروم بقية في بعض المسالح بين الإسكندرونة وطرسوس، فلما تولّى بنو أمية أتمّوا فتحها، وزادت عمرانًا في أيام بني العباس، وجعلوا فيها الحامية

والسلاح لدفع غارات الروم، لأنهم كانوا لا ينفكّون عن مناوأة العرب. فبنى العرب حصونًا هناك، ورمّموا الحصون التي كان الروم قد بنوها، وجعلوا لأهلها عطاء كبيرًا وأمروهم بالغزو. وفعلوا نحو ذلك في حدود المملكة الإسلامية من جهة البر، فاتّخذوا مدنًا حصينة جعلوها ثغورًا يقيمون فيها الجند والسلاح في قلاع لدفع العدو أو لغزو بلاده. وبناءً على ذلك فإن تخوم المملكة الإسلامية بعضها من جهة البر، والبعض الآخر يتّصل إليه بالبرّ والبحر معًا. والحدود البحرية هي على الإطلاق ثغور الشام ومصر. (زي، مدن١، ٢١٠، ٢٣)

ثقافة

- الثقافة هي التعبير الواعي عن واقع مجتمع معيّن بأسلوب ولغة من خصائص هذا المجتمع، إذا توفّرت هذه الشروط تنتج ثقافة قومية. (عر، فكر، ٩٣، ١)
- الثقافة (التراث) ليست تجسيدًا لاحتمال بين سائر احتمالات التطوّر البشري وإنما هي مجموع الأعمال الإنسانية: تقنية، علمية، فنية، إجتماعية، شكلية، سلوكية، أدبية، كانت تبدو لنا متناظمة أو متناثرة. ولا نعتبر أن أفق كل ثقافة محدود مبدئيًّا. (عر، فكر، ١٢٤، ٥)

ثقافة تاريخية

- "الثقافة التأريخية" - هي خلاصة ما يجني الإنسان من جهده في استكشاف الماضي، وبهذه الصفة تكون عاملًا فعّالًا في تكييف نظرته وتعيين اتجاهه بالنسبة إلى الحياة بكاملها: ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا. وهي، ككل ثقافة، مؤلّفة من عناصر مختلفة يحسن بنا أن نميّزها. إنها تتألّف، أولًا، من معارف متنوّعة، بل من معرفة واحدة متماسكة، تتناول حوادث الماضي والروابط التي تربطها والعلل التي أحدثتها والآثار التي نتجت عنها. وقد لاحظنا أن الماضي البشري مديد واسع متشابك، وأن من الصعب، إن لم نقل من المستحيل، أن نقف على حقيقته بكاملها. ولكن كلما كانت معرفتنا أوسع وأشمل وأشدّ ترابطًا وتماسكًا كانت ثقافتنا التأريخية أغنى وأرحب وكان فعلها أبرز وأجدى فائدة. وكذلك تبيّنا أن الطريق إلى هذه المعرفة طريق طويلة شاقّة وعرة. ولكن هنا أيضا، كلما توغّلنا في هذه الطريق وحقّقنا معرفتنا بالتدقيق والنقد والمقارنة والمقابلة، كانت ثقافتنا التأريخية أقرب إلى الصحة وكان أثرها أفعل في سلامة النظر واعتدال الحكم. أما العنصر الثاني من عناصر هذه الثقافة فهو ملكات عقلية تتولّد في خلال الجهاد لاكتساب المعرفة التأريخية. إن هذه الملكات هي، في الوقت ذاته، وسائل لاكتساب هذه المعرفة، وضوابط تضمن سلامتها، ودوافع لاستمرار نموّها وازديادها وتوسّعها. وتتّصل هذه الملكات بالعنصر الثالث الذي تتألّف منه الثقافة التأريخية وهو البواعث النفسية والفضائل الخلقية التي تنمّيها هذه الثقافة في الإنسان

والتي تطبع بها شخصيته بكاملها. (زري، نحن، ١٥٧، ٩)

- الثقافة التأريخية توسّع اختبار الإنسان وتعمّقه. فالإنسان الذي يعمد إلى معالجة مشكلاته أو مشكلات أمته أو مشكلات الإنسانية جمعاء، أو الذي يسعى إلى تحقيق آمال أو تنفيذ مشروعات أو تخطيط سبل جديدة. إن الذي يفعل في الحاضر ويمهّد للمستقبل ليحتاج إلى مرانة وخبرة كي لا يخطئ الهدف وكي يبلغ أفضل النتائج. وليس التعلّم كله سوى الجهد لاكتساب هذه الخبرة (بأوسع معاني هذه الكلمة وأغناها)، وليس التعليم والتثقيف والتربية سوى محاولة نقل هذه الخبرة وتوليد القدرة على اكتسابها. (زري، نحن، ١٦١، ٢٣)

- نعود إلى الماضي من أجل الماضي ذاته وأن الذي يستحثّنا إليه هو في الأغلب مشاغل الحاضر والمستقبل. وينتج من هذا إننا إذا تدبّرنا معنى هذه الثقافة التأريخية التي نتحدّث عنها وجدناها في آخر الأمر سبيلًا من سبل إدراك الذات. فسواء نظرنا إلى أنفسنا كأفراد أو كأبناء أمة واحدة أو كأعضاء في الأسرة الإنسانية، وجب علينا أن نحرص على تفهّم ذاتنا أو ذواتنا وأوضاعنا على حقيقتها. ونحن إنما نعود إلى الماضي ونطّلع على مجرى أحداثنا لكي يساعدنا هذا الاطلاع على معرفة أنفسنا. وبالعكس، كلما صحّت وازدادت معرفتنا لواقعنا كنا أقدر على تفهّم الماضي واستخراج معناه. وهكذا تتفاعل الثقافة التأريخية وسواها من عناصر الثقافة في الشخصية الموحّدة الغنية النيّرة الفاعلة. (زري، نحن، ١٦٥، ٢)

- الاحترام الواعي الذي تبثّه الثقافة التأريخية الصحيحة أنه يركّز الفرد ويركّز الأمة ويوطّد كيانهما. فإن الإحساس بالجذور المتأصّلة والأسس الراسخة يبعث في النفس شعورًا بالثقة والاطمئنان وينمي المناعة والصلابة في وجه الأحداث، فلا يبقى المرء، ولا تبقى الأمة، عرضة للأهواء الجامحة وللزعازع العاصفة. وأن الناظر الناقد ليستطيع التمييز بيسر وسهولة بين المرء الذي له جذوره القوية المديدة في الأرض والتاريخ، وذلك الذي هو ابن يومه ومكانه الطارئ فحسب. وما ينطبق على الأفراد ينطبق على الأمم. (زري، نحن، ١٦٩، ٤)

ثقة بالناقلين

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى

التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ١٤)

ثلاثاء

- (الثلاثاء) بالمد يجمع على ثلاثاوات وأثالث، وكانت العرب تسمّيه "جبارًا". (سي، شم، ١٦، ٢٢)

ثنائية تاريخية

- الثنائية (التاريخية)، إن الغرب الحالي يبدو في آن واحد استغلالًا اقتصاديًا وهيمنة سياسية ومنهجًا فكريًا وسلوكًا أخلاقيًا. والمثقفون العرب الذين ينتهجون سلوكه ويستعملون منطقه يعتبرون متحالفين معه حتى ولو كانوا لا ينتمون إلى الطبقة الوسطى، حتى ولو كانت هذه في بداية نشأتها. وزاد من رسوخ هذا الارتباط في الأذهان ما أولته البحوث الاجتماعية الغربية حول البلاد المتخلّفة من اهتمام بتحديث النخبة وتقيّدها بقيم الموضوعية العلمية والليبرالية السياسية كأقرب وسيلة لدفع المجتمع في طريق التطوّر البورجوازي الرأسمالي. فبدأ داعية التحديث في الداخل كأنه يرجع صدى دعوة أنصار النظام الأمبريالي. وبطبيعة الحال يلجأ المثقّفون الذين يرفضون الاستغلال في الداخل والخارج إلى معارضة الفريق السابق بتبني المناهج التقليدية، أي التي وجدت قبل الغزو الأوروبي والتي استعملت لمحاربته. (عر، فكر، ٦، ٩)

ثورة

- حالة ثورة لتدارك تأخّر تاريخي، ... النظرية سابقة للوضعية الملائمة لها؛ تكون صورة المجتمع الذي يهدف إليه الثائرون

موجودة في أذهانهم وتخيّلاتهم قبل أن تتموضع، والمنظِّر هو الذي يملي على السياسي، فالعقدية إذن ضرورية، تنتج أولًا عن كون مُضمون الثورة هو إعادة ما وقع فعلًا في زمن ماض بكيفية تدريجية، (تحصيل الحاصل). وثانيًا عن كونها مفروضة من فوق. وهناك ارتباط منطقي وثيق، لا مفرّ منه، بين العقدية والتصميم أو التخطيط، أكان في الميدان القانوني والتعليمي أم في الميدان الاقتصادي.
(عر، فكر، ١٧٣، ٢٧)

ج

جائرة

- الجائرة بالعقاب المؤلم. وهذه - بلا شكّ - مذهبة للبأس جملة، لأن وقوعه به - ولم يدافع عن نفسه - يكسبه الذلّ الذي لا يرفع به رأسًا. (أزر، بدع١، ٧٤، ١٣)

جاهلية أولى

- الجاهلية الأولى في عهود ... من أمم العرب البائدة ومن خلفهم في اليمن وغيرها، والجاهلية الثانية نريد بها حالة جزيرة العرب ولا سيما الحجاز قبل الإسلام بعدّة قرون. وللحجاز شأن خاص في ذلك، ففي الجاهلية الثانية تمدّن العرب في جنوبي جزيرة العرب وفي شماليها وظلّ أهل الحجاز في أواسطها على بداوتهم، لجدب أرضها وجفاف تربتها مع بعدها عن الاحتكاك بالدول المتحضّرة، لتوسّطها في الصحراء ووعورة المسالك إليها. حتى امتنعت على الفاتحين العظام مثل رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد. وايليوس غالوس على عهد يوليوس قيصر في القرن الأول للميلاد. وامتنعت أيضًا على ملوك الفرس في إبان دولتهم فآل امتناعهم هذا إلى اطمئنانهم وسكونهم. والإنسان لا ينزع إلى الإصلاح إلا مضطرًّا بخطر أو نحوه. ولكنه مفطور على الأثرة والمنافسة، فقامت المنازعات بين العرب أنفسهم وأصبحت مصادر الارتزاق فيها الغزو والنهب. فشغلهم ذلك عن الالتفات إلى المصادر الأخرى. على أنهم كانوا على جاهليتهم أهل أنفة وذمام وكرم ووفاء، ممّا يدلّ على استعدادهم لمستقبل عظيم. قضى أهل الحجاز في جاهليتهم الثانية قرونًا لا يعلم مقدارها إلا الله وهم في حال البداوة، إلا ما اقتبسوه ممّن هاجر إليهم من جالية اليمن جيرانهم، أو من لجأ إلى بلادهم من اليهود، وخصوصًا في القرون الأخيرة قبل الميلاد والأولى بعده، فرارًا من اضطهاد حكامهم الرومانيين ولا سيّما بعد خراب بيت المقدس. وربما هاجر إليهم أيضًا قوم من الأنباط وهم أهل تمدّن ...، فجعلوا مكّة والمدينة والطائف دار هجرتهم بعد استبداد الرومان بهم. أما اليهود فكانوا يقيمون في يثرب على الأكثر. (زي، مدن١، ٣٢، ٢)

جاهلية ثانية

- الجاهلية الأولى في عهود ... من أمم العرب البائدة ومن خلفهم في اليمن وغيرها، والجاهلية الثانية نريد بها حالة جزيرة العرب ولا سيما الحجاز قبل الإسلام بعدّة قرون. وللحجاز شأن خاص في ذلك، ففي الجاهلية الثانية تمدّن العرب في جنوبي جزيرة العرب وفي شماليها

وظلّ أهل الحجاز في أواسطها على بداوتهم، لجدب أرضها وجفاف تربتها مع بعدها عن الاحتكاك بالدول المتحضّرة، لتوسّطها في الصحراء ووعورة المسالك إليها. حتى امتنعت على الفاتحين العظام مثل رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد. وايليوس غالوس على عهد يوليوس قيصر في القرن الأول للميلاد. وامتنعت أيضًا على ملوك الفرس في إبان دولتهم فآل امتناعهم هذا إلى اطمئنانهم وسكونهم. والإنسان لا ينزع إلى الإصلاح إلا مضطرًّا بخطر أو نحوه. ولكنه مفطور على الأثرة والمنافسة، فقامت المنازعات بين العرب أنفسهم وأصبحت مصادر الارتزاق فيها الغزو والنهب. فشغلهم ذلك عن الالتفات إلى المصادر الأخرى. على أنهم كانوا على جاهليتهم أهل أنفة وذمام وكرم ووفاء، ممّا يدلّ على استعدادهم لمستقبل عظيم. قضى أهل الحجاز في جاهليتهم الثانية قرونًا لا يعلم مقدارها إلا الله وهم في حال البداوة، إلا ما اقتبسوه ممّن هاجر إليهم من جالية اليمن جيرانهم، أو من لجأ إلى بلادهم من اليهود، وخصوصًا في القرون الأخيرة قبل الميلاد والأولى بعده، فرارًا من اضطهاد حكامهم الرومانيين ولا سيّما بعد خراب بيت المقدس. وربما هاجر إليهم أيضًا قوم من الأنباط وهم أهل تمدّن ...، فجعلوا مكّة والمدينة والطائف دار هجرتهم بعد استبداد الرومان بهم. أما اليهود فكانوا يقيمون في يثرب على الأكثر. (زي، مدن١، ٣٢، ٣)

جباية

- الجباية أوّل الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة. والسبب في ذلك أن الدولة: إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية، وهي قليلة الوزائع - (ما يتوزّع على الأشخاص) - لأن مقدار الزكاة من المال قليل...، وكذا زكاة الحبوب والماشية، وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية، وهي حدود لا تُتعدى؛ وإن كانت على سنن التغلّب والعصبية فلا بدّ من البداوة في أولها...، والبداوة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن أموال الناس، والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر، فيقلّ لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الأموال من مجموعها. وإذا قلّت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه، فيكثر الاعتمار. ويتزايد محصول الاغتباط بقلّة المغرم، وإذا كثر الاعتمار كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع، فكثرت الجباية التي هي جملتها. فإذا استمرّت الدولة واتّصلت، وتعاقب ملوكها واحدًا بعد واحد واتّصفوا بالكَيس، وذهب شرّ البداوة والسذاجة وخلقها من الإغضاء والتجافي، وجاء الملك العضوض

والحضارة الداعية إلى الكيس، وتخلق أهل الدولة حينئذٍ بخلق التحذلق، وتكثرت عوائدهم وحوائجهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف، فيكثّرون الوظائف والوزائع حينئذٍ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم، ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارًا عظيمًا لتكثر لهم الجباية، ويضعون المكوس على المبايعات وفي الأبواب كما نذكر بعد، ثم تتدرّج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرّج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والإنفاق بسببه، حتى تثقل المغارم على الرعايا وتنهضم وتصير عادة مفروضة، لأن تلك الزيادة تدرّجت قليلًا قليلًا ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين، ولا من هو واضعها، إنما تثبت على الرعايا كأنها عادة مفروضة ثم تزيد إلى الخروج عن حدّ الاعتدال فتذهب غبطة الرعايا في الاعتمار لذهاب الأمل من نفوسهم بقلّة النفع، إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين ثمرته وفائدته، فتنقبض كثير من الأيدي عن الاعتمار جملة، فتنقص جملة الجباية حينئذٍ بنقصان تلك الوزائع منها. وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه جبرًا لما نقص، حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة، لكثرة الإنفاق حينئذٍ في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوّة به. فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها، إلى أن ينتقض العمران بذهاب الآمال من الاعتمار، ويعود وبال ذلك على الدولة، لأن فائدة الاعتمار عائدة إليها. وإذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن؛ فبذلك تنبسط النفوس إليه لثقتها بإدراك المنفعة فيه. (خلد، قدم، ٧٢٩، ١٦)

- إذا استفحلت طبيعة الملك، وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه، قبض أيديهم عن الجبايات إلا ما يُطيِّر لهم بين الناس في سهمانهم، وتقلّ حظوظهم إذ ذاك لقلّة غنائهم في الدولة، بما انكبح من أعِنَّتهم، وصار الموالي والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الأمر؛ فينفرد صاحب الدولة حينئذٍ بالجباية أو معظمها، ويحتوي على الأموال ويحتجنها للنفقات في مهمات الأحوال، فتكثر ثروته وتمتلئ خزائنه ويتّسع نطاق جاهه، ويعتزّ على سائر قومه، فيعظم حال حاشيته وذويه، من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطيّ ويتّسع جاههم، ويقتنون الأموال ويتأثّلونها. (خلد، قدم، ٧٣٧، ١٤)

جبغويه

- ملك العراق الذي تسمّيه العامّة كِسْرَى وهو شاهانشاه، ملك الروم الذي تسمّيه العامّة قَيْصَر هو باسيل، ملوك الترك والتُّبَّت والخَزَر كلّهم خاقان خلا ملك الخَرْلُخ فإنهم يسمّونهم جَبْغُويه، ملك

الصين بَغْبُور فهؤلاء ولد افريذون، ملك الهند الأكبر بَلْهَرا أي ملك الملوك. (خرد، مسلك، ١٦، ٨)

جبل "ق"

- جبل "ق" وراء البحر الأعظم المحيط بالدنيا، وأن أطراف السماء على جبل "ق" كأطراف الخيمة على وجه الأرض. فإن قلت: فهل مثل هذا القول والخبر يفضي إلى الاعتبار والاطلاع على عجائب الملكوت، والاعتراف بعظمة ذي العزّة والجبروت، سواء كان الخبر ثابتًا أو لا؟ قلت: نعم. قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ (الأعلى: ٩). (كاف، مخ، ٨٦، ١٦)

جرح وتعديل

- ذكر المهم من الحوادث والحالات في كل سنة ذِكْرُنا من مات في تلك السنة من الأكابر، ويتعرّض بذكر الجرح والتعديل. وقد يختلف في سنة موته فنذكر الأصحّ، وذكر هذا من الحوادث أيضًا، وترتّب أسماؤهم في كل سنة على الحروف فنقدّم من اسمه على حرف الألف على الباء، فإن خفي زمان موت ذاك الشخص ذكرناه مع أقرانه. (جو، نظم، ١١٧، ١٩)

جزية

- كان المسلمون يفرضون على من يقبل البقاء على دينه من أهل البلاد المفتوحة ضريبة تسمّى الجزية في مقابل حمايتهم وتأمينهم، وكان الروم قد تعوّدوا أداء مثل هذا المال للعرب المقيمين في حدود الشام من الغساسنة وغيرهم، يبتاعون به نصرتهم على الفرس، كما كان الفرس يؤدّون المال إلى عرب العراق لينصروهم على الروم. (زي، مدن١، ٨١، ٢١)
- أما العرب فقد اشترطوا مع دفع المال الخضوع لهم عملًا بنص الآية: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)، وكانوا مع ذلك يتعهّدون بحماية الذين يدفعون الجزية أي يعتبرونهم في ذمّتهم، ولهذا فقد سمّوا أهل الذمّة. والغالب أن يراد بها حماية أهل البلاد الأصليين من حكامهم الروم، لأنهم كانوا يريدون الخروج من طاعتهم وهم يخافون سطوتهم. (زي، مدن١، ٨١، ٢٧)
- الجزية والخراج متشابهان بأنهما يؤخذان من غير المسلمين، وهما من جملة أموال الفيء ويجبيان بأوقات معيّنة كل سنة، ولكنهما يختلفان بأن الجزية موضوعة على الرؤوس وتسقط بالإسلام، وأما الخراج فيوضع على الأرض ولا يسقط. (زي، مدن١، ٢٢٧، ٢١)

جغرافيا

- الجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ. والارتباط وثيق بين التاريخ والجغرافيا. فالأرض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ، وهي ذات أثر كبير في توجيه مصائر النوع الإنساني. فهي التي أطعمت الإنسان

وأنشأته وعيَّنت واجباته، وأوجدت المصاعب والعقبات الطبيعية التي تشحذ قريحته للتغلّب عليها وللتأثير بدوره في البيئة التي يعيش فيها والعمل على استغلالها. وللظواهر الجغرافية المختلفة أثر كبير - مع غيرها من المؤثّرات - في الإنسان وبالتالي في التاريخ، وذلك تبعًا لنوع تفاعله مع بيئته ومواجهته لظروفها. فالسهول، والجبال، والصحارى، والوديان، والأنهار، والبحار، والخلجان، والغابات، والجزر، والمناخ، والرياح، ونوع الثروة الطبيعية، والموقع الجغرافي، تؤثّر كلها في تكوين الإنسان، وتؤثّر في لغته ونبرة صوته، وفي لون بشرته وعينيه وشعره، وفي أساطيره وأديانه، وفي ملكاته العقلية، وفي فكره وفلسفته وصوفيته، وفي أدبه، وفي موسيقاه، وفي هندسته ومعماره، وفي علمه، وفي طبّه ودوائه، وفي رسمه وتصويره ونحته، وفي خُلُقه وسيكولوجيته، وفي مدنه وحقوله وقراه، وفي قوانينه وشرائعه، وفي حرفه ومهنه، وفي فقره وغناه، وفي حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي مذلّته وإبائه، وفي سير معاركه، وفي حربه وسلامه. فيعتقد بعض السكان في المناطق الباردة - مثلًا - أن الجحيم عبارة عن عالم يسوده الظلام الحالك والزمهرير والبرد القارس، ويعتقد بعض الساكنين في المناطق الدافئة أن الجحيم عالم تغلب عليه الحرارة والنيران المتأجّجة المستعرة أبدًا. ويرتبط - مثلًا - سير المعارك الحربية بالتضاريس الأرضية. فعلى المؤرّخ أن يعرف هل كان مركز أحد المتحاربين أفضل من مركز الآخر، وهل سيطر على منافذ بعض الجبال؟ أو هل كانت أرض المعركة أرضًا سهلة، وكان من الميسور التحرّك فيها، أم كانت منطقةً مليئة بالمستنقعات، أم احتوت على مخابئ وثنيات؟ وهل كان الجو في يوم أو في أيام المعركة صحوًا أم كان عاصفًا مطيرًا، أم كان حارًّا قائظًا؟ ومما يوضح لنا أثر الجغرافيا في التاريخ ما نلاحظه من تدخّلها أحيانًا تدخّلًا حاسمًا في تغيير مجرى التاريخ. فمثلًا عاق البحر تقدّم تيمورلنك عن العبور إلى أوروبا بعد أن هزم بايزيد الأول في موقعة أنقرة في سنة ١٤٠٢م، وبذلك لم يتمكّن من القضاء على الدولة العثمانية الناشئة، فاستعادت مكانتها بعد قليل، وأدّت للشرق الأدنى دورها التاريخي في عصر تقدّمها وقوّتها. (عث، بحث، ٣٠، ٢٤)

جفر

- قد يستندون في حدثان الدول على الخصوص إلى كتاب الجفر، ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم، لا يزيدون على ذلك، ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده. واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هرون بن سعيد العجلي - وهو رأس الزيدية - كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض

الأشخاص منهم على الخصوص. وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء. وكان مكتوبًا عند جعفر في جلد ثور صغير، فرواه عنه هرون العجلي وكتبه، وسمّاه الجفر باسم الجلد الذي كتب عليه، لأن الجفر في اللغة هو الصغير، وصار هذا الاسم عَلَمًا على هذا الكتاب عندهم. وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق. وهذا الكتاب لم تتّصل روايته ولا عرف عينه، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل. ولو صحّ السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وقد صحّ عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم، فتصحّ كما يقول. وقد حذّر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف. وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنّك بهم علمًا ودينًا وآثارًا من النبوّة، وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيّبة. وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام، غير منسوب إلى أحد. (خلد، قدم، ٨٢٨، ٩)

- قد كان يعقوب بن إسحق الكندي منجّم الرشيد والمأمون وضع في القِرانات الكائنة في الملّة كتابًا سمّاه الشيعة بالجَفْر، باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حِدْثان دولة بني العباس، وأنها نهايته، وأشار إلى انقراضها والحادثة على بغداد أنها تقع في انتصاف المائة السابعة، وأن بانقراضها يكون انقراض الملّة. ولم نقف على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه؛ ولعلّه غرق في كتبهم التي طرحها هُلاكو ملك التتر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء. وقد وقع بالمغرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب يسمّونه الجفر الصغير، والظاهر أنه وضع لبني عبد المؤمن، لذكر الأولين من الملوك الموحّدين فيه على التفصيل. ومطابقة من تقدّم عن ذلك من حدثاته وكذب ما بعده. (خلد، قدم، ٨٣٤، ٦)

جمع المادة

- جمع المادة ... العنصر الثالث من عناصر منهج البحث التاريخي، ونعني بذلك جمع المادة التاريخية اللازمة للبحث من المراجع والمصادر وشتّى الأصول. ولعلّ أول ما يقال في هذا الصدد هو أن المكتبة ودور المحفوظات العلمية ودور الأرشيف التاريخي هي مختبر المؤرّخ، ومن ثم فلا بدّ أن يكون كل باحث على بيّنة ودراية تامة بطريقة استغلال المكتبات وهذه الدور. (علف، فت، ١٤٠، ١٨)

جمع المادة التاريخية

- مرحلة جمع المادة التاريخية؛ وهذه المرحلة خطيرة للغاية، لأن المؤرّخ كثيرًا ما يصادف وقائع لا تحصى متّصلة بالفترة

التي يؤرّخ لها، وهذه الوقائع لا يمكن أخذها جميعًا، وعملية الاختيار منها عملية صعبة للغاية، وليست هناك قاعدة يسير عليها المؤرّخون، ويقول هونشوا: لو عهد إلى مؤرخَيْن أن يصفا حركة من الحركات، أو حادثًا من الحوادث فمن الراجح ألّا يتّفقا في القول بأهمية نواح منه بعينها، لقد كان قدماء المؤرّخين يستهويهم من شئون البشر كل ما كان شاذًا، أو دراميًا، أو حماسيًا، أما المؤرّخ العلمي الحديث فأمْيَل إلى أن يختار مما بين يديه، من مواد غير متناهية، مجرّد الحقائق التي يرى أنها تعينه في بيان تطوّر المجتمع الإنساني إلى حالته الحاضرة. وتعتبر الوثائق المكتوبة أعظم المصادر التي تساعد على بلوغ هذا الغرض، نعم إن هناك مصادر أخرى على شكل مبان وحصون ونقوش، بل وعلى شكل رواية شفوية أيضًا، إلا أنه قد بلغ من فضل الوثائق المكتوبة على غيرها أن قيل "لا تاريخ بدون وثائق". ثم إن تجميع المواد من الوثائق يقتضي ملكة فنية عالية، ودراية علمية فائقة بفقه اللغة وقراءة النقوش، والقدرة على الغوص في أعمال المحيط لإخراج اللآلئ، وكما أن على المؤرّخ أن ينتقي أنفع ما عنده من الوقائع التي لا تحصى فإن عليه أن يسعى إلى إضافة كل الوقائع المتيسّرة التي يمكن أن يستفيد منها بحثه. (شل، سلم، ٢٧، ٥)

جمعة

- (الأحد) هو أول الأيام وفي "شرح المهذب" ما يقتضي أنه أول الأسبوع. وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى ابن عباس قال: أول ما خلق الله الأحد فسمّاه الأحد وكانت العرب يسمّونه الأول، وقال متأخّرو أصحابنا: الصواب أن أول الأسبوع السبت وهو الذي في الشرح والروضة والمنهاج لحديث مسلم: خلق الله التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الإثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء وبثّ فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة. وقال ابن إسحاق: قول أهل التوراة ابتدا الله الخلق يوم الأحد. ويقول أهل الإنجيل يوم الإثنين ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت. وروى ابن جرير عن السدى عن شيوخه: ابتدأ الله الخلق يوم الأحد واختاره ومال إليه طائفة، قال ابن كثير وهو أشبه بلفظ الأحد ولهذا أكمل الخلق يوم الجمعة فاتّخذه المسلمون عيدهم، وهو اليوم الذي ضلّ عنه أهل الكتاب. (سي، شم، ١٦، ١٠)
- "الجمعة" يجمع على جمعات وفي ميمها الضمّ والسكون وكانت تُدْعى "العروبة" وفي الصحيح خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة وفيه خُلق آدم وفيه أدخل الجنّة وفيه أخرج منها، وفي رواية وفيه مات وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه. وفي

حديث عند الطبراني "أفضل الأيام الجمعة وأفضل الليالي ليلة القدر وأفضل الشهور رمضان" وفي حديث رواه البيهقي في "شُعب الإيمان" أنه كان يقول: "ليلة الجمعة ليلة غرّاء ويوم أزهر". (سي، شم، ١٧، ٧)

جن

- الجن، كانت سكان الأرض قبل آدم فكفرت طائفة منهم فسفكوا الدماء فأمر الله جندًا من الملائكة من أهل سماء الدنيا منهم إبليس وكان رئيسهم فهبطوا إلى الأرض فأجْلَوا عنها الجان واستشهد على ذلك بقول الله عزّ وجلّ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ (الحجر: ٢٧) أي من قبل أن نخلق آدم فألحقوهم بأطراف التخوم وجزائر البحر، وسكن إبليس والجند الذي معه عمران الأرض وأريافها وكان اسم إبليس عزازيل، ثم ذكر خلق الله آدم وقال ثم كساه لباسًا من ظفر يزداد جلده في كل يوم حسنًا فلما أكلا من الشجرة انكشط عنهما اللباس، وكان له مثل شعاع الشمس حتى صار في أطراف أصابعهما من أيديهما وأرجلهما. قال وخلقه يوم الجمعة ومكثه في الجنة ستة أيام. (قتي، خبط، ٨، ٦)

جنة

- فوق يحتمل وجوهًا من التأويل، ومن قال بوجود الجنّة في الوقت قال هي في السماء السابعة. (بلخ، بد٢، ٩، ١٤)

جند

- لما كان مبنى الملك على أساسين، لا بدّ منهما: أحدهما: العصبية، وهو المعبّر عنه بـ"الجند". الثاني: المال الذي هو قوام الجند، وما يحتاج إليه الملك، والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسيين. (أزر، بدع٢، ٧١٤، ٤)
- كانت كل قاعدة عسكرية تسمّى جندًا، فيقال جند دمشق وجند قنسرين وجند الأردن، وكان سلطانها يشمل زمامًا واسعًا يعادل زمام الولاية الرومانية أو البيزنطية التي تقع فيها القاعدة، ومن هنا فقد أطلق على هذه الولايات التي يحكمها قائد قاعدة عسكرية: الجند، فالجند على هذا الاعتبار هي الولاية العسكرية، وكانت أكثر ما تكون على الحدود. (زي، مدن١، ١٥٢، ١٥)
- كانت خلافة المعتصم بدء نفور العرب من خلفائهم وشكواهم منهم. وكانوا يعبّرون بالجند يومئذٍ عن الأتراك وغيرهم من الأعاجم، "وبالحربية" عن جند العرب وكلهم مشاة، ثم المتطوّعة وهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم، ويغلب أن يكون المتطوّعة في الحروب خارج حدود المملكة الإسلامية. (زي، مدن١، ١٧١، ٣٠)

جنس

- الجنس ما استوعب الأنواع، وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس، والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت

النوع لا يجوز أن يتجزّأ ولا يكون له ثُلث ولا رُبع ولا نصف. قالوا ولولا ذلك لما كان للأجسام تناهٍ. (بلخ، بدا، ٣٩، ١٦)

جنس عربي

- الجنس العربي هو أحد الأجناس الساميّة ولعلّه أكثرها محافظة على خصائص الساميين، واللغة العربية هي إحدى اللغات السامية ولكنها أيضًا أكثرها محافظة على خصائص اللسان السامي، وترجع هذه المحافظة إلى طبيعة الحياة في الجزيرة العربية، فلقد حرست هذه الحياة الجنس العربي واللغة العربية من الهجمات التي تعرض لها غير العرب من الساميين وغير اللغة العربية من فروع اللسان السامي. وقد جرى المؤرّخون على وضع حد فاصل بين قسمين من العرب هما: العرب البائدة والعرب الباقية، وكلام المؤرّخين يوحي بأنه لا توجد علاقة بين الاثنين، وكلمة البائدة تفيد الاندثار والفناء، وفي هذا القسم توضع عاد وثمود وطسم وجديس، ويرى هؤلاء المؤرّخون أن الكتب المقدّسة هي التي روت لنا شيئًا من أخبار بعض هذه الجماعات، وأن ذكرها ورد في بعض المراجع القديمة. أما العرب الباقية فهم الذين لا يزالون حتى اليوم، ويبدو لي أن وضع حدّ فاصل بين القسمين غير مفهوم، وأن ارتباطًا ما ينبغي أن يلاحظ بين السابقين واللاحقين، والعرب الباقية تنقسم بالتالي قسمين: قحطانية وعدنانية، والقحطانيون موطنهم الأصلي جنوب الجزيرة، ومنهم ملوك اليمن وقبائل سبأ وحمير، وقد خرجت منهم جماعات وقبائل في ظروف متعدّدة ونزلت بأجزاء مختلفة من الجزيرة العربية، ومن هؤلاء اللخميون الذين نزلوا الحيرة وكوّنوا ملكًا بها، ومنهم كذلك أولاد جفنة ملوك الغساسنة، ومنهم ملوك كندة، كما أن منهم الأزد الذين تفرّع منهم الأوس والخزرج، أما العدنانية فيسمّون العرب المستعربة أي الذين دخل عليهم دم ليس عربيًا ثم تمّ اندماج بين هذا الدم الدخيل وبين العرب، وأصبحت اللغة العربية لسان المزيج الجديد، وهؤلاء هم عرب الشمال وموطنهم الأصلي مكّة المكرّمة والدم الجديد الذي نزل بهم هو إسماعيل الذي جيء به إلى مكّة وهو صغير، ونشأ بين سكانها من قبيلة جرهم . . .، ثم صاهرهم وعاش أولاده بينهم بعد أن استعربوا. ومن أهم أولاد إسماعيل عدنان الذي تنسب له هذه الطائفة، ويجيء بعد عدنان ابنه معد ثم نزار بن معد، ولنزار هذا فرعان هامان يتبعان ولديه: ربيعة ومضر، ومن أشهر قبائل ربيعة عبد القيس وبكر وتغلب وحنيفة، ومن أشهر قبائل مضر هوازن وغطفان وتميم وقريش. (شل، سلم، ٨٧، ٧)

جنوب

- الرياح أربع: الصبا والجنوب والشمال والدبور. ويقال الريح واحدة وإنّما يختلف في المهبّ من الجهات. فالصبا هي القبول

ومخرجها بين المشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء من مطلق الذراع إلى مطلع سعد الذابح والدبور يقابلها، والجنوب مخرجها ما بين مشرق الشتاء إلى مغرب الشتاء من مطلع سعد الذابح إلى مسقط العقرب، والشمال يقابلها. والمطالع مائة وثمانون والمغارب مائة وثمانون لكلّ مطلع ريح ولكلّ مغرب ريح وكلّها داخلة في هذه الأربع. والريح هي الهواء بعينه فإذا أحدث الله فيه حركة هبّت واضطربت، وكذا يقول أكثر القدماء أنّ الريح سَيَلان الهواء ويزعمون أنّ هبوبها مرور الشمس بالأرض فيرتفع منها البخار، فإذا كان البخار رطبًا كان مادّة الأمطار وإن كان يابسًا كان مادّة الرياح وهذا جائز أن يجعل الله مرور الشمس علّةً لإثارتها إذا شاء كما جعل السحاب سببًا للمطر. (بلخ، بد٢، ٢٩، ١٣)

جهاد

- الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله. وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصّب لكل منها أهل عصبيته. فإذا تذامروا لذلك وتواقفت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام، والأخرى تدافع، كانت الحرب. وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل. وسبب هذا الانتقام في الأكثر: إما غيرة ومنافسة؛ وإما عدوان؛ وإما غضب لله ولدينه؛ وإما غضب للملك وسعي في تمهيده. فالأول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة. والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والأكراد وأشباههم؛ لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم، ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب، ولا بُغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك، وإنما همّهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم. والثالث هو المسمّى في الشريعة بالجهاد. والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها. فهذه أربعة أصناف من الحروب: الصنفان الأولان منها حروب بغي وفتنة؛ والصنفان الأخيران حروب جهاد وعدل. (خلد، قدم، ٧١٥، ١٤)

جهل بتطبيق الأحوال

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن

المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ١٧)

جهل بطبائع الأحوال في العمران

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية لهِ أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا

كان السامع عارفًا بطبّائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٩، ١)

جيل

- إن معنى كلمة "طبقات" وتطوّرها معروف، وهو مشتقّ من طَبَق أو طَبِق، ومن السهل أن يتطوّر هذا المعنى إلى وصف "أناس يرجعون إلى طبقة أو صنف في تعاقب زمني للأجيال". وقد حاول أصحاب المعاجم أن يحدّدوا بالضبط طول مدة كل طبقة، مثل ما فعلوا في تحديد "القرن" الذي يسبق الطبقة في استعماله بمعنى "جيل". وقد ارتأى البعض أن مدة الطبقة عشرون سنة، وارتأى آخرون أن طول مدة الطبقة قد يكون عشر سنوات (ابن الجوزي: تلقيح مخطوطة باريس ar. 724 ص ٢٧١ أ- ٢٧٢ ب) مستندين في ذلك إلى حديث ينسب للرسول جاء فيه "تتكوّن أمتي من خمس طبقات، كل واحدة منها أربعون سنة". وتقسيم الطبقات إسلامي أصيل، وقد يبدو أنه أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الإسلامي وليست له أية علاقة في الأصل بطريقة الترتيب تبعًا للسنين التي كانت مألوفة في تقاليد التراجم الإغريقية ودخلت الأدب العربي في زمن متأخّر مع "التراجم" الإغريقية، ثم إن الاستعمال القديم لكلمة طبقات ليصف الدول الفارسية المتعاقبة الأربع، لا علاقة له بأصل هذه الكلمة، لأن تقسيم الطبقات هو نتيجة طبيعية لفكرة "صحابة الرسول" الخ والتي تطوّرت في أوائل القرن الثاني الهجري بالارتباط مع نقد علم الحديث للاسناد. وهذه الفكرة واضحة الشبه بالتقاليد اليهودية، وقد تفسّر بأنها تطوّر رسمي مستقلّ أكثر من كونها نتيجة للتأثير اليهودي على الإسلام. غير أن هذا الاحتمال لا يمكن رفضه نهائيًا، ومما يؤيّد الصلة بين تقسيم الطبقات وعلم الحديث هو اقتصار استعمالها على التراجم، فقد استعمل ترتيب الطبقات في أول الأمر، كما كان الحال عند ابن سعد، لتراجم الشخصيات المهمّة في نقل الأحاديث. وكان مقصورًا على رواة الحديث في التواريخ المحلية الأولى "كتاريخ واسط" لبحشل ثم أصبح بالإمكان استعمالها على مرّ الزمن بشكل غير ملائم في تصنيف الأحداث كما هو الحال في "تاريخ الإسلام" للذهبي. (روز، علم، ١٣٣، ١١)

- الذي ينبغي أن نبرزه في تصوّر ابن خلدون للتغيّر، هو أن هذا التغيّر كما يجري في التاريخ والعمران ينتهي في آخر الأمر إلى نوع من القطيعة، تتمثّل في الاختلاف الجذري الذي يفصل الأجيال عن ماضيها البعيد، وفي التحوّلات الكبرى التي تلحق مؤسسات العمران. والقطيعة تحدث على نحوين: إما أن تكون نتيجة لمسلسل من تراكم تغيّرات بطيئة، أو تحدث على نحو عنيف مفاجئ. أ- الحالة الأولى هي حالة التغيّر العادي للعمران، وهو تغيّر ما يفتأ يلحق كل مظاهر حياة البشر. إلا أن هؤلاء لا يعونه عادة لأنه لا يلحظ إلا عبر

الأجيال. فعلى مستوى الجيل الواحد قلّما تحصل تغيّرات كبرى، فأهل الجيل غارقون عادة في "العوائد" السائدة معتقدين أنها لا تتزعزع. ومع ذلك ففي كل جيل تحدث تغيرات ولو طفيفة وغير ملحوظة ما تفتأ تتفاقم مع تعاقب الأجيال، وهكذا فإن التغيّرات التي تحدث وتتناقل عبر الأجيال تنتهي في آخر المطاف إلى تحوّل جذري، أو ما يسمّيه ابن خلدون "المباينة بالجملة". لابن خلدون مصطلح خاص: "الجيل"، يلجأ إليه لتفسير بعض نظرياته (كنظرية الدولة الوراثية ذات الأصل القبلي والتي تمرّ عادة من مسلسل الظهور - القوة - السقوط، وذلك عبر تغيّرات تطرأ على الأجيال الحاكمة). "الجيل" عند ابن خلدون وحدة اجتماعية - تاريخية، ويستعمله لتفسير ما يلحق العمران من تغيّر واستقرار معًا، وذلك حين يتعلّق الأمر بالتغيّر البطيء المتراكم. فالجيل يتلقّى "عوائد" ما سبقه من أجيال - وفي هذا ما يضمن الاستقرار الاجتماعي - ولكن الجيل لا يكتفي بهذا، أي لا يقتصر على مجرّد إعادة إنتاج الماضي (لأن الحفاظ المطلق على التراث والتكرار اللانهائي للماضي ممتنعان بسبب طبيعة التغيّر في العمران)، بل يضيف إليه ما يبتكره من عنده، لكن بالدرجة التي لا تضع التقاليد موضع سؤال، ثم يورث الجيل اللاحق تراث الماضي وقد عدّل تعديلًا ما، وهذا الجيل بدوره يترك أثره على ما يتلقّاه، وهكذا تتراكم التعديلات إلى أن تنتهي إلى التغيّر الشامل: "المباينة بالجملة". عملية تلقي التراث وتعديله تقودها "طبقة" الحكام "أهل الملك والسلطان"، ويحاكيهم بقية السكان، فبواسطة هذه "الطبقة" يجري مسلسل تغيّر "العوائد". "والسبب الشائع في تبدّل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه ... وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر، فلا بدّ من أن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها، ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك... فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت بعض الشيء وكانت للأولى أشدّ مخالفة، ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة". ب- في الحالة الثانية يتمّ التغيّر على نحو مفاجئ وعنيف. وفي التاريخ فترات كهذه تحصل فيتغيّر مجراه. ويعيّن ابن خلدون على الخصوص عاملين من شأنهما أن يحدثا في التاريخ تحوّلات جذرية: أن يحدث انهيار عام في العمران وعلى امتداد واسع، كذلك الذي قد يحدثه وباء جارف (مثلًا الانهيار الذي نتج عن الطاعون الأسود في عصر ابن خلدون)، أو ظهور شعب قوي على مسرح التاريخ ينتزع السيادة من شعب آخر آلت قوّته إلى الأفول. ويعطي ابن خلدون أمثلة لانتقال القوة من أمة إلى أخرى: فقد حلّ الروم (اليونان والرومان) محلّ الفرس، وحلّ العرب حملة الإسلام محلّ الروم

والفرس، وأخيرًا انتزع الترك والبربر الهيمنة على العالم الإسلامي من أيدي العرب. إن هذا النوع الثاني من التغيير هو ما يعنينا أكثر. ذلك لأنه نتيجة لمثل التغيّر الانقلابي (ظهور شعب قوي ببلاد المغرب وهم العرب البدو، وانهيار عمرانه بسبب طاعون القرن الثامن) قرّر ابن خلدون أن يعيد كتابة التاريخ حتى "يُدوّن" ما حلّ من أوضاع جديرة في التاريخ. (أوم، نهج، ٦٨، ١)

جيل أبيض

- نما الجيل الأبيض في بقاع إيران الأولى ومنها انتشر إلى الهند وآسيا الغربية وكل أوربا. ونما الأصفر في الصين وشمال آسيا وجزائر ملقا. ونما الأسود في أفريقي وأوستراليا. ويردّ الهنود الحمر الأمريكيون إلى الجيل الأصفر. (مط، مرأ، ٥، ٣)
- ينقسم الجيل الأبيض إلى فصيلتين كبيرتين. وهما: السامية في الجنوب الشرقي من آسيا وفي شرقي أفريقيا. والآرية أو الهندية الأوربية في آسيا الغربية وأوربا. والظاهر أن مهد الفصيلة الآرية كان في البلاد الواقعة في الشمال الغربي من نهر السند بأرض تركستان. وقد خرجت من تلك البقعة طوارئ كثيرة امتدّت من ضفاف نهر الكنج إلى أقاصي الغرب، ويشهد بذلك ما اكتشف حديثًا من تقارب القواعد التصريفية وتشابه أصول الألفاظ الأساسية بين اللغات القديمة، فثبت به أن اليونانية واللاتينية شقيقتان مأخوذتان من السنسكريت لغة البراهمة الهنديين وأن السلتية والألمانية والسلافية متفرّعة منها أيضًا، فمن مثل هذه المباحث ثبتت القربى بين الهنود والماديين والفرس في الشرق والبلاجيين واليونانيين في آسيا الصغرى وأغريقيا وإيطاليا والسلتيين والجرمانيين والسلافيين في شمال البحر الأسود وفي جبال البلقان والألب. (مط، مرأ، ٦، ١٧)

جيل أصفر

- الجيل الأصفر فقد وجدت عنده أقدم سجلات الذكر وكانت له حضارة ذاتية وممالك لا تزال موجودة وأشهر أقسام هذا الجيل هم الصينيون والمغول، ويلحق بهم أيضًا شعوب الهند الصينية. ومنهم الأناميون والتبتيون وأقدم سكان الهند والقبائل التركية والتترية والهونية من غرب الصين إلى بحر قزوين. ولعلّ أصل المجر من بعض تلك القبائل. (مط، مرأ، ٦، ٩)

جيومرث

- جيومرث الذي زعمت الفرس أنّه آدم إنّما هو حام بن يافث بن نوح، وأنّه كان معمّرًا سيّدًا نزل جبل دُنْبَاوَنْد من جبال طَبَرستان من أرض المشرق وتملّك بها وبفارس وعظم أمره وأمر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلّها، وابتنى جيومرث المدن والحصون وأعدّ السّلاح واتّخذ الخيل وتجبّر في آخر أمره وتسمّى بآدم. (أث، كمل، ٤٦، ٤)

ح

حاجب

- عند رسوخ عزّ السلطان واحتياجه إلى الانفراد بنفسه. وذلك لأن الدولة - في أول أمرها - إن كان قيامها بالدين فهو بعيد عن منازع الملك، وإن كان بالغلب بالبداوة الحاصل عن العصبية كذلك. وحينئذٍ، فصاحبها يكون سهل الإذن قريبًا من الناس، فإذا رسخ عزّه واحتاج إلى انفراده مع أوليائه، للمفاوضة في أموره لما يكثر عليه من الغاشية، واحتجب عن العامة، واتّخذ الإذن ببابه على من لا بدّ منه، فيكون حاجبًا له عن الناس وقائمًا ببابه لهذه الوظيفة. (أزر، بدع٢، ٧٠٧، ١٨)

حاجيات الحياة

- حاجيات الحياة كانت رخيصة جدًّا، ثم أخذت أثمانها تتصاعد بتكاثر الناس، وتفنّنهم في طرق المعائش، ولأسباب أخرى. (زي، مدن٢، ٧٢، ٩)

حادث

- العالم كله حادث، وكل حادث فلحدوثه سبب، والدليل على أن العالم حادث أن العالم كل موجود سوى الله عزّ وجلّ، والموجود إذا كان متحيّزًا غير مؤتلف سمّي جوهرًا فردًا فإن ائتلف إلى غيره سمّي جسمًا. والعرض ما قام بغيره: كاللون، والطعم، وهذه الموجودات لا تخلو من الحوادث؛ كالحركة والسكون، وكل ما يخلو من الحوادث حادث. ومعنى قولنا "حادث" أنه وُجد بعد عدمه، فلا يخلو وجوده قبل أن يكون محالًا أو ممكنًا، ولا يجوز أن يكون محالًا؛ لأن المحال لا يوجد أبدًا. فثبت أنه ممكن، والممكن ما يجوز أن يوجد ويجوز أن لا يوجد، فلا بدّ لوجوده من مرجّح له على العدم، وهذا أمر ضروري في العقل لا نزاع فيه، فظهر منه أنه لا بدّ للموجودات من موجد أوجده. فإن قيل: يبطل هذا بالخالق فإنه موجود لا بموجد. قلنا: الخالق واجب الوجود لم يزل، وهذه الأشياء جائزة الوجود وبدت بعد عدم فافتقر إلى موجد. (جو، نظم، ١١٨، ١٥)

حادثة

- يذكرون الحادثة الواحدة في سنين (المؤرخون)، ويذكرون منها في كلّ شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطّعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلّا بعد إمعان النظر. فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كلّ شيء منها في أيّ شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض. وذكرت في كلّ سنة لكلّ حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصّها. فأمّا الحوادث الصغار التي لا

يحتمل منها كلّ شيء ترجمة فإنّني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كلّ سنة، فأقول: ذكر عدّة حوادث. وإذا ذكرت بعض من نبغ وملك قطرًا من البلاد ولم تطل أيّامه فإني أذكر جميع حاله من أوّله إلى آخره، عند ابتداء أمره، لأنّه إذا تفرّق خبره لم يعرف للجهل به. وذكرت في آخر كلّ سنة من توفّي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء. وضبطت الأسماء المتشابهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللّفظ الواردة فيه بالحروف ضبطًا يزيل الإشكال، ويُغني عن الأنقاط والأشكال. فلمّا جمعت أكثره أعرضت عنه مدّة طويلة لحوادث تجدّدت، وقواطع توالت وتعدّدت، ولأن معرفتي بهذا النوع كملت وتمّت. (أث، كمل، ٤، ٢)

- إذا مرّت به حادثة لم يتثبّت منها نقدها، شأنه في كلامه - ابن الأثير - على الدولة الغورية سنة ٥٤٧هـ ١١٥٢م، وذاك حيث يقول: "وبالجملة فابتداء دولة الغورية عندي فيه خلف، لو ينكشف الحقّ أُصلحه إن شاء الله" (مقدمة). (أث، كمل، ١٤، ٥)

- إن ما يحدّد حدثية الحادثة هو اكتمالها بأدوارها واكتفاء الأفعال الداخلة فيها والمروية عنها بذاتها، بحيث أن غياب أحداث أخرى لا يؤثّر على ذلك الذي يحدث والذي يكتمل من الافتتاح إلى الاختتام. ذلك يعني أن ما يشكّل الحادثة في إطار السرد هو كونها وحدة إداء إخباري. بذلك، فإن مطلب ابن الأثير في النقد الذي وجّهه للطبري لا يتناول عدم إقامة علاقات سببية وغيرها بين وحدات التاريخ المتتالية، كما قد يتبادر لأذهان البعض للوهلة الأولى، بل إن هذا النقد يطال سرد الأدوار الداخلية لكل من هذه الوحدات، هذا السرد الذي يفتّت التكامل الداخلي لهذه الوحدات كلما قام الطبري، مثلًا، بقطع التتالي الداخلي للحدث من أجل إضافة أخبار وأسانيد مختلفة حول تاريخ أو إسم أو حادثة استطرادية أو جانبية، قبل معاودة سرد الحادثة موضع السرد. يجب علينا بالتالي أن ننظر إلى هم ابن الأثير على أنه تعبير عن أمر دارج وراجع للحكمة العملية التي تروم الوضوح، وهي بذلك شبيهة بما يعنيه صلاح الدين بن أيبك الصفدي عندما يقول بأن ترتيب الحوادث على السنين "أليق" بالتاريخ "لأن الحوادث والوقائع تجيء فيه مرتّبة متتالية، تمامًا كما أن حروف المعجم أليق بالتراجم إذ يذكر فيها ما وقع الرجل في السنين المتعدّدة دفعة واحدة". في الحالتين، نرى أن الهاجس الأساسي والعامل الموجّه في عملية ترتيب الأخبار التكامل الداخلي لوحدات السرد، التكامل الذي يتراءى لابن الأثير وللصفدي وكأنه تكامل طبيعي يحاكي التكامل الموجود في العالم الخارجي. (عظم، عرف، ٤٦، ١٧)

- تدين الحادثة، بوجودها، وبتاريخيتها، إذن، إلى نقطتها المرجعية، إلى العقدة الموضوعاتية التي ترزمها وأخواتها من

الحوادث في رباط أفقي. ولكن كونها مدينة بوجودها إلى هذا المرجع يعني أيضًا أنها تدين لهذا المرجع بأكثر من الوجود الصرف وبأكثر من الموضع الذي تحتلّه في فضاء السرد. فليس لكل ما يحدث في الماضي تلك التاريخية التي تسمح له باحتلال موقع في التاريخ. ففي الأخبار عن الماضي ما يفصل بين ما يصلح للتاريخ - أي بين ما يمكن أن يدخل في رزمة من المطالب التابعة لنقطة مرجعية موضوعاتية - وما لا يصلح لذلك وما يقذف به بالتالي من كتب التاريخ إلى عالم النسيان. فلحوادث التاريخ ما أطلق عليه، في إطار آخر، عبارة "وحدة نوعية" تربط فيما بينها عن طريق نقطتها المرجعية.
(عظم، عرف، ٦٤، ١٣)

حادثة مفردة
- تتشكّل الحادثة المفردة، إذن، من اجتماع لفصول حدثية مترابطة برباط زمني يجعل منها سلسلة في الزمان لا طول محددًا لها. في حوادث العام ١٣٩هـ، مثلًا، يستغرق سرد أسماء وأخبار الولاة الأمويين في الأندلس من العام ٩٢ الجزء الأكبر من حادثة دخول عبد الرحمن إليها - والفصل المتعلّق بدخول عبد الرحمن الأندلس قصير جدًّا، زمانيًا ونصيًّا بالقياس إلى سجلّ ولاة بني أميّة وتتبع هذه الحادثة أخرى تتناول سفر عبد الرحمن من المشرق. إن إدراج الأخبار عن ولاة الأندلس في إطار حادثة دخول عبد الرحمن الأندلس لا يشير فقط إلى أهمية إطار السبق في حكم الأندلس هذا، بل هو يشير أيضًا إلى المرونة بخصوص طول الحادثة وكون تماسكها الاعتبار الأساسي في تحديد الطول - والتماسك هنا تماسك تتالي حكم - حتى إنه في بعض الأحيان، وعند الطبري خصوصًا، يتلو أخبار السنة الواحدة ملحق يتضمّن بعض الأخبار الجديدة بالإضافة إلى إعادة لأخبار سبق وأن سردت بطرق مختلفة -. وبذلك فإن فصول الأحداث الموصلة إلى اكتمال الفصل المركزي في الحدث (والذي يعطى اسمه لعنوان الحدث) تتفاوت في الطول.
(عظم، عرف، ٥٠، ٤)

حاسب
- الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلّع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. ولقد نجد في المدن صنفًا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرّضون لمن يسألهم عنه. فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول، يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك، ما بين خط في الرمل

ويسمّونه المنجّم، وطرق بالحصى والحبوب ويسمّونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمّونه ضارب المندل. وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار، لما تقرّر في الشريعة من ذمّ ذلك، وأن البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية. وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلّع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم. ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه. وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجّم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدّة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها. والتعرّض لأسمائهم ويسمّى مثل ذلك الحِدْثان. (خلد، قدم، ٨٢١، ١٦)

حاضر

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإن حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ٢٠)

حال الإستبداد

- حال استبدادها (دولة بني العباس) بشماخة الملك والسلطان، ففيها ازداد سموّ الوزير بمصير النيابة إليه في الحل والعقد، وجعل النظر له في ديوان الحسبان ثم القلم والترسيل، فصار اسمه جامعًا لخطتي: السيف والقلم وسائر معاني المعاونة، فعنت له الوجوه، وخضعت له الرقاب. (أزر، بدع١، ١٩٠، ٢)
- حال الاستبداد على سلطانها تارة واستقلاله بالأمر أخرى. وفيها انقسمت الوزارة إلى وزارة تنفيذ؛ وهي حال قيام السلطان على نفسه، وإلى وزارة تفويض، وهي حال استبداد الوزير عليه. (أزر، بدع١، ١٩٠، ٨)

حام

- سُمّيت مصر بمصر بن حام بن نوح صلّى الله عليه، ومن ولده القبط والبربر وأرض مصر محدودة مسيرة أربعين ليلة في مثلها، وكانت مصر دار الفراعنة واسمها مقدونية والفسطاط هي فسطاط عمرو بن العاص بباب الْيُون ملك الروم. (خرد، مسلك، ٨٠، ١١)

حام بن نوح

- حام بن نوح عليه السلام. قال وهب بن منبه أن حام بن نوح كان رجلًا أبيض

حسن الوجه والصورة فغيّر الله عزّ وجلّ لونه وألوان ذريّته من أجل دعوة أبيه، وأنه انطلق وتبعه ولده فنزلوا على ساحل البحر فكثرهم الله وأنماهم فهم السودان. وكان طعامهم السمك فحدّدوا أسنانهم حتى تركوها مثل الإبر لأن السمك كان يلصق بها، ونزل بعض ولده المغرب فولد حام كوش بن حام وكنعان بن حام وفوط بن حام. فأما فوط فسار فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده، وأما كوش وكنعان فأجناس السودان النوبة والزنج والقرين والزغاوة والحبشة والقبط وبربر من أولادهما. (قتي، خبط، ١٢، ٢٣)

حبشة

- من كان موغلًا في الشمال فإفراط بُعد الشمس عن مسامتة رؤوسهم برّد أمزجتهم وفجّج أخلاقهم فعظمت أبدانهم وابيضّت ألوانهم واستدلَت شعورهم فعدموا بهذا دقّة الأفهام وثقوب الخواطر فغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم الغيّ والغباوة، كالصقالبة ومجاوريهم. ومن كان منهم قريبًا من معدّل النهار وخلفه إلى نهاية المعمورة في الجنوب لطول مقاربة الشمس رؤوسهم سخنت أمزجتهم واحترقت أخلاطهم فاسودّت ألوانهم وتفلفلت شعورهم فعدموا بهذا الاناة وثبوت البصائر، كالحبشة وباقي السودان، إلا الهند فإن الله قد فضلهم على كثير من السمر والبيض وهم معدن الحكمة وينبوع العدل، إلا أنهم يُثبتون أزل العالم ويُبطلون النبوّات ويحرمون ذبح الحيوان ويمنعون إيلامه. (عِب، خصر، ٤، ٢)

حتمية في التاريخ

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل، من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد.

ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلُّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن

(الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًا فيعجّل ارتقاءها أو يُسبّب انتكاسها. . . . وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلّا أنّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجّلان انقراضها. (فر، علل، ١٥، ١٥)

حجابة

- الحجابة يراد بالحاجب في دول الإسلام ما يراد بالتشريفاتي في هذه الأيام، وهو الذي يتولّى الإذن للناس في الدخول على الملك أو السلطان أو الأمير، ولا بدّ منه في الدولة حفظًا لهيبة الملك. وكلما أعرقت الدولة في المدنية واستغرقت في الترف تكاثف الحجاب بين ملكها ورعاياه، فكان الخلفاء الراشدون يفتحون أبواب مجالسهم لأي من كان، ويخاطبون الفقير والغني والصعلوك والقوي بلا حجاب ولا كلفة. فلمّا تحوّلت الخلافة إلى الملك كان في جملة ما أدخلوه على الدولة التدقيق في الحجاب، وترتيب الناس في الدخول على الخلفاء بحسب طبقاتهم وأنسابهم. وأول من انتبه لذلك معاوية بن أبي سفيان، نبّهه إليه زياد بن أبيه. فكانوا يفضّلون في الدخول أهل البيوتات، أي أهل النسب، فإذا تساوت الأنساب فضلوا أهل السن، فإذا تساوت فضّلوا أهل الأدب والعلم. لكنهم كانوا يبيحون الدخول لأربعة في أي وقت شاؤوا وهم: المؤذن، وطارق الليل، ورسول الثغر، وصاحب الطعام. (زي، مدن١، ٢٦٠، ٦)

- الحجابة: وهي خدمة الكعبة وتولّي مفاتيحها. (شل، سلم، ١١٩، ٣)

حد

- الحدّ ما دلّ على عين الشيء وغرضه بإحاطة وإيجاز كحدود الدار والأرضين التي تميّز حصّة كل مالك من حصّة صاحبه فيعرف به داره فأرضه، والزيادة في الحدّ نقصان والنقصان منه زيادة يبطل الحدّ المطلوب كقولك الإنسان حيٌّ ميّت ناطق هذا حدّه فإن زيد فهي شيء أو نقص انتقض لأنّ الاعتبار صحّة الحدود في الاطّراد بالعكس والقلب فمتى لم ينعكس لم يستقِم. (بلخ، بد١، ٢٩، ١٢)

حدث العالم

- ما دلّ على حدث العالم دالّ على تناهي ذاته ومساحته لأنّ دليل حدثه قد دلّ على انقطاع ما حدث منه إلى هذا الوقت وما انقطع حدوثه فهو متناهي الأجزاء لأنّه لو أُضيف إليه حادث كبعضه لكان زائدًا مقدار أجزائه ولكان بوجود ذلك الزائد أكثر ممّا كان قبل حدوثه، ولو كان العالم غير متناهي الذات لكان السائر منّا من وسط الأرض لو سار تلقاء وجهه ألف فرسخ لم يكن ما خلف وراءه من العالم أكثر مساحةً ممّا بين يديه منه، ولو كان ذلك كذلك لكان لو أحدث الله تعالى أجسامًا بمقدار ألف فرسخ لم يكن العالم بعد زيادة ذلك أكثر مساحة منه قبل تلك الزيادة، ولو كان هذا جائزًا لجاز مثله في عدد الناس والدوابّ والشجر. (بلخ، بد٢، ١٣٣، ٩)

حدثان

- الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلّع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. ولقد نجد في المدن صنفًا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرّضون لمن يسألهم عنه. فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول، يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك، ما بين خط في الرمل ويسمّونه المنجّم، وطرق بالحصى والحبوب ويسمّونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمّونه ضارب المندل. وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار، لما تقرّر في الشريعة من ذمّ ذلك، وأن البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية. وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلّع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم. ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه. وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجّم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة

يحدثون أنفسهم بها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدّة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها. والتعرّض لأسمائهم ويسمّى مثل ذلك الحِدْثان. (خلد، قدم، ٨٢٢، ٧)

حدثان الدول

- قد يستندون في حدثان الدول على الخصوص إلى كتاب الجفر، ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم، لا يزيدون على ذلك، ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده. واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هرون بن سعيد العجلي - وهو رأس الزيدية - كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص. وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء. وكان مكتوبًا عند جعفر في جلد ثور صغير، فرواه عنه هرون العجلي وكتبه، وسمّاه الجفر باسم الجلد الذي كتب عليه، لأن الجفر في اللغة هو الصغير، وصار هذا الاسم عَلَمًا على هذا الكتاب عندهم. وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق. وهذا الكتاب لم تتّصل روايته ولا عرف عينه، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل. ولو صحّ السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وقد صحّ عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم، فتصحّ كما يقول. وقد حذّر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف. وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنّك بهم علمًا ودينًا وآثارًا من النبوّة، وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيّبة. وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام، غير منسوب إلى أحد. (خلد، قدم، ٨٢٨، ٦)

- أما المنجّمون فيستندون في حدثان الدول إلى الأحكام النجومية. أما في الأمور العامة مثل الملك والدول فمن القرانات، وخصوصًا بين العُلْوِيَّيْن. وذلك أن العُلوِيين زحل والمشتري يقترنان في كل عشرين سنة مرة، ثم يعود القِران إلى برج آخر في تلك المثلثة من التثليث الأيمن، ثم بعده إلى آخر كذلك، إلى أن يتكرّر في المثلثة الواحدة اثنتي عشرة مرة تستوي بروجه الثلاثة في ستين سنة، ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة، ثم يعود ثالثة ثم رابعة بالمستوى في المثلثة باثنتي عشرة مرة، وأربع عودات في مائتين وأربعين سنة، ويكون انتقاله في كل برج على التثليث الأيمن، وينتقل من المثلثة إلى المثلثة التي تليها أعني البرج الذي يلي البرج الأخير من القِران الذي قبله في المثلثة. وهذا القران الذي هو قران العُلْوِيَّيْن. ينقسم إلى كبير وصغير ووسط: فالكبير هو اجتماع العُلوِيين في درجة

واحدة من الفلك، إلى أن يعود إليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة؛ والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي عشرة مرة، وبعد مائتين وأربعين سنة ينتقل إلى مثلثة أخرى؛ والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج، وبعد عشرين سنة يقترنان في برج آخر على تثليثه الأيمن في مثل درجة أو دقائقه. مثال ذلك وقع القِران أول دقيقة من الحمل، وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من القوس، وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من الأسد، وهذه كلها نارية، وهذا كله قِران صغير. ثم إلى أول الحمل بعد ستين سنة ويسمّى دور القِران وعود القِران، وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية إلى الترابية لأنها بعدها، وهذا قِران وسط. ثم ينتقل إلى الهوائية ثم المائية، ثم يرجع إلى أول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير. والقِران الكبير يدلّ على عظام الأمور مثل تغيير الملك والدولة، وانتقال الملك من قوم إلى قوم؛ والوسط على ظهور المتغلّبين والطالبين للملك؛ والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن أو عمرانها. ويقع أثناء هذه القِرانات قسران النَّحْسَيْن في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمّى الرابع. وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريخ، فتعظم دلالة هذا القِران في الفتن والحروب، وسفك الدماء، وظهور الخوارج، وحركة العساكر، وعصيان الجند، والوباء والقحط؛ ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر السعادة والنحوسة في وقت قِرانهما على قدر تيسير الدليل فيه. (خلد، قدم، ٨٢٩، ٢٠)

- كتب الناس . . . في حِدْثان الدول منظومًا ومنثورًا ورجزًا ما شاء الله أن يكتبوه؛ وبأيدي الناس متفرّقة كثير منها، وتسمّى الملاحم. وبعضها في حِدْثان الملّة على العموم، وبعضها في دولة على الخصوص. وكلها منسوبة إلى مشاهير أهل الخليقة. وليس منها أصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب إليه. (خلد، قدم، ٨٣٥، ١)

حدثان دولة بني العباس

- قد كان يعقوب بن إسحق الكندي منجّم الرشيد والمأمون وضع في القِرانات الكائنة في الملّة كتابًا سمّاه الشيعة بالجَفْر، باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حِدْثان دولة بني العباس، وأنها نهايته، وأشار إلى انقراضها والحادثة على بغداد أنها تقع في انتصاف المائة السابعة، وأن بانقراضها يكون انقراض الملّة. ولم نقف على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه؛ ولعلّه غرق في كتبهم التي طرحها هُلاكو ملك التتر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء. وقد وقع بالمغرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب يسمّونه الجفر الصغير، والظاهر أنه وضع لبني عبد المؤمن، لذكر الأولين من الملوك

الموحّدين فيه على التفصيل. ومطابقة من تقدّم عن ذلك من حدثاته وكذب ما بعده. (خلد، قدم، ٨٣٤، ٧)

حدثية الحادثة

- إن ما يحدّد حدثية الحادثة هو اكتمالها بأدوارها واكتفاء الأفعال الداخلة فيها والمروية عنها بذاتها، بحيث أن غياب أحداث أخرى لا يؤثّر على ذلك الذي يحدث والذي يكتمل من الافتتاح إلى الاختتام. ذلك يعني أن ما يشكّل الحادثة في إطار السرد هو كونها وحدة إداء إخباري. بذلك، فإن مطلب ابن الأثير في النقد الذي وجّهه للطبري لا يتناول عدم إقامة علاقات سببية وغيرها بين وحدات التاريخ المتتالية، كما قد يتبادر لأذهان البعض للوهلة الأولى، بل إن هذا النقد يطال سرد الأدوار الداخلية لكل من هذه الوحدات، هذا السرد الذي يفتّت التكامل الداخلي لهذه الوحدات كلما قام الطبري، مثلًا، بقطع التتالي الداخلي للحدث من أجل إضافة أخبار وأسانيد مختلفة حول تاريخ أو إسم أو حادثة استطرادية أو جانبية، قبل معاودة سرد الحادثة موضع السرد. يجب علينا بالتالي أن ننظر إلى هم ابن الأثير على أنه تعبير عن أمر دارج وراجع للحكمة العملية التي تروم الوضوح، وهي بذلك شبيهة بما يعنيه صلاح الدين بن أيبك الصفدي عندما يقول بأن ترتيب الحوادث على السنين "أليق" بالتاريخ "لأن الحوادث والوقائع تجيء فيه مرتّبة متتالية، تمامًا كما أن حروف المعجم أليق بالتراجم إذ يذكر فيها ما وقع الرجل في السنين المتعدّدة دفعة واحدة". في الحالتين، نرى أن الهاجس الأساسي والعامل الموجّه في عملية ترتيب الأخبار التكامل الداخلي لوحدات السرد، التكامل الذي يتراءى لابن الأثير وللصفدي وكأنه تكامل طبيعي يحاكي التكامل الموجود في العالم الخارجي. (عظم، عرف، ٤٦، ١٥)

حربية

- كانت خلافة المعتصم بدء نفور العرب من خلفائهم وشكواهم منهم. وكانوا يعبّرون بالجند يومئذٍ عن الأتراك وغيرهم من الأعاجم، "وبالحربية" عن جند العرب وكلهم مشاة، ثم المتطوّعة وهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم، ويغلب أن يكون المتطوّعة في الحروب خارج حدود المملكة الإسلامية. (زي، مدن١، ١٧١، ٣٠)

حركة التاريخ

- إن حركة التاريخ الوحيدة التي لا جدال فيها، هي حركة النشوء والارتقاء، ذلك هو اتّجاهه، وتلك هي غايته. (علف، فت، ١٦، ٢٣)

حركة التحرّر الوطني

- في آسيا كانت حركة التحرّر الوطني هي المناسبة المباشرة للاهتمام الجديد

بالدراسات التاريخية، وقد أعطى نموّ القومية فيها دافعًا للبحث المستقلّ، شأن ما حدث في إفريقية. (بار، وجه، ٢٠٩، ٢)

حركة شعوبية

- الحركة الشعوبية: وهذه الحركة الديناميكية العنيفة التي أفرزتها عوامل عديدة، في المجتمع الإسلامي، بين القرنين الأول والثاني خاصة كانت رغم ظاهرها الفكري العاطفي إنما تستقي جذورها من عوامل مادية اقتصادية، وهذا هو في الواقع السر في فاعليتها النشيطة. فإن تمييز العرب عرقيًا وسياسيًا وعسكريًا كان يمنحهم امتيازات ومصالح ومنافع مادية واقتصادية واسعة. وهذا ما دفع أبناء الشعوب الأخرى، أكثر مما دفعتهم العوامل الرومانسية والعاطفية بل والدينية إلى محاولة تحطيم ذلك التميز للمشاركة في المكاسب المادية وفي العطاء وغنائم الحكم واستغلال الطبقات الدنيا في المجتمع. كانت الشعوبية إذن صدى فكريًا قوميًا لمزاحمة اقتصادية عنيفة. وقد كان من همِّ الشعوبيين المقيم تشويه الهالة التي وضعها الدين الإسلامي والحكم الإسلامي من حول العرب. (مص، رخ١، ٦٨، ٣)

حركة قومية

- أية حركة قومية كانت لا تتحقّق وتنجح إلا في مجتمع قد بلغ نوعًا معيّنًا من التطوّر والانسجام. وبعبارة موجزة مجملة يمكننا أن نقول إن القومية لم تقم في الغرب في مجتمع تسوده أوضاع القرون الوسطى، بل قامت على أنقاض هذه الأوضاع. إن القومية تتعارض والثيوقراطية، وتتطلّب - أول مما تتطلّب - علمانية الدولة. ولم تتأصّل جذور القوميات في العالم، ولن تتأصل جذور القومية العربية، إلا على هذا الأساس. (زري، نحن، ٢٠٣، ٩)

حروب

- الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله. وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصّب لكل منها أهل عصبيته. فإذا تذامروا لذلك وتواقفت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام، والأخرى تدافع، كانت الحرب. وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل. وسبب هذا الانتقام في الأكثر: إما غيرة ومنافسة؛ وإما عدوان؛ وإما غضب لله ولدينه؛ وإما غضب للملك وسعي في تمهيده. فالأول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة. والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والأكراد وأشباههم؛ لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم، ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب، ولا بُغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك، وإنما همّهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم. والثالث هو المسمّى في الشريعة

بالجهاد. والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها. فهذه أربعة أصناف من الحروب: الصنفان الأولان منها حروب بغي وفتنة؛ والصنفان الأخيران حروب جهاد وعدل. (خلد، قدم، ٧١٥، ٣)

حزم

- قالوا: من لم يقدّمه الحزم أخّره العجز. وقيل لعبد الملك بن مروان ما الحزم؟ قال: اختداع الناس بالمال، واستمالتهم به، فإنهم أتباعه، أين كان كانوا، وكيف مال مالوا. وقال بعض الملوك لبعض الحكماء: متى تكون الثقة بالعبد حزمًا؟ قال: إذا شاورته في أمر هو لك وله. وقال مسلمة بن عبد الملك: ما فرحت بظفر ابتدأته بعجز، ولا ندمت على مكروه ابتدأته بحزم. (طق، فخر، ٤٠، ١٣)

حزم للكتب

- الحزم للكتب إما بدسر الورق، كما في عرف كتّاب المغرب، أو بلصق رأس الصحيفة على ما ينطوي عليه من الكتاب، كما في عرف أهل المشرق. وقد جعل على مكان الدسر أو اللصاق علامة يؤمن معها من فتحه. فالمغاربة يجعلون على الدسر قطعة من الشمع، ويطبعون عليها بخاتم، نقشت فيه علامة لذلك فيرتسم النقش في الشمع. والمشارقة - في القديم - يختمون على مكان اللصق بخاتم منقوش - أيضًا - قد غمس في طين أحمر، فيرتسم النقش عليه. وكان هذا الطين يسمّى في الدولة العباسية بـ"طين الخاتم". وكان يجلب من "سيراف". (أزر، بدع٢، ٧٢٩، ٢١)

حس

- العلم اعتقاد الشيء على ما هو به إن كان محسوسًا فبالحسّ وإن كان معقولًا فبالعقل. والحسّ والعقل أصل ما تُردُّ إليه العلوم كلّها فما قَضَيَا بإثباته ثبت وما قضيا بنَفْيه انتفى، هذا إذا كانا سليمَيْن من الآفات برئَيْنِ من العاهات وعوارض النقص غسيلين من عشق عادة الألف والنشو لا يكاد يقع حينئذٍ في محسوسه ومعقوله اختلاف إلّا من مخالف أو من معاند لأنّهما على ضرورة لا يعترض للحاسّ شكٌّ في هيئة المحسوس وصورته، ولا يقدر المضطرّ ببديهة عقله أن لا يعلم ما يعلمه ويتيقّنه ولا يُصدّق من يدّعي خلافه ولو كان مضطرّ إلى دعواه كما اضطرّ في حواسّه لما ظهر من أحد خلاف ولا احتيج إلى كسر قوله والكشف عن عوار كلامه. ألا ترى أنّه يستحيل أن تجد الحاسّة النار باردة والثلج حارًّا في الظاهر كما يستحيل أن يكون المعلوم متحرّكًا ويعلم ساكنًا أو يكون في نفسه أبيض ويقع العلم بأنّه أسود، ولو جاز هذا لبطلت العلوم كلّها رأسًا وفسدت الاعتقادات فساغ لكل قائل ما أراد من ادعاء السمع والبصر والبصر السمع والحيّ ميتًا والميّت حيًّا وهذا محال لأنّ العلم إذا كان إدراك

الشيء على ما هو به من حدّ وحقّه ثم لم يُدرك ذاته كما هو لم يكن معلومًا وكذلك الحسّ إذا لم يدرك طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوسًا. وهذا لا خلاف فيه بين المتميّزين العاقلين قاطبةً. (بلخ، بدا، ١٩، ٤)

حِسْبة

- الحِسبة هي منصب ديني من قبيل القضاء، وصاحب الحسبة (المحتسب) يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدّب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدن مثل المنع من المضايقة في الطرقات، ومنع الحمالين ومنع أهل السفن من الإكثار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقّع من ضررها على السابلة، والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب إذا بالغوا في ضربهم للصبيان، وله النظر في الغشّ والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين. والأصل في الأمور التي ذكرناها أن تكون من واجبات القاضي، لكنهم جعلوها عملًا مستقلًّا تنزيهًا للقاضي عن استقصاء هذه الأمور بنفسه. (زي، مدن١، ٢٥١، ١٠)
- الحِسْبة هي نوع من رقابة الدولة الإسلامية على الأسواق والتجارة والعلاقات بين المتبايعين والمتعاملين بالصفق والصناعة والمتّصلين بالجماهير اتّصال تعامل، كالمعلم في صلته بتلاميذه، والمدرّب في علاقته بمن يدرّبهم، والمتعهّد في صلته بمن يتعهّد لهم القيام بعمل، كبناء دار أو مسجد أو قنطرة أو ما إليها. (حس، عر، ١٧٩، ٤)
- كان ولاة الدولة الإسلامية يتولّون رقابة الأسواق وأرباب الحرف بأنفسهم، أو يعهدون بذلك إلى قضاتهم. وسمّيت هذه العملية الرقابية بالحسبة، وسمّي الذي كان يتولّاها بالمحتسب. (حس، عر، ١٨١، ٥)

حسن التدبير

- للسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحرم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار. (جو، نظم، ٩، ١١)
- في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها فائدتان؛ أحدهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله علمت حسن التدبير واستعمال الحزم، وإن ذكرت سيرة مفرط ووصفت عاقبته خويت من التفريط فيتأدّب المسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول.

والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن، وتصاريف القدر، والنفس تجد راحة بسماع الأخبار. (جو، نظم، ١١٧، ١٠)

حشر

- الحشر لا خلاف بين أهل الأديان قاطبةً في أصل البعث والحشر ولا يُنكره أحد من أهل الأرض إلّا الملحد المعطّل الذي لا يُعَدُّ قوله خلافًا، وإنّما الاختلاف في أشياء من صفاته. (بلخ، بد٢، ٢٢٨، ١٠)

حضارة

- الحضارة إنما هي تفنّن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله؛ فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنّق فيه تختصّ به ويتلو بعضها بعضًا؛ وتتكثّر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعّم بأحوال الترف؛ وما تتلوّن به من العوائد، فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورةً؛ لضرورة تبعية الرفه للمُلك. (خلد، قدم، ٥٤٨، ١٠)

- الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرَّفه وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة تفاوتًا غير منحصر. وتقع فيها عند كثرة التفنّن في أنواعها وأصنافها، فتكون بمنزلة الصنائع. ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليها والمهرة فيه. وبقدر ما يتزيد من أصنافها تتزيّد أهل صناعتها، ويتلوَّن ذلك الجيل بها. ومتى اتّصلت الأيام وتعاقبت تلك الصناعات حذق أولئك الصناع في صناعتهم، ومهروا في معرفتها. والأعصار بطولها وانفساح أمدها وتكرير أمثالها تزيدها استحكامًا ورسوخًا. وأكثر ما يقع ذلك في الأمصار لاستبحار العمران وكثرة الرّفه في أهلها. وذلك كله إنما يجيء من قبل الدولة. لأن الدولة تجمع أموال الرعية وتنفقها في بطانتها ورجالها، وتتّسع أحوالهم بالجاه أكثر من اتّساعها بالمال. فيكون دخل تلك الأموال من الرعايا وخرجها في أهل الدولة ثم فيمن تعلّق بهم من أهل المصر، وهم الأكثر. فتعظم لذلك ثروتهم، ويكثر غناهم، وتتزيّد عوائد الترف ومذاهبه، وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فنونه. وهذه هي الحضارة. (خلد، قدم، ٨٨٣، ١٧)

- الملك والدولة غاية للعصبية، وأن الحضارة غاية للبداوة، وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكوّنات عمرًا محسوسًا. وتبيّن في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموّها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنموّ برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضًا كذلك. لأنه غاية لا مزيد

وراءها. وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلّق بعوائدها. والحضارة كما علمت هي التفنّن في الترف واستجادة أحواله. والكلف بالصنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيّئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل. وللتأنّق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنّق فيها. وإذا بلغ التأنّق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلوّن النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها: أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها؛ وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها. (خلد، قدم، ٨٨٨، ٣)

- الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد. لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك. والحضري لا يقدر على مباشرته حاجاته، إما عجزًا لما حصل له من الدعة، أو ترفعًا لما حصل له من المَرْبى في النعيم والترف، وكلا الأمرين ذميم. وكذلك لا يقدر على دفع المضار بما فقد من خلق البأس بالترف والمربى في قهر التأدّب والتعليم؛ فهو لذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه. ثم هو فاسد أيضًا في دينه غالبًا بما أفسدت منه العوائد وطاعتها وما تلوّثت به النفس في ملكاتها. . .، إلا في الأقل النادر. وإذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخًا على الحقيقة. وبهذا الاعتبار كان الذين يربّون في جند السلطان على البداوة والخشونة أنفع من الذين يربّون على الحضارة وخلقها. وهذا موجود في كل دولة. (خلد، قدم، ٨٩٢، ٥)

- الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة. (خلد، قدم، ٨٩٣، ١)

- الحضارة - كما يرد بعد إن شاء الله! - هي النهاية في أكمل العمران الخارج به إلى الفساد، والغاية في الشر البعيد عن الخير. ومن سلم من ذلك فلا خفاء في قربه من الخير. قلت: ومع ذلك، فللحضري من الفضل على البدوي ما لا يخفى. وإنما هذا باعتبار ما يعرض من الشرّ. (أزر، بدع١، ٧٣، ١٠)

حضارة إسلامية

- الحضارة الإسلامية نوعان: النوع الأول - حضارة إسلامية أصيلة وتسمّى حضارة الخلق والإبداع وقد كان الإسلام مصدرها الوحيد، وعرفها العالم لأول مرة عن طريق الإسلام. النوع الثاني - حضارة قام بها المسلمون في الأمور التجريبية، امتدادًا وتحسينًا لما عرفه الفكر البشري من قبل، وتسمّى حضارة البعث والإحياء. (شل، سلم، ٥٠، ١٥)

حضر

- إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نِحلَتهم من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجيّ والكمالي. فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة؛ ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها. وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة، ولا بدّ، إلى البَدو لأنه متّسع لما لا يتّسع له الحواضر من المزارع والفُدُن والمسارح للحيوان وغير ذلك. فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرًا ضروريًّا لهم؛ وكان حينئذٍ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكنّ والدِّفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويُحصِّل بُلْغَة العيش من غير مزيد عليه، للعجز عما وراء ذلك. ثم إذا اتّسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرَّفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدَّعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضّر. ثم تزيد أحوال الرَّفْه والدَّعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها، والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها، فيتّخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه. ويعالون في صَرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلقون في استجادة مما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان. ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو؛ لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وُجدهم. (خلد، قدم، ٤٦٩، ١)

- البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عمّا فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم. ولا شكّ أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه؛ لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه. فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما؛ لأن أول مطالب الإنسان الضروري، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلًا. فخشونة البداوة قبل رقّة الحضارة. ولهذا نجد التمدّن غاية للبدوي يجري إليها، وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها. (خلد، قدم، ٤٧٣، ١٠)

- مناطق الحضر المهمّة في الجزيرة العربية تتركّز في ثلاث مناطق هي: (أ) اليمن. (ب) ممالك الشمال وتشمل: ١-

الأنباط. ٢- تدمر. ٣- الحيرة وغسان. (ج) الحجاز. (شل، سلم، ٩٤، ٥)

حضري

- الحضري: الذي يستقرّ بالأمصار والمدن والقرى والمداشر، اعتصامًا بها وتحصّنًا. (أزر، بدع١، ٧١، ١٦)
- الموجب لانقسام العمران إلى بدوي وحضري أن للتعاون به مقصدين: أحدهما: أن يتقرّر بحسب الضروري - فقط - وهذا هو البدوي، ضرورة أن انتحال الفلح فيه يضطرّ إلى البدو، المتّسع المسارح للحيوان، والمزارع للغرس والزرع. وإذ ذاك فالسكن فيه والدفء إنما هو بقدر ما يحفظ الحياة خاصة. الثاني: أن يتجاوز إلى الحاجيّ والتكميليّ. وهذا هو الحضري، لأجل أن التوسّع بحصول ما فوق الحاجة يدعو إلى السكون والدعة. واختطاط المدن والأمصار. وعند ذلك يتزايد الرفه، فتجيء عوائد الترف ويتكسّب بالصنائع والتجارة. (أزر، بدع١، ٧٢، ١٢)
- البدو لما اقتصر فيه على الضروريّ الذي هو أقدم من الحاجيّ الذي تجوز إليه في الحضر - وكان الضروري أصلًا والحاجيّ فرعًا - دلّ ذلك على أن البدوي متقدّم على الحضري، وأصل له ومادة. (أزر، بدع١، ٧٢، ٢١)

حضور وعيان

- الاعتبارات الحاصلة له (المؤرّخ) عند إرادة تأريخ شيء من الأشياء، أولها اعتبار وجه الحضور والعيان، وثانيها اعتبار وجه العلم واليقين، وثالثها اعتبار وجه غلبة الظن، ورابعها اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح، وخامسها اعتبار وجه غير الوجوه الأربعة. أما لو حصل له الوجه الأول، الذي هو أحسن الوجوه - قال الله - تعالى - حكاية عن الخليل صلوات الله عليه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، ومنه قول من قال: 'من فقد حسًّا فقد فقد علمًا'. وقد شاع هذا الخبر بين أولي الأثر والبيان، وليس الخبر كالعيان. ... و(إن) أراد المؤرّخ تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يعتني بتأريخه غاية الاعتناء، اغتنامًا بالفرصة بهذه النعمة العظيمة النفيسة، وابتهاجًا بهذه المرتبة الشريفة اللطيفة، فكيف لا وفيه مصالح ومنافع وعبر لأولي الألباب. ... وأما الوجه الثاني، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يؤرّخه على أحسن ما يكون، لما فيه من المصالح والتنشيط والعبر، إلى غير ذلك من سائر النصائح. وأما الوجه الثالث، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحبه فهو يؤرّخه - أيضًا - لما فيه من الاعتبار وسائر المصالح النافعة في أمر الدين. وأما الوجه الرابع، يؤرّخ صاحبه مع تنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ما لم يتحقّق فيه مرجّح لأحد جانبيه على الآخر، وأما إذا علم أو رجّح أحد جانبيه على الآخر فهو في حكم ما مرّ من الوجه الثاني والثالث. فإن قلت: فهل في تأريخ هذا الوجه إذا لم يترجّح أحد جانبيه على

الآخر فائدة؟ قلت: نعم، فيه فائدة في الحكم والمصالح والعبر، إذا ظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد، وإن لم يترجّح الآن، وهي الإطلاع على ما فيه. ولذلك نرى العلماء ينقلون المذاهب المختلفة مع أدلّتها، يخالف بعضها بعضًا في كتبهم، والكتب مشحونة بذلك، يشهد به من يطالعها .شهادة صدق وعيان. تنبيه: في تأريخ هذا الوجه يحصل له ولغيره تصوّر صاحبه بوجه من الوجوه، وإن لم يحصل له التصديق به وتصوّره بوجه من الوجوه نوع من العلم. ... وأنت تعلم أن السعي والاجتهاد إنما هو بحسب الطاقة والإمكان، وتعلم - أيضًا - أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك، وأن انتفاء التصديق المخصوص به لا يستلزم انتفاء تصديق به في الجملة، فضلًا عن انتفاء تصوّره. وأما الوجه الخامس، فينبغي أن لا يؤرّخه، بل يسكت عنه، لا يتكلّم فيه ببنت شفة، لا بالنفي ولا بالإثبات، ... وللاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت، ولئن ورّخه بيّن حاله، بأنه مجهول عنده، ويعترف بعجزه عنه، مع تفويض علمه به إلى جناب علام الغيوب، ستار العيوب، جلّ ثناؤه ولا إله غيره. (كاف، مخ، ٧٦، ١٦)

حفرة

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٥، ١٣)

حفير

- الحفير فإنّه تقدّم أنه يتعلّق بالدولة يصرف بأماكن معلومة يحفرها لجريان المياه. (شاه، زبد، ١٢٩، ٧)

حق الإنتخاب

– حق الانتخاب: أي مصادقة أهل العقد، وهو مجلس من الأئمة والعلماء، وحجّتهم في ذلك أن هذا المجلس كان في أول عهد الإسلام بالمدينة، ثم نقل إلى دمشق، ثم إلى بغداد، ونقل من بغداد إلى القاهرة، فيجوز أيضًا نقله من القاهرة إلى القسطنطينية. فلما فتح السلطان سليم مصر حمل معه جماعة من علماء الأزهر، وأضاف إليهم عدّة من علماء الأتراك، وألف من الفئتين مجلسًا صادق على انتخابه وسلّموه السيف. وكانت هذه هي العادة الجارية في تقليد الخلفاء العثمانيين السيف من أيدي العلماء وكانوا يفعلون ذلك في جامع أيوب بضواحي الآستانة. (زي، مدن١، ١٢٩، ٣)

حق السيف

– حق السيف. ومعنى ذلك أن طالب الخلافة يجب أن يقوم بدعوته أنصار لا يقوى عليهم مناظر آخر على وجه الأرض، وقد كان ذلك شأن السلطان سليم يوم التمس الخلافة بعد فتح مصر. (زي، مدن١، ١٢٨، ٢٢)

حقائق

– الأحكام التي يطلقها المؤرّخ على الحوادث هي "الحقائق" المفردة التي تتبيّن له من الماضي. وهي أشبه ما تكون بالحجارة المتفرّقة التي تحتاج إلى جمع ورصف وتركيب ليتكوّن منها البناء كاملًا أو أقرب ما يمكن إلى الكمال. ولكن كثيرًا ما تكون بعض هذه الحجارة مفقودة بسبب سكوت السلف أو ضياع آثارهم، فتظهر ثلم وثغر يجد المؤرّخ ضرورة لسدّها وملء فراغها. وسبيله إلى هذا الملء الاجتهاد والقياس، أي استنتاج ما يمكن أن يكون قد حدث الاستناد إلى ما حدث فعلًا في ظروف مماثلة أو إلى قوانين طبيعية أو اجتماعية يستمدّها من العلوم الأخرى. ولا غنى عن القول أن القياس والاستنتاج والاجتهاد يجب أن تكون متّصفة بالحذر والاحتياط، كي لا يجمح بالمؤرّخ الخيال أو يغرب به التكهّن، وكي لا يبعد عن الواقع التاريخي كما حدث فعلًا. (زري، نحن، ٧٤، ٤)

حقائق مفردة

– الانتقاء: ولا مفرّ من المفاضلة بين الحقائق المفردة والاستمساك ببعضها وصرف النظر عن البعض الآخر. فإنها تكثر في غالب الأحيان فتربو على الألوف وعشرات الألوف. ويضطرّ المؤرّخ إما لضيق وقته أو لقلّة مورده أن ينتقي مما تجمع لديه من الحقائق ما يؤثّره على غيره. فيجدر به أن يتبع خطّة معيّنة في الانتقاء. ولا نرى في ملء هذه الظروف أفضل من تنسيق الحقائق المفردة على أساس علاقتها بالحاضر. فما يعاوننا منها على فهم الحاضر هو أهم بدرجات من غيره إذ القصد من درس الماضي إنما هو

فهم الحاضر وإعداد العدّة للمستقبل. (رس، مصط، ١٢٢، ١)

- التنظيم والتأليف: وبعد المفاضلة والانتقاء يبدأ المؤرّخ بالتنسيق والتنظيم. فيجد أنه بإمكانه أن ينظر إلى كل حقيقة من حقائقه المفردة من ناحيتين مختلفتين. فإذا نظر إليها من حيث وقوعها في زمن محدود وتعلّقها بشخص معيّن، رآها فريدةً في بابها لا تشاركها في ذلك حقيقة من الحقائق. وإذا ذكر أن الناس جميعهم خلق الله، وأنهم كثيرًا ما يتشابهون في أغراضهم وحاجاتهم وأعمالهم، قال بالتشابه بين الحقائق التاريخية المفردة وبتكرار وقوعها. وهكذا فإن بعض المؤرّخين الذين ينظرون إلى الحقائق المفردة من الناحية الأولى فيرونها مجموعةً من الحقائق الفريدة في بابها يستمسكون بالتنظيم القصصي ويؤثرونه على غيره. والبعض الآخر ينظر إلى التشابه بين الحقائق المفردة وإلى تكرار وقوعها فيهتمّ بعادات الجماعات في الماضي وعرفهم ومؤسساتهم وما إلى ذلك من المظاهر المشتركة بين الأقوام والجماعات. والواقع أنه بإمكان المؤرّخ أن يعتبر حقائقه مجموعة من الوقائع الفذّة فينظّمها بموجب تسلسلها الزمني ويقدّم لقرّائه قصة كسائر القصص. وبإمكانه أيضًا أن يحصر عمله في التشابه ووقوع التكرار فينظّم حقائقه بموجب محتوياتها. (رس، مصط، ١٢٤، ٨)

حقائق مفردة في التاريخ

- يحسن بالمؤرّخ المستجدّ أن يذكر بادئ بدء أن ربط الحقائق التاريخية وتأليفها يختلف عن الربط والتأليف في العلوم الطبيعية. فعلماء الطب والحيوان مثلًا يشاهدون الجسد بتمامه أولًا فيدرسونه درسًا إجماليًّا وافيًا. ثم يشرّحونه فيقسّمونه إلى الأجزاء التي يتركّب منها. وبعد التدقيق التام في هذه الأجزاء والتعرّف إلى وظائفها وأعمالها يستطيعون أن يقابلوا فيما بينها ويتعرّفوا إلى العلاقات التي تربط بعضها إلى بعض. فيدوّنون هذه الحقائق المفردة التي يتوصّلون إليها. ثم يعودون إلى ربطها وتأليفها. فيتبعون خطة عيّنتها الطبيعة تكون ماثلة أمامهم. بل إنهم يستطيعون أن يتناولوا مجموعةً واحدة يقابلونها على مجموعة أخرى باعتبار كل من المجموعتين وحدة قائمة بنفسها. وكأنهم بذلك أتمّوا مقابلة كل واحد بكل آخر. فيرون نقط التشابه بين هذا وذاك ويصنّفون هذه الوحدات على أساس التشابه بينها. وهذا درس علمي حقيقي قوامه التحليل أولًا ثم الربط والتأليف بين أجزائه ثم المقابلة والاستدلال القياسي. على أن ظروف المؤرّخ في الواقع تختلف كل الاختلاف عمّا تقدّم. فحقائقه المفردة هي غير الحقائق المفردة في العلوم الطبيعية. إذ جلّ ما يمكنه الاعتماد عليه، في مثل هذه الظروف، هو كلام الغير عن وقائع الماضي لا الوقائع نفسها. وليس بإمكانه أن يشاهد المجموع الذي تفرّعت

عنه مفردات الحقائق. كما وأنه يجهل الأسس التي كانت تربط مثل هذه الحقائق لتؤلّف منها الكل. وإذًا فمن العبث أن نربط الحقائق المفردة في التأريخ كما يربط علماء الطبيعة حقائقهم. وعلينا والحالة هذه أن نستنبط طريقة خصوصية لربط الحقائق المفردة نتذرّع بها للوصول إلى اليقين أو ما يقارب اليقين. ولنذكر أن الحقائق المفردة التي تثبّتنا من صحتها تكون إما آثارًا حقيقية تخلّفت عن السلف كالأهرام في مصر مثلًا، أو وقائع السلف كعمل معيّن أو قول معروف، أو دوافع معنوية كانت مكنونة في صدور الناس أفرادًا وجماعات. وبعبارة أخرى، إن ما تثبّتنا من صحّته من الحقائق المفردة يكون واحدًا من ثلاثة. إما أثرًا ملموسًا أو عملًا محدودًا أو دافعًا نفسيًّا معيّنًا. ولو كانت العلوم النفسية والاجتماعية قد ماشت العلوم الطبيعية في تقدّم أساليبها وأبحاثها ونتائجها لما كان عسيرًا علينا اليوم أن نهتدي بشكل علمي جازم إلى معرفة الأعمال والدوافع الماضية التي أشرنا إليها، وربما كنّا لا نفرّق التاريخ عن العلوم الجازمة. أما وحالة العلوم الاجتماعية والنفسية لا تزال قاصرة فلا يبقى سوى تخيّل الماضي وفرض استمرار بعضه وتكراره في الحاضر. فنقول مثلًا بعامل الجوع في الماضي ونتوقّع تأثيره في ظروف معيّنة كما نفعل في الحاضر. وننظر في الإقليم وأثره في المجتمع كما يتبيّن لنا بعض ذلك من الظروف الحاضرة ونفرض التعاون بين الأفراد في بعض الأزمنة الغابرة لدرء الأخطار كما يفعل بنو جنسهم في هذه الأيام وهلمّ جرًّا. ولولا هذا لما جرؤ البعض على القول بأن بعض التاريخ يعيد نفسه، نعم بعضه لا كله. ولو كان كل التاريخ يعيد نفسه لما أقدم العلماء على درسه وتعميم فوائده. وإذًا فهنالك فروق بين الماضي والحاضر لا بدّ من تبيانها أيضًا والانتباه إليها. ولهذا يترتّب على المؤرّخ عند بدء العمل في ربط الحقائق المفردة وتأليفها أن يتخيّل لنفسه من مظاهر المجتمع الحاضر ما يفترض وجوده في الماضي. (رس، مصط، ١٢٠، ١٠)

حقل جغرافي تاريخي

- إن تحديد الحقل الجغرافي - التاريخي الخلدوني قد أظهر أهمية القفر: فهو بمثابة احتياطي من الرجال الأشدّاء المحاربين بطبيعتهم، تربطهم أواصر وثيقة من العصائب. وقد سبق للمعلّقين على المقدّمة أن سجّلوا دور بدو الصحراء، إلا أن الجبل يلعب أيضًا دورًا هامًّا. ومن ثم فإن نظرية التاريخ الخلدونية المبنية على العصبية، لا ترجعنا فقط إلى عصبية القفر، بل تحيلنا كذلك على عصبية الجبل. فكلاهما ينتجان رجالًا، مهما اختلفوا من الناحية الاجتماعية، فإن المقارنة بينهم ممكنة لكونهم جميعًا يعيشون في هياكل من العصائب القوية. وهذا التناظر بالذات، ينفي صحة التعارض المعتاد:

رحل ومقيمون (حضر)، الذي كثيرًا ما يُزعَم بأنه مفتاح مفهوم التاريخ عند ابن خلدون، بل ومفتاح تاريخ المغرب. ذلك أن أهل الجبل، رغم انتجاع بعض قبائلهم، هم مقيمون، إلا أنهم يضطلعون، مثل رحل القفار، بحماية أنفسهم، والحفاظ على استقلالهم، وأحيانًا يؤسّسون دولًا. (أوم، نهج، ١٤٣، ٢١)

حقوق واجبة

- الحقوق الواجبة للرعية على الملك، فمنها حماية البيضة، وسد الثغور، وتحصين الأطراف، وأمن السوابل، وقمع الدعار، فهذه حقوق تلزم السلطان، تجري مجرى الفروض الواجبة، وبهذه الأمور تجب طاعته على رعيته. (طق، فخر، ٢٢، ١)

حقيقة تاريخية

- وجدنا بالاختبار أنه لا بدّ لنا في تحرّي الحقيقة التاريخية، من معرفة أنواع الحبر وألوانه، وأشكال الورق - من حيث الطول والعرض واللون والسماكة - وشركات إصداره إلى الأقطار العربية، وتمغاتها الشفافة عليه، وأصناف الأقلام وظروف استعمالها في مختلف الدوائر والدواوين. ولا يخفى ما في درس هذه الأمور جميعها من الأهمية لفهم محتويات المخابرات الرسمية وإيجاد تواريخها وتثبيت أصالتها وعدم تزويرها، لا بدَّ إذًا من تعلّم اللغات التي ترد فيها الأصول، ومن الاستعانة بمثل ما تقدّم ذكره، من العلوم والفنون. وهل ننسى القرآن والتفسير والحديث ووجوب التضلّع في هذه العلوم لمن يعنى بتاريخ العرب. (رس، مصط، ٨، ١٣)

- في حالة تعارض الأصول والمصادر وتناقض الروايات بشأن حادث تاريخي معيّن، ينبغي على الباحث في التاريخ أن يتبع بعض القواعد التي قد تعينه في الوصول إلى الحقيقة التاريخية. فأولًا، لكي يتثبّت الباحث من أن هذه الأصول والمصادر متعارضة حقًّا، ينبغي أن يستوثق من أنها تتعلّق بنفس الحادث، لأنه من الجائز أن خبرين متعارضين ظاهريًّا، يكونان متعلّقين بحادثين مختلفين، وربما لا ينطبقان على نفس الزمن أو على نفس المكان أو على ذات الأشخاص الذين تناولهم ذلك الحادث. وثانيًا، إذا كان تعارض المصادر حقيقيًّا، فربما يكون بعضها صادقًا وبعضها الآخر كاذبًا. وفي مثل هذه الحالة يوجد اتّجاه طبيعي نحو التوفيق بين الخبرين المتعارضين، واتّخاذ موقف وسط بينهما. ولكن هذه ليست طريقة علمية سليمة. فإذا اختلف مصدران مثلًا في عدد جيش ما، فلا يصحّ أن نأخذ المتوسّط بينهما. إذْ من الجائز أن أحد المصدرين صحيح والآخر خطأ. فلا بدّ من السعي إلى معرفة أي المصدرين أصحّ، لإسقاط ما لا يقبله النقد. وإذا تعذّر الوصول إلى رأي محدّد، فيجب الإعتراف بذلك، وذكر ما قاله المصدران معًا، دون ترجيح رأي أحدهما على الآخر. وثالثًا،

ينبغي على الباحث في التاريخ أن يلاحظ أنه إذا وُجدت عدّة أصول تقول برأي معيّن، ووُجد مصدر واحد يقول برأي مخالف، فمن الجائز أن يكون الرأي الواحد هو الصحيح. والكثرة العددية لا تحدّد حتمًا صحّة ما تورده، والعبرة قائمة في نوع هذه الكثرة أو في نوع الواحد، من حيث صفات الكتاب وظروفهم ووسائل بحثهم. ولا عبرة بالعدد أحيانًا في بعض المسائل التاريخية. ورابعًا، ينبغي على الباحث في التاريخ أن يحاول ترجيح جانب على آخر بواسطة النقد التاريخي. وإذا لم يستطع ذلك فعليه أن يمتنع عن إعطاء حكم نهائي، حتى يعثر على أدلّة جديدة تنير له السبيل. (عث، بحث، ١٤٤، ٢٠)

- اتّفاق الروايات المستقلّة لا يكفي وحده لبلوغ الحقيقة التاريخية، وهو يؤدّي أحيانًا إلى نتائج ليست نهائية دائمًا. ولكي يثّبت الباحث من هذه النتائج ينبغي عليه أن يلاحظ الانسجام والتآلف والاتّساق بين الحقائق التاريخية. فقد يؤكّد الكثير من الحقائق بعضها بعضًا، ويوجد بينها صلة وعلاقة، فتكوّن مجموعًا متناسقًا يلمع الحق في ثناياه، وتصبح كالموسيقى التي تُشكّل ألحانها المتّسقة المتآلفة مجموعة من الأنغام التي تؤثّر في نفس المستمع الفنّان المتذوّق. (عث، بحث، ١٤٨، ٢١)

- إذا تعدّدت الروايات في حادث واحد، وتعارضت بصددها الأصول والمصادر، فإنه يتحتّم على الباحث أن يتتبّع بعض القواعد التي تعينه على الوصول إلى الحقيقة التاريخية والخروج بها من بين هذه التناقضات، ويمكن تلخيص هذه القواعد فيما يلي: ١- لا يجوز للباحث أن يقوم بعملية توفيق بين الآراء المتعارضة، وإنما ينبغي السعي للكشف عن الصادق منها، فإذا فشل في ذلك فيجب أن يعترف بفشله ولا بدّ من إثبات الآراء المتعارضة دون ترجيح واحد منها على الآخر. ٢- إذا اتّفقت الآراء في عدّة أصول على رأي بعينه، وشذّ عن هذا الاتفاق رأي واحد مخالف، فليس معنى ذلك أن الآراء المتّفقة هي الأصوب، وربما يكون العكس هو الصحيح، والنقد وحده هو الذي يفصل في الأمر. ٣- إذا أراد الباحث أن يرجّح رأيًا على آخر، فعليه أن يلجأ إلى عملية النقد، فإذا عجز برغم ذلك، فعليه أن يمتنع عن إصدار حكم قاطع، وواجبه أن يستمرّ في البحث لعلّه يعثر على أدلّة جديدة تنير له الطريق. (علف، فت، ١٥٠، ٢٣)

حقيقة التمدّن

- ثمار التمدّن كالثروة والأبّهة والعلم والأدب والصناعة والتجارة ونظام الهيئة الاجتماعية وآدابها. وأما حقيقة التمدّن فهي ما ينتج عنه من الخير أو الشرّ، من السعادة أو الشقاء للمستظلّين بظلّه أو سواهم من بني الإنسان. ومن ظواهر التمدّن الإسلامي الثروة والعلم والأدب والصناعة والتجارة، ونظام الهيئة

الاجتماعية وآدابها. (زي، مدن٢، ١١، ٦)

حكم التاريخ

- حكم التاريخ معناه حكم الأجيال القادمة: ما ستقوله وما ستكتبه عنّا، عن مدى جدارتنا وصحّة أفكارنا وأعمالنا وقيمة النتائج التي توصّلنا إليها. فكما نحكم نحن اليوم في من سلف، سيأتي من بعدنا خلف يحكم فينا. والإنسان الذي يتهيّب حكم التاريخ، إنما يتهيّب الأحكام التي ستصدرها هذه الأجيال فيه شخصيًّا، وفي أمته، وفي الجيل الإنساني الذي ينتمي إليه. على أن هذا الحكم ليس مقصورًا على الأجيال القادمة، بل أن للماضي أيضًا حكمه. ويتوقّف هذا الحكم على مقدار ما يكون الإنسان واعيًا لهذا الماضي، نافذًا إلى جوهره، مخلصًا لتراثه. ولكن مَن مِن الماضي هو الذي يحكم؟ إن في الماضي عناصر تتفاوت قيمة ومرتبة. فيه الصالح والطالح، والصحيح والفاسد، والمثمر والمجدب. فمن نختاره منهم ليحكم فينا؟ قد ينقاد بعضنا للضعيف الهزيل الذي لم يبلغ إلا أدنى المراتب فيرتضي حكمه ويكتفي به، ثم تأتي النتائج فتثبت جدب هذا الرضى والاكتفاء. إن الذين يحقّ لهم أن يحكموا هم الذين أبدعوا، فكرًا أو عملًا. هم الذين كشفوا عن معانٍ جديدة للحرية والكرامة الإنسانية أو الذين حقّقوا هذه المعاني في ذواتهم أو في سواهم من بني الإنسان. وكلما كان إبداعهم أعظم وأرفع، أي كلما كان إسهامهم في استجلاء هذه المعاني أو في تحقيقها أضخم وأجزل، كانوا أكثر أهلية للحكم، وكانت أحكامهم أصحّ وأبقى. (زري، نحن، ٢٣٣، ٧)

- حكم التاريخ، بل أي حكم يصدر من أية سلطة، يتنافى مع الحتمية أو الجبرية المطلقة ولا يقوم إلا إذا اعترف للإنسان بحريته واختياره، وبمقدرته على تحقيق هذا أو ذاك من الإمكانات الكامنة في ذاته أو المنفسحة أمامه. وما الخشية التي نحسّ بها مما سيقوله التاريخ فينا أو مما ستجلبه أعمالنا من نتائج إلا اعترافًا ضمنيًّا منّا بحريتنا الذاتية. وكلما أنمينا بذور هذه الحرية، ووسّعنا مجالاتها، بتقدّم مقدرتنا العقلية وبتسلّطنا على الطبيعة، أصبح فعلنا أقوى وأثرنا أبلغ ومسؤوليتنا أعظم، وغدونا بالتالي أكثر استحقاقًا لحكم التاريخ. (زري، نحن، ٢٣٥، ١٧)

- حكم التاريخ في جوهره ونهايته حكمًا في جدارتنا: جدارتنا العقلية، وجدارتنا الخلقية، حكمًا في فضائلنا التي تتلخّص بمجموعها في مبلغ إحرازنا للحرية والكرامة. ... إن كرامة أي فرد، أو أية أمة، هي حصيلة الحرية الحقيقية التي يتمتّع بها الفرد أو تنعم بها الأمة. وهذه الحرية هي بدورها نتيجة تحقيق القابليات التي يتميّز بها الإنسان، وهي قابليات الإدراك العقلي والسموّ الخلقي والروحي،

والفعل المبدع الناتج عنهما. (زري، نحن، ٢٤٠، ١٩)

حكم في التاريخ

- (مقاييس الحكم في التاريخ) هي التالية: ١- مقدار ما بلغته تلك الحضارة في فهم أسرار الطبيعة ودفع غوائلها عن أبناء المجتمع، واستثمار مواردها لخيرهم. وبمعنى آخر: مقدار ما أحرزته من التطوّر العقلي المنصرف إلى الفهم والتنفيذ، والمتجلّي في شتّى مظاهر التكنولوجيا والعلم التطبيقي. ٢- ولما كان هذا العلم التطبيقي لا يحصل إلا بجهاد فكري مستمرّ لمعرفة جواهر الأشياء وعللها، ولتلبية نداء العقل إلى الوقوف على الحقيقة من أجل الحقيقة ذاتها، فإن من مظاهر الإبداع في أية حضارة من الحضارات مقدار الذخيرة الصحيحة التي حصلتها من العلم النظري المحقّق المنتظم، ومن الاجتهاد الفلسفي الرامي إلى ربط نتائج هذا العلم وسواها من الاختبارات الإنسانية في نظرات شاملة معلّلة للكون والحياة. ٣- ومن مظاهر هذا الإبداع أيضًا ما اكتسبته الحضارة من تطلّعها إلى رؤى الجمال وسعيها لاقتناص صوره وجهدها للتعبير عنها، وما تمثل به هذا الكسب كله من أدب رائع وفن ملهم. ٤- وكذلك من مظاهر هذا الإبداع ما وعته الحضارة باختبار أبنائها الروحي وجهادهم النفسي من مراتب الخير وغاياته، وما استطاعت تمييزه بين هذه المراتب والغايات، ومقدار ما حقّقه أبناؤها في تسنّم المراتب الرفيعة وبلوغ الغايات الشاقة البعيدة. ٥- إن هذه التحقيقات المبدعة، في ميادين الحق والخير والجمال، هي من نتاج الأفراد والفئات المبدعين. ولكن ثمّة نوعًا آخر من الإبداع: هو في تعميم هذا النتاج ونشر فضائله بين سائر أبناء المجتمع، ومكافحة كل ما يقف في طريقه، والجهد لتنمية القابليات له والقدرة عليه في نفوس أفراد الشعب، بل في نفوس أبناء الإنسانية جمعاء. ويتجلّى هذا الإبداع في ما يحقّقه هذا الجهاد من نجاح في رفع مستوى المعيشة المادية، وفي مكافحة الطغيان، وفي إحراز الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وفي كفاية العدل ونشر العلم والمعرفة، وسواها من مظاهر التحرير والتنظيم المنصرفة إلى تعميم الفوائد المكتسبة بالجهد العقلي والروحي، وإنماء الصفات المؤهّلة لهذا الجهد. فكلما كانت دائرة التنعّم بهذه الفوائد أوسع وكلما كان انتشار هذه الصفات أعمّ، كانت الحضارة أرفع في مراتب الرقي. (زري، نحن، ٢٢٣، ١٠)

- عملية الحكم في التاريخ تنتهي آخر الأمر إلى استخراج التراث الإيجابي الذي يتضمّنه، وإلى تمييز هذا التراث عن العناصر السلبية الماضية التي أضعفت الإبداع وعطلته وأعاقت نموّ التراث وامتداد نطاقه وأثره. وعلى هذا، فإن كل شعب حي مدعو، في كل وقت، إلى تقييم تاريخه واستخلاص تراثه. وعملية التقييم

والاستخلاص هذه عملية مستمرّة لا تتوقّف ولا تنتهي، ما دام العقل يستمرّ في طلب الحقيقة، وما دامت حقيقة الماضي تنكشف له بدرجات ومراحل متتابعة، وبوجوه جديدة. (زري، نحن، ٢٢٧، ١٣)

حكم في عناصر التاريخ

- التميز بين الإيجابي والسلبي من التراث أو التقليد ينطوي على الحكم في عناصر التاريخ. وليكون هذا الحكم من جانبنا صحيحًا يقتضي أن تكون مقاييسنا دقيقة، ومعاييرنا سليمة، وقيمنا خالصة منتظمة. فما هي المقاييس التي نستخدمها في هذا التمييز، ومن أين استمددناها، وكيف صنّفناها؟ وما هي القيم التي نتمسّك بها ونتّخذها معايير لنا في أحكامنا، وما هو مصدرها أو مصادرها؟ ... إن مقياس العمل التاريخي هو الإبداع، وإن الإبداع بدوره يقاس بمقدار المساهمة في تعزيز الحرية والكرامة، ... إن للحرية درجات ومراتب. فمن أين جئنا بهذين المقياسين، وكيف نصنّف مراتب الحرية؟ لقد استمددنا هذا كله من فهمنا للسعي الإنساني المتمثّل في تراثه الإيجابي، ومن القمم التي حاولنا أن نستضيء بنورها. فقد نكون أخطأنا الفهم، أو لعلنا أخطأنا النور الذي كان يجب أن نستضيء به. لعلّه كان يجب أن نخرج من دائرة التراث ذاته لنستمدّ قيمنا ومقاييسنا وأحكامنا من النظر الفلسفي البحت، أو من الوحي المستقلّ عن التاريخ المرتفع فوقه، أو من مصدر آخر. في هذا سيحكم التاريخ علينا أو لنا، كما يحكم دومًا في الأفراد والجماعات حسب صدقها وجهدها في تحري منابع القيم وفي صوغ المقاييس والمعايير وتطبيقها. (زري، نحن، ٢٣٨، ١٥)

حكم المصريين

- قيل في زمان موسى صار طوفان ثالث في تاساليا. وأنونيوس الحكيم أوجد علم السيميا. وخيرون اخترع الطب. ومايندروس استنبط نوعًا من الشعر يسمّى قوموذيًا وفيه يذكر الرذائل والأهاجي والقبائح المشتركة بين الناس والبهائم. واستنبط آخر نوعًا آخر من الشعر يسمًّى طراغوذيا وفيه يذكر الفضائل والمدائح والمراثي المشتركة بين الناس والملائكة. وزعم المعنيون بتعريف طبقات الأمم أنه كان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب علوم الفلسفة من الرياضية والطبيعية والإلهية وخاصة بعلم الكيمياء والطلسمات والنيرنجيات والمراءي المحرقة. وتصديق ذلك قول الله في التوراة عن موسى أنه حذق جميع حكم المصريين. وكانت دار الملك والعلم بمصر في قديم الدهر مدينة منف. (عب، خصر، ٢٠، ١٠)

حكمة

- أصول الفضائل أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفّة، مجموعها: العدالة. فالحكمة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسّط بين فعلي الحدّة والغباوة.

والشجاعة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي التهور والجبن. والعفّة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسّط بين فعلي الفجور والخمود. (أزر، بدع١، ٣٩٨، ١٧)

حكومة

- الحكومة: وهي عندهم (العرب) الفصل بين الناس إذا اختلفوا، وتشبه القضاء في الإسلام أو التحكيم. (زي، مدن١، ٣٩، ١٤)

حكومة في الجاهلية

- الحكومة في الجاهلية متشابهة عند سائر أهل البادية. فإن المناصب التي تعدّ عند أهل العالم المتمدّن بالعشرات، تجتمع عندهم في شخص شيخ القبيلة. فالشيخ هو الملك، والقاضي، وصاحب بيت المال، وقائد الجند وكل شيء. وكانوا يختارون لهذه الرياسة أقواهم عقلًا وأكثرهم دهاء وسياسة بلا تواطؤ أو تعمّد. وإذا تساوى عدّة منهم في القوة والدهاء اختاروا أكبرهم سنًّا وأوسعهم جاهًا. وإذا اجتمعت عدّة قبائل في محالفة على حرب واحتاجوا إلى من يرأسهم جميعًا، اقترعوا بين أهل الرئاسة، فمن خرج سهمه رأسوه، كبيرًا كان أو صغيرًا. (زي، مدن١، ٣٦، ٤)

حلف

- كان للعرب عقود وعهود يحلفون فيها حلفًا مؤكّدًا على أن لا يتخاذلوا، وكانت هذه المحالفات بين القبائل لحفظ نواميسهم وليعضد بعضهم بعضًا، والمتحالفون يسمّون عند العرب بالأحلاف. (طه، عمل٣، ٦٠٧، ٣)

حلف الفضول

- بعد انفضاض سوق عكاظ، تأسّس حلف الفضول، وهو أشرف حلف في العرب، وأحقّ بالفخار ممّا عداه، وكان هذا الحلف لشرف موضوعه ونبل الغرض المقصود منه يكاد أن يكون أساسًا لسياسة وطنية، وتمهيدًا للمواد التمدّنية، وأول من دعا إلى هذا الحلف في شهر ذي القعدة بعد الفجار الرابع الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، شقيق أبيه، فاجتمع إليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزي في دار عبدالله بن جدعان التيمي، ... وكان بنو تيم في حياته كأهل بيت واحد بقوتهم، وكان عبدالله بن جدعان ذا شرف وسن، وتحالفوا على أن يردوا الفضول إلى أهلها، أي على أن يردوا الحقوق التي أخذت ظلمًا إلى أربابها، ولا يعزّ ظالم على مظلوم، أي لا يغلب ظالم على مظلوم، - وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد شهد صلى الله عليه وسلم هذا الحلف. (طه، عمل٣، ٦٠٧، ١٣)

حماية الحرمين

- حماية الحرمين: فقد كان السلاطين العثمانيون حماة الحرمين - إلا سبع سنوات تولاهما فيها أئمة صنعاء في القرن العاشر، وسبع سنوات أخرى تولاهما فيها الوهابيون. (زي، مدن١، ١٢٩، ١٣)

حمورابي

- دولة حمورابي واضع أقدم الشرائع الإنسانية التي وصلت إلينا، وقد أتينا ... بالأدلّة التي ترجّح كون دولته عربية، وبيّنا أن تلك الأمة كان لها تمدّن عظيم وآداب راقية. وكانت للمرأة فيها منزلة وحرية، حتى تقلّدت المناصب السياسية والقلمية وتفرّع من الحمورابيين بعد ذهاب دولتهم دول العمالقة المختلفة، ومن فروعهم عاد وثمود والأنباط وعرب تدمر وغيرها. (زي، مدن١، ٢١، ١٩)

حواء

- قال ابن إسحق يذكر أهل العلم أن مهبط آدم وحواء على جبل يقال له واسم من أرض الهند وهو جبل بين قرى الهند واليوم به الدهنج والمندل - الدهنج من الأحجار الكريمة كالزمرّد والمندل أجود أنواع العود - قال أبو محمد والعرب تنسب الطيب واليلنجوج إلى المندل. قال الشاعر يذكر امرأة

إذا برزت نادى بها في ثيابها
ذكى الشذا والمندلى المطير

المندلى العود والمطير المشقق. قال وكان آدم صلى الله عليه وسلم أمرد وإنما نبتت اللحا لولده بعده، وكان طويلًا كثير الشعر جعدًا آدم أجمل البرية، ولما هبط إلى الأرض حرث وغزلت حواء الشعر وحاكته بيدها. (قتي، خبط، ٨، ٢٢)

حوادث

- ما هو التاريخ؟ والجواب: هو دراسة الحوادث أو هو الحوادث نفسها. والحوادث جمع حادث، والحادث هو - من وجهة نظر المؤرّخ - كل ما يطرأ من تغيّر على حياة البشر، وكل ما يطرأ من تغيّر على الأرض أو في الكون متّصلًا بحياة البشر. والحادث قد يكون مفاجئًا كوقوع زلزال يهدم المدن وقد يكون عنيفًا مثل قيام حرب وقد يكون بطيئًا غير محسوس كعمليات التطوّر البطيئة التي لا يفطن الإنسان إلى حدوثها إلا على المدى الطويل. ومثال ذلك تطوّر المرأة العربية وخروجها من عزلة البيت إلى الحياة العامة ومساهمتها في كل ميادين النشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي أيضًا، فهذه عملية طويلة بدأت من أواخر القرن الماضي ولا زالت مستمرّة إلى اليوم. وهي في مجموعها حادث تاريخي خطير بعيد المدى. وقد يقع الحادث دون أن يفطن إليه أحد ثم تتجلّى خطورته فيما بعد مثل ميلاد طفل يصبح في يوم من الأيام قائدًا كبيرًا أو مفكّرًا عظيمًا أو سياسيًّا ماهرًا أي

يصبح من صناع التاريخ. (علف، فت، ٥١، ٣٠)

- فإذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث، وكانت الحوادث هي التغيّرات، والتغيّرات وليدة الزمان أو سير الزمان انتهينا إلى أن التاريخ هو الزمان. ويكون ميدان اهتمام المؤرّخ على هذا هو دراسة كل تغيّر طرأ على الكون والأرض وكان له تأثير على حياة البشر. ثم دراسة كل تغيّر طرأ على حياة البشر أنفسهم، مهما كان هذا التغيّر صغيرًا أو غير ظاهر الأهمية. فالحقيقة أنه لا توجد حوادث صغيرة وأخرى كبيرة، لأن الحوادث الكبيرة إنما هي تجمع حوادث صغيرة بعضها إلى بعض في نطاق مكاني وزماني ضيّق. (علف، فت، ٥٢، ٢٩)

حوادث تاريخية

- الكامل في التاريخ كسائر التواريخ القديمة، سرد للحوادث والأخبار بحسب تواريخها. ويعترف صاحبه بأنّه نقل عن الطبري، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمته فقال إنّه أخذ عن التاريخ الكبير لأبي جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوّل عليه؛ أخذ منه جميع تراجمه، ولم يخلّ بواحدة منها، على أنّه لم يتبع خطى الطبري في التأليف، فإن الطبري كان يذكر في أكثر الحوادث روايات عديدة، فقصد ابن الأثير إلى أتمّها فنقله وأضاف إليه. ويدلّنا قوله هذا على أنّه لم ينقل الحوادث التاريخيّة على علاتها، وإنّما كان يختار منها ما يراه موافقًا لمعقوله ويؤلّفه تأليفًا جديدًا بما يضيف إليه؛ وهو إن لم يكن قد سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات، وهو أسلوب لم يُعرف إلّا مع ابن خلدون، فإنّه كان ينقد ما ينقله، ولم يكن ينقل إلّا كلّ ما رآه صوابًا، وكان يعرض عن نقل ما يراه غير موافق للعقل، فعله بما رواه الطبري عن خلق الشمس والقمر وسيرهما، قال: "وروى أبو جعفر، ههنا، حديثًا طويلًا عدّة أوراق عن ابن عبّاس، عن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، في خلق الشمس والقمر وسيرهما، فإنّهما على عجلتين لكلّ عجلة ثلاث مئة وستون عروة يجرّها بعددها من الملائكة، وإنّهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض، فذلك كسوفهما. ثمّ إنّ الملائكة يخرجونهما فذلك تجليتهما من الكسوف... إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها، فأعرضت عنها لمنافاتها العقول، ولو صحّ إسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن الحديث غير صحيح. ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف" (مقدمة). (أث، كمل، ١٣، ١٣)

حوادث عامة

- الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلّع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف

على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. ولقد نجد في المدن صنفًا من الناس يتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرّضون لمن يسألهم عنه. فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول، يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك، ما بين خط في الرمل ويسمّونه المنجّم، وطرق بالحصى والحبوب ويسمّونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمّونه ضارب المندل. وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار، لما تقرّر في الشريعة من ذمّ ذلك، وأن البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية. وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلّع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم. ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه. وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجّم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدّة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها. والتعرّض لأسمائهم ويسمّى مثل ذلك الحِدْثان. (خلد، قدم، ٨٢١، ٨)

حوادث المتقدّمين

- جماعة ممّن يدّعي المعرفة والدراية، ويظنّ بنفسه التبحّر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويُعرض عنها ويلغيها، ظنًّا منه أن غاية فائدتها إنّما هو القصص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللبّ نظره، وأصبح مخشلبًا جوهره، ومن رزقه الله طبعًا سليمًا، وهداه صراطًا مستقيمًا، علم أنّ فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيويّة والأخرويّة جمّة غزيرة .... فأمّا فوائدها الدنيوية فمنها: أنّ الإنسان لا يخفي أنّه يحبّ البقاء، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شعري! أيّ فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين؟ فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضرهم. ومنها: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنّهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوَّنة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطَّرحوها. وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها درّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء،

وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفي به فخرًا. (أث، كمل، ٧، ١)

حوادث وحالات

- ذكر المهم من الحوادث والحالات في كل سنة ذِكْرُنا من مات في تلك السنة من الأكابر، ويتعرّض بذكر الجرح والتعديل. وقد يختلف في سنة موته فنذكر الأصحّ، وذكر هذا من الحوادث أيضًا، وترتّب أسماؤهم في كل سنة على الحروف فنقدِّم من اسمه على حرف الألف على الباء، فإن خفي زمان موت ذاك الشخص ذكرناه مع أقرانه. (جو، نظم، ١١٧، ١٨)

حواس

- الحواسّ طرق وآلات مُهيّأة لقبول التأثيرات كما وضعها الله عزّ وجلّ عليه، فإذا باشرت الحاسّة المحسوس أثّرت فيه بقدر قبوله وقبلت منه بقدر تأثيره فبدرت به النفس وأدّته إلى القلب واستقرّ فيه ثم تنازعته أنواع العلم من الفهم والوهم والظنّ والمعرفة وبحث عنه العقل وميّزه فما حقّقه صار يقينًا وما نفاه صار باطلًا. (بلخ، بد١، ٢٧، ٥)

حياة

- الحياة فهي شيء يضادّ الموت حيث ما حلت ارتفعت وهي في الجملة على كلّ تامّ حسّاس ومتحرّك من ذوي الأرواح وغيرها. (بلخ، بد٢، ١١٤، ١٢)
- كلّ ذي نفس ذو روح وحياة وكلّ ذي روح ذو حياة وليس كلّ ذي حياة ذا روح ونفس لأنّ الأرض تحيا بالنبات وليست بذات روح، والبهائم حيوانات ذوات أرواح وليست بذوات أنفس فالإنسان له نفس وروح وحياة فتمييزه وعقله وفطنته وفهمه من قبل نفسه وعيشه وبقاؤه ونماؤه من قبل روحه وحسُّه وإدراكه المحسوسات من قبل حياته، فالذي يبطل بموته حياته والنفس والروح ينتقلان عنه إلى أن يأذن الله في البعث والحشر. (بلخ، بد٢، ١٢٩، ٧)

خ

خاقان

- ملك العراق الذي تسمّيه العامّة كِسْرَى وهو شاهانشاه، ملك الروم الذي تسمّيه العامّة قَيْصَر هو باسيل، ملوك الترك والتُّبّت والخَزَر كلُّهم خاقان خلا ملك الخَرْلُخ فإنهم يسمُّونهم جَبْغُويه، ملك الصين بَغْبُور فهؤلاء ولد افريذون، ملك الهند الأكبر بَلْهَرا أي ملك الملوك. (خرد، مسلك، ١٦، ٨)

خبر

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ٩)
- معرفة طبائع العمران هو أحسن الوجوه، وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها. وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة. ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يُعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع. وأما إذا كان مستحيلًا فلا فائدة

للنظر في التعديل والتجريح. ولقد عدّ أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل. وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحّة الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظنّ بصدقها؛ وسبيل صحّة الظنّ الثقة بالرواة بالعدالة والضبط، وأما الأخبار عن الواقعات فلا بدّ في صدقها وصحّتها من اعتبار المطابقة. فلذلك وَجَبَ أن يُنظر في إمكان وقوعه. وصار فيها ذلك أهمَّ من التعديل ومقدمًا عليه، إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة. (رس، مصط، ٨٦، ١٧)

- كلمة خبر التي استعملها العرب في صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها في اللغات السامية قصة طويلة، فيها معنى الربط والتقييد وفيها من خلال كلمة خبر معنى البحث والفحص ومعنى الأخبار أيضًا. وقد تأخّرت كلمة تأريخ حتى ظهرت وفشت على الأقلام الإسلامية، ولئن اضطربت تفاسير اللغويين حول هذه الكلمة وشكّوا في عروبتها حتى أعطوها أصلًا فارسيًا: "ماه روخ" وقيل إنها حرّفت عنه، والأرجح أن جذرها (ورخ) جذر سامي ولكنها من لغة اليمن الجنوبية وليس عن كلمة يرح أو ياريح العبرية أو السرد كما ورد في الموسوعة الإسلامية. (مص، رخ١، ٤٩، ٥)

- صورة "الخبر" قد احتفظت منذ عهد سلفها القديم، قصص الأيام، بخصائص القصة القصيرة المروية بشكل حسّي، وبتفضيل الوقائع المثيرة الملوّنة على الحقائق الرزينة، وكثيرًا ما تعرض الواقعة بشكل حوار بين المشاركين البارزين في الحادثة، وهذا ما ينقذ المؤرّخ من القيام بواجبه الحقيقي، أي تقديم تحليل واضح التفسير للوضعية، ويترك مثل هذا التحليل للقارئ. وتكون مناظر القتال الكثيرة أمتع مادة للقراءة، غير أن الحقائق الواقعية تبقى معماة. وعلى كل فإن هذه الخاصية للخبر كانت من حيث العموم الأداة الرئيسة لرفع علم التاريخ الإسلامي المتأخّر من صنف "الحوليات الجافة" ولإثارة الاهتمام بالتاريخ عند الشبان والشيوخ ذوي الثقافة العامة. (روز، علم، ٩٦، ١٤)

- الخصائص المعرفية للخبر ومجمل بناه قضايا لا معالجة لها في إطار علم التاريخ، بل هي أجزاء من علوم أخرى. والخبر بحدّ ذاته لا يجد تعريفًا في أدبيات التاريخ. وتنبئنا موسوعة التهانوي أن الخبر لفظ يطلقه الأصوليون والبيانيون والمنطقيون والمتكلّمون "على الكلام التام غير الإنشائي". الخبر، حسب التعريف المعتمد في كل العلوم، هو القول الذي يدخله الصدق والكذب، أي ما هو إما صادق وإما كاذب. أما الصدق والكذب، وهما الوجهان الحصريان للخبر، فهما يعتمدان على "المطابقة" وهو المفهوم الذي تلقاه المفكّرون العرب - المسلمون من علوم اللغة أساسًا، والذي أطلق شهرته

في عصرنا كلام ابن خلدون. فالخبر "كلام يكون لنسبته خارج تطابقه تلك النسبة فيكون صادقًا أو لا تطابقه فيكون كاذبًا". فصدق الخبر مطابقته لهذا الخارج وكذبه عدم مطابقته له. علاقة الخبر بخارجه، إذن، علاقة نسبة. فالمطابقة التي تحكم على الخبر بالصحة ليست مطابقة ضرورية ذات شروط واضحة، كما أراد ابن خلدون في وصفه لمعرفة طبائع العمران وكأصل تعرض عليه الأخبار في سبيل الحكم بالمطابقة أو بعدمها، وهي الإرادة التي ... بقيت على صعيد التمنّي إذ لم تكن هناك سبل معرفية في متناول الثقافة العربية - الإسلامية لتطوير هذا التمنّي نظريًا ولتطبيقه عمليًا. فالصدق والكذب "نسبتان بين الخبر ومتعلّقه عدميتان لا وجود لهما في الأعيان بل في الأذهان"، إذ أن الخبر في الواقع، وبغضّ النظر عن الدور المنطقي المتعلّق بتعريفه، "لفظ دالّ بالوضع على نسبة معلوم إلى معلوم أو سلبها"، وذلك "على وجه يحسن السكوت عليه". النسبة الوهمية التي يحسن السكوت على وجهها مفتاح أنطولوجيا الخبر. فإن علاقة الخبر بأصله - أي بخارجه وبما يخبّر عنه - لا تتضمّن أي قدر من الضرورة، وهذا الواقع يصبّ بدوره في اعتبار التاريخ أخبارًا عن واقعات مفردة تسرد بما هي مطالب لا أجناس لها ولا مواضيع. فعلاقة الخبر بخارجه بالمطابقة أو عدمها لا تقوم على أسس من الخبر أو على أصل من خارجه، بل هي دلالة موضوعة. وكونها موضوعة يعني أنها ليست بالدلالة الطبيعية والضرورية التي تتّسم بخصائص معرفية منها البداهة والحدس. فما من شيء يؤكّد أن خبرًا ما ينبئ عن حادثة إنباء صحيحًا، من وجه حقيقة الحدوث أولًا ودقّة الأنباء ثانية، وهذا ينطبق على كل خبر في كل ثقافة وفي كل علم - وربما كان التحوّل الحاصل اليوم في علم التاريخ والمؤدّي إلى البحث عن المعقولية بدلًا من البحث عن صحّة الخبر التي افتتن بها التاريخ الوضعي في ثقافاته المختلفة، تحوّلًا يدلّ على بداية انقطاع محمود مع ميثولوجيا الصحة التاريخية. فليس من ضمان لصحة الخبر إلا من باب الثقة بالناقل. وهذا ما تنبّه إليه جلّ من كتب التاريخ في الثقافة العربية - الإسلامية. (عظم، عرف، ١٧، ١٠)

- الظنّ بصدق خبر ما استنادًا على صلابة رجاله كاف للعمل به، ناهيك عن اعتماده في مقال التاريخ. والحق أنه "إذا فكّر المؤرّخ في أن ما يكتبه لا بدّ وأن يكون محقّقًا ومقطوعًا بصحّته، فإنه لن يستطيع أن يكتب أي تاريخ". ونحن نرى في الواقع أن الشروط التي وضعها شهاب الدين الايجي بقبول مصداقية خبر ما في مجال التاريخ - وتحليل الايجي هو التحليل الأكثر تطوّرًا في الثقافة العربية - الإسلامية - لا تبتعد في مجالها المفهومي عن دائرة الأصول التي نعتمد البعض من أسسها في نقاشنا هذا، ولا تفترق في

تفاصيلها عن ترتيب علم الحديث لقرب أو بعد أخباره عن اليقين استنادًا على الرجال وعلى الإجماع بقبول الأحاديث: من أخبار صحيحة وحسنة وضعيفة وسقيمة وتشعّب كل من هذه الأنماط، وأخرى متواترة أو مشهورة أو مستفيضة أو عزيزة أو غريبة، ثم تصنيفها حسب أصلها إلى متّصل ومقطوع ومنفصل ومعلّق. فاليقين لا يقوم على معاينة الخبر معاينة طبيعية، بل هو قائم على اعتبار. ولذا فنحن نرى أن العرض المفصل الذي يعطينا إيّاه الايجي بصدد أسس ترجيح صحّة خبر ما يقوم في أصله على عناصر خارجة عن الخبر وعن المخبر عنه. فمن هذه الأسس السبعة، هنالك أربعة تتعلّق بالنقل، وهناك أساس خامس ذو علاقة بفصاحة الخبر وصياغته وصراحته، وسادس ذو صلة بأخلاقيته، ولا نجد إلّا أصلًا واحدًا يتناول كثرة الأدلّة على الصحة دون تعيين معنى الدليل - والأرجح أن الأدلّة في هذا الإطار تشير إلى القرائن، إذ إن هذا يتماشى مع ... القول من أنه ليس لصحة الخبر صلة "طبيعية" بخارجه أو بآلية نقله مما يمكّنا من التوصّل إلى هذا الصحة بالنظر وبالدليل، والقرينة - وهي الإيماءة والتداعي - أقرب من واقع الحال من الدلالة ومن البرهان. فلا برهان إلا المشاهدة، ولا تصديق للمشاهدة إلا بتصديق الراوي وبالثقة في سلسلة نقل القول الأول إلى الحاضر - ولهذا طبعًا ترجمة دقيقة في المصطلحات المستخدمة في نقل الأخبار من "أخبرنا" و"حدّثنا" وما إلى ذلك، والتي تتعلّق جميعًا وبدون استثناء بقياس دقّة النقل واقتراب نص الرواية التابعة للرواية السالفة واقتراب الجميع لنص الرواية الأولى والمؤسسة للخبر موضع النقل. (عظم، عرف، ٢٠، ١٤)

- الرواية هي مادة التاريخ والإخبار عمومًا، وليس للرواية بدورها طبيعة تخرجها عن كونها إنباء محضًا، فهي قول دون أن تكون خطابًا، ولو أن لمحتواها فحوى خطابيًّا. ولكن هذا الفحوى الخطابي شأن لا علاقة له بالرواية كفاعلية محصورة بالراوي وخارجة عن بنى الرواية عينها. ونحن نرى أن حتى ابن خلدون الذي حاول أن يجعل للخبر طبيعة خاصة به، يرد هذه الطبيعة إلى علاقة الراوي بالخبر وسطوة الأول على الثاني: فأسباب كون "الكذب متطرّق للخبر بطبيعته" ترجع للراوي بجملتها وتفصيلها: فالتشيّع للمذاهب والثقة بالناقلين والذهور عن مقاصد الرواة وتوهّم الصدق والجهل بطبائع العمران، كل ذلك من باب الرواية وليس من باب الخبر، مما يجعل استخدام ابن خلدون لتعبير "الطبيعة" بالإشارة إلى الخبر استخدامًا مجازيًّا بحتًا يقوم فيه الخبر كناية عن رواية في وضع يكون فيه الراوي، في الواقع، أصل الخبر ومنتهاه. فلا الخبر وحده له شروط في أصله الطبيعي، ولا لبنى الخبر الداخلية طبيعة خاصة تؤثّر على روايته. فالاعتماد على

الرواية - أي الواقعية الأسمائية التي ترى في الصحة محاكاة لواقع فرد والتي ترى في السرد التاريخي بذاته محاكاة لا تختلف عن الإخبار الأصلي الذي تبتنى عليه، دون أن تخدع نفسها بكلام حول التحقّق من الصحة على أسس تخالف الاعتماد على صحة الرواية - يرد قضية الصحة والثقة بأكملها إلى مجال هو ليس سرديًا خطابيًا، ولا هو بطبيعي - يردّها - : إلى الأهواء القاطنة في سيكولوجية المؤرّخ، وإلى عطل في أداة النقل. (عظم، عرف، ٢٤، ٤)

- لا يدخل الخبر إذن تأويل أو تفسير. فالخبر، كما يقول ابن خلدون بصدد الأنساب والقصص، أمر لا يدخله النسخ ولا يبقى إلا تحرّي صحته في "النسخ الصحيح والنقل المعتبر"، فهو لا يقتني حيزًا ما وراء الخبري كما في الأخبار الشرعية التي تنسخ بعضها البعض لأنها خطاب مطلق يقتضي أن تتوافق معه جميع الألفاظ. ولما كان الخبر بمنأى عن الفاعلية التفسيرية، فلا يبقى إلا القبول أو الرفض من جهة أخرى. فليس هناك ثمّة خلل وانحياز في منحى سردي ما، بل هناك فقط الخطأ. وليس هناك إيمان خاطئ، بل هناك مجرّد الوهم. فليس في الواقع فاعلية للامباشرة، بل هو قائم في وضعانيته. كذلك الأمر، ليس في الأخبار عن هذا الواقع أي فاعلية خطابية، بل هو يقوم على الإنباء المباشر والتام. وكل ما عدا المباشرة هذه كذب بالنسبة للواقع، وتحريف (عوضًا عن تفسير) للنص. فالنص، شأنه شأن الواقع، حيّز للمعاني التي لا تستقيم إلّا بثبوتاتها الحاصل في ثباتها، وتصبح العملية التفسيرية بمثابة بحث قاموسي لفاعلية ترجمة تتمّ فيها المطابقة التامة، معرفيًا وأنطولوجيا، بين الواحد والآخر، بين العين واللسان، وبين اللسان والقلم، بين الخبر والقول، وبين القول والخطاب - يجري بين هذه كلها حيّز استمرار تام يجعلها طبقات خارجية لوحدة جوهرية هي الواقع الذي ينتقل من العيان إلى الورق. ولئن أصاب العلماء في بيانها أن العلاقة بين الكتابة والعبارة والذهن والعيان علاقة دلالة المتقدّم على متأخّره، إلّا أن فعل الدلالة في إطار علم الخبر يختزل إلى واحد من الحدّين اللذين يحصران مجال المعاني الذي تعبره عبارة "دلالة"، ألا وهو اتّصال الأشباه صلة المثل بالمثل. فالوحدة دلالة تامة ومطابقة مطلقة -. (عظم، عرف، ٢٥، ١٩)

- عملية الكفاية لها نهاية، وهي اعتبار الخبر مثلًا للعين، وحضور الخبر يكافئ حضور العين، فالإخبار الصحيح شهود، والخبر الصحيح قول يتماهى أنطولوجيًا مع العين المخبر عنه، بحيث يضحى الكلام حضورًا، والإخبار عن عين رؤية له: "فيا ليست شعري، أي فرق بين من رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين، فإذا عاصرها فكأنه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضرهم". (عظم، عرف، ٣٩، ٢٢)

خبر تاريخي

- لا تختلف علاقة الخبر التاريخي بالواقع عن تلك التي تربط أي خبر آخر بالواقع الذي يخبر عنه، فكلاهما علاقة إبلاغ. على ذلك، ليس أبدًا بمستغرب أن يسمّى التاريخ بعلم الخبر. فابن حزم مثلًا يطلق عليه هذا الاسم ويعالجه وكأنه متضمّن أخبارًا بحتًا دون الالتفات إلى التعيين الزماني للفاعلية التأريخية، وذلك في رسالة قيّمة من جهة إبلاغنا حول التوازيات المفهومية بين العلوم المختلفة في الثقافة العربية - الإسلامية. كذلك الأمر، يورد الخوارزمي علم الأخبار بوصفه أحد العلوم العربية الستة التي تتضمّن الكلام وأصول الفقه والنحو وغيرها. ويتوازى هذا الإدماج المفهومي التام للتاريخ في الإطار الأوسع للخبر مع إدماج سوسيولوجي - ثقافي للفاعلية التأريخية في الأطر الثقافية الأوسع للثقافة العربية - الإسلامية. (عظم، عرف، ١٣، ١٧)

خبر حولي

- منهج عام واحد في التاريخ العام العالمي هو الذي بقي وانتشر هو منهج الطبري منهج الخبر الحولي ولكن بعد حذف الإسناد... في نصف القرن الأخير من هذه الفترة ... أي ما بين أواخر القرن السادس وأواسط السابع تظهر هبة أخرى من التواريخ العامة تطبع الفترة كلها بطابع الاهتمام التاريخي الواسع على أن أهمّ ميّزاتها أنها مع اتّباعها مدرسة الطبري الحولية وسعة نظر اليعقوبي والمسعودي في الشمول الأممي وأسلوب مسكويه في السرد السياسي دون السند ودون الاهتمام بالجو الحضاري قد ضيّقت أحيانًا مفهوم التاريخ العام كما أضافت منهجين جديدين إليه: أولًا: فأمّا ضيق المفهوم فتجلّى في اقتصارها التاريخ على تاريخ المسلمين العام وتقصيرها الزمن التاريخي على مدى التاريخ الإسلامي فقط دون السابق له، ولعلّ السبب هو توسّع هذا التاريخ وتزايد مادته من جهة واعتبار بعض المؤرّخين - سواء عن تقى أو عن اقتناع - أن تاريخ الإسلام هو الذي يهمّ الناس وهو الجدير بالتدوين والمعرفة وما عداه ممّا سلف لا يعدو أن يكون زيادة لا قيمة لها ولا أثر... ولذلك كثيرًا ما نجد كتب التاريخ العامة إنما تبدأ بعصر الرسالة. وسوف نرى خلال البحث الأمثلة العديدة على ذلك. ثانيًا: أضافت أهم كتب التاريخ العام إلى مادتها في الحوادث مادة جديدة أخذتها من كتب التراجم. وقد جاءت هذه الإضافة ذيلًا وتتمّة للقسم الإسلامي منها. ثالثًا: فتحت بابًا يأتي في نهاية حوادث كل سنة هو باب الوفيات. لقد دمج المؤرّخون منذ أواخر القرن السادس تاريخ الرجال مع الأحداث في كتاب واحد. مفهوم التاريخ العام التقى فيه عندهم لا الأمم المختلفة في المناطق المختلفة فقط ولكن التقى فيه أيضًا فرعا التاريخ الداخليان: الأحداث والتراجم. الثاني: التنظيم الأبجدي وهو ابتكار ظهر في نهاية

الفترة أي في النصف الثاني من القرن السابع. ومع أنه نقل عن كتب التراجم إلا أنه يعبّر عن فكر موسوعي نما حتى أدخل أحداث التاريخ في إطاره. (مص، رخ١، ٤١١، ١١)

ختلان شاه

- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيوشاران الرِيوْشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ٣)

ختم على الكتاب

- أول من أحدث الختم على الكتاب - أي: العلامة - معاوية - رضي الله عنه! - وسببه أنه أمر لعمرو بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة ألف، ففتح الكتاب وصيّر المائة مائتين. ورفع زياد حسابها، فأنكرها معاوية، وطلب بها عمرًا وحبسه؛ حتى قضاها عنه أخوه عبدالله، واتّخذ معاوية - عند ذلك - ديوان الخاتم وحزم الكتاب. ولم تكن تحزم. أي: جعل لها السّداد. (أزر، بدع٢، ٧٢٩، ١٢)

خراج

- الجزية والخراج متشابهان بأنهما يؤخذان من غير المسلمين، وهما من جملة أموال الفيء ويجبيان بأوقات معيّنة كل سنة، ولكنهما يختلفان بأن الجزية موضوعة على الرؤوس وتسقط بالإسلام، وأما الخراج فيوضع على الأرض ولا يسقط. (زي، مدن١، ٢٢٧، ٢٣)
- الخراج ما يوضع من الضرائب على الأرض أو محصولاتها، ولكثرته في الدولة العباسية أسباب أهمها أربعة، وهي: ١- سعة المملكة العباسية. ٢- إشتغال الناس بالزراعة. ٣- ثقل الخراج المضروب. ٤- صدق العمال في إرسال المال المجموع. (زي، مدن٢، ٧٦، ٧)

خراسان

- خراسان وكانت تحت يدي أصبهبذها باذُوسْبان وأربعة مرازبة إلى كلّ مرزبان ربع خراسان فربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها وربع إلى مرزبان بلخ وطخارستان وربع إلى مرزبان هَرَاة وبُوشَنْج وباذَغيش وسجستان. (خرد، مسلك، ١٨، ٦)

خرافة

- التعليل الخرافيّ "الخرافة حادثة حقيقية فُسّرت تفسيرًا خاطئًا". إن بوذا وهرقل القديم وعنترة أشخاص تاريخيون، كما كان طوفان نوح والألعاب الأولمبية وبناء تَدْمُر حوادث تاريخية. ولكنّ الكهان والقصّاصين والشعراء تناولوا أولئك الأشخاص وتلك الحوادث بالخيال

والمبالغة والتقديس حتى أخرجوها من نطاق التاريخ إلى حيّز الخرافة. كان بوذا رجلًا صالحًا في قومه وابن ملك، فيما قالوا، فقام بحركة إصلاح فلسفي أخلاقي ثم خلّف مذهبًا وأتباعًا. غير أن أتباعه فيما بعد زعموا أن صَدَفَةً صعدت في يوم صحو جميل من قعر البحر إلى سطح الماء. فلما مسّتها أشعّة الشمس انفتحت وخرج منها بوذا. وكذلك لما رأى عرب الجاهلية مدينة تدمُر هالهم بناؤها الضخم وزخارفها العجيبة فزعموا أن الجن بنوها، وذلك قول النابغة:

وخَيِّسِ الجِنّ، إني قد أذِنْتُ لهم
يبنُون تدمُرَ بالصُفّاح والعَمَدِ

ولا ريب أيضًا في أنه كان لامرئ القيس حصان. ولكن امرأ القيس نفسه خلع على حصانه صفات خيالية خرافية لما قال:

له أيطَلا ظَبْيٍ وساقا نَعامةٍ
وإرخاء سَرْحان وتقريبُ تُتْفُل!

فكيف يكون الحصان هيكلًا (ضخمَ الجُثّة) ثم يكون له خاصرتا غزال وساقا نعامة؟ والخرافات - مع كل ما فيها من المبالغات والمحالات والحوادث المصنوعة - تدخل مع الأيام في خيال الأمم، ثم يتناولها الكهّان والقصّاصون والشعراء بالتبسّط والتأنّق وبالتشابيه والاستعارات ويتناقلها الناسُ جيلًا بعد جيل حتى تصبح قطعة من حياة الأمة وعقيدة راسخة فيها ونسيجًا في حضارتها. ومما يساعد على انتشار الخرافة وشيوعها أنها تنسب عادة إلى كائن له قداسة أو رهبة، أو إلى أمر من أُمور الغيب مما ليس للبشر عليه سلطان (إلى إلّه أو شيطان أو سلف وجيه في الأمة أو إلى حسن الحظ أو سوء الحظ) فيتقبّل السامعون إرادة ذلك الكائن، في تلك الحوادث، ثم يقفون بعقولهم دونها. وبما أن الجهل كان سائدًا في الأزمنة القديمة فإن التعليل الخرافي للتاريخ لاقى انتشارًا. ولكن لما بدأ التفكير الفلسفي يسود في بلاد اليونان خاصة بدأ التعليل الخرافي يضعف، وإن كان قد استمرّ بعد ذلك زمنًا طويلًا. (فر، علل، ٦، ٢٢)

خسروا خوارزم

- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيْوشار، ملك الجُوزَجان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ٢)

خط الإستواء

- صفة الأرض إنها مدوَّرة كتدوير الكُرَة موضوعة في جوف الفلك كالمُحَّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض إن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخِفّة والأرض جاذبة

لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد، والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بناتُ نَعْش، فاستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والأصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خطّ الاستواء وبين كلّ واحد من القطبين تسعون درجة أصطرلابيّة واستدارتها عرضًا مثل ذلك إلّا أن العمارة في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الرُّبْع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلُّ ربع من الشماليّ والجنوبيّ سبعة أقاليم. وذكر بطلميوس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومائتي مدينة. (خرد، مسلك، ٤، ١٠)

خط عربي

- لسان العرب الأول قد تغيّر، واحتاج إلى الإصلاح بالنحو، وكذلك الخط العربي قد تغيّر، واحتاج إلى الإصلاح بقوانين جديدة، بخلاف اللغة العربية فإنها باقية على حالها وفي موضوعاتها لم تتغيّر إلى هذا العهد، فلم تزل محفوظة دائرة على ألسنة العلوم، ومعرفتها ضرورية، لا سيما لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنّة، وهي لغة العرب، والناقلون للشريعة هم الصحابة والتابعون، وهم عرب، وشرح مشكلات الشريعة من لغاتهم، فالمحافظة على اللغة العربية من أوجب الواجبات، وطريق المحافظة عليها هي الكتابة، وهي فضيلة من الفضائل. (طه، عمل٣، ٦٢٠، ١٧)

خطاب

- يميّز ابن خلدون بين نوعين من الخطاب: خطاب يحمل أمرًا مقدّسًا (أمرًا شرعيًّا أو "خبرًا" من السماء تصديقه أمر)، وخطاب يخبر عن "واقعات" من عالم الطبيعة. ولكل خطاب مقياس للصدق، تبعًا للعالم الذي يحيل إليه، عالم الغيب أو عالم الطبيعة، وكلاهما حق عند صاحب المقدّمة. (أوم، نهج، ٤٢، ٤)

خطاب تاريخي

- ينبغي رفع الخطاب التاريخي إلى مستوى التاريخ الذي انقلبت أوضاعه. (أوم، نهج، ١٢، ٢٦)
- انتهى النقد الخلدوني لعلم التاريخ العربي ... إلى هذه النتيجة: وهي أن الخطاب التاريخي التقليدي خاطئ من الأساس،

ذلك أن الجهل بقوانين العمران التي يؤكّد ابن خلدون أنّه مكتشفها يحرم المؤرّخين من أهم معيار لقياس صحة الأخبار. بل نتج عنه فارق بين التاريخ والخطاب التاريخي ينتهي إلى انقطاع بينهما حين يحلّ بالعمران (أو التاريخ) تغيّر جذري لا يترجم على مستوى الخطاب. لا سيما حين يستقرّ التقليد، آنذاك يكرّر المؤرّخون وهم في غفلة تامة، إنتاج أخبار وأنماط من ماضٍ بائد، فيخلّدون الخطأ والخطاب المجرّد الذي يحمله. (أوم، نهج، ٢١٣، ٨)

خطاب عن التاريخ

- إن ابن خلدون وهو يرفض الإسناد منهجًا للتاريخ يخرج عن تقليد متداول منذ قرون ويرفع مفهوم التاريخ إلى مستوى إنتاج التاريخ، ذلك أنه على الرغم من النمو الهائل للإنتاج التاريخي العربي، فإن هذا النمو لم يترجم على مستوى النظرية، فظلّ تنظير التاريخ العربي متخلّفًا عن مستوى إنتاجه. ولكن لنقد منهج الإسناد دلالة أعمق لأن ابن خلدون يربطه بنقد التقليد، أي تكرار إنتاج لا ينتهي لأخبار وأنماط جامدة، وهكذا يحدث الطلاق ويستقرّ بين التاريخ وخطابه، ولذا فإن ردّ علم التاريخ إلى قوانين التاريخ والمجتمع (طبائع العمران) يعني وضع حدّ لاستنساخ لا ينتهي لأنماط السرد والخبر، وتقريب الهوّة بين "التاريخ" و"الخطاب عن التاريخ". (أوم، نهج، ٦، ٢٣)

- لا خطاب عن التاريخ ممكن إلا إذا قام على معرفة قوانين العمران، وما يلحقه من تغيّر. (أوم، نهج، ٢١٣، ١٦)

خطاب مقدس

- الخطاب المقدّس: البشر أنفسهم وهم يضيفون إليه من ذواتهم، فيحوّرونه لمصلحة، سياسية أو غيرها، أو لمجرد ادّعاء، وكل ما يدخل تحت ما سمّاه القدامى "بالكذب في الأخبار" و"النحل". ولأن البشر يتداولون اللغة والرغبة فهم أميل إلى أن يحوّروا ما اعتبر أصلًا مقدّسًا، وبالتالي الخطاب الثابت الذي يحمله. لذا وجب إخضاعهم لرقابة مزدوجة: رقابة على ثبات هوية الخطاب المقدّس عبر الأجيال، ورقابة على أخلاق متناقليه. هذه الرقابة الأخلاقية هي الأهم نظرًا لأن النقل ما هو إلا شهادة: أي على الناقل أن يشهد بالضبط بما تلقاه، وينقله تمامًا كما سمعه. فكلا الدال والمدلول ينبغي أن يظلّا هما هما، وهوية المدلول المقدّس مرهونة بأن يبقى نسق الدال ثابتًا وإلى الأبد، فلا كلمة تنوب عن أخرى، ولا تستبدل مواقع العلامات، والترادف محظور، فنسق الخطاب المقدّس ينبغي أن يظلّ ثابتًا وإلى الأبد. (أوم، نهج، ٤٣، ٦)

خطابة

- الخطابة إنما هو الأقوال المقنعة النافعة في

استمالة الجمهور إلى رأي أوصدهم عنه. (خلد، قدم، ٣٣٢، ١)

خطبة

- ملوك الأطراف مثل ملوك الشام ومصر وصاحب الموصل، يحملون إليهم - (إلى الخلفاء العباسيين) - في كل سنة شيئًا، على سبيل الهدية والمصانعة، ويطلبون منهم تقليدًا بولاية بلادهم، بحيث يتسلّطون بذلك على رعيتهم، ويوجبون عليهم طاعتهم، بذلك السبب، ولعلّ الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك الأطراف عن هداياهم بما يناسبها، أو يفضل عنها، كل ذلك لحفظ الناموس الظاهر، وليكون لهم في البلاد والأطراف، السكّة والخطبة، حتى صار يضرب مثلًا لمن له ظاهر الأمر وليس له من باطنه شيء، أن يقال: قنع فلان من الأمر الفلاني بالسكة والخطبة، يعني قنع منه بالاسم دون الحقيقة، فهذه جمل من أحوال الدولة العباسية. (طق، فخر، ٢٠، ٢٤)

- الخطبة هي الدعاء للخلفاء على المنابر في الصلاة، وأصلها أن الخلفاء كانوا يتولّون إمامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للنبي والرضى عن الصحابة. فلما فتحوا البلاد وبعثوا إليها العمال، صار الولاة يتولّون إمامة الصلاة في ولايتهم، فكانوا إذا صلّوا ختموا الصلاة بالدعاء للخلفاء. (زي، مدن١، ١٤٠، ٣)

خطرة

- اليقين وهو استقرار الحقّ وانتفاء الشكّ والشبهة عنه، وإنّما اشترطنا في الخطرة الصدق لأنّه قد يخطر للنفس والهوى والطبع والعادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يُعدّ من آخر العلم اليقين الذي يُحيط بالآشياء على وجهها ويدركها بكنهها. (بلخ، بدا، ٢١، ١١)

خطوط التاريخ

- توطّدت خطوط التاريخ في ثلاثة مسارب: تاريخ الأحداث أو التاريخ السياسي، وتاريخ الرجال أو التراجم، وتاريخ الأفكار والعلوم والآداب والمجتمع والنظم أو التاريخ الحضاري. وإذا كان مفهوم التاريخ قد انصبّ أول الأمر على التراجم وأخبار الرجال وقد حمل المعنى الديني بسبب اختصاصه أيضًا بحملة الحديث فإنّه سرعان ما توسّع عن هذا المفهوم منذ أواخر القرن الثالث ليحمل دون أن يتركه، معنى الأخبار السياسية. ثم فرضت كتب التاريخ الحضاري نفسها تارة بوصفها تراجم لرجال العلوم المختلفة والآداب وتارة بوصفها أخبارًا عن نواح طريفة أو هامة من الحياة العامة، ولكن دون أن تحمل إلّا في النادر عنوان التاريخ. (مص، رخ١، ٤٦١، ١٦)

خلافة

- حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا، فصاحب

الشرع متصرّف في الأمرين: أما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية التي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها؛ وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري. (خلد، قدم، ٦٢٤، ١٥)

- الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفُتيا والقضاء والجهاد والحِسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة. (خلد، قدم، ٦٢٥، ١٠)
- الخلافة إنما هي دين ليست من السياسة الملكية في شيء. (خلد، قدم، ٦٦٧، ٨)
- الخلافة ضرب من الملك خاص بالإسلام لم يكن في سواه من قبل، وهي من قبيل السلطة الملكية المطلقة، ولكنها تمتاز عن سلطة القياصرة والأمبراطورين والأكاسرة بأن الخلافة تشمل السلطتين الدينية والدنيوية، فتحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، وأما تلك فتنحصر في حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية. وقد يظهر الفرق بين السلطتين كبيرًا ومرجعهما إلى مبدأ واحد، لأن الذي يتأتّى له أن يتولّى أمور الناس ويحكم فيهم حكمًا مطلقًا، إما أن يسير بهم على قانون مفروض، أو على مقتضى ميوله وأغراضه. وأكثر حكام العالم المتمدّن يحكمون بقوانين سياسية وضعها عقلاء الأمة وأكابر الدولة، يطيعها الناس ويجرون على أحكامها، كذلك كان الفرس والروم قبل الإسلام، وكان هذا شأن الملوك المطلقين في أوربا إلى عهد قريب، بل كذلك شأن الديموقراطيات التي يتولّى الحكم فيها ملك يرث العرش عن آبائه، أو رئيس جمهورية ينتخبه الشعب وفق قواعد مقرّرة في الدستور، ويقوم بالحكم في حدود يعينها الدستور أيضًا. وأما الخلافة فإنها مقيّدة بقوانين دينية شرعية يسوس الخليفة بها أمته ويحمل الناس على أحكامها بالنيابة عن النبي صاحب تلك الشريعة، ومن هذا القبيل اشتمال الخلافة على الإمامة، وقد سمّوا الخليفة إمامًا تشبيهًا بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به. (زي، مدن١، ١٢٧، ٣)
- للخلافة أربعة شروط يشترط توفرها في الخليفة، وهي العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس، واختلفوا في شرط خامس هو النسب القرشي أي أن لا يقوم خليفة إلا من قبيلة قريش، فامتنع حينئذٍ أن يتولّى أمور المسلمين أعجمي باسم الخليفة. (زي، مدن١، ١٢٨، ٢)
- يؤول ابن خلدون الخلافة. صحيح أنها نظام سياسي إسلامي محض، لكنها مرتبطة بعصبية قريش، وبذلك يستطيع ابن خلدون أن يذهب إلى أبعد حدّ في تأويل بعض الأحاديث المعتبرة صحيحة، والتي تنصّ على أن الخليفة يجب أن يكون من سلالة قريش، مثل الحديث النبوي القائل: "الأئمة من قريش". يجب أن نفهم لماذا كان هذا الشرط ضروريًا في لحظة معيّنة من تاريخ العرب. يقول ابن خلدون: ".. وذلك أن قريشًا كانوا عصبة مضر وأصلهم، وأهل الغلب منهم، وكان لهم

على سائر مُضَر، العزّة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك، ويستكينون لغلبهم. فلو جعل الأمر في سواهم، لتوقّع افتراق الكلمة بمخالفتهم، وعدم إنقيادهم (..) والشارع محذّر من ذلك حريص على اتّفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم، لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية (..) فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخصّ الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها، وطردنا العلّة المشتملة على المقصود من القرشية، وهو وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين، أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها، ليستتبعوا من سواهم، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية". ولا شكّ أن هذا التأويل قد سهّله التطوّر الذي حصل في الفكر السياسي السُّنّي. فمنذ أمد طويل، كان الفكر السني يقبل أن يتولّى السلطة، شرعيًّا، شخص غير قريشي، بل وغير عربي، فكان في ذلك تعبير، على مستوى النظرية، عمّا كان قد أصبح ممارسة، خاصة منذ القرن الخامس الهجري (XIم)، أي منذ ظهور السلطنة كمؤسّسة سياسية مستقلّة أقامها مسلمون عجم، واختزال الخلافة إلى مجرّد لقب تشريفي. ويذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك، فالخلافة باعتبارها مؤسّسة، اختفت نهائيًّا، وظهر التباسٌ بين الخلافة والملك، لأنهما اقترنا ببعضهما خلال قيام الدولتين العربيتين الأوليين. إلا أن الخلافة اختفت باختفاء العرب وفناء جيلهم، ومن ثم لم يعد مبرّر لوجودها، ولو من حيث اللقب الشكلي: "ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم، وتلاشي أحوالهم، وبقي الأمر ملكًا بحتًا كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرق". (أوم، نهج، ١٦٢، ٧)

- أما بالنسبة للخلافة فهي عنده (إبن خلدون) السلطة المثالية بالنسبة للبشر، لأنها تحافظ في الوقت نفسه على مصالحهم في هذه الدنيا وفي الآخرة. غير أنهم لن يروها بعد الآن مطلقًا. يمكن لهذه السلطة أو تلك أن تدعيها، ولكن ذلك لن يكون إلا ادّعاء شكليًّا، لأنها كنظام سياسي محدّد، لن تتكرّر في التاريخ. وذلك لأنها وافقت شرطين تاريخيين مضيا مع الزمن: ١- قرب الجيل الذي عرفها من الوحي الديني حيث كان الاختلاف ضئيلًا بين ما هو ديني وما هو إجتماعي. ولأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان آخر نبي، فإن هذا الشرط لن يتحقّق من جديد. ٢- وجود عصبية قريش العربية، ولا يكف ابن خلدون عن تكرار أن سلطة العرب انتهت تاريخيًّا وحلّت مكانها سلطة "العجم" في المغرب والمشرق. والنتيجة هي أن التاريخ اضطرّ المسلمين إلى الحياة في أنظمة أدنى مما يأمر به الدين لم يعد هناك إذن إلا السياسة فقط، ولم تعد "السياسة

الشرعية" ممكنة. السلطة الوحيدة الباقية قائمة على العصبية، أي على "الوازع" الذي هو موضوع النظرية السياسية للمقدمة والذي لا يعني في التحليل الأخير إلا المجتمعات القبلية. (أوم، نهج، ٢٠٧، ١٩)

- ليس ثمّة حالة وسط بين المُلك والخلافة، على الرغم من اجتهادات أوائل المتكلّمين، إذ ليس ثمّة وسط بين القدس والدنس أو بين الكمال والنقص. ولذا ليس هناك اتّجاه فعلي للنقص بذاته، ولا يكون هناك من وجهة في التاريخ إلا إذا افترضنا غاية تستعيد بداية بفعل إلهي مباشر، كالقيامة. (عظم، عرف، ١٢٣، ١٨)

خلال

- إذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها ومتمماتها، وهي الخلال؛ لأن وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الأعضاء أو ظهوره عريانًا بين الناس. وإذا كان وجود العصبية فقط من غير انتحال الخلال الحميدة نقصًا في أهل البيوت والأحساب، فما ظنّك بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب. (خلد، قدم، ٥٠٥، ١)

خلق

- أول ما خلق الله تعالى من خليقته السماء والأرض، وكانت الأرض خربة خاوية وكانت الظلمة على الغمرة وكانت ريح الله تبارك وتعالى ترف على وجه الماء. فقال الله عزّ وجلّ ليكن النور، فكان نورًا فرآه الله حسنًا فميّزه من الظلمة وسمّاه نهارًا وسمّى الظلمة ليلًا، فكان مساء وكان صباح يوم الأحد. (قتي، خبط، ٦، ٢)

- خلق الله خَلْقه من أربعة أشياء: الملائكة من نور والجانّ من نار والبهائم من ماء وبني آدم من طين، فجعل الطاعة في الملائكة والبهائم لأنّهما من النور والماء وجعل المعصية في الجن والإنس لأنّهما من الطين والنار. (بلخ، بد٢، ٦٥، ١١)

- لكل خُلُق طرفين: أحدهما: الإفراط، وثانيهما: التفريط، وهما مذمومان، فالبخل، مثلًا، إفراط في الإمساك، وهو مذموم، والتبذير تفريط في الإنفاق وهو مذموم أيضًا والوسط ممدوح، وهو العدل في الإنفاق، وهكذا كل فضيلة لها طرفان ووسط، والوسط عبارة عن الإنصاف في الفضيلة، وهو الممدوح منها. (طه، عمل١، ٢٦٦، ١٦)

خلق الله

- زعم محمد بن إسحق أنّ أوّل ما خلق الله النور والظلمة فجعل الظلمة ليلًا وجعل النور نهارًا ثم سَمَكَ السماوات السبع من الدخان دخان الماء حتى استقللن ولم يحبكهنّ وقد اغطش في السماء الدنيا ليلها وأخرج ضحاها فجرى منها الليل والنهار وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم، ثم دحا الأرض وأرساها بالجبال وقدّر فيها الأوقات ثم استوى إلى السماء وهي دخان

قال فحبكهنّ وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها وأوحى في كلّ سماء أمرها. وقريب من هذا ما رُوي عن عبدالله بن سلام أنه حكى عن التورية أن خلق البخار الذي خرج من الماء والجبال والأرض من الأمواج ودحا الأرض من تحت موضع الكعبة عن الكلبيّ والسنديّ أنّ الأرض كانت تُكفأ كما تُكفأ السفينة فأشمخ الله جبالها وأرساها بالأوتاد حتّى استقرّت وتوطّدت. (بلخ، بد٢، ٢، ٨)

- خلق الله خَلْقه من أربعة أشياء: الملائكة من نور والجانّ من نار والبهائم من ماء وبني آدم من طين، فجعل الطاعة في الملائكة والبهائم لأنّهما من النور والماء وجعل المعصية في الجن والإنس لأنّهما من الطين والنار. (بلخ، بد٢، ٦٥، ١١)

- الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي، ثمّ العرش، ثمّ الهواء، ثمّ الظُّلمات، ثمّ الماء فوضع العرش عليه. قال: وقول من قال: إنّ الماء خُلِقَ قبل العرش، أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وقد قيل: إن الماء كان على متن الريح حين خلق العرش؛ قاله سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، فإن كان كذلك فقد خُلقا قبل العرش. وقال غيره: إن الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئًا بألف عام. واختلفوا أيضًا في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والأرض، فقال عبدالله بن سلام، وكعب، والضحّاك، ومُجاهد: ابتداء الخلق يوم الأحد. وقال محمد بن إسحاق: ابتداء الخلق يوم السبت. وكذلك قال أبو هريرة. واختلفوا أيضًا فيما خَلَقَ كلّ يوم، فقال عبدالله بن سلام: إن الله تعالى بَدَأ الخلق يوم الأحد، فخلق الأرضين يوم الأحد والإثنين، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات يوم الخميس والجمعة، ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم، عليه السلام، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة. ومثله قال ابن مسعود وابن عبّاس من رواية أبي صالح عنه، إلّا أنّهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة. وقال ابن عبّاس من رواية عليّ بن أبي طلحة عنه: إنّ الله تعالى خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها، ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثمّ دحا الأرض بعد ذلك. (أث، كمل، ١٧، ١٤)

خلق الخلق

- الله خلق الخلق لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرّة، وكل فاعل من غير نفع ولا ضرّ فسفيهٌ غير حكيم، قال المسلمون هذا إذا كان الفاعل يلحقه المنافع والمضارّ، فأمّا إذا كان غنيًّا من احتراز منفعة ممتنعًا من لحوق ضرر فغير سفيه ولا عابث. وقد قامت الدلالة على أنّ البارئ كذلك حكيم غير سفيه ومحال وجود العبث من الحكيم فلا يخلو خلقه من الحكمة وإن خفي علينا وجهه لعلمنا بأنّ الحكيم لا يفعل ما هو غير حكمة واختلف آراء الناس في ما لاح لهم من الحكمة في خلقه وإن كان لا

يجوز القطع على شيء منه لظنّه معظم علمه عنهم. (بلخ، بدا، ١١٥، ٤)

خليفة

- تسميته (الملك) إمامًا فتشبيهًا بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به؛ ولهذا يقال الإمامة الكبرى. وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته، فيقال خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله. (خلد، قدم، ٥٧٩، ٣)

خليفة رسول الله

- أمير المؤمنين، وفيه كلام من وجوه: أحدها: أن أول من تسمّى به عمر - رضي الله عنه! - لما بويع بعد أبي بكر - رضي الله عنه!-، استثقالًا لكثرة الإضافات في قولهم له قبل ذلك: "خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم! -؛ خصوصًا عند تزايد ذلك دائمًا إلى أن ينتهي إلى الهجنة، ويذهب منه التمييز، بتعدّد المضافات فعدلوا عنه إلى ما يناسبه ويدعى به مثله. الثاني: ذكر الشيخ أبو عمر - في التسمية به - علّتين: إحداهما: ما أشير إليه من كراهية الاستثقال، حيث قال: كان أبو بكر يقال له: "خليفة رسول الله" - صلى الله عليه وسلم!-. فكيف يقال لي: "خليفة خليفة؟"، يطول هذا. فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا، ونحن المؤمنون، فأنت "أمير المؤمنين". قال: فذاك إذن. الثانية: أن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما المدينة، وأناخا راحلتيهما بفناء المسجد. ثم دخلا، فإذا بهما: بعمرو بن العاص، فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين - يا عمرو! - فقال عمرو: أنتما - والله! - أصبتما اسمه. نحن المؤمنون، وهو أميرنا، فوثب عمرو، فدخل على عمر، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال: ما بدا لك في هذا الاسم؟ يعلم الله لتخرجن مما قلت. قال: إن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا وقالا لي استأذن لنا - يا عمرو! - على أمير المؤمنين. فهما - والله! - أصابا باسمك. أنت الأمير، ونحن المؤمنون، فجرى الأمر على ذلك. (أزر، بدع٢، ٧٣٩، ٨)

خميس

- "الخميس" جمعه أخمسة وأخامس وكانوا يسمّونه مؤنِسًا. (سي، شم، ١٧، ٦)

- تسمية الجيش بالخميس، ويتقدّم الخميس كوكبة من الفرسان يقال لها: "الطليعة"، لأجل الاستكشاف على مواقف العدو. فإذا ترتّب الجيش على هذه الصورة زحف على العدو زحفًا، وربما جعلوا وراءهم ما يثبتهم في زحفهم كما كان الفرس يفعلون، فإنهم كانوا يتّخذون الفيلة في الحروب، يحملون عليها أبراجًا من الخشب أمثال الصروح، مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات، ويضعونها وراءهم في حومة الحرب كأنها حصون فتقوى بها نفوسهم. (زي، مدن١، ٢٠٥، ٨)

خواص الملك

- من خواص الملك أن صحبته تورث التيه والكبر، وتقوي القلب، وتكبّر النفس، وليست صحبة غير الملك تفعل ذلك. ومن خواصه أنه إذا أعرض عن إنسان، وجد ذلك الإنسان في نفسه ضعفًا، وإن لم ينله بمكروه، وإذا أقبل على إنسان وجد ذلك الإنسان في نفسه قوة، وإن لم يصبه منه خير، بل مجرّد الإعراض والإقبال يفعل ذلك، وليس أحد من الناس بهذه المنزلة غير السلطان. (طق، فخر، ١٦، ١٦)

خوف من التفريط

- للسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحرم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار. (جو، نظم، ٩، ١٢)

خوف من الله تعالى

- (الملك الفاضل من خصاله) الخوف من الله تعالى، وهذه الخصلة هي أصل كل خير، ومفتاح كل بركة، فإن الملك متى خاف الله، أمنه عباد الله. روى أن عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام، استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه، فدعاه مرارًا فلم يجبه، فدخل عليه رجل وقال: يا أمير المؤمنين، إنه بالباب واقف، وهو يسمع صوتك ولا يكلمك، فلما حضر العبد عنده قال: أما سمعت صوتي؟ قال بلى. قال فما منعك من إجابتي؟ قال أمنت عقوبتك. قال علي عليه السلام: الحمد لله الذي خلقني ممن يأمنه خلقه. (طق، فخر، ١١، ١٨)

خوند

- لا يطلق في حقّ أحد من النسوة لفظ خوند إلا إذا كانت زوجة السلطان، ولهنّ أبّهة عظيمة في ذاتهنّ، ولو أردنا وصف ملبوس كل منهنّ وتجمّل بيوتهنّ لاحتاجنا إلى عدّة مجلّدات. (شاه، زبد، ١٢١، ٧)

د

دار الصناعة

- دار الصناعة يراد بدار الصناعة عندهم ما نعبّر عنه اليوم بالترسانة أو الترسخانة، وهما منقولتان عن تلك الكلمة. لأن الإفرنج لما فتحوا بلاد العرب كان في جملة ما اقتبسوه عنهم صناعة المراكب، كما اقتبسها العرب من أسلافهم، وسمّى الإسبان دار الصناعة Darsina، وأخذتها عنهم سائر لغات أوربا، فتقلّبت بالنحت حتى صارت أرسنال Arsenal، وأخذها العرب عن الإسبان Tarsanah بطريق التركية، فظنّوها تركية فعرّبوها ترس خانة أو ترسانة، وهي أولى أن تسمّى دار الصناعة. وقد يقال ذلك في اشتقاق لفظ "أميرال" Amiral الإفرنجية عن "أمير البحر" العربية. (زي، مدن١، ٢١٩، ٨)

دار العدل

- دار العدل ولما أفضت الحكومة في مصر إلى السلاطين الأيوبيين، بنوا دارًا للنظر في المظالم سمّوها "دار العدل"، وكان قد سبقهم إلى بناء مثل هذه الدار في دمشق الملك العادل نور الدين زنكي. وكان الأيوبيون يجلسون في دار العدل للنظر في المظالم. وجرى سلاطين المماليك بعدهم على ذلك، وكانت لهم عناية كبرى بإنصاف الناس، وكانوا يحترمون مجلسهم للمظالم فلا يقعدون فيه على تخت الملك، ولكنهم يجلسون على كرسي بجانبه حتى تلحق أرجلهم الأرض، فإذا جلس السلطان على ذلك الكرسي يجلس قضاة من المذاهب الأربعة على يمينه، ووكيل بيت المال وغيرهم. (زي، مدن١، ٢٥٠، ٢٥)

دبابة

- الدبابة هي آلة متحرّكة تتّخذ من الخشب السميك، وتغلّف باللبود أو الجلود المنقعة في الخل لدفع النار، وتركّب على عجل مستديرة، وتحرّك فتنجر. وقد يجعلونها برجًا من خشب بمثل هذا التدبير، ويدفعها الرجال فتندفع على البكر، ويصعد الرجال في أعلاها ويستعلون على السور وينزلون فوقه. وهي أقدم من المنجنيق، استخدمها المصريون القدماء والآشوريون فاليونان فالرومان والفرس فالمسلمون. وهي عبارة عن قلعة سائرة على العجل، يهجمون بها على الأسوار لمحاربة المحاصرين من أعلى السور. وقد يستخدمون الدبابة لهدم الأسوار، فيسيّرونها ويحتمون بجدرانها ويجعلون رأسها محدّدًا يصدمون به الأسوار حتى تهدم. (زي، مدن١، ١٩٨، ٨)

دبور

- الرياح أربع: الصبا والجنوب والشمال

والدبور. ويقال الريح واحدة وإنّما يختلف في المهبّ من الجهات. فالصبا هي القبول ومخرجها بين المشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء من مطلق الذراع إلى مطلع سعد الذابح والدبور يقابلها، والجنوب مخرجها ما بين مشرق الشتاء إلى مغرب الشتاء من مطلع سعد الذابح إلى مسقط العقرب، والشمال يقابلها. والمطالع مائة وثمانون والمغارب مائة وثمانون لكلّ مطلع ريح ولكلّ مغرب ريح وكلّها داخلة في هذه الأربع. والريح هي الهواء بعينه فإذا أحدث الله فيه حركة هبّت واضطربت، وكذا يقول أكثر القدماء أنّ الريح سَيَلان الهواء ويزعمون أنّ هبوبها مرور الشمس بالأرض فيرتفع منها البخار، فإذا كان البخار رطبًا كان مادّة الأمطار وإن كان يابسًا كان مادّة الرياح وهذا جائز أن يجعل الله مرور الشمس علّةً لإثارتها إذا شاء كما جعل السحاب سببًا للمطر. (بلخ، بد٢، ٢٩، ١٣)

دراسات إسلامية

- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جزء من الدراسات الإسلامية، ولا يمكن إطلاقًا اعتبار التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية شيئًا مستقلًّا عن الدراسات الإسلامية، وقد ظلّت هذه الحقيقة مهملة قصدًا أو سهوًا، مما أتاح لقليلي البضاعة في الدراسات الإسلامية أن يكتبوا في التاريخ الإسلامي، وعلى هذا جاءت كتاباتهم ضحلة قليلة الغور، وقد كان المستشرقون أكثر وعيًا لهذه الحقيقة؛ فلم يكتبوا في التاريخ الإسلامي، أو قل لم يتّجهوا للتاريخ إلا بعد أن اتّجهوا بعنايتهم اتّجاهًا كاملًا للدراسات الإسلامية في أكثر شعبها، أو في جميعها، فحصلوا منها على قدر قليل أو كثير، ونريد لهذا أن نقول بصراحة: إن الذي يكتب في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لا بدّ له من الإلمام بدراسة القرآن وقراءاته؛ وأسباب نزوله، وأخذ الأحكام منه؛ وبلاغته، وصلته بالأحداث الإسلامية والعربية. وتفسيره، وكذلك معرفة الحديث والفقه وأصول الفقه والتوحيد وتاريخ التشريع الإسلامي وغيرها من العلوم الإسلامية؛ فتلك تعتبر أهم مصادر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وبدونها يقع الكاتب في أخطاء قد يكون بعضها خطيرًا. (شل، سلم، ٥٧، ٢)

دراسات تاريخية

- الدراسات التاريخية بدأت متّصلة بدراسة الحديث، بل أنها فرع منها، وأن أسلوب الرواية هو أسلوب الحديث شكلًا ومبنى. (دو، نشأ، ٧٦، ٦)

دراسة التاريخ

- دراسة التاريخ كانت على مرّ الأجيال من أجل توضيح الحاضر وإلهامه سبيل الرشاد، وأن التاريخ هو وحده القادر على أن يضع ظواهر الحاضر في وضعها الصحيح. (شل، سلم، ٣٣، ٩)

- كثير ممن اشتغلوا بالتاريخ كانت عواطفهم تتحكّم في حوادثه تحكّمًا تضيع به الفائدة من دراسة التاريخ، فإن عاطفة الحب تجعل كل ما ليس بحسن حسنًا، وتجتهد في تأويل الحوادث بوجه ليس فيه غضاضة، حتى ما أدّى منها إلى سقوط فاعله وخيبته، وعاطفة الكراهة تدعو إلى ضدّ ذلك، فتجعل الحسن قبيحًا، وتستنبط من الخير شرًّا. ولم يخلص من هذا الشرّ العظيم الذي يطمس معالم التاريخ ويضيع الفائدة من تجارب الأمم إلا نفر قليل جدًّا. وإذا نظرنا إلى أنفسنا نجدها لا تحكم على شيء من الحوادث التي تشعر بها حكمًا بحسب ما تستحقّ، فربّ فعل صدر ممن نحبه فنحمله محملًا حسنًا جميلًا، والفعل نفسه يصدر ممن نبغضه فنحمله على أسوأ محامله: نحكم على متصدّق بالتبذير لأنه تذكّر الفقراء والمعوزين في حالة رغده، ولا نأبه بتلك الصدقة من آخر، بل نسمّيه بأنه مراء يحب الشهرة الكاذبة. والتجرّد من هذه العواطف في دراسة التاريخ أمر صعب المنال، لا يصل إليه الإنسان إلا بعد عقبات شديدة لا بدّ له من اجتيازها، إن كان المراد تمثيل الأمم والحكومات بما كانت عليه، لا بما نحب أن تكون. فلا بدّ أن نجعل أمام أعيننا أننا سندرس تاريخ أمم إن كانت أخطأت في بعض تصرفاتها فليس علينا من تبعية ذلك الخطأ شيء، وليس لنا إلا أن نعرفه ونستفيد منه، وإن كانت أصابت المحجّة فإن ذلك لا ينفعنا إذا لم يكن لنا مثل أعمالهم. لذلك يحتاج دارس التاريخ إلى سعة صدر تحتمل كل ما يرد على تاريخ قومه من نقد، حتى لا تبقى حقائق الأشياء محجوبة بسحب عاطفتي الحب والبغض. (حس، عر، ٣٦، ٧)

درجة

- صفة الأرض إنها مدوَّرة كتدوير الكُرَة موضوعة في جوف الفلك كالمُحَّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض إن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخِفَّة والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد، والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بناتُ نَعْش، فاستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والأصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خطّ الاستواء وبين كلّ واحد من القطبين تسعون درجة أُصطرلابيّة واستدارتها عرضًا مثل ذلك إلّا أن العمارة

في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الرُّبْع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلُّ ربع من الشماليّ والجنوبيّ سبعة أقاليم. وذكر بطلميوس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومائتي مدينة. (خرد، مسلك، ٤، ١٤)

دسّ

- أصحاب الكتب الخطية، كانوا في بعض الأحيان، يضيفون على الهامش أو في أواخر الفصول والأبواب، أخبارًا أو آراء جديدة تتعلّق به. ثم تمرّ الأيام، وينسخ بعض هذه الكتب، فتدخل الزيادة في الأصل ويثبت الشرح في المتن، ويختلط الأمر على المتأخرين فيُنسب كل ما في النسخة الخطية المتأخّرة إلى المؤلّف. وهذا النوع من التزوير هو ما نريد أن نسمّيه الدسّ مقصودًا كان أو غير مقصود: وفي محيط المحيط دسَّ الشيء ودسَّه فيه يدسُّه دسًّا أدخله ودفنه تحته وأخفاه. (رس، مصط، ١٨، ٧)

دعوة

- الدعوة، ولما بلغ (الرسول صلى الله عليه وسلم) الأربعين من عمره مال إلى الخلوة والاعتزال عن الناس فأوى إلى الجبال والشعاب كما يفعل النساك. وأول ما ابتدئ به "الرؤيا الصالحة". وفي رمضان من تلك السنة (يناير ٦١١ ميلادية) كان معتزلًا بنفسه في غار حراء بجبل النور على ثلاثة أميال من مكة، فينزل عليه الوحي وقرأ عليه أول سورة من سور القرآن ودعاه إلى أن يردّدها وراءه، فردّدها. وأصابه الروع، وأسرع إلى زوجه خديجة وأنبأها بما وقع وقال: - إن الملك أمره أن يقول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، فقرأها. وإنه خرج إلى وسط الجبل فسمع صوتًا من السماء يناديه: "يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل" فذعر وأسرع إلى خديجة فأخبرها. وكان لها ابن عم اسمه ورقة بن نوفل قرأ الكتب ونظر فيها وخالط أهل التوراة والإنجيل وسمع أقوالهم، وكان مشهورًا في مكّة بسعة العلم في الدين والنبوات، فذهبت إليه وأخبرته بما كان فقال: "والذي نفس ورقة بيده، لأن صدقتني يا خديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه نبي هذه الأمة". (زي، مدن١، ٤٣، ٢١)

- كلمة دعوة (أو كلمة إقناع) لا تطلق على نتيجة العملية، أي إيصال فكرة إلى ذهن الغير، بل على طريقة خاصة في المناقشة والاستدلال. (عر، فكر، ٦٥، ٢)

دعوة دينية

- يؤكّد ابن خلدون أن الفترات التاريخية التي تصبح فيها الدعوة الدينية قوة محرّكة فعّالة لا تكون كذلك إلا بشرط واحد، وهو أن تتبناها عصبية. ولا يصدق هذا المبدأ بالطبع إلا حيث توجد بنية قبلية أي في مستوى مجال التاريخ الخلدوني، وقد

استطاع ابن خلدون أن يعثر بسهولة، سواء في تاريخ العرب أو تاريخ البربر، على أمثلة تؤيّد هذا التفسير. (أوم، نهج، ١٧٣، ١٥)

دقة

- كل خطوة من خطى الصناعة التأريخية تستدعي الدقّة بأقصى معانيها وأضيق حدودها. فالبحث عن المصادر يقتضي عدم الاكتفاء بما يبيّن للعين أو يعثر عليه بأيسر جهد، بل يتطلّب الاستقصاء البعيد والتفتيش الدقيق في كل ركن وزاوية أملًا في أن ينكشف شيء جديد. وإثبات النص وتعرّف المؤلّف ومكانه وزمانه يستدعيان تقييم النسخ ومقابلتها ومقارنتها والنظر في الأدلّة المستنبطة من النص ذاته ومن سواه: كل ذلك بانتباه وإمعان وحرص، ولزوم دائم للنص والدليل. واستخراج الحقائق المفردة من النصوص يتطلّب هذه الشروط ذاتها. أما استخلاص الأحكام العامة وتعليل الأحداث، فيفرض جودة في الربط، وإحكامًا في الاستنتاج، ودقّة في الحكم، كأشدّ ما يفرضه أي جهد علمي مماثل. وأخيرًا إن عرض هذه الحقائق والأحكام يحتاج إلى انضباط في التعبير، وحرص على تأدية الحقيقة بأوضح الأساليب وأصرحها وأبعدها عن الغموض والاضطراب والميعان. (زري، نحن، ٩٧، ٢)

دليل

- الدليل ما هدى إلى الشيء وأشار إليه والعلّة ما أوجبه وأوجده ويُوصل إلى الشيء بدليله لا بعلّته لأنّ علّته أيضًا مما يوصل إليها وتُعلم بدليل، لأنّ الذي يدلّ على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول عينه، ومتى زالت العلّة زالت العين. وتختلف الأدلّة على العين الواحدة ولا تختلف العلّة، ومحال وجود ما يفوت الحواسّ والبدائه بغير دليل، وغير محال وجود ما لا علّة له. (بلخ، بد١، ٣٥، ١١)

- من الدليل ما يوافق المدلول عليه بوجه أو وجوه كثيرة كرؤيتنا بعض الجسم والبعض يدلّ على الكلّ متّصلًا كان أو منفصلًا، ومنها ما لا يوافق المدلول عليه بوجه من الوجوه وسبب من الأسباب كالصوت يدلّ على المُصوّت ولا يشبهه والفعل يدلّ على الفاعل ولا يشبهه والدخان يدلّ على النار ولا يشبهها. ويلزم من يزعم أنّ الدليل لا بُدّ أن يوافق المدلول عليه بجهة من جهاته وإن خالفه في أكثرها، فأمّا إذا لم يكن بينهما مناسبة وارتفع الاشتباه ارتفع التعلّق وإذا سقط تعلّق الدليل بالمدلول عليه بطل أن يكون دليلًا، إلّا أن لا شيء في الغائب إلّا جسم أو عَرَض لأنّه لا يرى في الشاهد غير حدث وإن يُنكر ما في العالم الأعلى لأنّ ما في العالم الأسفل مخالف له فلا يكون دليلًا عليه. (بلخ، بد١، ٣٦، ١)

دمشق

- دمشق هي إرَمُ ذات العماد، وكانت قبل دار نوح صلّى الله عليه ومن جبل لبنان كان

مبتدأ سفينته واستوت على الجُوديّ جبل قَرْدَى ولمّا كثر ولد نوح نزلوا بابل السواد في ملك نِمْرُود بن كوش وهو أوّل ملك كان في الأرض. (خرد، مسلك، ٧٦، ١٠)

دنيا

- الدنيا دنيّة كاسمها وأنّ الدنيا دُنى كثيرة فكلّ إنسان له دنيا في نفسه على حدته فما له دنيا له وجاهُه دنيا له وأيّامه دنيا له ومكانه دنيا له وكلّ ما يناله ويسرّ به ممّا لا يبقى دنيا له. (بلخ، بد٢، ٦٣، ١٣)

دهاء

- (الدهاء) هو اسم لوضع الأمور مواضعها، والكفّ عمّا لا ينفع فيه انتظار لما فيه النفع - قال - وقد يوقع على ما كثرت حيلته وقويت فطنته. وكان وصوله إلى أغراضه بألطف الوجوه التي يمكن التوصّل بها إليها، فتراه، أبدًا، كأنه أبله، وهو متباله، يحصي دقائق الأمور، ويدير لطبقات الجهل، فلا ينطق حتى يجد جوابًا مسكتًا أو خطابًا معجزًا، ولا يفعل حتى يرى فرصة حاضرة أو مضرّة غائبة، فعدوه مغترّ بعداوته، ومقدّر عليه الغفلة والبله بغوايته، وهو مثل النار الكامنة في الرماد، والصوارم الكنونة في الأغماد. (أزر، بدع١، ٤٧٨، ٢٦)

دوام الملك

- أحق الناس بدوام الملك والسلطان وباتصال الولاية أقسطهم بالعدل في الرعية، وأخفّهم عنها كلا ومؤونة. ومن أمثالهم: من جعل العدل عدّة طالت به المدة. (أزر، بدع١، ٢٣٤، ١٦)

- (العوائق المنذرة بمنع دوام الملك) حصول الترفّه والنعيم للقبيلة. وذلك لأنها إذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره، وبحسب استظهار الدولة به. وإذا بلغت الدولة غايتها من الغلب قنعوا بما سوغوا من نعمتها، وشوركوا من جبايتها. فلا تسمو هممهم إلى شيء من منازع الملك، ولا يهتمون إلا بالكسب وخصب العيش والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس، فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة، وينشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك، حتى يصير لهم سجية وخلقًا، فتنقص عصبيتهم وبسالتهم مع تعاقب الأجيال إلى أن تنقرض جملة. وإذ ذاك يتأذّنون بالانقراض. (أزر، بدع٢، ٧٠٢، ٤)

- (العوائق المنذرة بمنع دوام الملك) استحكام طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف وإيثار الدعة. بيان الأول: أن المجد متى كان مشتركًا بين العصابة كان سعيهم له واحدًا، واستماتتهم في طلب العزّ به مضمونة. وإذا انفرد به الواحد منهم على ما يقرّر - إن شاء الله! - كسر من سورتهم واستأثر بالأموال دونهم فتناسلوا لحقهم الوهن ومخامرة الذلّ. ثم الجيل الثاني ينشأ على ذلك؛ بحيث لا يعتقدون إلا أنّ إعطاء السلطان

أجر لهم على الحماية. وقلّ أن يستأجر أحد نفسه على الموت. وذلك موجب لإقبال الدول به على الهرم وإفساد العصبية بذهاب نجدتها. بيان الثاني: من وجوه: أحدها: أن الترف الطبيعي للملك - على ما يأتي، إن شاء الله! - يكثر عوائد الدولة حتى لا يفي دخلها بخرجها، ويزداد ذلك في الأجيال المتأخّرة إلى أن يقصّر العطاء عن تلك العوائد ويطالب صاحبها بحصر النفقات في الحروب. فلا يجد أربابها محيصًا عن ذلك، فينزع ما بأيدي الكثير منهم لنفسه ولبنيه وذوي صنائعه فيضعفون - هم - لذلك، ويضعف - هو - لضعفهم. الثاني: أن تقصير العطاء عن النفقات - إذا كثر الترف - يضطرّ السلطان إلى الزيادة فيه. ومقدار الجباية لا يوفي بذلك. وإن زيد فيه بإحداث المكوس بقي - يعدّ - محدودًا. فإذا وزّع على الأعطيات وقد زيد فيها بأكثر من الترف نقص عدد الحامية. ثم لا يزال الترف يتزايد والأعطيات كذلك بسببه إلى أن يعود الجيش إلى أقلّ الأعداد، فتضعف الحماية، ويتجاسر على الدولة من يجاورها من الدول، أو من تحت أيديها من العصائب ويتأذّن الله - تعالى! - بالفناء الذي كتبه على خليقته. الثالث: أن الترف مفسد للخلق؛ بما يوهم في النفس من ألوان الشر والسفسفة، فيذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على نيل الملك، ويتّصفون بنقيضها من خلال الشرّ الدالّة على الإدبار والانقراض. وتأخذ الدولة مبادئ العطب، وينزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضي عليها. قلت: هو معنى قول أفلاطون: إذا أقبلت المملكة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات، لأنه لا حامل على الترف إلا حب الشهوات. بيان الثالث: أن الدعة الطبيعية للملك - على ما يأتي، إن شاء الله! - تصير عند اتّخاذها - مألفًا خلقًا وجبلّة، شأن العوائد كلها، فتنشأ الأجيال الحادثة على ذلك، وتنقلب خلق التوحش، وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك، من البأس والنجدة. وإذ ذاك فلا فرق بينهم وبين سوقة الحضر؛ إلّا في الشارة، فتضعف حاميتهم ويعود وبال ذلك على الدولة. ثم لا يزالون يتلوّنون بعوائد السكون والدعة ورقّة الحاشية في جميع الأحوال. وهم في ذلك يبعدون عن خشونة البداوة، وينسلخون عنها شيئًا فشيئًا، وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية، حتى يعودوا عيالًا على حامية أخرى؛ إن كانت لهم. (أزر، بدع٢، ٧٠٥، ١٠)

دور التاريخ

- يتحقّق دور التاريخ - دور الكمال ذو البنية الإلهية المباشرة المتّجهة من كمال إلى نقص إلى تدارك هذا النقص ابتداء جديد للكمال، ودور النقص القائم على الأخبار غير المتعلّق ضرورة بالدور الأول - في فترتين متميّزتين من التاريخ بمجمله. فالدور الأول يحكم أخبار ما قبل البلبلة

وأخبار المستقبل حكمًا صارمًا ومطلقًا، إذ فيهما بنية الكمال /النقص/ الكمال بشكل مسيطر، فهي تحكم الإطار العام (خلق / عالم/ نهاية) كما تحكم الأطر المفردة: بداية /نقص/ نهاية مفضية إلى بداية تستنسخ سابقتها. ونجد الدور الأول هذا يحكم أيضًا الإطار العام (أي بداية / نقص/ نهاية) لشأنين ما جرى بعد البلبلة، هما تاريخي بني إسرائيل والمسلمين، ولكنه لا يتدخّل في عملية بناء تاريخ ما بعد البلبلة إلا على وجه أخروي، لا علاقة له بعلاقة عناصر هذا التاريخ ببعضها البعض، وعلى وجه موضعي، كالذي أشرنا إليه أعلاه. وتتّصل حلقات الدور الأول ببعضها البعض في إطار تاريخ النبوّة التي يشكّل المحك الوحيد للاستمرارية الذي يزيد على استمرارية الزمان المحض المعتبر بما هو انسياب ... وتاريخ النبوّة تتالٍ لبدايات تستنسخ بعضها البعض، بدايات محاطة بتاريخ آخر، يمارس دوره الثاني المدنس. (عظم، عرف، ١٢٤، ٩)

دورا التاريخ

- (دورا التاريخ) لا يفترق الدور الأول من التاريخ عن الثاني بكيفيّة التدخّل الإلهي، بل هو يتميّز عن الثاني بالصبغة الأسطورية الصريحة التي تسم أخباره. فأخبار الخلق والبلبلة والطوفان، شأنها شأن أخبار المستقبل، تجري في زمانية أسطورية تؤكّد أسطوريتها وخرقها للعادة بالوحدات القياسية التي تستخدمها. فاليوم الواحد عند الخلق قد يعني ألف سنة وقد يعني غيرها، كما أن الدجّال سيحكم الدنيا حسب الحديث، "أربعين، لا أدري: أربعين يومًا، أو أربعين سنة، أو أربعين شهرًا" (مسند ابن حنبل ح٦٥٥٥). (عظم، عرف، ١٢٥، ٥)

دول

- الدول أقدم من المدن والأمصار، لأمرين: أحدهما: أن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة، التي يدعو إليه الترف والدعة. وذلك متأخّر عن البداوة ومذاهبها. الثاني: أن المدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظام وبناء كثير، فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون، وليست من الضروريات التي تعمّ بها البلوى؛ حتى يكون النزوع إليها شرطيًّا واضطراريًّا؛ بل لا بدّ من الإكراه على ذلك، وسوق الناس إليه - مضطرّين - بعصا الملك، أو مرغبين في الأجر الذي لا يفي به - لكثرته - إلا الملك. فإذن لا بدّ من تمصير الأمصار واختطاط المدن من الدولة والملك. (أزر، بدع٢، ٧٦٢، ٤)

دول حادثة

- الدول الحادثة المتجدّدة نوعان: نوع من ولاية الأطراف إذا تقلّص ظلّ الدولة عنهم وانحسر تيارها، وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الأكثر...، لأن قُصاراهم القنوع بما في أيديهم وهو نهاية قوتهم. والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج

على الدولة وهؤلاء لا بدّ لهم من المطالبة، لأن قوتهم وافية بها، فإن ذلك إنما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به. فيقع بينهم وبين الدولة المستقرّة حروب سجال تتكرّر وتتّصل إلى أن يقع لهم الاستيلاء والظَّفر بالمطلوب. ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة. (خلد، قدم، ٧٦٥، ٨)

دول مطلقة

- من الأمور الطبيعية في العمران إذا كثرت الأموال في الدول أن يسخو الملوك في بذلها، وخصوصًا في الدول المطلقة وعلى الأخصّ في الدولة العباسية، والخليفة مطلق التصرّف في بيت المال ودعاة الخلافة كثيرون لا يقعد فتنتهم غير استرضاء الأحزاب بالمال أو كسر شوكتهم بالحرب، والأول أسلم عاقبة وأقرب منالًا إذا توفّرت الأموال وقد رأيناها متوفّرة خصوصًا في عصر الرشيد والمأمون. فلا غرو إذا رأيناهما يبذلان الأموال في استكفاف الأذى عن الدولة، أو سدّ أفواه أهل الفتن. لكنهم تجاوزوا ذلك إلى صنوف البذخ وضروب التبذير والترف، فاقتنوا الجواري واتّخذوا الفرش من الخز والديباج والحرير والمسامير الفضة وابتنوا المتنزّهات والقصور والمدن واقتنوا الندماء وأنشأوا مجالس الغناء، وارتكبوا سائر ضروب الترف، والتأنّق في الطعام واللباس والرياش. وقد سهل عليهم ذلك لقرب عهد العراق وفارس من بذخ الفرس قبيل الفتح الإسلامي وأطلقوا أيدي نسائهم وأمهاتهم وخاصتهم في الأموال. (زي، مدن٢، ١٢٩، ١٦)

دولة

- الدولة والسلطان سوق للعالم، تجلب إليه بضائع العلوم والصنائع، وتلتمس فيه ضوالّ الحِكَم، وتُحدى ركائب الروايات والأخبار، وما نفق فيها نفق عند الكافة. فإن تنزّهت الدولة عن التعسّف والميل والأفَن والسَّفْسفة، وسلكت النهج الأمَم، ولم تجر عن قصد السبيل، نفق في سوقها الأبريز الخالص واللُّجَين المصفى. وإن ذهبت مع الأغراض والحقود، وماجت بسماسرة البغي والباطل، نفق البهرج والزائف. (خلد، قدم، ٣١٢، ٨)
- إذا استقرّت الدولة وتمهّدت قد تستغني عن العصبية والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها إلا بقوة قوية من الغلب، للغرابة وأن الناس لم يألفوا ملكتها ولا اعتادوه. فإذا استقرّت الرياسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدًا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الأولية، واستحكمت لأهل ذلك النصاب صبغة الرياسة، ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم، وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الإيمانية. فلم يحتاجوا حينئذٍ في أمرهم إلى كبير عصابة؛

بل كأنَّ طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يُعْلَم خلافه. (خلد، قدم، ٥٢٢، ٨)

- الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء. وأن وراء كل رأي منها وهوًى عصبية تمانع دونها، فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت، وإن كانت ذات عصبية؛ لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظنّ في نفسها منعة وقوّة. (خلد، قدم، ٥٣٦، ١٣)

- الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها، ويكون سلطانها وازعًا لقلّة الهَرْج والانتقاض، ولا تحتاج الدولة فيها إلى كثير من العصبية، كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد، إذ هي خلو من القبائل والعصبيات كأن لم يكن الشام معدنًا لهم. (خلد، قدم، ٥٣٨، ٣)

- الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال. والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته. (خلد، قدم، ٥٤٥، ١٨)

- عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحّشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدّهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون. والجيل الثاني تحوّل حالهم بالملك والترفّه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عزّ الاستطالة إلى ذلّ الاستكانة، فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتُؤْنَس منهم المهانة والخضوع. ويبقى لهم الكثير من ذلك، بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية، فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية، وإن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول، أو على ظنّ من وجودها فيهم. وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العزّ والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفنَّنوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالًا على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويُلَبِّسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النِّسوان على ظهورها. فإذا جاء المُطالب لهم لم يقاوموا مدافعته. فيحتاج صاحب الدولة حينئذٍ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي، ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء، حتى يتأذّن الله بانقراضها، فتذهب الدولة بما حملت. (خلد، قدم، ٥٤٦، ٥)

- طور الدولة من أولها بداوة. ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه واتّساع الأحوال. (خلد، قدم، ٥٤٨، ٩)

- الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجدّدة، ويكتسب القائمون بها في طور خُلُقًا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر، لأن الخُلُق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه. وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار: الطور الأول: طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها. فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أُسوَة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية، لا ينفرد دونهم بشيء؛ لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها. الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة. ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيًّا باصطناع الرجال واتّخاذ الموالي والصنائع، والاستكثار من ذلك، لجدع أنوف أهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبة، الضاربين في الملك بمثل سهمه. فهو يدافعهم عن الأمر، ويصدّهم عن موارده، ويردّهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه، حتى يُقِرَّ الأمر في نصابه، ويُفرد أهل بيته بما يبني من مجده. فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر أو أشدّ؛ لأن الأولين دافعتهم الأجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل العصبية بأجمعهم؛ وهذا يدافع الأقارب لا يظاهره على مدافعتهم إلا الأقل من الأباعد، فيركب صعبًا من الأمر. الطور الثالث: طور الفراغ والدَّعَة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدَّخل والخرج وإحصاء النفقات والقصد فيها، وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتّسعة والهياكل المرتفعة، وإجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل، وبثّ المعروف في أهله، هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في أحوالهم بالمال والجاه؛ واعتراض جنوده وإدرار أرزاقهم وإنصافهم في أعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشِكَّتهم وشاراتهم يوم الزينة، فيباهي بهم الدول المسالمة، ويُرْهِب الدول المحاربة. وهذا آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدولة. لأنهم في هذه الأطوار كلها مستقلون بآرائهم، بانون لعزّهم، موضحون الطرق لمن بعدهم. الطور الرابع: طور القنوع والمسالمة. ويكون صاحب الدولة في هذا قانعًا بما بنى أولوه، سلمًا لأنظاره من الملوك وأقتاله، مقلّدًا للماضين من سلفه، فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل، ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء، ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم

أبصر بما بنوا من مجده. الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير. ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفًا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه، واصطناع أخوان السوء وخضراء الدِّمن (الذي يخرج من أصل سيّئ)، وتقليدهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها، ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها، مستفسدًا لكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه، حتى يضطغنوا عليه، ويتخاذلوا عن نصرته، مضيعًا من جنده بما أنفق أعطياتهم في شهواته، وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقّده. فيكون مُخَرِّبًا لما كان سلفه يؤسّسون، وهادمًا لما كانوا يبنون. وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهَرَم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه بُرءٌ، إلى أن تنقرض. (خلد، قدم، ٥٥٣، ١٤)

- السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره. إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشدّ من الحاجة إلى القلم؛ لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفّذ للحكم السلطاني؛ والسيف شريك في المعونة. وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها ... ويقلّ أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدّمناه، فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم في حماية الدولة، والمدافعة عنها، كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها. فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين، ويكون أرباب السيف حينئذٍ أوسع جاهًا وأكثر نعمة وأسنى إقطاعًا. وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهّد أمره، ولم يبق همّه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له في ذلك؛ فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع أغمادها، إلا إذا نابت نائبة أو دعيت إلى سد فُرْجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها. فيكون أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاهًا، وأعلى رتبة، وأعظم نعمة وثروة، وأقرب من السلطان مجلسًا، وأكثر إليه تردّدًا وفي خلواته نَجِيًّا. (خلد، قدم، ٦٩٥، ١٣)

- أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها. وذلك أن الملك عندما يستفحل ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلى غايتها، ويستبدّ صاحب الدولة بالمجد وينفرد به، يأنف حينئذٍ عن المشاركة، ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع، بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه. فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم، ونزعوا إلى القاصية، (واجتمع) إليهم من يلحق بهم (في) مثل حالهم من الاغترار والاسترابة. ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضايق ورجع عن القاصية. فيستبدّ ذلك النازع من القرابة فيها. ولا يزال أمره

يعظم بتراجع نطاق الدولة، حتى يقاسم الدولة أو يكاد. (خلد، قدم، ٧٥١، ١٣)

- إذا أخذت الدولة المستقرّة في الهرم والانتقاص يكون على نوعين: إما بأن يستبدّ ولاة الأعمال في الدولة بالقاصية عندما يتقلّص ظلّها عنهم، فتكون لكل واحد منهم دولة يستجدّها لقومه وما يستقرّ في نصابه، يرثه عنه أبناؤه أو مواليه، ويستفحل لهم الملك بالتدريج، وربما يزدحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه، ويتنازعون في الاستئثار به، ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه، وينتزع ما في يده؛ كما وقع في دولة بني العباس حين أخذت دولتهم في الهرم، وتقلّص ظلّها عن القاصية، واستبدّ بنو سامان بما وراء النهر، وبنو حمدان بالموصل والشام، وبنو طولون بمصر؛ وكما وقع بالدولة الأموية بالأندلس؛ وافترق ملكها في الطوائف الذين كانوا ولاتها في الأعمال، وانقسمت دولًا وملوكًا أورثوها من بعدهم من قرابتهم أو مواليهم. وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرّة حرب، لأنهم مستقرّون في رياساتهم، ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرّة بحرب؛ وإنما الدولة أدركها الهرم وتقلّص ظلّها عن القاصية، وعجزت عن الوصول إليها. والنوع الثاني بأن يخرج عن الدولة خارج ممّن يجاورها من الأمم والقبائل إما بدعوة يحمل الناس عليها...، أو يكون صاحب شوكة وعصبية كبيرًا في قومه قد استفحل أمره فيسمو بها إلى الملك، وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرّة، وما نزل بها من الهرم. فيتعيّن له ولقومه الاستيلاء عليها، ويمارسونها بالمطالبة إلى أن يظفروا بها ويزنون أمرها كما يتبيّن. (خلد، قدم، ٧٦٤، ٥)

- الدول الحادثة المتجدّدة نوعان: نوع من ولاية الأطراف إذا تقلّص ظلّ الدولة عنهم وانحسر تيارها، وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الأكثر...، لأن قُصاراهم القنوع بما في أيديهم وهو نهاية قوتهم. والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بدّ لهم من المطالبة، لأن قوتهم وافية بها، فإن ذلك إنما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به. فيقع بينهم وبين الدولة المستقرّة حروب سجال تتكرّر وتتّصل إلى أن يقع لهم الاستيلاء والظَّفر بالمطلوب. ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة. (خلد، قدم، ٧٦٥، ٩)

- الدولة في أول أمرها لا بدّ لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في إيالتها، إما من الدين إن كانت الدعوة دينية، أو من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول. وإذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا، وانتشطوا للعمران وأسبابه فتوفر، ويكثر التناسل. وإذا كان ذلك كله بالتدريج فإنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل. وفي انقضاء

الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي. فيكون حينئذٍ العمران في غاية الوفور والنماء. ... وإن حدث ... وقلّت الجبايات فإنما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين، من أجل التدريج في الأمور الطبيعية. ثم إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول. (خلد، قدم، ٧٧١، ٤)

- الملك والدولة غاية للعصبية، وأن الحضارة غاية للبداوة، وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكوّنات عمرًا محسوسًا. وتبيّن في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموّها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنموّ برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضًا كذلك. لأنه غاية لا مزيد وراءها. وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلّق بعوائدها. والحضارة كما علمت هي التفنّن في الترف واستجادة أحواله. والكلف بالصنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيّئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل. وللتأنّق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنّق فيها. وإذا بلغ التأنّق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلوّن النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها: أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها؛ وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها. (خلد، قدم، ٨٨٨، ٣)

- الدولة إنما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب، والغلب إنما يكون بعد العداوة والحروب، والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر إحداهما عن الأخرى في العوائد والأحوال، وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمنافي الآخر، فتكون أحوال الدولة السابقة منكرة عند أهل الدولة الجديدة ومستبشعة وقبيحة، وخصوصًا أحوال الترف، فتفقد في عرفهم بنكير الدولة لها، حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد أخرى من الترف، فتكون عنها حضارة مستأنفة. وفيما بين ذلك قصور الحضارة الأولى ونقصها. وهو معنى اختلال العمران في المصر. (خلد، قدم، ٨٩٤، ١)

- الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها. وقد تقرّر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر. فالدولة دون العمران لا تتصوّر؛ والعمران دون الدولة والملك متعذّر، لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع فتتعيّن السياسة لذلك، إمّا الشرعيّة أو الملكية، وهو معنى الدولة. وإذا كانا لا

ينفكّان فاختلال أحدهما مؤثر في اختلال الآخر، كما أن عدمه مؤثر في عدمه. (خلد، قدم، ٨٩٥، ١٧)

- العالم بستان، سياجه الدولة. الدولة سلطان، تحيا به السنّة. السنّة سياسة، يسوسها الملك. الملك نظام، يعضده الجند. الجند أعوان، يكفلهم المال. المال رزق، تجمعه الرعية. الرعية عبيد، يكتنفهم العدل. العدل مألوف، وبه قوام العالم. (أزر، بدع١، ٢٣٢، ٦)

- لكل دولة قوانين تختلف عمّا للأخرى مما لا يحصره وصف. ولكنها ترجع كلها إلى أمرين أساسيين تشترك فيهما جميعها، وهما المال والجند. وما من دولة مهما كان نوع نظامها إلا وفيها الجندية والمالية، إذ لا قوام لها بدونهما، وربما كانت الحاجة إليهما في أوائل الدولة أشدّ مما بعدها. والمسلمون هم الجند والزكاة والضرائب المختلفة التي تقرّرت شيئًا فشيئًا هي الموارد المالية التي تقوم بتكاليف الدولة. (زي، مدن١، ١٢٢، ٢١)

- لكل دولة أدوار شبيهة بأدوار الحياة من الطفولة إلى الشيخوخة: فالدولة العباسية بلغت شبابها في أيام الرشيد والمأمون وهو العصر العباسي الزاهر. ثم أخذت بعدهما في الانحدار نحو الكهولة فالشيخوخة، كما بلغت الدولة الأموية في الشام شبابها في أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد. والدولة الأموية بالأندلس بلغت شبابها في أيام الخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر. والدولة العثمانية بلغت ذلك الدور في أيام السلطان سليمان، وقس على ذلك. (زي، مدن٢، ١٠٤، ٤)

- تعطينا كلمة "دولة" في العربية بعض الدليل، وقد يكون من الطريف أن نقرّر متى استعملت لأول مرّة بهذا المعنى في الأدب العربي؟. فمعناها الأصلي "التداول أو التنقّل أو التبدّل" ثم اتّصلت في الإسلام بنظرية تنقل وتداول السلطة السياسية في زمن مبكر منذ عهد الكندي، وكمزيج من الآمال القومية الفارسية والآمال الشيعية يمكننا أن نرجع الفكرة إلى فترة أقدم، وحقيقة كون كلمة (دولة) التي تعبّر عن هذه الآمال أصبحت تستعمل بمعنى الأسرة الحاكمة دليل على وجود الأثر الفارسي في تاريخ الإسلام المقسّم حسب الأمر. (روز، علم، ١٢٧، ٨)

- الدولة تبدأ أولًا، بارتباط قوي مع الجماعة القبلية التي ساندتها في قيامها. وفي هذه المرحلة الأولى، تعكس بنيَة الدولة، بجزء كبير، أنساق تحالف القبائل الملتحمة، إنها تحتفظ بروابط قوية مع تلك التحالفات التي يتوقّف عليها تدعيم سلطتها. إلا أن نفس هذه الروابط تصبح عائقًا من خلال تطوّرها. وتبحث الدولة، في مرحلة ثانية، عن التخلّص منها لتنفصل عن أصلها القبلي. وتنزع الدولة إلى ضمان استقلالها على صعيدين اثنين بالخصوص: عسكري وإداري. وتكفّ القبائل المكوّنة لها، عن أن تكون هي حجر الزاوية في جيشها، فتعتمد الدولة منذ ذلك الحين لضمان امنها، على جيش مستقلّ محترف، يشكّل

فيه الأجانب جزءًا هامًّا. وعلى الصعيد الإداري، لا يتولّى الوظائف الهامّة أشخاص ينتمون للقبائل الحليفة. فوظائف "القلم"، ... يعلو شأنها، آنذاك، على وظائف "السيف". وتبلغ الدولة مرحلتها الأكثر صلابة، وهي المرحلة التي تغدو فيها كذلك مجرّدة. إلا أن الهيئة التي كوّنتها لتكون مستقلّة، تبدأ بإلقاء أعبائها نتيجة لمطالبها المادية والسياسية. وبانغماس الدولة في الحضارة تصبح هذه الهيئة مرتبطة أكثر بحياة الترف، أي أنها تغدو ضعيفة وعاجزة أكثر فأكثر، عن الدفاع عن تلك الهيئة. عندئذٍ يعود الأصل القبلي إلى الظهور بوساطة التمرّد وتقديم المطالب: فالأجنحة المنتمية لنفس العصبية، والتي كانت، الجناح المنتصر قد أخضعها، تطالب بالسلطة، وترفض القبائل أداء الجباية، أي أنها ترفض سلطة الدولة، وهذا الظهور الجديد العنيف للقبائل، يؤكّد أهمية دور الجيش في حماية الدولة. ولما كان الجيش واعيًا لأهميته، فإنه يطالب بتعويضات عالية أكثر فأكثر وبتنازلات، مما يثقل كاهل الدولة التي تجد نفسها مضطرّة للإكثار من إرسال بعثات الجباية، وهذا معناه من جهة، دفع القبائل إلى التمرّد، ومعناه من جهة أخرى، أنها تصبح مرهونة أكثر في يد جيشها. (أوم، نهج، ١٦٥، ١٩)

- "المجتمع الحضري"، والعمران بهذا المعنى، لا ينفصل حسب رأيه عن الدولة. فـ"الدولة دون العمران لا تتصوّر، والعمران دون الدولة والملك متعذّر". (أوم، نهج، ١٩٦، ٢١)

- الدولة كسلسلة والملوك كأفراد هذه السلسلة هما، إذن، كالزمان ومقاطعه، نقاط المرجعية في سياقة الأخبار، فدونهما ليس ثمّة انتظام للأخبار عن الحوادث الماضية من الوجهة الموضوعاتية أو من تلك البنائية. ولذا فإن سلسلة الملوك، وهي الدولة، هي الإطار الذي تتموضع فيه ليس فقط الأحداث الفردية، ولكن مقاطع وبرهات هذه الاستمرارية بما هي مقاطع من الزمان ومقاطع من تلك العقدة، المُلك، التي تؤسّس المادة التاريخية. (عظم، عرف، ٨٤، ١٧)

دولة الأربعة

- دولة الأربعة - فإن ابتداءها كان منذ قبض رسول الله "صلوات الله عليه وسلامه" وبويع أبو بكر بن أبي قحافة "رضي الله عنه" وذلك في سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وانتهاؤها حين قتل أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب "عليه السلام" وذلك في سنة أربعين من الهجرة. واعلم أنها دولة لم تكن من طراز دول الدنيا، وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشبه، والحق في هذا أن زيّها قد كان زيّ الأنبياء، وهديها هدي الأولياء، وفتوحها فتوح الملوك الكبار. فأما زيّها فهو الخشونة في العيش، والتقلّل في المطعم والملبس: كان أحدهم يمشي في الأسواق راجلًا، وعليه القميص الخلق،

المرقوع إلى نصف ساقه، وفي رجله تاسومة، وفي يده دره، فمن وجب عليه حدّ استوفاه منه. وكان طعامهم من أدنى أطعمة فقرائهم: ضرب أمير المؤمنين "عليه السلام" المثل بالعسل والخبز النقي، فقال في بعض كلامه، ولو شئت لاهتديت إلى مصفي هذا العسل بلباب هذا البر. واعلم أنهم لم يتقلّلوا في أطعمتهم وملبوسهم فقرًا ولا عجزًا عن أفضل لباس، وأشهى مطعم، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيتهم، وكسرًا للنفس عن شهواتها، ورياضة لها، لتعتاد أفضل حالاتها، وإلا فكل واحد منهم كان صاحب ثروة ضخمة، ونخل وحدائق، وغير ذلك من الأسباب، ولكن أكثر خرجهم كان في وجوه البر والقرب، كان لأمير المؤمنين علي "عليه السلام" ارتفاع طائل من أملاكه، يخرجه جميعه على الفقراء والضعفاء، ويقتنع هو وعياله بالثوب الغليظ من الكرباس، وبالقرص من خبز الشعير. وأما فتوحها وحروبها فإن خيلها بلغت إفريقية، وأقاصي خراسان، وعبرت النهر، فإن عبيدالله بن العباس تولّى إمارة سمرقند، وبها مات، وفيها قبره. فأول حروبها قتال أهل الردة. (طق، فخر، ٥٠، ٩)

دولة عباسية

- للدولة العباسية عصران، يختلف أحدهما عن الآخر اختلافًا عظيمًا: العصر الأول وهو ما يعبّرون عنه بالعصر الزاهر، يمتدّ من أول نشأة هذه الدولة سنة ١٣٢ هـ إلى آخر أيام المأمون سنة ٢١٨ هـ، وفيه بلغت الدولة العباسية قمّة مجدها وأنشأت التمدّن الذي نحن في صدده، وفيه أدركت ثروة الدولة الإسلامية أعظم ما بلغت إليه في عصر من العصور، وعليها مدار الكلام في هذا الكتاب. والعصر الثاني، ويعبّرون عنه بعصر التقهقر أو الاضمحلال، يبتدئ بخلافة المعتصم سنة ٢١٨ هـ وينقضي بانقضاء الدولة العباسية من بغداد، وفيه تقهقر التمدّن الإسلامي وقلّت الثروة وضعفت الدولة، حتى انحلّت عراها وانقضت أيامها. (زي، مدن٢، ٣٢، ٢٠)

ديارات

- في باب هذه الكتب التاريخية الحضارية دون شكّ كتب الديارات التي كانت تجمع أخبار الغناء واللهو والخمر والندامى والأعياد... وكانت مادة من مواد التأليف التاريخي الأثيرة إلى الكثيرين. ولعلّ أقدم كتاب فيها إنما كان: كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين لهشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) وقد ضاع. (مص، رخ١، ٣٠٧، ٢٠)

ديمقراطية

- الديمقراطية كنظام مدني تقتضي أن لا أحد في المجتمع يملك الحقيقة السياسية (أي ما يصلح وما لا يصلح لخير وسعادة ونموّ المجتمع) بل أن تلك الحقيقة تتكوّن شيئًا فشيئًا عن طريق المناقشة المتواصلة،

ومحاولات إقناع البعض الآخر وأخيرًا الاقتراع كوسيلة لإثبات حقيقة توافقية يصطلح عليها مؤقتًا في انتظار نتائج التجربة وتغيّر الأوضاع. (عر، فكر، ٨٣، ١٢)

ديمومة

- الديمومة هي المقولة الأولى في الزمن التاريخي أما الثانية فهي التغيّر المستمرّ. وإذا كان كل كائن حي في تجدّد دائم فالإنسان هو الوحيد في الكائنات، الذي يشعر بذلك التغيّر ويسجّله ويعطي الحياة البشرية بذلك وحدتها ما بين الأمس والغد. أما المقولة الثالثة في الزمن التاريخي فهي التنوّع، تنوّع الأفعال وردود الأفعال. الحياة الإنسانية لا تتغيّر فقط ولكن تخصب باستمرار. تزداد غنى وتنوّعًا وتعقدًا وتركيبًا بالتأثير والتأثير المرتدّ، وتنامي المعرفة، وتشعّب الفكر والعمل. مجموع هذه المقولات الثلاث المميّزة للزمن التاريخي هي ما يمكن أن نسمّيه بحس الماضي أو الحس التاريخي. (علف، فت، ١٨٢، ١٧)

دين

- العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحّش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادًا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرياسة؛ فقلّما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكِبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم. وذلك بما يشملهم من الدين المُذْهِب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس. (خلد، قدم، ٥١٦، ٦)

- بالنسبة للبدو، فإن الدين هو الوسيلة الوحيدة التي تساعدهم على أن يتسيَّسوا. "فجيل العرب في الخلقة طبيعي" إلا أن هذه البداوة هي أقلّ مرتبة من الحياة البشرية الحق التي لا تتحقّق إلا بالسياسة "إذ الخير هو المناسب للسياسية". والبدو العرب، الأكثر بداوة هم نتيجة لذلك "أبعد الأمم عن سياسة الملك". وإذا كان الفلاسفة قد عرّفوا الإنسان بأنه حيوان سياسي، فإن ابن خلدون يرى أن الإنسان لا ينطبق عليه هذا التعريف إلا ابتداء من مرحلة معيّنة وهي مرحلة المجتمع الحضري. وهكذا تتطابق السياسة مع الملك الذي لا يظهر إلا عندما يتمّ تجاوز المجتمع البدوي. (أوم، نهج، ١٥٥، ٤)

- الدين يضطلع بدور السياسة وذلك عن طريق تنظيم الناس على أساس مبادئ أخلاقية. والخلافة باعتبارها النظام السياسي الإسلامي الممتاز، تقدّم للناس نظامًا سياسيًّا أفضل مما تقدّمه السياسة في مفهومها الفلسفي. (أوم، نهج، ١٥٥، ١٣)

دين وحكومة في الصين

- الدين والحكومة في الصين مبدأهما الحب البنوي وبعبارة أخرى ميل الموجود إلى من أوجده ولذلك كان الصينيون يكرمون السماء باعتبار أنها مصدر كل الكائنات ويكرمون الأمبراطور ابن السماء باعتبار كونه أبًا للأمة. على أن قوة هذا الميل هي التي حفظت الحالة الداخلية في الصين غير متغيّرة مع ما تناوب البلاد من الغزوات وتوالى على عرشها من السلائل الوطنية والأجنبية. (مط، مرأ، ٢٠، ٨)

ديوان

- الديوان لما فتحت البلاد في زمن عمر بن الخطاب، واختلط العرب بالروم والفرس، واتّسع سلطان المسلمين وكثرت وارداتهم وتعدّدت مصادر الدخل، اضطرّوا إلى ضبط ذلك وتقييده وتعيين ما يدخل وما يخرج منه. فرأى عمر أن يضبط الوارد في الدفاتر، فيدفع منه رواتب معيّنة في العام إلى كل على قدر استحقاقه، والذي يبقى من الأموال يحفظ للانتفاع به عند الحاجة. فشرع في ذلك في السنة العشرين للهجرة (وقالوا في السنة الخامسة عشرة) وهو ما يعبّر عنه بالديوان اقتداء بما كان عند الفرس والروم). (زي، مدن١، ١٢٤، ١)
- الكاتب في عهد الخلفاء الراشدين هو الذي يتولّى الديوان على ما وضعه عمر، فيدوّن ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما، وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم، ويتولّى مكاتبة العمال. فلما اتّسعت أعمال الدولة تشعّب ذلك الديوان إلى ما يختصّ بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج، وإلى ما يختصّ بالنفقة على الجند وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة، وإلى ما يتعلّق بغير ذلك مثل ديوان الإقطاع وديوان المعادن، وإلى ما يختصّ بتدوين أسماء الجند وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند. وتفرّع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الثغور وغيرهما. وأفردوا لمراسلات العمال وغيرهم ديوانًا خاصًا هو ديوان الرسائل أو الإنشاء. (زي، مدن١، ١٢٥، ٢٠)

ديوان الإقطاع

- الكاتب في عهد الخلفاء الراشدين هو الذي يتولّى الديوان على ما وضعه عمر، فيدوّن ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما، وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم، ويتولّى مكاتبة العمال. فلما اتّسعت أعمال الدولة تشعّب ذلك الديوان إلى ما يختصّ بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج، وإلى ما يختصّ بالنفقة على الجند وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة، وإلى ما يتعلّق بغير ذلك مثل ديوان الإقطاع وديوان المعادن، وإلى ما يختصّ بتدوين أسماء الجند وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند. وتفرّع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الثغور وغيرهما. وأفردوا

لمراسلات العمال وغيرهم ديوانًا خاصًا هو ديوان الرسائل أو الإنشاء. (زي، مدن١، ١٢٥، ٢٥)

ديوان إنشاء

- ناظر الإنشاء الشريف فهو كاتب السرّ وكاتم السرّ يطلق في حقّه ناظر الإنشاء الشريف. وناظر دواوين الإنشاء الشريف لأن بكل مملكة ديوان إنشاء، وقيل إن أوّل من وضع الخطّ العربيّ وصنع حروفه وأقسمه ستّة أشخاص من طسم كانوا نزولًا عند عدنان بن أُدد أسماؤهم أبجد، وهوّز، وحُطّى، وكلمُن، وسعفص، وقرشت، فلمّا أن وجدوا أحرفًا خارجةً عن أسمائهم ألحقوها بها وسمّوها روادف، وروي أنّ أوّل من أتى أهل مكّة بكتابة العربية سفيان بن أميّة بن عبد شمس ثم انتشرت، وقيل غير ذلك. والكاتب عضد معين وعون مسعد ولا بدّ للمملكة منه ولا غنى لها عنه ومراتب الكتابة المتعلّقة بالسلطنة كانت قديمًا ثلاثًا كتابة الإنشاء وكتابة الجيش وكتابة الأموال. (شاه، زبد، ٩٨، ١٨)

ديوان الإنشاء

- ديوان الإنشاء الشريف عدّة موقّعين وهم قسمان: قسم يسمّون موقّعي الدست هم أجلّهم ولهم مراتب شيء أعلى من شيء. وقسم يسمّون موقّعي الدرج ولهم أيضًا مراتب قيل إنه كان قديمًا بديوان الإنشاء نيف عن أربعين موقّعًا، لا يبطلون من الكتابة ولا يضجرون منها لكثرة متحصّلهم وهي على أنواع متعدّدة، منها العهود المقرّرة للخلفاء والسلاطين على المنهج الواضح والأسلوب المبين والتقاليد لقضاة القضاة أهل الحلّ والعقد بما يليق بكل منهم من براعة المطلع والختام الدالّين على معظم القصد، ولكفّال الممالك الشريفة ذوي الرتب العوالي والمناصب المنيفة وللصاحب الوزير الذي وظيفته قوام الملك في التصرّف والتدبير وللسادة المباشرين أركان الدولة الشريفة أولى الأقلام الموضحة والأيدي العفيفة، ومناشير الإقطاعات للأمراء والأجناد المويّدين لنصرة الدين وحماية البلاد والتفاوض لمن يعتمد عليهم مما يطول وصف ذكرهم، والتواقيع لأرباب المناصب والوظائف المنصفين كل مظلوم والرادعين كل حائف والتواقيع الشريفة الموصّلة كل ذي حقّ حقّه وقاطعة من كل ظالم سببه، والمراسلات والمكاتبات المشتملة على طلب الحوائج وذكر الأشواق والمعاتبات والمربّعات بالأرزاق، والأمثلة المبلّغة كل راج سؤاله وأمله، والمطلقات وغير ذلك مما يسلك المنشئ لها أجمل المسالك الأصل. (شاه، زبد، ١٠٠، ٤)

- (ديوان الإنشاء) في أخريات دولة بني العباس استقلت الكتابة وعهد فيها إلى غير الوزراء، وكانوا ببغداد يقال لهم كتاب الإنشاء، وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الإنشاء أو صاحب ديوان الإنشاء أو كاتب السر وكل أمور هذا الديوان إلى الوزير.

وكانوا يسمّونه أيضًا الديوان العزيز، وهو الذي يخاطبه الملوك في مكاتبات الخلفاء بما يشبه ديوان الرياسة أو وزارة الخارجية في هذه الأيام. (زي، مدن١، ٢٥٤، ٢١)

ديوان الجند

- الكاتب في عهد الخلفاء الراشدين هو الذي يتولّى الديوان على ما وضعه عمر، فيدوّن ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما، وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم، ويتولّى مكاتبة العمال. فلما اتّسعت أعمال الدولة تشعّب ذلك الديوان إلى ما يختصّ بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج، وإلى ما يختصّ بالنفقة على الجند وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة، وإلى ما يتعلّق بغير ذلك مثل ديوان الإقطاع وديوان المعادن، وإلى ما يختصّ بتدوين أسماء الجند وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند. وتفرّع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الثغور وغيرهما. وأفردوا لمراسلات العمال وغيرهم ديوانًا خاصًا هو ديوان الرسائل أو الإنشاء. (زي، مدن١، ١٢٥، ٢٦)
- تأسس ديوان الجند في المدينة، أسّسه عمر بن الخطاب ودوّن فيه أسماء الرجال وفرض أعطياتهم. ولم يكن هذا الديوان يومئذٍ يعرف بديوان الجند، لكنه كان يسمّى "الديوان" فقط. وكان يشمل أسماء المسلمين من المهاجرين والأنصار ومن تابعهم، ومقدار أعطياتهم تبعًا للنسب النبوي والسابقة في الإسلام. وكان لكل مسلم راتب يتناوله لنفسه، ورواتب لأهله وأولاده. فكأنه ديوان المسلمين، باعتبار أن المسلمين كانوا كلهم جندًا في ذلك الحين. وظلّ العطاء باعتبار النسب والسابقة، حتى انقرض أهل السوابق، وصار الجند فئة من المسلمين قائمة بنفسها، فترتّب الجند باعتبار الشجاعة والبلاء في الحرب. وكان عندهم لاختيار الجند من بين الناس شروط، منها إن من أراد الانتظام في الجندية يقدّم طلبًا إلى صاحب ديوان الجند، وهو ينظر في أهليته لها، ولا يكون أهلًا لذلك إلا إذا كان حرًّا، بالغًا، مسلمًا، سليمًا، مقدامًا. فإذا استوفى هذه الشروط قبل، ودوّن اسمه في دفاتر الجيش، مع نسبه وقده ولونه وملامحه وسائر ما يتميّز به عن غيره، لئلّا تتّفق الأسماء. (زي، مدن١، ١٧٩، ٢)

ديوان الخاتم

- ديوان الخاتم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها بـ"العلامة"، أو بـ"الحزم". وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب. (أزر، بدع٢، ٧٢٩، ١٨)

ديوان الخراج

- الكاتب في عهد الخلفاء الراشدين هو الذي يتولّى الديوان على ما وضعه عمر، فيدوّن ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما، وما ينفق على الجند والعمال

والقضاة وغيرهم، ويتولّى مكاتبة العمال. فلما اتّسعت أعمال الدولة تشعّب ذلك الديوان إلى ما يختصّ بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج، وإلى ما يختصّ بالنفقة على الجند وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة، وإلى ما يتعلّق بغير ذلك مثل ديوان الإقطاع وديوان المعادن، وإلى ما يختصّ بتدوين أسماء الجند وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند. وتفرّع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الشغور وغيرهما. وأفردوا لمراسلات العمال وغيرهم ديوانًا خاصًّا هو ديوان الرسائل أو الإنشاء. (زي، مدن١، ١٢٥، ٢٤)

ديوان الزمام والنفقة

- الكاتب في عهد الخلفاء الراشدين هو الذي يتولّى الديوان على ما وضعه عمر، فيدوّن ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما، وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم، ويتولّى مكاتبة العمال. فلما اتّسعت أعمال الدولة تشعّب ذلك الديوان إلى ما يختصّ بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج، وإلى ما يختصّ بالنفقة على الجند وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة، وإلى ما يتعلّق بغير ذلك مثل ديوان الإقطاع وديوان المعادن، وإلى ما يختصّ بتدوين أسماء الجند وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند. وتفرّع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الشغور وغيرهما. وأفردوا لمراسلات العمال وغيرهم ديوانًا خاصًّا هو ديوان الرسائل أو الإنشاء. (زي، مدن١، ١٢٥، ٢٤)

ديوان المظالم

- ديوان المظالم وهو من توابع القضاء، ويشبه ما نسمّيه اليوم "مجلس الاستئناف" بعض الشبه، والغرض منه استماع ظلامات الناس من القضاة أو غيرهم. وكان العرب في جاهليتهم يلتفتون إلى هذا الأمر فيتحالفون على ردّ المظالم، كما فعلت قريش قبل الإسلام. وذلك أنهم لما تعدّد فيهم الزعماء وكثر التغالب والتجاذب، اجتمعت بطونهم وعقدوا حلفًا على ردّ المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم، وهو حلف الفضول المشهور الذي عقد في مكّة والنبي عمره ٢٥ سنة، وموضوعه ألا يظلم أحد في مكّة إلا أنصفوه وأخذوا له حقّه. (زي، مدن١، ٢٤٩، ٩)

ديوان المعادن

- الكاتب في عهد الخلفاء الراشدين هو الذي يتولّى الديوان على ما وضعه عمر، فيدوّن ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما، وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم، ويتولّى مكاتبة العمال. فلما اتّسعت أعمال الدولة تشعّب ذلك الديوان إلى ما يختصّ بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج، وإلى ما يختصّ بالنفقة على الجند وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة، وإلى ما يتعلّق بغير

ذلك مثل ديوان الإقطاع وديوان المعادن، وإلى ما يختصّ بتدوين أسماء الجند وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند. وتفرّع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الثغور وغيرهما. وأفردوا لمراسلات العمال وغيرهم ديوانًا خاصًّا هو ديوان الرسائل أو الإنشاء. (زي، مدن١، ١٢٥، ٢٥)

ذ

ذاكرة الأمة

- علم التاريخ العربي تطوّر تطوّرًا هائلًا أمكنه من أن يستقلّ عمليًّا عن العلوم الدينية وأن يختصّ بالبحث في موضوعات من صميم التاريخ، ولكن بقايا هامّة من الأصل ظلّت عالقة به، فهذا التاريخ الأول سجل "للفترة المثال" في تاريخ المسلمين، ولأن هذه الفترة تمثّل الثابت في ذاكرة الأمة، ولأنها النموذج، ولكونها معروفة أصلًا بواسطة هذا التاريخ الأول، كان لا بدّ وأن يستمرّ هذا التاريخ باقيًا لدوام الزمان الأول في ذاكرة المسلمين ... وسوف يستقرّ هذا التاريخ الأول نهائيًّا في كتابات المؤرّخين اللاحقين يتناقولنه جيلًا بعد جيل. وشيء آخر: فعلى الرغم من أن علم التاريخ العربي نما نموًّا كبيرًا في اتجاه البحث التاريخي الحقيقي إلا أن هذا النموّ لم يترجم على مستوى التنظير. (أوم، نهج، ٤٥، ١٦)

ذراع

- صفة الأرض إنها مدوَّرة كتدوير الكُرَة موضوعة في جوف الفلك كالمُحَّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض إن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخِفَّة والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد، والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بناتُ نَعْش، فاستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والأصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خطّ الاستواء وبين كلّ واحد من القطبين تسعون درجة أُصطرلابيّة واستدارتها عرضًا مثل ذلك إلَّا أن العمارة في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الرُّبْع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلُّ ربع من الشماليّ والجنوبيّ سبعة أقاليم. وذكر بطلميوس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومائتي مدينة. (خرد، مسلك، ٤، ١٥)

ذكر

- مطالب الرئاسة الذِكْرُ، ولا يحصل إلا بكماله. ففي "سياسة أرسطو" : الرئاسة لا تراد لنفسها، إنما تراد للذّكْر. وأول منازع العقل الذكر. والرئاسة نتيجتها. (أزر، بدع١، ٤٠١، ١٨)

ذهن

- الفهم هو المعرفة وقوّة الذهن قريبة من قوّة العقل، غير أنّ الذهن والفهم تطبّع والفطنة قريبة المعنى من الذهن. (بلخ، بدا، ٢٢، ١١)

ذهول عن المقاصد

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ١٥)

ذهول عن تبدل الأحوال

- أحد الأسباب الأساسية التي توقع المؤرّخين في الخطأ هو "الذهول عن تبدّل الأحوال" . (أوم، نهج، ١٧٤، ١٣)

ذو الحجة

- رجب كانوا يرجبون فيه النخل وشعبان تشعبت فيه القبائل ورمضان رمضت فيه

الفصال من الحرّ وشوال شالت الإبل بأذنابها للضراب وذو القعدة قعدوا فيه عن القتال وذو الحجة كانوا يحجّون فيه. (سي، شم، ٢٠، ١٣)

ذو القرنين

- قصة ذي القرنين ولم يكن نبيًّا. قال وهو رجل من الإسكندرية اسمه إسكندروس ودخوله في الظلمة غير صحيح كذا قال ابن كثير. وكان حَلمَ حلمًا فرأى أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسمّوه ذا القرنين. وكان في الفترة بعد عيسى عليه السلام. (قتي، خبط، ٢٥، ٥)
- قيل إنّ ذا القرنين كان رجلًا يسمَّى اطركس خرج على صاميرس أحد ملوك بابل وحاربه حتّى ظفر به وقتله وسلخ رأسه مع شعره ذؤابتيه ودبغ تلك الفروة وتكلّل بها فلقِّب بذي القرنين. وقيل إنّ ذا القرنين هو المنذر بن ماء السَّماء وهو المنذر بن امرئ القيس، ويُعتقد في هذا المسمَّى اعتقادات عجيبة بأنَّ أمَّه كانت من الجنّ كما يُعتقد ذلك أيضًا في بلقيس فإنّه يقال أنّ أمّها كانت من الجنّ وفي عبدالله بن هلال المشعبذ أنّه ختن إبليس على ابنته وأمثال ذلك من السخريَّة ولكنّها مشهورة، وقد حُكي عن عمر بن الخطّاب أنّه سمع قومًا يخوضون في ذكر ذي القرنين فقال ألم يكفكم الخوض في أحاديث الناس حتّى تجاوزتموها إلى الملائكة، وقيل إنّ ذا القرنين هو الصَّعب بن الهمَّال الحميريُّ ذكر ذلك ابن دريد في كتاب الوشاح. وقيل إنّ ذا القرنين هو أبو كرب شمَّر يرعش بن إفريقيس الحميريُّ وسُمِّي بذلك لذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقيه وأنّه بلغ مشارق الأرض ومغاربها وجاب شمالها وجنوبها ودوَّخ البلاد وأذلَّ العباد وبه يفتخر أحد مقاول اليمن وهو أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صُبيح بن عبد الله بن زيد بن ياسر بن تنعم الحميريُّ في شعره الذي يقول فيه

قد كان ذو القرنين قبلي مسلمًا
ملكًا علا في الأرض غير معبَّد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي
أسباب ملك من كريم سيِّد
فرأى مغيب الشَّمس وقت غروبها
في عين ذي حمَّى وثأط حرمد
من قبله بلقيس كانت عمَّتي
حتَّى تقصَّى ملكها بالهدهد

ويشبه أن يكون الحقُّ من بين هذه الأقاويل هو هذا الأخير فإنَّ الأذواء كانوا من اليمن دون غيره من البقاع، وهم الذين لا يخلو أساميهم من ذي كذي المنار وذي الأذعار وذي الشَّناتر وذي نواس وذي جدن وذي يزن وغيرهم وأخباره مع هذا تشبه ما حُكِي عنه في القرآن. (بير، بقي، ٤٠، ٩)

ذو القعدة

- (ذو القعدة) و(ذو الحجّة) في أول كل منهما الفتح والكسر وفتح الأول وكسر الثاني في أفصح من العكس جمعها ذوات

القعدة وذوات الحجّة، وكان يسمّى الأول هُواعًا والجمع أهوعة وهواعات والثاني بُرَكًا والجمع بُركات. (سي، شم، ٢٠، ٣)

- رجب كانوا يرجبون فيه النخل وشعبان تشعبت فيه القبائل ورمضان رمضت فيه الفصال من الحرّ وشوال شالت الإبل بأذنابها للضراب وذو القعدة قعدوا فيه عن القتال وذو الحجة كانوا يحجّون فيه. (سي، شم، ٢٠، ١٢)

ذو الكفل

- قصة ذي الكفل عليه السلام. قال وأما ذو الكفل فلم أجد له فيما نقله وهب ذكر أو قال غيره هو من بني إسرائيل بعث إلى ملك كان فيهم يقال له كنعان فدعاه إلى وكفل له الجنة وكتب له كتاب ذكر حق على الله فآمن ذلك الملك فسمّي ذا الكفل. (قتي، خبط، ٢٥، ١٧)

ر

رئاسة

- الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم، لوجهين: أحدهما: أن الرئاسة لا بدّ فيها من التغلّب الموقوف على العصبية. وذلك يوجب أن تغلب عصبيتها سائر العصائب. وحينئذٍ تسلم لصاحبها الثاني: أنها لا تكون إلا في منبت واحد تعيّن له الغلب بالعصبية القاهرة. وعند ذلك فالساقط في غير نسبه لا تحصل له رئاسة على أهل العصبية، لفقد العصبية أولًا، وعدم إرثها ثانيًا. (أزر، بدع١، ٧٧، ٤)
- الرئاسة قد تحصل لأهل الأمصار بوجود العصبية الغالبة، وذلك لأن التحامهم بالصهر يحصل به بعض ما يحصل بالنسب، فإذا نزل الهرم بالدولة وتقلّص الملك عن القاصية احتاج أهل أمصارها إلى القيام على أمرهم، ورجعوا إلى الشورى وتمييز العلية عن السفلة، فتطمح المشيخة، لخلوّ الجوّ من السلطان القاهر إلى الاستبداد. وينازع كل صاحبه، ويتوصلون بالأتباع من الموالي والشيع، ويبذلون ما بأيديهم للأوغاد والأوشاب، فيعصوصب كل بصاحبه، ويتعيّن الغلب لبعضهم، فيعطف على أكفائه بالقتل والتغريب، حتى يستبدّ بمصره، ويرى أنه قد استحدث ملكًا يورثه عقبه، فيحدث في ذلك الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم ذي القبائل والعصبيات والزحوف والممالك، فينتحلون من الجلوس على السرير، واتّخاذ الآلة والتحيّة، والخطاب بالتهويل ما يسخر منه من يشاهد أحوالهم. وقد يجري على مذاهب السذاجة، فرارًا من التعريض بنفسه للسخرية به. (أزر، بدع١، ١٤٣، ١١)
- مطالب الرئاسة الذِكْرُ، ولا يحصل إلا بكماله. ففي "سياسة أرسطو": الرئاسة لا تراد لنفسها، إنما تراد للذّكر. وأول منازع العقل الذكر. والرئاسة نتيجتها. (أزر، بدع١، ٤٠١، ١٦)

راهب

- البَطْرَك، وهو رئيس الملّة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه إلى ما بَعُدَ عنه من أمم النصرانية، ويسمّونه الأسقف أي نائب البطرك. ويسمّون الإمام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس. ويسمّون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب. (خلد، قدم، ٦٥٩، ٣)

راو

- هل خضع الراوي لظروف قاهرة أكرهته على التلفيق والنطق بالباطل؟ ومثل هذا يقع أحيانًا في بعض المعاملات الرسمية، كأن تتطلّب بعض الظروف الحكومية القانونية شروطًا لا تتوفّر أحيانًا بتمام

دقائقها وحذافيرها. فيضطرّ منظّم الضبط أن يقول باكتمالها في حين أنها لم تكتمل. فمن خطإ في تاريخ الاجتماع إلى تأخير في الساعة المعيّنة للجلسة إلى نقص في عدد الحاضرين وهلمّ جرًا. (رس، مصط، ٦٠، ٩)

- هل شايع الراوي، أو قاوم فئة معيّنة من الناس حتى اضطرّ، عن قصد أو عن غير قصد، أن ينظر بعين الرضى إلى الفئة التي انتمى إليها فيناصرها على الأخرى؟ وهو أمر قديم العهد في مهنة التاريخ أشار إليه المؤرّخون القدماء. (رس، مصط، ٦٠، ١٨)

- هل اندفع الراوي بشيء من الغرور والكبرياء لينطق بالباطل ويحيد عن الحق؟ وهل أقدم على ما يروي بداعي المفاخرة أو المفاضلة أو المنافسة أو ما شابه ذلك؟ لا بدّ من تفحّص أخبار الراوي من هذه الناحية أيضًا قبل الاعتماد على روايته. وليذكر المؤرّخ المستجدّ أن دوافع الغرور والكبرياء تختلف باختلاف الزمان والمكان، وأن بعض الناس قد يفاخر بما لا يفاخر به البعض الآخر. (رس، مصط، ٦١، ٦)

- هل حاول الراوي أن يتودّد إلى جمهور الناس أو أن يتملّقهم أو يداريهم؟ فهنالك عقائد دينية وعادات اجتماعية وأمور أخرى قلّما يجرؤ على مخالفتها أو إهمالها فرد من الأفراد. (رس، مصط، ٦١، ١٨)

- قد يشاهد الراوي ما يروي وينوي الصدق والإخلاص ولكن حواسه تخطئ في نقل الخبر إليه، أو عقله يتوهّم غير الواقع، أو ذاكرته تخونه من حيث لا يدري. ومما له علاقة بالموضوع نفسه أهواء الراوي وأغراضه. فإنها قد تؤثّر عليه من حيث لا يقصد. فيظنّ أنه يروي الحقيقة ويكون بعيدًا عنها. (رس، مصط، ٦٣، ١٢)

- هل تمتّع الراوي بجميع شروط المشاهدة العلمية؟ وهي ما يلي: أولًا أن يكون الراوي في مكان يتمكّن فيه من مشاهدة الحوادث مشاهدة صحيحة. وثانيًا أن يكون الراوي في أثناء المشاهدة بعيدًا عن الغرض. وثالثًا أن يدوّن ما شاهده في أثناء وقوع الحوادث المروية. ورابعًا أن يوضح بجلاء تام طريقته في المشاهدة والتدوين. فقد يشاهد الراوي ما يروي ولكنه يكون في مكان أو ظرف لم يتمكّن فيه من التدقيق في النظر والسمع. وقد يشاهد ما يروي وينقصه الاستعداد الفني لفهمه. وقد يشاهد أيضًا ولكنه يتأخّر في التدوين فتخونه الذاكرة وتؤثّر عليه ظروف مستجدّة فلا ينقل إليها الخبر اليقين. وإذًا "فالذكريات" التي لا تدوَّن عادة إلا بعد مرور الزمن هي في عرفنا من أضعف الروايات. (رس، مصط، ٦٤، ٤)

- الذين يعنون بالعصور الوسطى والعصور القديمة يهملون القاعدة الأساسية في مصطلح التاريخ فيثبتون في تواريخهم روايات جمّة انفرد بها راوٍ واحد فيضلّون ويضلّلون. وإذا ما تسرّب إلى عقول البعض أن بعض المؤلّفات الحديثة في العصور الوسطى وفي التاريخ القديم هي

أكثر جزمًا من بعض أخواتها في العصور الحديثة فإنما السبب في ذلك يرجع إلى إهمال واضعيها وقلّة درايتهم بقواعد مصطلح التاريخ. على أنه يجدر بالمؤرّخ المدقّق، قبل إسقاط الرواية التي ينفرد بها راوٍ واحد، أن يعيد البحث والتنقيب لعلّه يجد بين الروايات المختلفة ما يزكي به روايته المنفردة. وهو أمر عرفه المحدثون وعملوا به فأفردوا له بابًا خاصًّا سمّوه باب الاعتبار والمتابعات والشواهد. (رس، مصط، ٩٣، ٣)

رأي

- سلطان يخافه الرعية خير من سلطان يخافها. قال أنوشران: عندي لمن عرض دمه سفكه، ولمن جاوز حدّه تقويمه؛ ولمن تعدى طوره قمعه. قال بعض الحكماء: أمران جليلان لا يصلح أحدهما إلا بالتفرّد والاستبداد، ولا يصلح الآخر إلا بالاشتراك. فأما الذي لا يصلح إلا بالانفراد فالمُلك، متى وقع فيه الاشتراك فسد، وأما الذي لا يصلح إلا بالاشتراك فالرأي متى وقع فيه الإشتراك وثق فيه بالصواب. (طق، فخر، ٤٥، ١٥)

رايات

- (الألوية والرايات) أنها من شعار الحرب منذ عهد الخليقة، فلم تزل الأمم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي - صلى الله عليه وسلم! - ومن بعده من الخلفاء. وعند انقلاب الخلافة ملكًا اتّخذوها في ذلك زينة وتنويهًا. فكثيرًا ما كان العامل أو قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين والعبيديين لواء، ويخرج إلى عمله أو يبعثه في موكب من أصحاب الرايات. فلا يتميّز موكب العامل والخليفة إلّا بكثرة الألوية أو قلّتها، أو بما اختصّ به الخليفة من الألوان لرايته وبنده. (أزر، بدع٢، ٧٢٤، ٦)

راية

- الراية: كانت لقريش راية تسمّى "العقاب" فكانوا إذا أرادوا الحرب أخرجوها، فإذا اجتمع رأيهم على واحد سلّموه إيّاها وإلا فإنهم يسلمونها إلى صاحبها وكانت الراية لبني عبد الدار. (زي، مدن١، ٣٨، ١١)
- اللواء والراية شيء واحد، وربما كان اللواء أصغر من الراية، أو أن الراية تسمّى لواء إذا عقدت للحرب. وهي الأعلام، أو البنود، أو البيارق في اصطلاح هذه الأيام. والراية قديمة في التاريخ، اتّخذها المصريون القدماء ومن عاصرهم أو أخذ عنهم. وكانت شائعة في العرب الجاهلية قبيل الإسلام، وكان لكل قبيلة راية تجتمع تحتها. (زي، مدن١، ١٨٨، ٢٣)

ربط الحقائق التاريخية

- يحسن بالمؤرّخ المستجدّ أن يذكر بادئ بدء أن ربط الحقائق التاريخية وتأليفها يختلف عن الربط والتأليف في العلوم الطبيعية. فعلماء الطب والحيوان مثلًا يشاهدون الجسد بتمامه أولًا فيدرسونه

درسًا إجماليًا وافيًا. ثم يشرّحونه فيقسّمونه إلى الأجزاء التي يتركّب منها. وبعد التدقيق التام في هذه الأجزاء والتعرّف إلى وظائفها وأعمالها يستطيعون أن يقابلوا فيما بينها ويتعرّفوا إلى العلاقات التي تربط بعضها إلى بعض. فيدوّنون هذه الحقائق المفردة التي يتوصّلون إليها. ثم يعودون إلى ربطها وتأليفها. فيتبعون خطة عيّنتها الطبيعة تكون ماثلة أمامهم. بل إنهم يستطيعون أن يتناولوا مجموعةً واحدة يقابلونها على مجموعة أخرى باعتبار كل من المجموعتين وحدة قائمة بنفسها. وكأنهم بذلك أتمّوا مقابلة كل واحد بكل آخر. فيرون نقط التشابه بين هذا وذاك ويصنّفون هذه الوحدات على أساس التشابه بينها. وهذا درس علمي حقيقي قوامه التحليل أولًا ثم الربط والتأليف بين أجزائه ثم المقابلة والاستدلال القياسي. على أن ظروف المؤرّخ في الواقع تختلف كل الاختلاف عمّا تقدّم. فحقائقه المفردة هي غير الحقائق المفردة في العلوم الطبيعية. إذ جلّ ما يمكنه الاعتماد عليه، في مثل هذه الظروف، هو كلام الغير عن وقائع الماضي لا الوقائع نفسها. وليس بإمكانه أن يشاهد المجموع الذي تفرّعت عنه مفردات الحقائق. كما وأنه يجهل الأسس التي كانت تربط مثل هذه الحقائق لتؤلّف منها الكل. وإذًا فمن العبث أن نربط الحقائق المفردة في التأريخ كما يربط علماء الطبيعة حقائقهم. وعلينا والحالة هذه أن نستنبط طريقة خصوصية لربط الحقائق المفردة نتذرّع بها للوصول إلى اليقين أو ما يقارب اليقين. ولنذكر أن الحقائق المفردة التي تثبّتنا من صحتها تكون إما آثارًا حقيقية تخلّفت عن السلف كالأهرام في مصر مثلًا، أو وقائع السلف كعمل معيّن أو قول معروف، أو دوافع معنوية كانت مكنونة في صدور الناس أفرادًا وجماعات. وبعبارة أخرى، إن ما تثبّتنا من صحّته من الحقائق المفردة يكون واحدًا من ثلاثة. إما أثرًا ملموسًا أو عملًا محدودًا أو دافعًا نفسيًا معيّنًا. ولو كانت العلوم النفسية والاجتماعية قد ماشت العلوم الطبيعية في تقدّم أساليبها وأبحاثها ونتائجها لما كان عسيرًا علينا اليوم أن نهتدي بشكل علمي جازم إلى معرفة الأعمال والدوافع الماضية التي أشرنا إليها، وربما كنّا لا نفرّق التاريخ عن العلوم الجازمة. أما وحالة العلوم الاجتماعية والنفسية لا تزال قاصرة فلا يبقى سوى تخيّل الماضي وفرض استمرار بعضه وتكراره في الحاضر. فنقول مثلًا بعامل الجوع في الماضي ونتوقّع تأثيره في ظروف معيّنة كما نفعل في الحاضر. وننظر في الإقليم وأثره في المجتمع كما يتبيّن لنا بعض ذلك من الظروف الحاضرة ونفرض التعاون بين الأفراد في بعض الأزمنة الغابرة لدرء الأخطار كما يفعل بنو جنسهم في هذه الأيام وهلمّ جرّا. ولولا هذا لما جرؤ البعض على القول بأن بعض التاريخ يعيد نفسه، نعم بعضه لا كله. ولو كان كل التاريخ يعيد نفسه لما أقدم العلماء

على درسه وتعميم فوائده. وإذًا فهنالك فروق بين الماضي والحاضر لا بدّ من تبيانها أيضًا والانتباه إليها. ولهذا يترتّب على المؤرّخ عند بدء العمل في ربط الحقائق المفردة وتأليفها أن يتخيّل لنفسه من مظاهر المجتمع الحاضر ما يفترض وجوده في الماضي. (رس، مصط، ١١٩، ٦)

ربيع

- (ربيع) الأول قال الفرّاء: يقال الأول ردًّا على الشهر والأولى ردًّا على ربيع وفيه وُلد صلى الله عليه وسلم وهاجر ومات، ومنهم من يسمّيه "خِوانا" والجمع أخونة ويسمّى الآخر وَبْصان والجمع وبصانات. (سي، شم، ١٨، ٢١)
- سمّي المحرم لأن القتال محرّم فيه وصفر لأن العرب كانت تنزل فيه بلادًا يقال لها صفر وشهرا ربيع كانوا يربعون فيهما وجماديان كان يجمد فيهما الماء. (سي، شم، ٢٠، ٩)

رتبيل

- ملك التّرمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيْوشار، ملك الجُوزَجان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ٥)

رجب

- (رجب) جمعه أرجاب ورجاب ورجبات ويقال له الأصم إذ لم يكن يسمع فيه قعقعة السلاح لتعظيمهم له ولأصب ومُصل الأسنة، وورد في فضل صومه أحاديث لم يثبت منها شيء بل هي ما بين منكر وموضوع. (سي، شم، ١٩، ٧)
- رجب كانوا يرجبون فيه النخل وشعبان تشعبت فيه القبائل ورمضان رمضت فيه الفصال من الحرّ وشوال شالت الإبل بأذنابها للضراب وذو القعدة قعدوا فيه عن القتال وذو الحجة كانوا يحجّون فيه. (سي، شم، ٢٠، ١١)

رحلة الشتاء

- رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى بصرى في حوران بضواحي الشام. فكانت مكّة واسطة عقد التجارة، بين اليمن والشام. (زي، مدن١، ٣٧، ١٤)

رحلة الصيف

- رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى بصرى في حوران بضواحي الشام. فكانت مكّة واسطة عقد التجارة، بين اليمن والشام. (زي، مدن١، ٣٧، ١٥)

رسالة تاريخية

- علم التاريخ عند العرب هو تطوّر طبيعي

في الإسلام. فالدين الجديد، وتكوين أمبراطورية، ووضع تقويم ثابت، كل هذه هيّأت الأساس. ثم إن الاتجاهات الإسلامية المتمثّلة في الاهتمام بسيرة الرسول، وبإجماع الأمة وخبراتها، وبآراء وأحكام علمائها، وبالحوادث الكبرى التي حدّدت سيرها التاريخي، كانت الدوافع الرئيسية لدراسة التاريخ في المدينة. ومن جهة ثانية فإن الاتجاهات القبلية نحو العناية بالأنساب والأيام والشعر استمرّت في المراكز القبلية الجديدة في الكوفة والبصرة في إطار جديد، ووجدت حوافز جديدة في التيارات السياسية والاجتماعية والمدنية الجديدة. وراء هذين الاتجاهين كان هناك الشعور لدى الجميع برسالة تاريخية، وهذا يوضح لدرجة ما ذلك التنوّع وتلك السعة في الكتابات التاريخية. (دو، نشأ، ٥٧، ١١)

رسول

- يجب أن يكون في الرسول خصال - الذي يحمل رسالة من مرسل -: منها العقل ليميّز به الأمر المستقيم من المعوج، والأمانة، والعفاف، لئلّا يخون مرسله فكم من رسول برقت له بارقة طمع، من جهة من أرسل إليه، فحفظ جانبه، وترك جانب مرسله. (طق، فخر، ٤٧، ٢)

رعية

- لكل صنف من الرعية صنف من السياسة، فالأفاضل يساسون بمكارم الأخلاق، والإرشاد اللطيف، والأوساط يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة، والعوام يساسون بالرهبة، وإلزامهم الحدّ المستقيم، وقسرهم على الحق الصريح. واعلم أن الملك لرعيته كالطبيب للمريض، إن كان مزاجه لطيفًا لطف له التدبير، ودسّ له الأدوية المكروهة، في الأشياء الطيّبة، وتحيل عليه بكل ممكن، حتى يبلغ غرضه من برئه، وإن كان مزاجه غليظًا عالجه بمرّ العلاج وصريحه وشديده، ولذلك لا ينبغي للملك أن يتهدّد من يكفي في تأديبه الأعراض والتقطيب، وكذلك لا ينبغي أن يحبس من يكفي في تأديبه التهديد، كما أنه لا ينبغي أن يضرب من يكفي في تأديبه الحبس، ولا أن يقتل بالسيف من يكفي في تأديبه ضرب العصا، وتمييز هذه الحالات بعضها من بعض، أعني معرفة المزاج الذي يكفي فيه التهديد، ولا يحتاج إلى الحبس، أو يكفي فيه الحبس، ولا يحتاج إلى الضرب، يحتاج إلى لطف حدس، وصحّة تمييز، وصفاء خاطر، ويقظة تامة، وفطانة كاملة، فما أشدّ ما تشتبه الأخلاق، وتلتبس الأمزجة والطباع. (طق، فخر، ٢٧، ٤)

رفادة

- الرفادة: وهي خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى صاحب الرفادة فيصنع منه طعامًا يأكله الفقراء. وأول من أشار بالرفادة قصي . . .

وكانت الرفادة في بني نوفل ثم في بني هاشم. (زي، مدن١، ٣٨، ٨)

- الرفادة: وهي تقديم طعام لغير القادرين من الحجّاج، ويروى أن قصيًا فرض على قريش أن يقدّم كل منهم شيئًا إليه ليصنع طعامًا للفقراء من الحجيج، وقال قصي في ذلك: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته، وإن الحاج ضيف الله وزوّار بيته وهم أحقّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لفقرائهم شرابًا وطعامًا أيام هذا الحجّ حتى يصدروا عنكم. ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل عام جزءًا من أموالهم فيدفعونه إليه، فيصنعه طعامًا للناس. (شل، سلم، ١١٨، ١٨)

رمضان

- (رمضان) مشتقّ من الرمضاء وهي شدّة الحر وجمعه رمضانات وأرمضة ورماض، قال النحاة وشهر رمضان أفصح من ترك الشهر. (سي، شم، ١٩، ١٣)
- رجب كانوا يرجبون فيه النخل وشعبان تشعبت فيه القبائل ورمضان رمضت فيه الفصال من الحرّ وشوال شالت الإبل بأذنابها للضراب وذو القعدة قعدوا فيه عن القتال وذو الحجة كانوا يحجّون فيه. (سي، شم، ٢٠، ١١)

رؤيا

- الرؤيا فحقيقتها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات. فإنها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها. وتصير روحانية بأن تتجرّد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية. وقد يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما نذكر، فتقتبس بها علم ما تتشوّف إليه من الأمور المستقبلة وتعود به إلى مداركها. فإن كان ذلك الاقتباس ضعيفًا وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلّطه فيحتاج من هذه المحاكاة إلى التعبير. وقد يكون الاقتباس قويًّا يستغني فيه عن المحاكاة فلا يحتاج إلى تعبير لخلوصه من المثال والخيال. والسبب في وقوع هذه اللمحة للنفس أنها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه، (ولا بدّ من تخلّصها من البدن ومداركه) حتى تصير ذاتها تعقّلًا محضًا ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذٍ ذاتًا روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية. (خلد، قدم، ٤١٤، ٨)

روايات

- الروايات تتوزّع تحت عناوين مطالب وسنين شتّى. بحيث أن انتماءها النصّي إلى العنوان هو المحك الوحيد لتاريخيتها ولانضوائها تحت هذا العنوان، فهي مصادرة على المطلوب تجعل من أسس تاريخيتها شأنًا يبدو وكأنه بديهي. وجلّ ما نجده في أسس ترتيب الروايات عن الحوادث المختلفة هي جملة من الإحداثيات للتنظيم المكاني للحوادث، أي تنظيمها الفيزيائي في النص المكتوب

الواحدة بعد الأخرى أو في تضاعيف الأخرى. ليست لدينا أجناسًا ولا أنواعًا تترتّب تبعًا لها الأحداث في نظام تصنيفي أو بموجب أسس داخلية أخرى، بل إن ما لدينا في بنية السرد التاريخي هو أبواب، كالسنين، لفرز الأشياء. والعلاقة بالتالي بين حادثة سابقة وأخرى لاحقة في إطار السرد الحولي ليست إلا علاقة تماس مكاني، إذ ليست ثمّة نقلة بين الواحدة والأخرى. وبذلك فإن الانغلاق المونادي لكل حدث يجري الإفصاح عنه سرديًا في العلاقة الإردافية (Parataxis) بين الحوادث التي تتسلسل فيها الحوادث دون أية التفاتة في سابقة للاحقة أو من لاحقة لسابقة، تسلسلًا تتساوى فيه كل فصول السلسلة ولا تتمايز فيه الأحداث بأية تمايزات نسبية تزيد على تميّز كل واحدة بذاتها. (عظم، عرف، ٥٣، ٩)

روايات تاريخية

- قد تتعدّد الروايات التاريخية في أمر واحد فتتوافق أن تتناقض. وحيث تتناقض يحسن بالمؤرّخ أن يؤكّد بادئ بدء وقوع التناقض. لأن ما يظهر من التناقض لأول وهلة قد يتلاشى لدى التدقيق والتحقيق. فقد لا تتّفق الروايات في الزمان أو المكان أو الشخص المقصود أو ما شاكل ذلك. أما إذا ثبت التناقض فعلى المؤرّخ ما يأتي: ١) أن يترفّع عن اتّخاذ موقف وسط بين الطرفين. فإذا ما وقع مثلًا على أصل من الأصول فيه أن عدد المحاربين في واقعة كان عشرين ألفًا وآخر فيه أنهم كانوا أربعين ألفًا، فإنه من الخطإ الفاضح أن يوفق بين الطرفين فيزعم أن العدد كان وسطًا بين الطرفين أي ثلاثين ألفًا. فإن ما يصحّ في علم الرياضيات يصحّ هنا. فإذا جعل أحدهم حاصل الرقمين ٢ ضرب ٢ أربعة وجعل الآخر الحاصل ستة، فهل يقال إن الحاصل الحقيقي لا هذا ولا ذاك بل هو خمسة!. ٢) أن يعيد النظر في الطرفين لعلّه يكشف الستار عن عيب في إحدى الروايتين لم ينتبه إليه أولًا. أو لعلّه يجد ما يجعله يثق بالواحدة أكثر من الأخرى. فيسقط ما قلّت ثقته فيه ويرجّح القول الآخر. ٣) أن يمتنع عن الحكم بين الطرفين إذا عمَّ الشكّ وبانت قلّة الثقة. فليس هنالك ما يضطرّه لإبداء رأيه وإصدار حكمه. والعالم من يعلم أنه لا يعلم. وما يصحّ عن التناقض بين روايتين يصحّ أيضًا عن التناقض بين رواية من الجهة الواحدة وروايتين أو أكثر من الجهة الأخرى. فلا عبرة للعدد في مثل هذه المواقف. والحقيقة العلمية لا تثبت بالتصويت والأكثرية، وقد قال الفلاسفة القدماء: "الوزن لا العدد" وحيث تتوافق الروايات التاريخية يجدر بالمؤرّخ المدقّق أن يتلفت إلى أمور عدّة منها ما يأتي: ١) عليه أن لا يتسرّع في الحكم فيظنّ أن جميع ما لديه من الروايات هو من النوع الذي يعوّل عليه. فالناس كثيرًا ما ينقل بعضهم عن بعض وهذه جرائدنا اليومية. ألا ترى أن مخبرًا واحدًا أحيانًا ينقل الخبر نفسه إلى

جرائد متعدّدة؟ وإذًا فالمؤرّخ المدقّق هو من يتروى في الأمر ويعيد النظر في الروايات ليؤكّد عدم اعتماد الرواة بعضهم على بعض. والتأكّد من الاعتماد أو عدمه ميسور لمن يسعى إليه. . . . ٢) وعليه أن يذكر أيضًا أن شدّة الانطباق بين الروايات المختلفة توجب الشكّ لا الثقة. وهو أمر عرفه علماء التزوير في الخطوط وقالوا به منذ زمن بعيد. فحيث ينطبق إمضاء، معترض عليه، من جميع نواحيه وفي جميع دقائقه، على إمضاءٍ معترف به، يُرجّح وقوع التزوير. وحيث يشتدّ انطباق الروايات بعضها على بعض يزداد قلق المؤرّخ ويكثر ريبه. ٣) وهنالك تآلف بين الحقائق التاريخية لا بدّ من الالتفات إليه. والاستعارة هنا من علم الموسيقى. فكلمّا تتآلف الألحان المختلفة فتشكل مجموعًا موسيقيًا شائقًا مؤثّرًا في النفس، كذلك الروايات التاريخية المختلفة فإنها إذا ما عبَّرت عن الحقيقة الراهنة تتآلف بعضها مع بعض فتتناصر على البطل وتلمع لمعان الحق. فيترتّب على المؤرّخ المدقّق أن ينظر إلى رواياته المتوافقة ليرى إذا كانت تتآلف فتتناصر وتظهر الحقيقة والعكس بالعكس. وقد تكتمل هذه الشروط في رواية من الروايات. ولكن المؤرّخ يجد تناقضًا بين مضمونها وناموس من نواميس العلوم الطبيعية. فيضطر والحالة هذه إلى إسقاط الرواية وصرف النظر عنها. (رس، مصط، ٩٥، ١)

رواية

- من الحقائق المهمّة جدًّا هي أن الرواية في الأدب العربي تتمثّل إلى حدّ كبير بالرواية التاريخية. وقد نظر المتعلّمون المسلمون دائمًا إلى الروايات التاريخية والقصص الأخرى، كإنتاج بدائي. والواقع أن هذه الروايات والقصص كانت من حيث العموم هزيلة بالنسبة للمنتوجات الأدبية الإسلامية الجيدة، سواء في أشكالها الفنية أو في المستوى الفكري لمحتوياتها. غير أن مجرّد وجودها وشعبيتها دليل على الشعور التاريخي القوي عند الشعوب الإسلامية. فمن خلال هذه الروايات نفذ التاريخ إلى أعماق قلوب الناس، ومن خلالها تعلّم الأطفال الإسلام كظاهرة تاريخية. فالأمّيون إذا أصغوا إلى القصاصين في الطرق، استطاعوا أخذ فكرة عن التاريخ الإسلامي، أما القادرون على القراءة وعلى شراء الكتب، فقد كان أكثر ما يقرؤون الروايات والقصص، اللهم إلا القرآن. ولعلّ التاريخ العربي لم يكن أقلّ بروزًا في التعبير عن الاستطلاع الفكري دون وجود أخته المتواضعة، الرواية التاريخية، ولكن كان أقلّ إمكانية من أن يصبح أداة لجعل التاريخ جزءًا من الخبرات الفكرية لكل مسلم. (روز، علم، ٢٥٧، ٣)
- قيمة الرواية هي في الثقة براويها. (دو، نشأ، ٧٤، ١٧)
- الرواية هي مادة التاريخ والإخبار عمومًا، وليس للرواية بدورها طبيعة تخرجها عن كونها إنباء محضًا، فهي قول دون أن

تكون خطابًا، ولو أن لمحتواها فحوى خطابيًّا. ولكن هذا الفحوى الخطابي شأن لا علاقة له بالرواية كفاعلية محصورة بالراوي وخارجة عن بنى الرواية عينها. ونحن نرى أن حتى ابن خلدون الذي حاول أن يجعل للخبر طبيعة خاصة به، يرد هذه الطبيعة إلى علاقة الراوي بالخبر وسطوة الأول على الثاني: فأسباب كون "الكذب متطرّق للخبر بطبيعته" ترجع للراوي بجملتها وتفصيلها: فالتشيّع للمذاهب والثقة بالناقلين والذهور عن مقاصد الرواة وتوهّم الصدق والجهل بطبائع العمران، كل ذلك من باب الرواية وليس من باب الخبر، مما يجعل استخدام ابن خلدون لتعبير "الطبيعة" بالإشارة إلى الخبر استخدامًا مجازيًّا بحتًا يقوم فيه الخبر كناية عن رواية في وضع يكون فيه الراوي، في الواقع، أصل الخبر ومنتهاه. فلا الخبر وحده له شروط في أصله الطبيعي، ولا لبنى الخبر الداخلية طبيعة خاصة تؤثّر على روايته. فالاعتماد على الرواية - أي الواقعية الأسمائية التي ترى في الصحة محاكاة لواقع فرد والتي ترى في السرد التاريخي بذاته محاكاة لا تختلف عن الإخبار الأصلي الذي تبتنى عليه، دون أن تخدع نفسها بكلام حول التحقّق من الصحة على أسس تخالف الاعتماد على صحة الرواية - يرد قضية الصحة والثقة بأكملها إلى مجال هو ليس سرديًا خطابيًا، ولا هو بطبيعي - يردّها - : إلى الأهواء القاطنة في سيكولوجية المؤرّخ، وإلى عطل في أداة النقل. (عظم، عرف، ٢٣، ١١)

رواية الأحداث

- التأليف التاريخي الشامي كان يمشي في إطار الأنواع التاريخية المعروفة غير أن ثمّة تفاوتًا في الاهتمام بنوع دون آخر أو أكثر من آخر. فبينما نجد التركيز يتّجه في بعض الأقاليم إلى التراجم ومعاجم الشيوخ والحفّاظ نجد المدرسة الشامية تتّجه بالعكس إلى رواية الأحداث. ثمّة ما بين تاريخ عام وخاص وتعليق تاريخي ما يزيد على مائة وخمسة وعشرين مؤلّفًا. (مص، رخ٢، ٢٢٢، ٢٠)

رواية تاريخية

- من الحقائق المهمّة جدًّا هي أن الرواية في الأدب العربي تتمثّل إلى حدّ كبير بالرواية التاريخية. وقد نظر المتعلّمون المسلمون دائمًا إلى الروايات التاريخية والقصص الأخرى، كإنتاج بدائي. والواقع أن هذه الروايات والقصص كانت من حيث العموم هزيلة بالنسبة للمنتوجات الأدبية الإسلامية الجيدة، سواء في أشكالها الفنية أو في المستوى الفكري لمحتوياتها. غير أن مجرّد وجودها وشعبيتها دليل على الشعور التاريخي القوي عند الشعوب الإسلامية. فمن خلال هذه الروايات نفذ التاريخ إلى أعماق قلوب الناس، ومن خلالها تعلّم الأطفال الإسلام كظاهرة تاريخية. فالأمّيون إذا أصغوا إلى القصاصين في

الطرق، استطاعوا أخذ فكرة عن التاريخ الإسلامي، أما القادرون على القراءة وعلى شراء الكتب، فقد كان أكثر ما يقرؤون الروايات والقصص، اللهم إلا القرآن. ولعلّ التاريخ العربي لم يكن أقلّ بروزًا في التعبير عن الاستطلاع الفكري دون وجود أخته المتواضعة، الرواية التاريخية، ولكن كان أقلّ إمكانية من أن يصبح أداة لجعل التاريخ جزءًا من الخبرات الفكرية لكل مسلم. (روز، علم، ٢٥٧، ٤)

رواية تاريخية بمصر

- نرى بوضوح وجود تيّارين في الرواية التاريخية بمصر في ذلك الوقت المبكر: - تيّار الخبر الإسلامي الذي يستعير فترة بعد أخرى الكثير من التراث المصري التاريخي. وقد حمله بعض الصحابة والتابعين، في ما يمكن أن نسمّيه مدرسة الفسطاط وكانت المادة الأساسية له فتوح مصر والمغرب يمازجها الكثير من تاريخ مصر القديم بشكله الأسطوري. - تيار القصص الوعظي الذي يخدم الفكر الديني الإسلامي وإن كان يعتمد على الخرافة والأساطير والملاحم، وقد حمله من عرفوا في التاريخ الأدبي "بالقُصّاص". وفيهم عدد من "المحدّثين" ومن "القضاة"، من التابعين وتابعي التابعين.. والمادة الأساسية لهذا التيّار مستمدّة من القصص الشعبي وأخبار النسك والجان والعجائب والكهانة والأنبياء والسحر والطلاسم الأثرية.. كل ذلك في ثوب إسلامي يتّفق مع تأصيل ومعطيات الدين الجديد. وقد تعاصر ظهور التيارين ثم توازيا في الوجود خلال القرن الهجري الأول ومطلع الثاني، لكن اتّجاه التيّار الثاني القصصي إلى العامة سحب بالتدريج الثقة العلمية منه. (مص، رخ٢، ١٤٤، ٨)

رواية عن السند

- يحتاج المؤرّخ في جمع مادته التاريخية إلى الموارد التي يجمع منها، والمصادر التي ينقل عنها. وتجميع هذه المادة ضروري لتكوين الهيكل التاريخي الذي يبني عليه المؤرّخ أساسه. وقد يكون جمع هذه المواد التاريخية عن طريق الرواية الشفهية، كما كان الشأن عند المؤرّخين الأولين، فيقول المؤرّخ حينئذٍ في رواية أخباره: حدّثنا فلان عن فلان، أو أخبرنا فلان عن فلان. وهذه الطريقة هي المسماة بطريق الرواية عن السند. وقد استعملها الطبري المؤرّخ ولزمها أكثر مؤرّخي العرب والإسلام، وظلّوا عليها زمانًا طويلًا. كما قد يكون جمع المادة التاريخية عن طريق الرواية المكتوبة والخبر المسطور، فينقل مؤرّخ عمّن سبقه من المؤرّخين السابقين في مصنّفاتهم. وهنا قد يلجأ الناقل إلى إحدى طريقتين: إما النقل الكامل للنص التاريخي برمّته. وإما النقل مع تصرّف في اللفظ والعبارة بما لا يخرجها عن مرادها. ويحتاج هذا النقل إلى الأمانة والفطنة، حتى لا يبعد التصرّف النقل عن أصله. وقد يكون الخبر المكتوب مسطورًا في

كتاب، أو منقوشًا على أثر. والنقوش على الآثار تعدّ مصدرًا هامًّا من مصادر التاريخ، أو من مصادر تصحيحنا لبعض الحقائق التاريخية. (حس، عر، ١٥٨، ٩)

رواية واحدة

- في بعض الحالات لا توجد إلا رواية واحدة عن حادث تاريخي معيّن. فعلى الباحث في التاريخ أن يحذر الروايات أو الكتابات التي انفرد بها رأي واحد أو كاتب واحد. وقد فطن علماء الإسلام سواء أكانوا من المحدِّثين أم من رواة الأخبار، إلى خطورة الإعتماد على رواية الآحاد، فجعل العلماء الحديث النبوي الكريم درجات، واشترطوا فيه أن يبلغ عدد المُخبرين مبلغًا يمنع في العادة تواطؤهم على الكذب. وينبغي على الباحث قبل أن ينبذ رواية الواحد أن يحاول العثور على شواهد تؤيّدها. والرواية المفردة، مهما كانت صادقة، يحسن ألا تُعدّ حقيقة نهائية، بل يمكن أن تُستخدم، مع الإعتراف بأنها رواية مفردة، وينبغي الإشارة إلى قائلها أو كاتبها، لأنه هو الذي يتحمّل مسؤوليتها. ويأخذ بعض المؤرّخين أحيانًا رواية وردت في أصل واحد على أنها حقيقة ثابتة، مع أن هذا غير جائز. (عث، بحث، ١٤٤، ٤)

روح

- يُسمّى الهواء الروح والملك الروح والوحي الروح وكلّ لطيف خفيف متعالٍ روحًا، ويقال في الحيوانات أنها ذات أرواح وفلان خفيف الروح وفلان ثقيل الروح إذا كان يخفّ على القلوب أو يثقل، ويقال لكلّ ما ينبت وما يشاهد كالملائكة والجانّ الروحانيّون والأرواح تبقى والأنفس تموت ولا تبقى. (بلخ، بد٢، ١١٤، ٧)
- الروح هو الجزء الذي لا يتجزّأ وهو لا في مكان. (بلخ، بد٢، ١٢١، ١٠)
- كلّ ذي نفس ذو روح وحياة وكلّ ذي روح ذو حياة وليس كلّ ذي حياة ذا روح ونفس، لأنّ الأرض تحيا بالنبات وليست بذات روح، والبهائم حيوانات ذوات أرواح وليست بذوات أنفس فالإنسان له نفس وروح وحياة فتمييزه وعقله وفطنته وفهمه من قبل نفسه وعيشه وبقاؤه ونماؤه من قبل روحه وحسُّه وإدراكه المحسوسات من قبل حياته، فالذي يبطل بموته حياته والنفس والروح ينتقلان عنه إلى أن يأذن الله في البعث والحشر. (بلخ، بد٢، ١٢٩، ٦)

روح النقد عند المؤرّخ

- روح النقد عند المؤرّخ لا تكون سليمة صحيحة إلا إذا تجرّد من كل عاطفة، ونزع إلى الحق، وعاد إليه متى ما وضح له، فلا يمضي على خطئه متى اتّضح له الصواب. (حس، عر، ١١٨، ١٩)

الروذ كيلان

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أَبِيوَرْد بهمنه،

ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٣)

رياح

- الرياح أربع: الصبا والجنوب والشمال والدبور. ويقال الريح واحدة وإنّما يختلف في المهبّ من الجهات. فالصبا هي القبول ومخرجها بين المشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء من مطلق الذراع إلى مطلع سعد الذابح والدبور يقابلها، والجنوب مخرجها ما بين مشرق الشتاء إلى مغرب الشتاء من مطلع سعد الذابح إلى مسقط العقرب، والشمال يقابلها. والمطالع مائة وثمانون والمغارب مائة وثمانون لكلّ مطلع ريح ولكلّ مغرب ريح وكلّها داخلة في هذه الأربع. والريح هي الهواء بعينه فإذا أحدث الله فيه حركة هبّت واضطربت، وكذا يقول أكثر القدماء أنّ الريح سَيَلان الهواء ويزعمون أنّ هبوبها مرور الشمس بالأرض فيرتفع منها البخار، فإذا كان البخار رطبًا كان مادّة الأمطار وإن كان يابسًا كان مادّة الرياح وهذا جائز أن يجعل الله مرور الشمس علّةً لإثارتها إذا شاء كما جعل السحاب سببًا للمطر. (بلخ، بد٢، ٢٩، ٩)

رياسة

- الرياسة أن يكون باب الرئيس مصونًا في وقت الصون، ومفتوحًا في وقت الفتح، وأن يكون مجلسه عامرًا بأفاضل الناس، وخيره واصلًا إلى كل أحد، وإحسانه فائضًا، ووجهه مبسوطًا، وخادمه مؤدّبًا، وحاجبه كريمًا طلقًا، وبوابه لطيفًا، ودرهمه مبذولًا، وطعامه مأكولًا، وجاهه معرضًا، وتذكرته مسودة بالصلات والجوائز والصدقات. (طق، فخر، ٣٢، ١٠)

- الرياسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية ... فلا بدّ في الرياسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحسّت بغلب عصبية الرئيس لهم أقرّوا بالإذعان والاتّباع. والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب إنما هو ملصق لزيق؛ وغاية التعصّب له بالولاء والحلف؛ وذلك لا يوجب له غلبًا عليهم البتّة. وإذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط وتنوسي عهده الأول من الالتصاق، ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم، فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام أو لأحد من سلفه. والرياسة على القوم إنما تكون متناقلة في منبت واحد تعيَّن له الغلب بالعصبية. فالأولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذٍ؛ فكيف تنوقلت عنه، وهو على حال الإلصاق؛ والرياسة لا بدّ وأن تكون موروثة عن مستحقّها لما قلناه من التغلّب بالعصبية. وقد يتشرّف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب إلى

أنساب يلهجون بها، إما لخصوصيَّة فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم، أو ذِكْر كيف اتّفق؛ فينزعون إلى ذلك النسب، ويتورّطون بالدعوى في شعوبه؛ ولا يعلمون ما يوقعون فيه أنفسهم من القدح في رياستهم والطعن في شرفهم. (خلد، قدم، ٤٨٩، ٨)

ريوشار

- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيْوشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ١)

ز

زادويه

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١١)

زكاة

- الصدقة والزكاة لفظان مترادفان. وهي تؤخذ من أغنياء المسلمين وتفرّق في فقرائهم.... وللصدقة ديوان في مركز الخلافة له فروع في سائر الولايات والبلدان. ويستقلّ والي الصدقة في كل بلد بالاستيلاء على أموال الصدقة من أغنياء ذلك البلد وتفريقها على فقرائه. ومصادر الزكاة أربعة: زكاة الماشية وزكاة الذهب والفضة وزكاة الأثمار وزكاة الزروع. (زي، مدن١، ٢٢٢، ١١)

زمان

- الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما. والعرب تقول: أتيتك زمان الصِّرام؛ وزمان الصِّرام يعني به وقت الصِّرام. وكذلك: أتيتك أزمان الحجّاج أمير. ويجمعون الزمان يريدون بذلك أنّ كلّ وقت من أوقات إمارته زمن من الأزمنة. (أث، كمل، ١٣، ١)
- جميع الزمان من أوّله إلى آخره اختلف الناس في ذلك فقال ابن عبّاس من رواية سعيد بن جبير عنه: سبعة آلاف سنة. وقال وهب بن مُنبّه: ستة آلاف سنة. قال أبو جعفر: والصحيح من ذلك ما دلّ على صحته الخبر الذي رواه ابن عمر عن النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: أجَلُكم في أجل من قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس. وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد إلّا أنّهما قالا إنه قال: إلى غروب الشمس، وبدل صلاة العصر: بعد العصر. (أث، كمل، ١٣، ٦)
- (الزمان)، زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم على ما في التوراة من لدن خلق آدم إلى الهجرة أربعة آلاف سنة وستة مئة واثنتان وأربعون سنة. وقالت اليونانيّة من النصارى: إن من خلق آدم إلى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسع مئة واثنتين وتسعين سنة وشهرًا. وزعم قائل إنّ اليهود إنّما نقصوا من السنين دفعًا منهم لنبوّة عيسى، إذ كانت صفته ومبعثه في التوراة، وقالوا: لم يأت الوقت الذي في التوراة أنّ عيسى يكون فيه، فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته. (أث، كمل، ١٤، ٦)
- قالت المجوس: إن قدر مدة الزمان من لدن ملك جُيُومَرْث إلى وقت الهجرة ثلاثة

آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك شيئًا يُعرف فوق جُيُومَرْث ويزعمون أنّه هو آدم. (أث، كمل، ١٤، ١٥)

- فيكون لفظ التأريخ منقولًا عرفيًا كسائر المنقولات الشرعية والعرفية، كالإيمان والصلاة ونحوهما، وكالدابة ونحوها. فإن قلت: فما الفرق بين التأريخ اللغوي والتأريخ الاصطلاحي؟ قلت: الفرق بينهما بالعموم والخصوص فاللغوي أعمّ من التأريخ الاصطلاحي عموم الحيوان من الإنسان. وأما علم التأريخ، فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته. ثم الزمان في اللغة هو الوقت، والوقت معروف عند القوم، والميقات أعمّ من الوقت. يُقال للوقت المضروب للفعل، كوقت الحجّ والصلاة ونحوهما: ميقات، كما يقال: ميقات للموضع المعيّن لأمر من الأمور، تقول: ميقات أهل الشام هو الموضع الذي يحرمون منه، وهو الجحفة، كما تقول: ميقات أهل اليمن يلملم، وميقات أهل العراق ذات عرق، وهكذا سائر المواقيت. وتقول: وقته فلان، إذا بيّن للفعل وقتًا يُفْعل فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣)، أي مفروضًا في الأوقات. والتوقيت هو تحديد الأوقات، تقول: وقته ليوم كذا، مثل أجلته، وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ (المرسلات: ١١) و﴿أُقِتَتۡ﴾ مخففة، وأقتت لغة - أيضًا - مثل: وجوه وأجوه. وأما الموقت فهو مفعل من الوقت، قال العجاج: "والجامعُ الناسِ ليومِ المَوْقِتِ" والزمان في العرف هو مقدارَ الحركة على الرأي المشهور، وهو الذي يحتاج إلى معرفته أهل التأريخ، وقيل: الزمان في العرف هو أمر متجدّد يتقدّر به متجدّد آخر. (كاف، مخ، ٥٥، ١٣)

- ليس التغيّر من فعل الزمان، إذن، بل التغيّر مصاحب للزمان، يحدث عندما يحدثه أحدهم بصورة لا تجد معقوليتها في الزمان أو توالي الأمور، بل بصورة لامعقولية لها إلا حدثيتها. الزمان انسياب أخرس لا يفصح عن تحوّل، بل إن هذا التحوّل يفصح عن نفسه بموازاة الزمان وبالتزامن مع واحدة في لحظاته، دون أن تخرج العلاقة عن طور الاتّفاق ودون أن تلم الزمانية بالتاريخية، وحتى دون أن يكون للزمانية أي معنى يزيد على التعيين الصرف للوقت، على التأريخ المحض. (عظم، عرف، ٩٥، ١٧)

- الزمان حيّز تتال هو بمثابة المجاورة التي تطلق عليها الصفة الإسمية الزمانية، وهو صلة في إطار لوحة التاريخ التي تترتّب فيها الحوادث بعلاقة متاخمة لا حركة فيها بين عناصرها، بل اصطفاف ينظّم الزمان أطره وإحداثياته. فالبداية لا تضفي إلى النهاية بفعل لها يحمله الزمان وهي ليست إلا بداية إسمية في إطار يؤول إلى الانضواء في موضع معيّن من استمرارية مكانية يحدّها اسمها (سنة في تقويم مُلك مَلِك في دولة، بطن في شعب)، المحدّد

الأوحد لعلاقة التالي بالبادئ. ليس هناك استمرارية ضرورية وتوليدية بينهما، فإن زمانية الحدث ليس اعتبار صدوره، بل تعيين موقعه. لذلك فإن أصل الأشياء عندما يتعدّى تجريد التقويم أو تسلسل الدولة، يبدو وكأنه أمر جرى بناؤه ليستطيع استيعاب الحاضر: فليس من سبيل آخر لفهم الأخبار حول أصول الشعوب ورجوعها لآباء ترجع بدورها إلى سام وحام ويافث، ثم إلى نوح ومنه إلى آدم، تلك الأخبار التي تفترض كلها دون استثناء حدثًا معيّنًا نتج على أثره الحاضر، كالبلبلة التي فرّقت البشر على أساس ألسنتهم، وتفرّق شعوب اليمن وتفريق ملك الصين الأول أولاده في أرض الصين، أو تقسيم نزار بن معد بن عدنان ماله بين أولاده أياد ومضر وربيعة وإنما بحيث صار لكل منهم ما آل لذريته أيام الكلبي الذي روى الخبر. مما ينمّ عن أن الأصل لا يختلف في بناه عن الحاضر - فقد كان لذرية أياد وغيره ما كان لأياد دون تغيير - ولا يفعل سوى أن يردّد الحاضر في ماض مخترَع: الحاضر نموذج الماضي، والآن نموذج التتالي الزماني غير المترابط. فتفريق ما كان لنزار على ولده، وهو فعل يستغرق آنًا وليس زمانًا، يترادف مع تفرّق ولد نزار الجاري في الزمان. وعدم إحكام الاختلاف بين التفريق والتفرّق عدم إحكام لذلك الإختلاف والتميّز القائمين بين اللحظة والاستمرار، بين الآن والزمان. يصبح الاستمرار، وتصبح الزمانية، استمرارًا لإسم يطلق على مسمّيات منقطعة عن بعضها البعض. (عظم، عرف، ١٠٧، ٢٢)

- فإذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث، وكانت الحوادث هي التغيّرات، والتغيّرات وليدة الزمان أو سير الزمان انتهينا إلى أن التاريخ هو الزمان. ويكون ميدان اهتمام المؤرّخ على هذا هو دراسة كل تغيّر طرأ على الكون والأرض وكان له تأثير على حياة البشر. ثم دراسة كل تغيّر طرأ على حياة البشر أنفسهم، مهما كان هذا التغيّر صغيرًا أو غير ظاهر الأهمية. فالحقيقة أنه لا توجد حوادث صغيرة وأخرى كبيرة، لأن الحوادث الكبيرة إنما هي تجمع حوادث صغيرة بعضها إلى بعض في نطاق مكاني وزماني ضيّق. (علف، فت، ٥٢، ٣٠)

زمان موسى

- قيل في زمان موسى صار طوفان ثالث في تاساليا. وأنونيوس الحكيم أوجد علم السيميا. وخيرون اخترع الطب. ومايندروس استنبط نوعًا من الشعر يسمّى قوموذيا وفيه يذكر الرذائل والأهاجي والقبائح المشتركة بين الناس والبهائم. واستنبط آخر نوعًا آخر من الشعر يسمّى طراغوذيا وفيه يذكر الفضائل والمدائح والمراثي المشتركة بين الناس والملائكة. وزعم المعنيون بتعريف طبقات الأمم أنه كان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب علوم الفلسفة من الرياضية والطبيعية

والإلهية وخاصة بعلم الكيمياء والطلسمات والنيرنجيات والمراءي المحرقة. وتصديق ذلك قول الله في التوراة عن موسى أنه حذق جميع حكم المصريين. وكانت دار الملك والعلم بمصر في قديم الدهر مدينة منف. (عب، خصر، ٢٠، ٣)

زمانية الحدث

- الزمان حيّز تتال هو بمثابة المجاورة التي تطلق عليها الصفة الإسمية الزمانية، وهو صلة في إطار لوحة التاريخ التي تترتّب فيها الحوادث بعلاقة متاخمة لا حركة فيها بين عناصرها، بل اصطفاف ينظّم الزمان أطره وإحداثياته. فالبداية لا تضفي إلى النهاية بفعل لها يحمله الزمان وهي ليست إلا بداية إسمية في إطار يؤول إلى الانضواء في موضع معيّن من استمرارية مكانية يحدّها اسمها (سنة في تقويم مُلك مَلِك في دولة، بطن في شعب)، المحدّد الأوحد لعلاقة التالي بالبادئ. ليس هناك استمرارية ضرورية وتوليدية بينهما، فإن زمانية الحدث ليس اعتبار صدوره، بل تعيين موقعه. لذلك فإن أصل الأشياء عندما يتعدّى تجريد التقويم أو تسلسل الدولة، يبدو وكأنه أمر جرى بناؤه ليستطيع استيعاب الحاضر: فليس من سبيل آخر لفهم الأخبار حول أصول الشعوب ورجوعها لآباء ترجع بدورها إلى سام وحام ويافث، ثم إلى نوح ومنه إلى آدم، تلك الأخبار التي تفترض كلها دون استثناء حدثًا معيّنًا نتج على أثره الحاضر، كالبلبلة التي فرّقت البشر على أساس ألسنتهم، وتفرّق شعوب اليمن وتفريق ملك الصين الأول أولاده في أرض الصين، أو تقسيم نزار بن معد بن عدنان ماله بين أولاده أياد ومضر وربيعة وإنما بحيث صار لكل منهم ما آل لذريته أيام الكلبي الذي روى الخبر. مما ينمّ عن أن الأصل لا يختلف في بناه عن الحاضر - فقد كان لذرية أياد وغيره ما كان لأياد دون تغيير - ولا يفعل سوى أن يردّد الحاضر في ماض مخترَع: الحاضر نموذج الماضي، والآن نموذج التتالي الزماني غير المترابط. فتفريق ما كان لنزار على ولده، وهو فعل يستغرق آنًا وليس زمانًا، يترادف مع تفرّق ولد نزار الجاري في الزمان. وعدم إحكام الاختلاف بين التفريق والتفرّق عدم إحكام لذلك الإختلاف والتميّز القائمين بين اللحظة والاستمرار، بين الآن والزمان. يصبح الاستمرار، وتصبح الزمانية، استمرارًا لإسم يطلق على مسمّيات منقطعة عن بعضها البعض. (عظم، عرف، ١٠٨، ٥)

زمن تاريخي

- الديمومة هي المقولة الأولى في الزمن التاريخي أما الثانية فهي التغيّر المستمرّ. وإذا كان كل كائن حي في تجدّد دائم فالإنسان هو الوحيد في الكائنات، الذي يشعر بذلك التغيّر ويسجّله ويعطي الحياة البشرية بذلك وحدتها ما بين الأمس والغد. أما المقولة الثالثة في الزمن

التاريخي فهي التنوّع، تنوّع الأفعال وردود الأفعال. الحياة الإنسانية لا تتغيّر فقط ولكن تخصب باستمرار. تزداد غنى وتنوّعًا وتعقدًّا وتركيبًا بالتأثير والتأثير المرتدّ، وتنامي المعرفة، وتشعّب الفكر والعمل. مجموع هذه المقولات الثلاث المميّزة للزمن التاريخي هي ما يمكن أن نسمّيه بحس الماضي أو الحس التاريخي. (علف، فت، ١٨٢، ٢٢)

س

سالب

- الواجب في العقل بنفس العقل استدلاله كعلمنا بأنّ البناء يقتضي بانيًا والكتابة يقتضي كاتبًا ولا بدّ لكلّ صنعة من صانع وأن الواحد والواحد اثنان وأن الشيخ كان شبابًا والصغير كان رضيعًا وما أشبه ذلك، والسالب الممتنع المستحيل في العقل بنفس العقل واستدلاله وهو أن يوجد كتاب بغير كاتب وصنعة من غير صانع فإنّ هذا لا يوجبه العقل ولا يتصوّره الوَهم ولا يستقرّ عليه الطبع. والممكن الجائز الموهوم في العقل بنفس العقل كما حكى عن القرون السالفة والبلدان النائية وما يذكر أنه سيكون بعد، فإنّ ذلك ممّا يجوز في العقل أنّه كذلك ويجوز أنه ليس كذلك لأنّه لا يدلّ خاطر على تحقيق شيء من ذلك إلّا ويجوز أن يدلّ خاطر على إبطاله لدخوله في حدّ الجواز والإمكان، فلما تكافأت الأدلّة به قصر على حدّ الوقوف فلا شيء إلّا وهو معقول معلوم أو معروف أو موهوم أو محسوس. (بلخ، بد١، ٢٨، ١٦)

سام بن نوح

- سام بن نوح عليه السلام. وأما سام بن نوح فسكن وسط الأرض الحرم وما حوله واليمن إلى حضرموت إلى عمان إلى البحرين إلى عالج ويبرين ووبار والدو والدهناء. فمن ولده ارم بن سام وأرفخشد بن سام، فمن ولد أرفخشد قحطان بن عامر ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وابنه يعرب بن قحطان أول من تكلّم بالعربية ونزل أرض اليمن، فهو أبو اليمن كلهم وهو أول من حيّاه ولده بتحية الملك (أنعم صباحًا، وأبيت اللعن). ومن ولد أرفخشد يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، ويقطن هو أبو جرهم بن يقطن، وجرهم هو ابن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلّم بالعربية ثم نزلوا مكّة فكانوا بها وقطورا بنو عم لهم، ثم أسكنها الله عزّ وجلّ إسماعيل عليه السلام فنكح في جرهم فهم أخوال ولده ومن ولد إرم بن سام بن نوح عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا ينزلون الأحقاف من الرمل. فأرسل الله إليهم أخاهم هودًا. ومن ولد إرم بن سام بن نوح ثمود بن عامر ويقال ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو ابن عم عاد وكانوا ينزلون الحجر فأرسل الله إليهم أخاهم صالحًا عليه السلام. ومن ولد إرم بن سام بن نوح طسم وجديس ابنا لاود بن إرم بن سام بن نوح ونزلوا اليمامة، وأخوهما عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح نزل بعضهم بالحرم وبعضهم الشام. فمنهم العماليق أمم تفرّقوا في البلاد ومنهم فراعنة مصر

والجبابرة ومنهم ملوك فارس وأهل خراسان وأخوهم أميم بن لاود بن إرم ابن سام بن نوح نزل أرض فارس. فأجناس الفرس كلهم من ولده ومن ولد سام ماش بن إرم بن سام بن نوح نزل بابل فولد نمروذ بن ماش، وهو الذي بنى الصرح ببابل وملك خمسمائة سنة. وفي زمانه فرّق الله عزّ وجلّ الألسنة فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانًا وفي ولد حام سبعة عشر لسانًا وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانًا. (قتي، خبط، ١٣، ٦)

سامع

- إذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب. وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرًا ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثّر عنهم كما نقله المسعودي عن الإسكندر لما صدَّته دواب البحر عن بناء الإسكندرية، وكيف اتّخذ صندوق الزجاج وغاص فيه إلى قعر البحر حتى صوّر تلك الدوابّ الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرَّت تلك الدوابّ حين خرجت وعاينتها. (رس، مصط، ٨٤، ١٦)

ساميون

- الساميون الذين استوطنوا ما بين دجلة والبحر المتوسط والبحر الأحمر فقد كانت لغاتهم تقارب لغات الأقوام المتقدّم ذكرها (الآرية) ولذلك يظنّ أنهم كانوا جميعًا من أصل واحد. والذي في التوراة أن العرب واليهود والسوريين والفينيقيين من نسل إبراهيم. وأن فريقًا من الساميين رحلوا عن بلادهم واستوطنوا شرق أفريقيا إلى مضيق جبل طارق وبقي عندهم دون سواهم الاعتقاد بالإله الواحد. (مط، مرأ، ٨، ٤)

سببية تاريخية

- نصل أخيرًا في مجال بحث السببية التاريخية إلى مشكلة هامة تقطع الطريق على الأسباب المعقولة هي مشكلة الاحتمال والصدفة. المؤرّخون يلاحظون أحيانًا أن ثمّة أمورًا وحوادث في التاريخ تتأبّى على "المعقولية". وتسير في ما وراء السببية التي نفهم ونصطنع.. فكأن المعقولية ليست وحدها التي تحكم قوانين التاريخ ومسيرته... بلى! ثمّة في حدود ما نعرف من أحداثه وعوامله عنصر من العبث absurd واللامعقول ليس له أي معنى ولا أي تفسير أو غاية، ولكنه مع ذلك واقع تاريخي قائم. (علف، فت، ٢٠٣، ٧)

سببية في التاريخ

- قضية السببية في التاريخ: فهي الوجه الآخر التقليدي لعملية "تعقيل" التاريخ وربطه المنطقي سببًا بحدث، وواقعة بأخرى. وعملية التأريخ العملية ليست في الواقع شيئًا آخر سوى تفسير المجهول بالمعلوم وتعليل الحدث بما يوازيه من

الأسباب وبما يمكن أن يكون منطقيًا دافعًا من دوافعه وعنصرًا من مكوّناته. وهي كشف النسيج الذي يكون ماضي الإنسان في دوافعه وروابطه. (علف، فت، ٢٠١، ٥)

- السببية في التاريخ هي في الواقع محاولة الكشف لا عن "السبب" ولكن عن تلك المجموعة المركّبة من الأسباب والعوامل الكامنة في كل حدث. وقد دخل مفهوم السببية في السرد التاريخي بشكل أصبحت كتابة التاريخ بدونه مجرّد فهرسة أو تخطيط زمني للسنين. ارتبطت في الواقع، علمية التاريخ إلى حدّ كبير بهذه المحاولة الفكرية لتلمّس الأسباب. ومع أن المؤرّخين قد حقّقوا - فيما يبدو - جانبًا من النجاح في هذا الميدان فإنه من الواجب أن نعترف أن مشكلة السبب التاريخي ما زالت في جوهرها دون حلّ. وأهم مشاكلها ليس الغموض فحسب وتركيز بعض المؤرّخين على أسباب دون أخرى ولكن أيضًا تحديد الفترة الزمنية التي يجب أن نفتّش فيها عن الأسباب والبنى المتشابكة للأحداث اللاحقة ثم معرفة العوامل الثابتة والمتحوّلة في كل حدث: عددًا ونوعًا وأثرًا. مع الأخذ بعين الاعتبار أن بحث العلل الأولى هو مشكلة غيبية تخرجنا من ميدان التاريخ إلى رحاب الميتافيزيك. وإذا كانت عملية التأريخ مرتبطة بخطّين من الأعمال: كيف حدث؟ (الوصف) ولماذا حدث؟ (التعليل) فقد يكون الجواب على (كيف؟) حتى بالشكل الدقيق المنطقي أسهل بكثير من الجواب على الـ (لماذا؟) التعليلية. وإذا كانت (كيف؟) قد تجرّ إلى السؤال عن أي الطرق وبأي الوسائل وضمن أي الظروف من اجتماعية أو طبيعية أو دينية أو نفسية، تمّ ذلك الحادث المركّب الذي تحقّق في وقت ما وفي مكان ما من التاريخ فإن مشكلة الـ (لماذا؟) ترتبط بعملية غوص بعيدة الأغوار عن العوامل السيكولوجية والاقتصادية والجغرافية والمناخية والفكرية والاجتماعية التي أثّرت في تكوينه وإخراجه على الشكل الذي خرج فيه. (علف، فت، ٢٠٢، ١٧)

سبت

- (الأحد) هو أول الأيام وفي "شرح المهذب" ما يقتضي أنه أول الأسبوع. وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى ابن عباس قال: أول ما خلق الله الأحد فسمّاه الأحد وكانت العرب يسمّونه الأول، وقال متأخرو أصحابنا: الصواب أن أول الأسبوع السبت وهو الذي في الشرح والروضة والمنهاج لحديث مسلم: خلق الله التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الإثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء وبثّ فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة. وقال ابن إسحاق: قول أهل التوراة ابتدا الله الخلق يوم الأحد. ويقول أهل الإنجيل يوم الإثنين ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت. وروى

ابن جرير عن السدى عن شيوخه: ابتدأ الله الخلق يوم الأحد واختاره ومال إليه طائفة، قال ابن كثير وهو أشبه بلفظ الأحد ولهذا أكمل الخلق يوم الجمعة فاتّخذه المسلمون عيدهم، وهو اليوم الذي ضلّ عنه أهل الكتاب. (سي، شم، ١٦، ١)

سجع

- نجحت الكتابات التأريخية من حيث العموم في الوقوف بوجه هوس السجع الذي أضرّ بالآداب الإسلامية أكثر مما نفعها. وقد ساهم في خلق هذا الوضع الطيّب عدّة عوامل، منها: أن التأريخ لم يكن أبدًا فرعًا من الآداب، بل كان محاولة علمية من عدّة نواح، وبذلك استطاع مقاومة الأساليب الأدبية. إنه يهتمّ بمسالك واضحة وملاحظات للحياة اليومية جلبت تعبيرًا لغويًا، صورته واضحة معتمدة على الحقائق. وكان المؤرّخ ملزمًا بذكر النصوص التي ينقلها عن مصادره حرفيًّا، ويتجنّب أية محاولة للتصرّف بها، مما أدّى إلى أن يكتب تأريخ الماضي عادة بأسلوب المؤلّفين الأولين الرصين. ومن الطبيعي أن يلتزم السجع في مقدّمة التواريخ، كما استخدم كوسيلة لتجنّب العرض الواضح للمادة، وخاصة عندما تتدخّل عواطف الكاتب في الموضوع. (روز، علم، ٢٤١، ٥)

- إن السجع سيطر على الكتابة التأريخية خلال تراجم الإطراء التي دوّنها الموظفون لأسيادهم. ففي هذه الكتب شعروا أن من واجبهم استخدام مواهبهم في أساليب السجع التي كانت شائعة عند كتّاب الديوان. وفي بداية الأمر كانت مهارة الكتاب وفنونهم الأدبية وفهمهم العميق لخصائص اللغة العربية قد جعلت كتبهم روائع، عوّضت روعة أسلوبها عن المصاعب التي يواجهها القارئ لفهم معانيها. غير أن المهارة والفن والقدرة اللغوية هي مواهب نادرة خاصة في الكتب الفارسية والتركية المتأخرّة. (روز، علم، ٢٤٢، ١١)

سحر تاريخي

- الانجذاب إلى الماضي الذي يحوّل النظر والاهتمام عن الحاضر والمستقبل، والانحصار التام في دائرة معيّنة من الماضي. ... من آثار هذا السحر التاريخي ... الإكتفاء بالماضي وعدم الرغبة في تخطّيه. ويظهر هذا الاكتفاء إما بصورة انفعالية أو بصورة فعلية. ونعني بالصورة الانفعالية استمرار الفرد أو الأمة، بفعل رسوبات الماضي وآثاره المتراكمة، في النظر إلى الحاضر والمستقبل بأفكار الماضي وسننه وأشكاله ودوافعه، دون التنبّه إلى اختلاف الظروف وتبدّل الأحوال. فكأن الفرد يعيش ظاهرًا في جيل، وباطنًا في جيل آخر: يأكل ويلبس ويتنقّل ويعمل في عصر الكهرباء، ويفكّر ويتصرّف ويندفع إلى هنا وهناك بفعل قوى أجيال سابقة مختزنة فيه. أو يحدث أحيانًا أن تكون حياته الداخلية موزّعة منقسمة

على ذاتها، فيفكّر تفكير معاصرًا ويعمل عملًا حديثًا في جوانب من شخصيته، ويخضع لدوافع الماضي السحيق واتّجاهاته في جوانب أخرى. ولكم نرى بين المتعلّمين وحملة الشهادات العليا، من يتّقنون فنًّا من الفنون أو اختصاصًا من الاختصاصات الدقيقة، ولكنهم يتصرّفون أحيانًا تصرّفًا لا ينسجم ومقتضيات العصر، بفعل رسوبات متراكمة في نفوسهم وبواعث عميقة في أفئدتهم لم يتحرّروا منها، لأن الماضي قابض على نواصيهم، فهم راضون به مستكينون إليه أو واجدون مصلحتهم في بقائه واستمراره. ... أما الصورة الفعلية لهذا الاكتفاء التاريخي الذي نتحدّث عنه - وليس ثمّة حدود فاصلة بين الانفعال والفعل في هذا الاتجاه العقلي والنفسي - فتتجلّى عند أولئك الذين يرتضون الماضي وينعمون به إلى الحدّ الذي يحدّوهم إلى محاولة إعادته كما كان وتطبيق نظمه وسننه ومفاهيمه في الحياة الحاضرة. وهي محاولة مخفقة حتمًا، لأن العقل الإنساني في تطوّر مستمرّ، وأشكال الحياة ونظمها التي تبتدع في عصر ما وفي درجة معيّنة من درجات التطوّر لا تصلح للدرجات التالية، والسعي لفرضها فرضًا مصطنعًا لا بدّ من أن يظهر عجزه واستحالته إزاء قوى الحياة المندفعة. ولئن نجح آنًا أو في حدود معيّنة، فإنه سينكفئ ويتراجع وسيضطرّ آخر الأمر إلى مجاراة سنن التطوّر. هذا ما دلّت عليه اختبارات الأمم جميعًا وتواريخها المختلفة. (زري، نحن، ٢١٢، ١٣)

- بعض آثار السحر التاريخي عندما يكون متسلّطًا كل التسلّط، آخذًا بتلابيب النفس.

... هي الانشغال عن الحاضر، والنظر الضيّق إلى التاريخ ذاته، والاكتفاء به ومحاولة استرجاعه، بل يتخلّلها ويدعمها في أحيان كثيرة، أثر آخر ... وهو نزوع الفرد أو المجتمع إلى توهّم تاريخه، أو تخيّله، أو تصوّره، بدلًا من السعي إلى إدراكه على حقيقته. والتوهّم والتخيّل والتصوّر أسهل وأيسر وأحبّ لأكثر النفوس من السعي الجاد الذي يتطلّب جهدًا ومشقّة، والذي قد يؤدّي إلى بعض الحقائق التي لا تستسيغها هذه النفوس. (زري، نحن، ٢١٥، ٩)

سدانة

- السدانة: وهي الحجابة وصاحبها يحجب الكعبة وبيده مفتاحها. يفتح بابها للناس ويقفله، ولها المقام الأول عندهم. ومثل هذا المنصب قديم عند اليهود فقد كان عندهم كاهن خاص لحراسة الهيكل يسمّونه حافظ الباب. وقد جعل صاحب "العقد الفريد" السدانة والحجابة منصبين. (زي، مدن١، ٣٧، ٣٢)

سدانة الكعبة

- كانت سدانة الكعبة تستلزم السيادة على مكّة. فجمع قصي أهله من قريش في مكّة، وحولها فملكوه عليهم. فقسّم مكّة

أرباعًا بينهم. فبنوا المساكن وعمرت بهم وأصبح هو سيّدهم في كل شيء. وخلفه بعده ابنه عبد مناف. وكان في جملة أولاد عبد مناف ولدان: هاشم، وعبد شمس. فلما دنت وفاة عبد مناف أوصى بالسدانة لهما ثم انفرد بها هاشم. وكان لعبد شمس ابن اسمه أمية (جد بني أمية) حسد عمه على الرئاسة، فآل ذلك إلى المنافرة. فكره هاشم أن ينافر ابن أخيه فلم تتركه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكّة عشرين سنة. فرضي أمية وجعلا الكاهن الخزاعي حكمًا بينهما. فاستفتياه فقضى لهاشم بالغلبة فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها وغاب أمية عن مكّة بالشام عشرين سنة على حسب الشرط. وكانت تلك أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارثها أعقابهما إلى أيام الإسلام. وتولّى الكعبة بعد هاشم ابنه عبد المطّلب جد النبي صاحب الشريعة الإسلامية.
(زي، مدن١، ٣٤، ١٢)

سدنة

- كان لليهود تأثير عظيم على عرب الحجاز من حيث الآداب الدينية وطقوسها، فاقتبس العرب منهم أمورًا كثيرة كانوا يجهلونها، كالحجّ والذبائح والزواج والطلاق والكهانة والاحتفال بالأعياد ونحوها. وعلّموهم بعض أقاصيص التوراة وفصولًا من التلمود، ونشروا بينهم كثيرًا من تقاليدهم وعاداتهم. وقد يكون بعض تلك الآداب أو الطقوس متسلسلًا إليهم مما كان عند أسلافهم في الجاهلية الأولى، فضلًا عمّن هاجر إلى الحجاز من أهل اليمن وغيرهم من الأمم التي كانت تحيط بجزيرة العرب: كالكلدان والمصريين والأحباش وغيرهم، فأصبح أهل الحجاز بعد ذلك الاختلاط فئتين: أهل البادية الباقين على الفطرة وهم العرب الرحل. وأهل المدن المقيمين في مكّة والطائف والمدينة وهم الحضر وكانت مكّة أشهر مدن الحجاز لاتّخاذها محجًّا يؤمّه الناس من أقاصي البلاد لزيارة الكعبة. فأصبحت بتوالي الأجيال مركزًا للتجارة لمن يتوافد إليها من الحجاج في المواسم كل عام. فطمحت إليها أنظار أهل السلطة من القبائل القوية. وكانت في أوائل أزمانها في حوزة الحجازيين بني إسماعيل وهم سدنة الكعبة أي حجابها. ثم نزح إليها بنو خزاعة من اليمن بعد سيل العرم نحو القرن الثاني للميلاد وتسلّطوا عليها، وغلبوا الحجازيين عليها بما تعوّدوه من السيادة في عهد دولتهم باليمن. وكان الإسماعيليون (أو العدنانيون) يؤمئذٍ ضعافًا لا يقوون عليهم، ولكن ناموس الاجتماع قضى عليهم كما قضى على سواهم فدارت الدائرة بعد عدّة أجيال على بني خزاعة وضعف أمرهم، وقوي أمر العدنانية. فتفرّع منهم كنانة وتشعّب من كنانة قريش.
(زي، مدن١، ٣٣، ١١)

سر التاريخ

- فكرة البحث عن قواعد وقوانين تُسيِّر التاريخ العام ما زالت مع ذلك تراود ذهن

المؤرّخ الطموح الذي لا زال يأمل في الوصول إلى سرّ التاريخ. (علف، فت، ١٠١، ٣٣)

سرنديب

- سرنديب ثمانون فرسخًا في ثمانين فرسخًا وبها الجبل الذي هبط عليه آدم صلّى الله عليه وهو جبل ذاهب في السماء يراه من في مراكب البحر من مسيرة أيّام. فذكرت البراهمة وهم عُبّاد الهند أن على هذا الجبل أثر قدم آدم صلّى الله عليه مغموس في الحجر وهو نحو من سبعين ذراعًا قدم واحدة وأن على هذا الجبل شبيهًا بالبرق أبدًا وأن آدم صلّى الله عليه وسلّم خطا الخطوة الأخرى في البحر وهو منه على مسيرة يومين أو ثلثة، وعلى هذا الجبل وحوله الياقوت ألوانه كلّها والأشباه كلّها، وفي واديه الماس وعلى الجبل العود والفلفل والعطر والأفواه ودابّة المسك ودابّة الزباد، وبسرنديب النارجيل وأرضها السنباذج الذي يعالج به الجوهر وفي أنهارها البلّور وحولها في البحر غوص اللؤلؤ. (خرد، مسلك، ٦٤، ٧)

سريانية

- السريانية وبها كلّم الله آدم وتنقسم إلى ثلاث لغات أفصحها الآرامية وهي لغة أهل الرها وحرّان والشام الخارجة. وبعدها الفلسطينية وهي لغة أهل دمشق وجبل لبنان وباقي الشام الداخلة. وأسمجها الكلدانية النبطية وهي لغة أهل جبال تور وسواد العراق. ويعقوب الرهاوي يقول: إن اللغة لم تزل عبرية إلى أن تبلبلت الألسن ببابل. (عب، خصر، ١١، ٧)

سريّة

- تطلق الغزوة على الجيش الذي قاده الرسول بنفسه لمقابلة عدو، سواء حصل قتال أو لم يحصل، أما السريّة فتطلق على الجيش الذي وكّل الرسول عنه نائبًا لرياسته. وهذا اصطلاح غالب، فقد تطلق كلمة "غزوة" على ما هو في الحقيقة سرية، كغزوة مؤتة. (شل، سلم، ٢٩٤، ٣)

سعادة

- أصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو أفضل وأشرف، فكيف وإن لذّة العلم أعظم اللذّات، كما أن ألم الجهل أشدّ الآلام. (كاف، مخ، ١١٢، ٥)

سفارة

- السفارة: هي أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب، وأرادوا المخابرة بشأن الصلح بعثوا سفيرًا. وإن نافرهم حي لمفاخرة جعلوا السفير منافرًا ورضوا به. وكان آخر سفراء قريش في الجاهلية عمر بن الخطاب قبل أن يسلم. (زي، مدن١، ٣٩، ٧)

سفينة

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٥، ١)

سقاية

- السقاية: وصاحبها يتولّى سقاء الحجاج لقلّة الماء في مكّة فينشئ حياضًا من الجلد، توضع في فناء الكعبة تنقل إليها المياه العذبة من الآبار على الإبل في المزاود والقرب. وما زال ذلك شأنهم حتى حفرت زمزم. وكانت السقاية في بني هاشم. (زي، مدن١، ٣٨، ٤)
- السقاية: كان الماء عزيزًا بمكّة بعد ردم بئر زمزم (أعاد عبد المطلب حفرها فيما بعد ...) فكان من يلي أمر السقاية يحضر الماء من آبار بعيدة ويضعه في حياض ويحليه بشيء من التمر والزبيب ويعدّه ليشرب منه الحجاج. (شل، سلم، ١١٨، ١٤)

سكان مصر

- لم يأت أول سكان مصر من الغرب هابطين إليها مع النيل كما كان يظنّ سابقًا ولكنهم أتوا من الشمال مارّين ببوغاز السويس. وكانوا من الجيل الذي تسمّيه التوراة بنسل حام، وكان العرب يدعونهم بالحمر بسبب لون جلودهم والظاهر أنهم هم الذين عرفوا باسم الكوشيين وكانوا أول المستوطنين لشواطئ البحر الهندي بطوله وشواطئ خليج العجم والبحر الأحمر. والمحقّقون على أنهم كانوا أهل ولايات صغيرة إلى أن قام بينهم زعيمهم الشهير مينس فساد على جميع الوادي من البحر إلى شلالات سيان أو أصوان وأصبح رأس السلالة الملكية الأولى قبل

الميلاد بخمسة آلاف سنة. (مط، مرأ، ٣٤، ٤)

سكة

- ملوك الأطراف مثل ملوك الشام ومصر وصاحب الموصل، يحملون إليهم - (إلى الخلفاء العباسيين) - في كل سنة شيئًا، على سبيل الهدية والمصانعة، ويطلبون منهم تقليدًا بولاية بلادهم، بحيث يتسلّطون بذلك على رعيتهم، ويوجبون عليهم طاعتهم، بذلك السبب، ولعلّ الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك الأطراف عن هداياهم بما يناسبها، أو يفضل عنها، كل ذلك لحفظ الناموس الظاهر، وليكون لهم في البلاد والأطراف، السكّة والخطبة، حتى صار يضرب مثلًا لمن له ظاهر الأمر وليس له من باطنه شيء، أن يقال: قنع فلان من الأمر الفلاني بالسكة والخطبة، يعني قنع منه بالاسم دون الحقيقة، فهذه جمل من أحوال الدولة العباسية. (طق، فخر، ٢٠، ٢٤)
- السِّكَّة وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عددًا، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنًا. ولفظ السِّكَّة كان اسمًا للطابع، وهي الحديدة المتَّخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه، وهي الوظيفة، فصار علمًا عليها في عرف الدول. (خلد، قدم، ٧٠٠، ١٦)
- السّكة، وهي الختم على الدنانير والدراهم بطابع حديد، ينقش فيه صورًا أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها عليها، فيخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة؛ بعد اعتبار عيار النقد في خلوصه بالسبك مرة بعد مرة أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين، يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عددًا، وإن لم يقدّر أشخاصها بالتعامل يكون وزنًا. (أزر، بدع٢، ٧٢٨، ١)

سكة ونقود

- السكة والنقود، ومن شارات الخلافة - أو هي شارات الملك على الإطلاق - الختم على النقود بطابع من حديد ينقش فيه إسم الخليفة أو السلطان ويقال لها السكة. وهي لازمة للدولة. (زي، مدن١، ١٤٠، ١٥)

سلاجقة

- السلاجقة فرع من أمة تتارية عظيمة كانت في سنة ٦٠٦ م نازلة في جنوبي بحيرة بيقال وكان إسمها هوي هو، ويقال إن الهون خرجوا منها. وكانت خاضعة

للصينيين ثم خرجت عن حكمهم في القرن التاسع وضربت في البلاد حتى أدركت بحر قزبين فاستقرّت في البلاد الواقعة على الجانب الشمالي منه. وكان رأسها سلجوق وكان قائدًا لبيغو خان ملك الترك ثم فرّ منه راحلًا بقومه إلى دار الإسلام فنزلوا في نواحي جند وراء بخاري في القرن العاشر وهناك أسلم ومن معه وتوفي بعد ذلك. وفي سنة ١٠٣٧م تمكّن حفيده طغرل بك من الإمارة وتلقّب سلطانًا وفتح خراسان ومحا دولة بني بويه ودخل بغداد في خلافة القائم بأمر الله وتولّى الأمر فيها وجعل الخليفة إسمًا بلا فعل (١٠٥٥م) ولما توفي طغرل بك في سنة ١٠٦٣م كانت مملكته ممتدّة من السند إلى الفرات. (مط، مرأ، ٣٤٨، ١٥)

سلسلة

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٥، ٤)

سلطان

- سلطان يخافه الرعية خير من سلطان يخافها. قال أنوشران: عندي لمن عرض دمه سفكه، ولمن جاوز حدّه تقويمه؛ ولمن تعدى طوره قمعه. قال بعض الحكماء: أمران جليلان لا يصلح أحدهما إلا بالتفرّد والاستبداد، ولا يصلح الآخر إلا بالاشتراك. فأما الذي لا يصلح إلا بالانفراد فالمُلك، متى وقع فيه الاشتراك فسد، وأما الذي لا يصلح إلا بالاشتراك فالرأي متى وقع فيه الإشتراك وثق فيه بالصواب. (طق، فخر، ٤٥، ١١)

- الدولة والسلطان سوق للعالم، تجلب إليه

بضائع العلوم والصنائع، وتلتمس فيه ضوالّ الحِكَم، وتُحدى ركائب الروايات والأخبار، وما نفق فيها نفق عند الكافة. فإن تنزّهت الدولة عن التعسّف والميل والأفَن والسِّفْسفة، وسلكت النهج الأمَم، ولم تجر عن قصد السبيل، نفق في سوقها الأبريز الخالص واللُّجَين المصفى. وإن ذهبت مع الأغراض والحقود، وماجت بسماسرة البغي والباطل، نفق البهرج والزائف. (خلد، قدم، ٣١٢، ٨)

- مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحة وجهه أو عظم جثمانه أو اتّساع عمله أو جودة خطّه أو ثقوب ذهنه، وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم؛ فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية، وهي نسبة بين منتسبين. فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم: فالسلطان من له رعية؛ والرعية من لها سلطان؛ والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمّى الملكة وهي كونه يملكهم. فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على أتمّ الوجوه؛ فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم؛ وإن كانت سيّئة متعسّفة كان ذلك ضررًا عليهم وإهلاكًا لهم. ويعود حسن الملكة إلى الرفق. فإن الملك إذا كان قاهرًا، باطشًا بالعقوبات، مُنقِّبًا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم، شملهم الخوف والذلّ؛ ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلّقوا بها، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم؛ وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات، ففسدت الحماية بفساد النيّات؛ وربما أجمعوا على قتله لذلك فتفسد الدولة ويخرَّب السِّياج؛ وإن دام أمره عليهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه أوّلًا، وفسد السِّياج من أصله بالعجز عن الحماية. وإذا كان رفيقًا بهم متجاوزًا عن سيّئاتهم استناموا إليه ولاذوا به وأُشْرِبوا محبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه، فاستقام الأمر من كل جانب. وأما توابع حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم: فالمدافعة بها تتمّ حقيقة الملك؛ وأما النعمة عليهم والإحسان لهم فمن جملة الرفق بهم، والنظر لهم في معاشهم، وهي أصل كبير في التحبّب إلى الرعية. (خلد، قدم، ٥٧٤، ١٦)

- السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرًا ثقيلًا، فلا بدّ له من الاستعانة بأبناء جنسه. وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه فما ظنّك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده. وهو محتاج إلى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم، وإلى كفّ عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بإمضاء الأحكام الوازعة فيهم، وكفّ العدوان عليهم في أموالهم بإصلاح سابلتهم، وإلى حملهم على مصالحهم، وما تعمَّهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقّد المعايش والمكاييل والموازين حذرًا من التطفيف، وإلى النظر في السِكّة بحفظ النقود التي

يتعاملون بها من الغشّ، وإلى سياستهم بما يريده منهم من الانقياد له والرضا بمقاصده منهم وانفراده بالمجد دونهم. (خلد، قدم، ٦٦٣، ٣)

- السلطنة سرّ من أسرار الربوبيّة فيها ينال المراد، ويدفع الفساد، وتحفظ بها البلاد والعباد، وتقطع بها دابر كل من قصد العناد، لأنّ من حميد مزاياها، شوف سجاياها، للرعايا الحراسة، وللرياسة السياسة، وللسلطان أيّده الله حماية بلاده، وحراسة دينه وتثبّت أوتاده، وحفظ ما افترض الله من الأحكام، لأنّه ارتضاه من بين الأنام، لإقامة الحدود وفعل الواجب واجتناب الحرام، وأوجب على الرعايا طاعته فيما أمر به والاستسلام، وجعل أمورهم معقودة به في النقص والإبرام، فهو أيّده الله في الأرض، به تقام شعار السنّة والفرض، ومن أراد إدراك شرفها وفضلها، وأن يكون أحقّ بمعرفتها وأهلها، فلينظر إلى آثارها، وليتحقّق خطر أقدارها، فيرى من ثمراتها، للبلاد الحراسة، وللنفوس السلامة والسياسة، وللأموال الحفظ وللأرزاق الإدرار، وللعلم النشر وللدين الإظهار، بردع الظلمة وقمع البغاة والمرتدّين، والانتقام من جميع المعتدين المفسدين، وإقامة مصالح الدين والدنيا، وينتظم قوام أمر الآخرة والأولى، فيكتب له أيّده الله تعالى، مثل أجور تلك الطاعات، وفضائل جميع تلك العبادات، فليلازم شكر الله تعالى الذي خصّه بهذا الإكرام، وأعلى قدمه على رؤوس جميع الأنام. (شاه، زبد، ٥٣، ٨)

- السلطان أيّده الله تعالى تجب عليه أمور وتجب له أمور، أما الواجب عليه فطاعة الله تعالى والتقوى أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها، ويروّضها في أفعالها، ويعلم أنه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد أقدر. وقد قيل قديمًا لا ينبغي لذي لبّ أن يطمع لطاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه. (شاه، زبد، ٥٤، ١٤)

- أمير المؤمنين وما يتعلّق به وهو خليفة الله في أرضه وابن عمّ رسوله سيّد المرسلين ووارث الخلافة عنه. وقد جعله الله تعالى حاكمًا على جميع أرض الإسلام ولا يجوز أن يطلق في حقّ أحد لفظ سلطان من ملوك الشرق والغرب إلا إذا كان بالمبايعة منه. وقد أفتت بعض الأئمّة أنه من أقام نفسه سلطانًا قهرًا بالسيف من غير مبايعة منه فيكون خارجيًّا ولا يجوّز توليته أحد من النوّاب والقضاة، وإن فعل شيء من ذلك كان جميع حكمهم باطلًا وعقد الأنكحة باطل وفي ذلك أقوال كثيرة. (شاه، زبد، ٨٩، ٨)

- السلطان أحوج الخلق إلى العلم، لوجهين: أحدهما: أن افتقارهم إليه في الأحكام يحوجه إلى المعرفة بها، ليكون على بصيرة في تنفيذ الفصل، وإلزام الوقوف عند حدودها. الثاني: أن تحلّيه بالعلم من أعظم ما يتحبّب به إلى الرعية، لما رسخ في النفوس على الجملة من فضيلة العلم ومحبّة من انتسب إليه. وإذا

عري منه أو فرط في العمل بمقتضى السؤال عنه أخلّ بالسيرة الفاضلة فيهم، ففرّوا عنه واستوحشوا منه. (أزر، بدع١، ٤٠٥، ١٨)

- السلطان إن أفرط على الرعية أهلكها، وإن فرّط فيها لم تستقم، وإن اعتدل بين ذلك اعتدلت، كالنار إذا قويت أحرقت معوج الخشب، وإذا لانت بقي على اعوجاجه، وإذا اعتدلت تقوّم بها واعتدل. (أزر، بدع٢، ٥٥٧، ١٥)

- السلطان كان هذا المنصب في أوائل أمره لقبًا لوزراء الدولة العباسية، يلقّبون به على سبيل التفخيم بأمر الخلفاء كما تقدّم، وذكر ابن خلدون أن جعفر بن يحيى دعي سلطانًا. ويظهر من مجمل ما نقرأه في كتبهم أنهم يطلقون لفظ السلطان على والي بغداد أو والي الشام، ولعلّه رئيس الشرطة أو ما يشبه المحافظ اليوم. وقد يريدون بالسلطان الخليفة نفسه، وكل ذلك على سبيل المجاز. ولم تصر السلطنة رتبة رسمية إلا في أيام محمود الغزنوي بن سبكتكين، وهي أول سلطان في الإسلام، سمّي به في أواخر القرن الرابع للهجرة بدلًا من لقب أمير الأمراء. وكأنه ابتذل كما ابتذل اسم الوزير قبله، فأبدلوه بلقب سلطان. وصار بعد ذلك لقبًا لملوك الأتراك والأكراد والجراكسة، وغيرهم من السلاجقة والأيوبية والمماليك والعثمانيين. والوزارة لم يكن الإرث شرطًا فيها، فلما صارت إلى السلطنة صار الإرث شرطًا فيها، والسلطان يعهد إلى ولي عهده قبل موته. (زي، مدن١، ١٦٣، ١١)

- أما ابن خلدون فيُحدِّد منهجه كالتالي: "إن كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبه إنما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر، لا بما يخصّها من أحكام الشرع". (أوم، نهج، ٢٠٢، ١١)

سلطة

- السلطة هي إذًا نوع من التصحيح للطبيعة الإنسانية المخالفة للحياة الاجتماعية، حيث أن هذه الأخيرة ليست فطرية. وتأتي من هنا كلمة "وازع" التي تعني: ما ينهي... لكن ما ينهي يمكنه أن يكون أخلاقيًّا وذاتيًّا (ويلعب الدين دورًا أساسيًّا في تصحيح الطبيعة الشريرة للإنسان بالعدالة والفضيلة)، أو موضوعيًّا يتجسّد في سلطة خارجية. (أوم، نهج، ٢٠٧، ٧)

سلطنة

- السلطنة سرّ من أسرار الربوبيّة فيها ينال المراد، ويدفع الفساد، وتحفظ بها البلاد والعباد، وتقطع بها دابر كل من قصد العناد، لأنّ من حميد مزاياها، شوف سجاياها، للرعايا الحراسة، وللرياسة السياسة، وللسلطان أيّده الله حماية بلاده، وحراسة دينه وتثبّت أوتاده، وحفظ ما افترض الله من الأحكام، لأنّه ارتضاه من بين الأنام، لإقامة الحدود وفعل الواجب واجتناب الحرام، وأوجب على الرعايا طاعته فيما أمر به والاستسلام، وجعل

أمورهم معقودة به في النقص والإبرام، فهو أيّده الله في الأرض، به تقام شعار السنّة والفرض، ومن أراد إدراك شرفها وفضلها، وأن يكون أحقّ بمعرفتها وأهلها، فلينظر إلى آثارها، وليتحقّق خطر أقدارها، فيرى من ثمراتها، للبلاد الحراسة، وللنفوس السلامة والسياسة، وللأموال الحفظ وللأرزاق الإدرار، وللعلم النشر وللدين الإظهار، بردع الظلمة وقمع البغاة والمرتدّين، والانتقام من جميع المعتدين المفسدين، وإقامة مصالح الدين والدنيا، وينتظم قوام أمر الآخرة والأولى، فيكتب له أيّده الله تعالى، مثل أجور تلك الطاعات، وفضائل جميع تلك العبادات، فليلازم شكر الله تعالى الذي خصّه بهذا الإكرام، وأعلى قدمه على رؤوس جميع الأنام. (شاه، زبد، ٥٣، ٥)

سلفية

- الماركسية، بالنسبة للعرب، هي أساسًا مدرسة للفكر التاريخي، وهذا الأخير هو مقياس المعاصرة. بدونه تغرق كل فكرة في بحر الحاضر الدائم أي ترجع إلى أرضية الفكر السلفي. إن السلفية والانتقائية وهما المميّزين لذهنيتنا الحاضرة، تسبحان في الحاضر الدائم، وهذا هو سبب عدم انتفاع المجتمع العربي بمثقفيه منذ عقود. إن المثقّف عندنا لا يتحرّر فعلًا، فلا يعين مجتمعه على التحرّر، لأنه ينفصل دائمًا عن المحيط الذي يعيش فيه وينتقل إلى عالم ماض يجعل منه الحقيقة المطلقة. ورغم تبجّحه بالعمل السياسي، فإنه لا يؤثّر إطلاقًا في الأوضاع ويترك التأثير لدعاة الاستمرار. إن السلاح الوحيد ضدّ اللاتأثير هو كسب الفكر التاريخي الذي لا يتعلّم من دراسة التاريخ، كما يتبادر إلى الذهن، بل يتطلّب الإقتناع بنظرية في التاريخ وهذه لا توجد اليوم بكيفية شاملة ومقنعة إلا في الماركسية. (عر، فكر، ٦٠، ١٧)

سليمان

- من هبوط آدم إلى الطوفان ألفان ومائتا سنة وستّ وخمسون سنة ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم عم اثني وثلاثين سنة خلت من عمر موسى، وذلك عند خروج بني إسرائيل من مصر خمس مائة وخمسون سنة ومن خروجهم إلى سنة أربع من ملك سليمان، وذلك وقت ابتدائه ببناء بيت المَقدس ستّمائة وستّ وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبع مائة سنة وسبع عشر سنة ومن ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاث مائة وسبع وستّون سنة ومن مولد المسيح إلى هجرة النبيّ صلعم خمس مائة وأربع وستّون سنة. (بلخ، بد٢، ١٥٢، ٢)

سماع الأخبار

- للسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحرم، أو سيرة مفرط

ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار. (جو، نظم، ٩، ١٦)

- في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها فائدتان؛ أحدهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله علمت حسن التدبير واستعمال الحزم، وإن ذكرت سيرة مفرط ووصفت عاقبته خويت من التفريط فيتأدّب المسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن، وتصاريف القدر، والنفس تجد راحة بسماع الأخبار. (جو، نظم، ١١٧، ١٤)

سنة

- السنة هي عودة الشمس في فلك البروج إذا تحرّكت على خلاف حركة الكلّ إلى أيّ نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك أنّها تستوفي الأزمنة الأربعة التي هي: الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الأربعة وتنتهي إلى حيث بدأت منه، وهذه العودات عند بطليموس متساوية إذ لم يجد لأوج الشمس حركة وهي عند غيره من أصحاب السندهند والمحدثين غير متساوية لما أدّت إليه أرصادهم من وجود حركة لها على أنّها مع تساويها واختلافها محيطة بالفصول الأربعة وحائزة لطباعها، فأمّا كمّيّتها من الأيّام وكسورها فقد اختلف نتائج الأرصاد فيها ولم تتّفق لكنّها خرجت ببعض الأرصاد أزيد وببعضها أنقص إلّا أنّ التفاوت العارض فيها غير محسوس في القليل من الزمان. (بير، بقي، ٩، ١٣)

- السنة، فهي إما سنة شمسية، وإما سنة قمرية. أما الشمسية، فهي عبارة عن زمان مفارقة الشمس أية نقطة تفرض على فلك البروج؛ إلى عودها إلى تلك النقطة بحركتها الخاصة لها، التي هي من المغرب إلى المشرق، إلا أنهم حوّلوا ابتداء هذه السنة من حين وصول الشمس إلى رأس الحمل، وهناك يستوي الليل والنهار في أكثر العمارة، فإذا سارت منها فحينئذٍ تأخذ في الصعود حتى تبلغ رأس السرطان، وهناك غاية الارتفاع إلى الشمال، وغاية طول النهار في أكثر العمارة. ثم تنحدر عنها حتى تنتهي إلى رأس الميزان، وهناك يستوي الليل والنهار، فحينئذٍ تأخذ في الهبوط نحو الجنوب حتى تصل إلى رأس الجدي، وهناك غاية الانحطاط في الجنوب وغاية طول الليل في معظم العمارة، فحينئذٍ تأخذ في الصعود نحو رأس الحمل، فإذا انتهت إليه تمّت السنة الشمسية. واختلفوا في مدّة هذه السنة، والمشهور أنها ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا وربع يوم. والمراد باليوم هو اليوم مع ليلته. وأما السنة القمرية، فهي

اثنا عشر شهرًا من الشهور القمرية. والشهر القمري عبارة عن زمان مفارقة القمر من أي موضع يفرض له من الشمس إلى عوده إليه، مثلًا من الهلال إلى الهلال، ومن البدر إلى البدر. وأظهر الأوضاع هو الهلال الغربي، لكن رؤية الهلال تختلف باختلاف أوضاع المساكن، وباختلاف البروج التي حلّ فيها، فلم يلتفت إلى رؤية الهلال إلا في الأمور الشرعية. وجعل ابتداء الشهر من اجتماع الشمس والقمر في درجة واحدة، وزمان الشهر هو زمان ما بين الاجتماعين. وهذه السنة القمرية ناقصة عن السنة الشمسية بعشرة أيام وعشرين ساعة ونصف ساعة بالتقريب. (كاف، مخ، ٥٧، ٤)

سنة القمر

- سنة القمر ثلثمائة وأربعة وخمسون يومًا وسدس، وأنَّ ستّة أشهر من السنة تامّة وستَّة ناقصة وأنَّ كلَّ ناقص منها فهو تال لتامّ على ما عُمِل عليه في الزِّيجات. (بير، بقي، ٦٥، ٣)

سنة شمسية

- السنة الشمسيّة التي هي ثلثمائة وخمسة وستون يومًا وربع يوم بالتقريب، وصيّروا سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يومًا وألحقوا الأرباع في كلّ أربع سنين يومًا حين انجبرت وسمّوا تلك السنة كبيسة لانكباس الأرباع فيها، وأمّا القبط القدماء فكانوا يعملون على ذلك غير أنّهم يتركون الأرباع حتّى يجتمع منها أيّام سنة تامّة وذلك في ألف وأربع مائة وستّين سنة ثمّ يكبسونها سنة واحدة. (بير، بقي، ١٠، ١٥)

سنونس

- معنى سنونس هو اجتماع علمائهم من القسوس والأساقفة وغيرهم من أصحاب المراتب المذكورة لدعاء على شأن حادث وسبب شبه المباهلة أو نظر في شيء مهمّ من أمر الأديان. ولا يتّفق هذا إلّا في أزمنة وإذا اتّفق حُفِظ تأريخه وربّما استُعمل تبرُّكًا وتعبُّدًا وأوّل السنانس الستّة هو اجتماع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفًا بمدينة نيقية على يدي قسطنطين الملك بسبب أريوس المخالف لهم في الأقاليم وتخليدهم ما كانوا أجمعوا عليه من القول في أقنومي الاب والابن واتّفاقهم على أن يُعمَل الفطر في الأحد الذي بعد قيامة المسيح. (بير، بقي، ٢٩٥، ١٤)
- السنونس الثالث اجتماع مائتي أسقف بمدينة أفسس على يدي ثذوس الملك الصغير بسبب نسطورس بطرك القسطنطينيّة وصاحب النصارى النسطوريّة حيث خالفهم في أقنوم الابن. والسنونس الرابع اجتماع ستّمائة وثلثين بمدينة الخلقدونية على يدي مرقيان الملك بسبب أوطيخيس لقوله أنّ جسد الرب ايشوع من طبيعتين قبل التّأحُّد ثمّ بعده طبيعة واحدة. والسنونس الخامس على يدي اسطينان للعن صاحب المصّيصة والرُّها وغيرهم من المخالفين في أصولهم. والسنونس السادس بالقسطنطينيّة

على يدي قسطنطين المؤمن وكانوا مائة وتسعة وثمانين أسقفًا بسبب قورس وسيمون الساحر. (بير، بقي، ٢٩٥، ٢٢)

سؤال

- السؤال عن المائيّة والمنيّة والهويّة محال من وجه التفتيش عن ذاته، لأنّ الإشارة إلى هذه الأشياء تصوّرها في الوهم ولا يتصوّر في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه من صفات الحدث. (بلخ، بد١، ٧٨، ١)

سودان

- من كان موغلًا في الشمال فإفراط بُعد الشمس عن مسامتة رؤوسهم برّد أمزجتهم وفجّج أخلاقهم فعظمت أبدانهم وابيضّت ألوانهم واستدلّت شعورهم فعدموا بهذا دقّة الأفهام وثقوب الخواطر فغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم الغيّ والغباوة، كالصقالبة ومجاوريهم. ومن كان منهم قريبًا من معدّل النهار وخلفه إلى نهاية المعمورة في الجنوب لطول مقاربة الشمس رؤوسهم سخنت أمزجتهم واحترقت أخلاطهم فاسودّت ألوانهم وتفلفلت شعورهم فعدموا بهذا الاناة وثبوت البصائر، كالحبشة وباقي السودان، إلا الهند فإن الله قد فضلهم على كثير من السمر والبيض وهم معدن الحكمة وينبوع العدل، إلا أنهم يُثبتون أزل العالم ويُبطلون النبوّات ويحرمون ذبح الحيوان ويمنعون إيلامه. (عب، خصر، ٤، ٢)

سوق عكاظ

- سوق عكاظ الذي هو مجمع المفاخرة قد يتسبّب عنه المقاتلة والحرب، كما وقع ذلك في الفجار الأول والفجار الثاني. (طه، عمل٣، ٦٠٣، ٢٢)
- سوق عكاظ وكان على مقربة من الطائف سوق يجتمع إليها الناس في الأشهر الحرم، فينصبون خيامهم بين نخيله، يبيعون ويشترون ويتبادلون. وهي سوق عكاظ المشهورة. وكان للعرب أسواق أخرى في أماكن أخرى. ولكن هذه كان يجتمع فيها أهل البلد المجاور لها. وأما عكاظ فكان يتوافد إليها العرب من كل جهة. وزادت قريش في بواعث الاجتماع إليها بأنهم جعلوها مسرحًا للأدب والشعر، تتسابق فيه القبائل إلى إظهار نوابغها من الشعراء والخطباء، فيتناشدون ويتحاجون ويتفاخرون. ومن كان له أسير سعى في فدائه. وكان لعكاظ في أيام الموسم رجل يولونه الحكومة للفصل في ما قد يقع من الخلاف أو نحوه. وكان الغالب أن يكون ذلك الحاكم من بني تميم. ومتى فرغ الناس من سوق عكاظ، وقفوا في عرفة، ثم يأتون مكّة فيقضون مناسك الحج ويرجعون إلى مواطنهم. (زي، مدن١، ٣٧، ٣)

سياسات

- السياسات خمسة أنواع: سياسة المنزل، والقرية، والمدينة، والجيش، والملك، فمن حسنت سياسته في منزله، حسنت

سياسته في قريته، ومن حسنت سياسته في قريته، حسنت سياسته في مدينته، ومن حسنت سياسته في مدينته، حسنت سياسته للجيش ومن حسنت سياسته للجيش، حسنت سياسته للملك. (طق، فخر، ٣٤، ٧)

سياسة

- من أعظم خطأ السلاطين والأمراء نظرهم في سياسات متقدميهم وعملهم بمقتضاها من غير نظر، فيما ورد به الشرع، ومن خطأهم تسمية أفعالهم الخارجة عن الشرع سياسة بأن الشرع هو السياسة لا عمل السلطان برأيه وهواه، ووجه خطأهم في ذلك أن مضمون قولهم يقتضي أن الشرع لم يرد بما يكفي في السياسة فاحتجنا إلى تتمة من رأينا؛ فهم يقتلون من لا يجوز قتله، ويفعلون ما لا يحل فعله، ويسمّون ذلك سياسة. (جو، نظم، ١١٧، ٥)
- (الملك الفاضل من خصاله) السياسة، وهي رأس مال الملك، وعليها التعويل في حقن الدماء، وحفظ الأموال، وتحصين الفروج، ومنع الشرور، وقمع الذعار والمفسدين، والمنع من التظالم، المؤدّي إلى الفتنة والاضطراب. (طق، فخر، ١٤، ١٨)
- لكل صنف من الرعية صنف من السياسة، فالأفاضل يساسون بمكارم الأخلاق، والإرشاد اللطيف، والأوساط يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة، والعوام يساسون بالرهبة، وإلزامهم الحدّ المستقيم، وقسرهم على الحق الصريح. واعلم أن الملك لرعيته كالطبيب للمريض، إن كان مزاجه لطيفًا لطف له التدبير، ودسّ له الأدوية المكروهة، في الأشياء الطيّبة، وتحيل عليه بكل ممكن، حتى يبلغ غرضه من برئه، وإن كان مزاجه غليظًا عالجه بمرّ العلاج وصريحه وشديده، ولذلك لا ينبغي للملك أن يتهدّد من يكفي في تأديبه الأعراض والتقطيب، وكذلك لا ينبغي أن يحبس من يكفي في تأديبه التهديد، كما أنه لا ينبغي أن يضرب من يكفي في تأديبه الحبس، ولا أن يقتل بالسيف من يكفي في تأديبه ضرب العصا، وتمييز هذه الحالات بعضها من بعض، أعني معرفة المزاج الذي يكفي فيه التهديد، ولا يحتاج إلى الحبس، أو يكفي فيه الحبس، ولا يحتاج إلى الضرب، يحتاج إلى لطف حدس، وصحّة تمييز، وصفاء خاطر، ويقظة تامة، وفطانة كاملة، فما أشدّ ما تشتبه الأخلاق، وتلتبس الأمزجة والطباع. (طق، فخر، ٢٧، ٤)
- السياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم؛ وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع؛ وأحكام البشر إنما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره، فإنه فاعل للخير والشرّ معًا ومقدّرهما إذ لا فاعل سواه. فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وأونِسَت منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله في خلقه فقد

تهيّأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق، ووجدت فيه الصلاحية لذلك. (خلد، قدم، ٥٠٥، ٥)

سياسة الرعية

- سياسة الرعية وهي تنحصر في جملتين: تأسيس ما يقوم عليه بناؤها، واقتضاء ما يتمّ به مقصودها. وهو أخذ الرعية بالحقوق الواجبة عليها للسلطان. (أزر، بدع٢، ٥٥٧، ٩)

سياسة مدنية

- علم السياسة المدنية؛ إذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة، ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه. (خلد، قدم، ٣٣٢، ٢)

- ما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب - (العمران البشري لا بدّ له من سياسة) -، وإنما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكام رأسًا: ويسمّون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمّى من ذلك "بالمدينة الفاضلة"؛ والقوانين المراعاة في ذلك "بالسياسة المدنية". وليس مرادهم السياسة التي يُحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة؛ فإن هذه غير تلك. وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع، وإنما يتكلّمون عليها على جهة الفرض والتقدير. (خلد، قدم، ٧٧٣، ١٠)

سياسة الملك

- بالنسبة للبدو، فإن الدين هو الوسيلة الوحيدة التي تساعدهم على أن يتسيَّسوا. "فجيل العرب في الخلقة طبيعي" إلا أن هذه البداوة هي أقلّ مرتبة من الحياة البشرية الحق التي لا تتحقّق إلا بالسياسة "إذ الخير هو المناسب للسياسية". والبدو العرب، الأكثر بداوة هم نتيجة لذلك "أبعد الأمم عن سياسة الملك". وإذا كان الفلاسفة قد عرّفوا الإنسان بأنه حيوان سياسي، فإن ابن خلدون يرى أن الإنسان لا ينطبق عليه هذا التعريف إلا ابتداء من مرحلة معيّنة وهي مرحلة المجتمع الحضري. وهكذا تتطابق السياسة مع الملك الذي لا يظهر إلا عندما يتمّ تجاوز المجتمع البدوي. (أوم، نهج، ١٥٥، ٧)

سياقة التاريخ

- سياقة التأريخ من لدنه من الخلاف ما لا يجوز مثله في التواريخ وكلُّ ما يتعلّق معرفته ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فهو مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد به وامتداد الزمان بيننا وبينه وعجز المعتني به عن حفظه وضبطه، وقد قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (التوبة: ٧٠) لا يعلمهم إلّا الله فالأولى أن لا نقبل من قولهم في مثله إلّا ما يشهد به كتاب معتمد على صحّته أو خبر مشفوع به بشرائط الثّقة

في الظنّ الأغلب، فإذا نظرنا في هذا التاريخ أوّلًا وجدنا فيه بين هؤلاء الأمم اختلافًا غير يسير وهو أنّ الفرس والمجوس زعموا أنّ عمر العالم اثنتا عشرة ألف سنة على عدد البروج والشهور، وأنّ زرادشت صاحب شريعتهم زعم أنّ الماضي منها إلى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة بالأرباع إذ كان تولّى حسابها ونقصان ما كان لزمها من جهة الأرباع حتّى انكبست وصحّت، وبين ظهوره وأوّل تاريخ الاسكندر مائتان وثمانٍ وخمسون سنة فيكون الماضي من أوّل العالم إلى الإسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائتين وثمانيا وخمسين سنة. ولكنّا إذا حسبنا من أول كيومرث وهو عندهم الإنسان الأوّل وجمعنا مدّة كلّ ملك بعده فإنّ الملك متّسق فيهم غير منقطع عنهم بلغ المجتمع من ذلك العدد إلى الإسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعة وخمسين فليس يتّفق التفصيل مع الجملة. (بير، بقي، ١٣، ٢١)

سِيَر

- للسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحرم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار. (جو، نظم، ٩، ٩)

- في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها فائدتان؛ أحدهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله علمت حسن التدبير واستعمال الحزم، وإن ذكرت سيرة مفرط ووصفت عاقبته خويت من التفريط فيتأدّب المسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن، وتصاريف القدر، والنفس تجد راحة بسماع الأخبار. (جو، نظم، ١١٧، ٩)

- قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في مقدّمة المنتظم والسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان: إحداهما إنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط فيتأدّب المتسلّط ويعتبر المتذكّر ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية أن يطّلع بذلك على عجائب الأمور وتقلّبات الزمن وتصاريف القدر وسماع الأخبار. قال أبو عمرو بن العلاء لرجل من بكر بن وائل كبر حتى ذهبت منه لذّة المأكل والمشرب والنكاح أتحب أن تموت قال لا قبل فما بقي من لذّتك في الدنيا قال اسمع العجائب. وقال أيضًا في أول شذور العقود في تاريخ العهود الذي اختصره منه

أن التواريخ وذكر السير راحة القلب وجلاء الهم وتنبيه للعقل فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات دلّت على عظمة الصانع، وإن شرحت سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قصّت قصة مفرط خوّفت من إهمال الحزم، وإن وصفت أحوال ظريف أوجبت التعجّب من الأقدار والتنزّه فيما يشبه الأسمار. (سخ، ذم، ٢١، ٨)

- للسير والتواريخ فوائد كثيرة، أهمها فائدتان: إحداهما أنه إن ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حالة أفادة حسن التدبير واستعمال الحزم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكّر. ويتضمّن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزّه في المنقول. والثانية: أن يطّلع بذلك على عجائب الأمور، وتقلّبات الزمن، وتصاريف القدر، وسماع الأخبار. (حس، عر، ١١، ٦)

- التواريخ وذكر السير راحة القلب، وجلاء الهمّ، وتنبيه للعقل؛ فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات دلّت على عظمة الصانع، وإن شرحت سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قصّت قصة مفرط خوفت من إهمال الحزم، وإن وصفت أحوال ظريف أوجبت التعجّب من الأقدار، والتنزّه فيما يشبه الأسمار. (حس، عر، ١١، ١٦)

سِيَر الأفراد

- (من أسماء سير الأفراد) "المناقب" وقد توجّهت لتكريم كبار الرجال الدينيين في المجتمع الإسلامي، نصّبتهم نماذج للمسلم الكامل وللأسوة الحسنة. وأبرز كتب "المناقب" التي تكرّرت معاودة المؤلّفين لكتابتها، وتعاوروا على تناولها جيلًا بعد جيل هي التي تتعلّق بمناقب "الفقهاء" الكبار، أصحاب المذاهب الكبرى. (مص، رخ١، ٣٦٦، ١)

سيرة نبينا

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ

الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ٨)

سيرة ومغازٍ

- السيرة والمغازي. أحداث التاريخ الإسلامي منذ وفاة الرسول حتى عهودهم (الإخباريون) لا الأخبار السياسية فقط ولكن الحضارية أيضًا (من خطط ونظم مالية وقضائية وولاة ونقود ورجال علم وفرق ومن غناء وجوار وقيان) وتوسّعوا خاصة في أخبار الأدب والشعر. (مص، رخ١، ١٠١، ١٦)

سيف

- اختلفوا في السيف والقلم أيهما أفضل وأولى بالتقديم، فقوم يرون أن يكون القلم غالبًا للسيف، واحتجّوا على مذهبهم بأن السيف يحفظ القلم، فهو يجري معه مجرى الحارس والخادم، وقوم يرون أن يكون السيف هو الغالب، واحتجّوا بأن القلم يخدم السيف، لأنه يحصل لأصحاب السيوف أرزاقهم، فهو كالخادم له. وقوم قالوا: هما سواء، ولا غنى لأحدهما عن الآخر. قالوا: المملكة تخصب بالسخاء، وتعمر بالعدل، وتثبت بالعقل، وتحرس بالشجاعة، وتساس بالرياسة. (طق، فخر، ٣٤، ١٣)

- السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره. إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشدّ من الحاجة إلى القلم؛ لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفّذ للحكم السلطاني؛ والسيف شريك في المعونة. وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها ... ويقلّ أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدّمناه، فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم في حماية الدولة، والمدافعة عنها، كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها. فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين، ويكون أرباب السيف حينئذٍ أوسع جاهًا وأكثر نعمة وأسنى إقطاعًا. وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهّد أمره، ولم يبق همّه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له في ذلك؛ فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع أغمادها، إلا إذا نابت نائبة أو دعيت إلى سد فُرْجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها. فيكون أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاهًا، وأعلى رتبة، وأعظم نعمة وثروة، وأقرب من السلطان مجلسًا، وأكثر إليه تردّدًا وفي خلواته نَجِيًّا. (خلد، قدم، ٦٩٥، ١٢)

- أما السيف: ففي حالتين: إحداهما: أول الدولة، لأنّها لا تتمهّد - إذ ذاك - إلا بصدق الاعتماد عليه والتسليم لغناء المعونة به والاستظهار. وأين هذا من رتبة القلم الذي غايته - إذ ذاك - أن يكون خادمًا فقط. الثانية: آخر أمرها، لأنها والحالة تلك - بما نالها من الهرم بضعف العصبية وقلّة النصر - تشتدّ حاجتها إليه في الدفاع به أكثر من القلم. ومعلوم أن رتبة من يحتاج إليه أكثر، فوق رتبة من الحاجة إليه دون ذلك. ولأجله يكون أرباب السيوف في الحالتين أوسع جاهًا، وأكثر نعمة من أصحاب الأقلام. (أزر، بدع٢، ٧٤٧، ٣)

سيكولوجية الجماعة

- إن سيكولوجية الجماعة لن تكون بديلًا للتاريخ. ولن تكون العطور التي يطلى به جلد ديو رب التاريخ، وإنما هي جزء صحيح ذو معنى للتفسير التاريخي. وكل تحليل عقلي للقرارات والحوادث التاريخية يترك مخلفات غير مفسّرة، لا يوجد مؤرّخ يرفض المساعدة التي يقدّمها له علم النفس لكشف معمّيات هذه المخلفات، وهي على الأرجح ستساعده في توضيح فكره بفرض أسئلة جديدة أكثر مما تقدّم له أجوبة، ولكن إذا أتقن استعمالها فلا يوجد سبب لعدم توسيعها آفاق الفهم التاريخي. (بار، وجه، ١٢٤، ١٤)

ش

شام

– معنى الشأم الطيّب، وقيل في قوله إنما سمّيت شأمًا لأنها عن شمال الكعبة كما سمّي باليمن ما كان عن يمين الكعبة وقيل غير ذلك. وقيل في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١) قال السهيليّ هي الشأم. وقال تعالى ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠) قيل إنها دمشق. وقسم الأوائل الشأم خمسة أقسام: الأوّل فلسطين وأوّل حدودها من طريق مصر امجّ وهي العريش ثم يليها غزّة ثم رملة فلسطين ومن مدنها أيليا وهي بيت المقدس وعسقلان ولُدّ ونابلس ومدينة حبرون المعروفة بالخليل عليه الصلاة والسلام ومسيرة فلسطين طولًا أربعة أيّام من امجّ إلى اللجّون وعرضها من يافا إلى أريحا، والثاني حوران ومدينتها العظمى طبريّة ومن مدنها الغور واليرموك وبيسان، والثالث الغوطة ومدينتها العظمى دمشق وطرابلس وقيل إنها من الأرض المقدّسة وصفد وبعلبك وما يشتمل عليه تلك الأماكن من المدن، والرابع حمص ولا تدخلها حيّة ولا عقرب وقيل نزل فيها من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمسمائة ومن أعمالها مدينة سلميّة وفيها مزار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والخامس قنّسرين ومدينتها العظمى حلب وحماة وسربين وإنطاكية يقال إنها قرية حبيب النجّار. (شاه، زبد، ٤١، ٢٢)

شام بن نوح

– (شام بن نوح) وُلد له أرفخشد وعمره مائة سنة وسنة واحدة. وجميع أيامه ستمائة سنة. وقيل إن نوح أوصى إلى شام ابنه وقال له: إني إذا متُّ فأخرج تابوت أبينا آدم من الفلك وخذ معك من أولادك ملكيزدق لأنه كاهن الله تعالى وسيرا معًا بالتابوت إلى حيث يهديكما ملاك الرب. فعملا بهذه الوصية وهداهما الملاك إلى جبل بيت المقدس ووضعا التابوت على قلّة هناك فغاص فيها. فعاد شام إلى أهله ولم يعد ملكيزدق لكنه بنى ثمّ مدينة اسمها أورشليم أي قرية السلام ولذلك تَسمَّى هو أيضًا مليخ شليم أي ملك السلام وسكنها باقي أيامه لهجًا بالعبادة، وما غشي امرأة ولا أراق دمًا وكان قربانه خبزًا وخمرًا فقط. ولأن الكتاب الإلهي أبان عن عظم شأنه وأعرض عن إبانة نسبه وتاريخَي ولادته ووفاته. (عب، خصر، ١٠، ٣)

شاهد

– الشاهد شاهد القلب لا شاهد اللسان وليس كلّ من لزمه قول مناظره أو عجز عن جوابه في الوقت وجب عليه المصير إلى مذهب خصمه ولكن بعد التبيّن والتثبيت واستبراء الحال والرجوع إلى الأصول الموطودة والأعلام المنصوبة، فإذا انكشف الغطاء عن وجهه وصرّح

المحض عن زبده وأومض الحقّ سيره فلا يسع حينئذٍ غير الإقرار والانقياد له وليس من الحقّ تكليف الخصم إظهار ما هو خفيّ في نفسه لأنّه غير ممكن كما يمكنه إخفاء ما هو ظاهر في نفسه ولأنّ ذلك إزالة الشيء عن وجهه. (بلخ، بدا، ٥٤، ١)

شجاعة
- أصول الفضائل أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفّة، مجموعها: العدالة. فالحكمة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسّط بين فعلي الحدّة والغباوة. والشجاعة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي التهور والجبن. والعفّة الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسّط بين فعلي الفجور والخمود. (أزر، بدع١، ٣٩٨، ١٨)

شخص
- الجنس ما استوعب الأنواع، وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس، والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت النوع لا يجوز أن يتجزّأ ولا يكون له ثُلث ولا رُبع ولا نصف. قالوا ولولا ذلك لما كان للأجسام تناهٍ. (بلخ، بدا، ٣٩، ١٧)

شرائع وأديان
- الشرائع والأديان التي هي وثائق الله تعالى في سياسة خلقه وملاك أمره ونظام الألفة بين عباده وقوام معاشهم والمنبّه على معادهم الرادع لهم عن التباغي والتظالم والمهيب بهم إلى التعاطف والتواصل والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل ومحمود ثواب الآجل. (بلخ، بدا، ٢، ٨)

شرط المؤرّخ
- (شرط المؤرّخ) يشترط في المؤرّخ الصدق وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى وأن لا يكون ما نقله مما أخذه في المذاكرة ثم كتبه بعد، وأن يسمّي المنقول عنه فهذه شروط أربعة فيما ينقله. أما ما يقوله من قبل نفسه وما عساه يطول فيه من المنقول بعض التراجم دون بعض فيشترط فيه أن يكون عارفًا بحال المترجم علمًا ودينًا وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جدًّا، وأن يكون حسن العبارة عارفًا بمدلولات الألفاظ حسن التصوّر بحيث يتصوّر حين ترجمة الشخص جميع حاله ويعبّر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص، وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويسلك معه طريق الإنصاف وإلا فالتجرّد عن الهوى عزيز فهذه أربعة أخرى. ولك أن تجعلها خمسة لأن حسن تصوّره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف فيجعل حضور التصوّر زائدًا على حسن التصوّر والعلم فتصير تسعة شروط في المؤرّخ. وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فإنه يحتاج إلى

المشاركة في العلم والقرب منه حتى يعرف مرتبته. (سخ، ذم، ٧٣، ١٨)

شرط وجود الملك

- شرط وجود الملك وهي العصبية أو ما يقوم مقامها. وفيه - لبيان ذلك وما يلحق به - مسائل. المسألة الأولى: أن الملك والدول العامة، إنما تحصل بالعصبية والشوكة. وقد يعبّر عنها بـ"الجند"، حيث يقوم مقامها. وذلك لأن حصول الملك - أولًا - متوقّف على التغلّب عليه بقهر من ينافس فيه، لشرف منصبه واشتماله على الملاذ البدنية والنفسانية، كما قال:

وَالمُلكُ بعْد أبِي لَيْلى لمنْ غلبَا

والتغلّب من حيث هو، كذلك متوقّف على العصبية، لما فيها من النعرة الحاملة على التعاضد والتناصر فحصول الملك - أولًا - متوقّف على العصبية، لا محالة، لأن شأن كل أمر لا يتمّ حمل الناس عليه إلا بالسيف والسنان، لما في طباعهم من الاستعصاء وصعوبة الانقياد، كما سبقت الإشارة إليه.... المسألة الثانية أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك، لأن صاحبها إذا بلغ رتبة الرئاسة التي يصير بها متبوعًا لا غير. وأمكنه الترقي إلى ما وراء ذلك من القهر والتغلّب، فإنه يترامى إليه بأقصى جهده، تكميلًا لمطلوب النفس منه، وتحصيلًا لغاية ما تجري إليه العصبية القاهرة، وهو الملك الذي به كمال القهر والتغلّب.... المسألة الثالثة: أن الدولة إذا تمهّدت قد تستغني عن العصبية. وسرّ ذلك أن الدول العامة في ابتدائها يصعب الانقياد لها - لغرابتها - إلا بتغلّب قوي. فإذا استقرّت رئاستها في أهل النصاب المخصوص بالملك، واستحكمت لهم صبغتها، فلا يحتاج - إذ ذاك - إلى كبير عصابة، ويكفي الاستظهار عليها، إما بالموالي والمصطنعين، أو بالعصائب الخارجيين عن نسبها الداخلين في ولايتها. (أزر، بدع١، ١٣٢، ٨)

شرطة

- الشُّرْطَة ويسمّى صاحبها لهذا العهد بإفريقية الحاكم؛ وفي دولة أهل الأندلس صاحب المدينة؛ وفي دولة الترك الوالي. وهي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة، وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان. وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدائها أولًا، ثم الحدود بعد استيفائها. فإن التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع إلا في استيفاء حدودها، وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها بإقرار يكرهه عليه الحاكم إذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك. فكان الذي يقوم بهذا الاستبداء وباستيفاء الحدود بعده إذا تنزّه عنه القاضي يسمّى صاحب الشُّرطة، وربما جعلوا إليه النظر في الحدود والدماء بإطلاق، وأفردوها من نظر القاضي، ونزهوا هذه المرتبة وقلّدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم. ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس،

إنما كان حكمهم على الدهماء وأهل الرِّتَب، والضرب على أيدي الرعاع والفجرة. ثم عظمت نباهتها في دولة بني أمية بالأندلس، ونوعت إلى شرعة كبرى وشرطة صغرى. وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء. وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظلامات، وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه. وجعل صاحب الصغرى مخصوصًا بالعامة. ونصب لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان ورجال يَتَبَوَّؤن المقاعد بين يديه، فلا يبرحون عنها إلا في تصريفه. وكانت ولايتها للأكابر من رجالات الدولة حتى كانت ترشيحًا للوزارة والحجابة. (خلد، قدم، ٦٨٧، ٦)

شرع

- من أعظم خطأ السلاطين والأمراء نظرهم في سياسات متقدميهم وعملهم بمقتضاها من غير نظر، فيما ورد به الشرع، ومن خطأهم تسمية أفعالهم الخارجة عن الشرع سياسة بأن الشرع هو السياسة لا عمل السلطان برأيه وهواه، ووجه خطأهم في ذلك أن مضمون قولهم يقتضي أن الشرع لم يرد بما يكفي في السياسة فاحتجنا إلى تتمة من رأينا؛ فهم يقتلون من لا يجوز قتله، ويفعلون ما لا يحل فعله، ويسمّون ذلك سياسة. (جو، نظم، ١١٧، ٦)

شرف الدولة

- الألقاب المخصوصة بالمتغلّبين على الدول، تشريفًا لهم ممن غلبوه على الأمر، وإشعارًا بحسن ولايتهم له. وهم - في ذلك - فرقتان: إحداهما: الواقفون عند هذا الحدّ، كملوك عجم المشرق وفي تسمية الخلفاء المتقلبين لهم بـ"شرف الدولة" و"عضد الدولة"، و"نظام الملك"، و"بهاء الملك"، ونحو ذلك. الثانية: المتجاوزون إلى ما وراء الغاية من ذلك في انتحال ما هو خاص بالملك، إشعارًا بالخروج عن ربقة الاصطناع، حيث أضافوها إلى الدين فقط، كـ"صلاح الدين"، و"نور الدين"، ونحو ذلك. وهم المتأخّرون منهم، لما قوي استبدادهم، وتلاشت بهم عصبية الخلافة. (أزر، بدع٢، ٧٤٣، ١٨)

شروط المؤرّخ

- شروط المؤرّخ لقد وضع العلماء شروطًا للجرح والتعديل حين الحديث عن طبقات الرجال وسيرهم وتراجمهم، وتحرّزوا أن يكون الجرح مفضيًا إلى الغيبة المنهى عنها. وظلّت شروط الجرح والتعديل مستعملة في مصطلح الحديث والطبقات إلى أن جاء عالم مصري صميم في القرن الثامن الهجري هو الإمام قاضي القضاة تاج الدين السبكي صاحب كتاب "طبقات الشافعية" وهو كتاب وثيق مشهور في تراجم الرجال، فوضع للمؤرّخين شروطًا، وهي شروط تنطبق أيضًا على كتاب التراجم والسير، وهي قسم من التاريخ. وقد بلغ من تحرز السبكي أنه حمل على

المؤرّخين - وهو منهم - حملة شديدة في كتابه "معيد النعم، ومبيد النقم"، وأخبر عنهم أنهم "على شفا جرف هاو، لأنهم يتسلّطون على أعراض الناس، وربما نقلوا مجرّد ما يبلغهم من صادق أو كاذب". وهذا النقل اعتباطًا بدون تمحيص أو تحقيق، أو تمييز بين الصحيح والباطل والأصيل والزائف هو آفة المؤرّخين في أغلب ما يكتبون، ومنه تكون مأتاتهم وانزلاقهم؛ فلا يشرف المؤرّخ أن يكون حاطب ليل يجمع الأخبار بغير تمييز، وينقلها بدون تمحيص، وإنما يشرّفه أن يقابل ويوازن، ويعرض على المحك كل ما ينقل إليه، ويحتكم إلى العقل، والواقع، والعرف، ومألوف العادة. ولهذا اشتراط السبكي في المؤرّخ شروطًا نقلها عنه السخاوي في كتابه "الأعلان بالتوبيخ" وقد كان بينهما قرابة قرن من الزمان. ويقول السبكي في هذا: (فلا بدّ أن يكون المؤرّخ عالمًا، عدلًا، عارفًا بحال من يترجمه، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصّب له، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغض منه. وربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة واعتقاد أنهم على ضلال، فيقع فيهم، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك). (حس، عر، ٢٧، ١)

- (شروط المؤرّخ): يشترط في المؤرّخ الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وأن لا يكون مما أخذه في المذاكرة ثم كتبه بعد، وأن يسمّي المنقول عنه. فهذه شروط أربعة فيما ينقله. أما ما يقوله من قبل نفسه، وما عساه يطول فيه من المنقول من بعض التراجم دون بعض، فيشترط فيه أن يكون عارفًا بحال المترجم علمًا ودينًا وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جدًّا. وأن يكون حسن العبارة عارفًا بمدلولات الألفاظ، حسن التصوّر بحيث يتصوّر حين ترجمة الشخص جميع حاله ويعبّر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص. وأن لا يغلبه الهوى، فيخيّل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الإنصاف، وإلا فالتجرّد عن الهوى عزيز. فهذه أربعة أخرى، ولك أن تجعلها خمسة، لأن حسن تصوّره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف، فيجعل حضور التصوّر زائدًا على حسن التصوّر والعلم. فتصير تسعة شروط في المؤرّخ. (حس، عر، ٢٩، ١)

شعبان

- (شعبان) جمعه شعابين وشعبانات ومنهم من يسمّيه وعلا الجمع أوعال ووعلان، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرًا كاملًا بعد رمضان سواه ويحرّم الصوم إذا انتصف إن لم يصله بما قبله. (سي، شم، ١٩، ١٠)

شعر

- الشعر ديوان العرب، أي سجل أحوالها،

وقيد أفعالها. فقد ظهر ... أن قصائد العرب هي التي دلّت على أيامهم ووقائعهم، ودرجة شرفهم ومجدهم، وعلو شهامتهم، وأنهم لم تتغيّر أحوالهم ولا طباعهم في الأزمان المختلفة، ولم يتنازلوا عما كانوا عليه في دهر من الدهور من النجدة والأريحية والحماس وكسب الفخار بما فيهم من العزّة والنخوة والأنفة والفتوّة، فهم وإن أحرصوا على أخذ الثأر ونفي العار وسفك الدماء والإيثار بالفخار، فكثيرًا ما نجدهم يتشبثون مع ذلك بالكرم والجود، ويميلون بالطبع إلى كسب الاعتبار المحمود، ويتنافسون في المفاخرات والمنافرات، وما هذا إلا عن إحساسهم من أنفسهم بأنهم أهل للمجد والشرف. (طه، عمل٣، ٦٢٥، ٥)

شعوبية

- كان "الشعوبية" والكتّاب، مسؤولين عن توسيع الاهتمام بالثقافة الفارسية وبالتراث الفارسي، وقد شهد القرن الثاني للهجرة حركة شعبية واسعة للترجمة عن الفارسية، فترجمت كتب تاريخية وشبه تاريخية. وأهم هذه الكتب هو كتاب الـ"خداينامة" الذي ترجمه ابن المقفع (ت ١٤٤هـ/ ٧٦٠م) عن الفهلوية وسمّاه كتاب (سير الملوك). (دو، نشأ، ٤٦، ٥)
- الشعوبية: التي انطلقت من العداء للعروبة والعرب والتعريب، مستهدفة تفكيك أواصر الدولة العربية التي جاءت ثمرة للفتوحات التي وحّدت الشرق تحت قيادة العرب والمسلمين. واتّخذت الشعوبية من التمايز العرقي والتعصّب الجنسي سبلًا لعرقلة حركة التعريب التي كانت تبشّر بتوحيد هوية الجماعات البشرية التي تعيش في الدولة الجديدة. (عم، وعى، ١٤٩، ٢٢)

شك

- الشكّ والنقد. ولا نغالي إذا قلنا إن التأريخ بدأ يتّخذ صفة علمية منذ أن أخذ رجاله يشكون في الروايات التي نقلت إليهم بالسماع أو الكتابة، ومنذ أن عمدوا إلى نقد صفات رواتها أو حاولوا امتحان مضمونها. وما فتئ تطوّر التأريخ كبحث علمي مرتبطًا أشدّ ارتباط بتقدّم هذا النقد وانضباط قواعده واتّساع تطبيقه. (زري، نحن، ٩٢، ٤)
- الفضيلة هي هنا، بالمعنى الأرسطوطاليسي، وسط بين طرفين: بين انعدام الشكّ والنقد، والمغالاة فيهما. وقد بدت هذه المغالاة (hypercriticism) عند بعض المؤرّخين الغربيين، فاستسلموا إلى الشكّ كما استسلم سواهم إلى التصديق، وتطرّفوا في التساؤل والإنكار كما تطرّف هؤلاء في القبول والإثبات، وطغت على عملهم الروح السلبية فلم يجلب شكّهم ونقدهم الفائدة الإيجابية المرجوّة. ولعلّ أهم صفة تطلب من العالم هي صفة الاتّزان، ولعلّه أحوج ما يكون إليها في هذه الناحية النافذة المؤثرة من عمله: ناحية النقد والتجريح. فما أحرى المؤرّخ، وهو من أشدّ العلماء تعرّضًا للأهواء والنزعات. بأن

يحرص على هذا الاتّزان، وأن يلتزمه في ما يحاول من اتّهام وتبرئة، وما يقبل عليه من تجريح وتعديل. (زري، نحن، ٩٥، ١٥)

شك المؤرّخ

- ينحصر شكّ المؤرّخ في سلسلتين أساسيتين من الأسئلة التي لا بدّ من الإجابة عنها لإخراج الحقائق التاريخية من سترة الريب إلى صحن اليقين. والسلسلة الأولى تتعلّق برأي الراوي في حقيقة ما يروي لأنه قد يموّه الباطل ويزيّن الخطأ. فيترتّب على المؤرّخ، والحالة هذه أن يتساءَل عن أمور عدّة ... والسلسلة الثانية من الأسئلة العلمية يتذرّع بها المؤرّخ للتوصّل إلى فهم الراوي وإدراك مقدار ضبطه. (رس، مصط، ٥٩، ١٤)

شمال

- الرياح أربع: الصبا والجنوب والشمال والدبور. ويقال الريح واحدة وإنّما يختلف في المهبّ من الجهات. فالصبا هي القبول ومخرجها بين المشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء من مطلق الذراع إلى مطلع سعد الذابح والدبور يقابلها، والجنوب مخرجها ما بين مشرق الشتاء إلى مغرب الشتاء من مطلع سعد الذابح إلى مسقط العقرب، والشمال يقابلها. والمطالع مائة وثمانون والمغارب مائة وثمانون لكلّ مطلع ريح ولكلّ مغرب ريح وكلّها داخلة في هذه الأربع. والريح هي الهواء بعينه فإذا أحدث الله فيه حركة هبّت واضطربت، وكذا يقول أكثر القدماء أنّ الريح سَيَلان الهواء ويزعمون أنّ هبوبها مرور الشمس بالأرض فيرتفع منها البخار، فإذا كان البخار رطبًا كان مادّة الأمطار وإن كان يابسًا كان مادّة الرياح وهذا جائز أن يجعل الله مرور الشمس علّةً لإثارتها إذا شاء كما جعل السحاب سببًا للمطر. (بلخ، بد٢، ٢٩، ١٥)

شوال

- (شوال) جمعه شواويل وشواول وشوالات وكان يسمّى (عادلًا) والجمع عوادل. (سي، شم، ١٩، ١٨)

شيء

- الشيء اسم عامٌّ يطلق على الجوهر والعرض وما يدرك بالبديهة والحاسّة والاستدلال من جميع ما مضى وانقضى وما هو ثابت في الحال وما سيكون فيما بعد. وحدّ الشيء ما يصحّ أن يُعلم أو يُذكر أو يوجد أو يخبر عنه، فإذا كان هذا حدّ الشيء فقد ثبت أن المعدوم شيء لأنّه يصحّ الخبر عنه، وأنكر قوم أن يكون المعدوم شيئًا وجعلوا حدّ الشيء أن يكون مثبتًا موجودًا لأنّ الموجود والمثبت يعمّان الأشياء كما يعمّ الشيء ولا نقيض لهما. قالوا فلو كان حدّ الشيء المعلوم لوجد له نقيض وهو المجهول، وزعم بعضهم أنّ حدّ الشيء المُثبت لا غير ولا شيء منفى والمعدوم غير مُثبَت. (بلخ، بد١، ٣٧، ١)

شيث

- شيث بن آدم صلى الله وسلم عليهما. قال وهب كان شيث بن آدم أجل ولد آدم وأفضلهم وأشبههم بآدم وأحبهم إليه، وكان وصّى أبيه وولي عهده وهو الذي ولد البشر كلهم إليه انتهى انساب الناس، وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة، وكانت هناك خيمة لآدم وضعها الله له من الجنة وأنزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة. (قتي، خبط، ١٠، ٩)

- تفسير شيث هبة الله، ومعناه أنّه خلف من هابيل، وهو وصيّ آدم. وقال ابن عبّاس: كان معه توأم. ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى شيث وعلّمه ساعات اللّيل والنهار وعبادة الخلوة في كلّ ساعة منها وأعلمه بالطوفان، وصارت الرياسة بعد آدم إليه، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة، وإليه أنساب بني آدم كلّهم اليوم. (أث، كمل، ٤٧، ١٦)

- كان آدم وحواء عاريَين بغير لباس ولم يستحِ أحدهما من الآخر حتى دخل الشيطان في الحية وخدعت حواء فأكلت من الثمرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها وأعطت أيضًا آدم بعلها فأكل. فانفتحت أعين قلبيهما وأحسّا بالعُري فاستحيا واتّزرا بورق التين وأُهبط بهما من جنة عدن إلى الأرض على تسع ساعات من نهار الجمعة وكانت خلقتهما في الساعة الأولى من هذا النهار بعينه. وقد اختلفت علماؤنا في أمر الثمرة المنهي عنها فقال قوم إنها البُرّ وقال آخرون إنها العنب وقال الأكثرون إنها التين وغريغوريوس النوسويّ يزعم أنها رمز إلى القوة الشهوانية والنازينزيّ يرى أنها رمز إلى المراء في ذات الله وصفاته. وعلى رأي مار ثوديوس بعد ثلاثين سنة للانتفاء من الجنة باشر آدم حواء فولدت قابين وقليميا أخته توأمين. وبعد ثلاثين أخرى غشيها فولدت هابيل ولبوذا أخته توأمين. وبعد سبعين سنة أخرى حاول آدم تزويج كل واحد منهما بتوأمة أخيه. فأبى قايين طالبًا توأمته ولأجل ذلك قرّب قربانًا من ثمار أرضه لكونه فلاحًا فلم يُقبل لفساد طريقته. ورفع هابيل قربانًا من أبكار غنمه لكونه راعيًا فقبُل لحسن سيرته. فأسرّ قايين عداوة أخيه فقتله غيلة واستوطن أرض نوذ الخارجة عن حدود ولد أبيه. وحزن آدم على هابيل مائة سنة. ثم عاد مفضيًا إلى حواء فولدت شيث والماضي من عمر آدم يومئذٍ على رأي الاثنين والسبعين حبرًا الذين نقلوا التوراة وكتب الأنبياء لبطليموس ملك مصر قبل مجيء السيد المسيح لذكره التبجيل كما سيأتي شرح ذلك في موضعه مائتان وثلاثون سنة. وعلى رأي التوراة التي بأيدي اليهود بعد مجيئه مائة وثلاثون سنة. وجميع أيام آدم على الرأيين تسعمائة وثلثون سنة. (عب، خصر، ٥، ١٩)

شيث بن آدم

- (شيث بن آدم) يقال إنه أول من ابتدع الكتابة وشوّق ولده إلى الحياة السعيدة التي

كانت لأبويه في الجنة فانقطعوا إلى جبل حرمون متعكفين على العبادة والنسك والعفّة لا يطورون بجنبة النساء. فسمُّوا بذلك بنو ألوهيم أي الإله. وأولد شيث أنوش وله حينئذٍ على الرأي السبعينيّ مائتان وخمس سنين وعلى رأي اليهود مائة وخمس سنين وجميع أيامه على الرأيين تسعمائة واثنتا عشرة سنة. (عب، خصر، ٦، ٥)

شيرباميان

- ملك التّرْمِذ ترمذشاه، ملك البامیان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيوْشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٦)

شيعة

- الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم. ومذهبهم جميعًا متّفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويتعيّن القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصومًا من الكبائر والصغائر، وأن عليًّا رضي الله عنه هو الذي عيّنه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم. (خلد، قدم، ٥٨٧، ٨)

ص

صابئة

- تأريخ المتنبّئين، فقد خرج فيما بين ما أوردناه من الأنبياء والملوك نفر من المتنبّئين يقصر الكتاب عن تعدادهم والإبانة عن أخبارهم، فمنهم من هلك غير متَّبع ولم يبق إلّا الذِّكر بعده فقط، ومنهم من اتَّبعه أمَّة وبقيت نواميسه عندها وهم مستعملون تاريخ. فمن الواجب أن نذكر تواريخ المشورين منهم فإنَّ في ذلك منفعة في علم أحوالهم أيضًا، وأوّل المذكورين منهم بوذاسف وقد ظهر عند مُضِيّ سنة من ملك طهمورث بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسيّة ودعا إلى ملَّة الصابئين فاتَّبعه خلق كثير وكانت الملوك البيشداذيّة وبعض الكيانيّة ممَّن كان يستوطن بلخ يعظِّمون النَّيِّرين والكواكب وكلّيّات العناصر ويقدِّسونها إلى وقت ظهور زرادشت عند مضيّ ثلثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئة بحرّان يُنْسَبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرّانيّة، وقد قيل إنَّها نسبة إلى هاران بن ترح أخي إبراهيم عليه السلام وأنّه كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين وأشدَّهم تمسُّكًا به، وحكى عنه ابن سنكلا النصرانيّ في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل أنَّهم يقولون إنَّ إبراهيم عليه السلام إنّما خرج عن جملتهم لأنّه ظهر في قلفته برص، وأنَّ من كان به ذلك فهو نجس لا يخالطونه، فقطع قلفته بذلك السبب يعني اختتن ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتًا من الصنم يقول له يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيبٍ واحد وجئتنا بعيبين اخرُج ولا تعاود المجيء إلينا، فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذًا وخرج من جملتهم. ثمّ أنَّه ندم بعد ما فعله وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم زعم، فلمّا علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكَبْش، وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكنديّ النصرانيّ عنهم في جوابه عن كتاب عبدالله بن اسمعيل الهاشميّ أنَّهم يعرفون بذبح الناس ولكنّ ذلك لا يمكنهم اليوم جهرًا، ونحن لا نعلم منهم إلّا أنَّهم أناس يوحِّدون الله وينزّهونه عن القبائح ويصفونه بالسَّلب لا الإيجاب، كقولهم لا يُحدُّ ولا يُرى ولا يظلم ولا يجور ويسمّونه بالأسماء الحُسنى مجازًا، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويُعظِّمون الأنوار، ومن آثارهم القبَّة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلَّاهم أيّام كان اليونانيّون والروم على دينهم ثمّ صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ثمّ تغلّب عليها النصارى فصيَّروها بيعةً إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتَّخذوها مسجدًا، وكانت

لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخيّ في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس، وحرَّان فإنّها منسوبة إلى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان وبقربها قرية تسمّى سلمسين واسمها القديم صنم سين أي صنم، وقرية أخرى تسمّى ترع عوز أي باب الزهرة. ويذكرون أنّ الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم وأنّ اللّات كان باسم زحل والعُزَّى باسم الزَّهرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصريّ وأغاذيمون وواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جدّ أفلاطون من جهة أمّه وأمثالهم، ومنهم من حرَّم عليه السَّمك خوفًا أن يكون رعادةً والفرخ لأنّه أبدًا محموم والثُّوم لأنَّه مصدِّع محرق للدم أو المنى الذي منه قوام العالم والباقلاء فإنّه يُغلِّط الذِّهن ويفسده وإنّه في أوّل الأمر إنَّما نبت في جمجمة إنسان، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أوّلها عند طلوع الشمس ثماني ركعات والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات وفي كلّ ركعة في صلوتهم ثلث سجدات ويتنفَّلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار وأخرى في التاسعة من النهار وثالثة في الساعة الثالثة من الليل ويُصَلُّون على طهر ووضوء ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين وفي التَّنجُّس عند مسّ الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتورية، ولهم قرابين متعلّقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولَّاها كهنتهم وفاتنوهم ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرِّب وجواب ما يسأل عنه، وقد يُسمَّى هرمس بادريس الذي ذكر في التورية أحنوخ وبعضهم زعم أنّ بوذاسف هو هرمس وقد قيل إنَّ هؤلاء الحرّانيّة ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمَّون في الكتب بالحنفاء والوثنيَّة، فإنّ الصابئة هم الذين تخلَّفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيّام كورش وأيّام أرطحشست إلى بيت المقدس ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بُخْتَنَصَّر فذهبوا مذهبًا ممتزجًا من المجوسيّة واليهوديّة كالسامرة بالشام، وقد يُوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصِّلة منتمين إلى أنوش بن شيث ومخالفين للحرّانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلّا في أشياء قليلة حتّى إنّهم يتوجَّهون في الصلواة إلى جهة القطب الشماليّ والحرّانيّة إلى الجنوبيّ. (بير، بقي، ٢٠٤، ٢١)

صاحب المصدر

- صاحب المصدر هو الواسطة بيننا كمؤرّخين وبين الحقيقة التاريخية التي نريد الوصول إليها، فإذا كان رجلًا متزنًا وأهلًا للثقة، كانت المعلومات التي نستقيها منه أقرب إلى الصحّة وأدعى للاطمئنان بصفة

عامة، والعكس صحيح. (علف، فت، ١٤٥، ١٨)

صاع

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٥، ١٠)

صالح

- صالح صلى الله عليه وسلم. قال وهب إن الله عزّ وجلّ بعث صالحًا عليه السلام إلى قومه حين راهق الحلم وكان رجلًا أحمر إلى البياض سناط الشعر وكان يمشي حافيًا ولا يتّخذ حذاء كما يمشي المسيح ولا يتّخذ مسكنًا ولا بيتًا ولا يزال مع ناقة ربه حيث توجّهت. وهو صالح بن عبيد بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وكانت منازل قومه بالحجر وبين الحجر وبين قرح ثمانية عشر ميلًا وقرح هي وادي القرى. ولما قال له قومه ائتنا بآية أتى بهم هضبة فلما رأته تمخّضت كما تمخض الحامل وانشقّت عن الناقة، وعاقر الناقة هو أحمر ثمود الذي يضرب به المثل في الشؤم واسمه قدار بن سالف وكان أحمر أشقر أزرق سناطًا قصيرًا، والعاقر الآخر مصدع بن مهرج وكان رجلًا نحيفًا طويلًا أهوج مضطربًا، ولما عقرت الناقة صعد فصيلها جبلًا ثم رغا فأتاهم العذاب وقال غير وهب. فلذلك تقول العرب رغا فوقهم سقب السماء إذا هلكوا. (قتي، خبط، ١٤، ١٣)

صبا

- الرياح أربع: الصبا والجنوب والشمال والدبور. ويقال الريح واحدة وإنّما يختلف

في المهبّ من الجهات. فالصبا هي القبول ومخرجها بين المشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء من مطلق الذراع إلى مطلع سعد الذابح والدبور يقابلها، والجنوب مخرجها ما بين مشرق الشتاء إلى مغرب الشتاء من مطلع سعد الذابح إلى مسقط العقرب، والشمال يقابلها. والمطالع مائة وثمانون والمغارب مائة وثمانون لكلّ مطلع ريح ولكلّ مغرب ريح وكلّها داخلة في هذه الأربع. والريح هي الهواء بعينه فإذا أحدث الله فيه حركة هبّت واضطربت، وكذا يقول أكثر القدماء أنّ الريح سَيّلان الهواء ويزعمون أنّ هبوبها مرور الشمس بالأرض فيرتفع منها البخار، فإذا كان البخار رطبًا كان مادّة الأمطار وإن كان يابسًا كان مادّة الرياح وهذا جائز أن يجعل الله مرور الشمس علّة لإثارتها إذا شاء كما جعل السحاب سببًا للمطر. (بلخ، بد٢، ٢٩، ١١)

صبوة الدولة

- من الأمور المقرّرة في التاريخ السياسي، أن مؤسّسي الدول ومن يتلوهم من الأمراء الأولين يغلب فيهم الاقتصاد والتدبير، ولولا ذلك لم يتأت لهم إنشاء الدول أو تثبيت دعائمها، ويعبر فلاسفة التاريخ عن ذلك بصبوّة الدولة. والصبوة تدعو إلى النمو بالادخار. فإذا بلغت الدولة شبابها وتمّ نموّها عادت ناكصة على عقبيها، كما يتقهقر المرء إلى الكهولة فالشيخوخة - فالدولة العباسية نشأت في حجر السفاح طفلة، فتناولها المنصور صبية فغذّاها وأنماها حتى أدركت شبابها في أيام الرشيد والمأمون، ثم تقهقرت إلى الكهولة فالشيخوخة فالهرم في أيام الخلفاء الذين أتوا بعد ذلك. (زي، مدن٢، ١٠١، ٣)

صدفة

- نصل أخيرًا في مجال بحث السببية التاريخية إلى مشكلة هامة تقطع الطريق على الأسباب المعقولة هي مشكلة الاحتمال والصدفة. المؤرّخون يلاحظون أحيانًا أن ثمّة أمورًا وحوادث في التاريخ تتأبّى على "المعقولية". وتسير في ما وراء السببية التي نفهم ونصطنع.. فكأن المعقولية ليست وحدها التي تحكم قوانين التاريخ ومسيرته... بلى! ثمّة في حدود ما نعرف من أحداثه وعوامله عنصر من العبث absurd واللامعقول ليس له أي معنى ولا أي تفسير أو غاية، ولكنه مع ذلك واقع تاريخي قائم. (علف، فت، ٢٠٣، ٨)
- قد لا تكون "الصدفة" نوعًا من فوضى العلاقة. قد لا تكون - وهو الأرجح - نوعًا من الهوى العشوائي الأعمى لقوى غيبية عابثة... ولقد تكون بالعكس هي الاسم المبهم الذي نطلقه على مجموعة تلك البنى التكوينية والأسباب والعوامل الدقيقة المعقدة الخفية التي نجهل والتي تجعل حدثًا من الأحداث يقع كنتيجة منطقية لها بينما لا تقع في الوقت ذاته أو بدلًا منه أحداث أخرى من مثله ليست أقلّ

منطقية ولا معقولية ولا قابلية للحدوث منه. . وهذا يعني أن "العبثية" قد تكون ظاهرية فقط، وقد تكون اللامعقولية نسبية وعارضة تمتدّ بمقدار ما يدوم جهلنا لتلك العوامل والبنى المشتبكة والمتفاعلة وراء الحدث، والتي لم تطلها حتى اليوم المقاييس والمناهج والمعارف المتوفّرة في أيدينا. . . ولكنا حتى كشف تلك العوامل سنظل، في السببية التاريخية، مضطرّين لإفساح مجال كبير جانبي. . لمفاجآت الصدف. وهو ما لا تقبل به العلوم ولا ترتضيه مبادئ السببية العلمية المتزمّتة. إنه يقع خارج نطاقها. (علف، فت، ٢٠٥، ٨)

صدقة

- الصدقة والزكاة لفظان مترادفان. وهي تؤخذ من أغنياء المسلمين وتفرّق في فقرائهم. . . . وللصدقة ديوان في مركز الخلافة له فروع في سائر الولايات والبلدان. ويستقلّ والي الصدقة في كل بلد بالاستيلاء على أموال الصدقة من أغنياء ذلك البلد وتفريقها على فقرائه. ومصادر الزكاة أربعة: زكاة الماشية وزكاة الذهب والفضة وزكاة الأثمار وزكاة الزروع. (زي، مدن١، ٢٢٢، ٧)

صدقة جارية

- الصدقة الجارية، خصّها بعض العلماء بالوقف، وجعلها من أدلّة تشريعه، وقال بعدم الوصية في معنى الصدقة، وبعدم دخول صدقة التطوع، والقرينة دالّة على العموم، لا سيما إذا كان الحديث في معرض فضائل الأعمال، فالعبرة بعموم لفظه، فالمدار على أن تكون الصدقة جارية مستمرّة باقية مخلدة، لا ينقطع نفعها، ولا يمتنع من الدرّ ضرعها، كحفر الآبار في أي محل من المحال، حيث يصير النفع بها، رصدت على جهة أم لم ترصد، وغرس الأشجار التي يتظلّل بها، وإجراء الأنهار، وتسليك الطرق، وجميع الأفعال الخيرية الدائمة، فالصدقة الجارية بهذا المعنى جامعة لأكثر أركان المنافع العمومية، والأوقاف داخلة فيها، مما يرصد للمساجد والمارستانات، ونحو ذلك مما يبتغي به الواقف وجه الله تعالى، حتى يكون من المنافع العمومية، والباقيات الصالحات، والأعمال الحسنات، فإن كثيرًا من أرباب اليسار يحرصون على بناء المساجد والمدارس، ويحبسون عليها الدور والخانات والحوانيت وغيرها، ويكتبون أسماء عليها ليتخلّد ذكرهم، ويذكر في الصحف أهل الخير خيرهم، فإذا كان هذا البناء وما يرصد عليه من وجه حلال طيب، كان من مصداق الحديث، يعني من الصدقات الجارية النفع والثواب، وإلا بأن كان بوجه الاغتصاب أو كان لمجرّد الفخر، كان راصده مجرّدًا عن الأجر، مجازى بالعقاب، فلو كان صاحبه ردّ المال على أربابه لكان أولَى. (طه، عمل١، ٢٧١، ١٤)

صفة

- الصفة ما يلاصق الموصوف كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة. (بلخ، بدا، ٩٦، ١٢)

صفة الأرض

- صفة الأرض إنها مدوَّرة كتدوير الكُرَة موضوعة في جوف الفلك كالمُحَّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض إن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخِفَّة والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد، والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بناتُ نَعْش، فاستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والأصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خطّ الاستواء وبين كلّ واحد من القطبين تسعون درجة أُصطرلابيّة واستدارتها عرضًا مثل ذلك إلَّا أن العمارة في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الرُّبْع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلُّ ربع من الشماليّ والجنوبيّ سبعة أقاليم. وذكر بطلميوس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومائتي مدينة. (خرد، مسلك، ٤، ٥)

صفر

- (صفر) جمعه أصفار قال ابن الأعرابي: والناس كلهم يصرفونه إلا أبا عبيدة فخرق الإجماع بمنع صرفه فقال للعلمية والتأنيث بمعنى الساعة، قال ثعلب سلح وهو لا يدرى لأن الأزمنة كلها ساعات. (سي، شم، ١٨، ١٦)
- سمّي المحرم لأن القتال محرّم فيه وصفر لأن العرب كانت تنزل فيه بلادًا يقال لها صفر وشهرا ربيع كانوا يربعون فيهما وجماديان كان يجمد فيهما الماء. (سي، شم، ٢٠، ٨)

صقالبة

- من كان موغلًا في الشمال فإفراط بُعد الشمس عن مسامتة رؤوسهم برّد أمزجتهم وفجّج أخلاقهم فعظمت أبدانهم وابيضّت ألوانهم واستدلَت شعورهم فعدموا بهذا دقّة الأفهام وثقوب الخواطر فغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم الغيّ والغباوة، كالصقالبة ومجاوريهم. ومن كان منهم قريبًا من معدّل النهار وخلفه إلى نهاية

المعمورة في الجنوب لطول مقاربة الشمس رؤوسهم سخنت أمزجتهم واحترقت أخلاطهم فاسودّت ألوانهم وتفلفلت شعورهم فعدموا بهذا الاناة وثبوت البصائر، كالحبشة وباقي السودان، إلا الهند فإن الله قد فضلهم على كثير من السمر والبيض وهم معدن الحكمة وينبوع العدل، إلا أنهم يُثبتون أزل العالم ويُبطلون النبوّات ويحرمون ذبح الحيوان ويمنعون إيلامه. (عب، خصر، ٣، ١٨)

صلاة الجماعة

- صلاة الجماعة فكانت تبعث على الاتحاد والنظام والطاعة للنظام العام من الناحية الاجتماعية. (زي، مدن١، ١٢٢، ١٥)

صلاح الدين

- الألقاب المخصوصة بالمتغلّبين على الدول، تشريفًا لهم ممن غلبوه على الأمر، وإشعارًا بحسن ولايتهم له. وهم - في ذلك - فرقتان: إحداهما: الواقفون عند هذا الحدّ، كملوك عجم المشرق وفي تسمية الخلفاء المتقلبين لهم بـ"شرف الدولة" و"عضد الدولة"، و"نظام الملك"، و"بهاء الملك"، ونحو ذلك. الثانية: المتجاوزون إلى ما وراء الغاية من ذلك في انتحال ما هو خاص بالملك، إشعارًا بالخروج عن ربقة الاصطناع، حيث أضافوها إلى الدين فقط، كـ"صلاح الدين"، و"نور الدين"، ونحو ذلك. وهم المتأخّرون منهم، لما قوي استبدادهم، وتلاشت بهم عصبية الخلافة. (أزر، بدع٢، ٧٤٣، ٢٢)

صلاح الرعية

- صلاح الرعية بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بصلاح الوزير فصلاح الرعية بصلاح الوزير ضرورة، وكذا في العكس. ومن ثم قال أفلاطون: طاعة الرعية بسداد الوزراء. (أزر، بدع١، ١٨٨، ٣)

صنائع

- الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضريّ وكثرته. وما لم يستوف التمدّن به فلا تُصرف الهمم لما وراء الضروريّ من المعاش. وإذا استوفى مبالغ كماله ووقت إكماله بالضروري وما يزيد عليه. فحينئذٍ يُصرف ذلك الزائد إلى الكمالات في المعاش. ومنها الصنائع. إذا تقرّر هذا، فتلك الصنائع من العوائد التي لا رسوخ لها؛ إلا بكثرة التكرار الطويل الأمد. وظاهر أنها بعد استحكام صبغتها لذلك يفسدها جملة؛ شأن الملكات الراسخة الحصول. (أزر، بدع٢، ٨٠٤، ٢)
- الصنائع ضربان: بسيط فيختصّ بالضروريات، ومُركّب مراد للكماليات. وللأول خواص: إحداها: تقدّمه بالطبع في التعليم، لبساطته أولًا، ولتوفر الدواعي على نقله لاختصاصه بالضروريّ ثانيًا. الثانية: نقص تعليمه لذلك؛ إلى أن يكمل باستخراج مركباته من القوة إلى الفعل بالاستنباط الفكري على التدريج. الثالثة:

حصوله في أزمان وأجيال، لا دفعة واحدة، لأن ما بالقوة لا يخرج إلى الفعل إلّا كذلك؛ خصوصًا في الأمور الصناعية. فإذن لا بدّ لها من زمان. (أزر، بدع٢، ٨٠٥، ٣)

- الصنائع الضرورية في العمران الحضري ضربان: أحدهما: ما هو ضروري وغير شريف بالموضوع؛ كالفلاحة والبناء، والخياطة، والتجارة، والحياكة. الثاني: ما هو ضروريّ وشريف بالموضوع، ومن أشهره صناعات ثلاث: الصناعة الأولى: التوليد، وهي المعرفة باستخراج المولود الآدميّ من بطن أمّه، ثم بما يصلحه بعد الخروج. وموضوعها المولود وأمه. وهي ضرورية في كون الإنسان؛ إلا في حق من استغنى عنها؛ معجزة، أو إلهامًا. وتختصّ بالنساء غالبًا. وتسمّى العارفة بذلك: "قابلة"، لقبولها ما تعطيها النفساء من الجنين. الصناعة الثانية: الطب، وهو حفظ صحة الإنسان، ودفع المرض عنه. وموضوعه بدن الإنسان. وهي ضرورية في الحواضر، لكثرة الأكل، وفقد الرياضة، وتعفّن الهواء؛ لا البوادي، للسلامة من ذلك بقلّة الأكل، لعدم الخصب، ووجود الرياضة بكثرة الحركة، وصحّة الهواء بقلّة الرطوبة للمقيم، أو باختلافه للضاعن. قال (ابن خلدون): ولهذا لا يوجد طبيب في البادية بوجه. ... الصناعة الثالثة: الكتابة، وهي رسوم وأشكال حرفية، تدلّ على الكلمات المسموعة الدالّة على ما في النفس. وهي حافظة على الإنسان حاجته، وحقيقتها عن النسيان، ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب، ومخلّدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف، ورافعة الوجود للمعاني. وشرفها ظاهر من هذه الوجوه. (أزر، بدع٢، ٨١٠، ٣)

- تعليم العلم من جملة الصنائع لأمرين: أحدهما: أن الملكة في العلم غير الفهم فيه، لوجود فهم مسألة واحدة من فن واحد مشتركًا بين الشادي في ذلك الفن والمبتدئ فيه، وبين العامي والعالم النحرير. والملكة إنما هي للعالم أو الشادي فقط. وكانت الملكات كلها جسمانية والجسمانيات بأسرها محسوسة، فتفتقر إلى التعليم ضرورة. الثاني: أن اختلاف الاصطلاحات فيه - كما لكل إمام - مما اختصّ به شأن الصنائع كلها، وكما بين المتقدّمين والمتأخّرين في علم الأصول والفقه والعربية، يدلّ على أن ذلك ليس من العلم؛ وإلا لكان واحدًا عند الجميع. فالعلم واحد وتلك الاصطلاحات صناعة. (أزر، بدع٢، ٨١٣، ١٤)

صناعة

- الصناعة هنا ما يعنى في اللغات الغربية بـ "التكنيك"، أي الجهد المنصرف إلى غاية معيّنة والمنضبط بقواعد حقّقها بالاختبار تكفل بلوغه تلك الغاية عن أسلم الطرق وأضمنها وأوفرها نتاجًا. ولقد كان بإمكاننا أن نقول "فن" التأريخ تعبيرًا عن المعنى ذاته، لولا خوفنا من أن يلتبس المقصود

إليه هنا بالإخراج الأدبي للبحث التأريخي. (زري، نحن، ٦٧، ١)

صناعة التاريخ

- إن هذه الصناعة (صناعة التاريخ) هي نتيجة تطوّر طويل المدى بدأ منذ أن أخذ الإنسان يلتفت إلى ماضيه ويسجّل حوادثه. ولكن هذا التطوّر ظلّ بطيئًا متفرّقًا خلال قرون عديدة، ولم ينطلق ويتجمّع ويتكامل حتى العصور الحديثة، بل لنقل حتى القرن التاسع عشر الماضي عندما قوي فعله في الإنتاج التأريخي، ثم أدّى في أواخر ذلك القرن وأوائل القرن العشرين إلى تحديد نظري للصناعة التأريخية، ودراسة خاصة بهذا الموضوع. هذه الصناعة تعرف في الغرب بمثودولوجية التأريخ. وقد دعاها الدكتور أسد رستم في أول كتاب ألِّف في هذا الموضوع في اللغة العربية "مصطلح التأريخ"، جريًا على التسمية التي أطلقها العلماء المسلمون على علم "مصطلح الحديث"، ذلك العلم الذي عمدوا فيه إلى نقد أحاديث الرسول واستخلاص قواعد هذا النقد. ومن المعلوم أن هذا النقد قد تسرّب أثره من الحديث إلى التأريخ، وأن المؤرّخين المسلمين الأولين استفادوا منه في نقد رواياتهم. ولكن ظروفهم، والمرحلة التي بلغها عصرهم من التطوّر العقلي، لم تسمح لهذه البذور بأن تتفتّح، وأن تؤتي ثمارها الكاملة التي نعرفها اليوم. ومع هذا، فإنه يحسن بنا أن نعود إلى هذه الجهود الأولى، وإلى جهود نقد الحديث من ورائها، إذ نجد فيها مبادئ مستنبطة حرية بأن تُبعث وتحقّق وتنشر، وبأن يجلى ما تتضمّنه من سبق وابتكار، لتحتلّ مكانها في تاريخ الجهد النقدي التأريخي الذي ساهمت فيه الشعوب المختلفة خلال القرون. ولقد أصاب الدكتور رستم إذ اتّجه في بحثه هذا الاتجاه وربط بين مبادئ الصناعة التأريخية الحديثة ومبادئ "مصطلح الحديث"، فكان له فضل السبق بين المؤرّخين العرب المحدثين، سواء من جهة التأليف في المثودولوجيا التأريخية عمومًا أو من جهة تبيان فضل علماء الحديث في هذا الباب. إن الأسلوب الذي تنطوي عليه الصناعة التأريخية يتكوّن من سلسلة من الجهود المحكمة المتابعة تبدأ من اكتشاف الأثر أو الوثيقة التي خلفها الماضي وتنتهي بالتأليف التأريخي. وهو، كما قلنا، قد أصبح موضوع دراسة منظّمة مستفيضة، بل كاد يؤلّف علمًا خاصًّا من العلوم المتّصلة بالتأريخ. (زري، نحن، ٦٧، ٨)

صناعة تاريخية

- تفرض الصناعة التأريخية أن يكون المؤرّخ قد اختار حقبة من حقب الماضي أو ناحية من نواحيه لدراستها وجلاء غامضها. (زري، نحن، ٦٩، ٢)
- الخطوة الأولى من خطى الصناعة التأريخية هي البحث عن المصادر المتعلّقة بموضوع المؤرّخ. وهذه المصادر على أنواع عديدة، تختلف قيمة كل نوع منها حسب

الفترة أو الناحية المعني بها. فثمّة الأبنية والنقوش والتماثيل، والمخلفات المادية من آنية وألبسة ونقود وما إليها، والوثائق المكتوبة التي دوّن فيها السلف خوالج نفوسهم أو ضروب معاملاتهم، أو التي سجّلوا فيها أحداث زمانهم أو أخبار الماضي. وبإيجاز: إن كل أثر، مادي أو أدبي، خلفه لنا الماضي هو مصدر من مصادر التأريخ. بل كثيرًا ما يتجاوز المؤرّخ هذه الآثار المحسوسة ويحاول استنطاق الحياة الحاضرة لينفذ من خلال مظاهرها المتعدّدة، كاللغة والمعتقدات والعلاقات الاجتماعية، إلى الأصول التي نشأت منها والتحوّلات التي طرأت عليها. (زري، نحن، ٧٠، ٧)

- كل خطوة من خطى الصناعة التأريخية تستدعي الدقّة بأقصى معانيها وأضيق حدودها. فالبحث عن المصادر يقتضي عدم الاكتفاء بما يبيّن للعين أو يعثر عليه بأيسر جهد، بل يتطلّب الاستقصاء البعيد والتفتيش الدقيق في كل ركن وزاوية أملًا في أن ينكشف شيء جُديد. وإثبات النص وتعرّف المؤلّف ومكانه وزمانه يستدعيان تقييم النسخ ومقابلتها ومقارنتها والنظر في الأدلّة المستنبطة من النص ذاته ومن سواه: كل ذلك بانتباه وإمعان وحرص، ولزوم دائم للنص والدليل. واستخراج الحقائق المفردة من النصوص يتطلّب هذه الشروط ذاتها. أما استخلاص الأحكام العامة وتعليل الأحداث، فيفرض جودة في الربط، وإحكامًا في الاستنتاج، ودقّة في الحكم، كأشدّ ما يفرضه أي جهد علمي مماثل. وأخيرًا إن عرض هذه الحقائق والأحكام يحتاج إلى انضباط في التعبير، وحرص على تأدية الحقيقة بأوضح الأساليب وأصرحها وأبعدها عن الغموض والاضطراب والميعان. (زري، نحن، ٩٧، ٢)

- نرى بين المؤرّخين المحدثين عددًا وافرًا متكاثرًا من الذين امتلكوا ناصية الصناعة التأريخية، فأقبلوا على المصادر يدرسون نصوصها ويستخرجون منها الحقائق الجزئية، ويملأون صفحات الكتب والمجلّات بها. ولسنا لننكر خدماتهم الجزيلة في هذا المضمار، ولكننا نعتقد أنهم لا يتمّمون وظيفة التأريخ كاملة إلا إذا ضمّوا إلى هذه الصناعة الدقيقة، النظر المتأمّل في أحداث الماضي، الرابط بينها، الحاكم لها أو عليها، المكتشف أثرها في الحاضر، الدافع إلى الفهم الشامل الصحيح والعمل الإيجابي المثمر. وبكلمة أخرى: إن هذه الصناعة كثيرًا ما يذهب بها الحرص على الدقّة إلى تجزئة الماضي وإلى إضعاف صلته بالحاضر، فتحدث ثمّة هوّة بين "المعارف" التأريخية المتكاثرة المتناثرة و"الفكر" و"الاتجاهات" التأريخية التي يجب أن تحتويها الثقافة الفردية والاجتماعية هوّة بين التأريخ كصناعة فحسب، والتأريخ كتفكير معيّن له ميزاته وخصائصه التي تكمل معنى الصناعة فيه والتي تميّزه بالوقت ذاته عن التفكير الذي يتجلّى في

العلوم الأخرى. (زري، نحن، ١١٢، ١٦)

- نخطئ إذا اعتقدنا أن الماضي شيء مجرّد خارج عن الإنسان، مستقلّ عن نزعاته وميوله وآماله الحاضرة. وهذا هو الخطأ الذي ينطوي عليه موقف المدرسة الموضوعية التي ركّزت إيمانها على "الصناعة التأريخية" وذهبت بها إلى أبعد حدودها. فليس من الممكن - مهما حاول رانكه - المؤرّخ الألماني - وسواه - أن ينعزل الإنسان عن حاضره انعزالًا تامًّا ليكتشف حقيقة الماضي كأنها حقيقة قائمة بذاتها منفصلة عنه. بل لا بدّ لكل إنسان ولكل جيل من أن ينظر إلى الماضي من خلال اعتقاداته واهتماماته وآماله. ورانكه وأمثاله من مؤرخي القرن التاسع عشر لم يروا التاريخ كما رأوه إلا لأنهم أبناء ذلك القرن، ولو عاشوا قبله أو بعده - لو كانت اهتماماتهم ونظرتهم إلى الأمة والإنسانية والفكر والحياة غير ما كانت عليه - لجاء نتاجهم مختلفًا عمّا بلغنا منهم. (زري، نحن، ١٥٩، ١٥)

صناعة علمية

- من اختبر العلم وعرف العلماء حق المعرفة يستطيع أن يميّز بين من حذق الصناعة العلمية فحسب وبقي ضمن حدودها فكان تكنيكيًّا محضًا، ومن اتّسع أفقه وألحّ تساؤله وعمّق اختباره فحقّق معنى العلم والعالم بصورة أشمل وأغنى، فنفذ إلى متضمّنات الأسلوب وعرف حدوده، وناقش موضوع علمه ومعطياته، وربط نتائجه بنتائج سواه من العلوم، وسيطر بفكره على مادته وأسلوبه وصناعته بدلًا من أن يكون محدودًا بها وخاضعًا لها (هوذا صاحب التفكير العلمي أو التفكير التاريخي). (زري، نحن، ١١٢، ٦)

صناعة الكتابة

- صناعة الكتابة عظيمة النفع عند جميع الأمم، وهي روح العبادات والمعاملات، وتذكار الماضي ونظام المستقبل الآت، ورسول المعنى القائم بالجنان، وأحد الوجودات الأربع، وهي وجود البنان ووجود العيان ووجود الجنان ووجود الأذهان، وهي نقوش حروف المعجم المتّفقة غالبًا في سائر اللغات، وأولها عند جميع الأمم الألف، إلا عند الحبشة فإن حرف الألف عندهم هو الحرف الثالث عشر من حروف الهجاء. وهل الكتابة، من حيث كونها رسومًا وأشكالًا حرفية تدلّ على الكلمات المسموعة، ومن حيث أوليتها بهذا الاعتبار هي من الأوضاع الإلهية أو من الأوضاع البشرية؟ خلاف، وعلى الثاني، من أوضاع أي ملّة هي؟ فقال بعضهم: هي من أوضاع السريانيين، وقال آخرون هي من أوضاع قدماء المصريين، واستظهر بعضهم الأول، وأنها انتقلت من السريانيين إلى غيرهم بقلمهم الخاص بهم، كاليونان، ومن اليونان أخذ الرومانيون حروفهم، وهذا بالنسبة لغير العرب، وأما هم فكانوا يعرفون الكتابة من

عهد إسماعيل عليه السلام، ثم إن اللغة العربية والسريانية والعبرانية متقاربة في الألفاظ، أسماء ومسمّيات، وفي مخارج الحروف وكتابتها، فكتابات هذه الأمم الثلاث ترسم من اليمين إلى اليسار، بخلاف اليونان والروم فإنهم، بعكس ذلك، يكتبون من اليسار إلى اليمين، ويكتب أهل الصين من أعلى إلى أسفل. وفي (الأوائل) للسيوطي: "إنه يروى أن آدم أول من كتب الكتاب العربي والسرياني، وأن الكتابات كلها من وضعه، وأنه دفنها قبل موته بثلثمائة سنة، وأنه بعد الطوفان وجد كل قوم كتابًا فتعلّموه، بإلهام إلهي، ونقلوا صورته، واتّخذوه أصل كتابهم" . انتهى. وقد ورد أن أول من خطّ بالقلم وعلم أسرار الحروف إدريس عليه السلام. (طه، عمل٣، ٦١٧، ٣)

صنع أحداث التاريخ

- إدراك دور العوامل المادية والاقتصادية في صنع أحداث التاريخ وصراعاته هو أمر قد أبصره بعض المعتزلة، ولقد نهض هذا البعض بإنجاز محاولات هامة في تقييم الأحداث التاريخية وتفسيرها على ضوء هذا العامل الهام والحاسم، بما في ذلك أحداث الصراع السياسي الذي دار بين كبار صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في صدر الإسلام. فبينما كان الكثيرون، ولا يزالون، يحاولون طمس أسباب هذا الصراع الذي دار بين علي بن أبي طالب، مثلًا، وبين كل من الصحابة: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وعبدالله بن عمر، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص.. الخ.. الخ.. يحاولون طمس أسباب هذا الصراع، أو على الأقل طمس الأسباب المادية والاقتصادية والاجتماعية لهذا الصراع، نجد أحد أعلام المعتزلة: أبو جعفر محمد بن عبد الله، الإسكافي (المتوفي سنة ٢٤٠هـ سنة ٨٥٤م) - وهو إمام مدرسة في هذا التيّار الفكري - يقدّم لنا تقييمًا لهذا الصراع السياسي والحربي الذي دار بين هؤلاء الصحابة في صدر الإسلام، فيتنبّه وينبّه إلى دور العامل المادي والاقتصادي الذي وقف خلف هذا الصراع وحرّك أحداثه ووجّه مساراته. وهو يصنع ذلك في وضوح وجلاء وحسم لا يترك مجالًا للالتباس أو الغموض أو التأويل. فهو يؤكّد في تقييمه هذا على عدّة حقائق منها: ١- أن الصراع الاجتماعي ضدّ الظلم الاقتصادي كان المحرّك للثورة على عثمان بن عفان. ٢- وأن مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة إنما كانت بمبادرة من الثوّار الذين احتلّوا المدينة إبّان تلك الأحداث. ٣- وأن من كان بالمدينة من ملأ قريش وأثريائها إنما بايعوا عليًّا تحت تأثير الوضع الثوري بالعاصمة التي كانت محتلّة من قبل الثوّار، هذا من جانب، ومن جانب آخر بايعوه على أمل أن يكون لهم وضع ممتاز ومتميّز في السلطة والثمرات الاجتماعية والاقتصادية التي

تحققها. ٤- وأن أول خلاف نشب بين علي وبين هؤلاء الصحابة إنما كان سببه: المال والاقتصاد. فلقد قرّر علي، في اليوم التالي لبيعته، إحداث انقلاب اجتماعي واقتصادي شامل، عندما أعلن التسوية بين المواطنين في "العطاء" بصرف النظر عن الجنس عربيًّا كان الإنسان أو غير عربي، والقبيلة، قرشيًّا كان الإنسان أو غير قرشي، والسبق إلى الإسلام أو التأخّر في اعتناقه. وهو الانقلاب الاجتماعي الذي يقرّر أبو جعفر الإسكافي أنه كان السبب الأول والأساسي للخلاف بين علي بن أبي طالب وبين خصومه من الصحابة الذين نقضوا بيعته ثم حاربوه ... هذا هو تحليل الإسكافي للأسباب الحقيقية والأساسية لذلك الصراع السياسي والحربي الشهير، وإذا كان هذا التحليل إنما يمثّل رؤية تاريخية ومنهجًا في كتابة التاريخ يعدّ بمثابة الجذور الأصيلة - في تراثنا العربي الإسلامي - لما نسمّيه اليوم بالمدرسة الاجتماعية أو العلمية أو المادية في كتابة التاريخ. (عم، وعى، ٢٣، ٢٢)

صنم

- كانت قريش كما قدمنا حضرًا أهل تجارة، وتجارتهم قائم أكثرها على الحجاج الذين يردون مكّة في المواسم. فكان من مقتضيات مصلحتهم تسهيل طرق القدوم وترغيب الناس في الحجّ. وفي جملة ما بعث القبائل على زيارة الكعبة، إنه كان لكل قبيلة منها صنم خاص بها، تأتي في المواسم لزيارته والذبح له حتى زاد عدد الأصنام في الكعبة على ثلثمائة صنم وفيها الكبير والصغير، ومنها ما هو على هيئة الآدميين أو على هيئة بعض الحيوانات أو النباتات. (زي، مدن١، ٣٦، ٢٠)

صورة الخبر

- صورة "الخبر" قد احتفظت منذ عهد سلفها القديم، قصص الأيام، بخصائص القصة القصيرة المروية بشكل حسّي، وبتفضيل الوقائع المثيرة الملوّنة على الحقائق الرزينة، وكثيرًا ما تعرض الواقعة بشكل حوار بين المشاركين البارزين في الحادثة، وهذا ما ينقذ المؤرّخ من القيام بواجبه الحقيقي، أي تقديم تحليل واضح التفسير للوضعية، ويترك مثل هذا التحليل للقارئ. وتكون مناظر القتال الكثيرة أمتع مادة للقراءة، غير أن الحقائق الواقعية تبقى معماة. وعلى كل فإن هذه الخاصية للخبر كانت من حيث العموم الأداة الرئيسة لرفع علم التاريخ الإسلامي المتأخّر من صنف "الحوليات الجافة"، ولإثارة الاهتمام بالتاريخ عند الشبان والشيوخ ذوي الثقافة العامة. (روز، علم، ٩٦، ١٤)

صياغة تاريخية

- استقرّت لا من حيث الدين ولكن من حيث الصياغة التاريخية صورة العصر الإسلامي الأول (النبوي - الراشد) بوصفه العصر الذهبي والعصر المثالي للإسلام وللمجتمع الإسلامي. وبالرغم من ذلك الخلاف

السياسي المحدود بين النظرة السنّية والنظرة الشيعية إلى طريقة تسلسل الخلفاء الأوائل فإن الطرفين كانا متّفقين على استلهام ذلك العصر في الأحكام ونصبه نموذجًا ومجال قياس للعصور التالية. وهذا ما جعل السيرة النبوية خاصة أشبه بقطب الدائرة بالنسبة للتاريخ كله. فما قبلها تاريخ ولكنه تاريخ كفار ومجموعة من أساطير الأوّلين. (مص، رخ١، ٤٤٨، ٧)

صيرورة

- التحفّظات التي يتطلّبها التفكير التأريخي ليكون صحيحًا متّزنًا ما يلي: ١- قد يستنتج ... أن الحياة صيرورة دائمة وسيلان مستمرّ، إن هذه الصيرورة هادئة سليمة في جميع مراحلها، وأن نهر الحياة يجري وادعًا مطمئنًّا في اتجاه واحد دون انحراف أو ارتداد. ولعلّ هذه النظرة كانت سائدة في القرن الماضي لما كان يشعر به الناس حينذاك من ثبات واستقرار ومن تقدّم مستمرّ في العلم والإنتاج. غير أن الزعازع التي عصفت بالإنسانية في النصف الأول من هذا القرن، والأخطار التي تلوح في الآفاق الحاضرة وهي أشدّ هولًا، قد هزّت منا الوعي والضمير، وجعلتنا نعود فندرك مجدّدًا أن مجرى الحياة يختلف في مراحله المتتالية هدوءًا وصخبًا، وعلوًّا وهبوطًا، وبطأً وسرعة، وأن الصيرورة تأتي رقيقة مستقرّة حينًا عنيفة عاصفة حينًا آخر، وأن طريقها ليس مستقيمًا دومًا، بل كثيرًا ما يلتوي وينحرف ويرتد. ولذا يجب علينا أن نميّز بين هذه المراحل المختلفة، ونتبيّن خصائصها، ونلحظ الشدّة والعنف والثورة والارتداد كما نلحظ الدعة والاستقرار والتقدّم، ونرى الإبداع حيث يكون الإبداع ونقرّ بالجدب والتأخّر والانتكاس حين تطلّ علينا حقائقها المؤلمة من وراء الأحداث. إن الحياة ظفر ومأساة، والتفكير التأريخي الصحيح يدرك ما ينطوي عليه كل من هذين المعنيين، وما ينطويان عليه معًا. ٢- يقودنا هذا التحفّظ إلى تحفّظ آخر متّصل به. وهو شكّنا وارتيابنا في كل تحتيم يؤكّد أن الحياة قد سارت في الماضي وستسير في المستقبل نحو غاية معيّنة ليس لها بدل ولا عنها مرد. لقد عرف الفكر الإنساني مذاهب متعدّدة تقول هذا القول، وهي إن اختلفت في تعيين القوة أو القوى التي تدفع التاريخ في مجراه، أو في تحديد الاتجاه الذي يسير فيه أو الغاية التي يجدّ نحوها، فإنها تكاد تتّفق في تحتيم الاتجاه والمراحل والمصير فمنها مثلًا ما يرى أن الحياة في ارتقاء مستمرّ وتقدّم دائم إلى أن يبلغ الإنسان الكمال والسعادة التامة على سطح هذه البسيطة، ومنها ما يقول إن كل حضارة تنشأ وتزدهر ثم تنحطّ وتندثر بحسب قوانين معيّنة لا هرب لها منها ولا نجاة. بعضها تجعل القوة المسيّرة المحتّمة قوة علوية، وأخرى تؤمن بالقوى الإنتاجية والعلاقات الإقتصادية، وغيرها تركز اهتمامها بالعقل واستمرار تفتحه وتدرّجه

في رؤية الحقيقة والسير في هديها. . . .

٣- ومن أخطاء التفكير التأريخي المتطرّف في تركّزه على الصيرورة والتغيّر، نظرته إلى كل حدث من حيث زمنه وعصره ومرحلته فحسب. فكل عمل من الأعمال الإنسانية يصبح، حسب هذه النظرة، نتيجة "الظروف" التي كانت قائمة في زمنه، و"الأحوال" التي كانت سائدة، فإذا فهمنا منشأه والمرحلة التي يمثّلها، فقد استوعبنا معناه، ولن نستطيع أن نحكم له أو عليه إلا من ضمن هذه الظروف والأحوال. فليس ثمّة شيء ثابت مطلقًا: ليس ثمّة حقيقة ثابتة أو خير ثابت، أو أية عناصر في الإنسان غير خاضعة للتحوّل والتغيّر. بل كل ما لدينا أشياء وأحداث وأحكام نسبية تصحّ في زمن ولا تصحّ في زمن آخر، وتقوم في مرحلة وتختفي في أخرى. (زري، نحن، ١٢٠، ٢٠)

صيغة تاريخية

- لكي ينشئ الباحث في التاريخ الصيغة التاريخية التي تعبّر عن حادث ما، ينبغي عليه أن يكون قد تبيّن طبيعته ومداه وأثره. والمقصود بطبيعة الحادث، المظاهر الخاصة به التي تميّزه عن غيره من الحوادث، من حيث الزمان والمكان، والظروف التي لابسته، وطريقة وقوعه، وأسبابه البعيدة والقريبة، والآثار التي ترتّبت عليه. فإذا كان أمامنا مثلًا رجال معيّنون، في حالة عقلية معيّنة، وتحت تأثير ظروف مادية واحدة، قاموا بعمل محدّد، أدّى إلى نتائج معيّنة، فلكي يصل الباحث إلى إنشاء الصيغة التاريخية الخاصة بهم، ينبغي عليه أن يحدّد الدوافع التي أدّت بهم إلى القيام بذلك العمل بمقارنة العمل الذي صدر عنهم بأقوالهم أنفسهم، ثم مقارنة هذه الأقوال والأعمال بآراء من سمعوا تلك الأقوال أو شهدوا تلك الأعمال، كما يبحث ما ترتّب على ذلك من النتائج القريبة أو البعيدة. (عث، بحث، ١٨٨، ٢٦)

- ماذا يفعل الباحث المؤرّخ لإنشاء الصيغة التاريخية التي نعبّر بها عن الحقائق الخاصة والحوادث المفردة؟ في الحالة الأولى - أعني حالة الصياغة المتعلّقة بالحقائق العامة - يستعين المؤرّخ بما وصل إليه أثناء العمل في بحثه من تعرّف على طبيعة هذه الحقائق ومدى انتشارها، ثم يجمع كل الظواهر المتّصلة بها ويركّزها وينتظمها في بنائه التاريخي. أما في الحالة الثانية - أعني حالة الحقائق الخاصة بعظيم من العظماء، أو حالة حادثة مفردة - فإن المؤرّخ مسؤول حين يحدّث الناس عن هذا العظيم أن يبيّن لهم الظروف التي اكتنفت حياته وأثّرت فيها، وكوّنت له عاداته، ودفعته إلى أعمال وتصرّفات بعينها أثّرت في مجرى تاريخ مجتمعه الخاص أو في المجتمع البشري كله، وبتحديد التفاصيل المتعلّقة بذلك كله، وبآراء هذا العظيم ومعلوماته وذوقه وخلقه، يستطيع الباحث أن ينشئ الصيغة التاريخية المطلوبة. أما الحادث المفرد فلا بدّ من

تبيّن طبيعته ومداه وما خلفه من آثار، ونعني بطبيعة الحادث المظاهر الخاصة التي تميِّزه عن الحوادث الأخرى. (علف، فت، ١٦١، ٢٥)

صين

- الصين فأكثر الأمم عددًا وأفخمهم مملكة وأوسعهم ديارًا، ومساكنهم محيطة بأقصى مشارق المعمورة ما بين خط الاستواء إلى أقصى الأقاليم السبعة في الشمال وحظهم من المعرفة التي بزّوا فيها سائر الأمم اتّقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصويرية. (عب، خصر، ٣، ١٠)
- الصين والهند متتاخمتان ولا تفصل بينهما إلا جبال حملايا غير أن بينهما بونًا شاسعًا في الأخلاق والفطرة. ففي الصين تجد الفكر جافًّا بعيدًا عن الخيال ناظرًا إلى ما لديه لا إلى ما وراء الأفق، وفي الهند تجد الفكر سائدًا عليه الوهم، وصاحبه بعيد الأماني مولع بغير المرئيات. والحكومة في البلادين آلة واحدة غير أن الذين يديرونها في الصين هم العلماء وأما الذين يديرونها في الهند فهم الكهنة. وكل رجل في الصين يستطيع الوصول إلى أرقى المقامات وأما في الهند فكل يلزم الطبقة التي ولد فيها ولا يخرج منها. (مط، مرأ، ٢٢، ١٥)

ض

ضارب المندل

- الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلّع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. ولقد نجد في المدن صنفًا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرّضون لمن يسألهم عنه. فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول، يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك، ما بين خط في الرمل ويسمّونه المنجّم، وطرق بالحصى والحبوب ويسمّونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمّونه ضارب المندل. وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار، لما تقرّر في الشريعة من ذمّ ذلك، وأن البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية. وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلّع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم. ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه. وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجّم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدّة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها. والتعرّض لأسمائهم ويسمّى مثل ذلك الحِدْثان. (خلد، قدم، ٨٢١، ١٧)

ضرورات الملك

- لم يفعل الملوك المسلمون إذًا إلا إتباع ضرورات "الملك" أي ما تتطلّبه الممارسة السياسية الفعلية، وحاولوا "بقدر استطاعتهم" أن يظهروا بمظهر اتباع سياسة متمشّية مع الشرع. (أوم، نهج، ٢٠٧، ١٥)

ضرورة التاريخ

- ضرورة التاريخ لها وجهان، فالتاريخ يقوم للإنسان والجماعة البشرية بوظيفة فعلية functional بمعنى أنه يسدّ حاجة المجتمع إلى معرفة نفسه ورغبته في أن يفهم علاقته بالماضي وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافاتها، وهو - أي التاريخ - شاعري أو عاطفي Poetic بمعنى أن كل فرد تقريبًا يضمّ في كيانه تطلّعًا مركّبًا في طبعه وشعورًا بالعجب من أمر الماضي، ... ففي أعماق الخيال الإنساني ترقد رغبة غريزية في تحطيم حواجز الزمن والموت ومدّ حدود الوعي الإنساني بهذه الطريقة إلى ما وراء عمر الإنسان الواحد. (علف، فت، ٥٩، ٨)

ضرورة في إجتماع طبيعي

- الضرورة في الاجتماع الطبيعي لنوع الإنسان ... تدعو إلى المعاملات واقتضاء ضروريات المعاش وحاجياته. ومن لوازم ذلك تتولّد المنازعات في اختصاص كل يد بما تمدّ إليه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان، بمقتضى الغضب وأنفة القوى البشرية. وذلك مفض إلى المقاتلة المؤدّية إلى سفك الدماء، وإتلاف النفوس. (أزر، بدع١، ٩١، ٥)

ط

طائفة

- لكل طائفة قماش لا يوافق طائفة أخرى. (شاه، زبد، ٨٨، ٢)

طاعة

- الطاعة، وهي الأصل الذي ينتظم به صلاح أمور الجمهور، ويتمكّن به الملك من الإنصاف للضعيف من القوي، والقسمة بالحق، ومما جاء في التنزيل من الحث على ذلك، وهي الآية المشهورة في هذا المعنى؛ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (النساء: ٥٩). (طق، فخر، ١٧، ١٣)
- (الطاعة) الخصلة التي يعزّ بها السلطان، وتظهر بها صورة ملكه. (أزر، بدع٢، ٥٦٣، ٨)

طبائع

- الطبائع أشياء متنافرة متضادّة مقهورة مجبورة وهذه هي علامات الحدث، ثمّ هي غير حيّة ولا عالمة ولا مختارة ولا قادرة. (بلخ، بدا١، ٨٤، ٥)
- الطبائع مركّبة من البسائط والتركيب عَرَض وهو دلالة الحَدَث، فالطبائع إذًا مُحدثة. ثمّ هي جماد وموات كالحجر والشجر ثمّ هي مسخّرة مقهورة بدلالة أنّ من شأنها التنافر والتضادّ فلمّا رأيناها متواطئة متوافقة علمنا أنّه بقهر قاهر وضبط ضابط. (بلخ، بدا١، ١٢٥، ١٥)

طبائع الحوادث

- إذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب. وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرًا ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثّر عنهم كما نقله المسعودي عن الإسكندر، لما صدّته دواب البحر عن بناء الإسكندرية وكيف اتّخذ صندوق الزجاج وغاص فيه إلى قعر البحر حتى صوّر تلك الدوابّ الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرّت تلك الدوابّ حين خرجت وعاينتها. (رس، مصط، ٨٤، ١٦)

طبائع العمران

- معرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها. وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة. ولا يُرجع إلى تعديل الرواة حتى يُعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع. وأما إذا كان مستحيلًا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح. ولقد عدّ أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة

مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل. وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية، لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها؛ وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط. (خلد، قدم، ٣٣٠، ١٨)

- سيظلّ الحديث عن حقيقة التاريخ غائبًا عن التأليف التاريخي برمّته، ما لم يُردّ كل حديث عن التاريخ إلى التاريخ نفسه أو إلى شيء يشمل قوانين التاريخ وقوانين المجتمع معًا وهو ما يطلق عليه ابن خلدون اسم طبائع العمران. (أوم، نهج، ١١، ٨)

طبقات

- إن معنى كلمة "طبقات" وتطوّرها معروف، وهو مشتقّ من طَبَق أو طَبِق، ومن السهل أن يتطوّر هذا المعنى إلى وصف "أناس يرجعون إلى طبقة أو صنف في تعاقب زمني للأجيال". وقد حاول أصحاب المعاجم أن يحدّدوا بالضبط طول مدة كل طبقة، مثل ما فعلوا في تحديد "القرن" الذي يسبق الطبقة في استعماله بمعنى "جيل". وقد ارتأى البعض أن مدة الطبقة عشرون سنة، وارتأى آخرون أن طول مدة الطبقة قد يكون عشر سنوات (ابن الجوزي: تلقيح مخطوطة باريس ar. 724 ص ٢٧١ أ- ٢٧٢ ب) مستندين في ذلك إلى حديث ينسب للرسول جاء فيه "تتكوّن أمتي من خمس طبقات، كل واحدة منها أربعون سنة". وتقسيم الطبقات إسلامي أصيل، وقد يبدو أنه أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الإسلامي وليست له أية علاقة في الأصل بطريقة الترتيب تبعًا للسنين التي كانت مألوفة في تقاليد التراجم الإغريقية ودخلت الأدب العربي في زمن متأخّر مع "التراجم" الإغريقية، ثم إن الاستعمال القديم لكلمة طبقات ليصف الدول الفارسية المتعاقبة الأربع، لا علاقة له بأصل هذه الكلمة، لأن تقسيم الطبقات هو نتيجة طبيعية لفكرة "صحابة الرسول" الخ والتي تطوّرت في أوائل القرن الثاني الهجري بالارتباط مع نقد علم الحديث للاسناد. وهذه الفكرة واضحة الشبه بالتقاليد اليهودية، وقد تفسّر بأنها تطوّر رسمي مستقلّ أكثر من كونها نتيجة للتأثير اليهودي على الإسلام. غير أن هذا الاحتمال لا يمكن رفضه نهائيًا، ومما يؤيّد الصلة بين تقسيم الطبقات وعلم الحديث هو اقتصار استعمالها على التراجم، فقد استعمل ترتيب الطبقات في أول الأمر، كما كان الحال عند ابن سعد، لتراجم الشخصيات المهمّة في نقل الأحاديث. وكان مقصورًا على رواة الحديث في التواريخ المحلية الأولى "كتاريخ واسط" لبحشل ثم أصبح بالإمكان استعمالها على مرّ الزمن بشكل غير ملائم في تصنيف الأحداث كما هو الحال في "تاريخ الإسلام" للذهبي. (روز، علم، ١٣٣، ٥)

طبيعة العمران

- فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على

أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، ويُنكِّبان به عن المزلّات والمغالط. لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مجرّد النقل، ولم تُحَكَّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلّة القدم والحيد عن جادَّة الصدق. وكثيرًا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثًّا أو سمينًا، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط. (خلد، قدم، ٢٩١، ١٠)

- أما ابن خلدون فيُحدِّد منهجه كالتالي: "إن كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبه إنما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر، لا بما يخصّها من أحكام الشرع". (أوم، نهج، ٢٠٢، ١٢)

طبيعة الملك

- إذا استفحلت طبيعة الملك، وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه، قبض أيديهم عن الجبايات إلا ما يُطيِّر لهم بين الناس في سهمانهم، وتقلّ حظوظهم إذ ذاك لقلّة غنائهم في الدولة، بما انكبح من أعِنَّتهم، وصار الموالي والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الأمر؛ فينفرد صاحب الدولة حينئذٍ بالجباية أو معظمها، ويحتوي على الأموال ويحتجنها للنفقات في مهمات الأحوال، فتكثر ثروته وتمتلئ خزائنه ويتّسع نطاق جاهه، ويعتزّ على سائر قومه، فيعظم حال حاشيته وذويه، من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطيّ ويتّسع جاههم، ويقتنون الأموال ويتأثّلونها. (خلد، قدم، ٧٣٧، ١٠)

طراز

- الطراز: حاصل هذه "الشارة" كتب اسم السلطان أو علامته الخاصة به في طراز أثواب الحرير المعدّة للبسه أولًا. وعند ذلك فالنظر فيه من جهتين: إحداهما: جهة المشروعية في الغرض فيها فقط. ولا خفاء أنها ساقطة الاعتبار شرعًا لتحريم لباس الحرير على الرجال. ولذلك لم يأخذ بها الموحدون في أول دولتهم بالمغرب، لما كانوا عليه من منازع الديانة والتورّع عن لباس الحرير والذهب، فأسقطوا وظيفة الإقامة لها. ونعم ما فعلوا. الثانية: جهة العناية بها في أبّهة الملك عند أخذه بمذاهب الترف. فمن هنا تلخيص من كلام ابن خلدون ما يقتضيه التعريف بعوارض الملك. والحق من

ورائه. قال: كان ملوك العجم قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم أو غير ذلك، فاعتاض ملوك الإسلام عن ذلك، بكتب أسمائهم مع كلمات تجري مجرى الفأل، وعيّنوا في الدولتين - إذ كان عندهم من أفخم الأحوال - دورًا، تسمّى "دور الطراز". وقلّدوا القائم على النظر فيها خواص الدولة وثقات الموالي. وفي دولة العبيديين بمصر، ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق. ولما ضاق نطاق الدول على الترف بتعدّدها وضعف استيلائها بطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من أكثر الدول بالجملة. (أزر، بدع٢، ٧٣٠، ١٨)

- من شارات الخلافة أيضًا الطراز، وهو قديم في الدول من عهد الفرس والروم. وذلك أن يرسم الملوك والسلاطين أسماءهم أو علامات تختصّ بهم في طراز أثوابهم المعدّة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الابريسم، كأنها كتابة خطت من نسيج الثوب لحامًا وسدى بخيط من الذهب، أو بما يخالف لون الثوب من الخيوط الملوّنة من غير الذهب، ما يحكمه الصياغ بحيث تصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز، للدلالة على أن لابسها من أهل الدولة من السلطان فما دونه، كما هي الحال في لباس أجناد هذه الأيام، فترى على بعضهم شرائط القصب والأزرار الصفراء ونحوها من علامات الرتب، كرسوم التيجان والسيوف والنجوم ونحوها. (زي، مدن١، ١٤٦، ١٥)

طرخان

- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيْوشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ٤)

طريقة الخلفاء الراشدين

- طريقة الخلفاء الراشدين في انتخاب الخلفاء من أفضل ما بلغ إليه جهد المتمدّنين حتى الآن، وهي جامعة بين الجمهورية والملكية والشورى، أما الجمهورية فلأن الخليفة كان ينتخب من جمهور القرشيين بلا حصر ولا تعيين، وهي شورية لأن الانتخاب يكون بالشورى، وهي مطلقة لأن الخليفة إذا قبض على أزمة الملك كان مطلق التصرّف. (زي، مدن١، ١٣٠، ١٨)

طريقة التاريخ

- طريقة التاريخ أو منهج البحث فيه فهو تفسير الوثائق، والوثيقة هي الشيء الذي يرجع إلى زمان ومكان معينين، وتحمل معلومات ذات طابع خاص، يفكّر المؤرّخ فيه ويعمل على تفسيره. (علف، فت، ١١٩، ٢١)

طين الخاتم

- الحزم للكتب إما بدسر الورق، كما في عرف كتّاب المغرب، أو بلصق رأس الصحيفة على ما ينطوي عليه من الكتاب، كما في عرف أهل المشرق. وقد جعل على مكان الدسر أو اللصاق علامة يؤمن معها من فتحه. فالمغاربة يجعلون على الدسر قطعة من الشمع، ويطبعون عليها بخاتم، نقشت فيه علامة لذلك فيرتسم النقش في الشمع. والمشارقة - في القديم - يختمون على مكان اللصق بخاتم منقوش - أيضًا - قد غمس في طين أحمر، فيرتسم النقش عليه. وكان هذا الطين يسمّى في الدولة العباسية بـ"طين الخاتم". وكان يجلب من "سيراف". (أزر، بدع٢، ٧٣٠، ٤)

ظ

ظلم

– الوازع عن الظلم في الحضر إنما هو السلطان القاهر بالدولة الغالبة. وفي البدو، أما في أحيائه فالمشايخ والكبراء، لما وقّر لهم في النفوس من الوقار والتجلّة، وأما في حلله – فإنما يذود عنها – من خارج – حامية الحي وشجعانه. (أزر، بدع١، ٧٥، ١٣)

ظهور الإسلام

– بظهور الإسلام، بدأت نظرات جديدة. فقد جاء القرآن بنظرة جدّية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة وعاد إلى بدء الخلقية. وأكّد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها. وجاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ تتمثّل في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشّر بها أنبياء عديدون وكان الرسول الأعظم خاتم الأنبياء والمرسلين. وكان لهذه النظرة أثرها في الالتفات إلى تاريخ الأنبياء وإلى الإسرائيليات. إلا أن هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت ظهور الإسلام، أما بعد ذلك فإن الاهتمام انصبّ على تاريخ الإسلام. (دو، نشأ، ١٨، ٩)

ظهور التاريخ

– ظهور التاريخ نشأ عن ميول موجودة في المجتمع الإسلامي أضيفت إليها مع تطوّر الزمن دوافع جديدة بعد دوافع. وقد أخذ شكله وتطوّره نتيجة عدد كبير متغيّر من العوامل والمؤثرات. المتفاوتة في طول الأعمار والتأثير، المختلفة في الأنواع أيضًا اختلافًا واسعًا. وقد نجم عن ذلك كله أن الحصاد التاريخي لفترة نشوء التاريخ قد تميّز بعدد من الملامح. (مص، رخ١، ٧٥، ١)

ظهور واجب على السلطان

– الظهور الواجب على السلطان، للنظر في سياسة ملكه ورعيته نوعان: النوع الأول: للعامة. وقد جعله ابن حزم يومًا في الجمعة، قال: ولا يمنع منه مشتك كائنًا من كان. قلت: حاصله استحسان التقليل من مباشرتهم. وهو ظاهر لأمرين: حرج التكثير منها، وعودها بضرر الإنسان بالمشاهدة، فقد قال حكماء الهند: ظهور الملك للعامة يجرئهم عليه، ويهوّن أمره عليهم. وفي "الأفلاطونيات": يحتاج الملك إلى أن يكون من عامته في ستر، فإنه إذا أنِسَها هان عليها. قال: والعلّة في ذلك أن في طباعها أن يهين بعضها بعضًا، ولا توقره، فكل من انبسطت إليه جرى

مجرى بعضها من بعض. النوع الثاني: للخاصة المستعان بهم في التدبير، وقد جعله ابن حزم - أيضًا - سائر الأيام. قال: ولا يسرف على نفسه؛ لكن طرفي النهار من صلاة الصبح إلى نحو ثلاث ساعات من النهار، ومن صلاة العصر إلى اصفرار الشمس، ويجعل وسط نهاره لراحة جسمه والنظر في مآله وأهله. (أزر، بدع١، ٣٤٩، ٧)

ع

عالم

- العالم لا كون له، فإنّ كون الحيوان عندهم من استحالة بعضه إلى بعض لأنّه أجزاء العالم. (بلخ، بد٢، ٧٤، ١١)

عالم التكوين

- عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج: آخر أفق المعادن متّصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له؛ وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متّصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط. ومعنى الاتّصال في هذه المكونات أن آخر كل أفق منها مستعدّ بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق الذي بعده. واتّسع عالم الحيوان وتعدّدت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم القردة الذي اجتمع فيه الحسّ والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده. (خلد، قدم، ٤٠٤، ٩)

عالم العناصر

- عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدًا من الأرض إلى الماء ثم إلى النار متّصلًا بعضها ببعض. وكل واحد منها مستعدّ إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعدًا وهابطًا ويستحيل بعض الأوقات. والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهو ألطف من الكل على طبقات اتّصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحسّ منها إلا الحركات فقط، وبها يهتدي بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها. (خلد، قدم، ٤٠٤، ٤)

عامل طبيعي

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل، من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات

تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد. ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلُّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات

والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن (الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًّا فيعجّل ارتقاءها أو يُسبِّب انتكاسها. ... وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلّا أنّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجّلان انقراضها. (فر، علل، ١٢، ١٩)

عامل العصبية

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل،

من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلِّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد. ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلَّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلَّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبِّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف

أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلُّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن (الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًّا فيعجّل ارتقاءها أو يُسبِّب انتكاسها. ... وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلّا أنّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجّلان انقراضها. (فر، علل، ١٣، ٦)

عامل العمران

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم

ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل، من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلِّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد. ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود

مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن (الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًا فيعجّل ارتقاءها أو يُسبِّب انتكاسها. ... وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلّا أنَّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجّلان انقراضها. (فر، علل، ١٣، ١٥)

عامل مادي

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق

المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل، من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد. ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبِّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على

أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلُّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن (الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًّا فيعجّل ارتقاءها أو يُسبِّب انتكاسها. ... وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلّا أنَّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجّلان انقراضها. (فر، علل، ١٥، ١٠)

عامل نفسي

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى

اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل، من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلِّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد. ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبِّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ

القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلُّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن (الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرَّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدِّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًّا فيعجِّل ارتقاءها أو يُسبِّب انتكاسها. ... وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلَّا أنَّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجِّلان انقراضها. (فر، علل، ١٤، ٢)

عبر دينية وخلقية

- بظهور الإسلام، بدأت نظرات جديدة. فقد جاء القرآن بنظرة جدّية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة وعاد إلى بدء الخلقية. وأكّد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها. وجاء القرآن بنظرة عالمية

إلى التاريخ تتمثّل في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشّر بها أنبياء عديدون وكان الرسول الأعظم خاتم الأنبياء والمرسلين. وكان لهذه النظرة أثرها في الالتفات إلى تاريخ الأنبياء وإلى الإسرائيليات. إلا أن هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت ظهور الإسلام، أما بعد ذلك فإن الاهتمام انصبّ على تاريخ الإسلام. (دو، نشأ، ١٨، ١٢)

عبرانيون

- العبرانيون لمفارزتهم باقي الأمم حُرموا تعلّم الحكمة مقتصرين على علوم الشرائع وأخبار الأنبياء فكان أحبارهم أعلم الناس بأخبار الأنبياء وبَدْو الخليقة ومنهم أخذ ذلك المعلم. وكانت مساكنهم بلاد الشام وبها كان ملكهم الأول والآخر إلى أن أجلاهم عنها الرومان زمن السيد المسيح حقًّا الذي أنكروه طيطوس ابن الملك أسفسيانوس الروميّ وفرّق ملكهم فتقطّعوا في البلاد أيدي سبا وتفرّقوا في أقطارها شذر مذر. فليس في أمم الأرض إلا وفيها منهم في مشارق الأرض ومغاربها وجنوبها وشمالها إلا ما كان من بلاد العرب وهي الحجاز ونجد وتهامة واليمن. فإن عمر ابن الخطاب أجلاهم عنها. ولما تفرّقوا في البلاد وداخلوا الأمم تحرّكت همم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فنال أفراد منهم ما شاؤوا من فنون الحكمة. (عب، خصر، ٢١، ٤)

عبريون

- ينتسب العبريون إلى إبراهيم الذي أتى من بلاد الكلدان (٢٠٠٠ قبل الميلاد) واستوطن أرض كنعان وولد له فيها ولدان إسحق ويعقوب الصالح أبو البنين الإثني عشر الذين تألّفت منهم أسباط يهوذا الاثنا عشر. وكل يعلم قصة يوسف الذي باعه أخوته لقافلة مصرية وتوصّل بحكمته ودهائه إلى أعلى منصب في مصر إذ عيّن وزيرًا لأحد الفراعنة واستدعى إليه أسرته فأسكنها أرض غسان بين النيل والبحر الأحمر. (مط، مرأ، ٥٤، ١٧)

عجائب الدنيا

- عجائب الدنيا أربع: مرآة كانت معلّقة بمنارة الاسكندريّة كان يجلس الرجل تحتها فيرى من بالقسطنطينيّة وبينهما عرض البحر. وفرس من نحاس كان بأرض الأندلس قائلًا بكفّيه كذا باسطًا يده أي ليس خلفي مسلك فلا يطأ تلك الأرض أحد إلّا ابتلعته النمل. ومنارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض عاد فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منها الماء فشرب الناس وسقوا وصبُّوا في الحياض فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء. وشجرة من نحاس عليها سودانيّة من نحاس بأرض رومية فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانيّة التي من نحاس فتجيء كلّ سودانيّة من الطيّارات بثلاث زيتونات زيتونتين برجليها وزيتونة بمنقارها حتّى تلقيها على تلك السودانيّة النحاس

فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لآدامهم وسرجهم سنتهم إلى قابل. (خرد، مسلك، ١١٥، ١٨)

عدالة

- العدالة التي لا يعاني منها جور. وهذه لا تغيّر ما في النفس من شجاعة أو جبن، وثوقًا بالعدل الوازع وإدلالًا. (أزر، بدع١، ٧٤، ٨)

- شرط المعتني به (علم التاريخ) فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عنه مزيد الاتقان والتحرّي سيما فيما يراه في كلام كثير من جهلة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقد قال الخطيب في جامعه ويجمعون أي أهل الحديث أيضًا ما روي عن سلف المسلمين من أخبار الأمم المتقدّمين وأقاصيص الأنبياء وسيرهم، والذي نستحبه أن لا يتعرّض لجمع شيء من ذلك إلا بعد الفراغ من أحادي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم ساق عن ابن عباس القطان قلت لأحمد أشتهي أن أجمع حديث الأنبياء فقال لي حتى تفرغ من حديث نبيّنا صلى الله عليه وسلم. كذا صرّح هو وغيره بأنه ينبغي التحرّز فيما يكتب من أخبار الأوائل والكتب القديمة وما يكون من الحوادث والملاحم لتردّد الأمر فيها بين تجويز الإبطال أو الجزم، كالكتاب المنسوب لدانيال، بل ليس يصحّ في ذكر الملاحم المرتقية والفتن المسطّرة إلا اليسير مما اتّصل بنا أسانيده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. (سخ، ذم، ٦٣، ١١)

عدالة في الرواية

- العدالة في الرواية والشهادة عبارة عن استقامة السيرة في الدين. ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعًا حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه. فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفًا وازعًا عن الكذب. ثم لا خلاف في أنه لا تشترط العصمة من جميع المعاصي، ولا يكفي أيضًا اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به كسرقة بصلة وتطفيف حبة قصدًا. (رس، مصط، ٦٩، ٤)

عدل

- الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال، وعدمت فيه خصال، فأما الخصال التي يستحب أن توجد فيه، فمنها العقل. وهو أصلها وأفضلها، وبه تساس الدول، بل الملل، وفي هذا الوصف كفاية. ومنها العدل، وهو الذي تستغزر به الأموال، وتعمر به الأعمال، وتستصلح به الرجال. ولما فتح السلطان هلاكو بغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة. أمر أن يستفتي العلماء: أيما أفضل: السلطان الكافر العادل، أو السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب. وكان رضي الدين، علي بن

طاوس حاضرًا هذا المجلس، وكان مقدمًا محترمًا، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا، ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر، على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده. ومنها العلم، وهو ثمرة العقل، وبه يستبصر الملك، فيما يأتيه ويذره، ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه، وبه يتزيّن الملك في عيون العامة والخاصة، ويصير به معدودًا في خواص الملوك. قال بعض الحكماء: الملك إذا كان خلوًا من العلم كان كالفيل الهائج، لا يمرّ بشيء إلا خبطه، ليس له زاجر من عقل، ولا رادع من علم. واعلم أنه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصوّر المسائل المشكلة، والتبحّر في غوامض العلوم، والإغراق في طلبها. قال معاوية: ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم، وإنما المراد من العلم في الملك، هو أن لا يكون له أنس بها، إلا بحيث يمكنه أن يفاوض أربابها فيها، مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر، ولا ضرورة في ذلك إلى التدقيق. (طق، فخر، ١٠، ٤)

- العالم بستان، سياجه الدولة. الدولة سلطان، تحيا به السنّة. السنّة سياسة، يسوسها الملك. الملك نظام، يعضده الجند. الجند أعوان، يكفلهم المال. المال رزق، تجمعه الرعية. الرعية عبيد، يكتنفهم العدل. العدل مألوف، وبه قوام العالم. (أزر، بدع١، ٢٣٢، ٩)

عرب

- لم يكن لاطِّراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها، وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميّزون بها عند أمرائهم. ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم، وفسدت الأنساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطُّرِحَت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان. (خلد، قدم، ٤٨٦، ١٣)

- العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحّش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادًا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرياسة؛ فقلّما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكِبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم. وذلك بما يشملهم من الدين المُذْهِب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس. (خلد، قدم، ٥١٦، ١)

- العرب ترجع كلها إلى قحطان وعدنان، فيقال لسائر قحطان: اليمن، ويقال لسائر بني عدنان: المضرية والنزارية، وهي قيس، ويقال: قيسي، ويماني، كما يقال سعد وحرام، وكل من قحطان وعدنان كما هم متّحدون في النسب متّحدون في الطبائع والعوائد على اختلاف طبقاتهم

الست التي هي الشعوب والقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والفصائل، فالشعب أكبر من القبيلة، كربيعة ومضر والأوس والخزرج، والقبيلة ككنانة، والعمارة كقريش، والبطن كقصي، والفخذ كهاشم، والفصيلة كبني العباس. (طه، عمل٣، ٥٨٩، ٣)

- لما كانت العرب مطيعة لطبائعها التولدية وغرائزها الفطرية، وكانت الملكة الأصلية الجبلية فيهم على حدّ سوي، اتّحدت ألسنتهم وأفكارهم وحماستهم وبلاغة مقالهم، وإنما اختلفت فيهم لغات الأحياء والقبائل ومخاطبات البطون والعشائر، يعني اتّحد اللسان الذي به الفهم والتفهّم واختلف متعلقة وأحوال التلفظ به في التأدية وأسماء المسمّيات وكيفيات الحركات والسكنات، ومع ذلك فاللسان واحد وعلى قاعدة واحدة تكاد أن تكون عمومية لا يعتريها تغيير وإلا لكان لحنًا وغلطًا، ولا يجوز أن يتوهّم في العربي البدوي أن يغلط في نطقه ويلحن فيه، وإن تعمّد ذلك لا يطاوعه لسانه، فالعرب معصومون من لحن اللسان وإطلاق الألفاظ على معانيها، وإنما يجوز أن يغلطوا في المعاني، أي لا يطابق كلامهم الواقع. (طه، عمل٣، ٥٩٥، ٣)

- العرب يقسمون إلى قسمين كبيرين: العرب البائدة كعاد وثمود، والعرب الباقية. وأن العرب الباقية يقسمون إلى القحطانية سكان بلاد اليمن وما جاورها، وهم ينتسبون إلى قحطان أو يقطان بن عامر وينتهي بأرفخشاد إلى سام. والاسماعيلية أو العدنانية وهم سكان الحجاز ونجد وما جاورهما من أواسط جزيرة العرب، وينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل من امرأته هاجر، ويسمّون أيضًا مضرية ومعدية لمثل ذلك السبب. (زي، مدن١، ٢١، ١٠)

- أما العرب فكان المؤرّخون يقسمونهم إلى ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة. . . . أما البائدة فهم العرب الأولى الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لقدم عهدهم وانقطاع أسباب العلم بآثارهم، وهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى وكانت مواطن عاد بإحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضر موت والشحر، ولما انتحلوا عبادة الأصنام أبادهم الله. وأما ثمود فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال وكانوا أهل كفر وبغي. وأما جديس وطسم فكانت ديارهم باليمامة وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها ثمارًا وحدائق وقصورًا. وأما جرهم الأولى فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلّمون بالعبرانية فكانوا على عهد عاد وكانوا يعاصرون بعضهم بعضًا وبعد أن سالمتهم الأيام أحقابًا قلبت لهم ظهر المجن كما هو الحال في جميع الأمم البائدة فاندثروا بتمامهم. وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وبهم اتّصل إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وكانت مساكن بني قحطان بالحجاز، ولما أسكن

إبراهيم الخليل ابنه إسماعيل عليهما السلام في مكة نشأ بينهم وتزوّج منهم وصار يطلق على أولاده العرب المستعربة لأن أصل إسماعيل عليه السلام ولسانه كان عبرانيًّا ولذلك قيل له ولولده العرب المستعربة. وأما العرب العاربة فهم بنو سبا واسم سبا عبد شمس وقالوا إنه لما أكثر الغزو والسبي سمّي سبا وهو بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان لسبا عدّة أولاد منهم حمير وكهلان وعمر وأشعر وعاملة بنو سبا. وجميع قبائل العرب باليمن وملوكها التبابعة من ولد سبا المذكور، وجميع تبابعة اليمن من ولد حمير بن سبا خلا عمران وأخيه موزيقيا فإنهما ابنا عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلب بن مازن بن الأزد والأزد من ولد كهلان بن سبا وفي ذلك خلاف وقيل لهم عاربة لنزولهم بالبادية مع العرب البائدة وتخلقهم بأخلاقهم. (مط، مرأ، ٧٣، ٤)

عرب إسماعيلية

- العرب الإسماعيلية وهم أهل الحجاز ونجد فأكثرهم أهل بادية، وقد ظهر منهم دول قبل الميلاد وبعده، أشهرها دول القبائل صاحبة الوقائع التي جرت بينهم قبيل الإسلام والتي تعرف بأيام العرب ثم أن العرب ليس في أرومتهم ما يمنع استعدادهم للحضارة، لأنهم أخوان الآشوريين والكلدانيين والفينيقيين، ولهم استعدادهم وأهليتهم. فالذين أقاموا منهم في بلاد مثل بلاد ما بين النهرين أدهشوا العالم بمدنيتهم. والمقيمون في جزيرة أكثر بقاعها جرداء لا أنهر فيها ولا جداول، وإنما يستقون من مياه المطر، قضوا قرونا في البداوة. فلما أتيحت لهم الإقامة في البلاد الخصبة بعد الإسلام، لم يكن تمدّنهم فيها يقصر عن تمدّن أولئك. (زي، مدن١، ٢٢، ٩)

عرب الحجاز

- كان لليهود تأثير عظيم على عرب الحجاز من حيث الآداب الدينية وطقوسها، فاقتبس العرب منهم أمورًا كثيرة كانوا يجهلونها، كالحجّ والذبائح والزواج والطلاق والكهانة والاحتفال بالأعياد ونحوها. وعلّموهم بعض أقاصيص التوراة وفصولًا من التلمود، ونشروا بينهم كثيرًا من تقاليدهم وعاداتهم. وقد يكون بعض تلك الآداب أو الطقوس متسلسلًا إليهم مما كان عند أسلافهم في الجاهلية الأولى، فضلًا عمّن هاجر إلى الحجاز من أهل اليمن وغيرهم من الأمم التي كانت تحيط بجزيرة العرب: كالكلدان والمصريين والأحباش وغيرهم، فأصبح أهل الحجاز بعد ذلك الاختلاط فئتين: أهل البادية الباقين على الفطرة وهم العرب الرحل. وأهل المدن المقيمين في مكّة والطائف والمدينة وهم الحضر وكانت مكّة أشهر مدن الحجاز لاتّخاذها محجًّا يؤمّه الناس من أقاصي البلاد لزيارة الكعبة. فأصبحت بتوالي الأجيال مركزًا للتجارة لمن يتوافد إليها من الحجاج في المواسم كل عام. فطمحت إليها أنظار

أهل السلطة من القبائل القوية. وكانت في أوائل أزمانها في حوزة الحجازيين بني إسماعيل وهم سدنة الكعبة أي حجابها. ثم نزح إليها بنو خزاعة من اليمن بعد سيل العرم نحو القرن الثاني للميلاد وتسلّطوا عليها، وغلبوا الحجازيين عليها بما تعوّدوه من السيادة في عهد دولتهم باليمن. وكان الإسماعيليون (أو العدنانيون) يؤمئذٍ ضعافًا لا يقوون عليهم، ولكن ناموس الاجتماع قضى عليهم كما قضى على سواهم فدارت الدائرة بعد عدّة أجيال على بني خزاعة وضعف أمرهم، وقوي أمر العدنانية. فتفرّع منهم كنانة وتشعّب من كنانة قريش. (زي، مدن١، ٣٢، ٢٥)

- أما عرب الحجاز وبدو نجد فكان لهم في تراثهم الثقافي الشفهي قصص تاريخي يتمثّل في "الأيام" المعروفة، ولهم حفظ الأنساب وما يتعلّق بها. لكن التاريخ العربي بعد الإسلام لم يكن تطورًا لتلك الأسس التاريخية الأولى في اليمن أو الجزيرة أو الشام. ثمّة انقطاع بين العهدين لكن صلة عملية التدوين التاريخي الإسلامي بالقصص التاريخي الجاهلي وأيام العرب وبعلم الأنساب تفرض التساؤل عن مدى صلة التطوّر والاستمرار بين الطرفين؟ أ- فأما المادة التاريخية الجاهلية فنوعان: بعضها قصص ديني وثني أو يهودي أو مسيحي نقله الأحبار والرهبان معهم أو أخبار من التاريخ الفارسي كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي في القرآن، وما يحكى من أخبار الأولين، ونجد شيئًا من أصداء هذه المعارف ولا سيما ما يتعلّق بأهل الكتاب في القرآن الكريم. وأما النوع الآخر فروايات جماعية، بدوية المنشأ تروي النزاع القبلي، وتحمل اسم "الأيام" وتضمّ ذكريات التاريخ البدوي للقبائل. وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية إلا أن صلتها بالتأريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة. إنها قصص مرسل مقطوع الصلة بالزمن أو يحمل فكرة جدّ غامضة عنه ويقدّم روايات مسجّلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية. ... ب- وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية الملحّة للتعارف والتمايز. إنها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يعمل على تكوينها. هي في الواقع: التاريخ الأنتروبولوجي التقليدي والهيكل العام للفكرة التاريخية. وبالرغم من أنها أكثر تاريخية من القصص باعتبارها شكل من أشكال التعبير التأريخي يسجّل إطار التكوّن القبلي، إلا أن المعلومات التاريخية الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة بعد الإسلام، وتحوم حول شكلها المسجّل من بعد شكوك كثيرة. (مص، رخ١، ٥٤، ٢)

عرب اليمن

- عرب اليمن وهم القحطانية. وقد تمدّنوا قبل العرب الإسماعيلية، لأن بلادهم أقرب إلى الخصب والرخاء من بلاد

هؤلاء، فنشأت منهم دول قديمة عاصرت الفراعنة وملوك بابل وأشور. وقد ظهروا بعد الحمورابيين بعدّة قرون، ذكرنا منهم الدول المعينية والسبأية والحميرية، أصحاب مأرب وصنعاء وغيرهما. (زي، مدن١، ٢٢، ٢)

عربي

- العربي كل من كتب بالعربية وترك فيها مصنّفًا، أو نطق بها ولو لم يكن عربي الجنس. فالعروبة هنا عروبة اللسان والفكر، لا عروبة الأصل والجنس. وتصادفنا في تاريخ العرب والإسلام طائفة من هؤلاء المؤرّخين المستعربين الذين أمدوا النتاج العربي التاريخي بطائفة من مؤلّفاتهم، وشاركوا بجهودهم في التأريخ لناحية من تاريخ العرب والإسلام أو الموضوعات التي تتّصل بهذين الميدانين. (حس، عر، ١٩٣، ٣)

عرش

- العرش شيء خلقه الله لمنتهى علم عباده وتعبّد الملائكة بتعظيمه والطواف حوله ومسئلته الحوائج عنده كما تعبّد الناس بتعظيم الكعبة واستنجاح الحوائج لديها والصلاة له إليها لا أن يكون ذلك مكانًا له أو حاملًا جلّ وتبارك البارئ أن يكون محمولًا أو محدودًا أو مُحاطًا وبعضهم يقول العرش المُلْك. (بلخ، بدا، ١٦٦، ٤)

عرض

- العَرْض في عُرف المؤرّخين يتوقّف على مكانة القارئ واستعداده لتقبّل ما نكتب. وهو نوعان ما يدوّن للعلماء ورجال الاختصاص وما يقدّم لجمهور القرّاء. فحيث نعني ببحث علمي دقيق ونكتب لزملائنا المؤرّخين يجدر بنا أن ننتبه إلى أمور منها ما يأتي: ١) أن تكون رسالتنا وحدة تامّة المعنى مرتبطة الأجزاء. وهو سهل المنال لمن يتبصّر في الأمر فيبدأ العمل بهيكل منطقي كامل شامل لجميع نقاط البحث. ثم يتروّى في الكتابة. فيبدأ كل فصل من فصوله وكل فقرة من فقراته بملخّص عام يستعرض فيه آراءه العمومية ثم ينتقل إلى النقاط الفرعية والمواد الجزئية. وعليه أن يحسن الانتقال من فقرة إلى أخرى ومن فصل إلى فصل بجمل معيّنة تعيد ما قاله أولًا وتبيّن علاقته بما يليه من الأقوال. ٢) أن نفرّق ما أمكننا بين المتن والهامش. فلا نورد في المتن ما قد يزعزع وحدته أو يفصل أجزاءه بعضها عن بعض. ٣) أن تتجلّى أقوالنا بالأمانة والنزاهة بحيث تظهر بمظهر التعليل والإيضاح حينما تكون تعليلًا أو إيضاحًا منّا، وتنصّ بالحقيقة المجرّدة حينما تكون حقيقة صرفًا خالية من الرأي أو الإيضاح أو التعليل. . . . ٤) أن نؤيّد كل حقيقة من الحقائق المفردة التي نأتي على ذكرها في المتن بإشارة في الهامش إلى المرجع الذي أخذت عنه. وذلك بالتفصيل التام وبصورة جلية واضحة تسهيلًا لمتابعة

البحث والتدقيق. فقد يخالفنا أحد رجال الاختصاص فيما نذهب إليه من الاستنتاج أو الاجتهاد. ومن المستحسن أيضًا أن نذيل الهامش بشيءٍ من التقدير العلمي للأصل الذي أخذنا عنه. وإذا ما أشرنا إلى مرجع من مراجعنا فعلينا أن نذكر أولًا اسم المؤلّف ثم عنوان المؤلّف ثم المجلّد فالصفحة والطبعة. ٥) أن نعرض الحقائق في المتن بترتيبها التاريخي كي نتأكّد من صحّة الاستنتاج ولا سيّما في أمر الأسباب والمسبّبات. (رس، مصط، ١٤١، ٤)

عرض تاريخي

- من شروط العرض التاريخي أن يكون للباحث في التاريخ المقدرة على حُسن التعبير باللغة التي يكتب بها، فعليه أن يعرف كيف يختار الألفاظ والأساليب التي تُعبِّر عن غرضه. ومن المحدثين في كتابة التاريخ مَن يتعمّد اختيار الألفاظ الصعبة والأساليب المعقّدة الثقيلة، لإيهام القارئ بالمقدرة وعُمق التفكير، وهذا أمر مخلٌّ بأسلوب العرض التاريخي. فعلى الباحث أن يكتب بلغة سهلة واضحة تلائم الموضوع الذي يتناوله، وتتفاوت بتفاوت أجزائه وتفصيلاته. وعليه أن يكتب بأسلوبه الخاص الذي تتّضح فيه شخصيته، فلا يقلّد غيره من الكتاب والباحثين. ولا ريب فإن لكل كاتب طريقته الخاصة في التعبير عن آرائه، في نطاق اللغة التي يكتب بها. وكذلك ينبغي ألا يكتب الباحث بأسلوب أدبي صرف، لأن ذلك ربما يضطرّه إلى تغيير الحقائق، وإلى المبالغة فيما يكتبه، لإحداث الأثر المطلوب في نفس القارئ. (عث، بحث، ١٩٣، ١٤)

عرفات

- إنّ الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه، وهو يوم الجمعة، مع زوجته حوّاء من السماء. فقال علي وابن عبّاس وقتادة وأبو العالية: إنّه أُهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سَرَنْدِيب، وحوّاء بجدّة. قال ابن عبّاس: فجاء في طلبها فكان كلّما وضع قدمه بموضع صار قرية، وما بين خطوتَيه مفاوز، فسار حتى بلغ جمعًا فازدلفت إليه حوّاء، فلذلك سُمّيت المُزْدَلِفة، وتعارفا بعرفات فلذلك سُمّيت عرفات، واجتمعا بجمع فلذلك سُمّيت جمعًا. وأُهبطت الحيّة بأصفهان، وإبليس بمَيْسان. وقيل: أُهبط آدم بالبريّة، وإبليس بالأُبُلَّة. (أث، كمل، ٣٧، ٤)

عروبة

- العربي كل من كتب بالعربية وترك فيها مصنّفًا، أو نطق بها ولو لم يكن عربي الجنس. فالعروبة هنا عروبة اللسان والفكر، لا عروبة الأصل والجنس. وتصادفنا في تاريخ العرب والإسلام طائفة من هؤلاء المؤرّخين المستعربين الذين أمدوا النتاج العربي التاريخي بطائفة من مؤلّفاتهم، وشاركوا بجهودهم في التأريخ لناحية من تاريخ العرب والإسلام أو

الموضوعات التي تتّصل بهذين الميدانين. (حس، عر، ١٩٣، ٤)

عزى

- تأريخ المتنبّئين، فقد خرج فيما بين ما أوردناه من الأنبياء والملوك نفر من المتنبّئين يقصر الكتاب عن تعدادهم والإبانة عن أخبارهم، فمنهم من هلك غير متّبع ولم يبق إلّا الذّكر بعده فقط، ومنهم من اتّبعه أمّة وبقيت نواميسه عندها وهم مستعملون تاريخ. فمن الواجب أن نذكر تواريخ المشورين منهم فإنّ في ذلك منفعة في علم أحوالهم أيضًا، وأوّل المذكورين منهم بوذاسف وقد ظهر عند مُضِيّ سنة من ملك طهمورث بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسيّة ودعا إلى ملّة الصابئين فاتّبعه خلق كثير وكانت الملوك البيشداذيّة وبعض الكيانيّة ممّن كان يستوطن بلخ يعظّمون النّيّرين والكواكب وكلّيّات العناصر ويقدّسونها إلى وقت ظهور زرادشت عند مضيّ ثلثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئة بحرّان يُنْسَبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرّانيّة، وقد قيل إنّها نسبة إلى هاران بن ترح أخي إبراهيم عليه السلام وأنّه كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين وأشدّهم تمسُّكًا به، وحكى عنه ابن سنكلا النصرانيّ في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل أنّهم يقولون إنّ إبراهيم عليه السلام إنّما خرج عن جملتهم لأنّه ظهر في قلفته برص، وأنّ من كان به ذلك فهو نجس لا يخالطونه، فقطع قلفته بذلك السبب يعني اختتن ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتًا من الصنم يقول له يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيبٍ واحد وجئتنا بعيبين اخرُج ولا تعاود المجيء إلينا، فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذًا وخرج من جملتهم. ثمّ أنّه ندم بعد ما فعله وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم زعم، فلمّا علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكَبْش، وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكنديّ النصرانيّ عنهم في جوابه عن كتاب عبدالله بن اسمعيل الهاشميّ أنّهم يعرفون بذبح الناس ولكنّ ذلك لا يمكنهم اليوم جهرًا، ونحن لا نعلم منهم إلّا أنّهم أناس يوحّدون الله وينزّهونه عن القبائح ويصفونه بالسَّلب لا الإيجاب، كقولهم لا يُحدُّ ولا يُرى ولا يظلم ولا يجور ويسمّونه بالأسماء الحُسنى مجازًا، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويُعظّمون الأنوار، ومن آثارهم القبّة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلّاهم أيّام كان اليونانيّون والروم على دينهم ثمّ صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ثمّ تغلّب عليها النصارى فصيّروها بيعةً إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتّخذوها مسجدًا، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخيّ في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك

كان لصنم الشمس، وحرّان فإنّها منسوبة إلى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان وبقربها قرية تسمّى سلمسين واسمها القديم صنم سين أي صنم، وقرية أخرى تسمّى ترع عوز أي باب الزهرة. ويذكرون أنّ الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم وأنّ اللّات كان باسم زحل والعُزّى باسم الزّهرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصريّ وأغاذيمون وواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جدّ أفلاطون من جهة أمّه وأمثالهم، ومنهم من حرّم عليه السّمك خوفًا أن يكون رعادةً والفرخ لأنّه أبدًا محموم والثُّوم لأنّه مصدِّع محرق للدم أو المنى الذي منه قوام العالم والباقلاء فإنّه يُغلّط الذّهن ويفسده وإنّه في أوّل الأمر إنّما نبت في جمجمة إنسان، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أوّلها عند طلوع الشمس ثماني ركعات والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات وفي كلّ ركعة في صلوتهم ثلث سجدات ويتنفّلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار وأخرى في التاسعة من النهار وثالثة في الساعة الثالثة من الليل ويُصَلّون على طهر ووضوء ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين وفي التَّنجُّس عند مسّ الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتورية، ولهم قرابين متعلّقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولّاها كهنتهم وفاتنوهم ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرَّب وجواب ما يسأل عنه، وقد يُسمَّى هرمس بادريس الذي ذكر في التورية أحنوخ وبعضهم زعم أنّ بوذاسف هو هرمس وقد قيل إنّ هؤلاء الحرّانيّة ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمَّون في الكتب بالحنفاء والوثنيّة، فإنّ الصابئة هم الذين تخلّفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيّام كورش وأيّام أرطحشست إلى بيت المقدس ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بُخْتَنَصَّر فذهبوا مذهبًا ممتزجًا من المجوسيّة واليهوديّة كالسامرة بالشام، وقد يُوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصِّلة منتمين إلى أنوش بن شيث ومخالفين للحرّانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلّا في أشياء قليلة حتّى إنّهم يتوجّهون في الصلواة إلى جهة القطب الشماليّ والحرّانيّة إلى الجنوبيّ. (بير، بقي، ٢٠٥، ١٩)

عشيرة

- تقوم الهيئة الاجتماعية عند البدو على نظام العشيرة، ووحدتها الأسرة التي تمثّل الواحدة منها الخيمة أو البيت، والحي عبارة عن مضرب الخيام، وأعضاء الحي يطلق عليهم لفظ قوم، وتتألّف القبيلة من أقوام أو عشائر تربطها أواصر النسب، وينظر أبناء العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض كأبناء دم واحد، وهم يؤدّون الطاعة لرئيس واحد هو شيخ القبيلة، . . . ويرجع

اسم العشيرة في الغالب إلى الجد الأعلى الذي تنسب إليه، فيقال بنو تميم أو بنو شيبان وهكذا. (شل، سلم، ١٣٠، ٩)

عصابة

- إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية، فكثرت العصابة؛ واستكثروا أيضًا من الموالي والصنائع ورَبِيَت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرَّفه فازدادوا بهم عددًا إلى عددهم وقوّة إلى قوّتهم بسبب كثرة العصائب حينئذٍ بكثرة العدد. فإذا ذهب الجيل الأول والثاني وأخذت الدولة في الهرم لم تستقل أولئك الصنائع والموالي بأنفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها، لأنهم ليس لهم من الأمر شيء، إنما كانوا عيالًا على أهلها ومعونة لها؛ فإذا ذهب الأصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى؛ ولا تبقى الدولة على حالها من القوة. (خلد، قدم، ٥٥٢، ١٤)

عصبية

- لم يكن لاطِّراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها، وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميّزون بها عند أمرائهم. ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم، وفسدت الأنساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطُّرِحَت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان. (خلد، قدم، ٤٨٦، ١٦)

- النُّعْرة تقع عن أهل نسبهم لمخصوص وعن أهل النسب العام؛ إلا أنها في النسب الخاص أشدّ لقرب اللحمة. والرياسة فيهم إنما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل. ولما كانت الرياسة إنما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتتمّ الرياسة لأهلها. فإذا وجب ذلك تعيّن أن الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص بأهل الغلب عليهم؛ إذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمّت لهم الرياسة. فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى فرع، ولا تنتقل إلا إلى الأقوى من فروعه، لما قلناه من سرّ الغلب، لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج في المتكون؛ والمزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر؛ فلا بدّ من غلبة أحدها، وإلا لم يتمّ التكوين. فهذا هو سرّ اشتراط الغلب في العصبية. ومنه تعيّن استمرار الرياسة في النصاب المخصوص بها. (خلد، قدم، ٤٨٨، ١٠)

- غلط أبو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الأوَّل: "والحسب هو أن يكون من قوم قديم نُزُلُهُم بالمدينة"، ولم يتعرّض لما ذكرناه. وليت شعري ما الذي ينفعه قِدَمُ نُزُلهم بالمدينة إن لم تكن له

عصابة يُرْهَب بها جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه؟ فكأنه أطلق الحسب على تعديد الآباء فقط. مع أن الخطابة إنما هي إستمالة من تؤثر استمالته وهم أهل الحل والعقد. وأما من لا قدرة له البتّة فلا يُلتفت إليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا يُستمال هو. وأهل الأمصار من الحضر بهذه المثابة. إلا أن ابن رشد رَبِيَ في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا أنسوا أحوالها؛ فبقي في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعديد الآباء على الإطلاق، ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرّها في الخليقة. (خلد، قدم، ٤٩٣، ١٢)

- العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يُجتمع عليه؛ وقدمنا أن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض؛ فلا بدّ أن يكون متغلّبًا عليهم بتلك العصبية، وإلا لم تتمّ قدرته على ذلك. وهذا التغلّب هو الملك، وهو أمر زائد على الرياسة؛ لأن الرياسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع، وليس له عليهم قهر في أحكامه؛ وأما الملك فهو التغلّب والحكم بالقهر. وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها؛ فإذا بلغ رتبة السؤدد والاتّباع ووجد السبيل إلى التغلّب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس. ولا يتمّ اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعًا. فالتغلّب الملكي غاية للعصبية كما رأيت. (خلد، قدم، ٤٩٩، ٧)

- إذا حصل التغلّب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلّب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها. فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالًا وأنظارًا، ولكل واحدة منهما التغلّب على حوزتها وقومها، شأن القبائل والأمم المفترقة في العالم. وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضًا، وزادتها قوة في التغلّب إلى قوّتها، وطلبت غاية من التغلّب والتحكّم أعلى من الغاية الأولى وأبعد. وهكذا دائمًا حتى تكافئ بقوّتها قوّة الدولة. فإن أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها، وصار الملك أجمع لها. وإن انتهت إلى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وإنما قارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أوليائها تستظهر بها على ما يعن من مقاصدها. وذلك ملك آخر دون الملك المستبد. وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس، ولصنهاجة وزناتة مع كتامة، ولبني حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية. (خلد، قدم، ٥٠٠، ٥)

- الملك هو غاية العصبية وأنها إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك، إما بالاستبداد أو بالماظهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك. وإن عاقها عن بلوغ الغاية عوائقة ... وقفت في مقامها إلى أن يقضي الله بأمره. (خلد، قدم، ٥٠٠، ١٧)

- المذلّة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدّتها؛ فإن انقيادهم ومذلّتهم دليل على

فقدانها؛ فما رئموا للمذلّة حتى عجزوا عن المدافعة، ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزًا عن المقاومة والمطالبة. (خلد، قدم، ٥٠٢، ٣)

- إذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها ومتمّماتها، وهي الخلال؛ لأن وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الأعضاء أو ظهوره عريانًا بين الناس. وإذا كان وجود العصبية فقط من غير انتحال الخلال الحميدة نقصًا في أهل البيوت والأحساب، فما ظنّك بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب. (خلد، قدم، ٥٠٥، ١)

- المغالبة والممانعة إنما تكون بالعصبية لما فيها من النُّعْرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه. (خلد، قدم، ٥٢١، ٨)

- إذا استقرّت الدولة وتمهّدت قد تستغني عن العصبية والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها إلا بقوة قوية من الغلب، للغرابة وأن الناس لم يألفوا ملكتها ولا اعتادوه. فإذا استقرّت الرياسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدًا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الأولية، واستحكمت لأهل ذلك النصاب صبغة الرياسة، ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم، وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الإيمانية. فلم يحتاجوا حينئذٍ في أمرهم إلى كبير عصابة؛ بل كأنَّ طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يُعْلَم خلافه. (خلد، قدم، ٥٢٢، ٩)

- الملك غاية طبيعية للعصبية، ليس وقوعه عنها باختيار، إنما هو بضرورة الوجود وترتيبه ...، وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بدّ فيه من العصبية، إذ المطالبة لا تتمّ إلا بها ... فالعصبية ضرورية للملّة وبوجودها يتمّ أمر الله منها. (خلد، قدم، ٥٩٨، ٩)

- العصبية لا تحصل إلا بالتحام نسب أو ما في معناه، أما بالنسب فلأن من صلة الرحم الطبيعية في البشر - غالبًا - نعرة ذوي القربى بعضهم على بعض، حتى لا ينالهم ضيم أو هلكة. فإذا قرب النسب وحصلت به وصلة الالتحام استدعى بمجرّده أقصى مقدور عليه في التناصر. ومتى بعد بعض الشيء عفي في الحمل عليه ما هو مشهور منه، فرارًا من الغضاضة المتوهّمة من هضم ما يشارك في النسب بوجه. وأما بالذي في معناه فكالولاء والحلف، لأن الأنفة اللاحقة للنفس من اهتضام جار أو قريب أو نسيب بوجه ما، تحمل على النعرة على أهل الولاء والحلف حتمًا. (أزر، بدع١، ٧٦، ٧)

- لما كان مبنى الملك على أساسين، لا بدّ منهما: أحدهما: العصبية، وهو المعبّر عنه بـ"الجند". الثاني: المال الذي هو قوام الجند، وما يحتاج إليه الملك، والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين. (أزر، بدع٢، ٧١٤، ٤)

- قال (ابن خلدون): وسرّه أن العصبية العامة للقبيل هي مثال المزاج للمتكوّن. وهو إنما يكون من العناصر. وقد تبيّن في موضعه أنها إذا اجتمعت متكافئة لا يقع منها مزاج أصلًا، إلا بعد أن يغلب واحد منها على الآخر. وحينئذٍ يقع الامتزاج. قال: وكذلك تلك العصبيات لا بدّ من غلبة واحدة منها، حتى تجمعها وتضمّها وتصيّرها عصبية واحدة كبرى، ولا توجد كذلك إلا لذوي رئاسة فيهم. ثم لا بدّ من تعيين واحد منهم لرئاسة الجميع لغلب منبته وتربيته. (أزر، بدع٢، ٧٢٢، ٨)

- العصبيّة أنّ صلة الرحم (أمر) طبيعيّ في البشر، إلّا في الأقلّ. ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإنّ القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويودُّ (أن) لو يحول بينه وبين ما يصل (إليه) من المعاطب والمهالك: (تلك هي) نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا. فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبًا جدًّا بحيث حصل به الاتّحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك (أي استدعت التناصر) بمجرَّدها ووضوحها. وإذا بعد النسب بعض الشيء فربّما تنوسي بعضه، ويبقى منه شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه (نصرة محدودة)... ومن هذا الباب الولاء والحلف، إذ نعرة كلٍّ أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجهٍ من وجوه النسب، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبًا منها. (فر، علل، ٤٣، ٨)

- الرئاسة لا تكون إلّا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية. فلا بدَّ في الرئاسة على القوم (من) أن تكون من عصبية غالبة لعصبيّاتهم واحدة واحدة، لأنّ كلَّ عصبية (صغيرة، فرعية) إذا أحسّت بغلب عصبية الرئيس لهم أقرّوا بالإذعان والاتّباع. (فر، علل، ٤٤، ٧)

- الخطأ والخطل المنبعث من "العصبية" فالعجم الشعوبيون يفخرون على العرب، والعرب المتعصّبون يفخرون على العجم، والموالي، الذين كانوا أعاجم ثم تعرّبوا، يفخرون على كل من الأعاجم والعرب. (عم، وعى، ١٣٧، ٥)

- إدراك معنى ذلك المفهوم المحرّك في "فلسفة التاريخ" الخلدوني: أي العصبية. ذلك أنه لم يكن يتوجّب الانطلاق، كما فعل الكثيرون من العصبية لتفسير التاريخ، بل يجب تفسير ميلاد هذا المفهوم استنادًا على التاريخ كما كتبه ابن خلدون. والواقع أننا أمام مفهوم يستحقّ هذه التسمية، فكلمة عصبية الكثيرة الإيحاء في الثقافة العربية المحافظة على ذكرى ماضيها القبلي، تصبح هي مبدأ الحركة في تاريخ بأكمله. لكن، ما هي العصبية قبل كل شيء؟. إنها رابطة تضامن قائمة على قرابة الدم وصلة الرحم. والأسرة هي النموذج الذي يكون أفراده متعاضدين، لهم نعرة على ذوي القربى. وتصبح هذه الصلة

ضرورة في البادية حيث تستحيل الحياة إذا لم يكن الفرد مندمجًا في جماعة متعاضدة متناصرة. هكذا تنتظم الجماعات في أنساب تتّخذ نموذجها الأسرة الأبوية. لكن إذا ظنّت فئة بأنها تنحدر من نفس الجد، فإن ذلك لا يعدو كونه أسطورة، إذ يستحيل إثبات نقاوة النسب، "إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له". على أن العصبية تفعل فعلها على مستوى الوهم والأسطورة؛ ذلك أن الوهم هنا يكتسي كل قوة الحقيقة، ما دام يشرط العلائق البشرية في البادية، وخاصة علائق السلطة والحرب. وعن طريق الالتحام في العصبية تتميّز البادية عن الحواضر. (أوم، نهج، ١٤٠، ١٩)

عصبية للنعرة

- ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنُّعْرة والتناصر، فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى. وتعديد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها. فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب. وتفاوت البيوت في أهل الشرف بتفاوت العصبية؛ لأنه سرّها. (خلد، قدم، ٤٩١، ١٨)

عصر أموي

- العصر الأموي يمتاز عن عصر الراشدين بانقلاب الحكومة فيه من الخلافة الدينية إلى السياسية الدنيوية، وأن خلفاءها وعمّالها إنما كان همّهم جمع المال، وأنه يمتاز عن العصر العباسي بتعصّب أهله للعرب واحتقارهم سائر الأمم، وخصوصًا الشعوب التي كانت تحت سلطانهم في البلاد التي دانت لهم، في مصر، والشام، والعراق، وفارس، وخراسان، وغيرها، وفيهم: القبط، والنبط، والروم، والسريان، والكلدان، والفرس، والترك، والسودان وغيرهم - حتى الذين أسلموا منهم. (زي، مدن٢، ٣٣، ٣)

عصر الخلفاء الراشدين

- عصر الخلفاء الراشدين من سنة ١١ - ٤١ هـ هذا هو عصر الإسلام الذهبي، عصر العدل والتقوى. كانت الحكومة جارية فيه على سنن العدل والاستقامة والغيرة الحقيقية على الدين ونبذ الدنيا، وهو العصر الذي اتّخذه المسلمون منوالًا ينسجون عليه، وكلما حادت دولة من دولهم عن جادة الحق طلبوا إليها الرجوع إليه والسير على خطوات الخلفاء الراشدين. لأن الحكومة انتقلت بعدهم إلى طور جديد وانقلبت من الخلافة الدينية إلى الملك السياسي، ونشأت في الخلفاء والعمال المطامع وأخذوا في حشد الأموال بأية وسيلة كانت. (زي، مدن٢، ١٤، ١)

عضد الدولة

- الألقاب المخصوصة بالمتغلّبين على

الدول، تشريفًا لهم ممن غلبوه على الأمر، وإشعارًا بحسن ولايتهم له. وهم - في ذلك - فرقتان: إحداهما: الواقفون عند هذا الحدّ، كملوك عجم المشرق وفي تسمية الخلفاء المتقلبين لهم بـ"شرف الدولة" و"عضد الدولة"، و"نظام الملك"، و"بهاء الملك"، ونحو ذلك. الثانية: المتجاوزون إلى ما وراء الغاية من ذلك في انتحال ما هو خاص بالملك، إشعارًا بالخروج عن ربقة الاصطناع، حيث أضافوها إلى الدين فقط، كـ"صلاح الدين"، و"نور الدين"، ونحو ذلك. وهم المتأخّرون منهم، لما قوي استبدادهم، وتلاشت بهم عصبية الخلافة. (أزر، بدع٢، ٧٤٣، ١٨)

عفو

- (الملك الفاضل من خصاله) العفو عن الذنوب. وحسن الصفح عن الهفوات. وهذه أكبر خصال الخير، وبها تستمال القلوب، وتصلح النيّات. (طق، فخر، ١٢، ٣)

عقدية

- حالة ثورة لتدارك تأخّر تاريخي، ... النظرية سابقة للوضعية الملائمة لها؛ تكون صورة المجتمع الذي يهدف إليه الثائرون موجودة في أذهانهم وتخيّلاتهم قبل أن تتموضع، والمنظِّر هو الذي يملي على السياسي، فالعقدية إذن ضرورية، تنتج أولًا عن كون مضمون الثورة هو إعادة ما وقع فعلًا في زمن ماض بكيفية تدريجية، (تحصيل الحاصل)، وثانيًا عن كونها مفروضة من فوق. وهناك ارتباط منطقي وثيق، لا مفرّ منه، بين العقدية والتصميم أو التخطيط، أكان في الميدان القانوني والتعليمي أم في الميدان الاقتصادي. (عر، فكر، ١٧٣، ٢٩)

عقل

- العلم اعتقاد الشيء على ما هو به إن كان محسوسًا فبالحسّ وإن كان معقولًا فبالعقل. والحسّ والعقل أصل ما تُردُّ إليه العلوم كلّها فما قَضَيَا بإثباته ثبت وما قضيا بنَفْيه انتفى، هذا إذا كانا سليمَيْن من الآفات برئَيْنِ من العاهات وعوارض النقص غسيلين من عشق عادة الألف والنشو لا يكاد يقع حينئذٍ في محسوسه ومعقوله اختلاف إلّا من مخالف أو من معاند لأنّهما على ضرورة لا يعترض للحاسّ شكٌّ في هيئة المحسوس وصورته، ولا يقدر المضطرّ ببديهة عقله أن لا يعلم ما يعلمه ويتيقّنه ولا يُصدّق من يدّعى خلافه ولو كان مضطرّ إلى دعواه كما اضطرّ في حواسّه لما ظهر من أحد خلاف ولا احتيج إلى كسر قوله والكشف عن عوار كلامه. ألا ترى أنّه يستحيل أن تجد الحاسّة النار باردة والثلج حارًّا في الظاهر كما يستحيل أن يكون المعلوم متحرّكًا ويعلم ساكنًا أو يكون في نفسه أبيض ويقع العلم بأنّه أسود، ولو جاز هذا لبطلت العلوم كلّها رأسًا وفسدت الاعتقادات

فساغ لكل قائل ما أراد من ادعاء السمع والبصر والبصر السمع والحيّ ميتًا والميّت حيًّا وهذا محال لأنّ العلم إذا كان إدراك الشيء على ما هو به من حدٍّ وحقِّه ثم لم يُدرك ذاته كما هو لم يكن معلومًا وكذلك الحسّ إذا لم يدرك طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوسًا. وهذا لا خلاف فيه بين المتميّزين العاقلين قاطبةً. (بلخ، بدا، ١٩، ٤)

- العقل قوّة إلّهيّة مميّزة بين الحقّ والباطل والحسن والقبيح وأمّ العلوم وباعث الخطرات الفاضلة وقابل اليقين. وقد قيل إنّما سمّي عقلًا لأنّه عقال للمرء عن التخطّي إلى ما خُطر عليه. وقد أكثرت الفلاسفة الاختلاف في ذكره ووصفه، قال أرسطاطاليس في كتاب البرهان أن العقل هو القوة التي بها يقدّر الإنسان على الفكرة والتميز وبها يلتقط المقدّمات من الأشياء الجزوئيّة يؤلّف منها القياسات. وقال في كتاب الأخلاق أن العقل هو ما يحصل في الإنسان بطريق الاعتياد من أنواع الفضائل حتّى يصير له ذلك خُلقًا وملكة متمكّنة في الناس. وقال في كتاب النفس بخلاف هذا وقسّمه إلى ثلاثة أقسام إلى العقل الهيولانيّ والعقل الفعّال والعقل المستفاد، وفسّره الاسكندر فقال إنّ العقل الهيولانيّ هو ما يوجد في شخص الإنسان من إمكان التهيّؤ لتأثير العقل الفعّال وإنّ العقل المستفاد هو المصوَّر والعقل الهيولانيّ بمنزله العنصر، وإنّ العقل الفعّال هو المخرج للعقل المستفاد على الوجوه بالفعل. وزعم بعضهم أنّ العقل هو النفس وبعضهم يقول هو البارئ جلّ جلاله مع تخليط كثير منهم في هذا الباب. (بلخ، بدا، ٢٣، ١٣)

- ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يُقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ

(يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماء مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابُع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من

هذه النقائص، ولعلّ قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز، وهو سيّج المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولّعة بحبّ العاجل. ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق. فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرّم، ولا ملك معظّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعرًا:

وهل أنا إلّا من غَزِيَّة إن غوَتْ
غويتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧). فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها. (أث، كمل، ٧، ١٦)

- الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال، وعدمت فيه خصال، فأما الخصال التي يستحب أن توجد فيه، فمنها العقل. وهو أصلها وأفضلها، وبه تساس الدول، بل الملل، وفي هذا الوصف كفاية. ومنها العدل، وهو الذي تستغزر به الأموال، وتعمر به الأعمال، وتستصلح به الرجال. ولما فتح السلطان هلاكو بغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة. أمر أن يستفتي العلماء: أيما أفضل: السلطان الكافر العادل، أو السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب. وكان رضي الدين، علي بن طاوس حاضرًا هذا المجلس، وكان مقدمًا محترمًا، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا، ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر، على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده. ومنها العلم، وهو ثمرة العقل، وبه يستبصر الملك، فيما يأتيه ويذره، ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه، وبه يتزيّن الملك في عيون العامة والخاصة، ويصير به معدودًا في خواص الملوك. قال بعض الحكماء: الملك إذا كان خلوًا من العلم كان كالفيل الهائج، لا يمرّ بشيء إلا خبطه، ليس له زاجر من عقل، ولا رادع من علم. واعلم أنه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصوّر المسائل المشكلة، والتبحّر في غوامض العلوم، والإغراق في طلبها. قال معاوية: ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم، وإنما المراد من العلم في الملك، هو أن لا يكون له أنس بها، إلا بحيث يمكنه أن يفاوض أربابها فيها، مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر، ولا ضرورة في ذلك إلى التدقيق. (طق، فخر، ١٠، ٣)

- مطالب الرئاسة الذِكْرُ، ولا يحصل إلا بكماله. ففي "سياسة أرسطو": الرئاسة لا تراد لنفسها، إنما تراد للذّكر. وأول منازع

العقل الذكر. والرئاسة نتيجتها. (أزر، بدع١، ٤٠١، ١٨)

- (التاريخ) مع أخبار العلماء ومذاهبهم والحكماء وكلامهم والزهاد والنساك ومواعظهم عظيم الغناء ظاهر المنفعة فيما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسريرته في اعتقاداته وسيرته في أمور الدين، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي، وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ثم سبب انقراضها وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء وما يتّصل بذلك من الأحوال التي يتكرّر مثلها وأشباهها أبدًا في العالم غزير النفع كثير الفائدة، بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرّب الأمور بأسرها وباشر تلك الأحوال بنفسه فيغزر عقله ويصير مجرّبًا غير غر ولا غمر. . . . وما أحسن قول بعض السادات العقل عقلان: مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع ما لم يكن ثمّ مطبوع. ونحو هذا ما يقع فيه من ذكر ذوي المروآت والأجواد والمتّصفين بالوفاء ومحاسن الأخلاق والمعروفين بالشجاعة والفروسية، وأنه أيضًا جمّ الفوائد كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبّه والاقتداء بأربابها ليصير لهم نصيب من حسن الثناء وطيب الذكر الذي حرض عليه خلاصة البشر. (سخ، ذم، ١٤، ٦)

عقل هيولاني

- العقل الهيولانيّ أصفى جوهر النفس وحسُّه فوق حسّ النفس ورتبته أعلى رُتَب الجواهر ودون رتبة البارئ جلّ جلاله وهو أقرب الأشياء منه، المسلمون لا يعلمون من العقل إلّا ما هو مركّب في الإنسان خاصّةً دون سائر الحيوان في العالم السفليّ. فأمّا ما يحكى عن غيرهم فموقوف على الجواز ما لم يردّه العقل كتاب الشريعة. وقد ذهب قوم أن حجّة الطبع فيما يوجبه ويسلبه أولى من حجّة العقل وادّعوا ذلك من جهة اشتياق إلى ما وافقه ويلائمه وانقباضه عمّا يعافه وينافره، وأنّ الله عزّ وجلّ خلقه إذ خلقه كذلك ولا يجوز أن يخلق شيئًا عبثًا أو لغير حكمة وفائدة، والعقل مستحسن وهو يستحسن الشيء ويستقبحه ويستصوبه ثمّ يستخطئه. (بلخ، بد١، ٢٥، ٢)

عقلانية إسلامية

- العقلانية الإسلامية في الفكر الإسلامي، بل وفي الفكر الإنساني عامة، أنماط متميّزة ودرجات متفاوتة من الإيمان بالعقل والاطمئنان إلى قدراته والثقة في معطياته. وفي هذا الفكر أيضًا مواقف متعدّدة إزاء المنطلق الذي يدعو المفكّر إلى البدء منه. فمن الفلاسفة والمفكّرين من دعا إلى اتّخاذ العقل المنطلق الوحيد، وحبذ إهمال النصوص المأثورة عن الأولين، وبالذات ما تعلّق منها بالغيبيات، ومن الفلاسفة والمفكّرين من دعا إلى عدم إهمال

النصوص. في نفس الوقت الذي أعلا فيه من قدر العقل واتّخذه الأداة الأولى والوحيدة في البحث عن تفسير لامهات المشاكل الفلسفية والقضايا الرئيسية التي انتصبت وتنتصب علامات استفهامها أمام الفكر البشري عبر القرون. (عم، وعى، ١٦٦، ٨)

عقيدة إسلامية

- أعطت العقيدة الإسلامية تصوّرًا تاريخيًّا واضحًا للكون منذ الخلق حتى يوم القيامة. وربطت بين المبدأ والمنتهى بحلقات الأنبياء وأعطت لمبدأ الخلق صورة لا تقلّ عنها وضوحًا صورة الآخرة. وجعلت ما بين الطرفين، فترة عبور. (مص، رخ١، ٥٨، ٨)

عكاظ

- عكاظ قرية بصحراء، بين نخلة والطائف، على ثلاث مراحل من مكّة المشرفة، وكان فيها سوق أسبوعية يوم الأحد، وسوق سنوية كانت تقوم هلال ذي القعدة، ويستمرّ موسمه عشرين يومًا تجتمع فيها قبائل العرب، فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون، وكان من فوائدها أن العرب يتعارفون فيها ويتحابون، وكانت فرسان العرب إذا كان أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضًا يتقنّعون حتى لا يعرفوا، وإن كانت هذه السوق تؤذن بالتعامل والأخذ والعطاء إلا أنه كان في الحقيقة جلّ الغرض منها اجتماع فحول الشعراء والفصحاء والبلغاء من أهل العربية لإبداء نتائج أفكارهم وإظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم، ومثل عكاظ في ذلك سوق ذي المجاز، خلف جبل عرفات، وأسواق أخر. (طه، عمل٣، ٥٩٩، ٣)

علاقة إردافية

- الروايات تتوزّع تحت عناوين مطالب وسنين شتّى. بحيث أن انتماءها النصّي إلى العنوان هو المحك الوحيد لتاريخيتها ولانضوائها تحت هذا العنوان، فهي مصادرة على المطلوب تجعل من أسس تاريخيتها شأنًا يبدو وكأنه بديهي. وجلّ ما نجده في أسس ترتيب الروايات عن الحوادث المختلفة هي جملة من الإحداثيات للتنظيم المكاني للحوادث، أي تنظيمها الفيزيائي في النص المكتوب الواحدة بعد الأخرى أو في تضاعيف الأخرى. ليست لدينا أجناسًا ولا أنواعًا تترتّب تبعًا لها الأحداث في نظام تصنيفي أو بموجب أسس داخلية أخرى، بل إن ما لدينا في بنية السرد التاريخي هو أبواب، كالسنين، لفرز الأشياء. والعلاقة بالتالي بين حادثة سابقة وأخرى لاحقة في إطار السرد الحولي ليست إلا علاقة تماس مكاني، إذ ليست ثمّة نقلة بين الواحدة والأخرى. وبذلك فإن الانغلاق المونادي لكل حدث يجري الإفصاح عنه سرديًا في العلاقة الإردافية (Parataxis) بين الحوادث التي تتسلسل فيها الحوادث دون أية التفاتة في سابقة للاحقة أو من لاحقة لسابقة،

تسلسلًا تتساوى فيه كل فصول السلسلة ولا تتمايز فيه الأحداث بأية تمايزات نسبية تزيد على تميّز كل واحدة بذاتها. (عظم، عرف، ٥٣، ٢٠)

علة

- العلّة السبب الموجب وهي ضربان: عقليّة وشرعيّة. فالعقليّة الموجبة بذاتها غير سابقة لمعلولاتها كحركة المتحرّك وسكون الساكن. فالشرعيّة التي تطرى على الشيء فتغيّر حكمه ويكون مقدّمًا لها معلولًا بعلّة قبلها وشرط صحّة العلّة جريانها في معلولها، فمتى ما تقاعست عن الاطّراد تهافت ذلك كوجود عين أو حكم لعلّة من العلل ثم وجود تلك العين والحكم مع زوال تلك العلّة أو زوال العين والحكم مع بقاء العلّة، وصحّة العلّة كصحّة الحدّ سواء مع أنّ كثيرًا من الناس يسمّون العلّة الحدّ وليس ببعيد لاتّفاق المعنى. وقيل إن العلّة ذات وصف واحد وذات وصفين وذات أوصاف كثيرة ولا يصحّ الحكم بها إلّا باجتماع أوصافها. (بلخ، بدا، ٣١، ١٤)
- الدليل ما هدى إلى الشيء وأشار إليه والعلّة ما أوجبه وأوجده ويُوصل إلى الشيء بدليله لا بعلّته لأنّ علّته أيضًا مما يوصل إليها وتُعلم بدليل، لأنّ الذي يدلّ على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول عينه، ومتى زالت العلّة زالت العين، وتختلف الأدلّة على العين الواحدة ولا تختلف العلّة، ومحال وجود ما يفوت الحواسّ والبدائه بغير دليل، وغير محال وجود ما لا علّة له. (بلخ، بدا، ٣٥، ١٥)

علل الحوادث

- فلسفة التاريخ هي التعليق على الحدث التاريخي، وبيان أسبابه، وذكر فروض مختلفة حوله، مع محاولة الإجابة عن هذه الفروض، وإذا استطعنا أن نجرّد الحدث التاريخي عن الفلسفة فإن هذا الحدث يمكن أن يقبله أكثر المؤرّخين كأن نقول: إن الحلفاء انتصروا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد قلنا إن هذا الحدث يقبله أكثر المؤرّخين، ولم نقل يقبله كلهم لأن بعض المؤرّخين لا يرى الحدث قد انتهى بعد، ويتوقّع أن تكون هناك جولات أخرى تغيّر من النتائج، وعلى كل حال فالخلاف حول الحدث التاريخي أضيق جدًّا من الخلاف حول فلسفته، فإننا إذا تساءلنا: لماذا انتصر الحلفاء؟ فإن الإجابات تختلف من شخص إلى شخص ومن فكر إلى فكر، ومن يوم إلى يوم، والمؤرخون القدامى قلّما كانوا يعنون بفلسفة التاريخ، واتّجهوا في الغالب إلى سرد الأحداث بدون تعليق أو بتعليق خفيف، فلما جاء العصر الإسلامي ظهر مع القرآن الكريم ما يسمّى بأسباب النزول، وظهر في التشريع حكمته، ودوران الحكم مع العلّة وجودًا وعدمًا، فانفتح الباب بذلك للحديث عن فلسفة التاريخ، ثم حدث شيء مهم في الإمبراطورية الإسلامية فخلق بوضوح

فلسفة التاريخ، وذلك هو ما أصاب العالم الإسلامي من ضعف وتدهور، وما نزل به من خطوب جسام، فاتّجه المؤرّخ ابن خلدون (٨٠٨هـ) بسبب ذلك اتّجاهًا فلسفيًّا عميقًا ليتعرّف علل الحوادث وأسباب قيام الدول وعلل سقوطها، ومظاهر العمران وأصول الاجتماع ونحو ذلك. (شل، سلم، ٣٠، ٨)

علم

- العلم اعتقاد الشيء على ما هو به إن كان محسوسًا فبالحسّ وإن كان معقولًا فبالعقل. والحسّ والعقل أصل ما تُردُّ إليه العلوم كلّها فما قَضَيَا بإثباته ثبت وما قضيا بنَفْيه انتفى، هذا إذا كانا سليمَيْن من الآفات برئَيْنِ من العاهات وعوارض النقص غسيلين من عشق عادة الألف والنشو لا يكاد يقع حينئذٍ في محسوسه ومعقوله اختلاف إلّا من مخالف أو من معاند لأنّهما على ضرورة لا يعترض للحاسّ شكٌّ في هيئة المحسوس وصورته، ولا يقدر المضطرّ ببديهة عقله أن لا يعلم ما يعلمه ويتيقّنه ولا يُصدّق من يدّعي خلافه ولو كان مضطرّ إلى دعواه كما اضطرّ في حواسّه لما ظهر من أحد خلاف ولا احتيج إلى كسر قوله والكشف عن عوار كلامه. ألا ترى أنّه يستحيل أن تجد الحاسّة النار باردة والثلج حارًّا في الظاهر كما يستحيل أن يكون المعلوم متحرّكًا ويعلم ساكنًا أو يكون في نفسه أبيض ويقع العلم بأنّه أسود، ولو جاز هذا لبطلت العلوم كلّها رأسًا وفسدت الاعتقادات فساغ لكل قائل ما أراد من ادعاء السمع والبصر والبصر السمع والحيّ ميتًا والميّت حيًّا وهذا محال لأنّ العلم إذا كان إدراك الشيء على ما هو به من حدٍّ وحقِّه ثم لم يُدرك ذاته كما هو لم يكن معلومًا وكذلك الحسّ إذا لم يدرك طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوسًا. وهذا لا خلاف فيه بين المتميّزين العاقلين قاطبةً. (بلخ، بد١، ١٩، ٢)

- المعرفة إدراك أينية الشيء وذاته، فمن قائل إنّها ضرورة آخر أنّها مكتسبة والفرق بينها وبين العلم أن العلم الإحاطة بذات الشيء عينه وحدِّه والمعرفة إدراك ذاته وثباته وإن لم يدرك حدّه وحقيقته، فالعلم أعمّ وأبلغ لأنّ كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلومًا، ألا ترى أنّ الموحّدين يعرفون ربّهم ولا يعلمونه إلّا بالإثبات لأنَّ الكيفيّة والكميّة عنه منفيتان. (بلخ، بد١، ٢١، ١٦)

- أصول العلم وطرقها ومحصولها راجع إلى ثلاثة أصناف: إلى المعقول بديهةً. والمحسوس ضرورةً، لأنّ ما يدرك بهما يدرك بلا واسطة ومقدّمات. والثالث المستدلّ عليه المستنبط بالبحث والأمارة، فهذه يقع فيها الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيّز الحاسّة والبديهة وتفاوت قوى المستدلّين والناظرين وتفاوت آرائهم وعقولهم. (بلخ، بد١، ٢٣، ١)

- الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال، وعدمت فيه خصال، فأما

الخصال التي يستحب أن توجد فيه، فمنها العقل. وهو أصلها وأفضلها، وبه تساس الدول، بل الملل، وفي هذا الوصف كفاية. ومنها العدل، وهو الذي تستغزر به الأموال، وتعمر به الأعمال، وتستصلح به الرجال. ولما فتح السلطان هلاكو بغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة. أمر أن يستفتي العلماء: أيما أفضل: السلطان الكافر العادل، أو السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب. وكان رضي الدين، علي بن طاوس حاضرًا هذا المجلس، وكان مقدمًا محترمًا، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا، ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر، على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده. ومنها العلم، وهو ثمرة العقل، وبه يستبصر الملك، فيما يأتيه ويذره، ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه، وبه يتزيّن الملك في عيون العامة والخاصة، ويصير به معدودًا في خواص الملوك. قال بعض الحكماء: الملك إذا كان خلوًا من العلم كان كالفيل الهائج، لا يمرّ بشيء إلا خبطه، ليس له زاجر من عقل، ولا رادع من علم. واعلم أنه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصوّر المسائل المشكلة، والتبحّر في غوامض العلوم، والإغراق في طلبها. قال معاوية: ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم، وإنما المراد من العلم في الملك، هو أن لا يكون له أنس بها، إلا بحيث يمكنه أن يفاوض أربابها فيها، مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر، ولا ضرورة في ذلك إلى التدقيق. (طق، فخر، ١٠، ١١)

- أصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو أفضل وأشرف، فكيف وإن لذّة العلم أعظم اللذّات، كما أن ألم الجهل أشدّ الآلام. (كاف، مخ، ١١٢، ٥)

- السلطان أحوج الخلق إلى العلم، لوجهين: أحدهما: أن افتقارهم إليه في الأحكام يحوجه إلى المعرفة بها، ليكون على بصيرة في تنفيذ الفصل، وإلزام الوقوف عند حدودها. الثاني: أن تحلّيه بالعلم من أعظم ما يتحبّب به إلى الرعية، لما رسخ في النفوس على الجملة من فضيلة العلم ومحبّة من انتسب إليه. وإذا عري منه أو فرط في العمل بمقتضى السؤال عنه أخلّ بالسيرة الفاضلة فيهم، ففرّوا عنه واستوحشوا منه. (أزر، بدع١، ٤٠٥، ١٨)

- في مطلع القرن العشرين أعلن الدكتور ج. ب بيوري (J.B. Bury 1861 - 1927) "أن التاريخ علم" ثم كرّر هذا الأستاذ إعلانه عدّة مرات في محاضرات متتالية، وقد أثار هذا الإعلان رأي كثير من الباحثين في العلوم والآداب، وشبّ نزاع خطير حول هذه القضية. واتّضح من الصراع أن تحديد لفْظي "العلم" و"التاريخ" كان له دخل كبير في تقريب وجهات النظر، أو في حسم الخلاف، فاللورد أكتن (١٨٣٤ - ١٩٠٢م) عرّف العلم بأنه "اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع

المتشابهة بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامّة على هيئة مبدأ أو قانون يمكّننا على وجه اليقين من التنبّؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة في ظروف معيّنة". وبناءً على هذا التعريف لم يعتبر اللورد أكتن ومن أخذ برأيه أن التاريخ علم. ولكن تعريف اللورد أكتن للعلم ليس موضع اتّفاق لأن علم الميثيورولوجيا لم يصل إلى أقوال دقيقة خاصة بالجو، ومن هنا شاع الخطأ في تنبّؤات الخبراء عن الجو، ومع هذا فلا نستطيع أن ننفي صفة العلم عن الميثيورولوجيا، وبهذا سقط تعريف اللورد أكتن للعلم، وبالتالي سقط استبعاد التاريخ عن دائرة العلم. واتّجه الرأي لتعريف العلم بأنه المعرفة المنظّمة المبوّبة التي تؤسَّس على البحث الذي لا يتبع هوى النفس، على أن يكون قد رُدَّ إلى المبادئ الثلاث. - التصنيف - التبويب - التقنين. فهل التاريخ علم بناءً على هذا التعريف الجديد؟ إن الإجابة على هذا تستدعي أن نعرف ما هو التاريخ؟ هل التاريخ هو "التدوين"؟ لو أجبنا بالإيجاب لكان التاريخ فنًّا لأنه إنشاء أدبي، ولكن اللفظ الدقيق لهذا المعنى هو "تأريخ" أي كتابة التاريخ. أما التاريخ فمرحلة تسبق التأريخ والكتابة، وهو يعني البحث في أحوال السابقين، وما خلّفوا من آثار ووثائق ثم نقدها وتأويلها، والمعرفة عن طريقها، وذلك المعنى هو المقصود عندما تستعمل كلمة "تاريخ" وهو بذلك يشمل الاستقصاء والبحث وطلب الحقيقة، ثم إنه يتّبع مبادئ التصنيف والتبويب والتقنين، وبهذا يكون التاريخ علمًا. وتبعًا لهذا الاتجاه أدخل رينان سنة ١٨٤٨ العلوم التاريخية في مؤلّفه عن "مستقبل العلم" وردّد فوستل ديكولاند (١٨٣٠ - ١٨٨٩م) هذا القول مرارًا، ومن ذلك ما جاء في كتابه (العصر الوسيط) ونصّه: التاريخ علم لا يتخيّل بل يرى، وهو نظير كل علم ينظر إلى الأحداث ويحلّلها ويقارن بينها، ويحقّق الروابط القائمة بين بعضها والبعض، والمؤرّخ يبحث عن الحدث ويدركه بدرس النصوص بإمعان ودقّة وهي نفس الطريقة المتّبعة في كل علم مؤسّس على الملاحظة الدقيقة. ويبقى سؤال بعد ذلك هو: من أي أنواع العلوم يعتبر التاريخ؟ الإجابة عن ذلك يوردها Hearnshaw بقوله: التاريخ علم، ليس علم نقد وتحقيق، أقرب العلوم الطبيعية شبهًا به الجيولوجيا. فكما أن الجيولوجي يدرس الأرض كما هي الآن ليعرف بقدر الطاقة كيف صارت إلى حالتها الحاضرة، فكذلك المؤرّخ يدرس الآثار المتخلّفة عن الماضي ليفسّر بواسطتها وبقدر إمكانه ظاهرة الحاضر، وكما أن الجيولوجي يجد مادته الأساسية فيما سلم في نفايات الطبيعة من أدلّة قليلة تثبت التطوّرات الجيولوجية القديمة. فكذلك المؤرّخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات، سلمت مصادفة واتّفاقًا من عوادي الزمن التي لا تبقي ولا تذر، وهذه الآثار والسجلات هي الحقائق المحسوسة الحاضرة التي ينصبُّ عليها عمل المؤرّخ وهي مادة علمه، وهي ليست قيّمة وهامّة لذاتها، ولكن لمجرّد دلالتها على الوقائع الماضية، ثم هي لا تدلّ على الوقائع الماضية مباشرة، ولكن

بواسطة الضوء الذي يلقيه عليها فكر الباحث. (شل، سلم، ٢٤، ١٦)

- يتلخّص الفرق بين العلم والإيديولوجيا في الفرق بين الوعي الصحيح والوعي الخاطئ. (عر، فكر، ٢٤، ٢٣)

- العلم بصفة عامة لا يخرج عن كونه محاولة لتركيز الجهد حول شيء لا نعرفه في محاولة جادة لمعرفته والوقوف على حقيقته، فالعلم إذًا هو الكشف عن حقيقة الأشياء وهذا هو المعنى المقصود من قولنا إن التاريخ علم. لكن ابن خلدون يقول في عبارته التي يُعرِّف بها التاريخ أنه فن، فما هي الحقيقة؟ وهل يعتبر التاريخ علمًا أم فنًّا؟ هناك من يقول إن التاريخ لا يمكن أن يكون علمًا لأنه يعجز عن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والاختبار والتجربة، ودراسة التاريخ لا توصلنا إلى استخلاص قوانين يقينية ثابتة على نحو ما يصل إليه الكيمائيون والفزيائيون مثلًا. وذلك رأي له وجاهته؛ ولكن التاريخ مع ذلك يعتبر علمًا من حيث المنهج، لأن نتائجه تخضع للتحقيق، والاتّفاق بين المؤرّخين أو عدم الاتّفاق بينهم، وذلك عن فهم وإدراك. والذي أريد أن أقطع به هو أن التاريخ يبحث عن أسباب تسلسل الظواهر ويحاول ربطها إلى بعضها وتعليلها تعليلًا يقبله العقل. ولكن هذا لا يفضي إلى وضع القوانين الثابتة، لأن المؤرّخ لا يجرّد، والتاريخ قصص وليس برهانًا، ... وهو يتناول أحداثًا مستقلة لا تقع إلا مرة واحدة، ومن هنا لا يستطيع المؤرّخ أن يستخلص منها نواميس عامة شاملة. وليس هناك شكّ في أن المؤرّخ يستخدم أحيانًا تحقيقات الاختبارات العامة ونتائج الملاحظة الاجتماعية ليدرك مدى الحدث الواحد الفريد، وكذلك نرى المؤرّخ اليوم يبسط الأوضاع الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية ليوضح آثارها على مجرى التاريخ، وهذه وتلك من الأشياء المجرّدة. ولقد نستطيع أن نُعرِّف التاريخ بأنه العلم الذي يوازن العلوم الأخرى، ذلك بأن حياة المجتمعات الإنسانية هي في الحقيقة تاريخ هذه المجتمعات، وبما أن التاريخ لا يعيد نفسه، ولا يضع سننًا عامة ثابتة لا تتغيّر، فلن تكون لأي علم القدرة على الوصف الدقيق في كل تفاصيله ... لكن التفاصيل ذات قيمة كبرى، ومعرفة هذه التفاصيل والعوارض الفريدة هي المجال الذي يخوضه التاريخ. ومن هنا فإن التاريخ لا يستطيع أن يصل أبدًا إلى غايته المنشودة وهي إعادة تمثيل الحياة البشرية كما كانت، وإعادة رسم مظاهر النشاط العقلي بكل تطوّراته وتقدمه. والإنسان هو الوحدة التي يدور التاريخ من حولها، وكل جهد يحاول به صاحبه أن يعزل فئة من الناس خارج تاريخ الإنسان، إنما هو جهد فاشل. وبهذا المفهوم فإن التاريخ يتضخّم إلى درجة الشمول لكل أنواع المعرفة، حتى العلوم الطبيعية يستطيع التاريخ أن يخرجها عن الرسم التجريدي اللازمني ويعرضها عرضًا مؤسسًا على مجهود

الإنسان، بوصفها نتيجة لهذا الجهد. (علف، فت، ١١٨، ١)

علم الإجتماع

- التاريخ وعلم الإجتماع يشتركان في أهداف واحدة، وبعض جذورهم على الأقل تنبع من نفس التربة، فكلاهما يدعي، في المبدأ على الأقل، أنه يبحث في كل أبعاد الحياة الإجتماعية "وبكل الوضع القائم في أي زمن محدّد" وإن غايتهما فهم شامل لأعمال البشرية وعلاقاتها. ومع أن للتاريخ عدّة جذور يرجع بعضها إلى الماضي البعيد، ويقرنه بالدين والفلسفة، إلا أن أصوله كعملية استطلاع عقلية ترجع، كعلم الإجتماع، إلى نفس تربة "وضعية" القرن التاسع عشر. وبعبارة أخرى فإن علم الإجتماع والتاريخ كلاهما يدّعيان أنهما يبحثان بعض الحقائق، وكلاهما يرى أن أمثلة علماء الطبيعة تمثل البلاهة وأنها تقف على النقيض منهما بدل أن تكون حليفًا لهما، حيث أنه لا علاقة لها بالعلوم الاجتماعية. (بار، وجه، ٧٩، ١٦)

علم أخبار أمة

- عمر الإنسان لا يفي بعلم أخبار أمّة واحدة من الأمم الكثيرة علمًا ثاقبًا فكيف يفي بعلم أخبار جميعها هذا غير ممكن، وإذ كان الأمر جاريًا على هذا السبيل فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب والأشهر فالأشهر ونُحصّلها من أربابها ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه ونترك سائرها على وجهها ليكون ما نعمله من ذلك معينًا لطالب الحقّ، ومحبِّ الحكمة على التصرُّف في غيرها ومرشدًا إلى نيل ما لم يتهيَّأ لنا. (بير، بقي، ٥، ٥)

علم التاريخ

- يحتاج صاحب هذا الفن (فن التاريخ) إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السِّيَر والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتّفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعبًا لأسباب كل حادث، واقفًا على أصول كل خبر. وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان، وإلا زيّفه واستغنى عنه. وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلك؛ حتى انتحله الطبري والبخاري وابن إسحق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأمة. وقد ذهل الكثير عن هذا السرّ فيه حتى صار انتحاله مجهلة، واستخفّ العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفّل عليه، فاختلط المرعيُّ بالمهمل، واللُّباب بالقسر،

والصادق بالكاذب. وإلى الله عاقبة الأمور. (خلد، قدم، ٣٢٠، ١٠)

- جملة العلوم النافعة في المبدأ والمعاد، وما بينهما، علم التأريخ، الذي فوائده وغرائبه لا تعدّ ولا تحصى، وهو بحر الدرر والمرجان، لا يحيط بمنافعه نطاق التحديد والتبيان، وفيه عجائب الملك والملكوت، وفيه إيصال إلى جناب الحق ذي العظمة والجبروت. ولكن لما كان دررًا منثورة في عجاج بحر العمان، غير منتظم في سلك القواعد والتبيان. (كاف، مخ، ٥١، ٨)

- فيكون لفظ التأريخ منقولًا عرفيًا كسائر المنقولات الشرعية والعرفية، كالإيمان والصلاة ونحوهما، وكالدابة ونحوها. فإن قلت: فما الفرق بين التأريخ اللغوي والتأريخ الاصطلاحي؟ قلت: الفرق بينهما بالعموم والخصوص فاللغوي أعمّ من التأريخ الاصطلاحي عموم الحيوان من الإنسان. وأما علم التأريخ، فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته. ثم الزمان في اللغة هو الوقت، والوقت معروف عند القوم، والميقات أعمّ من الوقت. يُقال للوقت المضروب للفعل، كوقت الحجّ والصلاة ونحوهما: ميقات، كما يقال: ميقات للموضع المعيّن لأمر من الأمور، تقول: ميقات أهل الشام هو الموضع الذي يحرمون منه، وهو الجحفة، كما تقول: ميقات أهل اليمن يلملم، وميقات أهل العراق ذات عرق، وهكذا سائر المواقيت. وتقول: وقته فلان، إذا بيّن للفعل وقتًا يُفْعل فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء: ١٠٣)، أي مفروضًا في الأوقات. والتوقيت هو تحديد الأوقات، تقول: وقته ليوم كذا، مثل أجلته، وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ (المرسلات: ١١) و﴿أُقِتَتۡ﴾ مخففة، وأقتت لغة - أيضًا - مثل: وجوه وأجوه. وأما الموقت فهو مفعل من الوقت، قال العجاج: "والجامعُ الناسِ ليومِ المَوْقِتِ" والزمان في العرف هو مقدار الحركة على الرأي المشهور، وهو الذي يحتاج إلى معرفته أهل التأريخ، وقيل: الزمان في العرف هو أمر متجدّد يتقدّر به متجدّد آخر. (كاف، مخ، ٥٥، ١١)

- موضوعه (علم التاريخ)، فهو أمور حادثة غريبة، لا تخلو من مصالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونصح واعتبار وبسط وانفعال، بحيث يلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد، وتقرير تعيين، وتوقيت لغرض صحيح في ذلك، كوقائع متعلّقة بالأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١)، كما قال الله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ (يوسف: ٣). وكسائر حوادث من الأمور السماوية والأرضية، من حدوث ملّة وظهور دولة وزلزلة وطوفان وموتان، إلى غير ذلك من الحوادث الصائلة العظام، والأمور

الهائلة الجسام. وأما ما يوجد في هذا الفن من مباحث لا يلحظ فيها تلك الحيثية المذكورة في تعريف الموضوع، فهو من باب التتميم والتكميل والإلحاق لغرض من الأغراض، كما يقع مثل هذا في سائر العلوم المدوّنة، وهذا الاعتذار ههنا إنما هو على تقدير حمل المسائل على معانيها الظاهرة. (كاف، مخ، ٦٥، ١٢)

- أما إذا أُريد منها قواعد علم التأريخ، ففيه غنى عن مثل هذا الاعتذار، بناء على أن مسائل العلم أعمّ تحقيقًا من قواعده. وقد نصّ على ذلك في موضعه، وأنه علم كسائر العلوم المدوّنة، كالفقه والنحو والبيان وغير ذلك. فثبت الاحتياج إليه، كما ثبت الاحتياج إلى ما عداه من العلوم، وأنه واجب علمه على سبيل الكفاية كوجوب سائر العلوم، لضبط زمن المبدأ والمعاد وما بينهما، على أحسن ما يكون. وأما استغناء الأوائل عن تدوينه فهو لا يقدح في وجوبه، كما لا يقدح في وجوب سائر العلوم، مع أنهم في زمان صدق وصفاء، عارفون ما سنح لهم من الأمور والوقائع، فاستغنوا عن تدوين الفقه فضلًا عن تدوين مثله. وقد كانت الحوادث قليلة في ذلك الزمان، وأما الحوادث والوقائع فقد كثرت جدًّا في هذا الزمان، فمسّت الحاجة إلى ضبطها على وجه كلّي معتبر فيه، والضابط لها على وجه معتبر هو علم التأريخ، وهو إنما يتمّ ويدوم بالتدوين، فوجب التدوين، كما وجب تدوين كل علم لمثل هذا المعنى. (كاف، مخ، ٦٦، ١٣)

- قال أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: (جلالة علم التاريخ) في الحكمة في قص الله تعالى على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الأنبياء الماضين والأمم السالفين أمور: منها إظهار نبوّته والاستدلال بذكرها على رسالته لأنه صلى الله عليه وسلم كان أمّيًّا لم يختلف إلى مؤدّب ولا معلّم ولا فارق وطنه مدّة يمكنه الانقطاع فيها إلى عالم يأخذ ذلك عنه، فإذا علم بها وتدبّر العاقل من قومه ذلك علم أنه بوحي من الله سبحانه وتعالى فآمن به وصدّقه. وكان ذلك من المعجزات الدالّة على صحّة نبوّته وقد ينكر ويجحد حسدًا وعنادًا. ومنها التأسّي بهم فيما أثنى الله عليهم به والانتهاء عن ضدّه. ومنها التثبيت له والإعلام بشرفه وشرف أمّته حيث عوفي وأمته عن كثير ممّا امتحن به من قبلهم وخفّف عنهم في الشرائع وخصّهم بكرامات انفردوا بها عنهم، وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠) الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع. ومنها التهذيب والتأديب لأمته كما أشار إليه تعالى في قوله آيات للسائلين وعبرة لأولي الألباب وموعظة للمتّقين، ولذا كان الشبلي يقول فيها اشتغل العامة بذكر القصص والخاصة باعتبار من القصص ومنها الإحياء لذكرهم وآثارهم ليكون للمحسن سببًا للاجتهاد في العمل رجاء تعجيل ثوابه وبقاء لذكره وآثاره الحسنة، كما رغب خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ

﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤)، والناس أحاديث يقال مات ميت ولذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر. (سخ، ذم، ١٦، ١٢)

- قال العلم أبو محمد القسم بن محمد البرزالي: هو من أحسن العلوم وأشهاها وأجلّ الفوائد وأبهاها وأكمل المحاضرات وأزهاها لأنه سبيل إلى الاعتبار ومنهاج يعين على الاستبصار وتحفة تريك من مضى من الأمم عيانًا ونزهة تشرح للمطالع فيه قلبًا وتبسط له لسانًا. (سخ، ذم، ٢٩، ٩)

- علم التاريخ لأنه باب يدلّ على أعلام أهل كل زمن ويبيّن عما حدث فيه من حدث وتجدّد من خبر وعرض من سبب مستفيدًا صاحبه المعرفة بأوقات الأكوان وأحوال أيام الأعيان في كل حين وزمان، فيأمن عيب الغلط والتغليط فيما يقوله فيهم ويورده فيما يخبر عنهم. فإنا نرى قومًا يحكون أشياء لا يعرفون عهود حدوثها ووقوعها فيقدّمون ما تأخّر ويؤخّرون ما تقدّم عنه منها، سيما من كان من أرض خراسان فقد جرى على أيدي أهلها ما لم يجر على أيدي غيرهم من الواجب العظام والواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جمل أنبائها ويحفظ أيام أمرائها لا شيء أزرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه ولعلّه يتطلّب أخبار غيرها فيكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل. (سخ، ذم، ٣٩، ١٧)

- علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي وزين تقربه العيون حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي، بل وقعه من الدين عظيم ونفعه يتعيّن في الشرع لشهرته غني عن مزيد البيان والتفهيم، إذ به يعلم أهل الجلالة والرسوخ ما يفهم به الناسخ من المنسوخ ويظهر تزييف مدّعي اللقاء ويشهر ما صدر منه من التحريف في الارتقاء لما تبيّن أن الشيخ الذي جعل روايته عنه من مقصده كان قد مات قبل مولده أو كان اختلّ عقله أو اختلط أو لم يجاوز بلدته التي لم يدخلها الطالب قط، وتحفظ به الأنساب المترتّب عليها صلة الرحم والمتسبّب عنها الميراث والكفاءة حيث ما قرّر في محلّه وفهم. وكذا تعلم منه آجال الحقوق واختلاف النقود والأوقاف التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود، وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والخلفاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم في حربهم وسلمهم وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم بعد أن أبادهم الحدثان وأبلى جديدهم الملوان، حيث تتبع الأمور الحسنة من آثارهم ولا يسمع منهم فيما تنفر عنه العقول المستحسنة من أخبارهم، ويعتبر بما فيه من المواعظ النافعة واللطائف المفيدة لترويح النفوس الطامعة مع ما يلتحق به من المسائل العلمية والمباحث النظرية والأشعار التي هي جلّ مواد العلوم الأدبية كاللغة والمعاني والعربية. ولهذا صرّح غير واحد

من علماء المذاهب أولي الأمانات بأنه من فروض الكفايات، الراجح ارتقاؤه على فرض العين للاندفاع بقيامه به عن غيره من التأثيمات، بل ربما انحصر وتعيّن حسبما يعلمه من استظهر وتبيّن هذا مع كونه فردًا من أفراد علومه وعقدًا من معلوماته ورسومه. (سخ، ذم، ٤٤، ٦)

- قال العزّ الكناني الحنبلي الفريد في زمانه: لا شكّ في جلالة علم التاريخ وعظم موقعه من الدين وشدّة الحاجة الشرعية إليه لأن الأحكام الاعتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من كلام الهادي من الضلالة والمبصر من العمى والجهالة، والنقلة لذلك هم الواسطة بيننا وبينه فوجب البحث عنهم والفحص عن أحوالهم وهذا أمر مجمع عليه. والعلم المتكفّل بذلك هو علم التاريخ ولهذا قيل إنه من فروض الكفاية وقد اختلف في فرض الكفاية هل هو أفضل من فرض العين لسقوط التكليف بفعله عن الفاعل وغيره بخلاف العين، ثم ذكر جملة من فوائده ومن صنّف فيه من نجوم الهدى ومصابيح الظلم ممّن لا مطعن فيهم ولا قدح. (سخ، ذم، ٥٥، ٧)

- شرط المعتني به (علم التاريخ) فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عنه مزيد الاتقان والتحرّي سيما فيما يراه في كلام كثير من جهلة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقد قال الخطيب في جامعه ويجمعون أي أهل الحديث أيضًا ما روي عن سلف المسلمين من أخبار الأمم المتقدّمين وأقاصيص الأنبياء وسيرهم، والذي نستحبه أن لا يتعرّض لجمع شيء من ذلك إلا بعد الفراغ من أحادي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم ساق عن ابن عباس القطان قلت لأحمد أشتهي أن أجمع حديث الأنبياء فقال لي حتى تفرغ من حديث نبيّنا صلى الله عليه وسلم. كذا صرّح هو وغيره بأنه ينبغي التحرّز فيما يكتب من أخبار الأوائل والكتب القديمة وما يكون من الحوادث والملاحم لتردّد الأمر فيها بين تجويز الإبطال أو الجزم، كالكتاب المنسوب لدانيال، بل ليس يصحّ في ذكر الملاحم المرتقية والفتن المسطّرة إلا اليسير مما اتّصل بنا أسانيده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. (سخ، ذم، ٦٣، ١١)

- لم تكن تاريخية الإسلام ولا الحاجات الفكرية - الروحية - الثقافية بالكافية لظهور علم التاريخ بتلك السعة التي ظهر فيها لولا وجود حاجات أخرى من نوع عمليّ - حياتيّ معها. وبعض هذه الحاجات ديني تشريعي ويدخل في الجو الثقافي في تفسير القرآن والحديث، وبعضها سياسي اقتصادي مما يتّصل بإدارة الدولة ونظاميها المالي والقضائي، وبعضها ذو طابع سياسي اجتماعي مما يتّصل بعناصر الدولة القومية وتياراتها السياسية. وقد كانت معرفة التاريخ عنصرًا حيويًّا في هذه النواحي كما كان التاريخ وحده يعطي الجواب عليها. ومن هذه الحاجات: ١- الحاجة إلى معرفة أسباب النزول وتفسير آي القرآن وحدوده وأحكامه من خلال

تاريخه. إنه المصدر الأول الأساسي للتشريع الذي يحكم الجماعة الإسلامية، وقد أدّى البحث في ذلك إلى تسجيل الكثير من أخبار الجاهلية وعصر الرسالة. ٢- الحاجة إلى معرفة سيرة الرسول الأعظم - ثم الصحابة من بعده - لا كقائد ديني أكبر فقط ولكن كثاني اثنين من مصادر التشريع الإسلامي الأساسية ولمعرفة الخبرات والتوجيه النبوي، كل "حديث" منه قانون وكل عمل سنة. وكذلك أعمال الصحابة الذين ارتضى من حوله. فلا بدّ من تسجيل كل ذلك ليكتمل قانون الإسلام في مسيرة الجماعة، وقد أدّى ذلك إلى تسجيل السيرة بدقائقها. ٣- ولقد تكوّنت بنتيجة ظهور الإسلام كعقيدة والفتح الإسلامي كحدث سياسي أمبراطورية واسعة تحتاج إلى معرفة مسيرتها وتبرير تلك المسيرة وتفسيرها، كما تحتاج إلى حفظ خبراتها كأمة جديدة تعبيرًا عن وحدتها، وهذا يعني: أ- إلقاء الضوء على أساس من السنة وعمل الصحابة على مشكلة الإمامة والخلافة في المسلمين وهي المشكلة الأمّ والحكمُ فيها خاصة الأمويين والعلويين والخوارج. ب- تسجيل وإثبات الأحداث الكبرى: معارك بدر وأُحد وفتح، واليرموك والقادسية والخلفاء ووقعة الجمل ويوم صفين والتحكيم وغيرها من أسباب ومبررات التفاضل السياسي والاختلاف بين الناس على الحكم السياسي. ج - معرفة الإجماع الإسلامي وما انتهت إليه الجماعة في عصر الصحابة والتابعين ومن تلاهم في مختلف الأمور لأن الإجماع بدوره من مصادر الفقه والسياسة الإسلامية وعليه اعتمد الحكم الأموي في شرعيته. د- كشف أسباب النزاعات الدينية والخصومات السياسية والقبلية والتيارات الفكرية وأسباب ظهور الفرق والمذاهب، والحركات المنحرفة وتطوّراتها مع الزمن. هـ - إيضاح النظام القضائي في الإسلام وفلسفة العدالة ومناهج الفقه وأصوله وأسبابها وركائزها في الأعمال وتراكم الخبرات فيها. و- تبرير النظام المالي في الدولة الإسلامية (وقد ظهرت بنتيجة ذلك كتب الفتوح للواقدي وابن عبد الحكم والبلاذري) وتفسير أسباب "العطاء" والزكاة والجزية ووجوه الموارد والنفقة في الدولة (وقد ظهرت نتيجة ذلك كتب الخراج من مثل الخراج لأبي يوسف والأموال لابن سلام). ز- إثبات السابقات في الإدارة والتنظيم السياسي لإقامة النظام الإداري الإسلامي باستمرار على هديها. ح- تحديد العلاقات الاجتماعية والسياسية والمالية مع غير المسلمين في الدولة، على أساس معاهدات الفتح ونصوص الشرع الإسلامي. كل هذه الحاجات من سياسية وتشريعية ومالية في الدولة الجديدة كأحد دوافع وعوامل داعية إلى التدوين التاريخي. وليس إلا في التاريخ تجد هذه الحاجات جذورها وأسباب وجودها وتفسير ذلك الوجود. ٤- تنافس الأحزاب السياسية والفرق والتيارات الدينية أدّى

بدوره إلى تسجيل الأحداث ومعرفتها لإستخدام ذلك في تأييد وجهات نظرها أو في الدفاع عنها. إن النزاع القوي على الخلافة والتنافس بين الأفكار الدينية كان يجد سنده دومًا في وقائع التاريخ وأحيانًا في اختراع المواقف التاريخية المؤيّدة أو المناهضة لاجتذاب التأييد من أكبر عدد من المسلمين. ٥- وبالمقابل فإن العصبيات القبلية - (وخاصة بين عرب الشمال واليمنيين) وهي ذات طابع سياسي، والاختلاف بين عناصر الدولة (وخاصة بين العرب عامة والفرس) وهي ذات طابع قومي، ومنافسات الأقاليم المختلفة (وخاصة بين الشام والحجاز واليمن والعراق وفارس) كلها أدّت إلى محاولات تسجيل الأحداث والمفاخر... ووقائع التاريخ أو إلى اختلاقها أيضًا، لهذه العصبيات والعناصر والأقاليم. ومن هذا الباب دخلت قصص تاريخ اليمن وأيام العرب والروايات المتعارضة لأخبار الفتوح والخلافات السياسية وتواريخ المدن والأمصار، كما دخلت الأخبار والكتابات الشعوبية. (مص، رخ١، ٦٢، ٣)

- أضحى علم التاريخ جزءًا أساسيًا من الثقافة الإسلامية: يتبيّن ذلك واضحًا لا من أعداد المؤرّخين بالمئات الكثيرة ولا من المؤلّفات التاريخية بأضعاف المئات ولكن من عدد من الظواهر الأخرى: فقد أضحى التاريخ لا في جانب التراجم منه فقط ولكن في جانب الحوادث منه أيضًا ركنًا أساسيًا في "علم" المحدّثين ورجال الفقه والدين. بعضهم كان يطالعه ويدرسه وأكثرهم كان يؤلّف بشكل أو بآخر فيه. (مص، رخ١، ٤٤٥، ٨)

- علم التواريخ: "وهو معرفة أحوال الطوائف" وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك. (وموضوعه) أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم. (والغرض منه) الوقوف على الأحوال الماضية. (وفائدته) العبرة بتلك الأحوال والتنصّح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلّبات الزمن ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع، وهذا العلم كما قيل عمرٌ آخر للناظرين والانتفاع في مصره بمنافع تحصل للمسافرين. (روز، علم، ٧٥٩، ٤)

- تأثّر علم التاريخ بالثورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الحديثة وبان ذلك في توسّع فروعه وفي فلسفته واتجاهاته. وكان للأزمة الشاملة التي يمرّ بها الغرب منذ مطلع هذا القرن أثر بيّن على الدراسات التاريخية. فقد كان ينظر إلى الحضارة الغربية بأنها أوج التطوّر الحضاري للبشرية، وكان ينظر إلى تاريخ البشر من زاوية غربية وكأن محور تاريخ العالم هو الغرب، وكان كل تاريخ آخر هو ممهّد للتاريخ الغربي أو هامش من هوامشه. ولكنّ الحربين العالميتين وما رافقهما من تطوّرات كبرى أوضحت أن

الحضارة الغربية هي مرحلة من مراحل الحضارة البشرية، وأن هيمنة الغرب التي تجلّت في القرن التاسع عشر خاصة أن هذه إلا دور تاريخي. (دو، نشأ، ٧، ٨)

- يكون علم التاريخ عند العرب جزءًا من التطوّر الثقافي العام. وصلته بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة وتستحقّ اهتمامًا خاصًّا. ثم أن ظهور الإسلام، وتكوين الأمبراطورية، والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطوّر الأمّة وخبراتها، كل هذه حيوية لفهم التطوّرات الأولى للكتابة التاريخية. ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام. (دو، نشأ، ١٣، ٣)

- بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في اتجاهين أساسيين: - الاتجاه الإسلامي أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث. - والاتجاه القبلي أو اتجاه "الأيام". وهذان الاتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام، التيار القبلي الذي يمثّل استمرار التراث القبلي والتيار الإسلامي الذي يتمثّل في المبادئ والفعاليات الإسلامية. وكان كل من الاتجاهين غالبًا في مركز ثقافي، الاتجاه الإسلامي في المدينة، دار سنة الرسول، والاتجاه القبلي في الكوفة والبصرة المصرين الجديدين اللذين كانا مركزين فعالين للقبلية. وقد كانت المدن الثلاثة المذكورة مراكز النشاط الثقافي في صدر الإسلام. وصار لكل اتجاه مدرسة تاريخية، وحصل تأثير متبادل بين المدرستينْ التاريخيتين، ثم بان تفوّق الاتجاه الإسلامي أخيرًا حين غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية. (دو، نشأ، ١٩، ٩)

- علم التاريخ عند العرب هو تطوّر طبيعي في الإسلام. فالدين الجديد، وتكوين أمبراطورية، ووضع تقويم ثابت، كل هذه هيّأت الأساس. ثم إن الاتجاهات الإسلامية المتمثّلة في الاهتمام بسيرة الرسول، وبإجماع الأمة وخبراتها، وبآراء وأحكام علمائها، وبالحوادث الكبرى التي حدّدت سيرها التاريخي، كانت الدوافع الرئيسية لدراسة التاريخ في المدينة. ومن جهة ثانية فإن الاتجاهات القبلية نحو العناية بالأنساب والأيام والشعر استمرّت في المراكز القبلية الجديدة في الكوفة والبصرة في إطار جديد، ووجدت حوافز جديدة في التيارات السياسية والاجتماعية والمدنية الجديدة. وراء هذين الاتجاهين كان هناك الشعور لدى الجميع برسالة تاريخية، وهذا يوضح لدرجة ما ذلك التنوّع وتلك السعة في الكتابات التاريخية. (دو، نشأ، ٥٧، ٣)

- علم التاريخ عند العرب جزء من الثقافة العربية، ولا يمكن فهمه إلا بالإشارة إلى الفعاليات والتطوّرات الثقافية الأخرى. ولا تؤدّي دراسته وحده إلا إلى فهم مرتبك مبتور لأصوله وتطوّره. وقد بدأ علم التاريخ عند العرب بعد ظهور الإسلام.

أما الفعاليات الجاهلية - كقصص الأيام والأنساب - فإنها تشير إلى جانب من اهتمام العرب، وبداية أسلوب في رواية الأخبار ولكنها لا تنطوي على فكرة تاريخية. سارت الدراسات التاريخية في بداياتها في اتجاهين عامين متميّزين الواحد عن الآخر. اتّجاه أهل الحديث، والاتجاه القبلي الذي كان لحدٍّ ما استمرارًا للفعاليات القبلية السابقة. وهذان الاتجاهان يعكسان تيّارين أساسيين في مجتمع صدر الإسلام - الاتجاه الإسلامي والاتجاه القبلي - أثّرا في مختلف جوانب الحياة. وتمثّل النشاط في كل من الاتجاهين في مصر من الأمصار، فكانت المدينة، مهد الإسلام، المركز الأول لاتجاه أهل الحديث، بينما كانت البصرة والكوفة، مقرّا الحاميات القبلية وموطنا التقاليد القبلية، المركز الأول للاتجاه القبلي. وكانت المدينة والكوفة والبصرة مراكز الحياة الثقافية في صدر الإسلام. (دو، نشأ، ١١٨، ٣)

- حين قام مؤرّخوا العرب والإسلام بالتأليف في التاريخ، لم يفتهم أن ينبّهوا في استهلال مؤلّفاتهم إلى منزلة علم التاريخ وقدره وفائدته. ولعلّ قصدهم بذلك أن يدلّوا على أن ما كانوا يشتغلون به من ذلك العلم ليس مجرّد جمع وتصنيف من دون نظر إلى تحصيل فائدة، أو إحراز منفعة، أو تحقيق مكسب للقارئ الذي لن يضيع وقته سدى من قراءة التاريخ. ولعلّهم بذلك أيضًا كانوا يردّون - بطريقة لبقة - على من قالوا إن الاشتغال بالتاريخ لغو وإضاعة وقت وتتبّع لعثرات الماضين، واشتغال بما لا جدوى فيه، ولا طائل تحته. ومن هنا اهتمّ أغلب المؤرّخين والمشتغلين بالتاريخ العربي الإسلامي بالتدليل على أهمية "التاريخ" وفائدته. حتى قلَّ أن نجد مصنفًا في التاريخ خلا من الإشادة بهذا العلم وإظهار فضله، وبيان منفعته. (حس، عر، ٥، ٤)

- فائدة علم التاريخ ورجحان الاشتغال به على الاشتغال بمسائل علم الكلام والجدل والفلسفة وما إليها؛ كالكلام في الزمان وهل له ابتداء وانتهاء وأول وآخر، وهل كان هناك شيء قبل خلق الله للزمان، وهل الزمان فانٍ أم باق؟ وكيف كان ابتداء خلق الله تعالى للزمان وكيف يكون فناؤه؟ وأشباه ذلك من المسائل التي يحار فيها العقل، ولا يهتدى إلى حلّ صحيح. أما الكلام في أحداث التاريخ، فهو كلام في مسائل مادية حدثت، وأخبار ماضية وقعت، وهي وإن كانت يجري عليها الصدق والكذب إلا أنها تستخرج بالرواية والأخبار، ولا تستنبط بحجج العقول والأفكار. وما قد يكون وقع في تلك الحوادث مما يستنكره القارئ، أو يستشنعه السامع، مما لا يكون له وجه من الصحة، أو يعرف له معنى في الحقيقة، فإنما إثم ذلك يقع على الناقل والراوي، لا على المسجل للخبر. (حس، عر، ٧، ١٢)

- فوائد علم التاريخ الدنيوية والأخروية . . . الإنسان لا يخفى أنه يحب البقاء، ويؤثر

أن يكون في زمرة الأحياء. فيا ليت شعري! أي فرّق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين؟ فإذا طالعها فكأنه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضرهم. ومنها أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي، إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوّنة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما قد أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها. وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأن بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها درت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه. هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرّات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرًا. ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث، وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول:

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة. وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلا فهو زيادة في عقله الأول. ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكرى شيء من معارفها، ونقل طرفة من طرائفها، فترى الأسماع مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. (حس، عر، ٨، ١٢)

- علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي، وزين تقرّ به العيون، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي، بل وقعه من الدين عظيم، ونفعه يتعيّن في الشرع، لشهرته غنى عن مزيد البيان والتفهيم، إذ به يعلم أهل الجلالة والرسوخ، ما يفهم به الناسخ من المنسوخ، ويظهر تزييف مدّعي اللقاء، ويشهر ما صدر منه من التحريف في الارتقاء، لما تبيّن أن الشيخ الذي جعل روايته عنه من مقصده، كان قد مات قبل مولده، أو كان اختلّ عقله أو اختلط، أو لم يجاوز بلدته التي لم يدخلها الطالب قط. وتحفظ به الأنساب المترتّب عليها صلة الرحم، والمتسبّب عنها الميراث والكفاءة حيثما قرّر في محله وفهم. وكذا تعلم منه آجال الحقوق، واختلاف النقود،

والأوقاف التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود. وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء، والخلفاء والملوك والأمراء والنبلاء، وسيرهم ومآثرهم في حربهم وسلمهم وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم، بعد أن أبادهم الحدثان، وأبلى جديدهم الملوان. حيث تتبع الأمور الحسنة من آثارهم، ولا يسمع منهم فيما تنفر عنه العقول المستحسنة من أخبارهم، ويعتبر بما فيه من المواعظ النافعة، واللطائف المفيدة لترويح النفوس الطامعة، مع ما يلتحق به من المسائل العلمية، والمباحث النظرية، والأشعار التي هي جلّ مواد العلوم الأدبية، كاللغة والمعاني العربية. ولهذا صرّح غير واحد من علماء المذاهب أولي الأمانات، بأنه من فروض الكفايات، الرّاجح ارتقاؤه على فرض العين للاندفاع بقيامه به عن غيره من التأثيمات. (حس، عر، ١٨، ٦)

- علم التاريخ يصبح عامًا بعد عام وأكثر فأكثر قوة عظيمة تعمل على نزع غشاوات الخطأ، وتعين على تكوين الرأي العام، وعلى السير إلى الأمام بقضية الحرية الفكرية والسياسية، فإن ذلك العلم سيعمل جاهدًا على تكوين طلابه على نحو يمكنهم من القيام بذلك الواجب لا للانتفاع به في سدِّ مطالب الأسبوع التالي أو العام القادم أو حتى القرن الذي سيجيء، ولكن لكي يذكروا دائمًا أن التاريخ، وإن كان يقدّم مادة للتاريخ الأدبي أو للتأمّل الفلسفي، إلا أنه علم قائم بذاته لا أكثر ولا أقل، وينبغي الحذر من تطويع ذلك المثل الأعلى لحاجات اللحظة. (علف، فت، ٩٣، ١)

- أصبح مألوفًا شائعًا التفريق بين التاريخ كمسيرة للإنسانية History وبين علم التاريخ، Historiography كفاعلية فكرية إنشائية. ولعلّنا نستطيع أن نستعير هنا كلمة سانتيانا التي يقول فيها: ".. بين المعاني الكثيرة التي تعنيها كلمة التاريخ يجب ألا نخلط بين معنيين هما: أولًا: سياق الحوادث كما تقع فعلًا، وثانيًا مشهد هذه الأحداث التي يلتقطه المؤرّخ ويضمّنه كتابه. والتاريخ في المعنى الأول دفق هائل وفي الثاني تأليف محدود.... ولا تعنينا في بحثنا هذا المسيرة الإنسانية. "هذا الدفق الهائل" من الأحداث والأعمال والأفكار الذي ينساب في استمرار واطّراد بدون فترات ولا عصور ولا فصول أو أقسام، وينساب في حركة مستمرّة لا يحيط بدقائق أحوالها وقوانينها عقل بشري، ولا يستطيع التكهّن بمسارها أو مصيرها، إنما يقع الآن على الطرف الآخر من اهتمامنا بها الذي يتركّز خاصة حول المعنى الثاني، حول "التأريخ" كفاعلية فكرية تتناول ذلك الدفق الهائل نفسه بالتنظيم والدرس والتقسيم والتحليل واستخلاص النتائج. (علف، فت، ١٦٨، ٢٢)

علم التاريخ الإسلامي

- أقدم صور علم التاريخ الإسلامي هو الوصف الشامل لحادثة واحدة، لا يزيد طولها عادة على بضع صفحات، وهي

استمرار مباشر لقصص الأيام. وكثيرًا ما كانت كلمة "خبر" في سياق الكتب التاريخية الكثيرة، تستعمل عنوانًا، بجانب "ذكر" أو أحيانًا بجانب "أمر" أو "حديث"، وكل هذه الكلمات تستعمل بالطريقة نفسها. ومنذ القرن العاشر فما بعد أصبحت رواية تاريخ "الخبر" يقدّم لها أحيانًا بعبارة "وكان السبب" بعد أن يذكر ملخّص الخبر المعنى، ويؤكّد على صفة الخبر كوحدة قائمة بذاتها، بسلسلة الرواة التي تسبق كل خبر ولا تحذف إلا للاختصار أو لإزالة مظاهر التقعّر العلمي. (روز، علم، ٩٥، ٥)

علم التاريخ العربي

- نشأ علم التاريخ العربي للحفاظ على تراثين: تراث النبي (حروبه، أفعاله، أقواله والظروف التي قيلت فيها)، وماضي القبائل العربية السابق على الإسلام (حروبها وما سمّي "بالأيام" بوجه عام، وكذا الأنساب)، يضاف إلى هذا التراث الأخير البحث في التراث الشعري واللغوي لهذه القبائل. إن التاريخ الأول الناشئ عن هذه الأصول اتّخذ شكلًا محددًا في السرد: "الخبر" وهو الشكل الأصلي للتاريخ العربي، وهو رواية لحدث مفرد عبر سلسلة رواة تناقلوا الخبر ابتداء ممن شهده أو زعم ذلك، وذلك طبقًا لمنهج اختصّت به العلوم الدينية، وهو منهج الإسناد (أي تصحيح الخبر بناء على مدى الثقة بناقليه). (أوم، نهج، ١٣، ٢٢)

- علم التاريخ العربي تطوّر تطوّرًا هائلًا أمكنه من أن يستقلّ عمليًا عن العلوم الدينية وأن يختصّ بالبحث في موضوعات من صميم التاريخ، ولكن بقايا هامّة من الأصل ظلّت عالقة به، فهذا التاريخ الأول سجل "للفترة المثال" في تاريخ المسلمين، ولأن هذه الفترة تمثّل الثابت في ذاكرة الأمة، ولأنها النموذج، ولكونها معروفة أصلًا بواسطة هذا التاريخ الأول، كان لا بدّ وأن يستمرّ هذا التاريخ باقيًا لدوام الزمان الأول في ذاكرة المسلمين ... وسوف يستقرّ هذا التاريخ الأول نهائيًا في كتابات المؤرّخين اللاحقين يتناقولنه جيلًا بعد جيل. وشيء آخر: فعلى الرغم من أن علم التاريخ العربي نما نموًّا كبيرًا في اتجاه البحث التاريخي الحقيقي إلا أن هذا النموّ لم يترجم على مستوى التنظير. (أوم، نهج، ٤٥، ١٢)

علم التاريخات

- إن "علم التاريخات" يستند على أحداث مشهورة كانت في أزمنة خالية أي لا تحدث إلا في دهور متطاولة كطوفان مخرّب أو زلزال مدمّر أو وباء وقحوط متأصّلة لأمم وأسماء الملوك مذكورون في الأقاليم بعددهم وأيامهم ومدّة ملكهم وانتقال دولهم لا يستغنى عنها. علم بدء الخلق وإعادته وأحوال القرون السالفة في أجسامهم وعقولهم، إلا أنه يشوبه تزوير لبعد الزمان الآتي ما لا يشوب عنه وعجز المعني بشيع الأخبار عن حفظها ألم يأتهم

نبأ الذين من قبلهم، لا يعلمهم إلا الله لا يقبل منهم إلا ما نطق به كتاب أو خبر موثوق به. (روز، علم، ٥٣، ٧)

علم تاريخي

- نشأت عن ذلك العلم التاريخي علوم أخرى مساندة له أو مساعدة كالآثار، وعلم النقوش أو الديبجرافية، والخطوط والكتابات القديمة أو الباليوجرافية، وعلم الوثائق والمحفوظات، وما إلى ذلك مما أنشئت له المعاهد والمراكز والمجلات في كل بلد من البلاد. بل كان علم التاريخ سببًا في أكبر حركة سياسية واجتماعية بعد الثورة الفرنسية وهي الثورة الماركسية، وما كان لها من أصداء بعيدة في كل ناحية من نواحي الحياة في عالمنا المعاصر. (علف، فت، ٩٢، ١)

علم التواريخ والأخبار

- علم التواريخ والأخبار ومنه أيضًا يعلم تقلّب الدول وسرعة انتقالها وتصرّف الأحوال بانقضائها وزوالها. (سخ، ذم، ٢٨، ١١)

علم الرنوك

- من العلوم المساعدة في دراسة التاريخ علم الرنوك (heraldry) وهي الشُّعُر أو العلامات المميّزة التي تظهر على الأختام أو الدروع أو على ملابس النبلاء والجند أو على الأعلام. ولقد عرف القدماء هذه الرنوك أو العلامات المميّزة، وعرفها أهل العصور الوسطى. فعرفها الشرق الإسلامي - مثلًا - واستخدمها السلاجقة والأيوبيون والمماليك والعثمانيون، للدلالة على وظائف أرباب السيف. ومن هذه العلامات نجد الكأس والسيف والدواة والنسر والهلال والصليب وذيل الحصان وزهرة الزنبق. (عث، بحث، ٢٩، ١٣)

علم الطبقات وتراجم الرجال

- كان علم الطبقات وتراجم الرجال - وهو من ضرورات المؤرّخ - موضع العناية عند المشتغلين بعلوم الفقه والتشريع، حتى كان الفقيه المشهور ابن دقيق العيد يقول لتلميذه الحافظ بن سيد الناس بعد أن يبلغ منه التعب من إلقاء الدروس: لذذنا يا شيخ فتح الدين بتراجم هؤلاء السادات. (حس، عر، ١٦، ١٥)

علم قراءة الخطوط

- علم قراءة الخطوط (paleography) من العلوم (المساعدة) الأساسية لدراسة نواح كثيرة من التاريخ، منذ أقدم العصور حتى أزمان متأخّرة. وتوجد أنواع مختلفة من الخطوط الشرقية تبقى كالطلاسم حتى يتعلّمها الباحث ويتدرّب على قراءتها. ودراسة هذه الخطوط تحفظ له الوقت وتُجنّبه الوقوع في كثير من الخطأ. وتتّضح أهمية هذه الدراسة في فروع عديدة مثل تاريخ مصر القديم، وتاريخ بلاد العرب قبل الإسلام، وتاريخ اليونان، وتاريخ الرومان، وتاريخ العصور الوسطى، والتاريخ الأوروبي الحديث حتى جزء من القرن السابع عشر، وتاريخ الشرق

الأدنى حتى القرن التاسع عشر، وذلك بالنسبة للغات التي تتعلّق بهذه الموضوعات. (عث، بحث، ٢٥، ٢٤)

علم مطلوب

- العلم مطلوب، وكل مطلوب فله شرف وفضيلة، أما الأول، فلكون العلم شيئًا نفيسًا ومرغوبًا فيه ومقبولًا في العقول كلها، وأما الثاني، فلأن كل مطلوب سواء كان مطلوبًا لذاته أو لغيره أو لهما، فله شرف وفضيلة، غاية ما في الباب أن المطلوب لذاته له زيادة شرف وفضل على المطلوب لغيره. أما المطلوب لذاته، فنحو المعرفة بالله، والنظر إلى وجه الكريم. وأما المطلوب لغيره، فنحو الدراهم والدنانير، فإنهما حجران لا منفعة فيهما، ولولا أن الله يسّر الحاجات بهما لكانا والحجر بمثابة واحدة. وأما المطلوب لذاته ولغيره، فنحو سلامة البدن، فإن سلامة البدن أو الرجل مثلًا مطلوبة من حيث أنها سلامة عن الآلام، ومطلوبة للمشي والمآرب والحاجات. وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذًا في نفسه، فيكون مطلوبًا لذاته، ووجدته - أيضًا - وسيلة إلى الدار الآخرة وسعادتها، وذريعة إلى القرب من الله عزّ وجلّ، ولا يتوصّل إليه إلا به. (كاف، مخ، ١١١، ٣)

علم المغازي والسير

- كان الاشتغال بعلم المغازي والسير مكمّلًا لعلم الفقهاء، حتى رأينا مشرّعًا كبيرًا مثل أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة يحفظ المغازي وأيام العرب ونحوها من تاريخ الفتوح والتوسّع الإسلامي، وكان أبو يوسف يعتزّ - فوق فقهه - بحفظه للتاريخ، حتى لقد جاءه مرّة رجل يتندّر عليه سائلًا إيّاه عن اسم الرجل الذي كان يحمل راية جالوت، وفهم أبو يوسف من هذا السؤال أنه على سبيل المداعبة، فردّ على سائله ساخرًا منه قائلًا: إن لم تمسك عن مثل هذا السؤال، وإلا سألتك على رؤوس الناس: أيهما كان أول: وقعة بدر أم أحد، فإنك لا تدري ذلك، وهي أهون مسائل التاريخ. (حس، عر، ١٦، ٦)

علم ناموسي

- التاريخ، كغيره من علوم الإنسان، ليس بعلم ناموسي nomologique وإن غايته ليست في تجريد نواميس من نوع إذا أدخلت حامضًا على قاعدة أصبحت ملحًا، وإنما هي الفهم. ألم يقل لنا ابن خلدون أنه "لا يقاس شيء من أحوال العمران على الآخر". وهذا معناه طبعًا أن التاريخ لا يفضي بنا إلى نواميس تاريخية، ولا يقصد إلى ذلك، وأما النواميس التي كدّ في استخلاصها بعض المؤرّخين المعاصرين فإنها ليست ناموسية في شيء. وذلك لسبب بسيط، وهو أن النواميس العلمية مقامة كلها على تكرار الظاهرة كلما توفّرت شروطها. وهذا لا يتوفّر إلا في عالم تكرار الظواهر، وهو عالم الطبيعة. والتاريخ، ... وكل ما واكبه من نشاطات الإنسان لا تكرار فيه، إذ هو حركة خلق مستمرّة. لذا فإنه من المستحيل أن نتصوّر

تجربة تاريخية من نوع تجارب الكيمياء والفيزياء التي يقام بها في المخابر. كل هذا مفروغ منه منذ زمان، وليس في حاجة إلى زيادة تدليل. لكن، إن كان التاريخ ليس من العلوم الناموسية، فليس معنى ذلك حتمًا إنه ليس بعلم فهو علم بهدفه، إذ هو ككل العلوم يسعى وراء الحقيقة، وهو علم بمنهجه الذي لم يفتأ على مرّ العصور يتطوّر ويزداد إحكامًا. (علف، فت، ٤٥، ٩)

علم النميّات

- علم النميّات أو النومات (numismatics) أي علم النقود والمسكوكات، من العلوم (المساعدة) الهامة في دراسة نواحٍ من التاريخ. فالعملة والأنواط بما تحملُه من صور الآلهة وصور الملوك والأمراء وأسمائهم، وذكرى الحوادث التاريخية، وسنوات ضربها، تُقدّم للباحثين مادة تاريخية قيّمة بالنسبة للتاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب على السواء. فالعملة اليونانية - مثلًا - تكشف عن كثير من الحقائق في تاريخ الجماعات السياسية التي كانت ذات كيان خاص مكّنها من أن تسكّ هذه العملة. ولم يُعرف وجود بعض هذه الجماعات إلا عن طريق عملتها التي حفظها التاريخ من الضياع. وتساعد العملة - والمسكوكات بعامة - في دراسة تاريخ الأساطير والعبادات والفنون والعلاقات السياسية، ونشاط التجارة أو فتورها. (عث، بحث، ٣٠، ٦)

علم الوثائق

- نجد علم الوثائق أو علم الدبلومات (diplomatics) من العلوم (المساعدة) الأساسية لدراسة التاريخ. والوثائق في المعنى العام تدلّ على كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دُوِّن منها على الورق. ولكنها في المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ، هي الكتابات الرسمية - أو شبه الرسمية - مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة، أو عادات الشعوب أو نظمهم وتقاليدهم وما يصيبهم من قوة أو ضعف، أو المشروعات أو المقترحات المتنوّعة التي تصدر عن المسؤولين في الدولة أو التي تُقدَّم إليهم، أو المذكرات الشخصية أو اليوميات. فينبغي على دارس التاريخ أن يتعلَّم الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يعنيه. ولا بدّ له من أن يعرف نوع المداد المستعمل في الكتابة وتركيبه، والأقلام التي كُتب بها، وأنواع الورق المستعمل وخصائصه، مثل العلامات المائية والألياف، التي تتّضح عند تعرّض الورق للضوء. (عث، بحث، ٢٨، ١١)

علم ويقين

- الاعتبارات الحاصلة له (المؤرّخ) عند إرادة تأريخ شيء من الأشياء، أولها اعتبار وجه الحضور والعيان، وثانيها اعتبار وجه العلم واليقين، وثالثها اعتبار وجه غلبة الظن، ورابعها اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح، وخامسها اعتبار وجه غير الوجوه الأربعة. أما لو حصل له الوجه الأول،

الذي هو أحسن الوجوه - قال الله - تعالى - حكاية عن الخليل صلوات الله عليه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، ومنه قول من قال: "من فقد حسًّا فقد فقد علمًا". وقد شاع هذا الخبر بين أولي الأثر والبيان، وليس الخبر كالعيان. ... و(إن) أراد المؤرّخ تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يعتني بتأريخه غاية الاعتناء، اغتنامًا بالفرصة بهذه النعمة العظيمة النفيسة، وابتهاجًا بهذه المرتبة الشريفة اللطيفة، فكيف لا وفيه مصالح ومنافع وعبر لأولي الألباب. ... وأما الوجه الثاني، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يؤرّخه على أحسن ما يكون، لما فيه من المصالح والتنشيط والعبر، إلى غير ذلك من سائر النصائح. وأما الوجه الثالث، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحبه فهو يؤرّخه - أيضًا - لما فيه من الاعتبار وسائر المصالح النافعة في أمر الدين. وأما الوجه الرابع، يؤرّخ صاحبه مع تنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ما لم يتحقّق فيه مرجّح لأحد جانبيه على الآخر، وأما إذا علم أو رجّح أحد جانبيه على الآخر فهو في حكم ما مرّ من الوجه الثاني والثالث. فإن قلت: فهل في تأريخ هذا الوجه إذا لم يترجّح أحد جانبيه على الآخر فائدة؟ قلت: نعم، فيه فائدة في الحكم والمصالح والعبر، إذا ظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد، وإن لم يترجّح الآن، وهي الإطلاع على ما فيه. ولذلك نرى العلماء ينقلون المذاهب المختلفة مع أدلّتها، يخالف بعضها بعضًا في كتبهم، والكتب مشحونة بذلك، يشهد به من يطالعها شهادة صدق وعيان. تنبيه: في تأريخ هذا الوجه يحصل له ولغيره تصوّر صاحبه بوجه من الوجوه، وإن لم يحصل له التصديق به وتصوّره بوجه من الوجوه نوع من العلم. ... وأنت تعلم أن السعي والاجتهاد إنما هو بحسب الطاقة والإمكان، وتعلم - أيضًا - أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك، وأن انتفاء التصديق المخصوص به لا يستلزم انتفاء تصديق به في الجملة، فضلًا عن انتفاء تصوّره. وأما الوجه الخامس، فينبغي أن لا يؤرّخه، بل يسكت عنه، لا يتكلّم فيه ببنت شفة، لا بالنفي ولا بالإثبات، ... وللاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت، ولئن ورّخه بيّن حاله، بأنه مجهول عنده، ويعترف بعجزه عنه، مع تفويض علمه به إلى جناب علام الغيوب، ستار العيوب، جلّ ثناؤه ولا إله غيره. (كاف، مخ، ٧٦، ١٧)

علماء

- القضاة والعلماء هم العالمون بالشريعة الواضحة التي جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشرّعها، والحجّة القاطعة التي دحض بها شبه المبطلين وقطعها، والطريقة المثلى التي بناؤها على قاعدة الوحي والتنزيل ووضعها، والحقيقة العليا التي أعلاها الله على جميع الشرائع والملل ورفعها، فهي سبيل تفضي بسالكيه إلى الصراط المستقيم، ودليل يهدي متّبعيه إلى الفوز العظيم، لها حُماة وحملة فحماتها

الملوك وحملتها العلماء. (شاه، زبد، ٩١، ١)

- العلماء فهم القائمون بحملها - الشريعة-، المعتنون بنقلها، الحاملون عبء ثقلها، ففي الحقيقة هم بأحكامها معتنون، يعدّونها ذخرًا ليوم لا ينفع مال ولا بنون، وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق بعض درجات، واختصّ من يشاء من لطفه بمزايا وصفات، فأقدارهم معتبرة بالصفات دون الذوات، ومراتبهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا من الثمرات، فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، أما الظالم لنفسه فهو الذي لا يعمل بعلمه، ولا يقف عند واجب الشرع وحتمه، فهو على الحقيقة تابع هواه، نائع هداه، فينبغي أن لا يفوّض له أمر دينيّ ليتولّاه، فإنّ من لم ينصح نفسه خليق به أن لا ينصح من سواه، وأما الآخران فجدير بهما أداء ما تحمّلاه، وحقيق لهما النهوض بأعباء ما تقلّداه، فإنّ الأعمال الدينيّة هي أبدًا مبتداء الاهتداء إلى طريق الحلال والحرام، والاقتفاء بما يعرض من الوقائع والأحكام، والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام، والاعتناء بأمور المستضعفين من الأيامَى والأيتام، وفضائل العلماء كثيرة لا تحصى، ومزاياهم عديدة لا يدرك أمرها ولا يُستقضى. (شاه، زبد، ٩١، ٩)

علوم خفية

- إبطال ابن خلدون لهذه "العلوم الخفيّة" ليس لأنها علامة على تدهور العلم، ولا لأن الدين ينهي عنها فحسب، وإنما لخطرها أيضًا على العمران، لا سيما وأنها تسعى إلى تغييره. صحيح أن العمران يتغيّر، بل أحيانًا تنقلب أوضاعه انقلابًا، ولكن ذلك يتمّ عادة وفقًا لقوانينه (طبائعه). فالتبدّل الطبيعي في العمران حتى وإن كان عنيفًا لا يخرج عن طبائع الأشياء، أما فرضه عن طريق الاعتقاد في ظهور المهدي أو بالثقة في النجوم فلا يؤدّي إلّا إلى فتن خطيرة وغير مجدية، وتشيع مثل هذه التكهّنات كلّما كانت الدولة آخذة في الانحطاط. (أوم، نهج، ١٨٥، ١)

علوم مساعدة

- من الضروري للمؤرّخ أن يكون واسع الثقافة، عارفًا بالعلوم المتّصلة بدراسة التاريخ وكتابته. ويمكن أن تسمّى العلوم اللازمة للمؤرّخ - أو لغيره من الدارسين والباحثين بالنسبة لموضوع كل منهم - بالعلوم المساعدة أو العلوم الموصِّلة. ويلاحظ أن العلوم المساعدة تختلف وتتفاوت - بالنسبة لدارس التاريخ - باختلاف العصر أو الناحية التي يرغب في دراستها والكتابة عنها. فالعلوم المساعدة اللازمة لدارس تاريخ اليونان القديم تختلف عن العلوم المساعدة الضرورية لدراسة تاريخ عصر النهضة أو تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى أو تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. (عث، بحث، ٢٣، ١٨)

- اللغات من أهم العلوم المساعدة التي ينبغي أن يتزوّد منها الباحث في التاريخ. فلا بدّ أولًا من معرفة اللغة الأصلية الخاصة بالموضوع التاريخي المراد بحثه والكتابة عنه، لأن الترجمات التي تكفي لتحصيل الثقافة العامة لا تفي حاجة المؤرّخ للتوفّر على تفهّم الناحية التي يريد أن يتناولها. والراغب في الكتابة عن ناحية من تاريخ اليونان القديم لا بدّ له من معرفة اليونانية القديمة، والراغب في الكتابة عن موضوع من تاريخ العصور الوسطى في أوروبا يلزمه أن يكون عارفًا بلاتينيتها، ومن يرغب في الكتابة عن ناحية من تاريخ عصر النهضة لا بدّ له من معرفة اللغة الإيطالية، وهكذا. (عث، بحث، ٢٤، ١)

- الفيلولوجيا - (philology) فقه اللغة - من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة فروع كثيرة من التاريخ. وكلما بَعُدَ العصر الذي هو موضوع الدرس ازدادت أهمية الفيلولوجيا، إذ لا بدّ لفهم النصوص التاريخية من معرفة لغة ذلك العصر التاريخي المعيَّن. وليست اللغة علامات جبرية أو أرقام حسابية تُستخدم كما في العلوم الطبيعية للدلالة على معانٍ وكميات محدّدة، ولكن اللغة كائن حيٌّ ينمو ويتغيَّر ويتطوّر تبعًا لظروف المكان والزمان، ولتغيُّر الإنسان واختلاط الثقافات. وفي بعض الأحيان قد يدلّ اللفظ اللغوي على معنى محدّد تمامًا، كما يمكن أن يدلّ اللفظ اللغوي على معانٍ نسبية أو متغيّرة أو متضادّة، وقد تدلّ كلمة واحدة على معان متفاوتة أو مختلفة باختلاف استخدامها عند كاتب بعينه. وتبدو هذه الظاهرة شديدة الأهمية في دراسة التاريخ - كما في غيره من الدراسات وعلى الأخص في الدراسات الأدبية. - (عث، بحث، ٢٥، ١١)

- من العلوم المساعدة في دراسة التاريخ علم الرنوك (heraldry) وهي الشُّعُر أو العلامات المميّزة التي تظهر على الأختام أو الدروع أو على ملابس النبلاء والجند أو على الأعلام. ولقد عرف القدماء هذه الرنوك أو العلامات المميّزة، وعرفها أهل العصور الوسطى. فعرفها الشرق الإسلامي - مثلًا - واستخدمها السلاجقة والأيوبيون والمماليك والعثمانيون، للدلالة على وظائف أرباب السيف. ومن هذه العلامات نجد الكأس والسيف والدواة والنسر والهلال والصليب وذيل الحصان وزهرة الزنبق. (عث، بحث، ٢٩، ١٣)

- علم النميّات أو النومات (numismatics) أي علم النقود والمسكوكات، من العلوم (المساعدة) الهامة في دراسة نواحٍ من التاريخ. فالعملة والأنواط بما تحمله منْ صور الآلهة وصور الملوك والأمراء وأسمائهم، وذكرى الحوادث التاريخية، وسنوات ضربها، تُقدّم للباحثين مادة تاريخية قيّمة بالنسبة للتاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب على السواء. فالعملة اليونانية - مثلًا - تكشف عن كثير من الحقائق في تاريخ الجماعات السياسية التي كانت ذات كيان خاص مكّنها من أن تسكّ هذه العملة. ولم يُعرف وجود بعض هذه الجماعات إلا عن طريق عملتها التي حفظها التاريخ من الضياع. وتساعد العملة - والمسكوكات بعامة - في دراسة تاريخ الأساطير والعبادات والفنون

والعلاقات السياسية، ونشاط التجارة أو فتورها. (عث، بحث، ٣٠، ٧)

- الجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ. والارتباط وثيق بين التاريخ والجغرافيا. فالأرض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ، وهي ذات أثر كبير في توجيه مصائر النوع الإنساني. فهي التي أطعمت الإنسان وأنشأته وعيّنت واجباته، وأوجدت المصاعب والعقبات الطبيعية التي تشحذ قريحته للتغلّب عليها وللتأثير بدوره في البيئة التي يعيش فيها والعمل على استغلالها. وللظواهر الجغرافية المختلفة أثر كبير - مع غيرها من المؤثّرات - في الإنسان وبالتالي في التاريخ، وذلك تبعًا لنوع تفاعله مع بيئته ومواجهته لظروفها. فالسهول، والجبال، والصحارى، والوديان، والأنهار، والبحار، والخلجان، والغابات، والجزر، والمناخ، والرياح، ونوع الثروة الطبيعية، والموقع الجغرافي، تؤثّر كلها في تكوين الإنسان، وتؤثّر في لغته ونبرة صوته، وفي لون بشرته وعينيه وشعره، وفي أساطيره وأديانه، وفي ملكاته العقلية، وفي فكره وفلسفته وصوفيته، وفي أدبه، وفي موسيقاه، وفي هندسته ومعماره، وفي علمه، وفي طبّه ودوائه، وفي رسمه وتصويره ونحته، وفي خُلُقه وسيكولوجيته، وفي مدنه وحقوله وقراه، وفي قوانينه وشرائعه، وفي حرفه ومهنه، وفي فقره وغناه، وفي حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي مذلّته وإبائه، وفي سير معاركه، وفي حربه وسلامه. فيعتقد بعض السكان في المناطق الباردة - مثلًا - أن الجحيم عبارة عن عالم يسوده الظلام الحالك والزمهرير والبرد القارس، ويعتقد بعض الساكنين في المناطق الدافئة أن الجحيم عالم تغلب عليه الحرارة والنيران المتأجّجة المستعرة أبدًا. ويرتبط - مثلًا - سير المعارك الحربية بالتضاريس الأرضية. فعلى المؤرّخ أن يعرف هل كان مركز أحد المتحاربين أفضل من مركز الآخر، وهل سيطر على منافذ بعض الجبال؟ أو هل كانت أرض المعركة أرضًا سهلة، وكان من الميسور التحرّك فيها، أم كانت منطقةً مليئة بالمستنقعات، أم احتوت على مخابئ وثنيات؟ وهل كان الجو في يوم أو في أيام المعركة صحوًا أم كان عاصفًا مطيرًا، أم كان حارًا قائظًا؟ ومما يوضح لنا أثر الجغرافيا في التاريخ ما نلاحظه من تدخّلها أحيانًا تدخّلًا حاسمًا في تغيير مجرى التاريخ. فمثلًا عاق البحر تقدّم تيمورلنك عن العبور إلى أوروبا بعد أن هزم بايزيد الأول في موقعة أنقرة في سنة ١٤٠٢م، وبذلك لم يتمكّن من القضاء على الدولة العثمانية الناشئة، فاستعادت مكانتها بعد قليل، وأدّت للشرق الأدنى دورها التاريخي في عصر تقدّمها وقوّتها. (عث، بحث، ٣٠، ٢٤)

- الإقتصاد من العلوم (المساعدة) الأساسية التي يساعد الإلمام بها على دراسة التاريخ، إذْ العوامل الإقتصادية ذات أثر

فعَّال في سير التاريخ. فالثروة الطبيعية في بلد ما تحدِّد نوع الإنتاج الزراعي والصناعي، ونوع التبادل التجاري ومدى نشاطه. وطريقة توزيع الثروة الطبيعية أو الأموال ومدى تركّزها في يد طبقة أو طبقات معيّنة، أو مستوى توزّعها بين فئات أكثر عددًا، يؤثر في السياسة الداخلية لدولة ما، ويؤثر في نظام الحكم بها، وفي مستوى الرخاء أو الفقر، وفي حياة الشعب، وفي علاقة طوائفه بعضها ببعض، ويؤثر في مستوى العمران ونهوض الحضارة أو تدهورها. وتؤثر الظروف الإقتصادية في علاقة الدولة بالعالم الخارجي، سواء أكان ذلك في الناحية الإقتصادية البحتة، أم في العلاقات السياسية، وكذلك تؤثر في مستوى قوّتها العسكرية ومركزها في المجتمع الدولي. ومن الأمثلة على أثر الظروف الإقتصادية في مجرى التاريخ، ما نلاحظه من أن العامل الإقتصادي كان من بين العوامل الهامة التي أدّت إلى اندفاع العرب عند ظهور الإسلام، من شبه الجزيرة، التي يغلب على أكثرها الطبيعية المجدبة، إلى سهول العراق الفسيحة وربوع الشام المورقة. ويرجع ثراء المماليك والبنادقة وقوّتهم في أثناء العصور الوسطى، إلى مرور التجارة العالمية بأراضيهم، وكان تحوّل طريق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح إيذانًا بتدهورهم جميعًا.
(عث، بحث، ٣٤، ٢٠)

– من المفيد أيضًا أن يلمّ الباحث في التاريخ بطائفة من العلوم المساعدة. فيلزمه أن يدرس شيئًا من المنطق الذي يفيده في بنائه التاريخي. وكذلك يفيده الإلمام بتقسيم العلوم في أن يفهم موضع التاريخ من سائر العلوم. كما ينبغي عليه أن يدرس أشياء من فلسفة التاريخ وآراء المفكّرين فيه مثل اشبنلجر، وبرجسون، وكروتشي، وكولنجوود. وهو في حاجة كذلك إلى أن يعرف أشياء من علم الآثار، ومن علم الأجناس، ومن علم الإجتماع، ومن علم النفس، ومن القانون، ومن النظريات السياسية، ومن علم الإحصاء، ومن الرياضة أو الفلك أو النبات أو الحيوان... إذا ما عرضت له نواحٍ من هذه المسائل. وإذا لم يكن له بها معرفة سابقة فيمكنه تحصيل القدر الذي يكفيه منها لفهم الموضوع التاريخي الذي يعالجه، حينما يصبح في حاجة إلى ذلك.
(عث، بحث، ٤٨، ١)

– العلوم المساعدة أو العلوم الموصلة، وهي بطبيعة الحال تختلف بالنسبة للدارس باختلاف العصر أو الموضوع الذي يريد أن يتناوله، فدارس التاريخ القديم مثلًا تختلف علومه المساعدة عن علوم دارس تاريخ العصور الوسطى، وهذا تختلف علومه المساعدة عن دارس التاريخ الإسلامي أو التاريخ الحديث. الواقع أن اللغات تأتي في مقدّمتها جميعًا، لأنه لا فكاك من ضرورة معرفة اللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخي، ومهما كان لدينا من ترجمات، فإنها قد تفي

باحتياجات من يستهدف الحصول على ثقافة عامة، لكنها لا تكفي أبدًا للمؤرّخ الذي يستهدف الفهم الكامل العميق للناحية التي يريد أن يتناولها، أعني أن الذي يريد أن يدرس ناحية من نواحي التاريخ المصري القديم، لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا تعلم اللغة الهيروغليفية، والذي يريد الكتابة في موضوع من موضوعات التاريخ الإغريقي، لا بدّ أن يعرف اللغة الإغريقية القديمة، والذي يريد أن يكتب في موضوع من موضوعات التاريخ الأوربي الوسيط، لا بدّ له من معرفة اللغة اللاتينية. (علف، فت، ١٣٣، ٢٠)

- من العلوم المساعدة الهامة للمؤرّخ علم "النوميات" أو علم النقود المسكوكة، فالعملة القديمة تحمل عادة صورًا للآلهة التي كان الناس يعبدونها، كما تحمل صور الملوك والأمراء وأسمائهم، وهذه كلها تمدّ الباحث بمادة تاريخية أصيلة عن العصور القديمة والعصور الوسطى على السواء، كما تعيننا على دراسة الأساطير والديانات والفنون والنشاط التجاري في الفترات التي ترجع إليها هذه المسكوكات. (علف، فت، ١٣٤، ٢٦)

علوم مساعدة أساسية

- علم قراءة الخطوط (paleography) من العلوم (المساعدة) الأساسية لدراسة نواح كثيرة من التاريخ، منذ أقدم العصور حتى أزمان متأخّرة. وتوجد أنواع مختلفة من الخطوط الشرقية تبقى كالطلاسم حتى يتعلّمها الباحث ويتدرّب على قراءتها. ودراسة هذه الخطوط تحفظ له الوقت وتُجنّبه الوقوع في كثير من الخطأ. وتتّضح أهمية هذه الدراسة في فروع عديدة مثل تاريخ مصر القديم، وتاريخ بلاد العرب قبل الإسلام، وتاريخ اليونان، وتاريخ الرومان، وتاريخ العصور الوسطى، والتاريخ الأوروبي الحديث حتى جزء من القرن السابع عشر، وتاريخ الشرق الأدنى حتى القرن التاسع عشر، وذلك بالنسبة للغات التي تتعلّق بهذه الموضوعات. (عث، بحث، ٢٥، ٢٤)

*

- نجد علم الوثائق أو علم الدبلومات (diplomatics) من العلوم (المساعدة) الأساسية لدراسة التاريخ. والوثائق في المعنى العام تدلّ على كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دُوِّن منها على الورق. ولكنها في المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ، هي الكتابات الرسمية - أو شبه الرسمية - مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة، أو عادات الشعوب أو نظمهم وتقاليدهم وما يصيبهم من قوة أو ضعف، أو المشروعات أو المقترحات المتنوّعة التي تصدر عن المسؤولين في الدولة أو التي تُقدَّم إليهم، أو المذكرات الشخصية أو اليوميات. فينبغي على دارس التاريخ أن يتعلّم الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يعنيه. ولا بدّ له من أن يعرف نوع المداد المستعمل في الكتابة وتركيبه، والأقلام التي كُتب بها، وأنواع الورق المستعمل وخصائصه،

مثل العلامات المائية والألياف، التي تتّضح عند تعرّض الورق للضوء. (عث، بحث، ٢٨، ١١)

علوم ملوك الإسلام

- علوم ملوك الإسلام فكانت علوم اللسان: كالنحو، واللغة، والشعر، والتواريخ، حتى إن اللحن كان عندهم من أفحش عيوب الملك، وكانت منزلة الإنسان تعلو عندهم بالحكاية الواحدة، وبالبيت الواحد من الشعر، بل باللفظة الواحدة من اللغة، وأما في الدول المغولية فرفضت تلك العلوم كلها، ونفقت فيها علوم أخر، وهي علم السياسة والحساب، لضبط المملكة، وحصر الدخل والخرج، والطب لحفظ الأبدان، والأمزجة والنجوم لاختيار الأوقات، وما عدا ذلك من العلوم والآداب فكاسد عندهم، وما رأيته نافقًا إلا بالموصل. (طق، فخر، ١١، ١١)

علوم موصلة

- لا بدّ للمؤرّخ العصري المدقّق من ولوج باب آخر كي يتمكّن من الوصول إلى الحقيقة. عليه أن يقلّب ما قمش وينعم النظر فيه ليرى إذا كان بإمكانه أن يدرك كنهه فيستعمله في تشييد ما يبني من صروح التأريخ، وإذا فعل سرعان ما يشعر بحاجته إلى ما نريد أن نسمّيه بالعربية العلوم الموصلة. والاستعارة في هذه التسمية من علم التفسير. فقد أجمع المفسّرون على وجوب التمكّن من العلوم الموصلة إلى علم التفسير قبل الشروع في فهم القرآن الكريم، وبيان معانيه، واستخراج حكمه وأحكامه. والعلوم الموصلة في عرف المفسرين إلى علم التفسير هي علم اللغة وعلم النحو وعلم التصريف وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وعلم القراآت وأسباب النزول وأحكام الناسخ والمنسوخ وأخبار أهل الكتاب وعلم أصول الفقه وعلم الجدل. وقد وجدنا باختبارنا عندما خطونا خطوة التقميش في تاريخ العرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر أن الأصول لهذه الحقبة من تاريخنا ترد في العربية والتركية والأفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية والبولونية والروسية وأهمها اللغات الخمس الأولى. فأسرعنا إلى التقاط ما ينقصنا منها. وكم كنا نودّ لو كان بإمكاننا أن نتعلّم الباقي منها كي لا تكون استنتاجاتنا موقوفة على مقدرة المترجمين من هذه اللغات ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ. فإنه ليس لنا ما لبعض زملائنا في تواريخ بعض الأزمنة مجموعات من التعريفات الفنية. ونحن وإن كنا لا ننكر فائدة قاموس محيط المحيط للعلامة بطرس البستاني فإننا لا نرى فيه جميع ما نطلبه من اللهجات العامية المحكية في عصره. وأما معجم المستشرق الهولاندي رينهاردت دوزي فإن معظمه مبني على آداب العربية في القرون الوسطى. ولذلك فإن فائدته ضيّقة النطاق محدودة الجدوى لمن يعنى مثلنا في تاريخ العرب في القرن التاسع عشر. (رس، مصط، ٥، ٥)

- من العلوم الموصلة، لا مفرَّ من الوقوف عليها، والاسترشاد بنظرياتها ونواميسها، كي نستعين بالماضي، على فهم الحاضر، وتدارك المستقبل. لا بدَّ للمؤرّخ العصري، من التبحّر في العلوم الاجتماعية والفلسفة، إذا ما اراد أن ينظر إلى باطن المجتمع الماضي، ليتوصّل إلى العوامل الأساسية، التي أثّرت في عقول السلف، ودفعتهم لإحداث ما حدث من وقائعهم، إن في الحرب أو في السلم. وقد أظهر علماء الاجتماع، كلّ في دائرة اختصاصه، أن كل حادث مضى، إنما هو مظهر لقوى شتّى، اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وغير ذلك، تضافرت في إبرازه إلى حيّز الوجود. ولذا كان محتّمًا، على المؤرّخ المدقّق، إذا ما أراد فهم حقيقة الماضي، أن يحيط علمًا بهذه القوى، وأن يطّلع على نتائج أبحاث العلماء، في جميع العلوم الاجتماعية. (رس، مصط، ٩، ٢)

- من الضروري للمؤرّخ أن يكون واسع الثقافة، عارفًا بالعلوم المتّصلة بدراسة التاريخ وكتابته. ويمكن أن تسمّى العلوم اللازمة للمؤرّخ - أو لغيره من الدارسين والباحثين بالنسبة لموضوع كل منهم - بالعلوم المساعدة أو العلوم الموصّلة. ويلاحظ أن العلوم المساعدة تختلف وتتفاوت - بالنسبة لدارس التاريخ - باختلاف العصر أو الناحية التي يرغب في دراستها والكتابة عنها. فالعلوم المساعدة اللازمة لدارس تاريخ اليونان القديم تختلف عن العلوم المساعدة الضرورية لدراسة تاريخ عصر النهضة أو تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى أو تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. (عث، بحث، ٢٣، ١٨)

- العلوم المساعدة أو العلوم الموصلة، وهي بطبيعة الحال تختلف بالنسبة للدارس باختلاف العصر أو الموضوع الذي يريد أن يتناوله، فدارس التاريخ القديم مثلًا تختلف علومه المساعدة عن علوم دارس تاريخ العصور الوسطى، وهذا تختلف علومه المساعدة عن دارس التاريخ الإسلامي أو التاريخ الحديث. الواقع أن اللغات تأتي في مقدّمتها جميعًا، لأنه لا فكاك من ضرورة معرفة اللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخي، ومهما كان لدينا من ترجمات، فإنها قد تفي باحتياجات من يستهدف الحصول على ثقافة عامة، لكنها لا تكفي أبدًا للمؤرّخ الذي يستهدف الفهم الكامل العميق للناحية التي يريد أن يتناولها، أعني أن الذي يريد أن يدرس ناحية من نواحي التاريخ المصري القديم، لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا تعلم اللغة الهيروغليفية، والذي يريد الكتابة في موضوع من موضوعات التاريخ الإغريقي، لا بدّ أن يعرف اللغة الإغريقية القديمة، والذي يريد أن يكتب في موضوع من موضوعات التاريخ الأوربي الوسيط، لا بدّ له من معرفة اللغة اللاتينية. (علف، فت، ١٣٣، ٢٠)

علّية

- العلّية المتضمّنة في حوادث تنفصل عن تلك التي تقوم بتعليلها فهي لا تختلف في مضمونها عن العلية المحايثة للحادثة أو المتضمّنة في ذاتها. فليس في التأريخ العربي حوادث تفسّر حوادث منفصلة عنها إلا إذا كانت هذه الأولى ترجع إلى حيّز ليس فيه من الواقعية العلية ومن الإيهام بالواقع شيء: فهذه العناصر العلّية تشتمل على العلاقات الدالّة على حدوث شيء، من أقوال ووعود ونبوءات ورؤى. فها هو ابن خلدون يُجمل تراثًا تأريخيًّا متواترًا بقوله إن "مبدأ دولة الشيعة" في بني العباس قول أهل البيت أن الخلافة تؤول لهم، ثم يردف تسببيًا حدثيًّا لانهيار بني أمية بتأريخ للدعوة العباسية. ونرى أبا الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم بدوره يبيّن لنا أن سبب كثرة كتب الفلسفة والعلوم القديمة في الملّة الإسلامية يرجع إلى حلم للمأمون تراءى له فيه أرسطو. (عظم، عرف، ٩٨، ١)

- العلِّية في الواقع علّية إسمية، تقوم على الاقتداء والاتباع، ولا تتّصل بالمحكات وباعتبار الضرورات والأسباب والموجبات. هي بهذا علّية اصطناعية، مفتعلة، تطلق نفسها إسمًا على مسمّى ليس منها، بل من باب تسجيل علاقة تتابع محض يكون الاطراد فيه أمرًا يرجع للخبر وليس للنظر، فتسجيل أوائل الأشياء ينطلق من حاضر ما هو موضع إثبات الأصل. ليس الأصل، الحدث الأول، شيئًا ذا معقولية بذاته، وهو لا يكتفي بأسبابه، بل هو موجّه، مقاليًّا، نحو نقطة الانطلاق المستقبلية والتي تأخذ من نقطة النهاية وموضع الوصول دالّة على وضع طبيعي للأشياء: فليس الماضي هو ما يتواصل مع الحاضر بكونه أصله وعلّته، بل أن الحاضر هو ما يجذّر نفسه في سجّل الماضي المستمرّ. فكون داوود أول من صنع الدروع، وكون طهمورث أول من اتّخذ زينة الملك من خيل وبغال وحمير، وكذلك الأمر كون إبراهيم أول من اختتن وامرؤ القيس الثاني أول من عذّب بالنار وعقلون ملك مؤاب أول من طبع السيوف ذوات الحدين والإسكندر ذا القرنين أول من صافح، وهاجر أول من ثقبت أذنيها واختتنت من النساء (إذ غارت منها سارة وأقسمت أن تقطع ثلاثة من أعضائها) - أن كون هذه الحوادث أوائل يعني أنها أفعال تأسيس، ولكنها ليست كذلك بما هي حوادث أول في سلسلة مستمرّة بل تؤسّس ذلك الحاصل في الحاضر في ختان وعذاب بالنار وسيوف ذوات حدّين وغيرها بما هي أوضاع طبيعية، فإن تسجيل الماضي هو أيضًا إدراج له في الحاضر، هو ليس إرجاعًا سببيًّا للحاضر إلى الماضي بل هو إلحاق للماضي بالحاضر من حيث هو تسجيل لحدث أهميته في طرافته المعبّر عنها بأوليته، وكأن الماضي حاضر مستمرّ. هو تسجيل أدبي محض، إذن، وعلاقة الأصل بما حدث بعده علاقة اتّفاق، إذ ليس من علاقة بينهما إلا

الاستنساخ والحدوث، وليس ثمّة تعيين - وبالتالي أهمية ودلالة على الرباط - لوقت اللاحق في علاقته بالأول، بل أن اللاحق يحدث في كل وقت، جاعلًا من العلاقة خالية من أي بعد زمني ما خلا السبق. (عظم، عرف، ٩٩، ١٥)

عمارة

- العمارة: ويراد بها أن لا يتكلّم أحد في المسجد الحرام بهجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته. (زي، مدن١، ٣٩، ١٨)

عمالقة

- من الأمم العربية التي تمدّنت قديمًا العمالقة، وقد تفرّعوا من الحمورابيين على ما نظنّ وهم مشهورون بشدّة البطش. ومنهم الملوك الرعاة الذين فتحوا مصر وتولّوها عدّة قرون، غير مستعمرات العرب في مشارف الشام والعراق ومن مدنهم بصرى في حوران للغساسنة، والحيرة في العراق للمناذرة. (زي، مدن١، ٢٩، ٤)

عمر الدولة

- عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحّشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدّهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون. والجيل الثاني تحوّل حالهم بالملك والترفّه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عزّ الاستطالة إلى ذلّ الاستكانة، فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتُؤنَس منهم المهانة والخضوع. ويبقى لهم الكثير من ذلك، بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية، فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية، وإن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول، أو على ظنّ من وجودها فيهم. وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العزّ والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفنّنوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالًا على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويُلَبِّسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النِّسوان على ظهورها. فإذا جاء المُطالب لهم لم يقاوموا مدافعته. فيحتاج صاحب الدولة حينئذٍ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي، ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء، حتى يتأذّن الله

بانقراضها، فتذهب الدولة بما حملت. (خلد، قدم، ٥٤٦، ٥)

عمران

- للعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار، وتُحمل عليها الروايات والآثار. (خلد، قدم، ٢٨٣، ١٥)
- حقيقة التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحّش والتأنّس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. (خلد، قدم، ٣٢٨، ٥)
- الإجتماع الإنساني ضروري. ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم: "الإنساني مدني بالطبع"؛ أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران. وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله. إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه. ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلًا، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ. وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتمّ إلا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوري. هب أنه يأكله حبًّا من غير علاج؛ فهو أيضًا يحتاج في تحصيله إلى أعمال أخرى أكثر من هذه، من الزراعة والحصاد والدِّراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل. ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير. ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد. فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم؛ فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف. وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضًا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه. (خلد، قدم، ٣٣٧، ٥)
- الإجتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلّم فيه، وأنه لا بدّ لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه. وحكمه فيهم: تارة يكون مستندًا إلى شرع منزّل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيماتهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلّغه؛ وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقّعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم. فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة، ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة؛ والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط. (خلد، قدم، ٧٧٣، ٤)

- القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملك اضطرّوا للاستيلاء على الأمصار لأمرين: أحدهما ما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحطّ الأثقال واستكمال ما كان ناقصًا من أمور العمران في البدو؛ والثاني دفع ما يُتوقَّع على الملك من أمر النازعين والمشاغبين، لأن المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سموا إليه من أيديهم، فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم، ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقّة؛ والمصر يقوم مقام العساكر المتعدّدة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ولا عظيم شوكة. لأن الشوكة والعصابة إنما احتيج إليهما في الحرب للثبات، لما يقع من بعد كرَّة القوم بعضهم على بعض عند الجولة، وثبات هؤلاء بالجدران، فلا يضطرّون إلى كبير عصابة ولا عدد. فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يَفُتُّ في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء، ويخضِد شوكة استيلائها. فإذا كانت بين أحيائهم أمصار انتظموها في استيلائهم، للأمن من مثل هذا الانخرام. وإن لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم أوّلًا وحط أثقالهم، وليكون ثانيًا شجًا في حلق من يروم العزّة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم. فتعيّن أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليها. (خلد، قدم، ٨٤٥، ١٥)

- الملك والدولة غاية للعصبية، وأن الحضارة غاية للبداوة، وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكوّنات عمرًا محسوسًا. وتبيّن في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموّها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنموّ برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضًا كذلك. لأنه غاية لا مزيد وراءها. وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلّق بعوائدها. والحضارة كما علمت هي التفنّن في الترف واستجادة أحواله. والكلف بالصنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيّئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل. وللتأنّق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنّق فيها. وإذا بلغ التأنّق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلوّن النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها: أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها؛ وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز

الكسب عن الوفاء بها. (خلد، قدم، ٨٨٨، ٤)

- الموجب لانقسام العمران إلى بدوي وحضري أن للتعاون به مقصدين: أحدهما: أن يتقرّر بحسب الضروري فقط - وهذا هو البدوي، ضرورة أن انتحال الفلح فيه يضطرّ إلى البدو، المتّسع المسارح للحيوان، والمزارع للغرس والزرع. وإذ ذاك فالسكن فيه والدفء إنما هو بقدر ما يحفظ الحياة خاصة. الثاني: أن يتجاوز إلى الحاجيّ والتكميليّ. وهذا هو الحضري، لأجل أن التوسّع بحصول ما فوق الحاجة يدعو إلى السكون والدعة. واختطاط المدن والأمصار. وعند ذلك يتزايد الرفه، فتجيء عوائد الترف ويتكسّب بالصنائع والتجارة. (أزر، بدع١، ٧٢، ٦)

- الحضارة - كما يرد بعد إن شاء الله! - هي النهاية في أكمل العمران الخارج به إلى الفساد، والغاية في الشر البعيد عن الخير. ومن سلم من ذلك فلا خفاء في قربه من الخير. قلت: ومع ذلك، فللحضري من الفضل على البدوي ما لا يخفى. وإنما هذا باعتبار ما يعرض من الشرّ. (أزر، بدع١، ٧٣، ١١)

- من الأمور الطبيعية في العمران إذا كثرت الأموال في الدول أن يسخو الملوك في بذلها، وخصوصًا في الدول المطلقة وعلى الأخصّ في الدولة العباسية، والخليفة مطلق التصرّف في بيت المال ودعاة الخلافة كثيرون لا يقعد فتنتهم غير استرضاء الأحزاب بالمال أو كسر شوكتهم بالحرب، والأول أسلم عاقبة وأقرب منالًا إذا توفّرت الأموال وقد رأيناها متوفّرة خصوصًا في عصر الرشيد والمأمون. فلا غرو إذا رأيناهما يبذلان الأموال في استكفاف الأذى عن الدولة، أو سدّ أفواه أهل الفتن. لكنهم تجاوزوا ذلك إلى صنوف البذخ وضروب التبذير والترف، فاقتنوا الجواري واتّخذوا الفرش من الخز والديباج والحرير والمسامير الفضة وابتنوا المتنزّهات والقصور والمدن واقتنوا الندماء وأنشأوا مجالس الغناء، وارتكبوا سائر ضروب الترف، والتأنّق في الطعام واللباس والرياش. وقد سهل عليهم ذلك لقرب عهد العراق وفارس من بذخ الفرس قبيل الفتح الإسلامي وأطلقوا أيدي نسائهم وأمهاتهم وخاصتهم في الأموال. (زي، مدن٢، ١٢٩، ١٥)

- إبطال ابن خلدون لهذه "العلوم الخفيّة" ليس لأنها علامة على تدهور العلم، ولا لأن الدين ينهي عنها فحسب، وإنما لخطرها أيضًا على العمران، لا سيما وأنها تسعى إلى تغييره. صحيح أن العمران يتغيّر، بل أحيانًا تنقلب أوضاعه انقلابًا، ولكن ذلك يتمّ عادة وفقًا لقوانينه (طبائعه). فالتبدّل الطبيعي في العمران حتى وإن كان عنيفًا لا يخرج عن طبائع الأشياء، أما فرضه عن طريق الاعتقاد في ظهور المهدي أو بالثقة في النجوم فلا يؤدّي إلّا إلى فتن خطيرة وغير مجدية، وتشيع مثل هذه التكهّنات كلّما كانت

الدولة آخذة في الانحطاط. (أوم، نهج، ١٨٥، ٣)

- "المجتمع الحضري"، والعمران بهذا المعنى، لا ينفصل حسب رأيه عن الدولة. فـ"الدولة دون العمران لا تتصوّر، والعمران دون الدولة والملك متعذّر". (أوم، نهج، ١٩٦، ٢١)

- العمران يناقض "القفر" (أي المكان الذي لا أثر فيه لحياة اجتماعية إنسانية)، صحيح أن الكاتب يستعمل كلمة "قفر" و"قفار" للتحدّث عن البدو، غير أن المجتمع الوحشي بالرغم من كونه طبيعيًا، ليس تام الإنسانية، لأنه يفتقر إلى عنصر السياسة مثلًا. فالعمران، بهذا المعنى - وهو المعنى الأساسي - هو موضوع الكتاب الأول من ديوان العبر، أي: المقدّمة، التي تحمل العنوان التالي: "الكتاب الأول في طبيعة العمران". حيث يدرس الكاتب مختلف أنواع المجتمعات الإنسانية "البدوية" و"الحضرية". (أوم، نهج، ١٩٧، ٤)

- التصوّر الخلدوني للعمران هو إسلامي محض ويقوم على مفهوم "الاستخلاف" القرآني، وهو مفهوم أساسي في الفكر الإسلامي، ومُحَدَّدٌ في جملة من الآيات وفي شروحها. تتحدّث تلك الآيات عن حياة البشر في هذا العالم فتقول إنهم لم يخلقوا بدون غاية وإنما في سبيل مهمّة محدّدة: أن يكونوا "خلائف" الله على الأرض. (أوم، نهج، ١٩٨، ٥)

عمران البادية

- عمران البادية ناقص عن الحواضر والأمصار؛ لأن الأمور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لأهل البدو؛ وإنما توجد لديهم في مواطنهم أمور الفلح، وموادها معدومة ومعظمها الصنائع، فلا توجد لديهم بالكلية، من نجار وخياط وحداد وأمثال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في المفلح وغيره. وكذا الدنانير والدراهم مفقودة لديهم؛ وإنما بأيديهم أعواضها من مُغِلِّ الزراعة وأعيان الحيوان أو فضلاته ألبانًا وأوبارًا وأشعارًا وإهابًا مما يحتاج إليه أهل الأمصار، فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم. إلا أن حاجتهم إلى الأمصار في الضروري وحاجة أهل الأمصار إليهم في الحاجيّ الكمالي. فهم محتاجون إلى الأمصار بطبيعة وجودهم. فما داموا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الأمصار فهم محتاجون إلى أهلها ويتصرّفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم إلى ذلك، وطالبوهم به. وإن كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك. ولم يكن في المصر ملك فلا بدّ فيه من رياسة ونوع استبداد من بعض أهله على الباقين وإلا انتقض عمرانه. وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه: إما طوعًا ببذل المال لهم، ثم يبذل لهم ما يحتاجون إليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم؛ وإما كرهًا إن تمت قدرته على

ذلك ولو بالتفريق بينهم، حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقين، فيُضْطَرّ الباقون إلى طاعته بما يتوقّعون لذلك من فساد عمرانهم. (خلد، قدم، ٥١٩، ٣)

عمران بشري

- العمران البشري لا بدّ له من سياسة ينتظم بها أمره، لما تقدّم أن الوازع فيه ضروري سواء كان يزع الخلق، بمقتضى السياسة الشرعية أو العقلية. وحينئذٍ، فرئاسته بذلك، إن لم تنته إلى الملك الحقيقي - لفقد شرطه - فلا أقلّ من تمكّنه من تمشية ما يسوس به من تحت رئاسته. وحينئذٍ يسمّى رئيسًا. (أزر، بدع١، ١١٦، ٩)
- فلسفة التأريخ، أو علم الاجتماع التأريخي، أو علم "العمران البشري" كما دعاه ابن خلدون. ذلك أن العلوم الاجتماعية تهدف أولًا إلى معرفة هذه القوانين، وتوجّه اهتمامها إلى فهم العلاقات الاجتماعية في الحاضر، وتطمح أحيانًا إلى التنبّؤ بما سيحدث في المستقبل. وإذا هي تناولت الماضي، فمن أجل الاستعانة بمادته فحسب، ولكي تضمّ هذه المادة إلى النتائج المحقّقة بالاختبار، في سبيل تكوين النظريات والقوانين التي تفسّر هذا الجانب أو ذاك من الحياة الاجتماعية الحاضرة أو التي تدلّ على اتجاهها المقبل. (زري، نحن، ٥٢، ١٩)

عمران العالم ضروري

- الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ضروري. ومن ثمّ قال الحكماء: "الإنسان مدنيّ بالطبع"، أي: لا بدّ له من الاجتماع الذي هو "المدنية" عندهم ليحفظ به وجوده وبقاء نوعه؛ إذ لا يمكنه انفراده بتحصيل أسباب معاشه وإعداد ما يدفع به عن نفسه، دون معين من أبناء جنسه، فيضطرّ إلى اجتماع يتكفّل له بذلك على أيسر مرام، لتتمّ حكمة إيجاده وغاية ما خلق له. (أزر، بدع١، ٧١، ٥)

عمل التاريخ

- إذا كان عمل التاريخ، حسب المفهوم القديم، تسجيل أخبار الأحداث والنّاس فقد كان دومًا وبالضرورة على صلة بأحداث السياسة وأخبار الرجال ولا شكّ أنّه تأثّر بها أكثر من تأثّر أي علم إسلامي آخر. (مص، رخ١، ٢٦٩، ٦)

عمل تاريخي

- نعني بالعمل التاريخي - أول ما نعني - العمل الذي له أثره البيّن في مجرى التاريخ. والواقع أن هذا المجرى يتكوّن من جميع الأعمال الإنسانية على اختلاف مداها وقدرها وخطرها. فسيرة الفرد هي خلاصة أعماله المتتابعة، وسيرة الجماعة أو الأمة نتيجة الجهود التي بذلها أعضاؤها: أفرادًا ومجتمعين، وسيرة الإنسانية عامة هي المجرى الذي تجتمع فيه هذه السير الفردية والجماعية والقومية. (زري، نحن، ١٨٥، ١١)
- متطلّبات العمل التاريخي المبدع صحّة

الإحساس بالحاضر وحدّة هذا الإحساس. (زري، نحن، ١٨٦، ٢١)

- سرّ العمل التاريخي ليس إذن في قوة الأثر ذاتها، بل في ما ينطوي عليه من إبداع. والإبداع ليس محصورًا بفئة من الناس دون سواهم. وإنما نجده حيث يكون ارتقاء كياني واكتساب حضاري، وبقدر ما يؤدّي إليه هذا الاكتساب والارتقاء من إشاعة معاني الكرامة الإنسانية ومؤهّلات الإبداع في أفراد المجتمع وتحقيقها فيهم وفي المجتمع عمومًا. أما الملاحظة الثانية التي نودّ إبداءها فهي أن العمل التاريخي المبدع ليس مقصورًا على الفرد، بل يكون أيضًا من نصيب الجماعة من الناس. (زري، نحن، ١٩٤، ١٧)

عمل المؤرّخ

- المرحلة الأولى من عمل المؤرّخ: تتناول تنظيم الوقائع وكشف تفاصيلها وتثبيت الحقائق المتّصلة بها وبظروفها. وهو عمل "وصفي" ولكنه في الوقت نفسه عمل علمي دقيق، وعن هذا العمل بالذات تتكلّم سلسلة المؤرّخين العلميين الممتدّة ما بين رانكه إلى سينيبوس. ولكن المؤرّخ إذا اكتفى بهذه المرحلة فإنه لا يعدو أن يكون آلة تسجيل كرونولوجي. وفي أحسن الأحوال مصوّرًا فوتوغرافيًّا سكونيا للمادة الهامدة. ولا قيمة للتاريخ الذي يعطيه مثل هذا العمل إلا من حيث كونه مادة أولية للمرحلة التالية. المرحلة الثانية: وعملها تحليل الوقائع وتعليلها وبيان ترابطها السببي. وهذا العمل فكري تجريدي، ولكنه في الوقت نفسه ليس بعلمي تمامًا، لأنه وإن أشبه العلم في البحث عن السببية، إلا أنه يعتمد على الاجتهاد الشخصي والأحكام الذاتية والتخمين، لأن الإحاطة بالأسباب تفوق الطوق. والمرحلة الأولى رغم علميتها المتمثّلة في دقّة الإرتباط بالواقع ليست بعمل علمي كامل لأن أساس العلم كشف السببية، وإقامة التسلسل الزمني لا يكفي لمعرفة السببية، أما الثانية فإن السببية التي تنكشف فيها لا تعدو أن تكون "فرضيات" وقفزات في المجهول لا تخضع لأي برهان حاسم سوى المنطق والإمكان. ونستطيع القول إن الوظيفة العلمية الحقيقية في التاريخ تبدأ حيث تنتهي الوظيفة الوصفية، وهذا يعني أنها تبدأ حيث تنتهي التسلسلات الزمنية والوصف في المرحلة الأولى ويأتي التفسير والتعليل في الثانية. (علف، فت، ١٩٠، ٢٢)

عهد

- العهد كتاب يكتبه الخليفة أو من يكتب له، ويختمه بخاتمه وخواتم أهل بيته، ويدفعه إلى ولي العهد أو من يتولّى أمره فيحفظه إلى حين الحاجة. وقد يحفظه في مكان أمين في خزانة أو مسجد أو في الكعبة، كما فعل الرشيد بالكتابين اللذين كتبهما لأولاده بولاية العهد، أحدهما للأمين والآخر للمأمون وبعد هذا للقاسم. (زي، مدن١، ١٣٥، ١٠)

عوائد

- السبب الشائع في تبدّل الأحوال والعوائد، أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه، كما يقال في الأمثال الحكميّة: "الناس على دين الملك". وأهل الملك والسلطان إذ استولوا على الدولة والأمر فلا بدّ وأن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك. فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول. فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضًا بعض الشيء؛ وكانت للأولى أشدً مخالفة. ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة. فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان، لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة. (خلد، قدم، ٣٢١، ١٠)

- العوائد منزلة طبيعية أخرى؛ فإن من أدرك مثلًا أباه وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج، ويتحلّون بالذهب في السلاح والمراكب، ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات، فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس؛ إذ العوائد حينئذٍ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه. ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة، وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه. (خلد، قدم، ٧٥٤، ١٦)

عواصم

- الثغور والعواصم ويراد بها حدود المملكة الإسلامية برًّا وبحرًا، فقد رأيت فيما تقدّم أن العرب لما جاءوا لفتح الشام إنما بدأوا ببرها من جهة حوران ممّا يلي الصحراء، لأن قوات الروم كان معظمها في مدن السواحل، فجعلوا فتوحهم تمتدّ من البر نحو البحر، ومن العرب وأهل البلاد الأصليين إلى الروم. فبعد أن فتحوا دمشق ساروا نحو السواحل، وفي مقدّمتهم يزيد بن أبي سفيان وأخوه معاوية، وكان ذلك في أيام أبي عبيدة عامر بن الجراح على دمشق. جاءوا بيروت وصيدا وجبيل ففتحوها فتحًا يسيرًا، ثم عاد الروم بعدئذٍ فاسترجعوها لأن قواتهم في البحر كانت كبيرة. وما زالت في أيدي الروم حتى تولّى الخليفة عثمان، ومعاوية عامله على الشام، ففتحوا طرابلس وغيرها. وكانت لمعاوية رغبة في غزو البحر، وعثمان يخافه كما كان عمر يخافه من قبل، وما زال معاوية يلحّ على عثمان حتى أذن له، فسلمت ثغور الشام عندئذٍ للمسلمين، فجعل الناس ينتقلون إليها من كل ناحية، فعمرت بهم. وكانت ثغور الشام في أيام الخلفاء الراشدين إنطاكية، وغيرها من السواحل التي سمّاها الرشيد عواصم، فكان المسلمون يغزون ما وراءها. وكان للروم بقية في بعض المسالح بين الإسكندرونة وطرسوس، فلما تولّى بنو أمية أتمّوا فتحها، وزادت عمرانًا في أيام بني العباس، وجعلوا فيها الحامية

والسلاح لدفع غارات الروم، لأنهم كانوا لا ينفكّون عن مناوأة العرب. فبنى العرب حصونًا هناك، ورمّموا الحصون التي كان الروم قد بنوها، وجعلوا لأهلها عطاء كبيرًا وأمروهم بالغزو. وفعلوا نحو ذلك في حدود المملكة الإسلامية من جهة البر، فاتّخذوا مدنًا حصينة جعلوها ثغورًا يقيمون فيها الجند والسلاح في قلاع لدفع العدو أو لغزو بلاده. وبناءً على ذلك فإن تخوم المملكة الإسلامية بعضها من جهة البر، والبعض الآخر يتّصل إليه بالبرّ والبحر معًا. والحدود البحرية هي على الإطلاق ثغور الشام ومصر. (زي، مدن١، ٢١٠، ٢٣)

عود إلى التاريخ

- إن هذا العود إلى التاريخ طبيعي في كل آن ومكان، ولكنه يشتدّ بصفة خاصة في عهود النهضات القومية عندما تهب الشعوب لتنشد الوحدة والقوة فتجد أن من أهم هذه الأمجاد والتقاليد، ويعيدها إليها قادتها وموجهوها، لتتقوّى بها ولتفيد منها، العضد المعنوي والروحي في نهضتها المتوثّبة وفي سعيها لبناء حياتها القومية الجديدة. (زري، نحن، ١٧، ١٢)

غ

غائية

- نستطيع أن نفهم حركة التوجُّه من البادية نحو المدينة على نحو ما شرح ذلك ابن خلدون. إلا أن الشرح الذي يسوقه لهذه الحركة ليس مبنيًّا على تناقض تاريخي ... بل هو قائم على أسباب ذات طبيعة ميتافيزيقية. بعبارة أخرى، فإن هذه الحركة التي لم يدركها ابن خلدون إدراكًا كافيًا من حيث مصطلحات التاريخ، قد تحوَّل إدراكها عنده، في نهاية الأمر، إلى إدراك فلسفي. ومن ثم، فإن الفلسفة تقدّم لصاحب المقدّمة أحد مفاهيمه الأساسية، وهو مفهوم الغائية حتى يتسنّى له صياغة هذه الحركة الواقعية في تاريخ المغرب. إن ابن خلدون يستعير مبدأ الغائية الأرسطي، ليعبّر عن ميل البدو "الطبيعي" إلى حياة الحضر؛ فما دام كل كائن يسعى إلى غاية، فإننا نجد "التمدّن غاية للبدوي". (أوم، نهج، ١٥١، ٢)

غابر

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإن حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ٢٠)

غاية التاريخ

- غاية التأريخ هي إدراك الماضي كما كان، لا كما نتوهّم أنه كان. وكذلك ليس هو تصوير الماضي كما يجب أن يكون، أو كما نريده أن يكون. فثمّة فئات من المفكّرين، في خلال العصور المتتابعة إلى يومنا هذا، قد آمنوا بفلسفة من الفلسفات أو عقيدة من العقائد يفسّرون بها طبيعة الكون والحياة والإنسان ونشوءها وتطوّرها، فإذا نظروا إلى الماضي اختطوا له خطته وحصروه في مجرى عقيدتهم، وضاقوا بكل ما ينفلت من هذا التحديد، وفرضوا عليه الانصياع والانسياق. لقد ظهر هذا الاتجاه في فلسفات وعقائد تختلف أو تتناقض في تعليلها للكون وللإنسان، ولكنها تتشابه في فرض تعليلها الخاص على أحداث الماضي. وليس يعنينا هنا جوهر أي منها - إلهيًّا كان أو مثاليًّا أو ماديًّا أو غير ذلك - وإنما الذي يعنينا هو هذا الاتجاه "الفرضي" الذي نجده عندها جميعًا والذي نعتبره إخلالًا

بالتأريخ وصرفًا له عن غايته الأصلية. (زري، نحن، ٥٧، ٩)

- غاية التاريخ وهدفه أن يشرح لنا الإنسان. وهكذا يتّضح لك أن الحوادث - بارزها وما خفي منها في الأعماق - ليس لها في حدّ ذاتها، من حيث هي حوادث مجرّدة كبير قيمة ما لم تتفاعل مع الفكْر الإنساني. ذلك إنما تصبح الحوادث ذات قيمة عندما ينطقها المؤرّخ بعد خرس باستفساره إيّاها وإلحاحه في سؤالها عن قدر مسؤوليتها ومدى تأثيرها في تغيير وضع الإنسان وتوجيه مصيره. فالتاريخ إذن غايته وضالّته أن يُفْهَم، أن يربط العلل بالمعللات والأسباب بالمسبّبات، وأن يجعل من كامل الواقع المتشعّب والمترامي الأطراف شيئًا له نظامه وانسجامه اضطرارًا وإلزامًا بحكم التسلسل والتولُّد المنطقي. التاريخ بناء منطقي لعالم الإنسان. وإذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغي - كي يكون البناء متين الأسس وفي مأمن من مزالق الخيال - أن لا يهمل المؤرّخ أي مظهر من مظاهر الواقع، إذ هذا الإغفال قد يؤدّي إلى عدم الفهم، أو إلى شرٍّ من ذلك، إلى سوء الفهم وإشادة قصور من ورق سرعان ما تنهار وتسلّم أصحابها إلى أوخم العواقب. (علف، فت، ١٤، ٢٨)

غزوة

- تطلق الغزوة على الجيش الذي قاده الرسول بنفسه لمقابلة عدو، سواء حصل قتال أو لم يحصل، أما السريَّة فتطلق على الجيش الذي وكّل الرسول عنه نائبًا لرياسته. وهذا اصطلاح غالب، فقد تطلق كلمة "غزوة" على ما هو في الحقيقة سرية، كغزوة مؤتة. (شل، سلم، ٢٩٤، ٢)

غضب للملك

- الغضب للملك والسعي في تمهيده، وهي حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها. (أزر، بدع١، ١٦٩، ٥)

غلب

- الدولة إنما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب، والغلب إنما يكون بعد العداوة والحروب، والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر إحداهما عن الأخرى في العوائد والأحوال، وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمنافي الآخر، فتكون أحوال الدولة السابقة منكرة عند أهل الدولة الجديدة ومستبشعة وقبيحة، وخصوصًا أحوال الترف، فتفقد في عرفهم بنكير الدولة لها، حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد أخرى من الترف، فتكون عنها حضارة مستأنفة. وفيما بين ذلك قصور الحضارة الأولى ونقصها. وهو معنى اختلال العمران في المصر. (خلد، قدم، ٨٩٤، ١)

- الرئاسة لا تكون إلّا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية. فلا بدَّ في الرئاسة على القوم (من) أن تكون من عصبية غالبة لعصبيّاتهم واحدة واحدة، لأنّ كلَّ عصبية

(صغيرة، فرعية) إذا أحسّت بغلب عصبية الرئيس لهم أقرّوا بالإذعان والاتّباع. (فر، علل، ٤٤، ٧)

غلبة الظن

- الاعتبارات الحاصلة له (المؤرّخ) عند إرادة تأريخ شيء من الأشياء، أولها اعتبار وجه الحضور والعيان، وثانيها اعتبار وجه العلم واليقين، وثالثها اعتبار وجه غلبة الظن، ورابعها اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح، وخامسها اعتبار وجه غير الوجوه الأربعة. أما لو حصل له الوجه الأول، الذي هو أحسن الوجوه - قال الله - تعالى - حكاية عن الخليل صلوات الله عليه: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، ومنه قول من قال: "من فقد حسًّا فقد فقد علمًا". وقد شاع هذا الخبر بين أولي الأثر والبيان، وليس الخبر كالعيان. ... و(إن) أراد المؤرّخ تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يعتني بتأريخه غاية الاعتناء، اغتنامًا بالفرصة بهذه النعمة العظيمة النفيسة، وابتهاجًا بهذه المرتبة الشريفة اللطيفة، فكيف لا وفيه مصالح ومنافع وعبر لأولي الألباب. ... وأما الوجه الثاني، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يؤرّخه على أحسن ما يكون، لما فيه من المصالح والتنشيط والعبر، إلى غير ذلك من سائر النصائح. وأما الوجه الثالث، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحبه فهو يؤرّخه - أيضًا - لما فيه من الاعتبار وسائر المصالح النافعة في أمر الدين. وأما الوجه الرابع، يؤرّخ صاحبه مع تنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ما لم يتحقّق فيه مرجّح لأحد جانبيه على الآخر، وأما إذا علم أو رجّح أحد جانبيه على الآخر فهو في حكم ما مرّ من الوجه الثاني والثالث. فإن قلت: فهل في تأريخ هذا الوجه إذا لم يترجّح أحد جانبيه على الآخر فائدة؟ قلت: نعم، فيه فائدة في الحكم والمصالح والعبر، إذا ظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد، وإن لم يترجّح الآن، وهي الإطلاع على ما فيه. ولذلك نرى العلماء ينقلون المذاهب المختلفة مع أدلّتها، يخالف بعضها بعضًا في كتبهم، والكتب مشحونة بذلك، يشهد به من يطالعها شهادة صدق وعيان. تنبيه: في تأريخ هذا الوجه يحصل له ولغيره تصوّر صاحبه بوجه من الوجوه، وإن لم يحصل له التصديق به وتصوّره بوجه من الوجوه نوع من العلم. ... وأنت تعلم أن السعي والاجتهاد إنما هو بحسب الطاقة والإمكان، وتعلم - أيضًا - أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك، وأن انتفاء التصديق المخصوص به لا يستلزم انتفاء تصديق به في الجملة، فضلًا عن انتفاء تصوّره. وأما الوجه الخامس، فينبغي أن لا يؤرّخه، بل يسكت عنه، لا يتكلّم فيه ببنت شفة، لا بالنفي ولا بالإثبات، ... وللاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت، ولئن ورّخه بيّن حاله، بأنه مجهول عنده، ويعترف بعجزه عنه، مع تفويض علمه به إلى جناب علام الغيوب، ستار العيوب، جلّ ثناؤه ولا إله غيره. (كاف، مخ، ٧٦، ١٧)

غلط خفي في التاريخ

- الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدّل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدّل الأعصار ومرور الأيام، وهو دواء دويٌّ شديد الخفاء، إذ لا يقع إلّا بعد أحقاب متطاولة، فلا يكاد يتفطّن له إلا الآحاد من أهل الخليقة. وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقرّ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول: سنة الله التي قد خلت في عباده. وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو إسرائيل والقبط، وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركتهم مع أبناء جنسهم. وأحوال اعتمارهم للعالم، تشهد بها آثارهم. ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب، فتبدّلت تلك الأحوال وانقلبت بها العوائد إلى ما يجانسها أو يشابهها، وإلى ما يباينها أو يباعدها. ثم جاء الإسلام بدولة مضر، فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلابة أخرى، وصارت إلى ما أكثره متعارف لهذا العهد، يأخذه الخلف عن السلف. ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهبت الأسلاف الذين شيّدوا عزّهم، ومهدوا ملكهم، وصار الأمر في أيدي سواهم، من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال؛ فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نُسي شأنها وأُغْفِل أمرها. (خلد، قدم، ٣٢٠، ١٥)

غنيمة

- الغنيمة ما يكسبه المسلمون بالقتال، وتشتمل على أربعة أقسام: أسرى وسبي وأرضين وأموال. فالأسرى هم الرجال المقاتلون الذين يقعون في الأسر، ولهم في الشريعة الإسلامية شروط وأحكام اختلف الأئمة في تحديدها مما لا محل له هنا، وفي جملتها قبول الفدية وهي مال يفتدى به الأسير. فالمال المأخوذ على هذه الصورة يضاف إلى باقي الغنيمة، وأما السبي فهم النساء والأطفال الذين يقعون في أيدي المسلمين، فلا يجوز قتلهم وإنما هم يفرّقون في جملة الغنائم ويجوز قبول الفدية عنهم. والأرض التي تؤخذ في الحرب إما أن تكون قد فتحت عنوة فأصبحت ملكًا للمسلمين على أنها فيء، أو أن تدخل في حكم المسلمين صلحًا على شروط فهي من قبيل الفيء. وباختلاف هذه الأحوال وما يشترك بينها اختلفت أنواع الضرائب عليها كالخراج والعشور ونحوهما. (زي، مدن١، ٢٢٤، ٢٣)

غيرة ومنافسة

- الغيرة والمنافسة، وأكثر ما تجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة. (أزر، بدع١، ١٦٨، ١٥)

ف

فائدة التاريخ

- فائدة التاريخ تنحصر في أن قراءته لذيذة، وأنه مسلاةٌ يُتسلَّى بها. (شل، سلم، ٣٢، ٥)

- يقول ابن الأثير موضحًا فائدة التاريخ للفرد: إن ما يحصل للإنسان من التجارب، والمعرفة بالحوادث وما يصير إليه من عواقبها يجعله لا يحدث له أمر إلا وقد مرَّ به هو أو نظيره، فيزداد عقلًا، ويصبح لأن يقتدى به أهلًا. (شل، سلم، ٣٤، ١٤)

- فائدة التاريخ للدول والمجتمعات: إن من إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما في وقائع التاريخ من سيرة أهل الجور والعدوان، ورأوها مدوَّنة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف... وما ترتّب عليها من فساد وخرائب وهلاك... استقبحوها وأعرضوا عنها، وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما فيها من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأن بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالهم درئت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه... هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء وخلصوا بها من المهالك. (شل، سلم، ٣٤، ١٨)

فائدة في التاريخ

- الفائدة في التاريخ الإسلامي مع قربه من الصحة، ذكره لعلماء هذه الأمة المحمدية وذكر محاسنهم وعلومهم ومواعظهم، وحكمهم وسيرهم التي يستدلّ العامل بها في أموره، ويتدبّرها، ويتفكّر فيها، فينتفع بما قالوه وعانوه، وما ينقل عنهم من المحاسن دنيا وأخرى. (حس، عر، ١٣، ٨)

فاعلية نقدية

- الفاعلية النقدية التي تطال اللامطابقة الناتجة عن بعد الزمان وفساد الأخبار التي تتناول القرون الماضية والأمم والدول البالية، أو تلك الناتجة عن التخيّل ومحبة الغريب، ... هذه الفاعلية النقدية ليست فعلًا فاعلية "طبيعية" تقيس الخبر على الواقع المفترض أو بالأحرى الواقع الواجب بموجب الواقعية والحسّ السليم - بل هي تتناول النقل. فليس ثمّة أصل "طبيعي"، ليس ثمّة جوهر تتناوله هذه الفاعلية وتستند إليه في عرضها الأخبار على أصولها. إن ما لدينا هو نقد للنقد، وبالتالي إعلان بعدم الثقة بأخبار اعترت مسيرة نقلها شوائب شوّهت منها وحرّفتها عن مواضعها الأصيلة - هذا ما يحدث في النقل عن القدماء البائدين، وهذا عين ما يجري في إطار التحريف. فليس ثمّة

اختلاف كامل، بل تحريف لخبر كان أساسه صحيحًا، أي مطابقًا للعين المخبر عنه. (عظم، عرف، ٣٧، ٧)

فتح بلد

- إنتقال الملك من مؤسسه إلى غير من هو من صلبه يعلّل لذلك بقوله - ابن الأثير - : "والذي أظنّه السبب في ذلك أن الذي يكون أوّل دولة يكبر ويأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلّقة به، فلهذا يحرمه الله أعقابه". فهذا التعليل غير قويّ، وإنّما هو يرتكز على الظن لا على أساس متين. ومن خصائصه أنّه كان يضبط في آخر كلّ سنة أو فصل الأسماء بالحركات ويقيّدها إزالة لكلّ لبس؛ كما أنّه كان إذا ذكر فتح بلد أو ناحية شرح اسم البلد ولم سمي به، وممّ اشتقّ هذا الاسم (مقدمة). (أث، كمل، ١٤، ١٦)

فترات تاريخية

- يؤكّد ابن خلدون أن الفترات التاريخية التي تصبح فيها الدعوة الدينية قوة محرّكة فعّالة لا تكون كذلك إلا بشرط واحد، وهو أن تتبناها عصبية. ولا يصدق هذا المبدأ بالطبع إلا حيث توجد بنية قبلية أي في مستوى مجال التاريخ الخلدوني، وقد استطاع ابن خلدون أن يعثر بسهولة، سواء في تاريخ العرب أو تاريخ البربر، على أمثلة تؤيّد هذا التفسير. (أوم، نهج، ١٧٣، ١٥)

فداء

- الفداء وأول من افتدى أسرى المسلمين بالمال هرون الرشيد العباسي سنة ١٨٩ هـ، وكان الفداء قبله يقع بالمبادلة: النفر بالنفر. وأشهر الأفدية ١٣ ، وكلها في أيام بني العباس، آخرها جرى في أيام المطيع لله سنة ٣٣٥ هـ. وبلغ عدد الذين افتداهم الخلفاء في هذه المدّة نحو ٥٠ ألف نفس. وكان الفداء يقع غالبًا على ضفتي نهر اللامس من سواحل بحر الروم قريبًا من طرسوس، ويحضر الفداء جمهور من المسلمين والروم فيقضون في الافتداء بضعة عشر يومًا إلى بضع عشرات. (زي، مدن١، ٢١٦، ١)

فردوس

- نصب ربنا الفردوس في عدن، وبها نهر يسقى الفردوس فانقسم على أربعة رؤوس فجيحون وهو محيط بأرض خويلًا كلها وثم يكون أجود الذهب وحجارة البلور والفيروزج. واسم النهر الثاني سيحون وهو محيط بأرض كوش والحبش. واسم النهر الثالث دجلة وهو الذي يذهب قبل أثور. والنهر الرابع الفرات ونصب شجرة الحياة وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر. (قتي، خبط، ٧، ٩)

فرس

- الفرس فإنّهم يُسمُّون الإنسان الأوّل كيومرث ولقبه كرشاه أي ملك الجبل وقيل كل شاه أي ملك الطِّين إذ لم يكن حينئذٍ

أحد وقيل إنّ تفسير اسمه حيٌّ ناطق ميِّت، وتاريخهم فيما بينهم ينقسم من لدنه أثلاثًا: فالقسم الأوّل منه إلى قتل الإسكندر دارا وتسلُّطه على ممالك الفرس ونقله خزائن حكمتهم إلى بلاده. والثاني من ذلك الوقت إلى ظهور أردشير بن بابك ورجوع الملك إلى قراره. والثالث من حينئذٍ إلى مقتل يزدجرد بن شهريار وزوال ملك آل ساسان وظهور الإسلام. (بير، بقي، ٩٩، ١)

فرسخ

- صفة الأرض إنها مدوَّرة كتدوير الكُرَة موضوعة في جوف الفلك كالمُحَّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض إن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخِفَّة والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد، والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خط في كرة الأرض، كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بناتُ نَعْش، فاستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون أصبعًا والأصبع ستُّ حبَّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ، وبين خطّ الاستواء وبين كلّ واحد من القطبين تسعون درجة أُصطرلابيّة واستدارتها عرضًا مثل ذلك إلّا أن العمارة في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير، فنحن على الرُّبْع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلُّ ربع من الشماليّ والجنوبيّ سبعة أقاليم. وذكر بطلميوس في كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومائتي مدينة. (خرد، مسلك، ٤، ١٥)

فرضية في التاريخ

- الفرضية وامتحان الفرضية في التاريخ: العالِم - فيما يقولون - يبدأ بحثه العلمي بفرضية Hypothèse يضعها موضع البحث والتجربة والاستقراء والاستنتاج والتحليل.. الخ حتى إذا صمدت لكل أولئك تحوّلت إلى نظرية علمية Théorie أو مبدأ Principe أو قانون أو صيغة رياضية ثابتة الحدود. هذه القفزة في المجهول لاكتشاف المجهول بالاستناد إلى المعلوم تقوم هي نفسها في أساس العمل التاريخي التركيبي أيضًا. إن دور الفرضية في التاريخ ليس بمختلف من حيث المبدأ عن دورها في العلم، ولكن الخطوات التالية هي المختلفة لأن "مادة" التاريخ هي التي تتأبّى على الوسائل العلمية "البدائية" للعلوم.. أ- ففي العلم يتحدّثون

بصورة أساسية عن المشاهدة و"التجربة" وهما مستبعدتان كطريقة في البحث التاريخي لا لشيء إلا لأنهما مستحيلتان. . فميدان العلم هو ما يمكن أن يحدث في المستقبل وأما التاريخ فله ما حدث وانتهى. الوقائع التي عرفها الماضي من المستحيل توفير كافّة الشروط اللازمة لإعادة حدوثها كرة أخرى. حتى ولو توفّرت الشروط فإن "ما يحدث في الزمن ز + ١ ليس أبدًا هو ما كان حدث في الزمن ز "لا لأن الزمن اختلف فقط، ولكن لأن الإنسان في الزمن الثاني اختلف، ولأنه تعلم من التجربة في الزمن ز وتأثّر بها أيضًا. . إن الحادث التاريخي كعود الكبريت أو بعض مصابيح التصوير لا يتّقد إلا مرة واحدة. . تجدّد وتفرّد الحادث التاريخي (وهو ما يسمّى أحيانًا بجزئيته) هما بعض ميزاته الكبرى وبعض مصائبه أيضًا. والواقعية التاريخية لا تقع أبدًا تحت المشاهدة الدقيقة الشاملة والكاملة للمراقب العلمي. ليست معطاة لنا كما في الواقعية الطبيعية خارج الذات ولكنها تتنامى وتتكامل في الواقع داخل الفكر، وإذا كان الأساس في الحادث الطبيعي هو "الكم" وإمكان القياس فليس في التاريخ من كمية. ووقائعه تتأبّى على أي قياس. . والتاريخ بالضرورة إنما يصاغ على أساس النصوص لا أساس التجارب. يضاف إلى هذا وذاك إننا نستطيع في الغالب عزل عنصر عن آخر في العلوم ومعاملة تركيب كيماوي أو حتى بيولوجي على حدة لدراسة تفاعله وردود فعله وليس ذلك ممكنًا في التاريخ لأن نسيج الأحداث متماسك بعضه مع بعض، متحوّل دومًا من لحظة إلى لحظة، كالنول الأبدي الضخم. وانتزاع الحدث التاريخي لعزله ودراسته عمل نظري أولًا غير قابل للتحقيق بالإضافة إلى أنه عند تحقيقه يكون، عمليًا، قد ألغى تاريخية الحدث وحوّله إلى مجرّد قشور. ويتفرّع عن هذا إلغاء طريقة من طرق العلم في التاريخ، هي الكشف بالمقارنة، إن المؤرّخ لا يستطيع تفسير حادث تاريخي بآخر، ولا تحليل واقعة أو موقف بالرجوع إلى وقائع ومواقف من النوع نفسه. القياس المنطقي عملية شبه معطّلة في التاريخ الماثل بين يديه. لقد يستطيع أن يشير إلى التشابه. ولقد يجرؤ فيبحث عن بعض التماثل ولكنه محكوم حتمًا بأن يقف فلا يصل إلى التطابق الذي يصل إليه - لو شاء - كل عالم طبيعي. لو فعل إذن ألغى عامل الزمن في الحادث التاريخي وتجاوز على خصوصيته وعلى فرديته التي تجعله حادثًا من التاريخ. التجربة المستحيلة: أي عدم التكرّر. التفرّد. غياب الكم والقياس. عدم إمكان العزل. عدم إمكان المقارنة. هي إذن التحدّيات التي تواجه المؤرّخ لأنها - وهي ممكنة دومًا في ميدان العلم الطبيعي - تشكّل ميّزات الحدث التاريخي. . ومشكلاته أيضًا في وقت معًا.

ب- وفي العلم ينتقل الباحث من الجزئي إلى الكلّي. ومن الفردي إلى العام ومن المحسوس إلى المجرّد والصيغة الرياضية. إن عمل المؤرّخ يكاد يكون بالضبط عكس الطريق. إن الجزئيات في صورة الماضي هي الأساس، والفردي له قيمة العام والمحسوس هو الدائرة التي لا مجال لتجاوزها حتى لقد سمّى "داردیل" التاريخ علم المحسوس كل

حالات التاريخ "حالات خاصة" لا يمكن أن تتحوّل عامة، وهَمُّ العلم هو العام. كل وقائعه فردية في إطار زمانها ومكانها وأسبابها، ولا علم إلا بالكلي. وقد فشلت حتى الآن على الأقل جميع الجهود في إدخال الفعالية التاريخية ضمن إطار أي قانون تجريدي أو رياضي لأن تجريدها يلغي على الفور طابعها التاريخي ويخرجها من نطاق التاريخ إلى نطاق الدراسات الإجتماعية التي تنظر في الحاضر والمستقبل. لا كليات ولا تجريد في التاريخ. (علف، فت، ١٩٥، ٥)

فساد المملكة

- فساد المملكة، واستجراء الرعية، وخراب البلاد، بإبطال الوعد والوعيد. ولا يليق بالملك الفاضل أن يكون افتخاره بزخارف الملك ممّا حوته يده، واشتملت عليه خزانته، من نفائس الذخائر، وطرائف المقتنيات، فإن تلك ترهات، لا حقائق لها، ولا معرج لفاضل عليها. وكذلك لا ينبغي له أن يكون فخره بالآباء والأجداد، وإنما ينبغي أن يكون فخره بالفضائل التي حصّلها، والأخلاق التي كمّلها، والآداب التي استفادها، والأدوات التي استجادها. (طق، فخر، ٣٣، ١)

فساطيط

- الفساطيط والأخبية. وهي من آلات السفر وزينة الاستعداد له على نسبة الدولة في الثروة واليسار. ولها - باعتبار الأخذ به أو الترك له - حالتان: إحداهما: حالة البداوة، ولا وجود لهذه الشارة فيها، لاستغنائها بما جرت به عادتها في اتّخاذه قبل الملك، كما في عهد الأولين وخلفاء بني أمية؛ كانوا في أسفارهم يسكنون بيوتهم التي كانت لهم من الوبر والصوف، لظعونهم وسائر حالهم وأجيالهم من الأهل والولد، كما هو شأن العرب لهذا العهد. الثانية: حالة النهاية في استفحال الملك وأخذه بمذاهب الترف كما في العرب المشار إليهم عند تعيينهم في منازع البذخ والحضارة والانتقال من سكنى الخيام إلى سكنى القصور، ومن ظهر الخفّ إلى ظهر الحافر، فاتّخذوا للسكنى - في أسفارهم - بيوت الكتّان، مختلفة الأشكال، مقدرة الأمثال: من "القَوْرَاء"، و"المستطيلة"، و"المربعة". واحتفلوا فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة. ويدير الأمير والقائد على فساطيطه سياجًا من الكتان، يسمّى - بالمغرب باللسان المغربي بـ"أَفْرَاقْ" - بالكاف التي بين القاف والكاف - يختصّ به السلطان بذلك القطر. قال ابن خلدون: وأما بالمشرق فيتّخذه كل أمير، وإن كان دون السلطان. (أزر، بدع٢، ٧٣٢، ١)

فضيلة الملك

- مما يكمل فضيلة الملك أن تكون قوة الاختيار عنده سليمة، لم تعترضها آفة، فيكون يختار الرجال اختيارًا فاضلًا: كان الناصر آية الدنيا في اختيار الرجال، فكان من توصلاته إلى معرفة الرجل إن أشكل عليه حاله، أن يشيع بين الناس أنه يريد أن

يوليه المنصب الفلاني، ثم يتمادى في إبرام ذلك أيامًا، فيمتلئ البلد بالاراجيف لذلك الرجل، فيفترق فيه الناس. فقوم يصوبون ذلك الرأي، ويصفون فضائل الرجل، وقوم يغلطون الخليفة، ويذكرون عيوب الرجل، وللخليفة عيون وأصحاب أخبار لا يؤبه لهم، يخالطون أصناف الناس، فيكتب أصحاب الأخبار إليه بما الناس فيه من الغليان في ذلك، فيعرف بصحة نظره وتمييزه أي القولين أرجح وأصوب، فإن رجح في نظره تفضيل الرجل ولّاه، وخلع عليه، وإن ترجح عنده قول الطاعنين عليه، وتبيّن له نقصه، تركه وأعرض عنه. (طق، فخر، ٢٥، ٢٤)

فطنة

- الفهم هو المعرفة وقوّة الذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الذهن والفهم تطبّع والفطنة قريبة المعنى من الذهن. (بلخ، بدا، ٢٢، ١٢)

فقه اللغة

- الفيلولوجيا - (philology) فقه اللغة - من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة فروع كثيرة من التاريخ. وكلما بَعُدَ العصر الذي هو موضوع الدرس ازدادت أهمية الفيلولوجيا، إذ لا بدّ لفهم النصوص التاريخية من معرفة لغة ذلك العصر التاريخي المعيّن. وليست اللغة علامات جبرية أو أرقام حسابية تُستخدم كما في العلوم الطبيعية للدلالة على معانٍ وكميات محدّدة، ولكن اللغة كائن حيٌّ ينمو ويتغيَّر ويتطوّر تبعًا لظروف المكان والزمان، ولتغيُّر الإنسان واختلاط الثقافات. وفي بعض الأحيان قد يدلّ اللفظ اللغوي على معنى محدّد تمامًا، كما يمكن أن يدلّ اللفظ اللغوي على معانٍ نسبية أو متغيّرة أو متضادّة، وقد تدلّ كلمة واحدة على معان متفاوتة أو مختلفة باختلاف استخدامها عند كاتب بعينه. وتبدو هذه الظاهرة شديدة الأهمية في دراسة التاريخ - كما في غيره من الدراسات وعلى الأخص في الدراسات الأدبية -. (عث، بحث، ٢٥، ١١)

فكر تاريخي

- المقوّمات التي تحدّد مفهوم الفكر التاريخي، هي: - صيرورة الحقيقة. - إيجابية الحدث التاريخي. - تسلسل الأحداث. - مسؤولية الأفراد (بمعنى أن الإنسان هو صانع التاريخ). وأربعة، تحدّد معنى التاريخانية وهي: - ثبوت قوانين التطوّر التاريخي (حتمية المراحل). - وحدة الاتجاه (الماضي المستقبل). - أمانية اقتباس الثقافة (وحدة الجنس). - إيجابية دورْ المثقّف والسياسي (الطفرة واقتصاد الزمان). (عر، فكر، ١٨٤، ٢٧)

فكرة التاريخ

- فكرة التاريخ بوضعها الحالي جديدة من غير شكّ، فالمحدثون يعتقدون أن التاريخ كفكرة يدور حول محاور أربعة هي: ١- إنه علم كسائر العلوم يجيب على أسئلة معيّنة. ٢- إنه يتّصل بمجهود الإنسان في

الماضي. ٣- إن طريقته هي تفسير الوثائق التاريخية. ٤- إنه يهدف إلى تعريف الإنسان بذاته. (علف، فت، ١٢١، ١٦)

فلسفة

- لا بدّ من الاعتراف بأن ما يحسبه المؤرّخ الحاضر يتوقّف على الفلسفة التي يدين بها. فقد يقول بآراء هيكل وقد يؤيّد البلشفية أو النازية أو ما يسمّيه فلاسفة ألمانية اليوم الفينومنولوجية. فيضطرّ والحالة هذه أن ينتقي على أساس فلسفته في الحياة. وليذكر المؤرّخ المستجدّ أن الفلسفة هي من أهم العلوم الموصلة وأنه لا بدّ للمؤرّخ من تفهّمها في ماضيها وحاضرها، وأن الفيلسوف المؤرّخ الإيطالي غروتشي ذهب إلى أكثر من هذا فقال بأن التاريخ هو التاريخ هو الفلسفة وأن الفلسفة هي التاريخ. (رس، مصط، ١٢٣، ١)
- كان بإمكان الفلسفة أن تكون أقدر من كل العلوم ... على الإجابة عن مشكلات التاريخ الكبرى، غير أن المؤرّخين المسلمين لم يستخدموها قط بشكل فعّال لتحقيق هذا الغرض، لقد دارت في أذهان المؤرّخين مسألة أساسية وهي مدى الثقة بالأخبار التاريخية وعلاقتها بالحقيقة، غير أنهم في أبحاثهم التاريخية لم يجعلوها موضوعًا لمناقشة نظرية، وبذلك كانوا يختلفون عن المتكلّمين والفلاسفة. والواقع أن أبعد ما وصلوا إليه في هذا المضمار هو رأي أبداه ابن خلدون وقال فيه: إن المؤرّخ "محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكبان به عن المزلّات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق". (روز، علم، ١٥٩، ٦)
- أدقّ محاولة لإخضاع التاريخ للفلسفة من الناحية الظاهرية على الأقل، هي التي قام بها المطهر بن طاهر المقدسي في كتابه "البدء والتاريخ" الذي ألّفه سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م)، ففي مقدّمة هذا الكتاب بحث نظري عن المعرفة والعقل، ويتجلّى فيه استهداف المؤلّف النظر إلى الكون وتاريخه بمنظار الفلسفة. وهو يتبع في هذا الكتاب التنظيم المألوف من خليقة العالم إلى الرسول وتاريخه وصحابته، وتاريخ الدولتين الأموية والعباسية، ويؤكّد في بحثه على بعض الموضوعات كصفات الخالق. والأهمية الثقافية والفلسفية للأديان القديمة، والخلافات في العقائد بين مختلف الفرق الإسلامية ويحاول أن يقدّم معلومات علمية وفلسفية كلما أمكن ذلك. غير أنه لم ينجح قط في إبداع صورة متماسكة للتاريخ باعتباره من وظائف العمليات العقلية، ويمكننا القول إن الملاحظات الفلسفية هي كالبقع

القرمزية التي تناثرت في ثنايا مختلف أجزاء الكتاب، غير أنه بقي علينا الاعتراف برغبة المؤلّف الصحيحة في وجدان اتحاد بين الفلسفة بأوسع معانيها والتاريخ. (روز، علم، ١٦١، ٩)

فلسفة التاريخ

- الكامل في التاريخ كسائر التواريخ القديمة، سرد للحوادث والأخبار بحسب تواريخها. ويعترف صاحبه بأنّه نقل عن الطبري، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمته فقال إنّه أخذ عن التاريخ الكبير لأبي جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوّل عليه؛ أخذ منه جميع تراجمه، ولم يخلّ بواحدة منها، على أنّه لم يتبع خطى الطبري في التأليف، فإن الطبري كان يذكر في أكثر الحوادث روايات عديدة، فقصد ابن الأثير إلى أتمّها فنقله وأضاف إليه. ويدلّنا قوله هذا على أنّه لم ينقل الحوادث التاريخيّة على علاتها، وإنّما كان يختار منها ما يراه موافقًا لمعقوله ويؤلّفه تأليفًا جديدًا بما يضيف إليه؛ وهو إن لم يكن قد سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات، وهو أسلوب لم يُعرف إلّا مع ابن خلدون، فإنّه كان ينقد ما ينقله، ولم يكن ينقل إلّا كلّ ما رآه صوابًا، وكان يعرض عن نقل ما يراه غير موافق للعقل، فعله بما رواه الطبري عن خلق الشمس والقمر وسيرهما، قال: "وروى أبو جعفر، ههنا، حديثًا طويلًا عدّة أوراق عن ابن عبّاس، عن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، في خلق الشمس والقمر وسيرهما، فإنّهما على عجلتين لكلّ عجلة ثلاث مئة وستون عروة يجرّها بعددها من الملائكة، وإنّهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض، فذلك كسوفهما. ثمّ إنّ الملائكة يخرجونهما فذلك تجليتهما من الكسوف... إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها، فأعرضت عنها لمنافاتها العقول، ولو صحّ إسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن الحديث غير صحيح. ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف" (مقدمة). (أث، كمل، ١٣، ١٥)
- فلسفة التاريخ، أو علم الاجتماع التأريخي، أو علم "العمران البشري" كما دعاه ابن خلدون. ذلك أن العلوم الاجتماعية تهدف أولًا إلى معرفة هذه القوانين، وتوجّه اهتمامها إلى فهم العلاقات الاجتماعية في الحاضر، وتطمح أحيانًا إلى التنبؤ بما سيحدث في المستقبل. وإذا هي تناولت الماضي، فمن أجل الاستعانة بمادته فحسب، ولكي تضمّ هذه المادة إلى النتائج المحقّقة بالاختبار، في سبيل تكوين النظريات والقوانين التي تفسّر هذا الجانب أو ذاك من الحياة الاجتماعية الحاضرة أو التي تدلّ على اتجاهها المقبل. (زري، نحن، ٥٢، ١٨)
- (تعليل التاريخ) تخطئ عندما "نفرض" تعليلًا معيّنًا على التاريخ فرضًا، ونقسر الحوادث لتدخل في نطاقه وتنصبّ في

قالبه. وهذا ما حدث فعلًا في أكثر التعليلات التي حاولت فلسفة التاريخ. إننا نجد أصحابها قد تعلّقوا بها وتمسّكوا بمنطوقها، وضربوا صفحًا عمّا يخالفها، فجاء فهمهم للماضي مبتورًا أو مختلًّا أو مناقضًا لطبيعة الحياة. ويحدث هذا الفرض لسبب من سببين. قد يكون لغرض في النفس: لبثّ دعاوة أو بلوغ غاية عملية، فيأتي التعليل التأريخي من ضمن "المبرّرات النظرية" لدعوة من الدعوات أو حركة من الحركات. هنا ينبث الانحياز وعدم التجرّد، فيصبح التعليل التأريخي والتأريخ ذاته واسطة لغاية أخرى غير غايتهما الأصلية التي يجب ألا ينحرفا عنها، وهي الإدراك المتجرّد الصحيح. فكل صاحب سلطة، وكل منظّمة أو هيئة أو طبقة - كل فرد أو جماعة - يستخدم التعليل التأريخي في سبيل هدف خاص ويفرضه على الماضي فرضًا، يخرج به عن غايته ويخلّ بوظيفته، وينافي التجرّد الذي هو شرطه الأساسي. ويأتي هذا الفرض من ناحية ثانية نتيجة لاقتناع خالص، ولكنه اقتناع مستمدّ من خارج التاريخ، غير خاضع خضوعًا كافيًا للنقد والامتحان بمحكّ الحوادث التاريخية ذاتها. فمن هؤلاء المعلّلين من يستمدّ نظرته التأريخية من اعتقاداته الدينية، إذ اللاهوت أو الكلام هو عنده أضمن الطرق وأسماها إلى المعرفة وإلى الحقيقة، فما ينكشف فيه يجب أن يصدق على التاريخ، ولا يمكن أن يكون التاريخ إلا تعبيرًا عن الحقائق الأساسية التي أظهرها الوحي أو التقليد أو التأمّل. ومنهم من يصدر في تعليله التأريخي عن عقيدة فلسفية توصّل إليها بالنظر العقلي: فهو مادي، أو مثالي، أو واقعي، أو ما إلى ذلك من المذاهب الفلسفية، وتصويره للماضي ناتج حتمًا عن مضمون مذهبه واتجاهه. ومنهم من تتكوّن معتقداته الأساسية من العلم الاختباري. وهؤلاء أيضًا فرق متعدّدة حسب ما يؤدّي إليه علمهم من مفاهيم لطبيعة الكون، ولجوهر الإنسان وتأثّره بمحيطه وتأثيره فيه. فبعضهم مثلًا يجعلون الإنسان، وبالتالي التاريخ، وليد المؤثّرات الجغرافية وحدها، وبعضهم يعتبرونهما نتيجة لقوى الإنتاج المادي وللعلاقات الاقتصادية، وآخرون يرون أن الإنسان هو في جوهره عقل وأن التاريخ ليس سوى تفتّح هذا العقل وتجسّده في شتّى المظاهر الحضارية والاجتماعية، وهكذا. إن هؤلاء جميعًا يختلفون في تعليلهم للتاريخ. ولا بأس في ذلك، ولا ضرر ما داموا مستعدّين لأن يحكوا تعليلاتهم المختلفة بمحكّ الاختبار، ويمتحنوها بواقع الحوادث كما تكشفه تدريجًا دراسة الماضي. ولكن الخطأ كل الخطأ هو في تجاهل هذا الواقع، والانقياد الأعمى لتعليل معيّن، أو في المحاولة، الواعية أو غير الواعية، لتطبيق الواقع على التعليل، أو سكبه في قالبه. (زري، نحن، ١٣٨، ١٣)

- فلسفة التاريخ هي التعليق على الحدث التاريخي، وبيان أسبابه، وذكر فروض

مختلفة حوله، مع محاولة الإجابة عن هذه الفروض، وإذا استطعنا أن نجرّد الحدث التاريخي عن الفلسفة فإن هذا الحدث يمكن أن يقبله أكثر المؤرّخين كأن نقول: إن الحلفاء انتصروا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد قلنا إن هذا الحدث يقبله أكثر المؤرّخين، ولم نقل يقبله كلهم لأن بعض المؤرّخين لا يرى الحدث قد انتهى بعد، ويتوقّع أن تكون هناك جولات أخرى تغيّر من النتائج، وعلى كل حال فالخلاف حول الحدث التاريخي أضيق جدًّا من الخلاف حول فلسفته، فإننا إذا تساءلنا: لماذا انتصر الحلفاء؟ فإن الإجابات تختلف من شخص إلى شخص ومن فكر إلى فكر، ومن يوم إلى يوم، والمؤرّخون القدامى قلّما كانوا يعنون بفلسفة التاريخ، واتّجهوا في الغالب إلى سرد الأحداث بدون تعليق أو بتعليق خفيف، فلما جاء العصر الإسلامي ظهر مع القرآن الكريم ما يسمّى بأسباب النزول، وظهر في التشريع حكمته، ودوران الحكم مع العلّة وجودًا وعدمًا، فانفتح الباب بذلك للحديث عن فلسفة التاريخ، ثم حدث شيء مهم في الإمبراطورية الإسلامية فخلق بوضوح فلسفة التاريخ، وذلك هو ما أصاب العالم الإسلامي من ضعف وتدهور، وما نزل به من خطوب جسام، فاتّجه المؤرّخ ابن خلدون (٨٠٨هـ) بسبب ذلك اتّجاهًا فلسفيًّا عميقًا ليتعرّف علل الحوادث وأسباب قيام الدول وعلل سقوطها، ومظاهر العمران وأصول الاجتماع ونحو ذلك. (شل، سلم، ٢٩، ١٥)

- راح الأوربيون يستعملون فلسفة التاريخ ... في التعليق على الأحداث التاريخية، وأصبحت فلسفة التاريخ شديدة الأهمية منذ ذلك الوقت، فلم يعد الحدث التاريخي بمنأى عن فلسفة التاريخ، وإنما تمّ امتزاج بين الحدث وبين فكر المؤرّخ، وأصبحت صلة المؤرّخ بموضوعه - كما يقول Edward Carr صلة الإنسان ببيئته - . ويقرّر Carr أيضًا أن وقائع التاريخ لا يمكن أن تكون موضوعية صرفة لأنها قد أصبحت وقائع للتاريخ، وذلك بسبب ما أسبغ المؤلّف عليها من تأثير لا محيص عنه، والموضوعية في التاريخ - إذا أصررنا على استعمال هذا الاصطلاح - لا يمكن أن تكون موضوعية واقعية بل موضوعية صلة فحسب، أي الصلة بين الواقعة والتفسير، وبين الماضي والحاضر والمستقبل. (شل، سلم، ٣٠، ١٨)

- أميّز بين التاريخ كدراسة لوقائع الماضي، كتقنية من تقنيات المعرفة (وسائل التنقيب عن الوثائق، طرق النقد والتحقيق، فنون السرد.. الخ) وبين النظرة الشاملة التي يلقيها مجتمع ما على مجموع حوادث الماضي، أو بعبارة أخرى بين التاريخ كفن والتاريخ كوسيلة تقييم الحاضر وتحديد المستقبل عن طريق اختيار سياسة قومية. ولا نعني بالنظرة إلى التاريخ فلسفة التاريخ مثل ما نجد عند هيجل أو شبنجلر، لأن فلسفة التاريخ دائمًا فردية، وافتراضية، في حين أن النظرة جماعية وغير واعية، لأنها

تعبّر عن استمرار الماضي في حاضر الجماعة. وسنرى أن التمييز المقترح بين التاريخ كفن والتاريخ كنظرة تمييز تجريدي فقط، وأما في الواقع فالإثنان متّحدان في لحمة التأليف التاريخي. (عر، فكر، ٧٠، ٢)

- فلسفة التاريخ عند هيغل يرى هيغل أن الروح (الكلي المطلق) يسيطر على العالم ويملي التاريخ إملاءً عاقلًا: إن العقل يتّخذ التاريخ مجلى (يتبدّى فيه) وميدانًا (تحدث فيه آثاره). والتاريخ ليس حوادث متفرّقة تافهة تتعاقب اتّفاقًا، بل هو شبكة متعانقة الحلقات تؤلّف مجموعًا عقليًا متماسكًا منظّمًا من الحوادث العظيمة الدلالة على تلك الصلة المنطقية التي تربط بين تلك الحوادث. والتاريخ يرقى في سيره مع تطوّر العقل صعدًا نحو الكمال. أما حوادث التاريخ المترابطة العاقلة فالغاية منها أن تصل بالإنسان إلى حريته. والشكل الإيجابي لهذه الحرية هو الدولة. ولكن ليس في الأرض دولة تمثل الدولة التامة (الكاملة، المطلقة، الفاضلة)؛ إن الدولة الكاملة هي الدولة المثالية التي يستطيع الفيلسوف أن يتخيّلها في عالم المنطق المحض. من أجل ذلك كان التاريخ العامُّ (تاريخ العالم) وحده ذا قيمة. ولكنّ التطوّر العامّ للتاريخ يمكن أن يتجزّأ إذا ظهر في العالم أمة خليقة بالقيادة فتمثّل حينئذٍ، في الدور الذي تقوم فيه، مرحلة من مراحل تطوّر روح العالم. ويقوم التاريخ الصحيح على تأدية الأمم للرسالة الإنسانية، فلا يكون تاريخ أمة جزءًا من تاريخ العالم إلا إذا كانت تلك الأمة في أثناء تاريخها هذا تؤدّي رسالة. (فر، علل، ٢١، ٥)

- إدراك معنى ذلك المفهوم المحرّك في "فلسفة التاريخ" الخلدوني: أي العصبية. ذلك أنه لم يكن يتوجّب الانطلاق، كما فعل الكثيرون من العصبية لتفسير التاريخ، بل يجب تفسير ميلاد هذا المفهوم استنادًا على التاريخ كما كتبه ابن خلدون. والواقع أننا أمام مفهوم يستحقّ هذه التسمية، فكلمة عصبية الكثيرة الإيحاء في الثقافة العربية المحافظة على ذكرى ماضيها القبلي، تصبح هي مبدأ الحركة في تاريخ بأكمله. لكن، ما هي العصبية قبل كل شيء؟. إنها رابطة تضامن قائمة على قرابة الدم وصلة الرحم. والأسرة هي النموذج الذي يكون أفراده متعاضدين، لهم نعرة على ذوي القربى. وتصبح هذه الصلة ضرورة في البادية حيث تستحيل الحياة إذا لم يكن الفرد مندمجًا في جماعة متعاضدة متناصرة. هكذا تنتظم الجماعات في أنساب تتّخذ نموذجها الأسرة الأبوية. لكن إذا ظنّت فئة بأنها تنحدر من نفس الجد، فإن ذلك لا يعدو كونه أسطورة، إذ يستحيل إثبات نقاوة النسب، "إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له". على أن العصبية تفعل فعلها على مستوى الوهم والأسطورة؛ ذلك أن الوهم هنا يكتسي كل قوة الحقيقة، ما دام يشرط العلائق البشرية في البادية، وخاصة علائق السلطة

والحرب. وعن طريق الالتحام في العصبية تتميّز البادية عن الحواضر. (أوم، نهج، ١٤٠، ١٩)

- المقولات الأساسية لفلسفة التاريخ عند ماركس ضمن هذا النطاق، واضحة ومنطقية، فبدلًا من فوضى الأفكار الشخصية - الحرية، والفردية، والأمة، والدين - التي اختارها المؤرّخون المثاليون اعتباطًا لتكون معيارهم، فإن علم التاريخ الماركسي اتّخذ نقطة بدايته من الوظيفة الأولى لكافة المجتمعات البشرية، سواء الابتدائية منها أو المتقدمة، وهذه الوظيفة هي سدّ الحاجات الفيزيولوجية للإنسان، وتوفير الغذاء والمسكن والملبس والمأوى وبقية الضرورات الأساسية للحياة. (بار، وجه، ٣٧، ٤)

- إن فلسفة التاريخ - أو ما يسمّى أحيانًا "ما وراء التاريخ" - هو موضوع لا يرغب فيه اليوم المؤرّخون (وإن كان جيل علماء الدين يرغبون فيه) ولا ريب في أن أظهر الميول المعاصرة هو ميل المؤرّخين لأبعاد فلسفة التاريخ باعتبار أنها غير ذات علاقة بعملهم واهتماماتهم، ولعلّ من المهم أن أقوى الغزوات في هذه الجبهة في الأزمنة الحديثة لم تأت من المؤرّخين، وإنما جاءت من علماء الاجتماع أمثال كروبير وسوروكين، وبقدر ما أعلم، لم تظهر بعد اكتمال كتاب توينبي "دراسة في التاريخ" في سنة ١٩٦١م أية محاولة تقارن في سعتها به، من قبل أي مؤرّخ لتفسير جوهر ومعنى قصة البشرية، وبقدر ما يستطيع المرء الحكم على الاتجاهات الحاضرة، لا يؤمل أن يظهر شيء من ذلك في المستقبل القريب، وفي الوقت الحاضر تحتفظ "فلسفة تاريخ" واحدة بحيويتها وقدرتها على كشف الحقائق، هي طبعًا الماركسية. (بار، وجه، ٢٧٨، ٤)

- "فلسفة التاريخ" يمكن أن تكون له ثلاثة معانٍ رئيسية. فأما المعنى الأول فهو أن فلسفة التاريخ تعني بالنظريات العالية المستوى الخاصة بالتيارات التحتية أو القوى الأساسية للتاريخ باعتباره حقيقة موضوعية (هي الماضي). "وهناك معنى أدنى من ذلك لفلسفة التاريخ وهي أنها تصف لنا النظرة العامة الأساسية والمفهومات الأساسية أيضًا التي يأتي بها مؤرّخ أو تأتي بها مدرسة من المؤرّخين متعلّقة بالمشاكل التاريخية التي يعالجونها متضمّنة النظريات الخاصة بتعليل الحوادث أو مفهوم التقدّم وما إلى ذلك". "وأخيرًا من الممكن أن يستعمل مصطلح فلسفة التاريخ مرادفًا على وجه التقريب للمنهج التاريخي historical methodology أي العملية الفعلية التي يسلك المؤرّخ في شعابها". (علف، فت، ٦٢، ٢)

- فلسفة التاريخ تطلق في الواقع على مجموعة مزدوجة من المشكلات الفلسفية فلها جانبان: تأمّلي (يتّصل بغايات التاريخ ومعانيه) وتحليلي (يتّصل بنوع وقيمة المعرفة فيه) وإذا كان الكثير من الباحثين يرفضون الجانب التأمّلي أو يعتبرونه من ميدان الميتافيزيك فكلهم في الواقع يقبلون

البحث في الجانب الآخر التحليلي. (علف، فت، ١٦٩، ٢٨)

- إن "فلسفة التاريخ" كانت تعني - في معناها الأول الذي كان شائعًا في القرن الثامن عشر" - "تأمّلات في التاريخ"، أو كتابة التاريخ مرتبطة بفكرة الإنسانية والحضارة أي على نحو أقرب إلى الفلسفة مما كانت الحال عليه عند المؤرّخين الذين خضعوا لسلطان العقائد الدينية العتيقة. ولكن هذا التعبير "فلسفة التاريخ" لو حلّلناه جيّدًا لوجدناه ينطوي على تكرار وعدم تلاؤم، لأن "التفكير في التاريخ هو في ذاته تفلسف، ولا يمكن التفلسف إلا بالرجوع إلى الوقائع، أي إلى التاريخ. ولكن التأمّلات العامة غير المقرونة بالوقائع تؤدّي إلى صيغ جوفاء، هي ما آلت إليه كتب "فلسفة التاريخ". ويكفي المرء أن يطالعها ليتبيّن له في الحال ما فيها من خلط وهوى. ففي بعضها نجد مثلًا أن الشرق هو "الشعور المباشر" بينما اليونان هي "حرية الفرد"، وروما هي "العموم المجرّد" أو "الدولة"، والعالم الجرماني هو "وحدة الفردي والكلي". وفي كتاب آخر نجد أن الشرق هو "اللامتناهي"، والحضارة اليونانية الرومانية هي "المتناهي". والعصر المسيحي هو "التركيب المؤلّف من المتناهي واللامتناهي". وفي كتاب ثالث يقال إن التاريخ القديم يقوم على فكرة "المصير"، والعصر المسيحي على فكرة "الطبيعة". وبالمثل تسلك فلسفات التاريخ التي تستخدم معاني أو شبه مقولات مادية، كما هو شأن الفلسفة الماركسية في التاريخ: إذ هي تقول إن العصر القديم يقوم على معنى "الاقتصاد القائم على الرق"، والعصر الوسيط يقوم على "الاقتصاد المستعبد"، والعصر الحديث يقوم على "الاقتصاد الرأسمالي". والعصر المقبل سيقوم على "إشتراكية وسائل الإنتاج". وهذا هو الشأن كذلك في فلسفات التاريخ القائمة على العنصرية في الأجناس، فهي تحوّل المجتمعات الجغرافية واللغوية للشعوب إلى أجناس نقية دائمة مستمرّة، وبعد ذلك تقسّمها إلى أجناس منحطّة وأخرى سامية، وتربط بينها وبين الفضائل والرذائل، والقوى الروحية أو النقائص الفكرية، والشجاعة والتديّن والقدرة على التفكير والإبداع الفني، أو الانحطاط والخسة وانعدام التديّن والتخلّف الفكري، وهكذا. وثمّ فلسفات في التاريخ تنطلق من فكرة أحوال بدائية، تلقائية، بريئة، من نوع من الفردوس الأرضي، الذي فقد فيما بعد، ثم تمرّ بعد ذلك بجحيم ومطهر العصور التالية، ثم تكسب بصورة أعلى وتستردّ ذلك الفردوس الذي إن تفقده مرّة أخرى. وهذا النمط هو الأكثر شيوعًا، ويوجد أيضًا في المادية التاريخية بما تقول به من جنة الشيوعية الأولى، وما تلا ذلك من فترة وسطى قاسية سيتلوها مستقبل عقلي سعيد. وثمّ فلسفات أخرى في التاريخ ترسم الصراع بين مبدأين أحدهما للخير والآخر للشر،

أحدهما للسعادة والآخر للشقاء والألم، مع القول بأن الانتصار النهائي سيكون لمبدأ الخير والسعادة وبتحقّق الجنة على الأرض أو في السماء. وهناك أخرى تصوّر التحرّر في الحصول الشاق على الشعور المتزايد بالشقاء الإنساني، مما سيقود إلى إفناء كل إرادة عن طريق الزهد أو إلى الانتحار الكلي الواعي (شوبنهور). ويرى كروتشه أن طابع الأسطورة يسود كل فلسفات التاريخ، لأنها ترنو إلى الكشف عن "خطة في العالم" Weltplan من ميلاده إلى فنائه، أو من دخوله في الزمان إلى دخوله في الأبدية، ويشيع فيها لاهوت أو عالم من الجن. وليست القرابة بين الأسطورة وفلسفة التاريخ بعيدة، إذ ليست قرابة مثالية فحسب، بل وقرابة تاريخية يتّضح ذلك لمن يتأمّل في هذه الحقيقة وهي أن فلسفة التاريخ - وقد ادّعى الألمان زمنًا أنها علم جديد وألماني - كان لها رواج وازدهار في البيئة التي هيّأتها البروتستنية والكتاب المقدّس بما فيه من حلم نبوخذنصر وتأويل دانيال بأن سيكون ثمَّ توالى الممالك: مملكة الذهب، مملكة النحاس، ومملكة الحديد ومملكة الطين. (علف، فت، ٢٢٦، ٢٨)

فلسفة التاريخ الإسلامي

- في العصر الحديث كان المستشرقون أسبق من سواهم في مزاولة فلسفة التاريخ الإسلامي، فراحوا يتّخذون من كل حدث الجانب الذي يرضي اتّجاههم في مهاجمة الإسلام، فإذا كانت هناك حروب بين المسلمين من جانب وبين الروم والفرس من جانب آخر فسّروا ذلك بأن الإسلام انتشر بالقوة، ومواقف المسلمين من اليهود بالجزيرة العربية، وتعدّد زوجات الرسول... فسّرت كلها بما يهاجم الإسلام ويؤذي شعور المسلمين، ... ومهمة الباحث الحديث أن يعيد النظر في هذه التأويلات الجائرة التي اتّخِذ بعضها مع الزمن على أنه شيء مسلّم به؛ مع أنها لا تثبت أمام البحث العلمي العميق. (شل، سلم، ٣١، ١٠)

فلسفة العقل

- فلسفة العقل لا يمكن أن تكون، وليست هي في الواقع الغيبي، ولم تكن أبدًا حقًّا، إلا تفكيرًا تاريخيًّا أو كتابة للتاريخ، الفلسفة تمثّل في عمليتها لحظة التأمّل المنهجي، التي يمكن إبراز جانب أو آخر منها ولكنها لا تنفصل عن العملية الوحيدة للتفكير التاريخي. (علف، فت، ٢٣٠، ٢٣)

فلك

- اختلف في ذات الفلك الذين زعموا أنها جِرْم فزعمت منهم أنّها من تركيب الطبائع الأربع، وقال قوم بل هي طبيعة خامسة خارجة عن هذه الطبائع، والطبائع خفيفيّات النار والهواء وثقليّات الأرض والماء، والفلك لا خفيف ولا ثقيل. وزعم قوم أنه لحم ودم وقال أعظمهم عندهم رأيًا أنّ الفلك حيٌّ ناطق والكواكب لها النفس الناطقة، ورأيت في كتب بعض

المفسّرين ميلًا إلى هذا الرأي. (بلخ، بد٢، ٩، ٢)

فن

- (التاريخ) التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة، وصحة، وعقل، وبدن، ورحلة وحجّ، وحفظ، وضبط، وتوثيق، وتجريح، وما أشبه هذا، مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتّفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسّع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدّماتها مما سيأتي. أو دونها: كبناء جامع، أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها؛ ممّا يعمّ الانتفاع به ممّا هو شائع ومشاهد، أو خفي: سماوي: كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضي: كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام. والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم. (جو، نظم، ٩، ٦)

فن التاريخ

- فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشدّ إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السُّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهّال. إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتُضرب فيها الأمثال، وتُطرف بها الأندية إذا غصَّها الاحتفال، وتؤدِّي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتّسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمّروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال. وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعدّ في علومها وخليق. وإن فحول المؤرّخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطّروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفِّلون بدسائس من الباطل وهمّوا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفّقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتّبعوها، وأدَّوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا تُرَّهات الأحاديث ولا دفعوها. فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفّل على الفنون عريض وطويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل. والحق لا يقاوم سلطانه،

والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقَّل، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل. (خلد، قدم، ٢٨٢، ٤)

- فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، ويُنكّبان به عن المزلّات والمغالط. لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مجرّد النقل، ولم تُحَكَّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلّة القدم والحيد عن جادَّة الصدق. وكثيرًا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثًّا أو سمينًا، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط. (خلد، قدم، ٢٩١، ٥)

- يحتاج صاحب هذا الفن (فن التاريخ) إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السِّيَر والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتّفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعبًا لأسباب كل حادث، واقفًا على أصول كل خبر. وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان، وإلا زيّفه واستغنى عنه. وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلك؛ حتى انتحله الطبري والبخاري وابن إسحق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأمة. وقد ذهل الكثير عن هذا السرّ فيه حتى صار انتحاله مجهلة، واستخفّ العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفّل عليه، فاختلط المرعيُّ بالمهمل، واللُّباب بالقسر، والصادق بالكاذب. وإلى الله عاقبة الأمور. (خلد، قدم، ٣٢٠، ٢)

- قال الموفق أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي في مقدمة تاريخ اليمن ما نصّه: حداني على جمعه ما رأيت من إهمال الناس لفن التاريخ مع شدّة احتياجهم إليه وتعويلهم في كثير من الأمور عليه، ولما يندرج في ضمنه من المواعظ

والآداب وتفصيل شوابك الأرحام والأنساب. قال ولولا معرفة التاريخ ما اتّصل أحد من الخلف بشيء من أخبار السلف ولا عرف فاضل من مفضول ولا امتاز معروف من مجهول. (سخ، ذم، ٣٢، ١٣)

- يستفاد من أنباء هذا الفن (فن التاريخ) ما لعلّه مندرج في علوم أخر كالسياسة، العلم الذي يتعرّف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات الفاضلة والمردية وتوابع ذلك وكعلم الأخلاق الذي يعلم منه أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها وكعلم تدبير المنزل الذي يعلم منه الأحوال المشتركة بين الإنسان وزوجه وولده وخدمه ووجه الصواب فيها. (سخ، ذم، ٤٥، ١٣)

فنون

- الإلمام بنواحٍ من فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة الخاصة بعصر ما تساعد كذلك على فهم تاريخه. وهذه الفنون - كالآثار الأدبية - مرآة للعصر. فالفنون التشكيلية في مصر القديمة، أو في آشور، أو في الهند أو في الصين، أو في اليونان، أو في إيطاليا أو في فرنسا، تعكس جميعها صورًا دقيقةً من حضارات تلك البلاد، وتبين كثيرًا من خفايا أهلها ومن حياتهم الواقعة ومن تقاليدهم ونظمهم، وأحلامهم، وأمانيهم. (عث، بحث، ٣٨، ١٢)

فنون التاريخ

- عدّد الذهبي ما سمّاه "فنون التاريخ" التي تدخل في تاريخه الكبير المحيط: تاريخ الإسلام. ولم ينهض لها على حدّ قوله - ولو عمله على أساسها لجاء في ٦٠٠ مجلّد - فجعل تلك الفنون "أربعين" فنًّا ونوعًا. يشكّل تاريخ السيرة والأنبياء والصحابة والخلفاء والملوك خمسة فنون منها. أما باقي الفنون فإنما تتعلّق تارة بتاريخ التنظيم السياسي (تاريخ الوزراء. تاريخ الأمراء والأكابر ونواب الممالك والولاة وكبار الكتاب) أو بتاريخ الحاضرة (تاريخ البخلاء وتاريخ التجار وتاريخ أولي الصنائع العجيبة. وقطّاع الطريق. ولعّاب الشطرنج والنرد والقمار. وتاريخ الملاح والعشّاق وشربة الخمور وأهل الخلاعة وأولي الدهاء والمخنّثين وأهل المجون وعقلاء المجانين. وتاريخ السائلة والشحّاذين والوراقين والقصاص والندماء والأذكياء والمطربين... وتاريخ الرهبان وأولي الصوامع. وعجائب الأسفار والشجعان والفرسان والشطار والسعاة...) أو تتعلّق بالعلوم والعلماء (تاريخ الفقهاء. الحفّاظ. النحّاة. القضاة. الوعّاظ. الأطباء. الفلاسفة المتكلّمين. الشيعة. الخوارج...) وإذا كان الذهبي متأخّرًا عن العصر الذي ندرس حوالى القرن مما قد يمنع من الاستشهاد بتوزيعه التاريخي فإن الاعتراض ينتفي إذا تذكّرنا أن كافّة فنون التاريخ التي صنّف وعدّد إنما كانت موجودة معروفة قبله بقرون وقد

توطّدت وألّف الناس فيها أو في معظمها منذ القرن الثاني والثالث الهجريين ثم انتشرت في القرون التالية. (مص، رخ١، ٢٩٧، ١)

فنون التواريخ

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ٦)

فنون الرسم والتصوير

- الإحاطة بفنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة في عصر من العصور مسألة ضرورية بالنسبة للباحث في تاريخه، وأن آثار مصر القديمة أو آثار العراق القديم أو آثار الإغريق والرومان، كلها تعطينا صورًا واضحة لحضارات هذه البلاد وتمدّنا بفيض من المعلومات عن تقاليد أصحابها وحياتهم الإجتماعية والإقتصادية والدينية. بل أن هذه الآثار الفنية تعتبر المصدر الوحيد لتاريخ الشعوب التي عاشت قبل معرفة الكتابة، فلم تترك لنا أية سجلات أو مدوّنات، وإنما تركت فقط آثارها لنستنطقها ونستنبط منها تاريخها. (علف، فت، ١٣٥، ٢٧)

فهم

- الفهم هو المعرفة وقوّة الذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الذهن والفهم تطبّع والفطنة قريبة المعنى من الذهن. (بلخ، بدا، ٢٢، ١٠)

فهم التاريخ

- رأى ابن خلدون أن فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي المستمدّ من العوامل التالية: أ) العامل الطبيعي (البيئة الطبيعية الجغرافية) - إن في موقع بلد ما من الشمال (البارد) أو الجنوب (الحارّ) أو الوسط (المعتدل) تأثيرًا في البشر وفي نوع الحياة التي يحيونها وفي تطوّر المجتمع. فأهل الشمال شجعان فاضلون مفكّرون واسعوا الحضارة أهلٌ للحكم. أما أهل الجنوب فكسالى قليلو الشجاعة ميّالون إلى اللّهو بعيدون عن عوائد الحضارة، وهم مغلوبون لأهل الشمال. وأما أهل المناطق المعتدلة (الوسط) فهم على اعتدال في أجسامهم وأخلاقهم ومعاشهم، وفيهم ظهرت الأديان. وكذلك لطبيعة الأرض (من ساحلٍ أو داخل، من سهلٍ أو جبل، من باديةٍ أو حضر) أثر في حياة الناس. ولكل قطر عادات ومناهج وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة تنزل من أهل كلِّ قطر منزلة الطبيعة المُميِّزة لهم من أهل سائر الأقطار. ب) - عامل العصبية (البيئة الحياتية) - العصبية شعور جماعة من البشر بأنهم وحدة جنسية تحملهم على التراصّ لاجتناء المنافع ودرء الأخطار. وظاهر العصبية وحدة النسب. أما حقيقتها فوحدة المصلحة بين أفراد الجماعة الذين يعيشون في مكان واحد. ولقد وقع الاختلاط في الأنساب منذ زمن بعيد إلّا ما كان من أنساب الأمم الموغلة في القفر أو البداوة كالزنج (والهنود الحمر والأسكيمو). والنسل يكثر عادةً بين طبقات المجتمع الدنيا لقلّة تفكير أهلها بالواجبات التي يلقيها النسل على عواتقهم، ولاكتفائهم بالضروريّ من أسباب الحياة؛ كما أن الفقر وجدب البلاد وقلّة الأمن وقهر الشعوب بحكم أجنبيّ من أسباب قلّة النسل. ج) عامل العمران (البيئة الاجتماعية) - المجتمع كائن حيّ ينشأ ويتطوّر ثم ينقرض. وكلُّ مجتمع ينشأ

في البداوة ثم ينتقل بالتدريج انتقالًا بطيئًا إلى الحضارة. ونحن لا نلمح التطوّر الذي يطرأ على المجتمع إلّا إذا استمرّ ذلك التطوّر مدةً طويلةً وأصبح الفرق بين ما كان المجتمع عليه وبين ما صار إليه كثيرًا بارزًا واضحًا. وأهل المجتمع البدوي متّصفون بالفطرة السليمة وبساطة الحياة والاكتفاء بالضروريّ من أسباب المعيشة وبالشجاعة وحب الخير والبداهة (الذكاء الفطري) والصحة. أما الحضارة فتتّسع فيها أسباب الحياة وتتشعّب، ويكثر فيها الترف. ويتبع الترف في العمران وجوه كثيرة من الصناعات والفنون والعلوم ثمّ من الجبن والشرّ والفساد والبلادة والأمراض. ولكن ينشأ في العمران الحضريّ المترف علوم كالطبِّ للتغلّب على الأمراض، وحكومات لإدارة البلاد ومنع عدوان بعض الناس على بعض، وحركات إصلاح لمقاومة الفساد. د) - العامل النفسي (البيئة الروحية) - يتنازع الفرد في بيئته ميلان: ميل إلى التقليد وميل إلى المباينة (المخالفة). ففي أيام السلم والاستقرار وقوة الوازع (الحاكم) وتمام سيطرة الأمة على أفرادها يقلّد بعض الناس بعضًا لتحصيل أسباب الحياة وللتعاون على التغلّب على صعاب البيئة العامة. في هذا الدور يسود القسر الاجتماعي، أي تقيُّدُ الفرد بما تعتقده الجماعة. وبما تعدّه من المثل العليا، فلا يخالف أحدٌ مذهب الجماعة حتى في الأمور اليسيرة وفي السلوك الذي قد يضرُّ الفرد. ومن هذا الميل إلى التقليد - أي التقيُّد بما ترغب فيه الجماعة المحيطة بالفرد - تنشأ القوانين والأخلاق. أمّا في أيام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على أفراده فيكثر الطموح الفرديّ، ويحاول نفر من أهل المجتمع أن ينفلتوا من قيود مجتمعهم. ثمّ إنّ الأقوياء من المحكومين يعمدون إلى مخالفة الحاكمين، إذا ضعف أولئك الحاكمون، ثمّ إلى مناجزتهم فتقع التغلُّبات (الانقلابات السياسيّة) والثورات والحروب ... هـ) - العامل الماديّ (أحوال المعاش) - يرى ابن خلدون أن حياة الناس تختلف باختلاف نحلتهم من المعاش، أي باختلاف الأعمال التي يقومون بها لكسب معاشهم. والعمل الإنساني هو أساس الكسب، إذ أنه لا بُدَّ من عمل إنسانيّ في كل مكسب... "والمكتسبات كلُّها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية". و) - عامل الزمن (الحتميّة في التاريخ) - يرى ابن خلدون أن حياة الإنسان الفردية والاجتماعية أدوار متّصل بعضها ببعض، وأن طبيعة العمران وأحوال الاجتماع الإنساني تخلق شبهًا كبيرًا بين أدوار التاريخ: "فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء". ثم إن البيئة المحيطة بالإنسان تفرض عليه نوعًا من الاستمرار: فأما البيئة الجغرافية فتكسبه وراثةً طبيعيةً وتقصر تطوّره، إلى حدٍّ بعيد، على المجرى الذي تخطّه عوامل الأرض والتربة والمناخ في بيئته المخصوصة. وأما البيئة البشرية فتكسبه وراثةً اجتماعيةً تتألّف

من العادات والتقاليد التي تتردّد في حياة الأفراد والجماعة حتى ترسخ في النفس وتنزل منزلة الطبيعة فيستمرَّ بذلك سلوك أهل البيئة على منهاج مخصوص. غير أن الإنسان يحاول أن يؤثّر في بيئته الاجتماعية كما يحاول أن يؤثّر في بيئته الطبيعية ليرقّيها ويذلّل صعابها لا ليبدّلها. فبادية الشام، فيما نعلم، يمكن أن تصبح إذا رويت منطقة زراعية، ولكن لا يمكن أن تصبح منطقة صناعية إلا إذا انكشفت تربتها عن ثروات معدنية. ثم إنّ المجتمع يتطوّر تدريجًا بعوامل إذا هي تشابهت في دورين فإنها تؤدّي إلى نتائج متشابهة في ذينك الدورين. وربما طرأ على البيئة من العوامل ما يحدث فيها تبدّلًا فجائيًّا فيعجّل ارتقاءها أو يُسبّب انتكاسها. ... وعمر الدولة (الأسرة الحاكمة) في العادة أربعة أجيال (نحو مائة وعشرين سنة). إلّا أنّ اتّساع رقعة الدولة وكثرة أهلها وأشياعها أو قيام حاكم قويّ فيها أو انقراض دولة مناوئة لها قد يطيل عمرها، كما أن الظلم والمجاهرة بالمعاصي يعجّلان انقراضها. (فر، علل، ١٢، ١٧)

- فهم التاريخ المتضمّن في النظرة إليه وكأنه مجال للتجلّي الإلهي يماثل في بنيته بنية النظرية الإسماعيلية والصوفية للتاريخ المماثلة لنظرية الخلاص في مجرى الزمانية. فهذه نظرة تستند، كرديفها الميتافيزيائي في الأفلاطونية المحدثة، إلى افتراض وجود شيء ذي أولية وجودية تستنسخ كأولية قيمية. فالأصل، الخالق، شيء معجز، وإعجازه المحرك العلّي للتاريخ. فالتاريخ مسيرة تناقص تنتهي بالرجوع إلى الأصل هذا في كماله (وما لا يعود إليه يسقط في مزبلة التاريخ، أي في النار في عزلة مطلقة عن المحرّك الكامل وخارج نطاقه بكل معنى من المعاني)، وهي مسيرة يوجّهها هذا الأصل بما هو خالق وبما هو علّة غائية. فالله محك معيارية كل شيء، والنزوع نحو محاكاة هذا الإعجاز المعياري يشكّل المحرّك الأساسي لمسيرة التاريخ الإلهي. (عظم، عرف، ١١٠، ٤)

فوائد التواريخ

- من فوائد التواريخ: "أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان، ورأوها مدوَّنة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطّروحها. وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأن بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها دررّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه. هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرّات الأعداء وخلصوا بها من المهالك، واستعانوا نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم

يكن فيها غير هذا لكفى به فخرًا". (علف، فت، ٢١، ٩)

فوق

- فوق يحتمل وجوهًا من التأويل، ومن قال بوجود الجنّة في الوقت قال هي في السماء السابعة. (بلخ، بد٢، ٩، ١٣)

فيء

- الفيء هو سائر ما بقي من أموال بيت المال، وفي الشرع "الفيء كل مال وصل من المشركين عفوًا من غير قتال ولا بإيجاده خيل ولا ركاب". ويدخل فيه الجزية والخراج والأعشار وغيرها. (زي، مدن١، ٢٢٦، ٩)

فيروز

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٣)
- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيوْشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ١)

ق

قابيل

- قرأت في التوراة أن آدم عليه السلام جامع امرأته حواء فولدت له قابيل فقالت استفدت لله رجلًا ثم ولدت هابيل أخاه، فكان قابيل حراثًا وكان هابيل راعي غنم فقرّبا قربانًا من هابيل ولم يتقبّل من قابيل فقتل أخاه هابيل. (قتي، خبط، ٩، ٧)

قانون

- تاريخ فيلفس والد الإسكندر وهو على سني القبط وكثيرًا ما يستعمل هذا التاريخ من ممات الإسكندر الماقدونيّ البنّاء وكلا الأمرين متّفقان، إلّا أنّ الاختلاف واقع في الاسم لأنّ القائم بعد الإسكندر البنّاء كان فيلفس فسواء كان التاريخ من ممات الأوّل أو كان من قيام الآخر لأنّ الحالة المؤرَّخة هي كالفصل المشترك بينهما. ولُقِّب العاملون على هذا التاريخ بالإسكندرانيِّين وعليه بنى ثاون الإسكندرانيُّ زيجه المعروف بالقانون. (بير، بقي، ٢٨، ٩)
- القانون قضية تعبّر عن العلاقة الثابتة بين مجموعة من الوقائع السابقة التي تتلوها بالضرورة وقائع لاحقة لا تتخلّف عنها أبدًا. ولتقرير هذه العلاقة لا بدّ من الفصل بين الوقائع السابقة والوقائع اللاحقة من ناحية، وبين مجرى العوامل والأحداث الأخرى وهي عديدة جدًّا ومشتبكة كل الاشتباك. فإذا ما نظرنا إلى الأحداث التاريخية، وجدناها في غاية التعقيد والتركيب والاشتباك بحيث يصعب جدًّا استخلاص العلاقات الثابتة بين مجموعات منها، كما هي الحال في الظواهر الفزيائية. وهذا يفسّر أن من المستحيل على المؤرّخ أن يقرّر روابط ثابتة بين الأحداث التاريخية بحيث تقع النتائج بالضرورة كلما تحقّقت الأسباب. ولهذا لا نجد في التاريخ حوادث متشابهة تمامًا، والحادث التاريخي الواحد لا يتكرّر أبدًا. (علف، فت، ٢٢٣، ٩)

قاهرة

- القاهرة التي يعاني بها شدّة سطوة. وهذه كاسرة من سورة البأس، وذاهبة بقوة المنعة، لما ينشأ عن ذلك من التكاسل في النفس المقهورة. (أزر، بدع١، ٧٤، ١٠)

قاهرة محروسة

- القاهرة المحروسة تشتمل على سور معظّم قيل إن قراقوش أمر بعمارته وبه أبواب عديدة محكمة، وبالقاهرة من العمارات الحسنة والأسواق مما يطول شرح ذكره وبها بيمارستان أمر بعمارته الملك المنصور وقرّر وقفه في كل سنة أربعين ألف مثقال ذهب أفرد من ذلك لعمارته وخدّامه أربعة آلاف، وقرّر مصروفه في كل

يوم مائة مثقال، ولم أعلم ما هو عليه الآن. والقاهرة مع ما يضاف إليها من جزيرة الفيل ... تضاهي مدينة دمشق. (شاه، زبد، ٢٩، ٥)

قايين

- كان آدم وحواء عاريَين بغير لباس ولم يستحِ أحدهما من الآخر حتى دخل الشيطان في الحية وخدعت حواء فأكلت من الثمرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها وأعطت أيضًا آدم بعلها فأكل. فانفتحت أعين قلبيهما وأحسّا بالعُري فاستحيا واتّزرا بورق التين وأُهبط بهما من جنة عدن إلى الأرض على تسع ساعات من نهار الجمعة وكانت خلقتهما في الساعة الأولى من هذا النهار بعينه. وقد اختلفت علماؤنا في أمر الثمرة المنهي عنها فقال قوم إنها البُرّ وقال آخرون إنها العنب وقال الأكثرون إنها التين وغريغوريوس النوسويّ يزعم أنها رمز إلى القوة الشهوانية والنازينزيّ يرى أنها رمز إلى المراء في ذات الله وصفاته. وعلى رأي مار ثوديوس بعد ثلاثين سنة للانتفاء من الجنة باشر آدم حواء فولدت قايين وقليميا أخته توأمين. وبعد ثلاثين أخرى غشيها فولدت هابيل ولبوذا أخته توأمين. وبعد سبعين سنة أخرى حاول آدم تزويج كل واحد منهما بتوأمة أخيه. فأبى قايين طالبًا توأمته ولأجل ذلك قرّب قربانًا من ثمار أرضه لكونه فلاحًا فلم يُقبل لفساد طريقته. ورفع هابيل قربانًا من أبكار غنمه لكونه راعيًا فقبُل لحسن سيرته. فأسرّ قايين عداوة أخيه فقتله غيلة واستوطن أرض نوذ الخارجة عن حدود ولد أبيه. وحزن آدم على هابيل مائة سنة. ثم عاد مفضيًا إلى حواء فولدت شيث والماضي من عمر آدم يومئذٍ على رأي الاثنين والسبعين حبرًا الذين نقلوا التوراة وكتب الأنبياء لبطليموس ملك مصر قبل مجيء السيد المسيح لذكره التبجيل كما سيأتي شرح ذلك في موضعه مائتان وثلاثون سنة. وعلى رأي التوراة التي بأيدي اليهود بعد مجيئه مائة وثلاثون سنة. وجميع أيام آدم على الرأيين تسعمائة وثلثون سنة. (عب، خصر، ٥، ١٤)

قبة

- القبة: هي قبة كانوا إذا خرجوا إلى حرب ضربوها وجمعوا فيها ما يجهزون الجيش به، أشبه بما يسمّى عندنا بالمهمات الحربية. (زي، مدن١، ٣٨، ١٩)

قبط قدماء

- السنة الشمسيّة التي هي ثلثمائة وخمسة وستون يومًا وربع يوم بالتقريب وصيّروا سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يومًا وألحقوا الأرباع في كلّ أربع سنين يومًا حين انجبرت، وسمّوا تلك السنة كبيسة لانكباس الأرباع فيها، وأمّا القبط القدماء فكانوا يعملون على ذلك غير أنّهم يتركون الأرباع حتّى يجتمع منها أيّام سنة تامّة وذلك في ألف وأربع مائة وستّين سنة ثمّ

يكبسونها سنة واحدة. (بير، بقي، ١٠، ١٧)

قبلة

- قبلة أهل أرمينية وآذربيجان وبغداد وواسط والكوفة والمدائن والبصرة وحُلْوان والدينَوَر ونهاوَنْد وهَمَذان وإصْبَهَان والرَّيّ وطَبَرِسْتان وخُراسان كلّها وبلاد الخَزَر وقَشْمِير الهند إلى حائط الكعبة الذي فيه بابها وهو من القطب الشماليّ عن يساره إلى وسط المشرق، وأما التُّبَّت وبلاد الترك والصين والمنصورة فخلف وسط المشرق بثمانية أجزاء لقرب قبلتهم من الحجر الأسود، وأما قبلة أهل اليمن فصلاتهم إلى الركن اليمانيّ ووجوههم إلى وجوه أهل أرمينية إذا صلّوا، وأما قبلة أهل المغرب وأفريقية ومصر والشام والجزيرة فوسط المغرب وصلاتهم إلى الركن الشاميّ ووجوههم إذا صلّوا إلى وجوه أهل المنصورة إذا صلّوا، فهذه قِبَل القوم والنحو الذي يصلُّون إليه. (خرد، مسلك، ٥، ٧)

قبيلة

- الوحدة في البادية هي القبيلة، وهي وحدة يربط بينها الدم والعصبية، ويعتبر من أفراد القبيلة هؤلاء الضعاف أو العبيد الذين يلجأون للقبيلة ويعيشون في جوارها وحمايتها ولو لم تكن بينهم وبين القبيلة صلة دم. وقد تطغى قبيلة على أخرى وتغلبها على أمرها فيخضع المغلوب للغالب لمدّة قصيرة أو طويلة، حتى يتاح للقبيلة المغلوبة من أبنائها من يشهر السيف في وجه الغالبين ويكسب لقبيلته استقلالها. (شل، سلم، ٩١، ١٠)

- العناصر التي انحدرت من أصول عرقية غير عربية، وأغلبهم من الأرقّاء الذين تحرّروا أو الأسرى الذين فكّ عنهم أسرهم، قد جرى إلحاقهم بالقبائل العربية، باعتبار القبيلة هي الوحدة واللبنة الأولى في ذلك المجتمع، وهم بعلاقة "الولاء" هذه قد أدمجوا في القبائل العربية، وصار لهم ما لإبنائها من حقوق وعليهم مثل ما عليهم من واجبات. (عم، وعى، ١٣٢، ١٥)

قبيلة عربية

- القبيلة العربية تخضع لدستور صارم نظّمته التقاليد والعرف، وخلاصة هذا الدستور أن يحسّ الفرد برابطته القبلية، ويلتزم بتأييد مصالحها، والعمل لها بكل ما يملك من قوة، وأفراد القبيلة جميعًا متضامنون فيما يجنيه أحدهم تضامنًا حازمًا، تلقى مسؤوليته على سيّد العشيرة الذي عليه أن يتحمّل التبعة، وله - من أجل هذا - حق الطاعة على أفراد القبيلة. وسيّد القبيلة يُختار من بين من تجمّعت فيهم صفات الشجاعة والكرم والحلم، أو قل إن الامتياز في هذه الصفات يفرض صاحبة ليكون سيدًا للقبيلة، وقد يجيء لرئيس القبيلة ابن يعدله في الشرف والسؤدد وحينئذٍ يستطيع أن يرث مكانه أبيه، وإذا

تكرّرت رياسة القبيلة في بيت من بيوتها عرف هذا البيت بالمجد والجاه. ومسؤوليات سيّد العشيرة أو رئيس القبيلة أكثر جدًّا من حقوقه؛ فهو في السلم جوّاد كريم مسؤول عن إكرام الضيوف الوافدين. وإغاثة المحتاجين من أبناء القبيلة، وإجارة المستجير، وهو في الحرب يتقدّم الصفوف ويساعد من عتاد له، وهو يتحمّل باسم القبيلة تبعة ما قد يرتكبه أفراد القبيلة من أخطاء، ولكن إذا ارتكب فرد من أفراد القبيلة جرمًا ترفض القبيلة أن تتحمّل نتائجه، أو إذا أخطأ في حقّ قبيلته نفسها، فإنه يطرد منها، ويسمّى هذا الطرد خلعًا ويسمّى الطريد خليعًا. أما حقوق رئيس القبيلة فهي الطاعة المطلقة على كل أفراد القبيلة، وليس لدى رئيس القبيلة قوة مادية يرغم بها أفراد القبيلة على الطاعة، وإنما هي التقاليد والعرف، وللبدوي أن يتمرّد على أي قرار يتّخذه رئيس القبيلة ولكن عليه في هذه الحال أن يدع القبيلة وأن يهجرها هجرًا تامًّا، وكثيرًا ما لجأ البدوي إلى هذا التصرّف، فإن أهم ما يمتاز به البدو عدم الخضوع، فالحرية عند البدوي هي خير ما يعتزّ به، ولا يستطيع أن يتنازل عن أي جزء منها لقاء أي شيء. (شل، سلم، ٩١، ١٧)

قراءة التاريخ

- إن قراءة التاريخ تضيف لقارئه عمرًا ثانيًا، وأنها من ثم تضاعف العمر، لأنها تضيف إلى عمر القارئ عمر الشعوب والقادة والأبطال الذين قرأ تاريخهم، عن طريق إكسابه خبراتهم، وجعله يعيش ما عاشوا من أحداث ووقائع وأيام. ولما كان كلام أسلافنا القدماء عن "قارئ" التاريخ، فإننا نستطيع أن نضيف هنا: أن "الوعي" بالتاريخ يكسب أصحابه إلى جانب عمرهم وعمر أسلافهم، أيضًا عمر الأجيال التي لم تأت بعدا!. لأن "الوعي" بالتاريخ تتجاوز فائدته وثمراته حدود الاستفادة بهذا "الوعي" في حياتنا الحاضرة وبناء واقعنا المعاش، إلى التأثير في المستقبل، القريب منه والبعيد، ومن ثم فنحن نضيف إلى أعمارنا - إذا "وعينا" تاريخنا - أعمار الأقدمين، ونسهم كذلك في زيادة أعمار الأجيال القادمة، بما نضعه على دروبها من أضواء، وما نقدّمه لتجاربها وخبراتها من إضافات. (عم، وعى، ١٧، ٢)
- الفروق الجوهرية بين "قراءة" التاريخ، وبين "الوعي" بهذا التاريخ، من الوضوح لدى أصحاب الثقافة التاريخية إلى الحدّ الذي يجعلنا نمرّ عليها دون إفاضة في الحديث، فإننا نودّ أن ننبّه إلى أن قضية "الوعي" بالتاريخ لا تتطلّب فقط "ذكاء" الدارس والباحث والمؤرّخ، وقدرته على "الفهم" والتحليل، وإنما لا بدّ لهذه المهمة من الارتكاز على منهج علمي في دراسة التاريخ وتناول صفحاته وأحقابه وأحداثه والعلاقات التي تربط ربطًا موضوعيًّا وجدليًّا بين ما يراه البعض ركامًا من الأحداث، ومن ثم اكتشاف الروح السارية دائمًا والنامية أبدًا في هذا التاريخ،

ودرجة النموّ واتجاه السير، وعلاقات ذلك بالقوى الاجتماعية والتيارات القومية والتأثيرات الداخلية والمؤثّرات الخارجية، وعوامل المدّ والتصاعد وقوى الجذر والهبوط التي اعترضت وتعترض مسار الأمم والطبقات في هذه المسيرة التي لا زالت زاحفة والتي بدأت مع بدء الإنسان ممارسة الحياة. (عم، وعى، ١٧، ١٥)

قراءة الخطوط

- علم قراءة الخطوط Paleography، فهو علم لازم لدراسة التاريخ القديم والوسيط، بل ولدراسة الفترات المبكرة من التاريخ الحديث، وتبدو لنا أهمية هذا العلم واضحة جلية حين نتصدّى لدراسة تاريخ الشرق القديم وتاريخ اليونان والرومان وتاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ العصور الوسطى وتاريخ الشرق الأدنى الحديث حتى القرن التاسع عشر. ونحن نستطيع عن طريق هذا العلم أن نحدّد تاريخ أية وثيقة غير مؤرّخة تعرض لنا تحديدًا مضبوطًا بمجرّد النظر إلى الخط الذي كتبت به وخصائصه، وليس ثمّة شكّ في أن معلوماتنا سوف تظلّ قاصرة عن قرون كاملة وطويلة من تاريخ البلاد التي خضعت للعثمانيين، ما لم يوجد من يدرس خط القيرمة مثلًا. (علف، فت، ١٣٤، ١٤)

قربان

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٤، ١٥)

قرون متوسطة

- القرون المتوسطة هي الزمان الذي مرّ بين سقوط السلطنة الرومانية ونشأة الممالك

الكبيرة الحديثة منذ غارة الجرمانيين في بدء القرن الخامس للميلاد إلى افتتاح الأتراك للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، وفيها تقدّمت صناعة الهندسة البنائية على طرز جديد وتأخّرت الآداب والمعارف وقامت بدل الملكيات والجمهوريات المعروفة حكومات من نوع مخصوص دعيت بحكومات الشرفاء، فكان الملوك لا سطوة لهم والحكومات المحلية لا هادي لها ولا مراقب عليها والبلاد لا تخوم مقرّرة لها. ولم تكن ثم وحدة إلا وحدة الدين ولذلك كانت الحروب الكبرى التي انتشبت في تلك الأزمان دينية محضة كحرب الصليبيين في فلسطين والمغاربة في إسبانيا والهراطقة في البيجوا والوثيين في البلطيق. (مط، مرأ، ٢٥٧، ٨)

قرى

- القرى، أما القرى فقد كان سكانها الفلاحين من أهل البلاد الأصليين، ويسمّونهم "أهل الخراج"، فهؤلاء يعملون بالأجرة أو شركاء لأصحاب الأملاك من الخلفاء أو الأمراء، أو من ينتمي إليهم من الأعيان، وخصوصًا الدهاقين في العراق وفارس، وهم أصحاب الإقطاعات الكبرى قبل الإسلام. فلما كان الإسلام تقرّب أولئك الدهاقين من الحكومة بأموالهم ونفوذهم في أهل بلادهم. ويندر أن يكون للفلاحين ملك خاص بهم لأسباب. (زي، مدن٢، ١٧٤، ١١)

قريش

- كان لليهود تأثير عظيم على عرب الحجاز من حيث الآداب الدينية وطقوسها، فاقتبس العرب منهم أمورًا كثيرة كانوا يجهلونها، كالحجّ والذبائح والزواج والطلاق والكهانة والاحتفال بالأعياد ونحوها. وعلّموهم بعض أقاصيص التوراة وفصولًا من التلمود، ونشروا بينهم كثيرًا من تقاليدهم وعاداتهم. وقد يكون بعض تلك الآداب أو الطقوس متسلسلًا إليهم مما كان عند أسلافهم في الجاهلية الأولى، فضلًا عمّن هاجر إلى الحجاز من أهل اليمن وغيرهم من الأمم التي كانت تحيط بجزيرة العرب: كالكلدان والمصريين والأحباش وغيرهم، فأصبح أهل الحجاز بعد ذلك الاختلاط فئتين: أهل البادية الباقين على الفطرة وهم العرب الرحل. وأهل المدن المقيمين في مكّة والطائف والمدينة وهم الحضر وكانت مكّة أشهر مدن الحجاز لاتّخاذها محجًّا يؤمّه الناس من أقاصي البلاد لزيارة الكعبة. فأصبحت بتوالي الأجيال مركزًا للتجارة لمن يتوافد إليها من الحجاج في المواسم كل عام. فطمحت إليها أنظار أهل السلطة من القبائل القوية. وكانت في أوائل أزمانها في حوزة الحجازيين بني إسماعيل وهم سدنة الكعبة أي حجابها. ثم نزح إليها بنو خزاعة من اليمن بعد سيل العرم نحو القرن الثاني للميلاد وتسلّطوا عليها، وغلبوا الحجازيين عليها بما تعوّدوه من السيادة في عهد دولتهم باليمن. وكان الإسماعيليون (أو العدنانيون) يومئذٍ ضعافًا

لا يقوون عليهم، ولكن ناموس الاجتماع قضى عليهم كما قضى على سواهم فدارت الدائرة بعد عدّة أجيال على بني خزاعة وضعف أمرهم، وقوي أمر العدنانية. فتفرّع منهم كنانة وتشعّب من كنانة قريش. (زي، مدن١، ٣٣، ١٧)

- كانت منزلة قريش من سائر قبائل العرب مثل منزلة اللاويين من بني إسرائيل. ولهم مثل امتيازاتهم، وهي تشبه امتيازات الكهنة في النصرانية. وكانوا لا يؤدّون أتاوة ولا يتكلّفون دفاعًا. يحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد. وكانوا يتزوّجون من أية قبيلة شاءوا ولا شرط عليهم في ذلك، وكانوا لا يزوجون أحدًا إلا اشترطوا عليه أن يكون متحمّسًا لدينهم - "التحمّس التشدّد في الدين" - وقد فرضوا فروضًا ألزموا الناس باتّباعها. (زي، مدن١، ٣٤، ٢٥)

- كانت قريش كما قدمنا حضرًا أهل تجارة، وتجارتهم قائم أكثرها على الحجاج الذين يردون مكّة في المواسم. فكان من مقتضيات مصلحتهم تسهيل طرق القدوم وترغيب الناس في الحجّ. وفي جملة ما بعث القبائل على زيارة الكعبة، أنه كان لكل قبيلة منها صنم خاص بها، تأتي في المواسم لزيارته والذبح له حتى زاد عدد الأصنام في الكعبة على ثلثمائة صنم وفيها الكبير والصغير، ومنها ما هو على هيئة الآدميين أو على هيئة بعض الحيوانات أو النباتات. (زي، مدن١، ٣٦، ١٦)

قسيس

- البَطْرَك، وهو رئيس الملّة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه إلى ما بَعُدَ عنه من أمم النصرانية، ويسمّونه الأسقف أي نائب البطرك. ويسمّون الإمام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس. ويسمّون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب. (خلد، قدم، ٦٥٩، ٢)

قصة

- التأريخ أي الإحساس بمرور الزمن والأحوال عبر جيل بعد جيل وتسجيل ذلك الإحساس على صورة من الصور (قد تكون أسطورة أو قصة أو نسبًا أو أغنية أو نقشًا أو سجل أحداث) هو ممارسة إنسانية تتعمّق وتتبلور مع الارتقاء في الدرجة الحضارية. وعرب ما قبل الإسلام لم يكونوا بعيدين عن التأريخ، وكل جماعة منهم كان لها على طريقتها وبمقدار سويتها الحضارية تأريخها الخاص بعضه مدوّن أو منقوش وبعضه شفهي. وهو تراث واسع من الكتابات والنقوش والأخبار العديدة جدًّا والمتفاوتة في الأهمية تفاوتها في الصحة والصدق، وما كانت كلها بالطبع مدوّنة بلغة قريش والقرآن الكريم. (مص، رخ١، ٥٢، ١١)

قصص

- ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا

يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يُقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشَّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ

(يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماء مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابُع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعلّ قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز، وهو سيّج المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولّعة بحبّ العاجل. ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق. فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرَّم، ولا ملك معظَّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعرًا:

وهل أنا إلّا من غَزِيَّة إن غوَتْ
غويتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧). فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها. (أث، كمل، ٩، ١)

قصص الأنبياء

- فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد: سيرة نبينا صلى الله عليه وسلّم. قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تاريخ الصحابة رضي الله عنهم. تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بني أمية، وبني العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر. تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياسرة ومعهم ملوك الإسلام: كابن طولون، والأخشيد، وابن بويه، وابن سلجوق ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لُقّب بالملك. تاريخ الوزراء أولهم: هارون عليه السلام، وأبو

بكر وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل في الأنبياء، وفي الخلفاء، وغير ذلك، وفي الملوك. تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب المماليك، وكبار الكتاب. ومنهم من الموقعين، وبعضهم أدباء وشعراء. تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة، والفرضيين. تاريخ القراء بالسبع. تاريخ الحفاظ. تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. تاريخ المؤرخين. تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحُسَّاب. تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك. تاريخ القضاة، والولاة ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء. تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء. تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين. تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء. تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك. تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة. تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة، والرافضة، وغير ذلك. تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء. تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها. تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوي الحمق والخيلاء، والسفهاء. تاريخ الأضراء، والزمني، والصم، والخرس، والحدبان. تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين والمشعوذين. تاريخ النسّابين، والإخباريين، والأعراب. تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة. تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين. تاريخ أولي الصنائع العجيبة، والرشقين في أشغالهم، واقتراحاتهم، وتوليدهم فنون الأعمال. تاريخ الرهبان، وأولي الصوامع، والخلوات والأحوال الفاسدة. (جو، نظم، ١٠، ٩)

قصص الأيام

- كانت قصص "الأيام" مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية، وهي ملك مشترك للقبيلة، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حين جمعت هذه الروايات وصنّفت. ولكننا يلزمنا أن نلاحظ أن فترة صدر الإسلام، بتياراتها السياسية والاجتماعية، أثّرت أثرها في أدب "الأيام". كما أن روايات "الأيام" مرتبكة من ناحية التوقيت وهي على العموم لا تخلو من عصبية وتمثّل جانبًا واحدًا. ثم أنها ينقصها التآلف والسبك وليست فيها فكرة تاريخية. ومع ذلك فإنها تحوي بعض الحقائق التاريخية. وأهميتها الأساسية هي في أنها استمرّت في صدر الإسلام وقد أثّر أسلوبها على بداية علم التاريخ وخاصة في العراق. (دو، نشأ، ١٦، ٢٠)

- صارت (قصص) "الأيام" جزءًا من

الأخبار التاريخية، كما أن ورود الشعر فيها جعلها موضع اهتمام اللغويين والنسابين والمؤرّخين (مثل أبي عبيدة، وابن قتيبة، والمدائني والأغاني وابن عبد ربه). وقد حاول ابن الأثير أن يورد أخبار الأيام في تسلسل تاريخي. ويرى حاجي خليفة أن تكون "الأيام" فرعًا من التاريخ، إذ يقول "علم أيام العرب وهو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب... والعلم المذكور ينبغي أن يجعل فرعًا من فروع التواريخ". إن أهمية روايات "الأيام" هي في استمرارها في صدر الإسلام وفي أسلوبها. فأسلوب قصص الأيام مباشر يفيض بالحيوية، وواقعي يختلط فيه النثر بالشعر. وهذا الأسلوب له أثره في بداية علم التاريخ عند العرب وخاصة في الأوساط القبلية. (دو، نشأ، ١٧، ٩)

قصص تاريخي

- أفرز الخيال الشعبي قصصًا خياليًا يمتدّ بين الأسطورة وبين ألف ليلة وليلة فإنّه أنتج بين هذا وذاك قصصًا تاريخيًا أيضًا غرضه الأسمار والتثقيف والوعظ والتبسيط. وقد ذكر ابن النديم عشرات من هذه المؤلّفات القصصية التاريخية التي كان يشترك أحيانًا في تأليفها بعض المؤرّخين المعروفين كعمر بن شبة والهيثم بن عديّ وأحمد بن أبي طاهر والجهشياري. أو كانت تنسب إلى مؤرّخين معروفين كقصص الفتوح المنسوبة للواقدي أو يضعها الوراقون والمصنّفون بأسماء وهميّة. (مص، رخ١، ٢٩٧، ٢٣)
- القصص التاريخي: ظاهرة نجمت دون شكّ عن ازدياد الاهتمام الشعبي بالتاريخ وعن وصول هذا الاهتمام إلى الطبقات الدنيا في المجتمع الإسلامي. وإذا كان الوعّاظ من جهة والسُّمار من جهة أخرى وأنصار الفرق الدينية من جهة ثالثة هم الذين سطوا على المعلومات التاريخية أول الأمر، واستخدموها في الوعظ والسمر ودعم الآراء الدينية المتناحرة فلا شكّ أن وجود وتكاثر جمهور التاريخ في ذلك المجتمع هو المسؤول عن اتّساع ذلك الاهتمام وعن ظهور العديد من الكتب نصف التاريخية حيث يمتزج الوهم بالتاريخ ويختلط الخيال والأسطورة بالمعطيات الواقعية. (مص، رخ١، ٣٧٥، ٣)

قصص تاريخي في القرآن

- من الدوافع العملية لدراسة التاريخ توفّر المادة التاريخية والقصص التاريخي في القرآن، مما دفع مفسّري القرآن إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه، وقد أصبح الاهتمام بالمادّة التاريخية، على مرّ الزمن، أحد فروع المعرفة التي تمّت بالارتباط بالقرآن. (روز، علم، ٤١، ٥)

قصص المجالس

- قصص المجالس وما يتّصل به من شعر

وجد طريقًا إلى كتاباتهم (الإخباريين)، وهذا يصدق بالدرجة الأولى على نصر بن مزاحم الذي يورد كثيرًا من الشعر المصنوع ويقتفي بوضوح - في صفين - أسلوب قصص المجالس، وهذه بدورها استمرار لقصص الأيام. ويمكننا ملاحظة شيء من أثر الأسلوب القصصي في إخباريين آخرين مثل سيف بن عمر وأبي مخنف وعوانة. كتب هؤلاء الإخباريون بأسلوب سهل مباشر، وأعطوا أحيانًا صورًا قلمية حية للحوادث. وحين يكتبون عن المعارك نجدهم يوردون الشعر والخطب والحوار خلال أخبارهم. ونجد القصة عادة متسلسلة في كتاباتهم، كما نحسّ أحيانًا بنبرة أسلوب قصص الأيام فيها. وبعد هذا فإن الإخباريين يمثلون مرحلة انتقال بين فترة سابقة ينعدم فيها الإسناد وبين أسلوب المحدّثين الدقيق في إسناده، إذ أنهم يبدون كثيرًا من الحرية وأحيانًا التساهل في استعمالهم للإسناد. فنجد سلاسل إسناد منقطعة، أو حالات لا يذكر فيها إلا الاسم الأول للراوي. (دو، نشأ، ١٢٥، ٤)

قصص وعظي

- نرى بوضوح وجود تيّارين في الرواية التاريخية بمصر في ذلك الوقت المبكر: - تيّار الخبر الإسلامي الذي يستعير فترة بعد أخرى الكثير من التراث المصري التاريخي. وقد حمله بعض الصحابة والتابعين، في ما يمكن أن نسمّيه مدرسة الفسطاط وكانت المادة الأساسية له فتوح مصر والمغرب يمازجها الكثير من تاريخ مصر القديم بشكله الأسطوري. - تيار القصص الوعظي الذي يخدم الفكر الديني الإسلامي وإن كان يعتمد على الخرافة والأساطير والملاحم، وقد حمله من عرفوا في التاريخ الأدبي "بالقُصّاص". وفيهم عدد من "المحدّثين" ومن "القضاة"، من التابعين وتابعي التابعين.. والمادة الأساسية لهذا التيّار مستمدّة من القصص الشعبي وأخبار النسك والجان والعجائب والكهانة والأنبياء والسحر والطلاسم الأثرية.. كل ذلك في ثوب إسلامي يتّفق مع تأصيل ومعطيات الدين الجديد. وقد تعاصر ظهور التيارين ثم توازيا في الوجود خلال القرن الهجري الأول ومطلع الثاني، لكن اتّجاه التيّار الثاني القصصي إلى العامة سحب بالتدريج الثقة العلمية منه. (مص، رخ٢، ١٤٤، ١٤)

قضاة

- قضاة القضاة أعظم الأركان وقعًا وأعمّها نفعًا، وعليهم مدار مصالح الأمّة عقلًا وشرعًا، والقصد بهم نصب ميزان المعدلة في الأحكام، وفصل القضاء بين الأنام عند الخصام، وبسط بساط التناصف بين الخاصّ والعامّ في النقض والإبرام، ولن يتمّ هذا المقصد من مباشرة إلا إذا كان كثير من أخلاق النبوّة من صفاته من متانة دين تنزعه عن موارد الهوى ومصادرة

وغزارة يهتدي بنوره في باطن كل أمر وظاهره وعفّة نفس تحميه عن مواقف التُهَم، وشرف همّة تحمله على اكتساب مكارم الشيم، ونزاهة تقي عرضه أن يتّهم في ما حكم، وأن يكون متضلّعًا من معرفة آداب القضاء، متحلّيًا بتجربة قد كشفت له حقائق الأشياء، رحيب الصدر ثابت الرأي، لا يتزعزع حصانه إذا طاشت ثوابت الآراء، متردّيًا بجلباب الوقار، متدرّعًا بشعائر النزاهة عن الأكدار، متجنّبًا لفعل كل ما يحوج إلى الاعتذار، سالك السُنَن القويمة. (شاه، زبد، ٩٠، ٨)

- القضاة والعلماء هم العالمون بالشريعة الواضحة التي جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشرّعها، والحجّة القاطعة التي دحض بها شبه المبطلين وقطعها، والطريقة المثلى التي بناؤها على قاعدة الوحي والتنزيل ووضعها، والحقيقة العليا التي أعلاها الله على جميع الشرائع والملل ورفعها، فهي سبيل تفضي بسالكيه إلى الصراط المستقيم، ودليل يهدي متّبعيه إلى الفوز العظيم، لها حُماة وحملة فحماتها الملوك وحملتها العلماء. (شاه، زبد، ٩١، ١)

قفر

- إن تحديد الحقل الجغرافي - التاريخي الخلدوني قد أظهر أهمية القفر: فهو بمثابة احتياطي من الرجال الأشدّاء المحاربين بطبيعتهم، تربطهم أواصر وثيقة من العصائب. وقد سبق للمعلّقين على المقدّمة أن سجّلوا دور بدو الصحراء، إلا أن الجبل يلعب أيضًا دورًا هامًّا. ومن ثم فإن نظرية التاريخ الخلدونية المبنية على العصبية، لا ترجعنا فقط إلى عصبية القفر، بل تحيلنا كذلك على عصبية الجبل. فكلاهما ينتجان رجالًا، مهما اختلفوا من الناحية الاجتماعية، فإن المقارنة بينهم ممكنة لكونهم جميعًا يعيشون في هياكل من العصائب القوية. وهذا التناظر بالذات، ينفي صحة التعارض المعتاد: رحل ومقيمون (حضر)، الذي كثيرًا ما يُزعَم بأنه مفتاح مفهوم التاريخ عند ابن خلدون، بل ومفتاح تاريخ المغرب. ذلك أن أهل الجبل، رغم انتجاع بعض قبائلهم، هم مقيمون، إلا أنهم يضطلعون، مثل رحل القفار، بحماية أنفسهم، والحفاظ على استقلالهم، وأحيانًا يؤسّسون دولًا. (أوم، نهج، ١٤٣، ٢١)

- العمران يناقض "القفر" (أي المكان الذي لا أثر فيه لحياة اجتماعية إنسانية)، صحيح أن الكاتب يستعمل كلمة "قفر" و"قفار" للتحدّث عن البدو، غير أن المجتمع الوحشي بالرغم من كونه طبيعيًّا، ليس تام الإنسانية، لأنه يفتقر إلى عنصر السياسة مثلًا. فالعمران، بهذا المعنى - وهو المعنى الأساسي - هو موضوع الكتاب الأول من ديوان العبر، أي: المقدّمة، التي تحمل العنوان التالي: "الكتاب الأول في طبيعة العمران". حيث يدرس الكاتب مختلف أنواع المجتمعات الإنسانية

"البدوية" و"الحضرية". (أوم، نهج، ١٩٧، ٤)

قلم

- لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألهم القلم أن يجري بما أراد وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة واسطةً بينه وبين رسُله وأرسلَه واسطةً بينه وبين خلقه. (بلخ، بدا، ١٦١، ١٠)
- اختلفوا في السيف والقلم أيهما أفضل وأولى بالتقديم، فقوم يرون أن يكون القلم غالبًا للسيف، واحتجّوا على مذهبهم بأن السيف يحفظ القلم، فهو يجري معه مجرى الحارس والخادم، وقوم يرون أن يكون السيف هو الغالب، واحتجّوا بأن القلم يخدم السيف، لأنه يحصل لأصحاب السيوف أرزاقهم، فهو كالخادم له. وقوم قالوا: هما سواء، ولا غنى لأحدهما عن الآخر. قالوا: المملكة تخصب بالسخاء، وتعمر بالعدل، وتثبت بالعقل، وتحرس بالشجاعة، وتساس بالرياسة. (طق، فخر، ٣٤، ١٣)
- السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره. إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشدّ من الحاجة إلى القلم؛ لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفّذ للحكم السلطاني؛ والسيف شريك في المعونة. وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها ... ويقلّ أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدّمناه، فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم في حماية الدولة، والمدافعة عنها، كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها. فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين، ويكون أرباب السيف حينئذٍ أوسع جاهًا وأكثر نعمة وأسنى إقطاعًا. وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهّد أمره، ولم يبق همّه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له في ذلك؛ فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع أغمادها، إلا إذا نابت نائبة أو دعيت إلى سد فُرْجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها. فيكون أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاهًا، وأعلى رتبة، وأعظم نعمة وثروة، وأقرب من السلطان مجلسًا، وأكثر إليه تردّدًا وفي خلواته نَجِيًّا. (خلد، قدم، ٦٩٥، ١٢)
- أما القلم: ففي وسط الدولة، حيث يستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف، لما تمهّد من أمره وما انصرف إليه همُّه من تحصيل تراث الملك في ضبط الجباية وتنفيذ الأحكام. والقلم هو المعين له في ذلك، والمعتمد فيه عليه. ففي هذه الحالة التي اشتدّت فيها الحاجة إليه يكون أربابه أوسع جاهًا ونعمة، وأعلى رتبة ومكانة، وأقرب من السلطان مجلسًا، وأكثر إليه تردّدًا، وفيها يستغني عن الوزراء وحملة السيوف. ويبعدون عن باطن السلطان،

ويحذرون على أنفسهم من بوادره. (أزر، بدع٢، ٧٤٧، ١٢)

قلم من حديد

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٥، ١٦)

قمر

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٤)

قنقل

- كانت الأكاسرة إذا ورد عليها رسل ملوك

العرب والروم أمرت بتعبئة الجيش في عشر كتائب، كل كتيبة عشرة آلاف فارس، بالجواشن المذهبة، والحراب اللامعة، والدروع المفرغة، والأعلام المذهبة، من ساباط المدائن إلى الإيوان. ثم يُمرّ بالرسل على كتيبة كتيبة. حتى إذا أشرفوا على باب الإيوان رُفع لهم عنه. وكانا إيوانين متقابلين بينهما فسيح من الأرض، وفي وسط ذلك قبلة من الأرجوان ارتفاعها عشرون ذراعًا مغشّاة بأجلّة الديباج المنسوج بالذهب الأحمر، وفيها جامعات من البلّور الأحمر والأبيض، وأنواع الأصباغ وفي وسطها سلسلة من الذهب، معلّق في طرف تلك السلسلة القنقل؛ وكان تاجًا كعمامة الرجل مرصّعة بالدرّ والجوهر والياقوت الأحمر. وكان الملك يجلس تحت تلك القبة والتاج معلّق على جبينه، وفي طرف السلسلة من الذهب سلسلة من النحاس مطروحة خارج الإيوان، فإذا أتى المتظلّم يأتي إلى السلسلة النحاس فيحركها، فيتحرّك التاج المعلّق على رأسه، فيعلم كسرى أنّ متظلّمًا ببابه، فيأمر الحجّاب فيأتون به فيوقفونه بين يديه فينصفه ممّن ظلمه. وكان الملك يُقيم عن يمينه مئة غلام من أولاد الملوك قد ألبسهم الديباج الملوّن من الثياب والقراطق. وفي أوساطهم مناطق الذهب الأحمر مرصّعة بأنواع الجواهر، وعن شماله أولاد المرازبة عليهم القراطق، وفي أوساطهم المناطق، بأيديهم أعمدة الحديد المذهبة. وكان الملك يُقعد أربعين جارية مختارات عشرين عن يمينه وعشرين عن شماله، بأيديهنّ الملاهي في أحسن زينة وأكمل زيّ، والتراجمة بين يدي الملك. فإذا وقفت الرسل بين يدي الملك أمرت بالجلوس فتبادرت إليهم الحجّاب بكراسي الذهب والفضّة فيجلسون عليها ويؤدّون الرسالة وينصرفون. (ز، ذخر، ١٢٨، ١)

قواعد الإسلام

- (قواعد الإسلام) القواعد الأساسية التي قام عليها الإسلام تدعو إلى الإنصاف والرفق، ولكن تطبيق هذه القواعد اختلف باختلاف الذين يتولّون شؤونها. (زي، مدن٢، ٣٠، ١٠)

قواعد علم التاريخ

- أما إذا أُريد منها قواعد علم التأريخ، ففيه غنى عن مثل هذا الاعتذار، بناء على أن مسائل العلم أعمّ تحقيقًا من قواعده. وقد نصّ على ذلك في موضعه، وأنه علم كسائر العلوم المدوّنة، كالفقه والنحو والبيان وغير ذلك. فثبت الاحتياج إليه، كما ثبت الاحتياج إلى ما عداه من العلوم، وأنه واجب علمه على سبيل الكفاية كوجوب سائر العلوم، لضبط زمن المبدأ والمعاد وما بينهما، على أحسن ما يكون. وأما استغناء الأوائل عن تدوينه فهو لا يقدح في وجوبه، كما لا يقدح في وجوب سائر العلوم، مع أنهم في زمان صدق وصفاء، عارفون ما سنح لهم من الأمور والوقائع، فاستغنوا عن تدوين الفقه فضلًا

عن تدوين مثله. وقد كانت الحوادث قليلة في ذلك الزمان، وأما الحوادث والوقائع فقد كثرت جدًّا في هذا الزمان، فمسّت الحاجة إلى ضبطها على وجه كلّي معتبر فيه، والضابط لها على وجه معتبر هو علم التأريخ، وهو إنما يتمّ ويدوم بالتدوين، فوجب التدوين، كما وجب تدوين كل علم لمثل هذا المعنى. (كاف، مخ، ٦٦، ١٣)

قوام التاريخ

- يقوم المُلك برزم أشياء التاريخ وعقدها تحت لوائه ليس فقط بتكوينه وحدتها الموضوعية، بل هو يمارس سطوته العمودية بفرضه نفسه معيارًا زمانيًّا للأشياء وتسمية لمكانها التاريخي - وبالتالي، لنظام تسلسلها الذي به فقط قوام التاريخ. ونحن نرى أن زمانية الأشياء، أي تتاليها الكرونولوجي، تتّحد عمومًا في الكتابة التاريخية التي تسرد أخبار ما قبل الهجرة "على الملوك"، أي إن حكم ملك ما في سلسلة ملوك يشكّل الإطار الزماني لسياقة الأحداث. والزمان المقاس بالملوك وذلك المحتوي على السنوات والتواريخ زمان واحد، بحيث يمكن استبدال الواحد بالآخر بسهولة كما رأينا. فمبتدأ أمر ملك ما أو دولة هو في العادة مبتدأ تقويم ما قائم عليه. ليس قيام التقاويم على الملوك إلّا من فاعليات الملك بما هو ربط لأشياء الزمان في تاريخيتها وفي موقعها في تتالي الأشياء. واعتماد الهجرة في التاريخ، مثلًا، لا يرجع بذلك إلى عدم الإختلاف في توقيتها فقط، بل إن الأمر أكثر من أمر ذي علاقة بالشروط التقنية لممارسة التاريخ - فالهجرة "صارت للنبي كالقيام للملوك وصفاء الملك لهم". (عظم، عرف، ٨١، ٢)

قوة الإختيار

- مما يكمل فضيلة الملك أن تكون قوة الاختيار عنده سليمة، لم تعترضها آفة، فيكون يختار الرجال اختيارًا فاضلًا: كان الناصر آية الدنيا في اختيار الرجال، فكان من توصلاته إلى معرفة الرجل إن أشكل عليه حاله، أن يشيع بين الناس أنه يريد أن يوليه المنصب الفلاني، ثم يتمادى في إبرام ذلك أيامًا، فيمتلئ البلد بالاراجيف لذلك الرجل، فيفترق فيه الناس. فقوم يصوبون ذلك الرأي، ويصفون فضائل الرجل، وقوم يغلطون الخليفة، ويذكرون عيوب الرجل، وللخليفة عيون وأصحاب أخبار لا يؤبه لهم، يخالطون أصناف الناس، فيكتب أصحاب الأخبار إليه بما الناس فيه من الغليان في ذلك، فيعرف بصحة نظره وتمييزه أي القولين أرجح وأصوب، فإن رجح في نظره تفضيل الرجل ولّاه، وخلع عليه، وإن ترجح عنده قول الطاعنين عليه، وتبيّن له نقصه، تركه وأعرض عنه. (طق، فخر، ٢٥، ٢٤)

قوة القبيل

- إذا اعتبرنا التاريخ في حدود التصوّر الخلدوني، فإنه لا يتحدّد إلا بفعل قوة

القبيل وحدها. فبالرغم من أن العصبي تقوم على شعور غريزي (النسب) وهو شعور لا تاريخي، إلّا أنها تعمل مع ذلك عن طريق بنية قبلية وعلى هذا النحو فهي تصبح تاريخية، بل أنها تعمل على تحديد ما يتجاوز التاريخ ذاته، أي العقيدة الدينية. فبالرغم من أن ابن خلدون لا يضع عالم الغيب الذي تصدر عنه هذه العقيدة موضع سؤال، إلّا أن هذا العالم عندما يُوحَى خبره إلى البشر، يصبح داخلًا في التاريخ؛ وهكذا فإن الوحي ذاته ينبغي أن يأخذ التاريخ في اعتباره، أي أنه ينبغي أن يخضع لطبائع العمران، وبناءً على ذلك، فلا يبدو لنا أن السؤال عن أي الطرفين يحدّد الآخر: أهو النموذج الديني أم العمران، سؤال مشروع ولكنه يطرح مسألة الاختيار بين حدّين لم يكن تاريخ الأفكار قد هيّأ له بعد، فعالم الغيب حق مثلما أن طبائع العمران هي أيضًا كذلك، وحقيقة هذين العالمين أساسية في فكر ابن خلدون. (أوم، نهج، ١٧٣، ١)

قول

- حدّ القول ما يُبديه القائل بلسانه وقد يقال للإشارة قول على المجاز. (بلخ، بدا، ٣٩، ٨)

قومية

- في التعريف العلمي للقومية والأمة عدّة شروط وقسمات لا بدّ من توافرها حتى نستطيع أن نقول إن هذه الجماعة البشرية أمة واحدة، وإنها تكّون قومية واحدة من القوميات. وهذه الشروط والقسمات هي: ١- أن تكون لهذه الجماعة البشرية إقامة ثابتة في وطنها، بحيث لا يكون لقاؤها عرضًا ينتهي بالهجرات والرحيل. وأن يكون تكوين هذه الجماعة قد حدث خلال المراحل التاريخية، فأصبح طبيعيًا راسخًا، وليس مجرّد عملية مصطنعة قهرية. وأن يكون المعيار الذي يحدّد الدخول في هذه الجماعة، والخروج منها مبرأ من النزعات القبلية والعرقية والعنصرية. ٢- أن تكون لهذه الجماعة البشرية لغة مشتركة. ٣- وأن تكون لها أرض مشتركة، تصبح بالنسبة لقسماتها القومية الوعاء الذي يتمّ فيه التفاعل والانصهار. بحيث تخلو من الحواجز الطبيعية والصناعية التي تحول دون هذا التفاعل وذلك الانصهار. ٤- وأن تكون لهذه الجماعة البشرية حياة اقتصادية مشتركة. ٥- وأن يكون لها تكوين نفسي مشترك، ينعكس ويتجسّد في ثقافتها العامة والمشتركة. (عم، وعى، ٩٥، ٣)

- مصطلح (القومية) من المصطلحات الحديثة في أدبنا السياسي، لكن مضمونه ليس كذلك، فعهد الواقع العربي بنشأة الروابط والقسمات التي جعلت الجماعة البشرية العربية قومية واحدة هو عهد بعيد يعود إلى ما قبل عصرنا الحديث، وإلى ما قبل استخدام مصطلح القومية للتعبير عن هذا الواقع، بعدّة قرون. ففي عصر ازدهار الحضارة العربية الذي بلغ قمّته في القرن

الثاني الهجري عرف الواقع العربي ثلاث تيّارات فكرية تصارعت في الواقع ووجدت لنفسها انعكاسات في الدراسات والأعمال الفكرية التي يمكن أن نسلكها في عداد (تراث العرب في الفكر القومي)، وهي: ١- التيار الشعوبي: الذي انطلق من العداء للعروبة والعرب والتعريب. مستهدفًا تفكيك أواصر الدولة العربية التي جاءت ثمرة للفتوحات السياسية التي وحّدت الشرق تحت قيادة العرب المسلمين. ومتّخذًا من التمايز العرقي والتعصّب الجنسي سبلًا لعرقلة حركة التعريب التي كانت تبشّر بتوحيد هوية الجماعات البشرية التي تعيش في الدولة العربية الجديدة. ٢- تيار العصبية العربية: الذي بعثه الأمويون، لاستغلاله في الصراعات القبلية التي كرّسوها لتدعيم سلطانهم، والذي امتدّ إلى أن أصبح عداء لغير العرب من الشعوب التي دخلت في الدولة، بعد الفتح، ولكنها تنحدر من أصول عرقية غير عربية. ٣- تيار القومية العربية: الذي نشأ ليعبّر عن الضرورات التوحيدية لهوية أبناء الدولة الجديدة، وليعكس حقائق الواقع الجديد الزاخر بالمصالح الموحّدة لأبناء هذه الدولة، بصرف النظر عن الأصول العرقية والخلفيات الحضارية التي كانت سائدة قبل نشأة هذا الواقع التوحيدي الجديد. (عم، وعى، ١٥٢، ٢)

قومية عربية

- إذا كانت للإسلام جوانبه الروحية التي يستعصي وضعها في الإطار القومي العربي المحدّد والمحدود، فلقد كان لتطبيق هذا الدين في الحياة العربية، وللثمار الحضارية والسياسية التي قامت بين العرب عقب ظهوره سمات قومية وقسمات "عربية" لا يمكن إخفاؤها، ولا يجوز التجاوز عنها إذا نحن شئنا أن نبحث عن الجذور الحقيقية للشخصية القومية العربية في التراث والتاريخ. (عم، وعى، ١٣٠، ١١)

- القومية العربية: التي ظهر تيارها ليعبّر عن الضرورات التوحيدية لهوية أبناء الدولة الجديدة، وليعكس حقائق الوقائع الجديد الزاخر بالمصالح الموحّدة لأبناء هذه الدولة، بصرف النظر عن الأصول العرقية، والخلفيات الحضارية التي كانت سائدة قبل نشأة هذا الواقع التوحيدي الجديد، وبصرف النظر عن الشرائع الدينية والتيارات الفكرية التي تتوزّعهم. ولقد اعتمد هذا التيار الفكري - الذي كان (المعتزلة) روّاده الأول، والذي برزت أفكاره في مؤلّفاتهم - اعتمد للعروبة معيارًا غير عرقي، ورأى فيها، بالمعنى والمضمون الحضاري، رباطًا جديدًا يخلص أبنا العرب القدماء من عصبيتهم ضدّ الرعايا المنحدرين من أصلاب غير عربية، ويفتح الميدان للاستفادة من كل الحضارات التي تمثّل تراث شعوب هذه الدولة الجديدة، باعتبارها ميراثًا شرعيًّا لهذه الجماعة البشرية التي أخذت في التوحّد والانصهار. ومن ثم فلقد أسقط هذا المعيار، الحضاري للعروبة المبرّرات

المعلنة للتيار الشعوبي الذي كان يناصب العرب والعروبة العداء، كما أسقط الأسس التي قامت عليها عصبية بني أمية وتعصّبهم ضدّ الموالي. ومنذ ذلك التاريخ أدرك الناس، وكتب الكتّاب، ورسخ في الواقع العربي أن: اللغة العربية الواحدة والعادات والشمائل والتقاليد الموحّدة، أو المتقاربة، والولاء الموحّد للحضارة العربية الشابة والمستنيرة والمزدهرة، هي الوعاء الجديد والإنساني الذي تنصهر فيه الجماعات المنحدرة من أصلاب عدّة، والمتديّنة بالشرائع الدينية المختلفة، كي تكون جماعة واحدة وقومية متّحدة هي الجماعة والقومية العربية. (عم، وعى، ١٥٠، ٤)

قيادة

- القيادة: وهي إمارة الركب، وصاحبها يسير أمام الركب في خروجهم للقتال أو التجارة. وكانت القيادة في بني أمية، وصاحبها منهم في أول الإسلام أبو سفيان والد معاوية. (زي، مدن١، ٣٨، ١٤)

قياس

- القياس الصحيح الذي يوافق المقيس عليه من جميع معانيه أو أكثرها وتسمّى القياس البرهانيّ لدخوله في حيّز علوم الإمكان، وقد أنكر بعض الناس القياس فلزمه أن ينكر ما فات حواسّه وبدائهه ويُقرّ بصحّة كلّ ما جاء من حقّ وباطل. وقضيّة العقول توجب أن تكون كلّ مشتبهَيْن واحدًا من حيث اشتبها وإلّا فلا معنى للاشتباه، ألا ترى أنّه مستحيل أن توجد نار حارّة ونار باردة لاشتراك النيران في طبع الحرارة وهو المعنى الموجب لهما في القضيّة. (بلخ، بد١، ٣٤، ٨)

- الاجتهاد هو إمعان الفكرة والاستقصاء في البحث عن وجه الحق الذي لا يصاب بالبديهة ولا بالحسّ لكن بالطلب والاستدلال وهو مقدّمة القياس، وكان القياس القضاء بالشيء على التمثيل والاجتهاد طلب وجه ذلك القضاء من أصحّ وجوهه والتحرّز من وقوع الغلط فيه لأنّ القياس من غير اجتهاد كالقول بالظنّ من غير استدلال. (بلخ، بد١، ٣٥، ٢)

- الأحكام التي يطلقها المؤرّخ على الحوادث هي "الحقائق" المفردة التي تتبيّن له من الماضي. وهي أشبه ما تكون بالحجارة المتفرّقة التي تحتاج إلى جمع ورصف وتركيب ليتكوّن منها البناء كاملًا أو أقرب ما يمكن إلى الكمال. ولكن كثيرًا ما تكون بعض هذه الحجارة مفقودة بسبب سكوت السلف أو ضياع آثارهم، فتظهر ثلم وثغر يجد المؤرّخ ضرورة لسدّها وملء فراغها. وسبيله إلى هذا الملء الاجتهاد والقياس، أي استنتاج ما يمكن أن يكون قد حدث الاستناد إلى ما حدث فعلًا في ظروف مماثلة أو إلى قوانين طبيعية أو اجتماعية يستمدّها من العلوم الأخرى. ولا غنى عن القول أن القياس والاستنتاج والاجتهاد يجب أن تكون متّصفة بالحذر والاحتياط، كي لا يجمح

بالمؤرّخ الخيال أو يغرب به التكهّن، وكي لا يبعد عن الواقع التاريخي كما حدث فعلًا. (زري، نحن، ٧٤، ٩)

قياس ومحاكاة للإنسان

- القياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة، ومن الغلط غير مأمونة، تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده، وتعوج به عن مرامه. فربما يسمع السامع كثيرًا من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغيّر الأحوال وانقلابها، فيُجريها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد؛ وقد يكون الفرق بينهما كثيرًا، فيقع في مهواة من الغلط. (خلد، قدم، ٣٢١، ١٨)

قيصر

- ملك العراق الذي تسمّيه العامَّة كِسْرَى وهو شاهانشاه، ملك الروم الذي تسمّيه العامَّة قَيْصَر هو باسيل، ملوك الترك والتُّبَّت والخَزَر كلُّهم خاقان خلا ملك الخَرْلُخ فإنهم يسمُّونهم جَبْغُويه، ملك الصين بَغْبُور فهؤلاء ولد افريذون، ملك الهند الأكبر بَلْهَرا أي ملك الملوك. (خرد، مسلك، ١٦، ٧)
- تاريخ أغسطس الملك وهو أوَّل القياصرة ومعنى قيصر بالإفرنجيَّة شقَّ عنه، والسبب في ذلك أنّ أمَّه ماتت في المخاض وهي حامل به فشُقَّ بطنها وأخرج عنه ولُقِّب بقيصر وكان يفخر على الملوك بأنّه لم يخرج من بُضْع امرأة كما كان يفخر أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن حملة بن كامكار بن يزدجرد بن شهريار بمثله لاتّفاقه له، وكان يشتم الناس بهذه اللفظة أعني ابن البُضْع. (بير، بقي، ٢٩، ١)

قيمة التاريخ المكتوب

- تحدّد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعض الأسس الجوهرية. فأولًا: ينبغي أن يُفحص نوع المادة التي استقى منها الباحث معلوماته، أهي نقوش أو آثار قديمة معاصرة ثبتت صحّتها وصحة معلوماتها، أهي أصول ووثائق ومراسلات مستخرجة من دور الأرشيف التاريخية وثبت أنها غير مزيّفة، وأن معلوماتها صحيحة، وأنه لم يسبق نشرها، أو على الأقل لم يسبق استخدامها بدرجة كافية؟ أم أن المادة التي اعتمد عليها البحث هي مجرّد مراجع ثانوية ليست ذات قيمة علمية؟ وثانيًا: تتحدّد قيمة التاريخ المكتوب بناءً على قدرة الباحث على الدرس والبحث، وقدرته على نقد ما تحت يده من الأصول والمصادر والمراجع، وطريقته في استخلاص الحقائق وتنظيمها وتفسيرها وعرضها. ويختلف الباحثون في النقد وفي استخلاص الحقائق بحسب اختلافهم في الفهم والتفسير والاستنباط. وأحيانًا يضطرّ الباحثون في التاريخ إلى وضع افتراضات مختلفة لمحاولة فهم مسألة تاريخية، تواجههم فيها غوامض وفجوات. وأحيانًا يختلف الباحثون في تقدير معنى الحوادث من ناحية الخلق أو السياسة أو الاقتصاد، وبذلك تأتي

كتاباتهم متفاوتة أو مختلفة. على أن ذلك كله يقدّم للمؤرّخ آراء ووجهات نظر مختلفة متفاوتة عن عصر أو ناحية معيّنة، ولا يمكن أن يحتكر أحدها صفة الحقيقة، وهي كلها تعطي للتاريخ الحركة والحياة. وتجعل البحث التاريخي مستمرًّا على الدوام، باحتمال ظهور أدلّة جديدة تلقي ضوءًا جديدًا على ما قد يكون غامضًا أو مبهمًا من أحداث التاريخ. وبالعكس عدم الاختلاف وعدم التفاوت يسبِّبان الجمود والركود في دراسة التاريخ، وفي سائر ألوان العلوم والمعارف، وفي شتى مظاهر الحياة على وجه العموم. وثالثًا: تتحدّد قيمة التاريخ المكتوب بناءً على بُعد الباحث عن التحيّز والأهواء، ومطابقته للواقع بقدر المستطاع. وأحيانًا يتأثّر الباحث بروح عصر معيّن، مثل عصر الحروب الصليبية أو عصر الانقلاب الصناعي أو نموّ الديموقراطية أو ظهور الاشتراكية... فيكتب وهو يحاول إخضاع الموضوع المعيَّن لرأيه وفكره. والكتابة التي يطعن فيها كاتب مسيحي على المسلمين في زمن الحروب الصليبية أو العكس، لا تُعدّ في إطلاقها صحيحة. فالكتابة التي يتعمَّد فيها الكاتب أن يتّخذ اتّجاهًا معيّنًا، قد تُعدّ تاريخًا لنوع من التفكير أو النزعات الإنسانية الجديرة بالدراسة، ولكن لا يمكن أن يُعدّ ما جاء بها معبرًا عن الحقيقة التاريخية، بالنسبة لما تناولته من الموضوعات. وبمعنى آخر يمكننا أن نقول إن قيمة التاريخ المكتوب تتحدّد بناءً على ثقافة الباحث، وإلمامه بطريقة البحث التاريخي، وبناءً على استعداده الشخصي وملكاته. (عث، بحث، ٢١، ١٢)

ك

كابل شاه

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلِسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١٤)

كاتب

- ناظر الإنشاء الشريف فهو كاتب السرّ وكاتم السرّ يطلق في حقّه ناظر الإنشاء الشريف. وناظر دواوين الإنشاء الشريف لأن بكل مملكة ديوان إنشاء، وقيل إن أوّل من وضع الخطّ العربيّ وصنع حروفه وأقسمه ستّة أشخاص من طسم كانوا نزولًا عند عدنان بن أُدد أسماؤهم أبجد، وهوّز، وحُطّي، وكلمُن، وسعفص، وقرشت، قلمّا أن وجدوا أحرفًا خارجةً عن أسمائهم ألحقوها بها وسمّوها روادف، وروي أنّ أوّل من أتى أهل مكّة بكتابة العربية سفيان بن أميّة بن عبد شمس ثم انتشرت، وقيل غير ذلك. والكاتب عضد معين وعون مسعد ولا بدّ للمملكة منه ولا غنى لها عنه ومراتب الكتابة المتعلّقة بالسلطنة كانت قديمًا ثلاثًا كتابة الإنشاء وكتابة الجيش وكتابة الأموال. (شاه، زبد، ٩٨، ٢٣)
- الكاتب في عهد الخلفاء الراشدين هو الذي يتولّى الديوان على ما وضعه عمر، فيدوّن ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما، وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم، ويتولّى مكاتبة العمال. فلما اتّسعت أعمال الدولة تشعّب ذلك الديوان إلى ما يختصّ بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج، وإلى ما يختصّ بالنفقة على الجند وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة، وإلى ما يتعلّق بغير ذلك مثل ديوان الإقطاع وديوان المعادن، وإلى ما يختصّ بتدوين أسماء الجند وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند. وتفرّع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الثغور وغيرهما. وأفردوا لمراسلات العمال وغيرهم ديوانًا خاصًّا هو ديوان الرسائل أو الإنشاء. (زي، مدن١، ١٢٥، ٢٠)

كامل في التاريخ

- الكامل في التاريخ كسائر التواريخ القديمة، سرد للحوادث والأخبار بحسب تواريخها. ويعترف صاحبه بأنّه نقل عن الطبري، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمته فقال إنّه أخذ عن التاريخ الكبير لأبي جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوّل عليه؛ أخذ منه جميع تراجمه، ولم يخلّ بواحدة منها، على أنّه لم يتبع خطى الطبري في التأليف، فإن الطبري كان يذكر في أكثر الحوادث

روايات عديدة، فقصد ابن الأثير إلى أتمّها فنقله وأضاف إليه. ويدلّنا قوله هذا على أنّه لم ينقل الحوادث التاريخيّة على علاتها، وإنّما كان يختار منها ما يراه موافقًا لمعقوله ويؤلّفه تأليفًا جديدًا بما يضيف إليه؛ وهو إن لم يكن قد سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات، وهو أسلوب لم يُعرف إلّا مع ابن خلدون، فإنّه كان ينقد ما ينقله، ولم يكن ينقل إلّا كلّ ما رآه صوابًا، وكان يعرض عن نقل ما يراه غير موافق للعقل، فعله بما رواه الطبري عن خلق الشمس والقمر وسيرهما، قال: "وروى أبو جعفر، ههنا، حديثًا طويلًا عدّة أوراق عن ابن عبّاس، عن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، في خلق الشمس والقمر وسيرهما، فإنّهما على عجلتين لكلّ عجلة ثلاث مئة وستون عروة يجرّها بعددها من الملائكة، وإنّهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض، فذلك كسوفهما. ثمّ إنّ الملائكة يخرجونهما فذلك تجليتهما من الكسوف... إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها، فأعرضت عنها لمنافاتها العقول، ولو صحّ إسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن الحديث غير صحيح. ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف" (مقدمة). (أث، كمل، ١٣، ٧)

كبش

- الكبش هو كالدبابة، لكن رأسه في مقدمه مثل رأس الكبش، ويتحصّن بسقف الدبابة لسهولة جرها، فيتعاون الرجال من داخل الدبابة وورائها على ضرب السور بها حتى يخرقوها. (زي، مدن١، ١٩٨، ١٨)

كتاب

- الكتاب هو الجليس الذي لا ينافق ولا يمل، ولا يعاتبك إذا جفوته، ولا يفشي سرّك. (طق، فخر، ١، ١٧)

كتابات تاريخية

- نجحت الكتابات التأريخية من حيث العموم في الوقوف بوجه هوس السجع الذي أضرّ بالآداب الإسلامية أكثر مما نفعها. وقد ساهم في خلق هذا الوضع الطيّب عدّة عوامل، منها: أن التأريخ لم يكن أبدًا فرعًا من الآداب، بل كان محاولة علمية من عدّة نواح، وبذلك استطاع مقاومة الأساليب الأدبية. إنه يهتمّ بمسالك واضحة وملاحظات للحياة اليومية جلبت تعبيرًا لغويًّا، صورته واضحة معتمدة على الحقائق. وكان المؤرّخ ملزمًا بذكر النصوص التي ينقلها عن مصادره حرفيًّا، ويتجنّب أية محاولة للتصرّف بها، مما أدّى إلى أن يكتب تأريخ الماضي عادة بأسلوب المؤلّفين الأولين الرصين. ومن الطبيعي أن يلتزم السجع في مقدّمة التواريخ، كما استخدم كوسيلة لتجنّب العرض الواضح للمادة، وخاصة عندما تتدخّل عواطف

الكاتب في الموضوع. (روز، علم، ٢٤١، ٤)

كتابات المؤرّخين

- المعاصرة (في كتابات المؤرّخين) هي أن يعيش إنسان - كالمؤرّخ مثلًا - في العصر الذي يؤرّخ له أو يترجم لسير رجاله. وقد تكون هذه اللفظة من الناحية اللغوية غير دالّة تمامًا على المعنى الذي نريده، ولكنها استعملت بهذا المعنى اصطلاحًا عند بعض المؤرّخين، ولو لم تصحّ فيه من الناحية اللغوية. والمعاصرة في الكتابات التاريخية سلاح ذو حدّين؛ فقد تكون شيئًا ضروريًّا لإلقاء الضوء على الحوادث من وجهة نظر قريبة عائشة في العصر الذي يؤرّخ له، فإن القريبين من الأحداث زمانًا ومكانًا هم أقدر الناس على وصفها وتصويرها. ولكنها من ناحية أخرى قد تكون حجابًا يستر المؤرّخ عن قول الحقيقة، ويعشي بصره عن رؤية الأمور على وجهها الصحيح، تبعًا لاعتبارات تتّصل بالتقرّب إلى الحكّام ومصانعتهم أو الرهبة منهم، والخوف من سلطانهم ودولتهم، وتبعًا لاعتبارات أخرى تتّصل بما يدور بين الأشخاص المتعاصرين من علاقات وضرورات اجتماعية، وما يقع بينهم من مودّات وعداوات. وشر آفات المعاصرة في كتابة التاريخ والسير أنها قد تحمل المؤرّخ على المجاملة، وتبعد به عن العدالة والضبط اللازمين. (حس، عر، ٥٥، ٣)

كتابة

- الكتابة هنا، كما سنرى، لا تتناول موضوعًا له ارهاصات نظرية تجعل منه علم، بل هي ممارسة صناعية تقنيّة لها قواعد دون أن تكون لها شروط مطلقة. فضوابط الكتابة التاريخية وأسسها ليست مثل العناصر المطلقة التي تصف حدود علم، بل هي ضوابط وأسس إحصائية، غير ملزمة، يجري وصفها كضوابط بسبب تواترها لا بسبب ضرورتها. (عظم، عرف، ١٠، ١١)

كتابة الإنشاء

- كتابة الإنشاء فهي من مقوّمات الملك وقواعد المملكة وصاحبها المباشر لها في خدمة السلطان، معدود من أكبر الأعضاء والأعوان، قائم في اهتمام مقاصده وأغراضه مقام الترجمان، فأنزل منه منزلة القلب واللسان من الإنسان، فإنّه المطّلع على الأسرار، المجتمع لديه خفايا الأخبار، المنتفع به في طريقي النفع والأضرار، ومن شروط براعته معرفة آيات القرآن وأسباب نزولها، وعلم الأحاديث النبويّة وكنه مدلولها، وفهم سير الملوك الأوّلين في أفاعيلها وأقاويلها، والتضلّع من الحكم والأمثال بتفريعها وتأصيلها، والتطلّع على وقائع العرب بجملها وتفاصيلها، والتوسّع في أبحر المعاني الشعريّة ما بين مقاربها وطويلها، فبذلك يملك زمام البلاغة والبراعة، ويرقى على أهل هذه الصناعة، فإذا أمر السلطان

بكتاب تخيّر له أفصح ألفاظه وأرجح معانيه، وجعل مطلع دعائه مشعرًا بالغراض المودع فيه، ويختصر تارةً ويطنب أخرى، ويستعمل في كل مقام ما هو أليَق به وأحرى. (شاه، زبد، ٩٩، ٢)

كتابة التاريخ

- (كتابة التاريخ) وأبتدئ بعون الله وتوفيقه وأذكر الدليل على وجود الصانع سبحانه وتعالى، ثم أردف ذلك بذكر أول المخلوقات، ثم ما يلي ذلك من الموجودات على ترتيب الوجود في الحادثات إلا أن يخفى زمان حادث فيذكر في الجملة، ثم أتبع ذلك بذكر آدم عليه السلام وأحواله وما جرى له، ثم أذكر عظائم الحوادث التي كانت في زمانه ومن كان في مدة ولايته من أهل الخير، وروس أهل الشر. ثم أذكر من خلفه من أولاده، وما حدث في زمان ذلك الخالف من الأحداث، ومن كان في وقته من أهل الخير والشر، ثم من يخلف ذلك كذلك إلى زمان نبينا محمد، فيندرج في ذلك ذكر الأنبياء والملوك والعلماء والزهاد والحكماء والفراعنة والنماردة ومن له خبر يصلح إيراده من العوام، وما يحسن ذكره من الأمور والحوادث في كل زمن. فإذا آل الأمر إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، ابتدأ بذكر مولده ونسبه، وذكر عيون ما جرى في سنة مولده من الحوادث، ثم ما جرى في سنته الثانية من مولده كذلك إلى زمان نبوته، ثم بذكر ما جرى في كل سنة من سني النبوة إلى سنة هجرته إلى المدينة. فإذا انتهينا إلى مفتتح سني الهجرة، وهي التي عليها التاريخ إلى اليوم ذكرنا ما كان في (كل) سنة من الحوادث المستحسنة والمهمة وما لا بأس بذكره، ونضرب عن ما لا طائل في الإطالة به تحته مما يضيع الزمان بكتابته؛ إما لعدم صحته أو لفقد فائدته. (جو، نظم، ١١٦، ٢)

- منهج "المعاينة" قبل الشروع في كتابة التاريخ هو المنهج السليم الذي تهدي إليه الحاسة التاريخية السليمة، التي تتقرّى الحقائق بلمس "الأشياء" التاريخية قبل الرجوع إلى الكتب، لأن هذه "الأشياء" عندها من صدق الواقع ما قد تخلو منه حادثة مكتوبة لغرض معيّن، أو لهوى في النفس، وقد تكون الكتب واقعة في خطأ مقصود أو غير مقصود، فلا يصحّح الخطأ إلا "المعاينة" التي تقطع قول كل خطيب. (حس، عر، ١٣٢، ٣)

- من مؤرّخي العرب والإسلام من حاول كتابة التاريخ على حسب الموضوعات؛ لا على حسب السنين كما فعل الطبري، ولا على حسب أيام الخلفاء والحكّام كما فعل اليعقوبي والمسعودي. ومن هؤلاء المؤرّخين: عزّ الدين ابن الأثير صاحب كتاب "الكامل" المتوفي سنة ٦٣٠هـ، وشهاب الدين النويري صاحب موسوعة "نهاية الأرب" والمتوفي سنة ٧٣٣هـ، وهو مؤرّخ أديب مصري صميم من أهل إقليم بني سويف بالصعيد. وابن الأثير

المؤرّخ هو أول من نبّه إلى عيب طريقة التأريخ بالسنين لأنها تقطع أوصال الحادثة الواحدة فلا تأتي عليها جملة، وإنما تتفكّك بحسب السنين. وله في ذلك عبارة لا بأس أن نشير إليها هنا، وهي قوله: (ورأيتهم - يعني الذين سبقوه من المؤرّخين - أيضًا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطّعة، لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر. فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصّها، فأما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة، فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة، فأقول: ذكر عدّة حوادث. وإذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فإني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره، لأنه إذا تفرّق خبره لم يعرف للجهل به). وهكذا ترى أن ابن الأثير يخشى من التفريق في ذكر الحوادث، ويحب التجميع فيها. (حس، عر، ١٧٣، ١٦)

- ألزم اللزوميات أن تتمّ كتابة التاريخ على خير وجه، فيكون الكاتب دقيقًا غاية الدقّة، باذلًا كل ما في الطاقة من جهد وصدق وأمانة وعدل، ومستعينًا بكل ما لديه من إحساس وفن وذوق، وهذا كله يؤدّي إلى الوصول إلى الحقيقة قدر المستطاع. (علف، فت، ١٢٠، ٧)

- استحدثت المسيحية فكرتين رئيسيتين في كتابة التاريخ بعد النمطين الإغريقي والروماني: الأولى هي فكرة التفاؤل بالطبيعة الإنسانية، والثانية هي الفكرة التي تقول بوجود قيم أبدية خالدة تكمن وراء عملية التغيير التاريخي. أريد أن أقرّر أن المسيحية بدّلت الفكر البشري تبديلًا بالغ العمق بحيث غيّر كل الأوضاع التي شاعت في العصر الروماني ومن بينها المنهج التاريخي... كانت الثقافة اليونانية والرومانية آخذة في الأفول، فحملت إليها المسيحية ثروة هائلة جديدة من القصص والأحداث والحكم والأمثال المستقاة من التوراة. ووجدت الشعوب نفسها أمام هذه الثروة التي تمثّل غذاء روحيًا كانت في مسيس الحاجة إليه، فأقدمت عليها تلتهمها، ثم أرادت أن تهضمها، ولم يكن هناك سبيل إلى ذلك إلا إذا قدّمت الحلول التي تفسّر دقائقها وما يبدو فيها من متناقضات. وقام بهذا العمل آباء الكنيسة من الإغريق والرومان، وعلى رأسهم جميعًا القديس أوغسطين الذي فتح للتاريخ آفاقًا فسيحة، إذا سمح للفكر أن يرسل نظرة إجمالية إلى مجموعة التواريخ الموجودة وإيجاد تفسير لها... فالمسيحية كما يرى ترشد معتنقها إلى تصوّر تاريخي للكون يبدأ بالخلق كما جاء في التوراة وينتهي بالدينونة العامة أي يوم الحشر. (علف، فت، ١٢٧، ٤)

- كان على مؤرّخي نهاية العصور الوسطى أن يوجّهوا كتابة التاريخ توجيهًا جديدًا فيخلّصوها من الخضوع لنظريات اللاهوت والفلسفة التي سيطرت على مجرى الأحداث التاريخية ورسمت لها مسارها دون أي اعتبار للواقع المادي ولنشاط الإنسان في رسم هذا المسار. وحين جاء عصر النهضة الأوروبية عاد الناس إلى تقييم التاريخ بوصفه دراسة اجتماعية تستند إلى أسلوب علمي، وإلى كتابته استنادًا إلى أعمال الإنسان ونشاطه في تحديد مساره تمامًا كما كان الحال في العصرين الإغريْقي والروماني. وكانت النتيجة الأولى لذلك هي البدء في تنظيف المادة التاريخية التي كتبت في العصور الوسطى مما علق بها من خرافات لا أساس لها، كما كان من نتائجها أيضًا البدء في كتابة النتائج على أسس نقدية تحليلية. والواقع أن النظم في الدول الأوروبية كانت قد تقدّمت تقدّمًا كبيرًا في عصر النهضة، وأخذت العلاقات بين هذه الدول تتشابك وتتعقّد، كما اكتمل فن الدبلوماسية واتّضحت أساليبه، وبالتالي فقد أصبحت كل دولة بحاجة إلى هيئة منظّمة تتولّى كتابة تاريخها. والأمر الذي نلاحظه بوضوح تام في كتابة التاريخ في عصر النهضة هو أن حكام الدول أخذوا يستعينون بالأدباء لتدوين تاريخ دولهم، فبرز الأسلوب الأدبي ولا سيّما في إيطاليا بوصفها الدولة التي سبقت دول أوربا جميعًا إلى عصر النهضة. (علف، فت، ١٢٩، ١٨)

- إذا كان جمع المادة التاريخية هو الخطوة الأولى في العمل التاريخي فإن التعليل المنطقي هو الخطوة الحاسمة والأخيرة في كتابة التاريخ. (علف، فت، ٢٠١، ١١)

كتابة التاريخ الإسلامي

- ظهر في كتابة التاريخ الإسلامي طريقان: أحدهما سرد الأحداث في نظام الحوليات أو بدونه، من غير تعليق عليها، وبدون تحليلها والبحث عن دوافعها ونتائجها القريبة والبعيدة. والطريق الثاني اتّجه إلى الاهتمام بالتعليق والتحليق لحدث من أحداث التاريخ دون الاهتمام بسرد الأحداث التاريخية المتتابعة. وقد عنى المؤرّخون القدامى بالطريق الأول فألّفوا الكتب الضخمة لسرد الأحداث التاريخية، وعني المؤرّخون المحدثون بالطريق الثاني فامتازت كتاباتهم بأنها تحليل لحدث واحد من أحداث التاريخ، أو شخصية واحدة من الشخصيات التاريخية. ومن الواضح أن الطريقين يكمل أحدهما الآخر، ولا يستقيم أحدهما وحده، فالأحداث التاريخية دون فهم وتحليل عمل يعتبر ساذجًا محدود النفع، وتحليل حدث واحد دون فهم سلسلة الأحداث التاريخية غير كاف، فهو ترف علمي يحتاج إلى أساس ينبني عليه. والمؤرّخون القدامى بالإضافة إلى عدم اهتمامهم بالتحليل والنقد كانوا غالبًا يدوّنون التاريخ على نسق تدوين حديث الرسول؛ فيذكرون الروايات المختلفة للحادث الواحد، ويذكرون الرواة

متسلسلين الواحد بعد الآخر ولا يهتمّون بالأسلوب الذي يكتبون به، وكل هذا جعل دراسة التاريخ صعبة المنال. وفي سنة ٦٥٦هـ حدث حادث خطير في العالم الإسلامي هو سقوط بغداد في أيدي التتار، وقتل الخليفة العباسي، وإنهاء الخلافة العباسية بالعراق، والذي يعنينا من هذا الحادث هنا هو خطورته على كتابة التاريخ الإسلامي، فقد كانت الخلافة العباسية حتى في فترات ضعفها رباطًا يربط بين أكثر أجزاء العالم الإسلامي، وكان من المؤرّخين من يكتب تاريخ العالم الإسلامي كله جملة واحدة، فلما سقطت بغداد وانقطع الخيط الذي كان يربط بين أجزاء هذا العالم، انفرط عقد البلاد الإسلامية. وأصبح لكل منها تاريخ ومؤرّخون، وكثيرًا ما نجد عراقيًّا مثقّفًا يجهل تاريخ اليمن، ومصريًّا يجهل تاريخ إيران، وهكذا. (شل، سلم، ٥٣، ٣)

كتابة التاريخ الحديثة

- أبرز خصائص كتابة التاريخ الحديثة من وجهة نظر طريقة البحث، هي ما يمكن أن ندعوه من غير مبالغة "الثورة الكمية" فقد أثر القياس وتقدير الكمية عمليًّا كما رأينا في كل فرع من البحث التاريخي إبّان العقد أو العقدين الأخيرين، والغريب أن خصائص وأهمية الثورة الكمية لا تزال موضوع مناقشة حيث يرى البعض أن التاريخ الكمي يعني بأوسع معانيه، الدراسة لأية سلسلة من الظواهر التي يمكن قياسها، فهي في قول بيير شونو "إنه تاريخ اهتمامه بالحقائق المفردة أقل". (بار، وجه، ١٤٥، ١١)

كتابة تاريخية

- لم يبتدع أسلوب خاص للكتابة التاريخية وإنما جرى التدوين ضمن أسلوبين: - الأسلوب المرسل الذي كتب به معظم المؤرّخين كتبهم منذ الطبري إلى المسعودي إلى الهمذاني وابن الجوزي والخطيب البغدادي وأبي نعيم وابن الأثير وسبط ابن الجوزي، وقد يتخلّل الكتابة الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث أو مثل شائع، وقد يهبط هذا الأسلوب ليصبح مجرّد حديث عادي مكتوب. - الأسلوب الأدبي المتأنّق وقد بدأ هذا الأسلوب في بعض الكتابات المشرقة على أيدي مسكويه والتنوخي ولكنه سرعان ما غرته أعمال الصنعة البديعية على يد إبراهيم الصابيء في كتاب التاج والعتبي في كتاب اليميني فصار سجعًا. بدا أول الأمر نوعًا من البراعة في الجمع بين الأدب والتاريخ ثم ما لبث أن أسرف في الصنعة وثقلت عليه القشور اللفظية حتى لتغيم الفكرة التاريخية أحيانًا وراء الكلمات الطنانة المرصوفة رصفًا. ذلكم كان الأسلوب الذي انتهى إليه العماد الأصفهاني في مجلّداته التاريخية التي تصل إلى الثلاثين مجلّدًا. (مص، رخ١، ٣٩٩، ١٧)

- إن السجع سيطر على الكتابة التأريخية خلال تراجم الإطراء التي دوّنها الموظفون

لأسيادهم. ففي هذه الكتب شعروا أن من واجبهم استخدام مواهبهم في أساليب السجع التي كانت شائعة عند كتاب الديوان. وفي بداية الأمر كانت مهارة الكتاب وفنونهم الأدبية وفهمهم العميق لخصائص اللغة العربية قد جعلت كتبهم روائع، عوّضت روعة أسلوبها عن المصاعب التي يواجهها القارئ لفهم معانيها. غير أن المهارة والفن والقدرة اللغوية هي مواهب نادرة خاصة في الكتب الفارسية والتركية المتأخرّة. (روز، علم، ٢٤٢، ١١)

- الكتابة هنا، كما سنرى، لا تتناول موضوعًا له ارهاصات نظرية تجعل منه علم، بل هي ممارسة صناعية تقنيّة لها قواعد دون أن تكون لها شروط مطلقة. فضوابط الكتابة التاريخية وأسسها ليست مثل العناصر المطلقة التي تصف حدود علم، بل هي ضوابط وأسس إحصائية، غير ملزمة، يجري وصفها كضوابط بسبب تواترها لا بسبب ضرورتها. (عظم، عرف، ١٠، ١٣)

- كون المُلك إطار التاريخ يجعل من التاريخ تابعًا للملك كما أن كون الزمان إطارًا للأخبار يجعل من هذه الأخبار تابعة للزمان. فإطار الأخبار مرجعها ولا قوام لها، في الكتابة التاريخية، إلّا بهذا المرجع. ولو كان للأخبار المفردة المجرّدة عن تاريخ قوام في أطر أدبية أخرى، ككتب السياسة أو مجموعات آداب الكتاب مثلًا. هذا المرجع يجعل من الأخبار وحدات تاريخية ويضفي عليها تاريخيتها. فهي، بكل بساطة، تصبح تاريخية لحظة اندراجها في هذه الوحدات، وتكون خارج التاريخ (إن لم تكن خارج الماضي) إن خرجت على هذا الأطر. (عظم، عرف، ٨٨، ٧)

كتابة حولية

- في الكتابة الحولية تضمّن الحادثة داخل مبدأ الكتابة الأساسي الذي هو السنة، وكيف أن هذا يماثل تضمّن عهد ملك ما للحادثة في التاريخ على الملوك وتضمّن دولة دول - حوادث أخرى في التاريخ على الدول. ويتّضح من هذا أن الكتابة الحولية تشكّل الصورة الأصفى والابتدائية للكتابة التاريخية - الكرونولوجية، إذ ليس فيها ما يعكّر وضوح تسلسل الزمان كما تتشوّش بنية التتابع الكرونولوجي في التاريخ على الملوك أو الدول بفعل رذاذ المحتوى الذي قد يدفع بعض الدارسين من غير المتنبهين لقوانين الممارسة السردية ومن الباحثين عن الفحوى الخارجية للأقوال إلى أن يستنتجوا بأن تنظيم التاريخ على الملوك والدول يضع الكتابة التاريخية المستندة إليه في خانة مغايرة لتلك التي تنتظم الكتابة الحولية، هذا مع أن تنظيم التاريخ على الملوك يبقى تنظيمًا زمانيًا يتّخذ فيه الملوك مكان السنوات كوحدات التنظيم والبناء الأساسية، ليس بالمحاكاة بل بالمطابقة البنيوية والمماثلة من حيث المضمون. (عظم، عرف، ٥٩، ٢)

كتب التاريخ

- (من كتب التاريخ) دلائل النبوّة للبيهقي والسيرة النبوية لابن إسحق ومغازيه لابن عائذ الكاتب والطبقات الكبرى لابن سعد كاتب الواقدي وتاريخ البخاري والبعض من تاريخ أبي بكر أحمد ابن أبي خيثمة ومن تاريخ يعقوب الفسوي وتاريخ محمد بن مثنى العنزي وهو صغير وأبي حفظ الفلاس وأبي بكر بن شيبة والواقدي والهيثم بن عدي وخليفة بن خياط مع الطبقات له وأبي زرعة الدمشقي والفتوح لسيف بن عمر والنسب للزبير بن بكار والمسند لأحمد، وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي والجرح والتعديل عن ابن معين ولعبد الرحمن بن أبي حاتم، وطالعت أيضًا تهذيب الكمال لشيخنا المزي. ومن التواريخ ... تاريخ أبي عبدالله الحاكم وابن يونس والخطيب، ودمشق لابن عساكر وأبي سعد بن السمعاني مع الأنساب له، وتاريخ القاضي الشمس بن خلكان والعلامة الشهاب أبي شامة والشيخ القطب بن اليونيني الذي ذيل به على مرآة الزمان للواعظ الشمس يوسف سبط ابن الجوزي، وهما على الحوادث والسنين مع كثير من الأصل، وكثيرًا من تاريخ الطبري وابن الأثير وابن الفرضي وصلته لابن بشكوال وتكملتها لابن الآبار والكامل لابن عدي وكتبًا كثيرة. (سخ، ذم، ٨٧، ٣)

- كتب التاريخ: ينتفع بها للاطلاع على أخبار العلماء والعقلاء ووقائعهم، وحوادث الحدثان، وسير الناس، وما أبقى الدهر من فضائلهم ورذائلهم بعد أن أبادهم. (حس، عر، ١٤، ٢٠)

كتب التواريخ

- لم أزل محبًّا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثرًا للاطلاع على الجليّ من حوادثها وخافيها، مائلًا إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها، فلمّا تأمّلتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض؛ فمن بين مُطَوِّل قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخلّ بكثير ممّا هو آت، ومع ذلك فقد ترك كلُّهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات. وسوّد كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى، وترك تسطيرها أحرى، كقولهم خلع فلان الذميّ صاحب العيار، وزاد رطلًا في الأسعار، وأُكرم فلان؛ وأُهين فلان، وقد أرّخ كلٌّ منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذيّل عليه، وأضاف المتجدّدات بعد تاريخ إليه. والشرقيّ منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق؛ فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخًا متّصلًا إلى وقته يحتاج إلى مجلّدات كثيرة وكتب متعدّدة مع ما فيها من الإخلال والإملال. فلمّا رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرةً لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث

والكائنات من أوّل الزمان، متابعةً يتلو بعضها بعضًا إلى وقتنا هذا. (أث، كمل، ٢، ٤)

- كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، . . . متباينة في تحصيل الغرض، فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخلّ بكثير ممّا هو آتٍ، ومع ذلك فقد ترك كلّهم العظيم من الحادثات، وسوّد كثيرًا من الأوراق بصغائر الأعراض، والشرقي منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخًا متّصلًا إلى وقته يحتاج إلى مجلّدات كثيرة وكتب متعدّدة، مع ما فيها من الإخلال والإملال (مقدمة). (أث، كمل، ١٢، ٦)

- كتب التواريخ ينتفع بها في الاطلاع على أخبار الملوك والعلماء والأعيان وحوادث الحدثان، في الماضي من الزمان، وفي ذلك ترويح للخاطر، وعِبر لأولى البصائر. (حس، عر، ١٥، ٤)

كذب

- كان الكذب متطرّقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشيّعات للآراء والمذاهب؛ فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه؛ وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا الثقة بالناقلين؛ وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهّم الصدق وهو كثير؛ وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنّع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التَّجِلَّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة؛ فالنفوس مولّعة بحب الثناء؛ والناس متطلّعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة؛ وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضًا وهي سابقة على جميع ما تقدّم الجهل بطبائع الأحوال في العمران؛ فإن كل حادث من الحوادث ذاتًا كان أو فعلًا لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله؛ فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. (خلد، قدم، ٣٢٨، ٩)

كرسي

- الكرسيّ هو العلم واستدلّوا بقوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) قالوا معناه أحاط علمه بها وبما فيها والكراسي العلماء. (بلخ، بدا، ١٦٧، ٣)

كسب

- الكسب هو قيمة الأعمال الإنسانية. أما بالصنائع فظاهر، وما ينضمّ لبعضها؛ كالخشب مع النجارة، والغزل مع الحياكة فالعمل فيه أكثر. وإذ ذاك فقيمته أزيد، وأما بغيرها فلا بدّ في قيمته من قيمة العمل الذي به حصوله، نعم، ربما يخفى ملاحظته؛ كما في أسعار الأقوات في الأقطار التي لا خطر لعلاج الفلح فيها، لخفّة مؤنته. فلا يشعر بها إلا القليل من أهل الفلح. (أزر، بدع٢، ٧٨٥، ١٦)

كسرى

- ملك العراق الذي تسمّيه العامَّة كِسْرَى وهو شاهانشاه، ملك الروم الذي تسمّيه العامَّة قَيْصَر هو باسيل، ملوك الترك والتُّبَّت والخَزَر كلُّهم خاقان خلا ملك الخَرْلُخ فإنهم يسمُّونهم جَبْغُويه، ملك الصين بَغْبُور فهؤلاء ولد افريذون، ملك الهند الأكبر بَلْهَرا أي ملك الملوك. (خرد، مسلك، ١٦، ٦)

كفاية

- عملية الكفاية لها نهاية، وهي اعتبار الخبر مثلًا للعين، وحضور الخبر يكافئ حضور العين، فالإخبار الصحيح شهود، والخبر الصحيح قول يتماهى أنطولوجيًا مع العين المخبر عنه، بحيث يضحى الكلام حضورًا، والإخبار عن عين رؤية له: "فيا ليست شعري، أي فرق بين من رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين، فإذا عاصرها فكأنه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضرهم". (عظم، عرف، ٣٩، ٢٢)

كلمة التاريخ

- كلمة تاريخ العربية تعني كلًا من الزمن والحقبة. ومن الواضح أن هذه الكلمة لا تظهر في الأدب الجاهلي؛ كما أنها غير مذكورة في القرآن ولا في الأحاديث النبوية. ومن المهم أن نلاحظ أن الحديث الوحيد الذي يشير إلى إدخال التقويم الإسلامي في صحيح البخاري يستعمل كلمة عدّ ولا يستعمل أرّخ، ولكن كل الظواهر تدلّ على أن كلمة تاريخ استعملت لأول مرّة في الآداب العربية مع أخبار إدخال التقويم الهجري. فالروايات الإسلامية ترجّح الرأي القائل إن التقويم الهجري أدخله عمر، ويجدر بالملاحظة أنه استعمل في ورقة بردي يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢هـ ولما كان هذا الأمر قائمًا في النصف الأول من القرن السابع فيمكن الافتراض بأن هذه الكلمة كانت معروفة آنذاك، رغم أن الأدلّة المدعّمة بالوثائق تنقصه. (روز، علم، ٢٣، ١٤)

كنار

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١١)

كندة

- مملكة كندة (٤٨ - ٢٩م) وكان أحد ملوك تبع قد قهر بعض القبائل في أواسط الجزيرة فعيّن (حجر) آكل المرار ملكًا عليها، وقد استطاع حفيده الحارث أن يستولي على الحيرة ويتّخذ له عاصمة يغلب أن تكون الأنبار، ولكن سرعان ما انهزم ملوك كندة أمام وثبة جديدة قام بها اللخميون ملوك الحيرة، وقد تسبّب عن انهزام ملوك كندة في الشمال أن تفتّت ملكهم في قلب الجزيرة وعادت الحياة القبلية إلى الظهور. وينسب امرؤ القيس أحد شعراء المعلقات إلى ملوك كندة، وقد حاول أن يعيد مجد آبائه ولكن محاولته لم تكلّل بالنجاح. (شل، سلم، ٩٣، ١٧)

كهانة

- الكهانة فهي أيضًا من خواص النفس الإنسانية. وذلك ... أن للنفس الإنسانية استعدادًا للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها، وأنه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الأنبياء بما فُطِروا عليه من ذلك، وتقرّر أنه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصوّرات ولا من الأفعال البدنيّة كلامًا أو حركة ولا بأمر من الأمور، إنما هو انسلاخ من البشرية إلى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر. (خلد، قدم، ٤١١، ٧)

كواكب سبعة

- بالعربيّة زحل المشتري المريخ الشمس الزهرة عطارد القمر، بالروميّة قرونس زاوس الرس إيليوس أفروديطي هرمس سيلينس، بالفارسيّة كيوان هرمزد بهرام مهرخورشيد ناهيد تير ماه، بالسريانيّة كاون بيل نرغال شمشا استرا بلتي نفو سهرا، بالعبرانيّة شبثي صيدق ماذيم حمّو نوغه كيخو حمو لفانه، بالهنديّة سنسجر برهسبتي منكل أديد شرك بد سوم، بالخوارزميّة ريمزد اريغز اخير ناهيج جيري ماه. (بير، بقي، ١٩٢، ٥)

كور

- وكور فارس ... أصْطَخْر، وسابور، وأردشير خُرَّه، ودرابَجِرْد، وأرَّجان، وفَسّا. (خرد، مسلك، ٤٧، ١٣)

كوزكان خذاه

- ملك التِّرْمِذ ترمذشاه، ملك الباميان شيرباميان، ملك السُّغْد فيروز، ملك فَرغانة إخشِيَد، ملك الرِيْوشاران الرِيْوشار، ملك الجُوزَجَان كُوزَكان خُذاه، ملك خوارزم خُسْرَو خوارزم، ملك الخُتَّل

خُتَّلان شاه ويقال شيرخُتَّلان، ملك بُخارا بخارا خُذَاه، ملك أُسْرُوشنَة أَفْشِين، ملك سمرقند طَرْخان، ملك سِجِسْتان والرُّخَّج وبلاد الداور رُتْبيل. (خرد، مسلك، ٤٠، ٢)

كوهن

- بقي بنو إسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهما نحو أربعمائة سنة لا يعتنون بشيء من أمر الملك، إنما همّهم إقامة دينهم فقط. وكان القائم به بينهم يسمّى الكوهن، كأنه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم لهم أمر الصلاة والقربان، ويشترطون فيه أن يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه لأن موسى لم يعقب. ثم اختاروا لإقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخًا كانوا يتولون أحكامهم العامة. والكوهن أعظم منهم رتبة في الدين، وأبعد عن شغب الأحكام. واتّصل ذلك فيهم إلى أن استحكمت طبيعة العصبية وتمحّضت الشوكة للملك. فغلبوا الكنعانيين على الأرض التي أورثهم الله - بيت المقدس وما جاورها - كما بُيِّن لهم على لسان موسى صلوات الله عليه، فحاربتهم أمم الفلسطين والكنعانيين والأرمن وأردن وعمَّان ومأرب ورياستهم في ذلك راجعة إلى شيوخهم. (خلد، قدم، ٦٤٧، ١)

كيومرث

- الفرس فإنّهم يُسمُّون الإنسان الأوّل كيومرث ولقبه كرشاه أي ملك الجبل وقيل كل شاه أي ملك الطِّين إذ لم يكن حينئذٍ أحد وقيل إنّ تفسير اسمه حيٌّ ناطق ميِّت، وتاريخهم فيما بينهم ينقسم من لدنه أثلاثًا: فالقسم الأوّل منه إلى قتل الإسكندر دارا وتسلُّطه على ممالك الفرس ونقله خزائن حكمتهم إلى بلاده. والثاني من ذلك الوقت إلى ظهور أردشير بن بابك ورجوع الملك إلى قراره. والثالث من حينئذٍ إلى مقتل يزدجرد بن شهريار وزوال ملك آل ساسان وظهور الإسلام. (بير، بقي، ٩٩، ١)

ل

لات

– تأريخ المتنبّئين، فقد خرج فيما بين ما أوردناه من الأنبياء والملوك نفر من المتنبّئين يقصر الكتاب عن تعدادهم والإبانة عن أخبارهم، فمنهم من هلك غير متّبع ولم يبق إلّا الذكر بعده فقط. ومنهم من اتّبعه أمّة وبقيت نواميسه عندها وهم مستعملون تاريخ. فمن الواجب أن نذكر تواريخ المشورين منهم فإنّ في ذلك منفعة في علم أحوالهم أيضًا، وأوّل المذكورين منهم بوذاسف وقد ظهر عند مُضِيّ سنة من ملك طهمورث بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسيّة ودعا إلى ملّة الصابئين فاتّبعه خلق كثير وكانت الملوك البيشداذيّة وبعض الكيانيّة ممّن كان يستوطن بلخ يعظّمون النّيّرين والكواكب وكلّيّات العناصر ويقدّسونها إلى وقت ظهور زرادشت عند مضيّ ثلثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئة بحرّان يُنْسَبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرّانيّة، وقد قيل إنّها نسبة إلى هاران بن ترح أخي إبراهيم عليه السلام وأنّه كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين وأشدّهم تمسُّكًا به، وحكى عنه ابن سنكلا النصرانيّ في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل أنّهم يقولون إنّ إبراهيم عليه السلام إنّما خرج عن جملتهم لأنّه ظهر في قلفته برص، وأنّ من كان به ذلك فهو نجس لا يخالطونه، فقطع قلفته بذلك السبب يعني اختتن ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتًا من الصنم يقول له يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيبٍ واحد وجئتنا بعيبين اخرُج ولا تعاود المجيء إلينا، فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذًا وخرج من جملتهم. ثمّ أنّه ندم بعد ما فعله وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم زعم، فلمّا علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكَبْش، وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكنديّ النصرانيّ عنهم في جوابه عن كتاب عبدالله بن اسمعيل الهاشميّ أنّهم يعرفون بذبح الناس ولكنّ ذلك لا يمكنهم اليوم جهرًا، ونحن لا نعلم منهم إلّا أنّهم أناس يوحّدون الله وينزّهونه عن القبائح ويصفونه بالسّلب لا الإيجاب، كقولهم لا يُحدُّ ولا يُرى ولا يظلم ولا يجور ويسمّونه بالأسماء الحُسنى مجازًا، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويُعظّمون الأنوار، ومن آثارهم القبّة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلّاهم أيّام كان اليونانيّون والروم على دينهم ثمّ صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ثمّ تغلّب عليها النصارى فصيّروها بيعةً إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتّخذوها مسجدًا، وكانت

لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخيّ في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس، وحرّان فإنّها منسوبة إلى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان وبقربها قرية تسمّى سلمسين واسمها القديم صنم سين أي صنم، وقرية أخرى تسمّى ترع عوز أي باب الزهرة، ويذكرون أنّ الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم وأنّ اللّات كان باسم زحل والعُزّى باسم الزّهرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصريّ وأغاذيمون وواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جدّ أفلاطون من جهة أمّه وأمثالهم، ومنهم من حرّم عليه السّمك خوفًا أن يكون رعادةً والفرخ لأنّه أبدًا محموم والثّوم لأنّه مصدِّع محرق للدم أو المنى الذي منه قوام العالم والباقلاء فإنّه يُغلِّط الذّهن ويفسده وإنّه في أوّل الأمر إنّما نبت في جمجمة إنسان، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أوّلها عند طلوع الشمس ثماني ركعات والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات وفي كلّ ركعة في صلوتهم ثلث سجدات ويتنفّلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار وأخرى في التاسعة من النهار وثالثة في الساعة الثالثة من الليل ويُصَلُّون على طهر ووضوء ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين وفي التّنجُّس عند مسّ الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتورية، ولهم قرابين متعلّقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولّاها كهنتهم وفاتنوهم ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرّب وجواب ما يسأل عنه، وقد يُسمّى هرمس بادريس الذي ذكر في التورية أحنوخ وبعضهم زعم أنّ بوذاسف هو هرمس وقد قيل إنّ هؤلاء الحرّانيّة ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمَّون في الكتب بالحنفاء والوثنيَّة، فإنّ الصابئة هم الذين تخلّفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيّام كورش وأيّام أرطحشست إلى بيت المقدس ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بُخْتَنَصَّر فذهبوا مذهبًا ممتزجًا من المجوسيّة واليهوديّة كالسامرة بالشام، وقد يُوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصّلة منتمين إلى أنوش بن شيث ومخالفين للحرّانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلّا في أشياء قليلة حتّى إنّهم يتوجّهون في الصلواة إلى جهة القطب الشماليّ والحرّانيّة إلى الجنوبيّ. (بير، بقي، ٢٠٥، ١٩)

لامطابقة

- الفاعلية النقدية التي تطال اللامطابقة الناتجة عن بعد الزمان وفساد الأخبار التي تتناول القرون الماضية والأمم والدول البالية، أو تلك الناتجة عن التخيّل ومحبة الغريب، ... هذه الفاعلية النقدية ليست فعلًا فاعلية "طبيعية" تقيس الخبر على

الواقع المفترض أو بالأحرى الواقع الواجب بموجب الواقعية والحسّ السليم - بل هي تتناول النقل. فليس ثمّة أصل "طبيعي"، ليس ثمّة جوهر تتناوله هذه الفاعلية وتستند إليه في عرضها الأخبار على أصولها. إن ما لدينا هو نقد للنقد، وبالتالي إعلان بعدم الثقة بأخبار اعترت مسيرة نقلها شوائب شوّهت منها وحرّفتها عن مواضعها الأصيلة - هذا ما يحدث في النقل عن القدماء البائدين، وهذا عين ما يجري في إطار التحريف. فليس ثمّة اختلاف كامل، بل تحريف لخبر كان أساسه صحيحًا، أي مطابقًا للعين المخبر عنه. (عظم، عرف، ٣٧، ٧)

لبنان

- دمشق هي إِرَمُ ذات العماد، وكانت قبل دار نوح صلّى الله عليه ومن جبل لبنان كان مبتدأ سفينته واستوت على الجُوديّ جبل قَرْدَى ولمّا كثر ولد نوح نزلوا بابل السواد في ملك نِمْرُود بن كوش وهو أوّل ملك كان في الأرض. (خرد، مسلك، ٧٦، ١١)

لسان

- لما كانت العرب مطيعة لطبائعها التولدية وغرائزها الفطرية، وكانت الملكة الأصلية الجبلية فيهم على حدّ سوي، اتّحدت ألسنتهم وأفكارهم وحماستهم وبلاغة مقالهم، وإنما اختلفت فيهم لغات الأحياء والقبائل ومخاطبات البطون والعشائر، يعني اتّحد اللسان الذي به الفهم والتفهّم واختلف متعلقة وأحوال التلفظ به في التأدية وأسماء المسمّيات وكيفيات الحركات والسكنات، ومع ذلك فاللسان واحد وعلى قاعدة واحدة تكاد أن تكون عمومية لا يعتريها تغيير وإلا لكان لحنًا وغلطًا، ولا يجوز أن يتوهّم في العربي البدوي أن يغلط في نطقه ويلحن فيه، وإن تعمّد ذلك لا يطاوعه لسانه، فالعرب معصومون من لحن اللسان وإطلاق الألفاظ على معانيها، وإنما يجوز أن يغلطوا في المعاني، أي لا يطابق كلامهم الواقع. (طه، عمل٣، ٥٩٥، ٦)

- اللسان، وأركانه أربعة: اللغة، والنحو، والبيان، والأدب. (طه، عمل٣، ٦٢٣، ٢)

لسان العرب

- لسان العرب الأول قد تغيّر، واحتاج إلى الإصلاح بالنحو، وكذلك الخط العربي قد تغيّر، واحتاج إلى الإصلاح بقوانين جديدة، بخلاف اللغة العربية فإنها باقية على حالها وفي موضوعاتها لم تتغيّر إلى هذا العهد، فلم تزل محفوظة دائرة على ألسنة العلوم، ومعرفتها ضرورية، لا سيما لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنّة، وهي لغة العرب، والناقلون للشريعة هم الصحابة والتابعون، وهم عرب، وشرح مشكلات الشريعة من لغاتهم، فالمحافظة على اللغة العربية من أوجب الواجبات، وطريق

المحافظة عليها هي الكتابة، وهي فضيلة من الفضائل. (طه، عمل٣، ٦٢٠، ١٦)

- لسان العرب قد بلغ درجة كمال، وكان مظهر استخلاصه واستصفائه في مكّة ونواحيها، حتى صار اللسان العذب الفصيح البليغ هو لسان قريش، وصارت لهم الرتبة المعنوية، لكونهم آل الله وجيرانه، وسكان بيت الله. (طه، عمل٣، ٦٣٣، ٣)

لغات

- أما اللغات فتنقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة: الأول منها يشمل المسمّيات بذوات الهجاء الواحد وهي المؤلّفة من ألفاظ أصلية كل لفظة منها هي الفعل وهي الإسم وينطق بها بصيغة واحدة وإنما يختلف معناها باختلاف موضعها من الجملة وبحسب ارتباطها بالكلمات الأخرى المقارنة لها. والثاني يشمل المسمّيات بالمذيلة وهي المؤلّفة من ألفاظ أصلية كالأولى لا تمييز فيها بين الاسم والفعل إلا بأدوات وحروف تزاد على أواخرها فتتنوّع بها معانيها كما تتنوّع معاني الألفاظ في لغاتنا بالتصريف والإعراب. والثالث يشمل المسمّيات باللغات المتصرّفة وهي المؤلّفة من ألفاظ تتنوّع معانيها بتنوّع أبنيتها وحركاتها ويتميّز فيها الاسم عن الفعل فيفيد الأول الجنس والعدد ويفيد الثاني الزمان والحدث. وهذا القسم هو الأتمّ والأليق لتمثيل الفكر وإيضاحه، وكل اللغات التي وجدت وتوجد الآن في الدنيا ترجع إلى أحد هذه الأقسام الكبرى. وأكملها لغات الجيل الأبيض وهي من القسم الثالث، وتليها لغات التتر والترك والفينيين والتاموليين وهي من القسم الثاني، وتتبعها لغة الصينيين فهي من القسم الأول ولا تزال على قديم عهدها إلا في شيء قليل أصلح منها فجعل أقرب إلى القسم الثاني. (مط، مرأ، ٥، ٦)

- اللغات من أهم العلوم المساعدة التي ينبغي أن يتزوّد منها الباحث في التاريخ. فلا بدّ أولًا من معرفة اللغة الأصلية الخاصة بالموضوع التاريخي المراد بحثه والكتابة عنه، لأن الترجمات التي تكفي لتحصيل الثقافة العامة لا تفي حاجة المؤرّخ للتوفّر على تفهّم الناحية التي يريد أن يتناولها. والراغب في الكتابة عن ناحية من تاريخ اليونان القديم لا بدّ له من معرفة اليونانية القديمة، والراغب في الكتابة عن موضوع من تاريخ العصور الوسطى في أوروبا يلزمه أن يكون عارفًا بلاتينيتها، ومن يرغب في الكتابة عن ناحية من تاريخ عصر النهضة لا بدّ له من معرفة اللغة الإيطالية، وهكذا. (عث، بحث، ٢٤، ١)

لغة عربية

- لسان العرب الأول قد تغيّر، واحتاج إلى الإصلاح بالنحو، وكذلك الخط العربي قد تغيّر، واحتاج إلى الإصلاح بقوانين جديدة، بخلاف اللغة العربية فإنها باقية على حالها وفي موضوعاتها لم تتغيّر إلى هذا العهد، فلم تزل محفوظة دائرة على

ألسنة العلوم، ومعرفتها ضرورية، لا سيما لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنّة، وهي لغة العرب، والناقلون للشريعة هم الصحابة والتابعون، وهم عرب، وشرح مشكلات الشريعة من لغاتهم، فالمحافظة على اللغة العربية من أوجب الواجبات، وطريق المحافظة عليها هي الكتابة، وهي فضيلة من الفضائل. (طه، عمل٣، ٦٢٠، ١٧)

لفظ التاريخ

- لفظ التاريخ يستعمل عادة في ثلاثة مستويات من المعاني: الأول: أن التاريخ يمكن أن يعرفنا (بماضي البشر كله كما حدث). ولا شكّ أن الحياة تكون أبسط إذا نحن استطعنا أن ندع هذا التعبير جانبًا ونأخذ بدلًا منه لفظ "الماضي" الذي يحمل في طيّاته أكثر من معنى. ولكن اللغة ملك للجميع، وهي أحيانًا تفهم فهمًا خاطئًا أو يستعملها الناس استعمالًا سيّئًا، ولكن لا يمكن أن يكون استعمالها وتفسيرها تحت رحمة جماعة الأكاديميين المتحذلقين. وحتى أولئك العلماء الذين أعلنوا على الملأ أنهم كفّوا عن استعمال لفظ التاريخ في هذا المعنى سيجدون أنفسهم في مرحلة ما من مراحل عملهم يخونون أنفسهم، لأنه من العسير جدًّا أن يتجنّب الإنسان استعمال عبارات ثقيلة الوزن مثل قولنا: ليس التاريخ من عمل شخصيات الأبطال أو "لقد حان الوقت لأن نتّخذ من التاريخ ذخرًا. "والاستعمال الثاني والأكثر فائدة هو أن التاريخ يعني أيضًا محاولة الإنسان وصف الماضي وتفسيره، وهو - كما قال الأستاذ باراكلاف Barraclough - "المحاولة التي تبذل للكشف عن الأشياء المهمّة في الماضي على أساس من شواهد جزئية ماضية". وهذا هو التاريخ الذي نعنيه عندما نتحدّث عن التاريخ كضرورة اجتماعية أو عن التاريخ كصناعة وهذا هو أقرب المعاني إلى المفهوم الأصلي للفظ التاريخ عند الإغريق وهو "الاستعلام أو الاستفهام". وواضح أن بعض محاولات الكشف أو استعلام أكثر توفيقًا من غيرها، وقد أعطت بعض عصور التاريخ أهمية لمسائل نضعها نحن الآن في نطاق الخرافات والأساطير أو نجعلها موضع مناقشة. إننا نستطيع أن نستمتع أو نستفيد من مؤلّفات تاريخية ظهرت على طول تاريخ النشاط الأدبي الإنساني ... ولكننا ينبغي أن نلاحظ أن الدراسة المنهجية للتاريخ، أي دراسة التاريخ كعلم discipline (وهذا هو الاستعمال الثالث للتاريخ) ظاهرة حديثة تقرّرت في جامعات غرب أوروبا وشمال أمريكا في القرن التاسع عشر فقط متأخّرة بذلك تأخّرًا كبيرًا عن دراسات الفلسفة واللغات القديمة والرياضيات والعلوم الطبيعية. (علف، فت، ٦٠، ١٥)

لواء

- أما اللواء فراية معقودة على رمح ينصبونه علامة على اجتماع الجيش لحرب الأعداء، فيجتمعون تحت هذه الراية، ويقاتلون عندها، والقيادة أمارة الجيش

ورياسة الحرب، فكانت هذه هي مناصب الشرف في الجاهلية، وانتهت إلى عشرة أبطن من قريش، وبقيت لهم في الإسلام كذلك. والعشرة الأبطن هم هاشم، وأمية، ونوفل، وعبد الدار، وأسد، وتيم، ومخزوم، وعدي، وجمح، وسهم، فكان من هاشم العباس بن عبد المطّلب، يسقي الحجيج، وبقي له ذلك في الإسلام. (طه، عمل٣، ٦٣٥، ٨)

- اللواء والراية شيء واحد، وربما كان اللواء أصغر من الراية، أو أن الراية تسمّى لواء إذا عقدت للحرب. وهي الأعلام، أو البنود، أو البيارق في اصطلاح هذه الأيام. والراية قديمة في التاريخ، اتّخذها المصريون القدماء ومن عاصرهم أو أخذ عنهم. وكانت شائعة في العرب الجاهلية قبيل الإسلام، وكان لكل قبيلة راية تجتمع تحتها. (زي، مدن١، ١٨٨، ٢٣)
- اللواء: الدعوة إلى الحرب برفع راية فوق رمح ويتبعها قيادة الجيوش. (شل، سلم، ١١٩، ٢)

لوح

- لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألهم القلم أن يجري بما أراد وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة واسطةً بينه وبين رسُله وأرسلَه واسطةً بينه وبين خلقه. (بلخ، بدا١، ١٦١، ١١)

لوح محفوظ

- معنى اللوح المحفوظ النفس لأنّه دون العقل في الرتبة يدبّرها العقل كما جرى القلم في اللوح المحفوظ. (بلخ، بدا١، ١٦٣، ٧)

لوبية

- قسّمت الأرض المعمورة على أربعة أقسام: فمنها أرُوفَى وفيها الأندلس والصقالب والروم وفرنجة وطنجة وإلى حدّ مصر، ولوبيَة وفيها مصر والقُلْزُم والحَبْشة والبربر وما والاها والبحر الجنوبيُّ وليس في هذه البلاد خنزير بريٌّ ولا أيّل ولا عير ولا تيوس، وإتْيُوفيَا وفيها تهامة واليمن والسند والهند والصين، واسْقُوتيا وفيها أرمينية وخراسان والتُّرك والخزر. (خرد، مسلك، ١٥٥، ٩)

ليل

- العلماء اختلفوا في ذلك، فإن بعضهم يقول: إنّ الليل خُلق قبل النهار؛ ويستدلّ على ذلك بأن النهار من نور الشمس فإذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار، وهو النور، وارد على الظلمة التي هي الليل. وإذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتًا، فدلّ ذلك على أنّ الليل هو الأوّل؛ وهذا قول ابن عبّاس. وقال آخرون: كان النهار قبل الليل. واستدلّوا بأن الله تعالى كان ولا شيء معه، ولا ليل ولا نهار، وأن نوره كان يضيء به كلّ شيء خلقه حتى خلق الليل. قال ابن مسعود: إنّ ربكم ليس عنده ليل ولا نهار. نور السموات من نور وجهه. (أث، كمل، ٢٠، ١٤)

م

مؤاخاة

- النبي آخى بين المسلمين ومكّن المؤاخاة بأن جعل أموالهم واحدة ومصالحهم واحدة. (زي، مدن١، ١٢٢، ٩)

- اصطلح المؤرّخون على إطلاق كلمة المهاجرين على المسلمين الذين انتقلوا من مكّة إلى المدينة، وكلمة الأنصار على مسلمي المدينة، ومن الملاحظ أن المهاجرين كانوا فقراء تركوا متاعهم وثرواتهم ونزحوا بدينهم وعقيدتهم إلى المدينة، وقد عقد الرسول بين طوائف المسلمين أخوّة، فاتّخذ هو عليًا بن أبي طالب أخًا له، وآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد بن زهير، وبين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وهكذا، فربط الرسول بين المهاجرين والأنصار، وبذلك أصبحت كل أسرة مرتبطة بأسر كثيرة عن طريق هذه المؤاخاة، وكان لهذه المؤاخاة قوة أخوّة النسب بما في ذلك الميراث حتى نزلت آيات المواريث، وبهذه المؤاخاة خلق الرسول وحدة دينية بدل الوحدة القبلية التي كانت سائدة عند العرب. (شل، سلم، ٢٤٧، ١٧)

مؤرّخ

- يشترط في المؤرّخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل، والضبط، والإسلام، والعدالة. لكون كل واحد منهما معتمدًا في أمر الدين، وأمينًا فيه، ولتزداد الرغبة في تأريخه، وللاحتراز عن المجازفة والافتيات، فيحصل له الأمن من الوقوع في الضلالة والإضلال. فإن قلت: فهل يجوز له أن يروي في تأريخه قولًا ضعيفًا؟ قلت: نعم، يجوز له ذلك في باب الترغيب والترهيب والاعتبار، مع التنبيه على ضعفه، لكن لا يجوز له ذلك في ذات البارئ - عزّ وجلّ - وفي صفاته، ولا في الأحكام. وهكذا جواز رواية الحديث الضعيف على ما ذكر من التفصيل المذكور. ولا بدّ له من مستند في تأريخه. (كاف، مخ، ٧٠، ١١)
- مقصود المؤرّخ نوعان: نوع مقصود أصلًا وبالغرض. ونوع مقصود تبعًا وبالعرض. ونوع مقصود تبعًا وبالعرض. أما النوع الأصلي ههنا، فهو ضبط الإنسان على وجه معتبر. (كاف، مخ، ٧٣، ١٢)
- الاعتبارات الحاصلة له (المؤرّخ) عند إرادة تأريخ شيء من الأشياء، أولها اعتبار وجه الحضور والعيان، وثانيها اعتبار وجه العلم واليقين، وثالثها اعتبار وجه غلبة الظن، ورابعها اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح، وخامسها اعتبار وجه غير الوجوه الأربعة. أما لو حصل له الوجه الأول، الذي هو أحسن الوجوه - قال الله - تعالى - حكاية عن الخليل صلوات الله

عليه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، ومنه قول من قال: "من فقد حسًّا فقد فقد علمًا". وقد شاع هذا الخبر بين أولي الأثر والبيان، وليس الخبر كالعيان. ... و(إن) أراد المؤرّخ تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يعتني بتأريخه غاية الاعتناء، اغتنامًا بالفرصة بهذه النعمة العظيمة النفيسة، وابتهاجًا بهذه المرتبة الشريفة اللطيفة، فكيف لا وفيه مصالح ومنافع وعبر لأولي الألباب. ... وأما الوجه الثاني، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحب هذا الوجه، فينبغي أن يؤرّخه على أحسن ما يكون، لما فيه من المصالح والتنشيط والعبر، إلى غير ذلك من سائر النصائح. وأما الوجه الثالث، إذا حصل له عند قصد تأريخ صاحبه فهو يؤرّخه - أيضًا - لما فيه من الاعتبار وسائر المصالح النافعة في أمر الدين. وأما الوجه الرابع، يؤرّخ صاحبه مع تنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ما لم يتحقّق فيه مرجّح لأحد جانبيه على الآخر، وأما إذا علم أو رجّح أحد جانبيه على الآخر فهو في حكم ما مرّ من الوجه الثاني والثالث. فإن قلت: فهل في تأريخ هذا الوجه إذا لم يترجّح أحد جانبيه على الآخر فائدة؟ قلت: نعم، فيه فائدة في الحكم والمصالح والعبر، إذا ظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد، وإن لم يترجّح الآن، وهي الإطلاع على ما فيه. ولذلك نرى العلماء ينقلون المذاهب المختلفة مع أدلّتها، يخالف بعضها بعضًا في كتبهم، والكتب مشحونة بذلك، يشهد به من يطالعها شهادة صدق وعيان. تنبيه: في تأريخ هذا الوجه يحصل له ولغيره تصوّر صاحبه بوجه من الوجوه، وإن لم يحصل له التصديق به وتصوّره بوجه من الوجوه نوع من العلم. ... وأنت تعلم أن السعي والاجتهاد إنما هو بحسب الطاقة والإمكان، وتعلم - أيضًا - أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك، وأن انتفاء التصديق المخصوص به لا يستلزم انتفاء تصديق به في الجملة، فضلًا عن انتفاء تصوّره. وأما الوجه الخامس، فينبغي أن لا يؤرّخه، بل يسكت عنه، لا يتكلّم فيه ببنت شفة، لا بالنفي ولا بالإثبات، ... وللاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت، ولئن ورّخه بيّن حاله، بأنه مجهول عنده، ويعترف بعجزه عنه، مع تفويض علمه به إلى جناب علام الغيوب، ستار العيوب، جلّ ثناؤه ولا إله غيره. (كاف، مخ، ٧٦، ١٥)

- (شرط المؤرّخ) يشترط في المؤرّخ الصدق وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى وأن لا يكون ما نقله مما أخذه في المذاكرة ثم كتبه بعد، وأن يسمّي المنقول عنه فهذه شروط أربعة فيما ينقله. أما ما يقوله من قبل نفسه وما عساه يطول فيه من المنقول بعض التراجم دون بعض فيشترط فيه أن يكون عارفًا بحال المترجم علمًا ودينًا وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جدًّا، وأن يكون حسن العبارة عارفًا بمدلولات الألفاظ حسن التصوّر بحيث يتصوّر حين ترجمة الشخص جميع حاله ويعبّر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص، وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في

مدح من يحبه والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويسلك معه طريق الإنصاف وإلا فالتجرّد عن الهوى عزيز فهذه أربعة أخرى. ولك أن تجعلها خمسة لأن حسن تصوّره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف فيجعل حضور التصوّر زائدًا على حسن التصوّر والعلم فتصير تسعة شروط في المؤرّخ. وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فإنه يحتاج إلى المشاركة في العلم والقرب منه حتى يعرف مرتبته. (سخ، ذم، ٧٣، ١٨)

- على المؤرّخ أن يبدأ عمله دائمًا بجمع الأصول. وهي لعمري حقيقة أساسية لازمة عرفها علماء الحديث قرونًا عديدة وعملوا بها قبل أن يُدرك فائدتها وينوّه بصحتها ويحبّذ العمل بها المؤرّخون الحديثون إن في أوروبة أو في غيرها من مراكز العلم الحديث. (رس، مصط، ٢، ١٤)

- من العلوم الموصلة، لا مفرَّ من الوقوف عليها، والاسترشاد بنظرياتها ونواميسها، كي نستعين بالماضي، على فهم الحاضر، وتدارك المستقبل. لا بدَّ للمؤرّخ العصري، من التبحّر في العلوم الاجتماعية والفلسفة، إذا ما اراد أن ينظر إلى باطن المجتمع الماضي، ليتوصّل إلى العوامل الأساسية، التي أثّرت في عقول السلف، ودفعتهم لإحداث ما حدث من وقائعهم، إن في الحرب أو في السلم. وقد أظهر علماء الاجتماع، كلّ في دائرة اختصاصه، أن كل حادث مضى، إنما هو مظهر لقوى شتّى، اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وغير ذلك، تضافرت في إبرازه إلى حيّز الوجود. ولذا كان محتّمًا، على المؤرّخ المدقّق، إذا ما أراد فهم حقيقة الماضي، أن يحيط علمًا بهذه القوى، وأن يطّلع على نتائج أبحاث العلماء، في جميع العلوم الاجتماعية. (رس، مصط، ٩، ١١)

- هل يبدأ المؤرّخ، فور انتهائه من درس العلوم الموصلة، في مطالعة الأصول لاستخراج مكنوناتها، أم يتربّص قليلًا للنظر في أصالة ما لديه منها (أي من الأصول)؟ وهل من مبرّر للتردّد في هذا الأمر؟ فلو بدأنا فور انتهائنا من العلوم الموصلة في استخراج المهمّ من أخبار الأصول، وزاولنا العمل مدّة من الزمن، ثم تيقّنا بعد ذلك، أن ما اعتبرناه أصلًا من الأصول، هو في الحقيقة أثر من آثار المتخلّفين غير المعاصرين، أو أنه وُضع خصّيصًا للمغالطة والتضليل، أقول لو بدأنا بمثل ما تقدّم ذكره وتيقّنا وقوع التضليل والتزوير، لضاع وقتنا سدى، وأصبحنا من الخاسرين. فعلى المؤرّخ إذًا عند انتهائه من العلوم الموصلة، أن يتأكّد أولًا من أصالة الأصول، ويتثبّت من خلوّها من كل دس أو تزوير. (رس، مصط، ١٠، ٦)

- على المؤرّخ، بعد جمع الأصول وبعد الانتهاء من درس العلوم الموصلة، أن يتأكّد من أصالة الأصول، ويتثبّت من خلوها من كل دسّ أو تزوير. ويتّضح

... أنه بإمكان المؤرّخ أن يستعين بطائفتين من الأدلّة. فهنالك أدلّة باطنية، يتوصّل إليها بعد درس نصّ الأصل نفسه، وأدلّة ظاهرية، يقف عليها بعد درس الأصول الأخرى، أو بعد التمكّن من بعض العلوم الموصلة. هذا ولا نرى بدًّا في هذا الصدد، من الإشارة إلى وجوب التريّث، والتروّن والتثبت. فلا فائدة ترجى من التهالك في الأمر والإسراع في العمل ولا يخفى أن التثبّت من صحة الأصول وأصالتها أمر صعب الممارسة، عزيز المنال وحذار حذار من الاستسلام إلى الأصول بالثقة العمياء والاسترسال إليها، إذ لا يجوز للمؤرّخ أن يكون قنوعًا يثق بكل أحد أو يَقِنًا يصدق كل ما يقرأ. (رس، مصط، ٢١، ٤)

- التأريخ علم في تحرية الحقيقة وكعلم يطلب الحقيقة كما هي. والأصول هي صلة المؤرّخ الوحيدة بحوادث الماضي. وإذًا فهدف المؤرّخ المنقّب أن يتحقّق من هذه الصلة ومن حرفية نص الشهادة التي فيها ثم يروي هذه الشهادة كما صدرت عن صاحبها الأصلي متحرّيًا في ذلك درس ما يمكن أن يكون قد عرض عليها من زيادة أو تحريف أو نقصان. (رس، مصط، ٣١، ٣)

- لا بدّ للمؤرّخ ... من متابعة البحث والتنقيب للوصول إلى طمأنينة العقل وسلامة الاستنتاج. وعليه أولًا أن يبتعد كل الابتعاد عن الروايات التي انفرد بها راوٍ واحد. فإذا كانت العلوم الطبيعية تتطلّب المشاهدة والاستدلال القياسي والتحقيق بالمقابلة والتجربة، فتبتعد كل الابتعاد عن الإطلاق في النتيجة من مشاهدة واحدة، فالتأريخ أولى بذلك منها لأنه بعيد عن المشاهدة ضعيف الاستدلال بالقياس عديم التجربة. (رس، مصط، ٨٨، ١٦)

- قد تتعدّد الروايات التاريخية في أمر واحد فتتوافق أن تتناقض. وحيث تتناقض يحسن بالمؤرّخ أن يؤكّد بادئ بدء وقوع التناقض. لأن ما يظهر من التناقض لأول وهلة قد يتلاشى لدى التدقيق والتحقيق. فقد لا تتّفق الروايات في الزمان أو المكان أو الشخص المقصود أو ما شاكل ذلك. أما إذا ثبت التناقض فعلى المؤرّخ ما يأتي: ١) أن يترفّع عن اتّخاذ موقف وسط بين الطرفين. فإذا ما وقع مثلًا على أصل من الأصول فيه أن عدد المحاربين في واقعة كان عشرين ألفًا وآخر فيه أنهم كانوا أربعين ألفًا، فإنه من الخطإ الفاضح أن يوفق بين الطرفين فيزعم أن العدد كان وسطًا بين الطرفين أي ثلاثين ألفًا. فإن ما يصحّ في علم الرياضيات يصحّ هنا. فإذا جعل أحدهم حاصل الرقمين ٢ ضرب ٢ أربعة وجعل الآخر الحاصل ستة، فهل يقال إن الحاصل الحقيقي لا هذا ولا ذاك بل هو خمسة!. ٢) أن يعيد النظر في الطرفين لعلّه يكشف الستار عن عيب في إحدى الروايتين لم يتنبه إليه أولًا. أو لعلّه يجد ما يجعله يثق بالواحدة أكثر من الأخرى. فيسقط ما قلّت ثقته فيه ويرجّح

القول الآخر. ٣) أن يمتنع عن الحكم بين الطرفين إذا عمَّ الشكّ وبانت قلّة الثقة. فليس هنالك ما يضطرّه لإبداء رأيه وإصدار حكمه. والعالم من يعلم أنه لا يعلم. وما يصحّ عن التناقض بين روايتين يصحّ أيضًا عن التناقض بين رواية من الجهة الواحدة وروايتين أو أكثر من الجهة الأخرى. فلا عبرة للعدد في مثل هذه المواقف. والحقيقة العلمية لا تثبت بالتصويت والأكثرية، وقد قال الفلاسفة القدماء: "الوزن لا العدد" وحيث تتوافق الروايات التاريخية يجدر بالمؤرّخ المدقّق أن يتلفت إلى أمور عدّة منها ما يأتي: ١) عليه أن لا يتسرّع في الحكم فيظنّ أن جميع ما لديه من الروايات هو من النوع الذي يعوَّل عليه. فالناس كثيرًا ما ينقل بعضهم عن بعض وهذه جرائدنا اليومية. ألا ترى أن مخبرًا واحدًا أحيانًا ينقل الخبر نفسه إلى جرائد متعدّدة؟ وإذًا فالمؤرّخ المدقّق هو من يتروى في الأمر ويعيد النظر في الروايات ليؤكّد عدم اعتماد الرواة بعضهم على بعض. والتأكّد من الاعتماد أو عدمه ميسور لمن يسعى إليه. . . . ٢) وعليه أن يذكر أيضًا أن شدّة الانطباق بين الروايات المختلفة توجب الشكّ لا الثقة. وهو أمر عرفه علماء التزوير في الخطوط وقالوا به منذ زمن بعيد. فحيث ينطبق إمضاء، معترض عليه، من جميع نواحيه وفي جميع دقائقه، على إمضاءٍ معترف به، يُرجّح وقوع التزوير. وحيث يشتدّ انطباق الروايات بعضها على بعض يزداد قلق المؤرّخ ويكثر ريبه. ٣) وهنالك تآلف بين الحقائق التاريخية لا بدّ من الالتفات إليه. والاستعارة هنا من علم الموسيقى. فكلمّا تتآلف الألحان المختلفة فتشكل مجموعًا موسيقيًا شائقًا مؤثّرًا في النفس، كذلك الروايات التاريخية المختلفة فإنها إذا ما عبَّرت عن الحقيقة الراهنة تتآلف بعضها مع بعض فتتناصر على البطل وتلمع لمعان الحق. فيترتّب على المؤرّخ المدقّق أن ينظر إلى رواياته المتوافقة ليرى إذا كانت تتآلف فتتناصر وتظهر الحقيقة والعكس بالعكس. وقد تكتمل هذه الشروط في رواية من الروايات. ولكن المؤرّخ يجد تناقضًا بين مضمونها وناموس من نواميس العلوم الطبيعية. فيضطر والحالة هذه إلى إسقاط الرواية وصرف النظر عنها. (رس، مصط، ٩٥، ٥)

- لا بدّ من الاعتراف بأن ما يحسبه المؤرّخ الحاضر يتوقّف على الفلسفة التي يدين بها. فقد يقول بآراء هيكل وقد يؤيّد البلشفية أو النازية أو ما يسمّيه فلاسفة ألمانية اليوم الفينومنولوجية. فيضطرّ والحالة هذه أن ينتقي على أساس فلسفته في الحياة. وليذكر المؤرّخ المستجدّ أن الفلسفة هي من أهم العلوم الموصلة وأنه لا بدّ للمؤرّخ من تفهّمها في ماضيها وحاضرها، وأن الفيلسوف المؤرّخ الإيطالي غروتشي ذهب إلى أكثر من هذا فقال بأن التاريخ هو التاريخ هو الفلسفة وأن الفلسفة هي التاريخ. (رس، مصط، ١٢٢، ٢٢)

- قد يقول المؤرّخ بوجوب انتقاء الحقائق المفردة على أساس علاقتها بالحاضر، ولكنه يبقى في حيرة من أمره إما لكثرة الحقائق الباقية أو لشدّة اختلافها من حيث النوع أو الموضوع أو الاثنين معًا أو ما شاكل ذلك. فيجدر به عندئذٍ أن يعيد النظر فيها ليتأكّد من شدّة علاقة بعضها بالحاضر فيؤثره على غيره. وحيث تختلف في النوع أو الموضوع، يحسن به أن يقدّم ما يتعلّق منها بالمجتمع الكبير على الجماعات التي تؤلّفه، وما يتعلّق بالجماعات على الأفراد. هذا ولا يغرب عن البال بأن سير الأفراد تتفاوت في شدّة ارتباطها بحياة المجموع. (رس، مصط، ١٢٣، ١٣)
- يجب على المؤرّخ أن ينكره هو ليس الغرض العلمي الذي نبدأ به بحثنا، بل النظرية المغرضة أو المغررة التي تسيطر عليه. (رس، مصط، ١٣٩، ١٥)
- إن عمل المؤرّخ في المرحلة النقدية هو أشبه ما يكون بعمل المستنطق في الدوائر القضائية الذي يأتي بالشهود والرواة فيستنطقهم ويدقّق في شهاداتهم ويحقّق في إفاداتهم ويقدّم نتيجة تدقيقاته وتحقيقاته ليستند إليها في الحكم في ما جرى. ولكن المؤرّخ لا يقف عند عمل المستنطق، بل يتجاوزه إلى عمل المدعي العام، وإلى عمل المحامي - متّخذًا وجهة الادعاء تارة ووجهة الدفاع أخرى - ثم يصل أخيرًا إلى عمل القاضي الذي يحاول إثبات الوقائع قبل أن يقدم على الحكم فيها. (زري، نحن، ٧٣، ١٢)
- المؤرّخ يختبر أعمال الإنسان ويتأمّل في سير الحوادث، فيستطيع توسيع خبرته وتمحيص معرفته بالطبيعة الإنسانية، وذلك كالطبيب، فإنه لا يتحكّم في تطوّرات كل مرض عند كل مريض، ويجهل هو النواميس التي تدور عليها دقائق التطوّرات، ومع ذلك فلا بدّ من اللجوء إليه لأن خبرته في آلام الناس توحي بنصائح نافعة وعلاجات شافية، والاطلاع على أفعال الإنسان السابقة يفيد في مسايرة التسلسل الحديث، وأحداث التاريخ لا تتكرّر كما هي، ولكن علم التاريخ يكشف خلال تطوّرات الإنسان نواميس وعوامل طويلة المدى يمكن الاستفادة بها في مقابلة حدث بحدث. (شل، سلم، ٣٨، ١٤)
- علينا أن نهتمّ بأسباب الأحداث ونتائجها لأن المؤرّخ الذي لا يُعنى بهذه الأسباب والنتائج ينحدر في سلّم المنطق حتى يصبح حكّاءً (ناقلًا للقصص عن ألسن الناس راغبًا في إطراف العوامّ بالحكايات العادية). (فر، علل، ٤، ١٧)
- التاريخ في نظر ابن خلدون علم من علوم الفلسفة، وهو في ظاهره: "إخبار عن الأيام والدول"؛ ولكنه في حقيقته تمحيص للروايات وتعليل للكائنات (الحوادث) وعلم بأسباب الوقائع وبكيفية وقوعها. ولا يجوز أن يقتصر التاريخ على ذكر الملوك والمعارك، بل يجب أن يتناول شرح أحوال العمران والتمدّن وما يعرض في الإجتماع الإنساني من العوارض.

والمؤرّخ محتاج إلى الإحاطة بعلوم مختلفة ومعارف متنوّعة، لأنّ التاريخ ليسَ قصصًا فحسب، بل هو وصف للبيئة الاجتماعية كلها ولما فيها من الحركات والمظاهر والحضارة والثقافة والفنّ وغيرها. (فر، علل، ١٢، ٤)

- (شروط المؤرّخ): يشترط في المؤرّخ الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وأن لا يكون مما أخذه في المذاكرة ثم كتبه بعد، وأن يسمّي المنقول عنه. فهذه شروط أربعة فيما ينقله. أما ما يقوله من قبل نفسه، وما عساه يطول فيه من المنقول من بعض التراجم دون بعض، فيشترط فيه أن يكون عارفًا بحال المترجم علمًا ودينًا وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جدًّا. وأن يكون حسن العبارة عارفًا بمدلولات الألفاظ، حسن التصوّر بحيث يتصوّر حين ترجمة الشخص جميع حاله ويعبّر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص. وأن لا يغلبه الهوى، فيخيّل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الإنصاف، وإلا فالتجرّد عن الهوى عزيز. فهذه أربعة أخرى، ولك أن تجعلها خمسة، لأن حسن تصوّره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف، فيجعل حضور التصوّر زائدًا على حسن التصوّر والعلم. فتصير تسعة شروط في المؤرّخ. (حس، عر، ٢٩، ١)

- أما معارف المؤرّخ ومعلوماته والعلوم والوسائل التي يحتاج إليها حتى يكون مؤرّخًا بحق فتختلف باختلاف العصور والأزمان وتقدّم العلم. إلا أن هناك من العلوم العامة ما تقوم حاجة المؤرّخ إليها في كل وقت بصرف النظر عن حالة ذلك العصر من العلم وسيره. وقد أشار المؤرّخ ابن خلدون في مقدّمة كتابه المشهور: "مقدمة ابن خلدون" إلى بعض ما يحتاج إليه المؤرّخ من العلوم قائلًا (فإذن يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة، وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق، أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتّفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملك، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعبًا لأسباب كل حادث، واقفًا على كل أصول خبر. وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحًا، وإلا زيفه واستغنى عنه). (حس، عر، ٣٠، ٧)

- يجب أن يكون المؤرّخ على حذر من تشابه أسماء الرجال واتّفاقها، فعليه أن يكون على حذر من عدم الضبط في ذكر الأسماء والألقاب. وقد نبّه إلى ذلك المؤرّخ الموسوعي المصري النويري صاحب

"نهاية الأرب" حيث قال في الجزء التاسع من كتابه: (وأما من ينسخ التاريخ، فإنه يحتاج إلى معرفة أسماء الملوك وألقابهم ونعوتهم وكناهم، وخصوصًا ملوك العجم والترك والخوارزمية والتتار، فإن غالب أسمائهم أعجمية، لا تفهم إلا بالنقل، ويحتاج الناسخ إذا كتبها إلى تقييدها بضوابط وإشارات وتنبيهات تدلّ عليها، وكذلك أسماء المدن والبلاد والقرى والقلاع والرساتيق والكور والأقاليم، فينبه على ما تشابه منها خطاً، واختلف لفظًا، وما تشابه خطاً ولفظًا، واختلف نسبة، نحو مرو، ومرو؛ إحداهما مرو الروذ، والأخرى مرو الشاهجان والقاهرة، والقاهرة؛ إحداهما القاهرة المعزية، والأخرى القلعة القاهرة التي هي بزوزن، التي أنشأها مؤيّد الملك صاحب كرمان، فإن الناسخ متى أطلق اسم القاهرة ولم يميّز هذه بمكانها ونسبتها تبادر إلى ذهن السامع إلى القاهرة المعزية لشهرتها دون غيرها). (حس، عر، ١١١، ١)

- ليس أسلم في كتابة التاريخ من أن "يجرّد" المؤرّخ نفسه من نوازع البيئة والعصبية، وأن "ينسلخ" انسلاخًا من حكم المنشأ والمربى، حتى لا يتأثّر في كتابته وأحكامه التاريخية بالمؤثرات العاطفية، أو يستجيب لبعض الروابط والدواعي التي قد تغطي على الأبصار في ساعة الأحكام، فإن إغراق المؤرّخ مع التزامات الوسط ومجاملات المنشأ، مما يجور على رأيه أو يؤثّر فيه - ولو بعض التأثير - حين يحكم، فلا تتفتّح عيناه على حقائق الأمور، ولكن عينه تكون كليلة عن كل عيب إذا رضي، ومبدية للمساوئ إذا سخط. (حس، عر، ١١٨، ١٠)

- من الصفات الواجب توفّرها في المؤرّخ - كما في غيره من الدارسين - أن يكون محبًّا للدرس جلدًا صبورًا، فلا تمنعه وعورة البحث ولا المصاعب والعقبات عن مواصلة العمل، ولا توقفه ندرة المصادر، ولا يصرفه عن عمله غموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها أو اضطرابها. وينبغي عليه أن يقضي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد لآخر، في وطنه وفي كل مكان يمكن أن يعثر به على ما يفيده. وينبغي عليه ألا يتسرّع أو يقتضب تعجيلًا لنيل منفعة، لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية. وينبغي على المؤرّخ أن يكون أمينًا شجاعًا مخلصًا، فلا يكذب، ولا ينتحل، ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان، ولا يُخفي الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره في بعض الأحيان، والتي قد لا ترضيه أو لا ترضي قومه، إذْ أنه لا رقيب عليه غير ضميره. ومن يخرج على ذلك لا يمكن أن يعدّ مؤرّخًا. (عث، بحث، ١٨، ٣)

- يلزم أن تتوفّر للمؤرّخ ملكة النقد، فلا يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدّق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقراء، فيأخذ الصدق، أو أقرب ما يكون إليه، ويطرح جانبًا ما ليس كذلك.

وإذا أعوزت المؤرّخ ملكة النقد سقطت عنه صفته، وأصبح مجرّد شخص يحكي كل ما يبلغه على أنه حقيقة واقعة. وليس بهذا يُدرس أو يُكتب التاريخ. وينبغي على المؤرّخ أن يكون بعيدًا عن حب الشهرة والظهور؛ وألا يحفل بالكسب والألقاب والجاه والمناصب، وأن يكرّس نفسه لعمله العلمي في صمت وسكون، من دون أن يوزّع جهده هنا وهناك. ودون أن يقوم بأعمال أخرى، نافعة بغير شكّ، ولكن يمكن أن يقوم بأدائها آخرون على خير وجه، إذ أن الحقيقة العلمية التي قد يكشف عنها تعدل كل ألوان الكسب وصنوف المناصب أو تزيد عنها. (عث، بحث، ١٨، ٢٠)

- ينبغي على المؤرّخ أن يكون صاحب إحساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال، بالقدر الذي يتيح له أن يدرك آراء الغير ونوازع الآخرين. وبذلك يمكنه أن يتلمس أخبار الإسكندر، وقيصر، وعمر بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي، وابن رشد وميكل أنجلو، وباخ، ولويس الرابع عشر، ونابليون، ونلسون، ومحمد علي، وأحمد عرابي... ويحسّ ما جاش بصدورهم من شتّى العواطف، ويفهم بقدر المستطاع الدوافع التي حرّكتهم لاتخاذ سلوك معين في الزمن الماضي، ويشارك رجال الأمس مواقفهم في ساعات التاريخ الفاصلة، في فترات الانقلاب، وفي عهود المقاومة، وفي ظروف النجاح والفشل. (عث، بحث، ١٩، ١٩)

- من الضروري للمؤرّخ أن يكون واسع الثقافة، عارفًا بالعلوم المتّصلة بدراسة التاريخ وكتابته. ويمكن أن تسمّى العلوم اللازمة للمؤرّخ - أو لغيره من الدارسين والباحثين بالنسبة لموضوع كل منهم - بالعلوم المساعدة أو العلوم الموصِّلة. ويلاحظ أن العلوم المساعدة تختلف وتتفاوت - بالنسبة لدارس التاريخ - باختلاف العصر أو الناحية التي يرغب في دراستها والكتابة عنها. فالعلوم المساعدة اللازمة لدارس تاريخ اليونان القديم تختلف عن العلوم المساعدة الضرورية لدراسة تاريخ عصر النهضة أو تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى أو تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. (عث، بحث، ٢٣، ١٦)

- للتقنيات الجديدة أثر غير مباشر على المؤرّخ، من حيث إنها وسيلة لجعل مصادره أقرب تناولًا، كما أن لها أثرًا مباشرًا أكثر أهمية على عمله وعلى موقفه من عمله، وعلى تنظيم البحث التاريخي، وأهم هذه التقنيات الجديدة هو استعمال الآلة الحاسبة الإلكترونية. وقد قيل "إن التاريخ هو ليس أول علم أكاديمي يتبدّل بظهور الأجهزة المتعلّقة بعملية المعلومات، والواقع أنه واحد من أواخر العلوم التي تبدّلت بهذا السبب، غير أنه يبدو أن النتائج ستكون واسعة ومستمرّة، ومن بين كافة العلوم المساعدة الحديثة التي تحت تصرّف المؤرّخ؛ ستكون تقنيات

الآلات الحسّابة أكثرها ثورية عند التطبيق. (بار، وجه، ٣٢٧، ٢)

- فإذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث، وكانت الحوادث هي التغيّرات، والتغيّرات وليدة الزمان أو سير الزمان انتهينا إلى أن التاريخ هو الزمان. ويكون ميدان اهتمام المؤرّخ على هذا هو دراسة كل تغيّر طرأ على الكون والأرض وكان له تأثير على حياة البشر. ثم دراسة كل تغيّر طرأ على حياة البشر أنفسهم، مهما كان هذا التغيّر صغيرًا أو غير ظاهر الأهمية. فالحقيقة أنه لا توجد حوادث صغيرة وأخرى كبيرة، لأن الحوادث الكبيرة إنما هي تجمّع حوادث صغيرة بعضها إلى بعض في نطاق مكاني وزماني ضيّق. (علف، فت، ٥٢، ٣٠)

- المؤرّخ يختلف عن الجيولوجي من حيث اضطرار الأول إلى دراسة العامل البشري الذي يدور من حوله التاريخ، بكل ما فيه من إرادة وانفعال وميول خاصة. من هنا كان لا بدّ أن تتوافر فيمن يتصدّى لكتابة التاريخ مجموعة من الصفات والمميزات، وأن تتاح له الظروف التي تجعله قادرًا على الدراسة العميقة والتدوين الأدبي السليم. (علف، فت، ١٢٠، ١٢)

مؤرّخو الإسلام

- اشترط أكثر مؤرّخي الإسلام في المؤرّخ الحق أن يكون عدلًا غير متحيّز لهوى، ولا مائل إلى جهة، وأن لا يغلبه الهوى على الإنصاف، فيجعل الحق باطلًا، والباطل حقًّا، ويطنب في مدح من لا يستحقّ المدح لحبه، ويقصر في الثناء على مستحقّ المدح لمجرّد أنه لا يميل إليه أو لكراهته أو لاختلاف في المذهب، أو لغير ذلك من الأسباب التي تجور بها الأحكام، ويختلّ الميزان. ولما كانت المعاصرة بين المؤرّخ ورجال عصره سببًا في قيام الصلات أو قطعها بما لا يؤمن معه التحيّز في الحكم، فقد صرّح بعض علماء الإسلام المشتغلين بالتاريخ والطبقات بأنه لا يقبل كلام المتعاصرين بعضهم في بعض، دفعًا لمظنّة الميل والكراهة، مما يقوم عادة بين رجال العصر الواحد، لاختلاف المآرب، وتباين المطامع، وقيام المنافسات، وخاصة في العصور التي كان فيها التزلّف إلى الحكّام وأولياء الأمر سببًا إلى رفعة المنزلة، وقرب المكانة، والقيام بالوظائف الهامة في الدولة، سواء أكانت ولاية أم وزارة أم قضاء أم حسبة أم غير ذلك من المناصب التي يطمع فيها كل إنسان. وقد صرّح الإمام ابن عبد البر القرطبي بأن المتعاصرين (لا يقبل كلام بعضهم في بعض، وإن كان كل منهم بمفرده ثقة حجّة، وربما يكون بين المتعاصرين الشيء من غير عداوة). وقالوا بأن العدالة شرط في المؤرّخ حتى مع من يبغضه، فلا يحمله البغض على إخفاء المحاسن، وجحد المكارم والفضائل، فإن الحق أولى أن يقال بحيث لا يحجبه حجاب. وقد أشار السخاوي المؤرّخ إلى هذا التحرّي في

الإنصاف (فيمن يبغضه لعداوة سببها المنافسة في المراتب، مما كثر الاختلاف بين المتعاصرين والتباين لها). (حس، عر، ٣٩، ٣)

مؤرّخو الإغريق

- لم يجد مؤرّخو الإغريق في سير الحوادث اتّجاهًا جبريًّا تفرضه العناية الإلهية، ولا عبثًا ورث الناس أثقاله جَزَاء ما اقترفه أجدادهم. (علف، فت، ١٢٤، ٥)

مؤرّخو العرب

- أغرب ما في قضية "المَيْل" عند مؤرّخي العرب الأولين هو تلك النزعة "الشعوبية" التي كانت ترمي إلى تهوين شأن العرب والحط من قدرهم، وإعلاء شأن الأعاجم. وقد ظهرت هذه النزعة الغريبة عند إخباري يتمتّع بسمعة علمية طيّبة هو "أبو عبيدة" المتوفي سنة ٢١١هـ، وقد عاش أبو عبيدة حوالي مائة عام، منها قرابة ثمانين عامًا في العصر العباسي الذي رجحّت فيه كفّة الموالي. وقد ظهرت هذه النزعة فيما كتبه عن مثالب العرب. ولا شكّ أن هذه النزعة هي وليدة تلك الحركة الشعوبية التي قصد بها تشويه تاريخ العرب. وعلى الرغم من أنها خدشت ذلك الوجه الجميل لتاريخ العرب، إلا أنها كان لها فضل قيام حركة أخرى حماسية مضادّة لها، نتج عنها الاهتمام البالغ بدراسة التاريخ العربي على مقياس رحيب. وممن عاصروا أبا عبيدة وحملوا على العرب في تاريخهم الهيثم بن عدي المتوفي سنة ٢٠٧هـ. وكان من حاملي لواء الشعوبية، ولم تسلم قريش حتى من كتاب له في مثالبها... وقد تكون هناك اعتبارات للهوى في التاريخ غير اعتبارات الانتماء إلى القبيلة، أو إلى شيعة سياسية معيّنة، كاعتبارات التقرّب من حاكم، أو الخوف منه أو مجاملته. كما أن هناك بعض الاعتبارات الشخصية التي تقوم بين الناس في علاقاتهم بعضهم مع بعض، والتي لا ينبغي إغفالها من الحسبان حين الحكم على آثار المؤرّخين وكتّاب التراجم. وعامل المنافسة مثلًا بين الرجال هو عامل لا يجوز إغفاله في تعليل أكثر الحملات العنيفة التي قد نراها عند بعض المؤرّخين. (حس، عر، ٤٢، ١١)
- قد يكون مؤرّخو العرب الذين اعتمدوا على عنصر "المعاينة" في كتابة التاريخ قلّة لا تعادل هذا العدد الجسيم من مؤرّخي العرب الذين اعتمدوا على الكتب أو على الرواية التاريخية التي قد تتضارب في الواقعة الواحدة تضاربًا يوقع القارئ في حيرة، ولكن قليلًا أيضًا من مؤرّخي الغربيين هم الذين اعتمدو على عنصر "المعاينة" في كتابة التاريخ: فإن أغلب اعتمادهم على الكتب والوثائق المحفوظة. (حس، عر، ١٣٦، ٦)

مؤرّخون

- إن خلفًا من المؤرخين ملأوا كتبهم بما يرغب عن ذكره، تارة من المبتدآت البعيدة الصحة، المستهجن ذكرها عند ذوي

العقول كما قد ذكر في مبتدأ وهب بن منبه وغيره من الأخبار التي تجري مجرى الخرافات، وتارة يذكر حوادث لا معنى لها ولا فائدة، وتارة يذكر أحوال ملوك يذكر عنهم شرب الخمر، وفعل الفواحش، وتصحيح ذلك عنهم عزيز، فإن صحّ كان ذلك إشاعة الفواحش، وإن لم يصحّ كان في مرتبة القذف، وهو في العاجل يهون على أبناء الجنس ما هم فيه من الزلل على أن الأخبار لا تسلم من بعض هذا. (جو، نظم، ١١٦، ١٩)

- يذكرون الحادثة الواحدة في سنين (المؤرخون)، ويذكرون منها في كلّ شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطَّعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلّا بعد إمعان النظر. فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كلّ شيء منها في أيّ شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض. وذكرت في كلّ سنة لكلّ حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصّها. فأمّا الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كلّ شيء ترجمة فإنّني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كلّ سنة، فأقول: ذكر عدّة حوادث. وإذا ذكرت بعض من نبغ وملك قطرًا من البلاد ولم تطل أيّامه فإني أذكر جميع حاله من أوّله إلى آخره، عند ابتداء أمره، لأنّه إذا تفرّق خبره لم يعرف للجهل به. وذكرت في آخر كلّ سنة من توفّي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء. وضبطت الأسماء المتشابهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللّفظ الواردة فيه بالحروف ضبطًا يزيل الإشكال، ويُغني عن الأنقاط والأشكال. فلمّا جمعت أكثره أعرضت عنه مدّة طويلة لحوادث تجدّدت، وقواطع توالت وتعدّدت، ولأن معرفتي بهذا النوع كملت وتمّت. (أث، كمل، ٤، ٢)

- رأي المؤرّخين ... يأتون بالحادثة الواحدة فيذكرون منها في كلّ شهر أشياء، فتأتي متقطّعة لا يُحصل منها على غرض ولا تُفهم إلّا بعد إمعان النظر (مقدمة). (أث، كمل، ١٢، ١٩)

- ذكر المؤرّخون أن أول ملك وضع في الأرض، "كيومرت" بن آدم - عليه السلام! - فساروا إليه وعرّفوه حاجتهم إلى ملك قيم، وقالوا له: أنت أكبرنا وأشرفنا وبقية أبينا، وليس في العصر من يوازيك، فاضمم أمرنا إليك، وكن القائم فينا، فإننا سمعك وطاعتك والقائلون بما تراه. فأجابهم إلى ما دعوه إليه، واستوثق منهم توكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه. فلما وضع التاج على رأسه، قال: إن النعمة لا تدوم، إلا بالشكر. وإنا نحمد الله على أياديه، ونشكره على نعمه، ونرغب إليه في مزيدها، ونسأله المعونة على ما دفعنا إليه، وحسن الهداية إلى العقل الذي يجمع الشمل ويصفّي العيش. فثقوا بالعدل منّا، وأنصفونا من أنفسكم نوردكم فضل ما في هممكم. والسلام. (أزر، بدع١، ١٣١، ١٦)

- المؤرّخون مقاصدهم مختلفة فمنهم من

اقتصر على ذكر الابتداء أو على الملوك والخلفاء وأهل الأثر يؤثّرون ذكر العلماء والزهّاد يحبون أحاديث الصلحاء وأرباب الأدب يميلون إلى أهل العربية والشعراء، ومعلوم أن الكل مطلوب والجميع محبوب وفيه مرغوب وكل من التزم شيئًا فالغالب عدم خروجه عن موضوعه وإن لم يمكنه الاستيفاء لمجموعه، والسعيد من جمعه في ديوان وأودعه من غير كبير خلل ولا نقصان والكمال لله. (سخ، ذم، ٥١، ٥)

- قال ابن الجوزي رأيت المؤرّخين تختلف مقاصدهم فمنهم من يقتصر على ذكر الابتداء ومنهم من يقتصر على ذكر الملوك والخلفاء، وأهل الأثر يؤثرون ذكر العلماء والزهاد يحبون أحاديث الصلحاء وأرباب الأدب يميلون إلى أهل العربية والشعراء، ومعلوم أن الكل مطلوب والمحذوف من ذلك مرغوب. (سخ، ذم، ١٦٢، ٨)

مؤرّخون جغرافيون

- (المؤرّخون الجغرافيون) كانت المعلومات الجغرافية في كتب التاريخ قليلة قبل القرن الرابع وذات صبغة عملية: إدارية - شرعية تتّصل بعلاقات الشعوب في الدولة الإسلامية مع نظام الحكم كما يتجلّى ذلك في كتب الفتوح (فتوح البلاذري مثلًا) وكتب الخطط. أما بعد القرن الرابع فقد كان دخول المعارف الجغرافية إلى التاريخ نابعًا من الرغبة في المعرفة وسعة الاطّلاع وتنويع المصادر. وقد شجّع على ذلك أن بعض كتب الجغرافيا كانت مثقلة بأخبار التاريخ مثل كتاب ابن حوقل (صورة الأرض) وكتب المسالك والممالك... (مص، رخ١، ٣٤٥، ١٢)

مؤرّخون فرس

- ظهرت لدى المؤرّخين الفرس نزعة واضحة للربط ما بين التنجيم والتاريخ. وسواء كان المقصود ضبط الأزمان والسنين والأحداث، أم تفسير بعض الأحوال الحسنة أو السيئة أم التنبّؤ بالمستقبل فإنا نرى دخول الأبراج والنجوم والأزياج وحساباتها ضمن السطور. وإذا كان المنجّم قد أضحى منذ مطلع العصر العباسي أحد رجلين اثنين لا يتحرّك الخليفة إلا بهما: هو والطبيب، فقد ورث رجال الأسر الفارسية هذين الرجلين وظهر ظلّهما بوضوح أحيانًا في كتب التاريخ الفارسية. ويبدو أن هذا الظلّ كان أكثر وضوحًا في القرن الثالث والرابع منه في القرون التالية. (مص، رخ٢، ٣٦٧، ١٣)
- ظهرت لدى المؤرّخين الفرس نزعة لكتابة التواريخ العالمية من خلال تاريخهم الخاص وتاريخ الإسلام معًا. ولعلّ التنازع بين شعورهم الفارسي الإقليمي وبين معطيات الدين الإسلامي الذي اعتنقوه كان السبب في محاولاتهم إيجاد نوع من التوازن بين الأمم ومن التساوي بينها في سياق الزمن وفي الأمجاد. وإذا لم نذكر الطبري كمؤرّخ من أصل فارسي ولا المؤرّخين المعروفين الآخرين كالدينوري واليعقوبي ومسكويه ممّن كتبوا التواريخ

العالمية المعروفة، فإن ثمّة آخرين أقلّ شأنًا وسمعة وحاولوا المحاولة نفسها، على مقاديرهم، ومنهم أبو معشر والخوارزمي وحمزة الأصبهاني ومحمود الوراق وآخرون. (مص، رخ٢، ٣٧١، ٧)

مؤرّخون في العالم العربي

- المؤرّخون في العالم العربي منهمكون في البحث عن هويتهم بشكل لم ينهمك فيه المؤرّخون اليابانيون، وتاريخ بلاد الشرق الأدنى والأوسط يسير في ثلاث دوائر متّحدة المركز هي: الإسلامية والعربية والقومية، ولا تزال مسألة أي من هذه تقدّم أنسب الهياكل لفهم الماضي هي موضوع جدل، لقد كان الهيكل العام، تقليديًّا إسلاميًّا، أو بعبارة أخرى أن الإسلام كان يبحث كوحدة تعتبر فيه مختلف بلاد الشرق الأوسط مجرّد أجزاء، ولكن منذ أن ظهرت القومية في الشرق الأوسط أصبح الاتجاه العام نحو نقل التأكيد من الوحدة الدينية إلى الوحدة السياسية، ومن المعالجة المتركّزة على شؤون البعث والقيامة إلى التركيز على الأمور الدنيوية والقومية، وأول ما بدا هذا في تركيا، حيث رسم بعد ثورة ١٩١٨م خط يفصل بين التاريخ القومي التركي وبين التاريخ الإسلامي، ثم امتدّ إلى بلاد أخرى، أي إلى إيران ومصر وسوريا ولبنان. وعندما حصلت هذه الدول على استقلالها، وكما كان الحال في أجزاء أخرى من آسيا، فإن التفسير القومي للتاريخ شجّعته وغذّته الحكومات ابتداء من مصطفى كمال في تركيا، وكانت هذه الحكومات تؤمل أن تبني بهذا العمل شعورًا بالتماسك والصلابة القومية. وقد سنّت في سوريا ولبنان مراسيم حكومية نَصَّت بوضوح على أن الغَرَضَ من التاريخ هو "تقوية العواطف القومية والوطنية في قلوب الناس"، وكانت نتيجة هذا الدافع القومي الجديد هو عدم الاقتصار على العهود الإسلامية وحدها، وقد التفت الأتراك في بحث الإلهام القومي إلى تاريخ الشعوب التركية في بلادهم الأصلية في أواسط وشرقي آسيا، وقام بعض المؤرّخين المصريين بمثل ما قام به الأتراك، فأخذوا يبحثون عن جذور الشعب المصري قبل الإسلام في مصر الفرعونية، وأثار بعض العراقيين الماضي الآشوري، وتتبع اللبنانيون تاريخهم وأرجعوه إلى الفينيقيين. أما المؤرّخون الإيرانيون، فقد ندّدوا بجهل الملالي وخرافاتهم، واتّهموا العرب بتدمير الحضارة الساسانية الرائعة. (بار، وجه، ٢٢٠، ٤)

مؤرّخون كبار

- من نسمّيهم بالمؤرّخين الكبار هم طبقة كاملة من مؤرّخي النصف الثاني من القرن الثالث كانوا النهاية الطبيعية لخط من التطوّر المستمرّ أصاب علم الأخبار وما يتّصل به، خلال أكثر من قرنين. وقد تميّزوا بأنهم: ١) فهموا التاريخ بالمعنى الشامل، فأفقهم في الجملة عالمي

والإسلام عندهم أمة واحدة. فالاتجاه القبلي أو الديني عندهم ضعيف أمام قوة العملية التأريخية. ٢) أظهروا اندفاعًا للرحلة في طلب العلم وجمع المعلومات كما استفادوا من أسلوب المحدّثين في توثيق الرواة والسند. ٣) استفادوا من مواد السيرة والأخبار والأنساب والشعر والأدب جميعًا لتكوين مادة علم التاريخ. كما استفادوا أحيانًا من تواريخ الأمم الأخرى ومن القصص الشائع. ٤) اختاروا مادة التاريخ بعد النقد من مختلف المصادر ونظّموها في كتب خاصة طبق أسلوب هو تارة حوليّ وتارة يتبع الأنساب وثالثة يختار موضوعه اختيارًا من الحوادث المختلفة. ٥) وجد كافة هؤلاء المؤرّخين في العراق إلا أنهم لم يمثّلوا المدرسة العراقية السابقة فقط ولكن مثّلوا تطوّرها وتطوّر مدرسة المدينة في وقت معًا. وقد حمل التاريخ في نهاية هذه الفترة فقط اسمه بعد أن لم يكن من قبل سوى "أخبار" أو "أنساب" أو "سيرة" أو "أيام". أما السيرة النبوية فقد ظلّت موضوعًا قائمًا بذاته ويكتب بعنوان "السيرة" حتى القرن التاسع الهجري. ٦) ومن الضروري أن نضيف أيضًا ملاحظة هامة تتّصل برابطة التاريخ والمؤرّخين مع الجو الثقافي العام هي أن علم التاريخ الإسلامي إنما اكتمل شكلًا على يد هؤلاء المؤرّخين الكبار في الوقت الذي كانت فيه كافة الجهود الفكرية العربية تبذل بالتوازي، في مختلف الميادين لبناء التكوين الثقافي العربي - الإسلامي. (مص، رخ١، ٢٠٢، ٤)

مؤرّخون مسلمون

- إن المؤرّخين المسلمين الموثوقين لم يحتاجوا إلى التعليل الديني كثيرًا، فالتاريخ في الإسلام بدأ روايات - على عادة العرب في رواية الأدب واللغة والأخبار - كما اتّبعوا ذلك فيما بعد في الحديث والفقه أيضًا؛ كلُّ رواية مستقلّة في إسنادها ومتنها. فلم تتّصل حوادث التاريخ في أول الأمر في تآليفهم حتى يتمكنوا من التعليل، فقد كان معظم تآليفهم التاريخية مجموعات من أخبار مستقلّة رواها بعضهم عن بعض. (فر، علل، ١٠، ١٦)

مؤرّخون مسيحيون

- مصادر المؤرّخين المسيحيين بدورها مصادر سريانية ويونانية بالدرجة الأولى، كما كان بينها أحيانًا مصادر لاتينية ولم تكن كلها كتب تاريخ، ولكن بعضها كان يعتمد على السجلات والوثائق الكنسية في البيع والأديرة، وفي محفوظات الإدارات الكهنوتية ورسائل البطارقة والأساقفة. وهكذا مثلًا نقرأ لدى ابن النديم: "قال لي أبو الخير بن الخمار... وقد سألته عن أول من تكلّم في الفلسفة فقال: زعم فورفوريوس الصوري في كتابه التاريخ، وهو سرياني أن أول الفلاسفة السبعة تالس... وقد نقل (أبو الخير) من هذا

الكتاب مقالتين إلى العربي. . . ". (مص، رخ٢، ٤٣٠، ٤)

مؤلّف

- قد يكذب المؤلّف طمعًا في أن ينال فائدة شخصية، فيعمد بالكذب إلى خداع القارئ لكي يسوقه إلى استنتاج خاص، أو لكي يحمله على القيام بعمل معيّن، فيعطى عن عمد معلومات كاذبة مختلقة، أو يقدّم معلومات معروضة بأسلوب خاص، ويخالف الحقيقة مخالفة جزئية أو مخالفة تامة. وأشدّ الكذب أثرًا في النفس ما احتوى على عنصر كبير من الحقيقة، واحتوى أيضًا على تبديل وتغيير وعرض بأسلوب خاص. (عث، بحث، ١٢٤، ٢٠)
- هل وُجد كاتب الأصل التاريخي (المؤلّف) في مركز اضطرّه إلى الكذب ومخالفة الحقيقة؟ وهل وُجدت ظروف فوق طاقته اضطرّته إلى ذلك؟ توجد حالات كثيرة من هذا النوع في الأوراق والوثائق الرسمية التي قد تحاول أن تتمشّى مع القواعد النظرية أو العرف المتّبع، ولكنها تخالف الظروف الواقعة بدرجات متفاوتة. فقد يُضطرّ كاتب الوثيقة التاريخية إلى تقرير أن الظروف كانت طبيعية في يوم معيّن بغضّ النظر عن الواقع التاريخي، وبذلك يسجل معلومات كاذبة. وقد تضطرّ بعض الظروف السياسية أو الحربية أو الوطنية إلى عدم ذكر الحقائق كلها في زمن معين، فيكتفي المسؤولون بذكر جزء منها، أو قد يذكرون وقائع مخالفة للحقيقة بدرجات متفاوتة، في سبيل المصلحة العامة أو الخاصة. وربما تسكت الوثائق الرسمية أو الصحف أو الكتابات في زمن ما، عن تناول مسألة أو حادثة معيّنة، لسبب أو آخر، ولكن ذلك لا يعني أنها لم تشغل الناس أو أنها لم تحدث أصلًا. (عث، بحث، ١٢٥، ٦)
- قد يكره كاتب الأصل التاريخي (المؤلّف) أو قد يميل إلى أسرة أو إلى حزب أو إلى طبقة إجتماعية خاصة أو إلى شعب أو دولة أو مدينة معيّنة، وقد يكون من أنصار مذهب سياسي أو ديني أو فلسفي أو إقتصادي معيّن • فهل أعطى هذا الكاتب معلومات خاطئة أو محرّفة أو كاذبة لكي يخدم مصلحة دولة أو شعب أو حزب أو مذهب أو شخص معيّن؟ وهل كتب بطريقة تُظهر الجهة التي يميل إليها في مظهر ملائم ومعارضيهم في وضع غير ملائم؟ ولا ريب أن الجماعات المختلفة قد تتعارض مصالحها في أحوال كثيرة، فينبغي على الباحث في التاريخ أن يكشف أي هذه الجماعات كانت تهمّ المؤلّف، ولأيها كان يعمل ويكتب - إن كان قد فعل ذلك -. (عث، بحث، ١٢٥، ٢١)
- قد يخالف كاتب الأصل التاريخي (المؤلّف) الحقيقة التاريخية، بسبب غروره الشخصي أو غرور الجماعة أو الناحية التي ينتسب إليها، والتي تهمّه مصلحتها، فيورد معلومات معيّنة لكي يحمل القارئ على الإعتقاد بأنه والطائفة التي ينتمي إليها أشخاص يستحقون التقدير والإعجاب.

فينبغي على الباحث في التاريخ أن يبحث: ألم تُكتب المعلومات الماثلة أمامه تحت تأثير هذا الغرور الإنساني أيًا كان نوعه. والدافع إليه؟ وينبغي أن يلاحظ أن غرور الكاتب أو غرور العصر الذي عاش فيه لا يشابه تمامًا غرور العصور الأخرى. فينبغي التعرّف إلى ناحية الغرور الخاصة عند مؤلّف الأصل التاريخي. فمن الجائز أنه قال كذبًا لكي ينسب لنفسه أو لطائفته أعمالًا مجيدة، قد تُعدّ في عصر آخر أعمالًا شائنة. (عث، بحث، ١٢٦، ٤)

- من الجائز أن كاتب الأصل التاريخي (المؤلّف) قصد إرضاء الجمهور أو مداراته، أو على الأقل تعمّد عدم إزعاج الرأي العام، فيورد أخبارًا وآراء تناسب ذوق الجمهور ورغبته، حتى لو لم يقتنع هو نفسه بصحتها. وفي حياتنا اليومية يتودّد بعض الناس إلى بعض، ويضمّون رسائلهم عبارات التحية والإخلاص، مع أنها قد تكون غير صحيحة، وتكون مجرّد عادة أو مجاملة أو خداع أو نفاق. (عث، بحث، ١٢٦، ١٨)

- قد يكتب كاتب الأصل التاريخي (المؤلّف) بأسلوب أدبي لإرضاء ذوق الجمهور، فيغيّر الوقائع ويكيّفها بما يناسب ذلك الأسلوب الأدبي على حساب الحقيقة التاريخية، فيعبث بالألفاظ، ويقدّم ويؤخّر، ويزيد ويبالغ، لكي يكتب كتابة أدبية فنيّة. ويضيف الأسلوب الخطابي مثلًا صفات وأعمالًا ومواقف نبيلة، ويحتوي على مبالغات ومخالفات للحقيقة. وكلما كان التعبير جميلًا من الوجهة الفنية وجب على الباحث أن يأخذ الحذر ويتشكّك في صحة المعلومات الواردة. ويُعدّ هذا النوع من الكتابة خطرًا أيضًا لأن وفرة التفاصيل الواردة في ثناياه ربما تخدع القارئ، وتعطي صورةالصدق، ويمكن أن تسمّى "أصدق من الصدق"، ولكنها ليست الصدق نفسه. (عث، بحث، ١٢٧، ٧)

مؤلّفة قلوبهم

- سمّى النبي أشراف مكّة الذين أسلموا بعد الفتح "المؤلفة" أو "المؤلفة قلوبهم"، إشارة إلى تأليف قلوبهم لتتألف بهم قلوب أقوامهم تعزيزًا للإسلام، وفي السيرة الحلبية أن من المؤلفة قلوبهم من تألفهم النبي ليسلموا مثل صفوان ابن أمية، ومن تألفهم لدفع شرهم. وكان يتألفهم جميعًا بالعطاء فيميّزهم به عن سائر الصحابة...، وفي ذلك من حسن السياسة والحلم وسعة الصدر ما فيه. (زي، مدن١، ٦٤، ٧)

ما قبل التاريخ

- إن أثر ما قبل التاريخ وأركيولوجية ما قبل التاريخ واضحة ومعروفة لدرجة لا تحتاج إلى تعليق مفصل. ومن أول تأثيراتها - فيما يتعلّق بالمؤرخين الغربيين - هي أنها حطمت فكرة التاريخ القديم كوحدة يسيطر عليها اليونان وروما. وقد أصبحت الأركيولوجيا في كتب مثل كتاب مورتمر ويلر "روما وراء الحدود الأمبراطورية"،

مفتاحًا لنظرة كونية للتاريخ تربط أوربا وآسيا وأفريقية، وعلى أي حال فإن أهم نتائج المكتشفات الأركيولوجية وأدومها أثرًا، هي هدم الاعتماد التقليدي للمؤرّخ على السجلات المكتوبة، وفي بعض الحالات على الأقل، إلى توضيحها الطبيعة الكاذبة والخرافية للمعلومات التي تنقلها هذه السجلات، فالأدلّة الأركيولوجية في انكلترة الأنجلوسكسونية وفي الهند ترسم عن الاستيطان صورة تختلف أساسيًا عن الصورة التي تقدّمها التقاليد الشعبية والنصوص الأدبية. إن الصفة المميّزة للبحث الأركيولوجي هي طبعًا اعتماده على المعلومات المستمدّة من حقائق حضارة الإنسان المادية، أي من الصوان والفؤوس والأحجار والزجاج والخزف وأمثال ذلك. وهذا الاستعمال للمادة الجديدة فتح ميادين كاملة للتاريخ كانت من قبل كتابًا مختومًا، كما قدّم أيضًا أدلّة واضحة مقبولة يمكن أن تستعمل بدرجة عالية من الاحتمالات الإحصائية، كما أنه أوضح شبكة من طرق المواصلات تمتدّ من المحيط الأطلسي حتى نهر جيحون ونهر الأندلس ترجع إلى الألف الثالثة قبل ميلاد المسيح. ولا يوجد سبب للشكّ في أن العمل سيمتدّ ما دامت الفحوص المنتظمة في سيبيريا والصين والهند وشمال إفريقية قائمة. لقد وضعت أمام نظر المؤرّخ شعوبًا ليس لها تاريخ مكتوب، أما في حالة ما يدّعى الشعوب "التاريخية" فإنها ألقت ضوءًا على الأوجه الاجتماعية والاقتصادية من تاريخهم مما كانت السجلات المكتوبة تمرّ عليها بصمت وسكوت، وإذا كانت المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية تؤكّد على الحوادث السياسية وعلى أثر الرجال العظماء، فإن الأدلّة الأركيولوجية تعيد التوازن بكشف كيف عاشت تلك الشعوب، وماذا أنتجت، وأي صور التبادل التجاري ومستويات المعيشة والتكنولوجيات التي كانت مستعملة. إن ما قبل التاريخ هو الميدان الرئيسي للأركيولوجيا وأسباب ذلك ظاهرة غير أنه يجب التأكيد على أن أهميتها للمؤرّخ لا تقف عند هذه النقطة، فالأدلّة الأركيولوجية تقدّم المصدر الضروري وأحيانًا الوحيد في إعادة بناء الماضي وذلك حيثما كانت السجلات المكتوبة قليلة. (بار، وجه، ١١، ١٨٢)

ما هو التاريخ

- ما هو التاريخ؟ والجواب: هو دراسة الحوادث أو هو الحوادث نفسها. والحوادث جمع حادث، والحادث هو - من وجهة نظر المؤرّخ - كل ما يطرأ من تغيّر على حياة البشر، وكل ما يطرأ من تغيّر على الأرض أو في الكون متّصلًا بحياة البشر. والحادث قد يكون مفاجئًا كوقوع زلزال يهدم المدن وقد يكون عنيفًا مثل قيام حرب وقد يكون بطيئًا غير محسوس كعمليات التطوّر البطيئة التي لا يفطن الإنسان إلى حدوثها إلا على المدى

الطويل. ومثال ذلك تطوّر المرأة العربية وخروجها من عزلة البيت إلى الحياة العامة ومساهمتها في كل ميادين النشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي أيضًا، فهذه عملية طويلة بدأت من أواخر القرن الماضي ولا زالت مستمرّة إلى اليوم. وهي في مجموعها حادث تاريخي خطير بعيد المدى. وقد يقع الحادث دون أن يفطن إليه أحد ثم تتجلّى خطورته فيما بعد مثل ميلاد طفل يصبح في يوم من الأيام قائدًا كبيرًا أو مفكّرًا عظيمًا أو سياسيًّا ماهرًا أي يصبح من صناع التاريخ. (علف، فت، ٥١، ٢٧)

ما وراء التاريخ

- إن فلسفة التاريخ - أو ما يسمّى أحيانًا "ما وراء التاريخ" - هو موضوع لا يرغب فيه اليوم المؤرّخون (وإن كان جيل علماء الدين يرغبون فيه) ولا ريب في أن أظهر الميول المعاصرة هو ميل المؤرّخين لأبعاد فلسفة التاريخ باعتبار أنها غير ذات علاقة بعملهم واهتماماتهم، ولعلّ من المهم أن أقوى الغزوات في هذه الجبهة في الأزمنة الحديثة لم تأت من المؤرّخين، وإنما جاءت من علماء الاجتماع أمثال كروبير وسوروكين، وبقدر ما أعلم، لم تظهر بعد اكتمال كتاب توينبي "دراسة في التاريخ" في سنة ١٩٦١م أية محاولة تقارن في سعتها به، من قبل أي مؤرّخ لتفسير جوهر ومعنى قصة البشرية، وبقدر ما يستطيع المرء الحكم على الاتجاهات الحاضرة، لا يؤمل أن يظهر شيء من ذلك في المستقبل القريب، وفي الوقت الحاضر تحتفظ "فلسفة تاريخ" واحدة بحيويتها وقدرتها على كشف الحقائق، هي طبعًا الماركسية. (بار، وجه، ٢٧٨، ٤)

- ما وراء التاريخ Metahistory أي البحث عن القوى أو العوامل أو المناهج التي تسيّر التاريخ. (علف، فت، ١٠١، ٣)

مائية

- السؤال عن المائيّة والمنيّة والهويّة محال من وجه التفتيش عن ذاته لأنّ الإشارة إلى هذه الأشياء تصوّرها في الوهم ولا يتصوّر في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه من صفات الحدث. (بلخ، بدا، ٧٨، ١)

مادة التاريخ

- مادة التاريخ هي التي تطوّرت أوسع التطوّر في تلك القرون التي تلت القرن الثالث في المشرق وأوسع ما أصابها من التطوّر إنما كان خاصة في القرن الرابع (العاشر الميلادي). ولقد نستطيع أن نرى ملامح هذا التطوّر في كثرة المادة وتأثّرها بالنمو الحضاري وبحاجات السياسة والإدارة وبنمو العلوم الأخرى وبالتمزّق السياسي، كما نرى تلك الملامح في ظهور أنواع من تواريخ المدن والأسر والسير والمذكرات والقصص. (مص، رخ١، ٢٩٣، ٣)

مادة تاريخية

- يحتاج المؤرّخ في جمع مادته التاريخية إلى الموارد التي يجمع منها، والمصادر التي ينقل عنها. وتجميع هذه المادة ضروري لتكوين الهيكل التاريخي الذي يبني عليه المؤرّخ أساسه. وقد يكون جمع هذه المواد التاريخية عن طريق الرواية الشفهية، كما كان الشأن عند المؤرّخين الأولين، فيقول المؤرّخ حينئذٍ في رواية أخباره: حدّثنا فلان عن فلان، أو أخبرنا فلان عن فلان. وهذه الطريقة هي المسماة بطريق الرواية عن السند. وقد استعملها الطبري المؤرّخ ولزمها أكثر مؤرّخي العرب والإسلام، وظلّوا عليها زمانًا طويلًا. كما قد يكون جمع المادة التاريخية عن طريق الرواية المكتوبة والخبر المسطور، فينقل مؤرّخ عمّن سبقه من المؤرّخين السابقين في مصنّفاتهم. وهنا قد يلجأ الناقل إلى إحدى طريقتين: إما النقل الكامل للنص التاريخي برمّته. وإما النقل مع تصرّف في اللفظ والعبارة بما لا يخرجها عن مرادها. ويحتاج هذا النقل إلى الأمانة والفطنة، حتى لا يبعد التصرّف النقل عن أصله. وقد يكون الخبر المكتوب مسطورًا في كتاب، أو منقوشًا على أثر. والنقوش على الآثار تعدّ مصدرًا هامًّا من مصادر التاريخ، أو من مصادر تصحيحنا لبعض الحقائق التاريخية. (حس، عر، ١٥٨، ٣)

- تخلط المادية التاريخية بين صورة الحادث كما صوّرت بفضل اهتمامات المعرفة، وبين الحادث المباشر كما يتحقّق في الواقع، وكذلك يخلط بين مبدأ له أهميته بوصفه مبدأ للبحث، ولا يمكن تطبيقه، من جميع الاعتبارات، إلا على سبيل المحاولة وبين مبدأ تكويني يوضع مقدّمًا وعنه تصدر كل الوقائع. وهذا يفضي بالمادية التاريخية إلى مأزق لا سبيل إلى الخروج منه: "لأنه إذا صحّ أن تطوّرات العادات والقانون والدين والأدب تسلك منحنى التطوّر الإقتصادي دون أن تؤثّر في هذا الأخير تأثيرًا جوهريًّا"، فإني لا أستطيع أن أفهم كيف تحدث التحوّلات في الحياة الإقتصادية. وبعبارة أبسط: لماذا نتصوّر تأثّر القانون والعرف والدين والأدب بالحياة الاقتصادية، دون أن نتصوّر تأثّر الحياة الإقتصادية هي الأخرى بالقانون والعرف والدين والأدب؟ إن ما تقوم به المادية التاريخية من اختيار في نسيج الواقع التاريخي ينطوي على اهتمامات ميتافيزيقية، وعلى ميول وأماني ذاتية. ذلك أننا لو حلّلنا الأسباب التي من أجلها اختارت المادية التاريخية الاهتمامات والقيم والمصالح الاقتصادية وحكمتها في تفسيرها لمجرى الأحداث التاريخية، فإننا نجد مصدر ذلك النزعة الاشتراكية، التي ترى أن المصلحة الاقتصادية هي العامل المشترك بين كل العناصر التي تتحكّم في الجماهير، لأن الاشتراكية تنحو نحو التسوية بين المستويات، ولا يمكن الطموح إلى التسوية إلا في الميدان الاقتصادي. ولهذا فإن الإشتراكية ليست النتيجة المنطقية

للمادية الاقتصادية، بل على العكس من ذلك الاشتراكية هي السبب النفساني المؤدّي إلى اعتناق المادية الاقتصادية والمادية التاريخية أساسًا لتفسير مجرى التاريخ. (علف، فت، ٢٢٦، ٦)

ماديون

- هناك مدارس أو اتجاهات مختلفة حول تفسير التاريخ وبيان الدوافع التي تحرّك الأمواج التاريخية الكبرى، فالماديون يرون أن المادية أو الاقتصاد هو المحرك الرئيسي للتاريخ، وأن كبريات الأحداث التي غمرت الكون نشأت بسبب الصراع على المادة، ويتّخذون من حروب طروادة، ومن الصراع القديم بين الفرس واليونان مثالًا. ثم بين الفرس والروم، ومن الدوافع التجارية في الحروب الصليبية، ومن الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، دليلًا على ذلك. ويعدّ أرنولد هيرن (Arnold Heeren 1670-1742)، من أسبق من تبنّوا هذا الاتجاه، ثم تزعّمه الفكر الماركسي الذي يقرّر أن أحداث التاريخ لا ترجع إلى بواعث فكرية، بل تبرز هذه الأحداث تبعًا لظروف الحياة المادية، وبالحاصل الاقتصادي. وعلى هذا، فالفكر - عند الماركسيين - لا يحرّك أحداث التاريخ إلا بعد أن تعتنقه الجماهير وترى فيه عونًا ماديًا للخلاص من قوة مادية، فالقوة - كما يقولون - لا تقاوم إلا بالقوة المادية، ولكن النظرية تصبح قوة مادية عندما يعتنقها الجماهير، فالفكر والمادة يتعايشان في وحدة يؤثّر كل منهما على الآخر ويتطوّر معه. وهناك اتّجاه آخر يرى أن الجانب الروحي والفكري هو أهم تفسير للتاريخ، وأن معظم الهزات العالمية كانت نتائج للاتجاهات الروحية. فالصراع بين قريش والمسلمين كان دينيًا، والحروب الصليبية كان دافعها الرئيسي دينيًا، والصراع بين الأرثوذكس والبروتستانت كان دينيًا كذلك، وكذلك كان الصراع الذي اندفع له الخوارج في التاريخ الإسلامي. ومن الواضح أن الاتجاه الفكري معترف به عند الماديين، ولكنهم كما أوضحنا آنفًا لا يرونه ذا بال إلا بعد أن تعتنقه الجماهير، أما أصحاب المذهب الروحي فيرون الاتجاه الفكري قويًا حتى قبل أن تعتنقه الجماهير. فصمود المسيحيين أمام الرومان الوثنيين، وصمود القلّة المسلمة أمام قوة قريش العاتية التي كان العرب يؤيّدونها في مطلع الإسلام، كل ذلك خلق من الفكر قوة، ووهبه البقاء حتى استطاع أن ينتشر ويزدهر، ولم يكن زحف المسلمين على إمبراطوريتي الفرس والروم مؤيّدًا بالقوة بمقدار ما كان مؤيّدًا بالفكر والرغبة في إحدى الحسنين. وهناك اتجاه ثالث يفسّر التاريخ تفسيرًا نفسيًا، فيرى أن أعظم أحداث التاريخ ارتبطت بصراع نفسي لدى شخص معيّن، استطاع بطريق أو بآخر أن يحصل على سلطة مادية أو معنوية، فهو بدافع الصراع النفسي والحقد الداخلي من جانب، وبقوة السلطة التي حصل عليها من جانب آخر يدفع بالمجتمع إلى الصراع لسبب أو لآخر، فيخلق الأحداث الكبرى وينظر لها نظرة تُرضي انحرافه، ويقف في قمّة من

تصرف على هذا النحو الربيع يونس وابنه الفضل اللذان شغلا أرقى المناصب في قصور الرشيد والأمين، وعاصرا البرامكة وآل سهل، مع الفرق الكبير في المحتد والأرومة، فدفعهما الصراع النفسي إلى خلق المؤامرات، وإشعال الحروب العاتية . . . والذي يبدو لي أن وضع حواجز حصينة معيّنة بين هذه الدوافع لا يمكن أن يتمّ، فكل منها دافع له وزنه، وقد يوجد دافعان منها أو توجد الدوافع الثلاثة كلها متعاونة في حدث واحد. ويتّضح ذلك من دراستنا للحروب الصليبية التي تعاونت أسباب عدّة في خلقها. (شل، سلم، ٢٢، ٧)

ماركسية

- الماركسية، بالنسبة للعرب، هي أساسًا مدرسة للفكر التاريخي، وهذا الأخير هو مقياس المعاصرة. بدونه تغرق كل فكرة في بحر الحاضر الدائم أي ترجع إلى أرضية الفكر السلفي. إن السلفية والانتقائية وهما المميّزين لذهنيتنا الحاضرة، تسبحان في الحاضر الدائم، وهذا هو سبب عدم انتفاع المجتمع العربي بمثقفيه منذ عقود. إن المثقّف عندنا لا يتحرّر فعلًا، فلا يعين مجتمعه على التحرّر، لأنه ينفصل دائمًا عن المحيط الذي يعيش فيه وينتقل إلى عالم ماض يجعل منه الحقيقة المطلقة. ورغم تبجّحه بالعمل السياسي، فإنه لا يؤثّر إطلاقًا في الأوضاع ويترك التأثير لدعاة الاستمرار. إن السلاح الوحيد ضدّ اللاتأثير هو كسب الفكر التاريخي الذي لا يتعلّم من دراسة التاريخ، كما يتبادر إلى الذهن، بل يتطلّب الإقتناع بنظرية في التاريخ وهذه لا توجد اليوم بكيفية شاملة ومقنعة إلا في الماركسية. (عر، فكر، ٦٠، ١٥)

ماضٍ

- الماضي منساب في جوانب حياتنا جميعًا، وليس باستطاعتنا أن نقف من حاضرنا أو من مستقبلنا موقفًا يهمله أو يتغاضى عنه. ولعلّنا نكتفي، تدليلًا على ما ذكرنا، بالإشارة إلى أن النظامين الكبيرين اللذين يتنازعان العالم اليوم - النظام الديمقراطي الغربي والنظام الشيوعي - ينطويان على اختلافات أساسية في فهم الماضي وتعليله. وهكذا الأمر في جميع الفلسفات والعقائد التي يتأثّر بها الأفراد أو تفعل في الأمم في هذه الأيام. (زري، نحن، ١٦، ٢١)
- نخطئ إذا اعتقدنا أن الماضي شيء مجرّد خارج عن الإنسان، مستقلّ عن نزعاته وميوله وآماله الحاضرة. وهذا هو الخطأ الذي ينطوي عليه موقف المدرسة الموضوعية التي ركّزت إيمانها على "الصناعة التأريخية" وذهبت بها إلى أبعد حدودها. فليس من الممكن - مهما حاول رانكه - المؤرّخ الألماني - وسواه - أن ينعزل الإنسان عن حاضره انعزالًا تامًّا ليكتشف حقيقة الماضي كأنها حقيقة قائمة بذاتها منفصلة عنه. بل لا بدّ لكل إنسان ولكل جيل من أن ينظر إلى الماضي من

خلال اعتقاداته واهتماماته وآماله. ورانكه وأمثاله من مؤرخي القرن التاسع عشر لم يروا التاريخ كما رأوه إلا لأنهم أبناء ذلك القرن، ولو عاشوا قبله أو بعده - لو كانت اهتماماتهم ونظرتهم إلى الأمة والإنسانية والفكر والحياة غير ما كانت عليه - لجاء نتاجهم مختلفًا عمّا بلغنا منهم. (زري، نحن، ١٥٩، ١٣)

- نعود إلى الماضي من أجل الماضي ذاته وأن الذي يستحثّنا إليه هو في الأغلب مشاغل الحاضر والمستقبل. وينتج من هذا إننا إذا تدبّرنا معنى هذه الثقافة التأريخية التي نتحدّث عنها وجدناها في آخر الأمر سبيلًا من سبل إدراك الذات. فسواء نظرنا إلى أنفسنا كأفراد أو كأبناء أمة واحدة أو كأعضاء في الأسرة الإنسانية، وجب علينا أن نحرص على تفهّم ذاتنا أو ذواتنا وأوضاعنا على حقيقتها. ونحن إنما نعود إلى الماضي ونطّلع على مجرى أحداثنا لكي يساعدنا هذا الاطلاع على معرفة أنفسنا. وبالعكس، كلما صحّت وازدادت معرفتنا لواقعنا كنا أقدر على تفهّم الماضي واستخراج معناه. وهكذا تتفاعل الثقافة التأريخية وسواها من عناصر الثقافة في الشخصية الموحّدة الغنية النيّرة الفاعلة. (زري، نحن، ١٦٤، ٢٤)

- الانجذاب إلى الماضي الذي يحوّل النظر والاهتمام عن الحاضر والمستقبل، والانحصار التام في دائرة معيّنة من الماضي. ... من آثار هذا السحر التاريخي ... الإكتفاء بالماضي وعدم الرغبة في تخطّيه. ويظهر هذا الاكتفاء إما بصورة انفعالية أو بصورة فعلية. ونعني بالصورة الانفعالية استمرار الفرد أو الأمة، بفعل رسوبات الماضي وآثاره المتراكمة، في النظر إلى الحاضر والمستقبل بأفكار الماضي وسننه وأشكاله ودوافعه، دون التنبّه إلى اختلاف الظروف وتبدّل الأحوال. فكأن الفرد يعيش ظاهرًا في جيل، وباطنًا في جيل آخر: يأكل ويلبس ويتنقّل ويعمل في عصر الكهرباء، ويفكّر ويتصرّف ويندفع إلى هنا وهناك بفعل قوى أجيال سابقة مختزنة فيه. أو يحدث أحيانًا أن تكون حياته الداخلية موزّعة منقسمة على ذاتها، فيفكّر تفكير معاصرًا ويعمل عملًا حديثًا في جوانب من شخصيته، ويخضع لدوافع الماضي السحيق واتّجاهاته في جوانب أخرى. ولكم نرى بين المتعلّمين وحملة الشهادات العليا، من يتّقنون فنًّا من الفنون أو اختصاصًا من الاختصاصات الدقيقة، ولكنهم يتصرّفون أحيانًا تصرّفًا لا ينسجم ومقتضيات العصر، بفعل رسوبات متراكمة في نفوسهم وبواعث عميقة في أفئدتهم لم يتحرّروا منها، لأن الماضي قابض على نواصيهم، فهم راضون به مستكينون إليه أو واجدون مصلحتهم في بقائه واستمراره. ... أما الصورة الفعلية لهذا الاكتفاء التاريخي الذي نتحدّث عنه - وليس ثمّة حدود فاصلة بين الانفعال والفعل في هذا الاتجاه العقلي والنفسي - فتتجلّى عند أولئك الذين يرتضون الماضي وينعمون به

إلى الحدّ الذي يحدّوهم إلى محاولة إعادته كما كان وتطبيق نظمه وسننه ومفاهيمه في الحياة الحاضرة. وهي محاولة مخفقة حتمًا، لأن العقل الإنساني في تطوّر مستمرّ، وأشكال الحياة ونظمها التي تبتدع في عصر ما وفي درجة معيّنة من درجات التطوّر لا تصلح للدرجات التالية، والسعي لفرضها فرضًا مصطنعًا لا بدّ من أن يظهر عجزه واستحالته إزاء قوى الحياة المندفعة. ولئن نجح آنًا أو في حدود معيّنة، فإنه سينكفئ ويتراجع وسيضطرّ آخر الأمر إلى مجاراة سنن التطوّر. هذا ما دلّت عليه اختبارات الأمم جميعًا وتواريخها المختلفة. (زري، نحن، ٢١٢، ١٢)

مال

- المال الذي هو عمدة الملك إنما وفره بتعدّد مداخله. ومن أعودها بالنفع الجباية والخراج. وعلى مقدار يسار المأخوذ منه ذلك يتوفّر المال - لا محالة - فيقوى الملك وترسخ قواعده. (أزر، بدع١، ٣٨٣، ٢٤)
- لما كان مبنى الملك على أساسين، لا بدّ منهما: أحدهما: العصبية، وهو المعبّر عنه بـ"الجند". الثاني: المال الذي هو قوام الجند، وما يحتاج إليه الملك، والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسيين. (أزر، بدع٢، ٧١٤، ٥)

ماني

- ماني رسول الله الحقّ إلى أرض بابل، وذكر في إنجيله الذي وضعه على حروف الأبجد الاثنين والعشرين حرفًا أنّه الفارقليط الذي بشّر به المسيح وأنّه خاتم النبيّين وأخبر عن كون العالم وهيئته بما يضادُّ نتائج البراهين والدَّلالات ودعا إلى ملك عوالم النُّور والإنسان القديم وروح الحياة، وقال بقدم النور والظُّلمة وأزليّتهما، وحرَّم ذبح الحيوان وإيلامه وإيذاء النار والماء والنبات على أبلغ وجه، وشرّع نواميس يفترضها الصّدِّيقون وهم أبرار المانويَّة وزهَّادهم على أنفسهم من إيثار المسكنة وقمع الحرص والشَّهوة ورفض الدنيا والزُّهد فيها ومواصلة الصَّوم والتَّصدُّق بما أمكن وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم واحد ولباس سنة وترك السِّفاد وإدامة التَّطواف في الدنيا للدَّعوة والإرشاد ورسومًا أُخَر يفرضونها على السَّمَّاعين أعني أتباعهم والمستجيبين لهم من المختلطين بالأسباب الدنياويّة من التَّصدُّق بعشر الملك وصوم سبع العمر والاقتصار على امرأة واحدة ومواساة الصِّدِّيقين وإزاحة عللهم، ويُحكى عنه أنّه حلَّل قضاء الشَّهوة في الغلمان إن اهتاجت على الإنسان ويستشهد على ذلك باختصاص كلّ واحد من المنانيّة بخادم يخدمه أمرد أجرد، غير أنّي لم أجد فيما وقفت عليه من كتبه ذكرًا لما يشبه ذلك بل سيرته تدلُّ على خلاف ما حُكِي، وكانت ولادة ماني ببابل في قرية تدعى مردينو من نهر كوثى الأعلى على ما حكاه في كتاب الشابورقان في باب مجيء الرسول في سنة

خمسمائة وسبع وعشرين من سني منجّمي بابل يعني تاريخ الإسكندر ولأربع سنين خلون من سني أذربان الملك. وجاء الوحي وهو ابن ثلاث عشرة سنة في سنة خسمسمائة وتسع وثلثين من سني منجّمي بابل ولسنتين خلتا من سني أردشير ملك الملوك. وقد صحّحنا هذا الفصل فيما تقدّم مدّة ملك الأشكانيّة وملوك الطوائف، واسم ماني عند النصارى على ما ذكره يحيى بن النُّعمان النصرانيّ في كتابه على المجوس قوربيقوس بن فتق، ولمّا ظهر كثر مصدّقوه وأتباعه وألّف كتبًا كثيرة كإنجيله والشابورقان وكنز الإحياء وسفر الجبابرة وسفر الأسفار ومقالات كثيرة زعم فيها أنّه بسط ما رمز به المسيح، ولم يزل أمره يزداد أيّام أردشير وابنه سابور وهرمز ابنه إلى أن ملك بهرام بن هرمز فطلبه حتّى وجده، وقال إنّ هذا خرج داعيًا إلى تخريب العالم فالواجب أن نبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهيّأ له شيء من مراده، فالمشهور من حاله أنّه قتله وسلخ جلده وحشاه تبنًا وعلّقه من باب مدينة جنديسابور، يعرف إلى زماننا هذا بباب ماني وقتل خلقًا ممّن استجاب له، وقد حكى جبرائيل بن نوح النصرانيّ في جوابه عن ردّ يزدانخت على النصارى أنّ لأحد تلامذة ماني كتابًا يخبر فيه عن منيّته وأنّه حُبِس بسبب قرابة للملك كان زعم أنّ به شيطانًا ووعد شفاءه فلم يقدر عليه فجُعلت القيود في رجليه والجوامع في يديه حتى مات في الحبس، فنصب رأسه بباب السُّرادق وطُرحت جثّته في المدرجة تنكيلًا وتمثيلًا به، وبقي من مستجيبيه بقايا منسوبة إليه مُفترقة الدّيار لا يكاد يجمعهم موضع واحد في بلاد الإسلام إلّا الفرقة التي بسمرقند المعروفة بالصابئين. فأمّا خارج دار الإسلام فإنّ أكثر الأتراك الشرقيّة وأهل الصين والتُّبّت وبعض الهند على دينه ومذهبه وهم في أمره على قولين فرقة تقول أنّه لم يكن لماني معجزة وتحكي عنه أنّه أخبر بارتفاع الآيات عند مجيء المسيح وأصحابه، وأخرى تزعم أنّه كان ذا آيات ومعجزات وأنّ سابور الملك آمن به حين رفعه مع نفسه إلى السماء ووقفا بينها وبين الأرض في الهواء وأراه بذلك الأعجوبة قالوا وإنّه كان يصعد من بين أصحابه إلى السماء فيمكث فيها أيّامًا ثمّ ينزل إليهم، وسمعت الأصبهبد مرزبان بن رستم يحكي أنّ سابور أخرجه عن مملكته أخذًا بما سنّه لهم زرادشت من نفي المتنبّين عن الأرض وشرط عليه أن لا يرجع فغاب إلى الهند والصين والتبّت ودعا هناك ثمّ رجع فحينئذٍ أخذ بهرام وقتله لأنّه نقض الشريطة وأباح الدّم. (بير، بقي، ٢٠٧، ١٨)

ماهويه

- ملك نيسابور كُنار، ملك مَرْو ماهويه، ملك سَرَخْس زادويه، ملك أَبِيوَرْد بهمنه، ملك نَسَا ابراز، ملك غشستان براز بنده، ملك مَرْو الرُّوذ كيلان، ملك زابُلسْتان فيروز، ملك كابل كابل شاه. (خرد، مسلك، ٣٩، ١١)

مبعث رسول الله

- حدّثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب وإسحق بن إدريس قالا: أن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي قال: أخطأ الناس العدد ما عدُّوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته، وما عدُّوا إلا من مقدمِهِ المدينة. قال: وأخبرنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى قال: ناقرة بن خالد عن محمد بن سيرين قال: قال عامل لعمر بن الخطاب: أما تؤرّخون؟ فأرادوا أن يؤرِّخوا فقالوا: من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من وفاته؟ ثم أجمعوا أن يجعلوه من هجرته. فأرادوا أن يبتدوا بشهر رمضان ثم رأوا أن يجعلوه في المحرَّم. (خ، تارخ، ٥١، ٣)

مبنى الملك

- مبنى الملك على أساسين لا بدّ منهما. فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبّر عنه بالجند؛ والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال. (خلد، قدم، ٧٥٥، ١١)

متطوعة

- كانت خلافة المعتصم بدء نفور العرب من خلفائهم وشكواهم منهم. وكانوا يعبّرون بالجند يومئذٍ عن الأتراك وغيرهم من الأعاجم، "وبالحربية" عن جند العرب وكلهم مشاة، ثم المتطوّعة وهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم، ويغلب أن يكون المتطوّعة في الحروب خارج حدود المملكة الإسلامية. (زي، مدن١، ١٧١، ٣١)

مجتمع حضري

- "المجتمع الحضري"، والعمران بهذا المعنى، لا ينفصل حسب رأيه عن الدولة. فـ"الدولة دون العمران لا تتصوّر، والعمران دون الدولة والملك متعذّر". (أوم، نهج، ١٩٦، ٢٠)

محاسن الأخلاق

- ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يُقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشَّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ

(يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماء مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابُع نكباتها إلى أعيان

قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعلّ قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز، وهو سيّج المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولّعة بحبّ العاجل. ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق. فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرّم، ولا ملك معظّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعرًا:

وهل أنا إلّا من غَزِيَّة إن غوَتْ
غويتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧). فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها. (أث، كمل، ٨، ١٥)

محرم

- (المحرم) يجمع على محرمات ومحارم ومحاريم. ومن العرب من يسمّيه مؤتمرًا والجامع مآمر ومآمير. (سي، شم، ١٨، ١٣)
- سمّي المحرم لأن القتال محرّم فيه وصفر لأن العرب كانت تنزل فيه بلادًا يقال لها صفر وشهرا ربيع كانوا يربعون فيهما وجماديان كان يجمد فيهما الماء. (سي، شم، ٢٠، ٨)

محمد

- وُلِدَ (محمد صلعم) في التاسع أو الثامن عشر من شهر ربيع الأول (٢٠ أبريل سنة ٥٧١م) وكان مولده في مكان غير بعيد من الكعبة، وقد أقيمت مكتبة في المكان الذي ولد فيه عليه السلام، ويؤمّها كثير من الحجاج ليعيشوا ردحًا من الزمن في المكان الذي شهد مولد المصطفى. ولم ير محمد أباه ولذلك كفله جدّه عبد المطلب، وأرضعته حليمة السعدية، ولما شبّ عندها أخذ يرعى الغنم، ولما مات جدّه وهو في الثامنة كفله عمّه أبو طالب، وتربى في بيته وساعده في أعماله التجارية، وسافر معه إلى الشام متاجرًا قبل أن يبلغ الحلم. وكان أبو طالب أخًا شقيقًا لعبدالله، ولذلك كان أرحم أعمام النبي صلّى الله عليه وسلم به وأولاهم رعايته. وعندما كانت سن محمد أربع عشرة سنة وقعت حرب الفجار الرابعة، وكانت بين قريش وكنانة من جهة وهوازن من جهة أخرى، وقد حضر الرسول هذه الحرب، ويروى عنه قوله: كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة. أي

أناولهم النبل: وسمّيت حرب "الفجار" لوقوعها في الأشهر الحرم، وحروب الفجار خمسة اشتركت فيها القبائل التي ذكرها: كنانة وهوازن وقريش. ومن أهم الأعمال التي قام بها محمد قبل البعثة تجارته في مال خديجة بنت خويلد، وقد سافر في هذه التجارة إلى الشام وكان معه غلامها ميسرة، وقد ربحت هذه التجارة ربحًا عظيمًا وكانت سبب ارتباط بين محمد وخديجة. (شل، سلم، ١٨٤، ٢)

- عرف محمد (ﷺ) في جميع مراحل حياته بالخلق الطيب، والبعد عن الشبه والخمر ومجالس اللهو والميسر وغير ذلك مما كان يميل له شباب العرب في ذلك الوقت، وكان لحسن خلقه يعرف بالأمين. ولما بلغ الخامسة والثلاثين جدّدت قريش بناء الكعبة، وقد كان الرسول يعمل في قريش في نقل الحجارة والبناء، ولمّا أتمّت قريش العمل وأرادت وضع الحجر الأسود اختلفت البطون فيمن يكون له شرف حمله ووضعه وكادت تنشب الحرب بينهم، ثم اتّفقوا على أن يحكموا أول داخل عليهم ومن باب شيبة، فكان محمد أول داخل، فقالوا: هذا هو الأمين رضيناه حكمًا. وأخبروه الخبر: فبسط رداءه ووضع الحجر عليه: وقال: لتأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب، فرفعوه حتى انتهوا إلى موضعه فأخذه الرسول ووضعه مكانه، وكان في عمله هذا حكيمًا أرضى الجميع. واتّفق المؤرّخون والباحثون على أن محمدًا لم يعبد صنمًا قط وبغضت إليه الأوثان ودين قومه، وإنما كان يخلو لنفسه ويفكّر في الكون وصانعه، وكان يجاور في حراء من كل سنة شهرًا. واستمرّ كذلك حتى عَبَدَ الله على دين إبراهيم الخليل الذي كان يدين به بعض العرب الذين لم يقبلوا عبادة الأوثان مثل قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي وأمية بن أبي الصلت. وكما تنزّه محمد عن عبادة الأصنام فإنه تنزّه كذلك عن مذمومات الجاهلية التي كان يغرق فيها شباب العرب في ذلك العهد. (شل، سلم، ١٨٦، ١٦)

مخلّفات تاريخية

- هناك مثلًا العلوم والفنون المختصّة بالآثار (Archeology)، والنقوش (Epigraphy)، والكتابات القديمة (Paleography)، والنقود أو النميّات (Numismatics)، والأختام (Sphragistics)، والوثائق (Diplomatic)، وما إليها من علوم وفنون تهتمّ بجمع المخلّفات التأريخية المختلفة واستنطاقها. ومن البديهي أن هذا الاستنطاق يتطلّب، فيما يتطلّب، معرفة باللغة أو اللغات التي كتبت فيها هذه النصوص. ولما كان تأريخ أي شعب من الشعوب متّصلًا بتواريخ شعوب أخرى، فكثيرًا ما يحتاج الباحث إلى أكثر من لغة واحدة للوقوف على نصوص موضوعه الأصلية ومصادره الأولية. (زري، نحن، ٧٦، ١٩)

مداهنة في كتابة التاريخ

- قد تكون المجاملة أو المداهنة في كتابة

التاريخ نتيجة لنعمة سلفت من حاكم أو من أسرته على مؤرّخ، فلا يجد لوفاء حق هذه النعمة والقيام بشكرها إلا إغراقها بالمدح والثناء. كأن ذلك المدح هو ثمن لتلك اليد التي سلفت. (حس، عر، ٤٩، ٨)

مدة الملّة

- قال يعقوب بن إسحق الكندي: إن مدّة الملّة تنتهي إلى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال: لأن الزُّهرة كانت عند قِران الملّة ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت. فالباقي إحدى عشرة درجة وثماني عشرة دقيقة ودقائقها ستون، فيكون ستمائة وثلاثًا وتسعين سنة. قال: وهذه مدّة الملّة باتّفاق الحكماء، ويعضده الحروف الواقعة في أول السور بحذف المكرّر واعتباره بحساب الجُمَّل". قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي. (خلد، قدم، ٨٣٢، ١)

مدرسة إجتماعية أو علمية

- إدراك دور العوامل المادية والاقتصادية في صنع أحداث التاريخ وصراعاته هو أمر قد أبصره بعض المعتزلة، ولقد نهض هذا البعض بإنجاز محاولات هامة في تقييم الأحداث التاريخية وتفسيرها على ضوء هذا العامل الهام والحاسم، بما في ذلك أحداث الصراع السياسي الذي دار بين كبار صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في صدر الإسلام. فبينما كان الكثيرون، ولا يزالون، يحاولون طمس أسباب هذا الصراع الذي دار بين علي بن أبي طالب، مثلًا، وبين كل من الصحابة: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وعبدالله بن عمر، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص.. الخ.. الخ.. يحاولون طمس أسباب هذا الصراع، أو على الأقل طمس الأسباب المادية والاقتصادية والاجتماعية لهذا الصراع، نجد أحد أعلام المعتزلة: أبو جعفر محمد بن عبد الله، الإسكافي (المتوفي سنة ٢٤٠هـ سنة ٨٥٤م) - وهو إمام مدرسة في هذا التيّار الفكري - يقدّم لنا تقييمًا لهذا الصراع السياسي والحربي الذي دار بين هؤلاء الصحابة في صدر الإسلام، فيتنبّه وينبّه إلى دور العامل المادي والاقتصادي الذي وقف خلف هذا الصراع وحرّك أحداثه ووجّه مساراته. وهو يصنع ذلك في وضوح وجلاء وحسم لا يترك مجالًا للالتباس أو الغموض أو التأويل. فهو يؤكّد في تقييمه هذا على عدّة حقائق منها: ١- أن الصراع الاجتماعي ضدّ الظلم الاقتصادي كان المحرّك للثورة على عثمان بن عفان. ٢- وأن مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة إنما كانت بمبادرة من الثوّار الذين احتلّوا المدينة إبّان تلك الأحداث. ٣- وأن من كان بالمدينة من ملأ قريش وأثريائها إنما بايعوا عليًّا تحت تأثير الوضع الثوري بالعاصمة التي كانت محتلّة من قبل الثوّار، هذا من جانب،

ومن جانب آخر بايعوه على أمل أن يكون لهم وضع ممتاز ومتميّز في السلطة والثمرات الاجتماعية والاقتصادية التي تحقّقها. ٤- وأن أول خلاف نشب بين علي وبين هؤلاء الصحابة إنما كان سببه: المال والاقتصاد. فلقد قرّر علي، في اليوم التالي لبيعته، إحداث انقلاب اجتماعي واقتصادي شامل، عندما أعلن التسوية بين المواطنين في "العطاء" بصرف النظر عن الجنس عربيًّا كان الإنسان أو غير عربي، والقبيلة، قرشيًّا كان الإنسان أو غير قرشي، والسبق إلى الإسلام أو التأخّر في اعتناقه. وهو الانقلاب الاجتماعي الذي يقرّر أبو جعفر الإسكافي أنه كان السبب الأول والأساسي للخلاف بين علي بن أبي طالب وبين خصومه من الصحابة الذين نقضوا بيعته ثم حاربوه ... هذا هو تحليل الإسكافي للأسباب الحقيقية والأساسية لذلك الصراع السياسي والحربي الشهير، وإذا كان هذا التحليل إنما يمثّل رؤية تاريخية ومنهجًا في كتابة التاريخ يعدّ بمثابة الجذور الأصيلة - في تراثنا العربي الإسلامي - لما نسمّيه اليوم بالمدرسة الاجتماعية أو العلمية أو المادية في كتابة التاريخ. (عم، وعى، ٢٤، ٢٧)

مدرسة الشام

- مدرسة الشام بدأت هذه المدرسة تستقطب عددًا من العلماء الإخباريين وتخرج عددًا آخر منذ أيام معاوية. وكانت جاذبية العاصمة السياسية من جهة، ورغبة البيت الأموي في الثقافة التاريخية اعتبارًا من معاوية حتى آخر الأمويين هما اللتان تفتحان الطريق لهذه المدرسة التي عنيت بالأنساب وبالتاريخ الجاهلي عنايتها بعهد الرسالة والفتوح على السواء، فكانت وسطًا في هذه المواد بين المدرستين المدنية والعراقية، ولئن كانت في رجالها أكثر ميلًا إلى المغازي والعبر والفتوح منها إلى الأنساب والأيام، فإنها تميّزت عن المدرستين، فيما يظهر، بعنايتها بأمر الفتوح خاصة والمغازي والمقاسم وتخصّصها بها. ويبدو أن مدرسة الشام كانت تتّجه للتخصّص في "التاريخ" وللظهور بهذا المعنى قبل مدرستي المدينة والعراق على السواء، كما يبدو أنها ظلّت فترة طويلة تنافس المدينة ومدرستها في أمر المغازي لما غلب على أهل المدينة من العلم بالحديث والبحث عنه. (مص، رخ١، ١١٩، ٢)

- مدرسة الشام كانت موزّعة النشاط بين عدد من المدن الشامية. صحيح أن دمشق تستأثر منها ومن رجالها بالنصيب الأوفى ولكنّا نجد مؤرّخين في حران وحمص والرقة وصفد وعسقلان إذا لم نذكر المدن الكبيرة الأخرى مثل حلب والقدس. ولعلّ السبب في ذلك هو عدم وجود رأس سياسي واحد للشام في تلك الفترة كلها تقريبًا. وإذا كثر المؤرّخون في الشام فإنما كانت كثرتهم واضحة في الفترة الأخيرة الزنكية - الأيوبية. ويظهر الفارق واضحًا في هذه النواحي مع المدرسة المصرية التي

ظهر رجالها كافّة في مدينة (الفسطاط - القطائع - القاهرة) فلم تترك هذه المدينة للإسكندرية أو لأسوان إلا الأضواء الباهتة جدًّا لأنها استأثرت بالنشاط السياسي والفكري كلّه. كما يظهر الفارق مع العراق حيث ابتلعت بغداد جهود البصرة والكوفة وإلى حدّ ما الموصل أيضًا. أما إيران فإن توزّع النشاط السياسي والفكري في أنحائها جعل المؤرّخين فيها بدورهم موزّعين كما في الشام على المدن المختلفة ما بين نيسابور وأصبهان إلى مرو وهمذان، وشيراز وبلخ... وغيرها. (مص، رخ٢، ٢١٩، ٣)

مدرسة العراق

- مدرسة العراق اجتمعت للعراق في صدر الإسلام ثلاثة تيارات ثقافية أساسية تكوّن قاعدته الفكرية هي: الثقافتان الفارسية والهيللينية والتيار العربي الإسلامي. وقد خدمت الثقافتان الأوليان أول الأمر وأفسحتا المجال للفكر الجديد القادم مع العرب المسلمين. وقد وجد هذا الفكر لنفسه مستقرًّا ومكانًا خاصًّا في الأمصار الجديدة. البصرة والكوفة في العهد الأموي ثم أضيفت إليهما بغداد في العصر العباسي، كما وجد أهلًا هم العرب الذين هاجروا فاستقرّوا في هذه الأمصار يزورهم ويسكن بجوارهم الموالي الذين تابعوهم تديّنًا أو تملّقًا. (مص، رخ١، ١٦٩، ٢)
- كان معروفًا لدى الناس في ذلك العصر اختصاص مدرسة المدينة والشام بالمغازي والفتوح واختصاص مدرسة العراق بميدانها في الأخبار والأيام والأنساب. فلما ألف محمد بن الحسن الشيباني العراقي في (السير) وصاح الإمام الأوزاعي "ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب؟ فإنه لا علم لهم بالسير!.." علم الشيباني بالكلمة وكان كتابه (السير) صغيرًا، وهو أساسًا في الفقه، فكتب كتاب (السير الكبير) الذي حوى مع الفقه الأخبار والمغازي والفتوح، ويمكن أن يعتبر أول كتاب في بحث العلاقات الدولية. وكان هذا يعني في الواقع تحوّل اختصاص مدرسة الشام بالفتوح إلى العراق أيضًا وبروز هذه المدرسة بدورها برواية الفتوح الإسلامية المختلفة على أساس رواياتها الخاصة. أن نوعًا من النظرة الكلية كان يحكم رجال المدرسة العراقية كافة. فبينما تجاوز النسّابون في اهتمامهم القبيلة الواحدة إلى مجموع القبائل، كان الرواة والإخباريون يجعلون محور اهتمامهم أخبار الأمة لا أخبار قبيلة أو حادث معيّن مفرد أو جماعة خاصة، كما كان عليه العهد من قبل. أي أنهم جميعًا ساروا في طريق التاريخ وكانوا بذلك المؤرّخين الأولين. أن التحزّب السياسي أو القبلي أو القطري أو للمصر وخاصة في العراق كان يظهر في الروايات المروية. (مص، رخ١، ١٧١، ١١)

مدرسة فارس

- مدرسة فارس: فقد قام عليها الفرس، من الموالي المسلمين ومن غير المسلمين

فعملوا في نوع من إثبات الوجود القومي والعلمي على كتابة التاريخ الفارسي باللغة العربية، ترجمةً تارة عن الكتب الفارسية وتأليفًا تارة أخرى. وقد يكون للشعوبية التأثير الأول في ظهور المدرسة التي نقلت إلى العربية صورة من تاريخ الفرس العريق، أخذت أحيانًا أزهى الألوان ولكن ما من شكّ في أن بعض الجهود التي بذلت في هذا السبيل كانت نتيجة الرغبة العلمية في المعرفة. ولما كان العراق مكان التقاء الموالي الفرس مع العرب بجانب كونه مركز الحكومة والتمازج الثقافي، فقد كان مركز هذه المدرسة التاريخية في هذا الإقليم خاصة لا في إيران نفسها حيث لم تكن اللغة العربية شائعة ولا حاجة بالمقابل إلى كتب التاريخ بالعربية مع توفّرها بالفارسية. (مص، رخ١، ١٣٩، ١٨)

مدرسة الفسطاط

- نرى بوضوح وجود تيّارين في الرواية التاريخية بمصر في ذلك الوقت المبكر: - تيّار الخبر الإسلامي الذي يستعير فترة بعد أخرى الكثير من التراث المصري التاريخي. وقد حمله بعض الصحابة والتابعين، في ما يمكن أن نسمّيه مدرسة الفسطاط وكانت المادة الأساسية له فتوح مصر والمغرب يمازجها الكثير من تاريخ مصر القديم بشكله الأسطوري. - تيار القصص الوعظي الذي يخدم الفكر الديني الإسلامي وإن كان يعتمد على الخرافة والأساطير والملاحم، وقد حمله من عرفوا في التاريخ الأدبي "بالقُصّاص". وفيهم عدد من "المحدّثين" ومن "القضاة"، من التابعين وتابعي التابعين.. والمادة الأساسية لهذا التيّار مستمدّة من القصص الشعبي وأخبار النسك والجان والعجائب والكهانة والأنبياء والسحر والطلاسم الأثرية.. كل ذلك في ثوب إسلامي يتّفق مع تأصيل ومعطيات الدين الجديد. وقد تعاصر ظهور التيارين ثم توازيا في الوجود خلال القرن الهجري الأول ومطلع الثاني، لكن اتّجاه التيّار الثاني القصصي إلى العامة سحب بالتدريج الثقة العلمية منه. (مص، رخ٢، ١٤٤، ١٢)

مدرسة المدينة

- مدرسة المدينة: استأثر الاهتمام الإسلامي بهذه المدرسة ولعلّ السبب في ذلك أن المدينة كانت عاصمة الرسول والخلفاء الأول من بعده ومركز تجمّع الصحابة والبلد الأساسي للدين الجديد صاحب الدولة والفتوح. وحين احتاج المسلمون في أنحاء البلاد إلى معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة الإسلامية الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي... توجّهوا أول ما توجّهوا إلى من يظنون به تلك المعرفة. وتصدّى لإيضاح ذلك المقابل: أبناء الصحابة

أنفسهم خاصة ومنهم المجموعة الأولى. (مص، رخ١، ١٤٩، ٣)

- بدأت الدراسات، تاريخية وغيرها، بجهود مشتركة تتمثّل في حلقات للدراسة، تحيط كل حلقة بأستاذ، وقد يبرز طالب العلم حين يجتاز مرحلة دراسية فيكوّن حلقته، والدراسة مفتوحة لمن يريد والرواية تسير في سلسلة، وبنتيجة ذلك وبمرور الزمن تكوّنت مدرسة في التاريخ والحديث والفقه. وأول مدرسة للتاريخ هي مدرسة المدينة، مدرسة "المغازي"، وترتبط في نشأتها ووجهتها بجهود اثنين من الفقهاء المحدثين، عروة بن الزبير وتلميذه الزهري. (دو، نشأ، ٦١، ٧)

مدرسة مسيحية

- (المدرسة المسيحية) مدرسة تاريخية كان من ملامحها العامة: أن أعداد هؤلاء المؤرّخين ما بين العراق والجزيرة والشام ومصر معًا ليست بالكثيرة نسبيًا فهم لا يزيدون على حوالى أربعين مؤرّخًا فيهم من العراق ١٦ ومن الشام والجزيرة ١٤ ومن مصر ٩ ، وبالمقابل فإن أوساطهم الاجتماعية وأعمالهم محصورة في نطاق ثلاث فئات محدّدة. إن تسعة عشر منهم على الأقل هم من رجال الدين وسبعة من الأطباء وثمانية أو أكثر قليلًا من موظّفي الدولة. . . . ويمكن أن يضاف إلى هذا أن مؤرّخي الجماعات المسيحية لم يكونوا بالفعل قليلي العدد، إذا نحن تذكّرنا أنهم كانوا فريقين لا فريقًا واحدًا، وقد أرّخوا بلغتين لا واحدة. والذين أرّخوا منهم بالعربية ليسوا إلا جانبًا من مجموعة كان بجانبها مجموعة أخرى تطلّ من خلال حاجز اللغة، على الأفق الفكري الآخر: السرياني. مجموع هؤلاء وهؤلاء معًا هم مؤرّخوا المدرسة المسيحية الحقيقيون وما كانت تواريخهم العربية سوى أحد الميدانين المتاحين ولا تكمل الصورة الصحيحة إلا بتذكر رجال الميدان الآخر الشقيق. إن ثنائية اللغة فرضت ثنائية الإنتاج ولئن قام بين الإنتاجين جدار صفيق من الجهل اللغوي، إلا أن هذا الجدار لم يكن في معظم الأحيان موجودًا بالنسبة للمؤرّخين أنفسهم. وأما المؤلّفات التاريخية فلا تكاد تزيد على عدد المؤرّخين إلا قليلًا. كان لكل مؤلّف كتاب. وندر فيهم من كتب كتابين، . . . أما الظاهرة التي تلفت النظر في مؤلّفات المؤرّخين المسيحيين من حيث الكم فهي صغر حجم التواريخ العربية بصورة عامة. بعض التواريخ السريانية كانت تصل إلى ثلاث مجلّدات، أما بالعربية فهي مختصرات تصلّ أحيانًا درجة الاقتصار على صفحات من الجداول بالسنين والأحداث (كما في تاريخ ابن الراهب) وقد تطول أحيانًا لتصبح مجلّدًا حسنًا، جيّد التأليف. ولكنها في الحالين عرض مختصر مركز، سريع. كأنما كانت عملية التاريخ بالنسبة إليهم مجرّد استذكار للوقائع عبر الزمن ومجرّد وضع الأحداث في إطارها الزمني. وقد اهتمّ المؤلّفون

المسيحيون في الدرجة الأولى من حيث الموضوع بالتاريخ العام. كانت كتابته تلبي حاجة نفسية هامة لاستذكار التاريخ المسيحي السابق للإسلام، كما تقدّم بهذا التاريخ نفسه، عنصر المعادلة والتكافؤ لديهم مع التاريخ العربي الإسلامي الذي كانوا يعيشون في إطاره. وهكذا نجد أن ثلث أعمالهم التاريخية تقريبًا كانت تواريخ عامة. ولقد يبدأ بعضها في العهد الروماني أو البيزنطي، ولكنها كانت تشمل على أي حال تواريخ أخرى غير التاريخ العربي الإسلامي. ولعلّها في هذا تشبه من حيث الدافع التاريخي اقتصار بعض المؤرّخين المسلمين على تاريخ الإسلام باعتباره التاريخ الأهمّ لديهم. ويلي ذلك في الاهتمام كتابتهم لتاريخ الروم. وإذا كنا نعد حوالى ١٣ تاريخًا عامًّا كتبت بأقلام مسيحية فثمّة ثمانية مؤلّفات على الأقل كتبتها هذه الأقلام عن تاريخ الروم. لا شكّ أن بعضها كان مجرّد ترجمة ولا شكّ أن بعضها كان نتيجة رغبة بعض المؤرّخين المسلمين في معرفة ذلك التاريخ من منابعه وأهله أو من العارفين باللغة التي كُتب بها... ولكن هذا التاريخ يأتي في الدرجة الثانية من الاهتمام ويليه من بعده كتابة تواريخ الكنيسة وبطارقتها. وهو أمر طبيعي بدهي. وكان من الغريب أن يكون عدد هذه المؤلّفات قليلًا لا يزيد على خمسة. ولعلّ السبب في ذلك أنهم لم يكونوا يهتمّون بكتابة ذلك التاريخ بالعربية. فإذا وجدنا ثلاثة مؤلّفات عربية، في هذا الموضوع في مصر واثنين في العراق، فإن عدّة مؤلّفات فيه قد كتبت أيضًا بالسريانية. وأما الموضوع الرابع فقد كان تاريخ المهنة العامة التي احتكرها إلى حدّ ما المسيحيون: الطب ونجد في هذا الباب ثلاثة مؤلّفات بين الواحد والآخر قرابة القرن: فإسحق بن حنين كتب تاريخ الأطباء في أواخر القرن الثالث وابن بختيشوع في أواخر القرن الرابع وابن شرارة في أواخر الخامس. وأما باقي الكتب فبعضها تاريخ للعصر، أو مذكّرات، أو تاريخ خاص بأسرة الكاتب، أو بالمذاهب، أو بمدينة مسيحية هامة (كأنطاكية). (مص، رخ٢، ٤٢٦، ٢٥)

- كتب (المدرسة المسيحية) تشترك في بعض الميزات ومنها: أ- إقامة نوع من التوازن الكمي بين تواريخ الأمم السابقة للإسلام وخاصة تاريخ الروم والمسيحية وبيّن التاريخ الإسلامي. ب- اعتماد الأسلوب المختصر والمباشر في السرد دون تطويل ولا سند ولا دخول في التفاصيل أو الروايات. ج - إبراز التاريخ المسيحي، حتى خلال التاريخ الإسلامي نفسه فكثيرًا ما يعطف الكاتب فيذكر مثلًا الأطباء النصارى أو خبر هذا البطريق أو ذلك الشاعر أو ذلك الكاتب من المسيحيين خلال السرد في نوع من إثبات الوجود المبرّر. وهذا ما سمح بكشف الكثير من أحوال أهل الذمّة خلال العصور الإسلامية. د- إن روحًا من الاعتدال الواضحة والحياد كانت تميّز التواريخ التي

كتبها المسيحيون. طيف التعصّب لا يكاد يبين فيها وكثيرًا ما يغيب تمامًا. وبعضهم كابن العبري ادّخر تعصّبه للنسخة السريانية من تاريخه. وهناك وراء حاجز اللغة كتَبَ أمورًا لم يستطع أو لم يشأ أن يذكرها في تاريخه العربي ضدّ الإسلام. (مص، رخ٢، ٤٣١، ١٧)

مدرسة مصر

- مدرسة مصر ١- الجذور: لم يكن دخول عمرو بن العاص بالإسلام والفتح إلى مصر سنة ٦٤١م حدثًا من الأحداث الهامة في تاريخها فقط ولكنه كان نقطة انقلاب كبرى في ذلك التاريخ، غيّرت من مصائره اثنولوجيًا في التكوين السكاني، وثقافيًا في الدين واللغة والفكر، وسياسيًا في الارتباط النهائي بغربي آسيا العربي المسلم بدلًا من الاقتصار على حوض البحر المتوسط والعالم الإغريقي - الروماني بالذات منه. وكان طبيعيًا أن يتأثّر الفكر التاريخي في مصر أعمق التأثّر بهذا الانقلاب الجذري والشامل في حياة البلاد وأن يبدأ مسيرة جديدة. وقد بدأها بالفعل ولديه منبعان من المصادر: أ- مجموعة المعارف التاريخية السابقة العائدة لكل التاريخ القديم والمصري منه على الأخصّ والمتوارثة ثقافيًا في البلاد. ب- مجموعة الأخبار الحديثة التي حملتها الأحداث العربية المستجدّة في مصر من إسلام ورسالة وفتح وبطولات. (مص، رخ٢، ١٣٩، ٢)

- منابع المعارف التاريخية لديها لم تكن هي المنابع نفسها التي وجدها الناس في العراق مثلًا أو في الشام. كانت لمدرسة مصر منابعها المميّزة، لا الإسلامية فقط لكن غير الإسلامية أيضًا. فأما في مصادرها الإسلامية فقد كان واضحًا في التاريخ بمصر: أ) أثر القصّاصين: ومع أن القصص التي كانوا يروونها للوعظ لم تكن إسلامية كلها وكانت فيها دون شكّ عناصر من الزهد والرهبنة المسيحية ونسّاك الأديرة ومن قراءة النقوش القديمة على أساس وعظي، إلا إن هذه القصص لم تكن واضحة الأثر في التواريخ العراقية مثلًا وضوحها في مصر. ب) تلقّت مصر عناصر تاريخية حجازية أتتها بصورة خاصة مع المذهبين المالكي والشافعي اللذين كانا يحملان في السيرة وأخبار الصحابة والتابعين وغيرها طابع مدرسة المدينة. ج) وتلقّت إلى هذا وذاك عناصر من المدرسة العراقية حملها إليها أمثال: ابن هشام صاحب السيرة والوشاء الفارسي والنحوي الضرير وابن وثيمة الفارسي وابن الداية. د) وحملت إلى ذلك كله وبعد ذلك كله الأثر الراجع إليها من الأندلس والمغرب. أولئك الذين حملوا أخبار المدرسة المصرية إلى تلك الأقاليم القصيّة، عادوا أو عاد بعضهم أو عاد تلاميذهم فأضافوا إلى ثروة هذه المدرسة ما علموه من تاريخ تلك الأقاليم. وهو أثر لم يصل بغداد إلا نادرًا أو لمامًا. وأما المصادر غير الإسلامية فكانت على نوعين كل منهما بدوره معقّد التركيب ولكنهما يشكّلان

خلفية ثقافية مؤشّرة ومنابع معلومات واضحة البصمات لدى المؤرّخين المصريين: أ) المصادر اليونانية - المسيحية وفيها من التراث اليوناني الفكري بقدر ما فيها من التراث المسيحي. وقد كان لهذه المصادر علماؤها البارزون عند الفتح الإسلامي من مثل: يحيى النحوي الإسكندراني الذي يذكرون أنه كان على اليعقوبية ثم أنكر التثليث فأسقطه الأساقفة عن منزلته بعد خطوب جرت، وعاش أيام الفتح الإسلامي بمصر ودخل على عمرو بن العاص "وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده. . ." فأكرمه ورأى له موضعًا وسمع كلامه في إبطال التثليث فأعجبه وسمع كلامه أيضًا في انقضاء الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله. . . ب) المصادر القبطية: وهي وإن اشتركت مع المصادر اليونانية في النصرانية إلا إنها كانت تستمدّ معلوماتها من جذور مصرية خالصة ومن لغة وكتابة مختلفتين عمّا كان يستعمل في ثقافة اليونان والكتابة الهيروغليفية، في شكلها الديموطيقي المتأخّر، كانت - على ما يبدو - تقرأ من قبل بعض حملة الثقافة القبطية القديمة في مصر، تمامًا كما كانت تقرأ نقوش المسند في اليمن. . . ونعني على ضعف أحيانًا وتخليط. (مص، رخ٢، ١٦٨، ٨)

- مدرسة مصر التاريخية كان لها دون باقي المدارس الإقليمية الأخرى امتداد مبكر إلى أرض أخرى هي أفريقية والمغرب والأندلس ونعني بذلك أمرين: الأول: إنها اهتمّت أول من اهتمّ وأكثر من اهتمّ في المشرق بأخبار تلك البقاع وفتحها وسجّلت تلك الأخبار. والمعلومات التاريخية الواردة من هناك كانت تجد أول مستقرّ لها في مصر. الثاني: إن الخطوات الأولى للمدارس التاريخية هناك وللتدوين التاريخي الأندلسي إنما استمدّت معارفها ورواياتها وأخبارها الأولى نقلًا عن الرواة والكتاب الأولين للتاريخ في مصر. . فهي بذلك بنت المدرسة المصرية. (مص، رخ٢، ١٨١، ٩)

مدرسة اليمن

- مدرسة اليمن: من أسباب ظهورها ذلك التنافس القديم بين عرب الجنوب العريقين في التوطّن الحضاري وبين عرب الشمال الذين صاروا بعد الإسلام حديثي نعمة وحكم وحضارة. ونفَسَ عليهم الجنوبيون ما صاروا إليه من المجد فجعلهم يلهجون بسابق مجد اليمن. يضاف إلى ذلك الرغبة في إثبات الوجود اليمني بجانب القيسي الشمالي في العهد الأموي، وبعض الإشارات القرآنية إلى اليمن التي تحتاج إلى التفسير، ورغبة الموالي في معرفة كافة الجوانب من تاريخ العرب. ومما يؤسف له أن هذه المدرسة قد أخذت منذ نشأتها على يد كعب الأحبار المنهج القصصي والأسطوري وسحبت نماذج تاريخ العرب الشماليين - وهو في جذوره قبليّ - على

اليمنين الجنوبيين وهم ذوو حاضرة زراعية تجارية مستقرّة، فأدخلت على التاريخ العربي الكثير من الزيف والخيال بينما أهملت النصوص المكتوبة: زُبرًا على الحجر أو في سجلات الأقوام وذاكرة الواعين ولا شكّ أن أسبابًا جغرافية وسياسية واجتماعية عديدة هي المسؤولة عن ذلك التشويه الذي لم ينهض لتصحيحه إلا مؤرّخ متأخّر هو الهمداني. (مص، رخ١، ١٣٥، ٨)

- مدرسة اليمن التاريخية: أولًا: تكوّنت في شكلها الأول كمدرسة مهاجرة لا مدرسة مقيمة بمعنى أن رجالها، رغم أنهم يمانيون، إلا أنهم قدّموا معلوماتهم التاريخية خارج اليمن (في الشام أولًا ثم في العراق) وليس في اليمن ذاتها. ثانيًا: ولما كان معظم الذين تصدّوا لرواية ما يطلب إليهم روايته من التاريخ اليمني والتاريخ القديم هم من اليهود السابقين فقد تبنّوا التاريخ الإسرائيلي (لأنه تاريخهم الديني) أكثر بكثير مما تبنّوا ورووا التاريخ اليمني الحقيقي ونقوشه والمزبور من أخباره في الكتب والآثار. ثالثًا: لم تتأثّر هذه المدرسة، كما تأثّرت مدارس العراق والشام والمدينة ومصر، بعلم الحديث وما يتّصل به من السيرة النبوية والمغازي والفتوح. وبالرغم من أن بعض رجالها أسهموا في كتابة السيرة إلا أنهم كتبوها على طريقتهم ممزوجة بأخبار أهل الكتاب والأنبياء. رابعًا: كانت الرغبة في إثبات الوجود اليمني بجانب القيسي الشمالي في العهد الأموي تلعب دورها في صياغة الأنساب اليمنية والأخبار اليمنية القديمة. وقد أدخل علماء الأنساب اليمانيون من دغفل النسابة إلى محمد بن السائب الكلبي ثم ابنه هشام الكثير من القصص الشعبي اليمني والمواد الأسطورية والأخبار الموضوعة على التاريخ وبخاصة تاريخ اليمن. وكان الغرض من ذلك ترميم ذلك التاريخ وإعطاءه المجال للوقوف أمام التاريخ العربي الشمالي. خامسًا: ولما كانت كل تلك الأسباب الداعية للتعرّف على بعض الجوانب من التاريخ اليمني ليست بذات اتّصال مباشر أو تأثير قوي على الاهتمامات الفكرية الإسلامية العليا التي نمت في القرن الهجري الأول وقوامها القرآن وعلوم الحديث وروايته واللغة الشمالية وما يتّصل بها من شعر وأدب، وكانت ذات قيمة ثانوية في كل أولئك لذلك لم يصرف العلماء والرواة همّهم لتدقيق ما يروى لهم من تاريخ اليمن القديم أو التقصّي في أمره. ولعلّ بعض رواته من اليمنيين لم يريدوا التدقيق والتقصّي لئلّا يضعف ذلك من أمجادهم أمام الشماليين الذين ظهر فيهم الرسول الأعظم والدين الحنيف. (مص، رخ٢، ٣٠٨، ١٨)

- مدرسة اليمن لم تنصرف فعليًّا إلى تاريخ اليمن. المؤرّخون لم يأبهوا كثيرًا بكتابة أخبار عصورهم وأحداث الحياة التي عاشوا. زحام الحكام، وقائع السياسة، غبار الحروب - وقد كانوا يعيشونها جميعًا

- لم تثر فيهم إلا أبسط الإغراء للتسجيل والرواية. (مص، رخ٢، ٣٢٣، ١٣)

- (خلصت مدرسة اليمن) إلى نتيجتين: أولاهما: نموّ نوع من التاريخ المحلي فيها مزج بين الطبغرافيا والتاريخ الحضاري والأنساب. وخير من يمثّل هذا النوع التاريخي هو الهمداني الذي يمكن أن يعتبر من أوائل المؤرّخين العرب الذين استفادوا من المواد الأثرية والنقوش في كتابه الإكليل. والثانية: أسلوب المزج ما بين الوصف الجغرافي والتاريخ السياسي المرتّب على أساس الحوليات. وخير من يمثّل ذلك - وإن يكن من المتأخّرين - ابن الربيع الشيباني في كتابه بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد. (مص، رخ٢، ٣٢٥، ١٧)

- مدرسة اليمن التاريخية إذا لم تتأثر، في غير الشكل بالمدارس التاريخية الإسلامية الأخرى، فإنها لم تتلق أي تأثير من التواريخ الأجنبية كالتأثيرات البيزنطية أو الفارسية. فظلّت في تكوينها الفكري أكثر المدارس التاريخية في الإسلام محافظة لا على محليتها فقط ولكن على طابعها العقائدي السياسي أيضًا. ويجب أن ننتظر حتى ما بعد القرن السادس والسابع لنرى دخول التأثيرات التاريخية الإسلامية إليها وظهور كبار المؤرّخين فيها. (مص، رخ٢، ٣٢٦، ٩)

مدن

- المدن قرار يتّخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه، فتؤثر الدعة والسكون، وتتوجّه إلى اتّخاذ المنازل للقرار. ولما كان ذلك للقرار والمأوى؛ وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق لها. (خلد، قدم، ٨٥١، ٣)

- المدن كانت المدنية محصورة في المدن دون القرى، عملًا بقاعدة التمدّن في تلك الأيام، وهي أن تكون الثروة والأبّهة حيثما يكون ولاة الأمر، ومن يلوذ بهم، من الخليفة وآل بيته فرجال بلاطه فعماله ووزرائه. وهؤلاء كانوا يقيمون في المدن وخصوصًا العواصم، ولذلك عمّرت بغداد والبصرة ودمشق والفسطاط والقاهرة والقيروان وقرطبة وغرناطة ونحوها، وظلّت القرى والضياع مغارس لا عمارة فيها، ولا تكاد تجد أثرًا من آثار ذلك التمدّن في غير المدن. (زي، مدن٢، ١٧١، ٧)

مدن إسلامية

- المدن الإسلامية كانت مؤلّفة من: الملوك وهم الأصل، ثم رجال الدولة، وإنما يكونون كذلك لأن الملوك يختارونهم لفطنتهم، ثم الأغنياء، وأخيرًا الأوساط وهم جمهور الناس ويكونون كما يشاء أولئك. وذلك يخالف حال الهيئة الإجتماعية في هذا العصر، عصر الحرية الشخصية، فالناس فيه مستقلّون بأعمالهم كل منهم يعدّ نفسه عضوًا من أعضاء ذلك المجتمع لا يستغنى عنه، سواء كان صانعًا

أو كاتبًا أو تاجرًا أو موظّفًا. (زي، مدن٢، ١٧٢، ٢٤)

- المدن الإسلامية ما بناه المسلمون من المدن لأنفسهم، وهي غير ما افتتحوه من مدائن الروم والفرس. والمدن الإسلامية عديدة في العراق والشام ومصر وأفريقية والأندلس وغيرها، ومنها ما لم يزل عامرًا إلى اليوم كالبصرة وبغداد والقاهرة، ومنها ما انقرض وعفت آثاره كالفسطاط بمصر والزهراء بالأندلس. (زي، مدن٢، ١٧٥، ١٦)

مدنية

- إن أية معالجة صحيحة للقضايا الكبرى التي تجابهها الإنسانية اليوم يجب أن تستند إلى معرفة تاريخية شاملة المدى بعيدة الغور، معرفة تثير الأسئلة الأساسية عن واقع المدنية الحديثة وعن كيفية تكوّن هذا الواقع. ما هي المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها هذه المدنية؟ ما هو نظرها إلى الطبيعة، والإنسان، وما وراء الطبيعة والإنسان؟ ما هي القيم التي تؤمن بها وتسعى لتحقيقها؟ ثم - وهذا ما يهمّنا الآن بصفة خاصة - كيف تكوّنت هذه المفاهيم، والنظرات، والقيم؟ من أية جذور نبتت وتفرّعت، وبأي غذاء اغتذت حتى بلغت ما بلغته في مرحلتها الحاضرة؟ ما هي عناصر القوة في هذا الغذاء وفي تلك الجذور التي ولّدت مآثر هذه المدنية الجليلة وفتوحاتها الباهرة، وما هي عناصر الضعف التي تبثّ فيها الفساد وتكاد تدنيها من الانحلال بالرغم من تلك الفتوحات والمآثر؟ ما هي طبيعة التراث الذي يتمتّع به الإنسان المشارك في المدنية الحديثة، وكيف يختلف هذا الإنسان عن غيره من الناس الذين لم يتلقّوا هذا التراث ولم يفيدوا منه؟ (زري، نحن، ١٥، ١٨)

مدينة

- (المدينة) دار الهجرة كان العلم وافرًا بها في زمن الصحابة من القرآن والسنن وفي زمن التابعين كالفقهاء السبعة وزمن صغار التابعين كعبدالله بن عمر وابن أبي ذئب وابن عجلان وجعفر الصادق ثم مالك الإمام ومقرئها نافع وإبراهيم بن سعد وسليمان بن بلال وإسمعيل بن جعفر. ثم تناقص العلم جدًّا بها في الطبقة التي بعدهم ثم تلاشى. قلت سيما وقد سكنها جماعة من الروافض وتحكموا بها وغلب أمرهم عليها ولكن نشأ بها في القرنين الثامن والتاسع أفراد من العلماء في غالب المذاهب والفنون انتفع بهم أهل السنة وفيهم ممن صنف عدد يسير، والسنة بحمد الله الآن معتضدة بمن شاء الله من فضلاء أهلها من قضاتها وغيرهم نفعني الله ببركاتهم. (سخ، ذم، ١٣٦، ٤)

مدينة فاضلة

- ما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب - (العمران البشري لا بدّ له من سياسة) -، وإنما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل

ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكام رأسًا: ويسمّون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمّى من ذلك "بالمدينة الفاضلة"؛ والقوانين المراعاة في ذلك "بالسياسة المدنية". وليس مرادهم السياسة التي يُحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة؛ فإن هذه غير تلك. وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع، وإنما يتكلّمون عليها على جهة الفرض والتقدير. (خلد، قدم، ٧٧٣، ١٣)

مذلة وإنقياد

- المذلّة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدّتها؛ فإن انقيادهم ومذلّتهم دليل على فقدانها؛ فما رئموا للمذلّة حتى عجزوا عن المدافعة، ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزًا عن المقاومة والمطالبة. (خلد، قدم، ٥٠٢، ٣)

مراكز البطائق

- مراكز البطائق التي هي بالأبراج فأوّل ما نُشئ ذلك من بلاد الموصل وحافظ عليه الخلفاء الفاطميّون بمصر وبالغوا حتى أفردوا له ديوانًا وجرائد بأنساب الحمام، وللفاضل محيي الدين عبد الظاهر في ذلك كتاب سمّاه تمائم الحمائم، وأوّل من اعتنى به ونقله نور الدين الشهيد زنكى رحمه الله في سنة خمس وستّين وخمسمائة وحصل بذلك راحةً للملوك. (شاه، زبد، ١١٦، ٢٠)

مرجعية

- المرجعية من ضربين: فهناك المرجعية التنظيمية، وهي الأساسية، والكامنة في الإندراج الزماني، والمرجعية بحسب الموضوع، أي رجوع الأخبار إلى كونها أخبارًا عن متعلّقات الملك، ومتعلّقات الملك ... هي تلك الأمور التي تصف البعض من فاعلياته وتشير إلى الأنشطة التي يقوم بها والتي يكون بها فعله بما هو ملك - كالحرب والتوزير - والاستمرار. استمرار الملك هو الذي منه دولة يتمّ تداولها بين الملوك لاحقهم بعد سابقهم، استمرار الملك هو ما يجعل له إسمًا، فيصبح الملك عباسيًّا أو بويهيًّا أو مرينيًّا أو قبطيًّا. استمرارية التقويم هي استمرارية اسم لسلطان مستمرّ متجدّد، واستمرارية التقويم هي ما يرفع من فرادة الحدث التاريخي وتوضّعه في زمان ووقت مطلقين، ويزجّ به في التاريخ بما هو تابع لزمان له بداية محدّدة هو التقويم أو الملك أو للدولة. الحدث - والملك الفرد وما يندرج تحته من حوادث حدث بالنسبة للدولة التي ينتمي ويرجع إليها - حادث تاريخي بما هو برهة في سلسلة استمرارية زمانية. سلاسل الإستمرارية الزمانية التي يلحق بعضها البعض والتي يتزامن بعضها مع البعض هي الدولة بما هي تتابع لملوك ذوي إسم علم قائم بذاته هو إسم الدولة هذه، والقيمة الزمانية لكل من هذه السلاسل قابلة للتحويل إلى قيم زمانية لسلسلة أخرى إن اعتبرنا هذه الأخيرة -

كرجوع التقويم بملوك بني إسرائيل إلى التأريخ بملوك فارس الذي رأيناه عند الطبري وابن الأثير. (عظم، عرف، ٨٨، ١٣)

مرحلة التأويل

- مرحلة التأويل؛ وهي أشقّ المراحل الثلاث وأصعبها مرامًا، ففيها تتجلّى عبقرية المؤرّخ وسعة خياله بحيث يصبح قادرًا على السبح في أعلى الأجواء دون أن يخرج من نطاق الحقيقة، وسيصادف المؤرّخ عقبات جسامًا منها ما يتّصل بقلّة الوثائق والمادة التاريخية، ومنها ما يتّصل باختلاف الظروف والقيم بين العصر الذي وقعت فيه الأحداث وعصر المؤرّخ، ومنها ما يتّصل بانحراف بعض ما وجده من كتابات لسبب أو لآخر، ولكن المؤرّخ يتحتّم فيه رجحان العقل والعاطفة جميعًا ليستطيع أن يرسم الصورة التي تعدّ أقرب إلى الحقيقة، وأن يضفي عليها من التأويل ما يجعلها واضحة مقبولة. (شل، سلم، ٢٨، ٩)

مرحلة جمع المادة التاريخية

- مرحلة جمع المادة التاريخية؛ وهذه المرحلة خطيرة للغاية، لأن المؤرّخ كثيرًا ما يصادف وقائع لا تحصى متّصلة بالفترة التي يؤرّخ لها، وهذه الوقائع لا يمكن أخذها جميعًا، وعملية الاختيار منها عملية صعبة للغاية، وليست هناك قاعدة يسير عليها المؤرّخون، ويقول هونشوا: لو عهد إلى مؤرّخَيْن أن يصفا حركة من الحركات، أو حادثًا من الحوادث فمن الراجح ألّا يتّفقا في القول بأهمية نواح منه بعينها، لقد كان قدماء المؤرّخين يستهويهم من شئون البشر كل ما كان شاذًا، أو دراميًّا، أو حماسيًّا، أما المؤرّخ العلمي الحديث فأمْيَل إلى أن يختار مما بين يديه، من مواد غير متناهية، مجرّد الحقائق التي يرى أنها تعينه في بيان تطوّر المجتمع الإنساني إلى حالته الحاضرة. وتعتبر الوثائق المكتوبة أعظم المصادر التي تساعد على بلوغ هذا الغرض، نعم إن هناك مصادر أخرى على شكل مبان وحصون ونقوش، بل وعلى شكل رواية شفوية أيضًا، إلا أنه قد بلغ من فضل الوثائق المكتوبة على غيرها أن قيل "لا تاريخ بدون وثائق" ثم إن تجميع المواد من الوثائق يقتضي ملكة فنية عالية، ودراية علمية فائقة بفقه اللغة وقراءة النقوش، والقدرة على الغوص في أعمال المحيط لإخراج اللآلئ، وكما أن على المؤرّخ أن ينتقي أنفع ما عنده من الوقائع التي لا تحصى فإن عليه أن يسعى إلى إضافة كل الوقائع المتيسّرة التي يمكن أن يستفيد منها بحثه. (شل، سلم، ٢٧، ٥)

مرحلة النقد

- مرحلة النقد؛ وفي هذه المرحلة يفحص المؤرّخ ما جمع من مادة تاريخية ليتأكّد من صحّة أصلها، ودقّة روايتها، وكون عبارتها قابلة للتصديق، ولهذا يتحتّم على المؤرّخ

أن يكون على علم بالاتجاهات الفنية المعمارية التي سادت في العصر الذي يدرسه ليتحقّق من نسبة الآثار المعمارية إليه، وأن يعرف ظروف المؤرّخين الذين يقتبس منهم، ومدى ما استمعوا به من حرية ومواهب وخلق. (شل، سلم، ٢٨، ٣)

مرو

- خراسان وكانت تحت يدي أصبهبذها باذُوسْبان وأربعة مرازبة إلى كلّ مرزبان ربع خراسان فربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها وربع إلى مرزبان بلخ وطخارستان وربع إلى مرزبان هَرَاة وبُوشَنْج وباذَغيش وسجستان. (خرد، مسلك، ١٨، ٨)

مزدلفة

- إنّ الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه، وهو يوم الجمعة، مع زوجته حوّاء من السماء. فقال علي وابن عبّاس وقتادة وأبو العالية: إنّه أُهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سَرَنْدِيب، وحوّاء بجدّة. قال ابن عبّاس: فجاء في طلبها فكان كلّما وضع قدمه بموضع صار قرية، وما بين خطوتَيه مفاوز، فسار حتى بلغ جمعًا فازدلفت إليه حوّاء، فلذلك سُمّيت المُزْدَلِفة، وتعارفا بعرفات فلذلك سُمّيت عرفات، واجتمعا بجمع فلذلك سُمّيت جمعًا. وأُهبطت الحيّة بأصفهان، وإبليس بمَيْسان. وقيل: أُهبط آدم بالبريّة، وإبليس بالأُبُلَّة. (أث، كمل، ٣٧، ٣)

مسائل التاريخ البسيطة

- مسائل التاريخ البسيطة: الملوك في تتابعهم، وذكر معاصريهم في علاقتهم بهم التي قد لا تزيد على التزامن. هذا هو فحوى "نسب الدولة بعضها من بعض". والمعاصرون يتبدّون أيضًا بشكل سلاسل من الملوك ترجع إلى إسم - قبط، نبط، عدنان، أو غيرها - يحدّدها كوحدة للتتالي النصي، وبالتالي للتتالي التاريخي الذي من المفترض أنه يتوازى مع التتالي الزمني الحقيقي. فاعتبار الزمان المحور الوحيد لتتالي النص التاريخي، واعتبار الملك ومتعلّقاته الموضوع البسيط والأساسي لهذا التتالي، هما مكوّنا التاريخ. (عظم، عرف، ٧٥، ٩)

مستشرقون

- ما كتبه المستشرقون من الدراسات في بعض عصور التاريخ الإسلامي أو مسائله الجزئية أعمق من كتبهم الشاملة. وإذا كان للمراجع العربية والفارسية القديمة المقام الأول والأساسي في دراسة التاريخ الإسلامي، فمن الإنصاف أن نعترف بأننا لم نحسن الإفادة من تلك المراجع الأصيلة، حتى اتّصلنا بالغرب، واستطاع الرعيل الأول من المؤرّخين المسلمين المحدثين أن يأخذوا عن المستشرقين كثيرًا من أساليب البحث العلمي الدقيق.

وحسبنا مثلًا أن المستشرقين هم الذين كشفوا لنا عظمة ابن خلدون وما في مقدّمته من نظريات اجتماعية سبق بها العلماء الذين ينسب إليهم الغربيون وضع الأسس الأولى في علم الاجتماع. ولا ريب في أن بعض المستشرقين لا تلين لهم قناة اللغة العربية بحيث يصبحون في مأمن من سوء الفهم ومجانبة التفسير الصحيح، وما من شكّ في أن بعض المستشرقين يعميهم التعصّب الديني أو القومي عن الحقائق، أو يدفعهم إلى قلبها، ولكن هذا لا يقلّل من فضل المستشرقين في العناية بتاريخ حضارتنا وفي دفعنا إلى العناية بها، في أسلوب علمي سليم، نستطيع بواسطته أن نكمّل ما في دراستهم من نقص، أو نقوّم ما فيها من عيوب. ولقد كان الأب لامنس Lammens من أشدّ المتعصّبين على الإسلام، وهو بعد ذلك من المعجبين ببني أمية، لأن الدولة التي أقاموها كانت تعنى بمظاهر الملك وبالعصبية العربية أكثر من عنايتها بالدين وشؤونه، ولأنها قامت في الشام، وتأثّرت بالمدنيات القديمة التي قامت في ربوعه، وكان المستشرقون أنفسهم يعرفون في لامنس هذا العيب ويأخذونه عليه ولكنه كان واسع الاطّلاع. وحسب الدارس نفعًا ومرانًا في التاريخ الإسلامي أن يقرأ لامنس وأن يهضم ما يروقه من أبحاثه، وأن يبحث وينقّب ليستطيع الرد على الجزء الباقي فيها، وأن يراجع النصوص التي كان لامنس يبني عليها أحكامه، ليرى كيف كان يجحف في تفسير بعضها، ويحمل بعضها الآخر ما لا تحتمل، وكيف كان يهمل ما لا يتّفق ورأيه أو ما لا يؤيّد نظريته، وكيف أنه كان يغضّ الطرف أحيانًا عن المناسبات، فيستنبط من الشواذ قواعد، ومن الحالات الفردية أحكامًا عامة. وقصارى القول أن قراءة لامنس ومن على شاكلته رياضة علمية ميدانها الكتب والمكتبات، وتقرع فيها الحجّة بالحجّة، ويدفع النص الواحد بالنصوص الكثيرة. ومع ذلك كله فلسنا نظنّ أن باحثًا منصفًا يستطيع أن ينكر ضرورة الإلمام بكل ما يكتب المستشرقون، لأن أكثر ما يكتبونه دقيق ومنظّم، وفيه كثير من مزايا البحث العلمي الصحيح. أما عيوب التعصّب فمن السهل أن ندركها ونحذر شرّها. (حس، عر، ٢٠٧، ٢)

مستشير

- المستشير وهو كل قاصد لغرض يهمّه، ... من عموم الطلب بها في سائر الطبقات؛ لكن يتفاوت ذلك فيهم بحسب الرئيس والمرؤوس. (أزر، بدع١، ٢٩٧، ٢١)

مستند

- المستند هو ما يصحّ له من أجله أن يروي ما رواه ويقبل منه، فإن لم يحصل له مستند له فيه، لم يجز له شيء من ذلك شرعًا، وهو: السماع من الشيخ، أو القراءة عليه، أو الإجازة، والمناولة، والكتابة، والوجادة. (كاف، مخ، ٧١، ٦)

مسموع

- ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا

يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يُقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشَّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ

(يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماء مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابُع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعلّ قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز، وهو سيّج المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولّعة بحبّ العاجل. ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق. فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرَّم، ولا ملك معظَّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعرًا:

وهل أنا إلّا من غَزِيَّة إن غوَتْ
غويتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧). فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها. (أث، كمل، ٧، ١٦)

مسيحية

- استحدثت المسيحية فكرتين رئيسيتين في كتابة التاريخ بعد النمطين الإغريقي والروماني: الأولى هي فكرة التفاؤل بالطبيعة الإنسانية، والثانية هي الفكرة التي تقول بوجود قيم أبدية خالدة تكمن وراء عملية التغيير التاريخي. أريد أن أقرّر أن المسيحية بدّلت الفكر البشري تبديلًا بالغ العمق بحيث غيّر كل الأوضاع التي شاعت في العصر الروماني ومن بينها المنهج التاريخي... كانت الثقافة اليونانية والرومانية آخذة في الأفول، فحملت إليها المسيحية ثروة هائلة جديدة من القصص والأحداث والحكم والأمثال المستقاة من التوراة. ووجدت الشعوب نفسها أمام هذه

الثروة التي تمثّل غذاء روحيًا كانت في مسيس الحاجة إليه، فأقدمت عليها تلتهمها، ثم أرادت أن تهضمها، ولم يكن هناك سبيل إلى ذلك إلا إذا قدّمت الحلول التي تفسّر دقائقها وما يبدو فيها من متناقضات. وقام بهذا العمل آباء الكنيسة من الإغريق والرومان، وعلى رأسهم جميعًا القديس أوغسطين الذي فتح للتاريخ آفاقًا فسيحة، إذا سمح للفكر أن يرسل نظرة إجمالية إلى مجموعة التواريخ الموجودة وإيجاد تفسير لها... فالمسيحية كما يرى ترشد معتنقها إلى تصوّر تاريخي للكون يبدأ بالخلق كما جاء في التوراة وينتهي بالدينونة العامة أي يوم الحشر. (علف، فت، ١٢٧، ٧)

مسيرة التاريخ

- نهاية أشياء التاريخ لا تنتج عن مسيرة التاريخ بل عن بدايته: فمرجع مسيرة الخلق في الزمان بداية تستعاد وتستنسخ في النهاية أو في بدايات لاحقة (كما في النبوّة) قبل الوصول إلى النهاية في الساعة. بعبارات أخرى، النهاية استعادة مطلقة للبداية، وليست تقويمًا لما بينهما. فإن ما يجري بين نقطتي البدء والانتهاء نقص محض لا بُنى خاصة به تجعل له علاقة مع النهاية إلا العلاقة المفروضة من الخارج، أي لزوم وقوع النهاية في لحظة زمانية معيّنة لأسباب لا علاقة لها ببنية النقص الداخلية، بنية التاريخ الأرضي، أي ذلك الذي يشكّل الدور الثاني من أدوار التاريخ، لا ترجع لغاية الزمان، بل هي مستقلّة عنها، وعبثية بالقياس عليها، وبقاياها تزجّ في دركات العبثية القصوى التي هي النار. (عظم، عرف، ١٢٣، ٢٢)

مشاهدة علمية

- هل تمتّع الراوي بجميع شروط المشاهدة العلمية؟ وهي ما يلي: أولًا أن يكون الراوي في مكان يتمكّن فيه من مشاهدة الحوادث مشاهدة صحيحة. وثانيًا أن يكون الراوي في أثناء المشاهدة بعيدًا عن الغرض. وثالثًا أن يدوّن ما شاهده في أثناء وقوع الحوادث المروية. ورابعًا أن يوضح بجلاء تام طريقته في المشاهدة والتدوين. فقد يشاهد الراوي ما يروي ولكنه يكون في مكان أو ظرف لم يتمكّن فيه من التدقيق في النظر والسمع. وقد يشاهد ما يروي وينقصه الاستعداد الفني لفهمه. وقد يشاهد أيضًا ولكنه يتأخّر في التدوين فتخونه الذاكرة وتؤثّر عليه ظروف مستجدّة فلا ينقل إليها الخبر اليقين. وإذًا "فالذكريات" التي لا تدوّن عادة إلا بعد مرور الزمن هي في عرفنا من أضعف الروايات. (رس، مصط، ٦٤، ٤)

مشورة

- المشورة: وصاحبها يستشار في الأمور الهامّة، وكانت في بني أسد. فلم تكن قريش يجتمعون على أمر حتى يعرضوه عليهم. (زي، مدن١، ٣٩، ٥)

مصادر

- الخطوة الأولى من خطى الصناعة التأريخية هي البحث عن المصادر المتعلّقة بموضوع المؤرّخ. وهذه المصادر على أنواع عديدة، تختلف قيمة كل نوع منها حسب الفترة أو الناحية المعني بها. فثمّة الأبنية والنقوش والتماثيل، والمخلفات المادية من آنية وألبسة ونقود وما إليها، والوثائق المكتوبة التي دوّن فيها السلف خوالج نفوسهم أو ضروب معاملاتهم، أو التي سجّلوا فيها أحداث زمانهم أو أخبار الماضي. وبإيجاز: إن كل أثر، مادي أو أدبي، خلّفه لنا الماضي هو مصدر من مصادر التأريخ. بل كثيرًا ما يتجاوز المؤرّخ هذه الآثار المحسوسة ويحاول استنطاق الحياة الحاضرة لينفذ من خلال مظاهرها المتعدّدة، كاللغة والمعتقدات والعلاقات الاجتماعية، إلى الأصول التي نشأت منها والتحوّلات التي طرأت عليها. (زري، نحن، ٧٠، ٨)

مصادرة

- المصادرة هي قديمة في الإسلام تتّصل بعصر الراشدين، وكان العمال أول من وقعت عليهم المصادرات، فكانوا إذا اكتسبوا مالًا من تجارة أو سبيل آخر غير مرتباتهم المفروضة أخذ الخلفاء نصفه وأضافوه إلى بيت المال - كذلك فعل عمر بن الخطاب بعمّاله على الكوفة والبصرة والبحرين وكانوا يسمّون ذلك مقاسمة أو مشاطرة. (زي، مدن٢، ١٦١، ٤)

مصر

- سُمّيت مصر بمصر بن حام بن نوح صلّى الله عليه ومن ولده القبط والبربر وأرض مصر محدودة مسيرة أربعين ليلة في مثلها، وكانت مصر دار الفراعنة واسمها مقدونية والفسطاط هي فسطاط عمرو بن العاص بباب الْيُون ملك الروم. (خرد، مسلك، ٨٠، ١١)

- القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملك اضطرّوا للاستيلاء على الأمصار لأمرين: أحدهما ما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحطّ الأثقال واستكمال ما كان ناقصًا من أمور العمران في البدو؛ والثاني دفع ما يُتوقَّع على الملك من أمر النازعين والمشاغبين، لأن المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سموا إليه من أيديهم، فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم، ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقّة؛ والمصر يقوم مقام العساكر المتعدّدة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ولا عظيم شوكة. لأن الشوكة والعصابة إنما احتيج إليهما في الحرب للثبات، لما يقع من بعد كرّة القوم بعضهم على بعض عند الجولة، وثبات هؤلاء بالجدران، فلا يضطرّون إلى كبير عصابة ولا عدد. فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يَفُتُّ في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء، ويخضِد شوكة استيلائها.

فإذا كانت بين أحيائهم أمصار انتظموها في استيلائهم، للأمن من مثل هذا الانخرام. وإن لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم أوّلًا وحط أثقالهم، وليكون ثانيًا شجًا في حلق من يروم العزّة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم. فتعيّن أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليها. (خلد، قدم، ٨٤٦، ١)

- (مصر) وهي بلد عظيم وقطر متّسع شرقي وغربي وصعيد أعلى وأدنى افتتحها عمرو في زمن عمر رضي الله عنهما وسكنها خلق من الصحابة وكثر العلم بها في زمن التابعين، ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث ويحيى بن أيوب وحيوة ابن شريح والليث بن سعد وابن لهيعة، وإلى زمن ابن وهب والشافعي وابن القسم وأصحابهم وما زال بها علم جم. (سخ، ذم، ١٣٨، ٩)

مصطلح التاريخ

- الذين يعنون بالعصور الوسطى والعصور القديمة يهملون القاعدة الأساسية في مصطلح التاريخ فيثبتون في تواريخهم روايات جمّة انفرد بها راوٍ واحد فيضلّون ويضلّلون. وإذا ما تسرّب إلى عقول البعض أن بعض المؤلّفات الحديثة في العصور الوسطى وفي التاريخ للقديم هي أكثر جزمًا من بعض أخواتها في العصور الحديثة فإنما السبب في ذلك يرجع إلى إهمال واضعيها وقلّة درايتهم بقواعد مصطلح التاريخ. على أنه يجدر بالمؤرّخ المدقّق، قبل إسقاط الرواية التي ينفرد بها راوٍ واحد، أن يعيد البحث والتنقيب لعلّه يجد بين الروايات المختلفة ما يزكي به روايته المنفردة. وهو أمر عرفه المحدثون وعملوا به فأفردوا له بابًا خاصًا سمّوه باب الاعتبار والمتابعات والشواهد. (رس، مصط، ٩٣، ٢)

مصطنعون في الدول

- إن المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها. والسبب في ذلك أن المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة إنما يتمّ بالنسب، لأجل التناصر في ذوي الأرحام والقربى، والتخاذل في الأجانب والبعداء... والولاية والمخالطة بالرق أو بالحلف تتنزّل منزلة ذلك؛ لأن أمر النسب وإن كان طبيعيًّا فإنما هو وهمي، والمعنى الذي كان به الالتحام إنما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمربى والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة. وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر. وهذا مشاهد بين الناس. واعتبر مثله في الاصطناع؛ فإنه يُحدِث بين المصطنِع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتنزّل هذه المنزلة وتؤكّد اللحمة؛ وإن لم يكن نسب فثمرات النسب موجودة. (خلد، قدم، ٥٦٨، ١٤)

مطالعة التواريخ

- في مطالعة التواريخ من فائدة، فإن الإنسان

يحبّ البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فإذا قرأ أخبار الماضين فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضرهم. ثمّ إنّ الملوك ومن إليهم الأمر والنهي، إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان، ونظروا ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطّرحوها (مقدمة). (أث، كمل، ١٣، ١)

مطبوع

- ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يُقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ

(يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماء مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابُع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعلّ قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز، وهو سيّج المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولّعة بحبّ العاجل. ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق. فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرَّم، ولا ملك معظَّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعرًا:

وهـل أنـا إلّا مـن غَـزِيَّـة إن غـوَتْ
غـويـتُ وإن تَـرْشُـدْ غـزيّـةُ أرشُـدِ

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧). فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها. (أث، كمل، ٧، ١٦)

معائش

- حاجيات الحياة كانت رخيصة جدًّا، ثم

أخذت أثمانها تتصاعد بتكاثر الناس، وتفنّنهم في طرق المعائش، ولأسباب أخرى. (زي، مدن٢، ٧٢، ١١)

معارف تاريخية

- نرى بين المؤرّخين المحدثين عددًا وافرًا متكاثرًا من الذين امتلكوا ناصية الصناعة التأريخية، فأقبلوا على المصادر يدرسون نصوصها ويستخرجون منها الحقائق الجزئية، ويملأون صفحات الكتب والمجلّات بها. ولسنا لننكر خدماتهم الجزيلة في هذا المضمار، ولكننا نعتقد أنهم لا يتمّمون وظيفة التأريخ كاملة إلا إذا ضمّوا إلى هذه الصناعة الدقيقة، النظر المتأمّل في أحداث الماضي، الرابط بينها، الحاكم لها أو عليها، المكتشف أثرها في الحاضر، الدافع إلى الفهم الشامل الصحيح والعمل الإيجابي المثمر. وبكلمة أخرى: إن هذه الصناعة كثيرًا ما يذهب بها الحرص على الدقّة إلى تجزئة الماضي وإلى إضعاف صلته بالحاضر، فتحدث ثمّة هوّة بين "المعارف" التأريخية المتكاثرة المتناثرة و"الفكر" و"الاتجاهات" التأريخية التي يجب أن تحتويها الثقافة الفردية والاجتماعية، هوّة بين التأريخ كصناعة فحسب، والتأريخ كتفكير معيّن له ميزاته وخصائصه التي تكمل معنى الصناعة فيه والتي تميّزه بالوقت ذاته عن التفكير الذي يتجلّى في العلوم الأخرى. (زري، نحن، ١١٢، ٢٤)

معاش

- المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله، وهو مفعل من العيش. كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جعلت موضعًا له على طريق المبالغة. ثم إن تحصيل الرزق وكسبه: إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمّى مغرمًا وجباية. وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه وأخذه برميه من البرّ أو البحر ويسمّى اصطيادًا؛ وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام والحرير من دوده والعسل من نحله؛ أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته، ويسمّى هذا كله فلحًا؛ وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية؛ إما في مواد معيّنة وتسمّى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة وحياكة وفروسية وأمثال ذلك، أو في موادّ غير معيّنة وهي جميع الامتهانات والتصرفات؛ وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض: إما بالتقلّب بها في البلاد، أو احتكارها وارتقاب حوالة الأسواق فيها، ويسمّى هذا تجارة. (خلد، قدم، ٩١٠، ١٠)

- المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة. (خلد، قدم، ٩١١، ١٠)

- المعاش، المبتغي به التماس الرزق، كسبًا وصناعة. (أزر، بدع١، ٧٢، ١)

معاصرة

- المعاصرة (في كتابات المؤرّخين) هي أن يعيش إنسان - كالمؤرّخ مثلًا - في العصر الذي يؤرّخ له أو يترجم لسير رجاله. وقد تكون هذه اللفظة من الناحية اللغوية غير دالّة تمامًا على المعنى الذي نريده، ولكنها استعملت بهذا المعنى اصطلاحًا عند بعض المؤرّخين، ولو لم تصحّ فيه من الناحية اللغوية. والمعاصرة في الكتابات التاريخية سلاح ذو حدّين؛ فقد تكون شيئًا ضروريًّا لإلقاء الضوء على الحوادث من وجهة نظر قريبة عائشة في العصر الذي يؤرّخ له، فإن القريبين من الأحداث زمانًا ومكانًا هم أقدر الناس على وصفها وتصويرها. ولكنها من ناحية أخرى قد تكون حجابًا يستر المؤرّخ عن قول الحقيقة، ويعشي بصره عن رؤية الأمور على وجهها الصحيح، تبعًا لاعتبارات تتّصل بالتقرّب إلى الحكّام ومصانعتهم أو الرهبة منهم، والخوف من سلطانهم ودولتهم، وتبعًا لاعتبارات أخرى تتّصل بما يدور بين الأشخاص المتعاصرين من علاقات وضرورات اجتماعية، وما يقع بينهم من مودّات وعداوات. وشر آفات المعاصرة في كتابة التاريخ والسير أنها قد تحمل المؤرّخ على المجاملة، وتبعد به عن العدالة والضبط اللازمين. (حس، عر، ٥٥، ٣)

- قد تكون المعاصرة - من ناحية أخرى - سببًا لصحّة الحكم التاريخي من المؤرّخ على من يؤرّخ له، من غير ميل أو تحيّز، مع الصراحة في القول، والنزاهة في النقد، والصدق والإخلاص في الحكم. (حس، عر، ٥٩، ١٠)

معاينة

- قد يكون مؤرّخو العرب الذين اعتمدوا على عنصر "المعاينة" في كتابة التاريخ قلّة لا تعادل هذا العدد الجسيم من مؤرّخي العرب الذين اعتمدوا على الكتب أو على الرواية التاريخية التي قد تتضارب في الواقعة الواحدة تضاربًا يوقع القارئ في حيرة، ولكن قليلًا أيضًا من مؤرّخي الغربيين هم الذين اعتمدو على عنصر "المعاينة" في كتابة التاريخ: فإن أغلب اعتمادهم على الكتب والوثائق المحفوظة. (حس، عر، ١٣٦، ٦)

معاينة الآثار

- معاينة الآثار قد تحتاج إلى الحذر والحيطة في الاعتماد عليها كمصدر من مصادر التاريخ. فقد تكون النصوص التاريخية المدوّنة على الآثار نفسها غير صحيحة في ذاتها، أو قد يكون أدخل الخطأ عليها لغرض مقصود، كما نجده أحيانًا في الكتابة على بعض الآثار الإسلامية من تاريخ بدء العمارة فيها وتاريخ الانتهاء منها. فقد يعمد بعض الملوك والأمراء إلى تقصير أمد مدّة الإنشاء التي يأمرون بتدوينها على آثارهم، إيهامًا للقارئ بقدرتهم وقوّتهم على التعمير في مدى قصير وذلك من باب التفخيم الذي كان

يضفيه الحكّام على أعمالهم. ونجد ذلك مثلًا في مدرسة الأشرف برسباي الذي كان سلطانًا على مصر في عهد المماليك الجراكسة في القرن التاسع الهجري. (حس، عر، ١٣٧، ٣)

معرفة

- المعرفة إدراك أينية الشيء وذاته، فمن قائل إنّها ضرورة آخر أنّها مكتسبة والفرق بينها وبين العلم أن العلم الإحاطة بذات الشيء عينه وحدِّه والمعرفة إدراك ذاته وثباته وإن لم يدرك حدّه وحقيقته، فالعلم أعمّ وأبلغ لأنّ كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلومًا، ألا ترى أنّ الموحّدين يعرفون ربّهم ولا يعلمونه إلّا بالإثبات لأنّ الكيفيّة والكميّة عنه منفيتان. (بلخ، بد١، ٢١، ١٤)

معرفة الأخبار

- قال أبو بكر محمد بن محمد بن علي ابن خميس في مقدمة تاريخ مالقة: إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنّة معرفة الأخبار وتقييد المناقب والآثار ففيها تذكرة بتقلّب الدهر بأبنائه وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم وتدوّن مناقبهم وأخبارهم ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ومتصرّفون ومخاطبون لك في كل حال ومعروفون بما هم به متّصفون، فيتلو سورهم من لم يعاين صورهم ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاينهم فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم ويعلم المتصرّف منهم في المنقول والمفهوم والمتميّز في المحسوس والمرسوم ويتحقّق منهم من كسته الآداب حليها وأرضعته الرياسة ثدييها، فيجد في الطلب ليلحق بهم ويتمسّك بسببهم. (سخ، ذم، ٢٥، ٣)
- إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويلمّ بجانبه، بعد الكتاب والسنّة، معرفة الأخبار وتقييد المناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلّب الدهر بأبنائه، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه، وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم، وتدوّن مناقبهم وأخبارهم، ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال، ومتصرّفون ومخاطبون لك في كل حال، ومعروفون بما هم به متّصفون، فيتلو سورهم من لم يعاين صورهم، ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاينهم، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم، ويعلم المتصرّف منهم في المنقول والمفهوم، والمتميّز في المحسوس والمرسوم، ويتحقّق منهم من كسته الآداب حليها، وأرضعته الرياسة ثديها، فيجدّ في الطلب ليلحق بهم، ويتمسّك بسببهم. (حس، عر، ١٢، ١٣)

معرفة بالحوادث

- ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره،

فيزداد بذلك عقلًا، ويصبح لأن يُقتدى به أهلًا. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرًا:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشَّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ

(يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلًا ثانيًا توسّعًا وتعظيمًا له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل). ومنها ما يتجمّل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماء مصغية إليه، والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمّلة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره. وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتتابُع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعلّ قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز، وهو سيّج المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولّعة بحبّ العاجل. ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسن الأخلاق. فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرّم، ولا ملك معظّم، بل ولا أحد من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعرًا:

وهل أنا إلّا من غَزِيَّة إن غوَتْ
غويتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧). فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها. (أث، كمل، ٧، ١٣)

معرفة التاريخ

- معرفة التاريخ إعادة واستعادة واستنساخ لأقوال تأسيسية وأفعال ابتدائية لها في أوليتها صفة السبق بكل معانيه. وعبثية الأحداث جميعها في تفرّدها يجعل من الارتباط بالأصل ارتباطًا أساسيًّا، والفراغ الذي يتحرّك في إطاره التاريخ يقوي من سطوة التراتب ويجعله الممكن الوحيد سالبًا عن التاريخ كل معنى إلا ذلك الذي يفصح عن تجلّي البداية. تجلّي البداية في النص، وتجلّي البداية في كون النص مقالًا مفروضًا من سلطة مؤسّسة تجري في بنية النص التاريخي الاسترجاعية، إذن، إعادة إنتاج لمؤسسة المعرفة في دوريها: دور الحقيقة المفترضة، ودور السلطان المؤسّس. (عظم، عرف، ١٣٩، ١)

معرفة تاريخية

- إن أية معالجة صحيحة للقضايا الكبرى التي تجابهها الإنسانية اليوم يجب أن تستند إلى معرفة تاريخية شاملة المدى بعيدة الغور، معرفة تثير الأسئلة الأساسية عن واقع المدنية الحديثة وعن كيفية تكوّن هذا الواقع. ما هي المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها هذه المدنية؟ ما هو نظرها إلى الطبيعة، والإنسان، وما وراء الطبيعة والإنسان؟ ما هي القيم التي تؤمن بها وتسعى لتحقيقها؟ ثم - وهذا ما يهمّنا الآن بصفة خاصة - كيف تكوّنت هذه المفاهيم، والنظرات، والقيم؟ من أية جذور نبتت وتفرّعت، وبأي غذاء اغتذت حتى بلغت ما بلغته في مرحلتها الحاضرة؟ ما هي عناصر القوة في هذا الغذاء وفي تلك الجذور التي ولّدت مآثر هذه المدنية الجليلة وفتوحاتها الباهرة، وما هي عناصر الضعف التي تبثّ فيها الفساد وتكاد تدنيها من الانحلال بالرغم من تلك الفتوحات والمآثر؟ ما هي طبيعة التراث الذي يتمتّع به الإنسان المشارك في المدنية الحديثة، وكيف يختلف هذا الإنسان عن غيره من الناس الذين لم يتلقّوا هذا التراث ولم يفيدوا منه؟ (زري، نحن، ١٥، ١٦)

- تمارس المعرفة التاريخية بهذا الشكل سلطانها على الحاضر في أكثر من موضع في إطار أنساب الملوك. فنسب ملك ما يتسلسل من الحاضر حتى الماضي من طبقة من السلطان إلى أخرى: فهو يبتدئ بسلطان الجد على الحفيد، ويرجع سلطان الجد إلى اندراجه في كنف سلطان له الأولوية عليه، في سلسلة نسبية. ثم يرجع بهذه السلسلة النسبية إلى سلسلة أخرى، سابقة عليها، وهي شجرة تسلسل الأمم من شيت ونوح إلى ذريات سام وحام ويافث. ليست لهذه الأنساب البعيدة نتاجًا لكل عملية إرجاع حاضر إلى ماضيها، بل هي سابقة عليها ومساندة لها، إذ هي من تراث تاريخي يرجع للأمة الإسلامية كوحدة، ومن المستحيل أن يخضع إلى أي عملية تحويل من قبل النسّابة. يرجع بذلك النسب الجزئي، المبتنى داخليًّا على أساس أولوية ومرجعية - أي سلطان - الماضي، إلى حيِّز آخر، هو حيّز المعرفة السابقة عليه، المثبتة في الكتب والمكرّسة من قبل إجماع الماضي المتمثّل في التراث. (عظم، عرف، ١٣٧، ١٢)

- (المعرفة التاريخية) إن المعرفتين العلمية والتاريخية تنتميان في الواقع إلى موضوعين مختلفين: الطبيعة والإنسان. وتتناول الأولى العلاقة الثابتة، الكمية، القابلة للتجلّي بشكل قانون رياضي. بينما تتناول الثانية العلاقة المتحوّلة دومًا أي تحليل التغيّر وضبط حدوده في الصيرورة . . . إن تحوّل الإنسان وزمانية التاريخ ومكانيته هي التي تمنع من الوصول إلى قوانين إنسانية ثابتة لا زمانية ولا مكانية. وليس في التاريخ، إلى هذا، اطراد طويل الأمد يصلح لتعميم القانون بالمعنى الرياضي الحتمي. تفرّد الحادث التاريخي، جدته المستمرّة، جزئيته كلها ترشّحه لرفض

القانون. بالشكل الذي يأخذه في علوم الطبيعة على الأقل. إنها تلحّ في الوصول إلى قانون ذي شكل آخر مختلف تمام الاختلاف... لعلّ من المؤسف أن العلماء لم يصلوا بعد إلى تطوير المقولات الأولية التي يمكن أن تحتوي كافة حدوده. (علف، فت، ٢٠٧، ٢٢)

- المعرفة التاريخية شأنها شأن أية معرفة إنسانية، تنقل المعطيات المباشرة إلى لغة أخرى وتخضعها لأشكالها ومقولاتها ومقتضياتها الخاصة. (علف، فت، ٢٢٢، ٢٧)

معرفة طبائع العمران

- معرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها. وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة. ولا يُرجع إلى تعديل الرواة حتى يُعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع. وأما إذا كان مستحيلًا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح. ولقد عدّ أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل. وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية، لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها؛ وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط. (خلد، قدم، ٣٣٠، ١٨)

- معرفة طبائع العمران هو أحسن الوجوه، وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها. وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة. ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يُعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع. وأما إذا كان مستحيلًا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح. ولقد عدّ أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل. وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحّة الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظنّ بصدقها؛ وسبيل صحّة الظنّ الثقة بالرواة بالعدالة والضبط، وأما الأخبار عن الواقعات فلا بدّ في صدقها وصحّتها من اعتبار المطابقة. فلذلك وَجَبَ أن يُنظر في إمكان وقوعه. وصار فيها ذلك أهمَّ من التعديل ومقدمًا عليه، إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة. (رس، مصط، ٨٦، ١٤)

معطّلة

- المُعطّلة الذين ينكرون إثبات البارئ سبحانه فلا وجه للكلام معهم إلّا بعد إقرارهم بالتوحيد. (بلخ، بدا، ١٠٩، ٣)

معقولية في التاريخ

- المعقولية في التاريخ هي بالضرورة أكثر تواضعًا من معقولية الحدث الطبيعي. لأن الحقيقة هنا غير الحقيقة هناك في النوعية. الحقيقة العقلية في التاريخ ليست تتّصل بالتأكيد الرياضي العقلي ولا بالحتمية

التجريبية من فيزيائية وكيماوية.. حيث تجري المعقولية في حدود المنطق الأرسطي، واللاتناقض والسببية المباشرة ومبدأ العلاقة الحتمية. أما في التاريخ فليست المعقولية على الإطلاق أكثر من الاحتمال العقلي للحدث، أن لا يكون ثمّة من سبب كافٍ لرفضه أو إنكاره. (علف، فت، ٢٠٠، ٢٨)

معلّقات سبع

- اشتهر أن المعلّقات سبع، إحداها معلّقة امرئ القيس بن حجر الكندي، وكان موته قبل الهجرة بنحو اثنتين وثمانين سنة، ومطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

.... ثم معلّقة طرفة بن العبد البكري، وكانت وفاته قبل الهجرة بثمان وخمسين سنة، ومطلعها:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفًا بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجلّد

ثم معلّقة عمرو بن كلثوم التغلبي، وكانت وفاته في السنة الأولى من الهجرة، ومطلعها:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا

مشعشعة كأن الحص فيها
إذا ما الماء خالطها سخينا

... ثم معلّقة الحارث بن حلزة اليشكري، وكان مولده قبل الهجرة باثنتين وثلاثين سنة، ومطلعها:

آذنتنا ببينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء

ومنها:

لا يقيم العزيز بالبلد السهل
ولا ينفع الذليل النجاء

ليس ينجي الذي بوائل منا
رأس طود وجرة رجلاء

ثم معلّقة لبيد بن ربيعة العامري، وكان مولده قبل الهجرة بأربعين سنة، ومطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها

...ثم معلّقة زهير بن أبي سلمى المزني، وكان موته قبل البعثة بسنة، ويقال إنه رأى قبل موته بسنة في نومه كأنه رفع إلى السماء حتى كاد أن يمسّها بيده ثم انقطعت الحبال، فدعا بنيه فقال: يا بني، رأيت كذا وكذا، وأنه سيكون بعدي أمر يعلو من اتبعه ويفلح، فخذوا بحظكم منه. ثم لم يعش إلا يسيرًا حتى هلك، فلم يحل الحول حتى بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم بجير بن زهير وحسن إسلامه فلامه أخوه كعب بن زهير على إسلامه بقوله:

ألا بَلِّغا عني بُجَيْرًا رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاك بها المأمون كأسا روية
فأنهلك المأمون منها وعلكا

الأبيات... فلما بلغ النبي صلى الله عليه

وسلم هجو كعب له هدر دمه، فكتب إليه أخوه بجير يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل كعب بن الأشرف، وكان يشبب بأم الفضل بن العباس وأم حكيم بنت عبد المطّلب، فلما بلغه كتاب أخيه ضاقت به الأرض ولم يدر فيم النجاة، فأتى أبا بكر فاستجاره، فقال: أكره أن أجير على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد هدر دمك، فأتى عمر فقال مثل ذلك، فأتى عليًا، رضي الله عنه، فقال: أدلّك على أمر تنجو به؟ قال: وما هو قال: تصلي مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا انصرف فقم خلفه وقل: مدّ يدك يا رسول الله أبايعك، فإنه سيناولك يده من خلفه، فخذ يده فاستجره، فإني أرجو أن يرحمك، ففعل، فلما ناوله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يده، استجاره، وأنشد قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

إلى آخرها، فأجازه عليها ببردته الشريفة.

طه (عمل٣، ٦١١، ٣،

معنى

- حدّ المعنى عقد القلب على ما أبدى بلفظه. فزعم ابن كلّاب أن معنى القول نفس القول ولو كان كذلك ما سأل السامع القائل ما معنى قولك. (بلخ، بدا، ٣٩، ٩)

معنى حرفي

- لكي يحدّد المعنى الحرفي لألفاظ النص التاريخي: ١- تتغيّر اللغة الواحدة من عصر إلى آخر، لأنها كائن حي دائم النمو والتطوّر. ويمكن الإستعانة في تحديد معنى بعض الألفاظ الخاصة بالسعي إلى فهم الجمل والتراكيب التي وردت بها تلك الألفاظ. ٢- قد تختلف معاني الكلمات من مكان لآخر، فينبغي معرفة اللغة أو اللهجة المحلية التي وُجدت في منطقة معيّنة، والتي دُوِّن بها الأصل التاريخي. ٣- لكل كاتب طريقته الخاصة في التعبير، فينبغي الإلمام بلغة الكاتب وأسلوبه. ويمكن الإستعانة في ذلك بمؤلّفاته الأخرى أو بمؤلّفات العصر والبيئة التي عاش فيها، أو ببعض المعاجم الخاصة إن وجدت. ٤- ينبغي ألا تُفسَّر كلمةٌ أو جملةٌ ما بذاتها فحسب، بل ينبغي أن تفسّر في ذاتها وفي نطاق السياق العام للنص التاريخي. فلا بدّ من دراسة المعنى في جزئيات النص لفهم معناه العام، كما أنه لا بدّ من دراسة معناه العام لفهم جزئياته. وإذا اتُّبعت هذه القواعد بدقّة كان الوقوع في خطأ فهم النص التاريخي أقلّ ما يمكن. (عث، بحث، ١١٧، ٦)

مغازٍ

- تسجيل أخبار الرسول وعصر الرسالة وهو ما عرف في اصطلاحهم "بالمغازي". (مص، رخ١، ١١٤، ٢٥)
- أهمية "الإسناد" أو سلسلة الرواة في تقدير قيمة المغازي ويعني ذلك ربط قيمة الحديث أو الرواية بمنزلة المحدّثين أو الرواة. وهذا الاتجاه ولّد في فترة مبكرة

نظرة نقّادة إلى الرواة، أو مصادر المعلومات، وأدخل عنصر البحث والتحرّي، في جمع الروايات، وكوّن أساسًا متينًا للدراسة التاريخية. ومن ناحية أخرى تنوقلت الأخبار والقصص عن "المغازي" وتوسّع فيها القصّاص وجعلوها أدبًا شعبيًّا، ومع أن بعض هذه الأخبار والقصص وجد طريقه إلى بعض كتب السيرة فيما بعد، إلا أن النظرة إلى الروايات وطرق نقدها بقيت في الأساس تسير على طريقة أهل الحديث. وقد سمّيت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم "المغازي" وتعني لغويًّا غزوات الرسول وحروبه، ولكنها تناولت في الحقيقة فترة الرسالة بكاملها. (دو، نشأ، ٢٠، ١٤)

- عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ/ ٧١٢م)، وهو فقيه ومحدّث مشهور، كان مؤسّس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألّف كتابًا في "المغازي". وقد وصلنا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرّخين كالطبري وابن إسحق والواقدي وابن سيد الناس وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصلنا من تاريخ المغازي. وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول، كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول، ولم يدخل عروة في رواياته في تفاصيل القتال في المغازي. وقد كتب عروة بعض رواياته في حين أن بعض كتاباته التاريخية هي أجوبة مكتوبة على أسئلة وجّهت إليه من البلاط الأموي. وقد استعمل عروة "الإسناد" بشكل يعكس نظرة عصره. ويبدو أنه اعتمد على الأحاديث في أجوبته المكتوبة، ولكنه قدّم رواية (أو قصة) متسلسلة دون ذكر الإسناد. وهو في رواياته عن الحوادث المهمّة مثل بدء الوحي والهجرة يعطي إسناده. وقد كانت النظرة إلى الإسناد في زمنه لا تزال مرنة ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد. (دو، نشأ، ٢١، ٧)

مفاتيح الغيب

- قال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي في - بعض تقاييده -: مفاتيح الغيب تسعة: مفاتيح علم بلا اكتساب ولا إعلام: وهو علم الله. مفاتيح إطلاع: وهو إطلاع من شاء من خلقه على ما يشاء من غيبه. مفاتيح إخبار: وهو ما علم الله منه بإخبار الله وإخبار رسوله. مفاتيح إلهام: وهو أن يلهم الله من شاء من خلقه ما شاء من غيبه دون استدلال. ... مفاتيح نفث في القلب، ... - وهو إلهام بواسطة الملك -. مفاتيح توسم: وهي الفراسة. وانظر في التعريف لعمر بن عبد العزيز لابن حبيب. مفاتيح دلالة وتقديم: وهي أن يستدلّ لحاضر على مغيب، ... وإنذارات الأطباء ونحوهم. مفاتيح رجم وتنجم: وهو استدلال على غيب ما وضع له. كالخط، والطرق، والسبك، والحب، والزجر، والسانح، والقرعة، والطيرة،

والعيافة، والكهانة، والعرافة، والتنجيم. (أزر، بدع١، ١٦٦، ١٥)

مقصد

- النظمية. التراث يكون نظامًا كاملًا مغلقًا. والمقصد، مبدأ الانتقاء، يسيّر كل مظاهر الحياة، الفكرية، الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية، العملية، الفنية، الأدبية، حيث تتّجه جميعها وجهة واحدة. ترتيب العناصر فيها ترتيب واحد. المشكلات فيها متناظرة والفصل فيها يخضع لقانون واحد. لا توجد فيها ظواهر متنافرة منثورة بدون مبرّر. (عر، فكر، ١٠٧، ٢٤)

مقصود المؤرّخ

- مقصود المؤرّخ نوعان: نوع مقصود أصلًا وبالغرض. ونوع مقصود تبعًا وبالعرض. ونوع مقصود تبعًا وبالعرض. أما النوع الأصلي ههنا، فهو ضبط الإنسان على وجه معتبر. (كاف، مخ، ٧٣، ١٢)

مقنّع

- هاشم بن حكيم المعروف بالمقنَّع بمرو بقرية تدعى كاوه كيمردان وتبرقع بحرير أخضر لعوره وادّعى الإلوهيّة وأنّه تجسّد إذ ليس لأحد أن ينظر إليه قبل التّجسُّد، وعبر نهر أجيحون إلى نواحي كشّ ونسف وكاتب خاقان واستنجده واجتمع إليه المبيِّضة والترك فأباح لهم الأموال والفروج وقتل من خالف وشرع لهم جميع ما أتى به مزدك وفضّ جموع المهديّ واستولى أربع عشرة سنة حتّى حُوصِر وقُتِل في سنة تسع وستّين ومائة للهجرة، وكان أحرق نفسه لمّا أُحيط به ليتلاشى جسده فيتحقّق أصحابه قوله فاحترق ولم يتأتَّ له ما أراد من التّلاشي بل وُجِد في التَّنُّور وقُطِع رأسه وأُنفِذ إلى المهديّ أمير المؤمنين وهو يؤمئذٍ بحلب. (بير، بقي، ٢١١، ٨)

مكارم الأخلاق

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإن حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ١٨)

مكة

- مكة وخبرها وتسمّى أم القرى، وتسمّى الكعبة لعلوها من اسم الكعب. ويقال لها أيضًا بكة. قال الأصمعي لأن الناس يبك بعضهم بعضًا إليها أي يدفع. وقال مجاهد باء بكة أبدلوها ميمًا، كما قالوا لازب ولازم لقرب المخرجين. وقال النخعي

بالباء البيت وبالميم البلد. وقال الزهري بالباء للمسجد كله وبالميم للحرم. (خلد، قدم، ٨٦٠، ١٣)

- مكة التي هي أفضل جميع الأرض، في طولها والعرض، وهي أوّل بيت وضع للناس، وطهر من سائر النقائص والأدناس. (شاه، زبد، ١٠، ٤)
- (مكة) كان العلم بها يسيرًا في زمن الصحابة ثم كثر في أواخر عصر الصحابة وكذلك في أيام التابعين مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وابن أبي مليكة وزمن أصحابهم كعبدالله بن أبي نجيح وابن كثير المقرئ وحنظلة بن أبي سفين وابن جريج ونحوهم، وفي زمن الرشيد كمسلم الزنجي والفضيل وابن عيينة وأبي عبد الرحمن المقري والأزرقي والحميدي وسعيد بن منصور، ثم في أثناء الماءة الثالثة تناقص علم الحرمين وكثر بغيرهما. قلت وكان للحرم المكي الجمال بأفراد مبتدئين للعلم والتصنيف من أهله والواردين عليه في سائر المذاهب وغالب الفنون بحيث كان حقيقًا بالارتحال إليه لذلك فضلًا عن كونه محلًا للنسك. (سخ، ذم، ١٣٦، ١٣)

ملاحم

- كتب الناس . . . في حِدْثان الدول منظومًا ومنثورًا ورجزًا ما شاء الله أن يكتبوه؛ وبأيدي الناس متفرّقة كثير منها، وتسمّى الملاحم. وبعضها في حِدْثان الملّة على العموم، وبعضها في دولة على الخصوص. وكلها منسوبة إلى مشاهير أهل الخليقة. وليس منها أصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب إليه. (خلد، قدم، ٨٣٥، ٢)

ملّة

- الملّة لا بدّ لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على أحكامها وشرائعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكاليف. والنوع الإنساني أيضًا، بما تقدّم من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري، لا بدّ لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر، وهو المسمّى بالملك. (خلد، قدم، ٦٤٦، ٣)

ملّة إسلامية

- الملّة الإسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعًا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الإسلام طوعًا أو كرهًا اتّحدت فيها الخلافة والملك لتوجّه الشوكة من القائمين بها إليهما معًا. (خلد، قدم، ٦٤٦، ٧)

ملك

- المَلَك حقًّا فلا تُدرك العقول حقيقة كنهه، القادر فكلُّ ما في العالم من أثر قدرته، المقدَّس فلا تقرب الحوادث حماه، المنزَّه عن التغيير فلا ينجو منه سواه، مصرِّف الخلائق بين رفع وخفض، وبسط وقبض، وإبرام ونقض، وإماتة وإحياء، وإيجاد وإفناء، وإسعاد وإضلال، وإعزاز وإذلال، يؤتي المُلْك من يشاء، وينزعه ممّن يشاء،

ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، مبيد القرون السالفة، والأمم الخالفة. (أث، كمل، ١، ٣)

- ينبغي أن يكون الملك كالأرض: في كتمان سرّه وصبره، وكالنار على أهل الفساد، وكالماء في لينه لمن لاينه، وينبغي أن يكون أسمع من فرس، وأبصر من عُقاب، وأهدى من قطاة، وأشدّ حذرًا من غراب، وأعظم إقدامًا من الأسد، وأقوى وأسرع وثوبًا من الفهد، وينبغي للملك أن لا يستبد برأيه، وأن يشاور في الملمّات خواص الناس وعقلاءهم، ولا ينبغي أن يمنعه عزّة الملك من إيناس المستشار به، وبسطه واستمالة قلبه، حتى يمحضه النصيحة، فإن أحدًا لا ينصح بالقسر، ولا يعطي نصيحته إلا بالرغبة. (طق، فخر، ١٥، ٧)

- لا بدّ للملك من مستشار مأمون، يفضي إليه بسرّه، ويعاونه على رأيه، فإن المستشير، وإن كان أفضل من المستشار، وأكمل عقلًا، وأصحّ رأيًا، فقد يزداد برأي المشير رأيًا، كما تزداد النار بالدهن ضوءًا ونورًا. (طق، فخر، ١٦، ٣)

- الطاعة، وهي الأصل الذي ينتظم به صلاح أمور الجمهور، ويتمكّن به الملك من الإنصاف للضعيف من القوي، والقسمة بالحق، ومما جاء في التنزيل من الحث على ذلك، وهي الآية المشهورة في هذا المعنى؛ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (النساء: ٥٩). (طق، فخر، ١٧، ١٤)

- الحقوق الواجبة للرعية على الملك، فمنها حماية البيضة، وسد الثغور، وتحصين الأطراف، وأمن السوابل، وقمع الدعار، فهذه حقوق تلزم السلطان، تجري مجرى الفروض الواجبة، وبهذه الأمور تجب طاعته على رعيته. (طق، فخر، ٢٢، ١)

- مما يكمل فضيلة الملك أن تكون قوة الاختيار عنده سليمة، لم تعترضها آفة، فيكون يختار الرجال اختيارًا فاضلًا: كان الناصر آية الدنيا في اختيار الرجال، فكان من توصلاته إلى معرفة الرجل إن أشكل عليه حاله، أن يشيع بين الناس أنه يريد أن يوليه المنصب الفلاني، ثم يتمادى في إبرام ذلك أيامًا، فيمتلئ البلد بالاراجيف لذلك الرجل، فيفترق فيه الناس. فقوم يصوبون ذلك الرأي، ويصفون فضائل الرجل، وقوم يغلطون الخليفة، ويذكرون عيوب الرجل، وللخليفة عيون وأصحاب أخبار لا يؤبه لهم، يخالطون أصناف الناس، فيكتب أصحاب الأخبار إليه بما الناس فيه من الغليان في ذلك، فيعرف بصحة نظره وتمييزه أي القولين أرجح وأصوب، فإن رجح في نظره تفضيل الرجل ولّاه، وخلع عليه، وإن ترجح عنده قول الطاعنين عليه، وتبيّن له نقصه، تركه وأعرض عنه. (طق، فخر، ٢٥، ٢٤)

- يجب أن يكون الملك مجازيًا على الإحسان بمثله، وعلى الإساءة بمثلها،

لتكون رعيته دائمًا راجين لبره، خائفين من سطوته. (طق، فخر، ٣٢، ٢٢)

- سلطان يخافه الرعية خير من سلطان يخافها. قال أنوشران: عندي لمن عرض دمه سفكه، ولمن جاوز حدّه تقويمه؛ ولمن تعدى طوره قمعه. قال بعض الحكماء: أمران جليلان لا يصلح أحدهما إلا بالتفرّد والاستبداد، ولا يصلح الآخر إلا بالاشتراك. فأما الذي لا يصلح إلا بالانفراد فالمُلك، متى وقع فيه الاشتراك فسد، وأما الذي لا يصلح إلا بالاشتراك فالرأي متى وقع فيه الإشتراك وثق فيه بالصواب. (طق، فخر، ٤٥، ١٥)

- حقيقة التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحّش والتأنّس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. (خلد، قدم، ٣٢٨، ٧)

- المُلْك لا يتمُّ عزُّه إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته، والتصرُّف تحت أمره ونهيه؛ ولا قوام للشريعة إلا بالمَلِك؛ ولا عزّ للمَلِك إلا بالرجال؛ ولا قوام للرجال إلا بالمال؛ ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة؛ ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل؛ والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قَيِّمًا وهو الملك. (خلد، قدم، ٣٣٣، ٦)

- الملك نظام يعضده الجند، الجند أعوان يكفلهم المال؛ المال رزق تجمعه الرعية؛ الرعية عبيد يكنفهم العدل؛ العدل مألوف وبه قوام العالم؛ العالم بستان. . . (خلد، قدم، ٣٣٣، ١٧)

- الإجتماع إذا حصل للبشر كما قرّرناه وتمّ عمران العالم بهم، فلا بدّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض؛ لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم. وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم. فلا بدّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض. ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم. فيكون ذلك الوازع واحدًا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة؛ حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان؛ وهذا هو معنى الملك. (خلد، قدم، ٣٣٩، ٦)

- العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يُجتمع عليه؛ وقدمنا أن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض؛ فلا بدّ أن يكون متغلّبًا عليهم بتلك العصبية، وإلا لم تتمّ قدرته على ذلك. وهذا التغلّب هو الملك، وهو أمر زائد على الرياسة؛ لأن الرياسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع، وليس له عليهم قهر في أحكامه؛ وأما الملك فهو التغلّب والحكم

بالقهر. وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها؛ فإذا بلغ رتبة السؤدد والاتّباع ووجد السبيل إلى التغلّب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس. ولا يتمّ اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعًا. فالتغلّب الملكي غاية للعصبية كما رأيت. (خلد، قدم، ٤٩٩، ١٢)

- إذا حصل التغلّب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلّب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها. فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالًا وأنظارًا، ولكل واحدة منهما التغلّب على حوزتها وقومها، شأن القبائل والأمم المفترقة في العالم. وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضًا، وزادتها قوة في التغلّب إلى قوّتها، وطلبت غاية من التغلّب والتحكّم أعلى من الغاية الأولى وأبعد. وهكذا دائمًا حتى تكافئ بقوّتها قوّة الدولة. فإن أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها، وصار الملك أجمع لها. وإن انتهت إلى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وإنما قارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أوليائها تستظهر بها على ما يعن من مقاصدها. وذلك ملك آخر دون الملك المستبد. وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس، ولصنهاجة وزناتة مع كتامة، ولبني حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية. (خلد، قدم، ٥٠٠، ١٤)

- الملك هو غاية العصبية وأنها إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك، إما بالاستبداد أو بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك. وإن عاقها عن بلوغ الغاية عوائقة ... وقفت في مقامها إلى أن يقضي الله بأمره. (خلد، قدم، ٥٠٠، ١٧)

- لما كان الملك طبيعيًّا للإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه، وكان الإنسان أقرب إلى خلال الخير من خلال الشر بأصل فطرته وقوّته الناطقة العاقلة، لأن الشر إنما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه، وأما من حيث هو إنسان فهو إلى الخير وخلاله أقرب، والملك والسياسة إنما كانا له من حيث هو إنسان، لأنها خاصة للإنسان لا للحيوان؛ فإذًا خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك، إذ الخير هو المناسب للسياسة. (خلد، قدم، ٥٠٤، ١٠)

- إذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها ومتمّماتها، وهي الخلال؛ لأن وجوده دون متمّماته كوجود شخص مقطوع الأعضاء أو ظهوره عريانًا بين الناس. وإذا كان وجود العصبية فقط من غير انتحال الخلال الحميدة نقصًا في أهل البيوت والأحساب، فما ظنّك بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب. (خلد، قدم، ٥٠٥، ١)

- السياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم؛ وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع؛ وأحكام البشر إنما هي من الجهل

والشيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره، فإنه فاعل للخير والشرّ معًا ومقدّرهما إذ لا فاعل سواه. فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وأونِسَت منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله في خلقه فقد تهيّأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق، ووجدت فيه الصلاحية لذلك. (خلد، قدم، ٥٠٥، ٥)

- الملك إذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بدّ من عودته إلى شعب آخر منها ما دامت لهم العصبية والسبب في ذلك أن الملك إنما حصل لهم بعد سورة الغلب والإذعان لهم من سائر الأمم سواهم، فيتعيّن منهم المباشرون للأمر الحاملون لسرير الملك. (خلد، قدم، ٥٠٨، ١٣)
- العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحّش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادًا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرياسة؛ فقلّما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكِبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم. وذلك بما يشملهم من الدين المُذْهِب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس. (خلد، قدم، ٥١٦، ١)
- الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبًا، وقلّ أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غُلِبَ عليه؛ فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة؛ وشيء منها لا يقع إلا بالعصبية. (خلد، قدم، ٥٢١، ٩)
- طبيعة الملك الترف وذلك أن الأمة إذا تغلّبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوائدهم؛ ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته إلى نوافله ورقّته وزينته. ويذهبون إلى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم. وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها، وينزعون مع ذلك إلى رقّة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية. ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الأمم، في أكل الطيّب ولبس الأنيق وركوب الفاره، ويناغي خلفهم في ذلك سلفهم إلى آخر الدولة. وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك، وترفهم فيه، إلى أن يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تبلغها بحسب قوّتها وعوائد من قبلها. (خلد، قدم، ٥٤٠، ١٦)
- الأمة لا يحصل لها الملك إلا بالمطالبة. والمطالبة غايتها الغلب والملك، وإذا حصلت الغاية انقضى السعي إليها. (خلد، قدم، ٥٤١، ٧)
- إذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والطاعة أقبلت الدولة على الهرم. (خلد، قدم، ٥٤٢، ١)
- إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية، فكثرت العصابة؛ واستكثروا أيضًا من الموالي والصنائع

وربيت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرّفه فازدادوا بهم عددًا إلى عددهم وقوّة إلى قوّتهم بسبب كثرة العصائب حينئذٍ بكثرة العدد. فإذا ذهب الجيل الأول والثاني وأخذت الدولة في الهرم لم تستقل أولئك الصنائع والموالي بأنفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها، لأنهم ليس لهم من الأمر شيء، إنما كانوا عيالًا على أهلها ومعونة لها؛ فإذا ذهب الأصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى؛ ولا تبقى الدولة على حالها من القوة. (خلد، قدم، ٥٥٢، ١٤)

- الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجدّدة، ويكتسب القائمون بها في طور خُلُقًا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر، لأن الخُلُق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه. وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار: الطور الأول: طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها. فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أُسوَة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية، لا ينفرد دونهم بشيء؛ لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها. الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة. ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيًا باصطناع الرجال واتّخاذ الموالي والصنائع، والاستكثار من ذلك، لجدع أنوف أهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبة، الضاربين في الملك بمثل سهمه. فهو يدافعهم عن الأمر، ويصدّهم عن موارده، ويردّهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه، حتى يُقِرَّ الأمر في نصابه، ويُفرد أهل بيته بما يبني من مجده. فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر أو أشدّ؛ لأن الأولين دافعتهم الأجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل العصبية بأجمعهم؛ وهذا يدافع الأقارب لا يظاهره على مدافعتهم إلا الأقل من الأباعد، فيركب صعبًا من الأمر. الطور الثالث: طور الفراغ والدَّعَة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدَّخل والخرج وإحصاء النفقات والقصد فيها، وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتّسعة والهياكل المرتفعة، وإجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل، وبثّ المعروف في أهله، هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في أحوالهم بالمال والجاه؛ واعتراض جنوده وإدرار أرزاقهم وإنصافهم في أعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشِكَّتهم وشاراتهم يوم الزينة، فيباهي بهم الدول المسالمة، ويُرْهِب الدول المحاربة. وهذا آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدولة.

لأنهم في هذه الأطوار كلها مستقلون بآرائهم، بانون لعزّهم، موضحون الطرق لمن بعدهم. الطور الرابع: طور القنوع والمسالمة. ويكون صاحب الدولة في هذا قانعًا بما بنى أولوه، سلمًا لأنظاره من الملوك وأقتاله، مقلّدًا للماضين من سلفه، فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل، ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء، ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده. الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير. ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفًا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه، واصطناع أخوان السوء وخضراء الدِّمن (الذي يخرج من أصل سيّئ)، وتقليدهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها، ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها، مستفسدًا لكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه، حتى يضطغنوا عليه، ويتخاذلوا عن نصرته، مضيعًا من جنده بما أنفق أعطياتهم في شهواته، وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقّده. فيكون مُخَرِّبًا لما كان سلفه يؤسّسون، وهادمًا لما كانوا يبنون. وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهَرَم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه بُرءٌ، إلى أن تنقرض. (خلد، قدم، ٥٥٣، ١٨)

- الملك والسلطان حصل لأوّليه مذ أول الدولة بعصبية قومه، وعصبيته التي استتبعتهم حتى استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب؛ وهي لم تزل باقية وبها انحفظ رسم الدولة وبقاؤها. وهذا المتغلّب وإن كان صاحب عصبية من قبيل الملك أو الموالي والصنائع فعصبيته مندرجة في عصبية أهل الملك وتابعة لها، وليس له صبغة في الملك. وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهرًا وإنما يحاول انتزاع ثمراته من الأمر والنهي والحلّ والعقد والإبرام والنقض، يوهم فيها أهل الدولة أنه منصرف عن سلطانه، منفّذ في ذلك من وراء الحجاب لأحكامه. فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته وألقابه جهده ويبعد نفسه عن التهمة بذلك وإن حصل له الاستبداد لأنه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان وأوّلوه على أنفسهم عن القبيل منذ أول الدولة، ومغالط عنه بالنيابة. ولو تعرّض لشيء من ذلك لنفسه عليه أهل العصبية وقبيل الملك، وحاولوا الاستئثار به دونه؛ لأنه لم تستحكم له في ذلك صبغة تحملهم على التسليم له والانقياد؛ فيهلك لأول وهلة. (خلد، قدم، ٥٧٢، ٣)

- الملك منصب طبيعي للإنسان؛ لأنا قد بيّنا - (الاجتماع الإنساني ضروري) - أن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم. وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات، ومدَّ كلٌّ واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه، لما في الطبيعة الحيوانية من

الظلم والعدوان بعضهم على بعض، ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك، فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة، وهي تؤدّي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس، المفضي ذلك إلى انقطاع النوع، وهو مما خصّه الباري سبحانه بالمحافظة، واستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزَعُ بعضهم عن بعض؛ واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملِك القاهر المتحكّم. ولا بدّ في ذلك من العصبية لما قدّمناه من أن المطالبات كلها، والمدافعات لا تتمّ إلا بالعصبية. وهذا المُلْك كما تراه منصب شريف تتوجّه نحوه المطالبات ويحتاج إلى المدافعات؛ ولا يتمّ شيء من ذلك إلا بالعصبيات. (خلد، قدم، ٥٧٣، ٧)

- ليس المُلْك لكل عصبية، وإنما المُلْك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبيء الأموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهرة. وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور. (خلد، قدم، ٥٧٣، ٢٠)

- مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحة وجهه أو عظم جثمانه أو اتّساع عمله أو جودة خطّه أو ثقوب ذهنه، وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم؛ فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية، وهي نسبة بين منتسبين. فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم: فالسلطان من له رعية؛ والرعية من لها سلطان؛ والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمّى الملكة وهي كونه يملكهم. فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على أتمّ الوجوه؛ فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم؛ وإن كانت سيّئة متعسّفة كان ذلك ضررًا عليهم وإهلاكًا لهم. ويعود حسن الملكة إلى الرفق. فإن الملك إذا كان قاهرًا، باطشًا بالعقوبات، مُنقِّبًا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم، شملهم الخوف والذلّ؛ ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلّقوا بها، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم؛ وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات، ففسدت الحماية بفساد النيّات؛ وربما أجمعوا على قتله لذلك فتفسد الدولة ويخرَّب السِّياج؛ وإن دام أمره عليهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه أوّلًا، وفسد السِّياج من أصله بالعجز عن الحماية. وإذا كان رفيقًا بهم متجاوزًا عن سيّئاتهم استناموا إليه ولاذوا به وأُشْرِبوا محبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه، فاستقام الأمر من كل جانب. وأما توابع حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم: فالمدافعة بها تتمّ حقيقة الملك؛ وأما النعمة عليهم والإحسان لهم فمن جملة الرفق بهم، والنظر لهم في معاشهم، وهي أصل كبير في التحبّب إلى الرعية. (خلد، قدم، ٥٧٤، ١٨)

- لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر، ومقتضاه التغلّب والقهر اللذان هما من آثار الغضب والحيوانية، كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق، مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم، لحمله إيّاهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته، ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم، فتعسر طاعته لذلك وتجيء العصبية المفضية إلى الهرج والقتل. فوجب أن يُرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يُسلّمها الكافة وينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم. وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها، ولا يتمّ استيلاؤها. (خلد، قدم، ٥٧٦، ١٣)

- الملك غاية طبيعية للعصبية، ليس وقوعه عنها باختيار، إنما هو بضرورة الوجود وترتيبه . . .، وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بدّ فيه من العصبية، إذ المطالبة لا تتمّ إلا بها . . . فالعصبية ضرورية للملّة وبوجودها يتمّ أمر الله منها. (خلد، قدم، ٥٩٨، ٦)

- الملّة لا بدّ لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على أحكامها وشرائعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكاليف. والنوع الإنساني أيضًا، بما تقدّم من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري، لا بدّ لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر، وهو المسمّى بالملك. (خلد، قدم، ٦٤٦، ٦)

- مبنى الملك على أساسين لا بدّ منهما. فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبّر عنه بالجند؛ والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال. (خلد، قدم، ٧٥٥، ١١)

- القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملك اضطرّوا للاستيلاء على الأمصار لأمرين: أحدهما ما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحطّ الأثقال واستكمال ما كان ناقصًا من أمور العمران في البدو؛ والثاني دفع ما يُتوقَّع على الملك من أمر النازعين والمشاغبين، لأن المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سموا إليه من أيديهم، فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم، ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقّة؛ والمصر يقوم مقام العساكر المتعدّدة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ولا عظيم شوكة. لأن الشوكة والعصابة إنما احتيج إليهما في الحرب للثبات، لما يقع من بعد كرَّة القوم بعضهم على بعض عند الجولة، وثبات هؤلاء بالجدران، فلا يضطرّون إلى كبير عصابة ولا عدد. فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يَفُتُّ في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء، ويخضِد شوكة استيلائها. فإذا كانت بين أحيائهم أمصار انتظموها في

استيلائهم، للأمن من مثل هذا الانخرام. وإن لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم أوّلًا وحط أثقالهم، وليكون ثانيًا شجًّا في حلق من يروم العزّة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم. فتعيّن أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليها. (خلد، قدم، ٨٤٥، ١٣)

- الملك والدولة غاية للعصبية، وأن الحضارة غاية للبداوة، وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكوّنات عمرًا محسوسًا. وتبيّن في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموّها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنموّ برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضًا كذلك. لأنه غاية لا مزيد وراءها. وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلّق بعوائدها. والحضارة كما علمت هي التفنّن في الترف واستجادة أحواله. والكلف بالصنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيّئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل. وللتأنّق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنّق فيها. وإذا بلغ التأنّق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلوّن النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها: أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها؛ وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها. (خلد، قدم، ٨٨٨، ٣)

- الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها. وقد تقرّر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر. فالدولة دون العمران لا تتصوّر؛ والعمران دون الدولة والملك متعذّر، لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع فتتعيّن السياسة لذلك، إمّا الشرعيّة أو الملكية، وهو معنى الدولة. وإذا كانا لا ينفكّان فاختلال أحدهما مؤثر في اختلال الآخر، كما أن عدمه مؤثر في عدمه. (خلد، قدم، ٨٩٥، ١٧)

- يتعيّن على الملك أيّده الله استمالة الأعداء من ذوي المقدرة ويجتهد في إصلاحهم فإن لم ينجع فيهم إصلاح واستمالة يعدل بهم إلى طريق المداراة اللائقة بهم إلى أن يلوح له وجه الفرصة ويمكنه المواخذة بالانتقام فينتهز لذلك بالمبادرة ولا يؤخّره عن وقته فإنّ تأخيره مضرّ وإهماله مفسد. وليعلم الملك أن من أعمّ الأشياء نفعًا وأعظمها في مصالح الملك وقفًا كتمان سرّه وإخفاء أمره ولا يطّلع أحدًا على ما قد عزم على فعله قبل تمامه، ولا يتحدّث بما يريده من المهمّات قبل إبرامه فإنّ ذلك

أقوى أسباب الظفر. (شاه، زبد، ١٩،٥٦)

- يتعيّن على الملك أيّده الله أيضًا عشرة أمور، الأوّل حفظ بيضة الإسلام من ناحيته لئلّا تقوى عليه شوكة كافر ولا يصل إليه فاجر بإقامة الأمراء والأجناد وإعداد الأهب والاستعداد وإقامة الحرسيّة والبطائقيّة وأرباب الإدراك، والثاني تفقّد الأعمال والحصون والثغور باعتبار أحوال وُلاتها والتبادر في إصلاح عمارتها ومهمّاتها وذخائرها، الثالث السياسات لدفع المفسدين وردع المعتدين، الرابع إقامة حدود الله المانعة من ارتكاب المحارم، فقد جعلها الله تعالى حراسة لحفظ النفوس والأموال وأمر بإقامتها فلا يحلّ إسقاطها بشفاعة ولا سؤال، الخامس دوام تمسّكه بحبل الشريعة والتزامها واعتماده في أمره على نقضها وإبرامها واعتباره أمور القائمين بأحكامها، السادس النظر إلى إقامة ما يلزمه من كسوة بيت الله الحرام وعمارة الجسور ليحصل بها النفع للأنام والنظر في إقطاع الأمراء والأجناد والأرزاق ذوي الحقوق من العباد، والسابع تيقّظه على جهات الأموال لاجتلاب أنواعها ومواطن الغلال التي بها تقوية البلاد باعتبار مزارع ضياعها، الثامن استخدام الأكفاء والأمناء واستعمال النصحاء والأقوياء، التاسع اجتهاده في كل وقت لكشف المظالم وإقامة فريضة العدل لإزالة المظالم، العاشر التطلّع إلى متجدّدات الأحوال وحوادث الأمور واستعلام ما يتجدّد منها في الأطراف مخافة طريان مكروه ومحذور، وكذلك كل مكان قريب وبعيد فتصير حركاته محمودةً وهو سعيد وأن يجعل عليها عيوبًا بصددها وتقيّةً يعتمدهم لرصدها. ويتعيّن على الملك أيّده الله تعالى تعظيم أهل العلم الذين هم هداة الإسلام والأخذ بخواطر الأمراء والجند وتفقّد أحوال الرعيّة ويكون حكمه موافق الشرع الشريف على أيّ مذهب كان من الأربع، وأن يكون حليمًا ولا يعجل بعقوبة ولا يعطّل الحدود ويصون عقله من العجب وعطاؤه من السرف وإمساكه من البخل وذهنه من البلادة ولفظه من السفاهة ووقاره من الكبر، ويجتهد أن لا يلفظ لسانه إلا خيرًا وأن لا يكون متوانيًا في أمور المملكة ومصالح الرعيّة ولا متغفّلًا عمّا ينقل من أخبار رعاياه، وأن يفحص عن حقيقة ما ينقل إليه فيعتمد الصدق ويردع الكاذب لئلا يحدث الفساد، فإن عدل ساعة من الملك بعبادة سبعين سنة. ويعرض الجيوش في كل حين ويتفقّد أحوالهم ليصيروا محتفظين على أسلحتهم وأمتعتهم ولا يتركهم مهملين يضيعون غالب ذلك، وإذا بدا له أمران أحدهما إظهار أبّهة وصرف مال من غير ضرر لأحد والآخر إحمال وتحصيل مال فيفعل الأوّل، وإذا بدا له أمران أيضًا أحدهما مصلحة نفسه وتغيير خواطر جنده والآخر ضدّ ذلك فيقدّم فعل الثاني إلى أن يتوصّل إلى فعل الأوّل باستجلاب خواطر

الجند ويُبدي لهم أمورًا توطّن نفسهم على الرضى بذلك. (شاه، زبد، ٥٨، ١٧)

- الإجتماع الإنساني لا بدّ فيه من وازع عن العدوان الواقع فيه - بمقتضى الطبيعة البشرية - بما يكون له من سطوة السلطان وقهره. وتلك الخصوصية الحاصلة له بما هي منصب طبيعي للإنسان ... هي الملك في مشهور المراد به. (أزر، بدع١، ١٠٧، ١٤)

- من توابع الملك أمران: أحدهما: مصلحة إقامة الدين والدنيا به. ولا خفاء باعتباره من هذه الجهة عقلًا، ووجوب التكليف به شرعًا. الثاني: مفسدة التمكّن به من القهر وانقباض اللذات. والذمّ الوارد فيه إنما هو من هذه الناحية. وحينئذٍ فلا يذمّ لذاته، بل لما عرض فيه مرجوحًا بمصلحة اعتباره. (أزر، بدع١، ١٠٨، ١٦)

- شرط وجود الملك وهي العصبية أو ما يقوم مقامها. وفيه - لبيان ذلك وما يلحق به - مسائل. المسألة الأولى: أن الملك والدول العامة، إنما تحصل بالعصبية والشوكة. وقد يعبّر عنها بـ"الجند"، حيث يقوم مقامها. وذلك لأن حصول الملك - أولًا - متوقّف على التغلّب عليه بقهر من ينافس فيه، لشرف منصبه واشتماله على الملاذ البدنية والنفسانية، كما قال:

وَالمُلْكُ بعْد أبِي لَيْلى لمنْ غلبَا

والتغلّب من حيث هو، كذلك متوقّف على العصبية، لما فيها من النعرة الحاملة على التعاضد والتناصر فحصول الملك - أولًا - متوقّف على العصبية، لا محالة، لأن شأن كل أمر لا يتمّ حمل الناس عليه إلا بالسيف والسنان، لما في طباعهم من الاستعصاء وصعوبة الانقياد، كما سبقت الإشارة إليه. ... المسألة الثانية أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك، لأن صاحبها إذا بلغ رتبة الرئاسة التي يصير بها متبوعًا لا غير. وأمكنه الترقي إلى ما وراء ذلك من القهر والتغلّب، فإنه يترامى إليه بأقصى جهده، تكميلًا لمطلوب النفس منه، وتحصيلًا لغاية ما تجري إليه العصبية القاهرة، وهو الملك الذي به كمال القهر والتغلّب. ... المسألة الثالثة: أن الدولة إذا تمهّدت قد تستغني عن العصبية. وسرّ ذلك أن الدول العامة في ابتدائها يصعب الانقياد لها - لغرابتها - إلا بتغلّب قوي. فإذا استقرّت رئاستها في أهل النصاب المخصوص بالملك، واستحكمت لهم صبغتها، فلا يحتاج - إذ ذاك - إلى كبير عصابة، ويكفي الاستظهار عليها، إما بالموالي والمصطنعين، أو بالعصائب الخارجيين عن نسبها الداخلين في ولايتها. (أزر، بدع١، ١٣٢، ٨)

- الرئاسة قد تحصل لأهل الأمصار بوجود العصبية الغالبة، وذلك لأن التحامهم بالصهر يحصل به بعض ما يحصل بالنسب، فإذا نزل الهرم بالدولة وتقلّص الملك عن القاصية احتاج أهل أمصارها إلى القيام على أمرهم، ورجعوا إلى الشورى وتمييز العلية عن السفلة، فتطمح المشيخة، لخلوّ الجوّ من السلطان القاهر إلى الاستبداد. وينازع كل صاحبه،

ويتوصلون بالأتباع من الموالي والشيع، ويبذلون ما بأيديهم للأوغاد والأوشاب، فيعصوصب كل بصاحبه، ويتعيّن الغلب لبعضهم، فيعطف على أكفائه بالقتل والتغريب، حتى يستبدّ بمصره، ويرى أنه قد استحدث ملكًا يورثه عقبه، فيحدث في ذلك الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم ذي القبائل والعصبيات والزحوف والممالك، فينتحلون من الجلوس على السرير، واتّخاذ الآلة والتحيّة، والخطاب بالتهويل ما يسخر منه من يشاهد أحوالهم. وقد يجري على مذاهب السذاجة، فرارًا من التعريض بنفسه للسخرية به. (أزر، بدع١، ١٤٣، ١٣)

- من علامة الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس، وذلك لأن الملك خلافة الله على العباد في تنفيذ أحكامه التي هي خير وصلاح، وإبطال أحكام الشيطان التي هي شرّ وفساد، وإن كان كل ذلك بقضائه وقدره، فمن له عصبية غالبة وأونست منه الخلال المناسبة لتنفيذ أحكام الله، فقد تهيّأ للملك وكفالة الخلق به. وإذا تنافس أهلها في خلال الخير، من كرم، وعفو، واحتمال من غير قادر، وقرى ضيف، وحمل كلّ، وكسب معدم، وصبر على مكروه، ووفاء بعهد، وبذل مال في صون عرض، وتعظيم شريعة، وإجلال عالم، ووقوف عند ما يحدّ من فعل أو ترك، وحسن ظنّ به. واعتقاد ذي دين وتبرّك به، ورغبة في دعاء منه، وتوقير وإجلال مشايخ وأكابر، وحياء منهم، وانقياد للحق، وإنصاف مستضعف من أنفسهم، وتبذّل في أحوالهم، وتواضع مع مسكين، وسماع شكوى، وتديّن بشرائع وعبادة، وقيام عليها، وتجاف عن غدر ومكر وخديعة، ونقض عهد، وغير ذلك، علم أن الله - تعالى! - يأذن لهم بالملك، لوجود خلق السياسة فيهم، ودلالتها على أنها لم تجعل فيهم سدى ولا عبثًا. (أزر، بدع١، ١٤٤، ١٢)

- الملك بيت أسّه الإيمان، وسقفه التقوى، وأركانه الشرائع، وفرشه العدل، وأستاره السيرة المحمودة، فإذا قعد فيه الملك ابتهجت به الدنيا وتألّفت عليه النفوس وعمرت به البلاد وشمل الصلاح العباد. (أزر، بدع١، ٢٠٠، ١١)

- العالم بستان، سياجه الدولة. الدولة سلطان، تحيا به السنّة. السنّة سياسة، يسوسها الملك. الملك نظام، يعضده الجند. الجند أعوان، يكفلهم المال. المال رزق، تجمعه الرعية. الرعية عبيد، يكتنفهم العدل. العدل مألوف، وبه قوام العالم. (أزر، بدع١، ٢٣٢، ٧)

- المال الذي هو عمدة الملك إنما وفره بتعدّد مداخله. ومن أعودها بالنفع الجباية والخراج. وعلى مقدار يسار المأخوذ منه ذلك يتوفّر المال - لا محالة - فيقوى الملك وترسخ قواعده. (أزر، بدع١، ٣٨٣، ٢٦)

- (العوائق المنذرة بمنع دوام الملك) حصول الترفّه والنعيم للقبيلة. وذلك لأنها إذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على

النعمة بمقداره، وبحسب استظهار الدولة به. وإذا بلغت الدولة غايتها من الغلب قنعوا بما سوغوا من نعمتها، وشوركوا من جبايتها. فلا تسمو هممهم إلى شيء من منازع الملك، ولا يهتمون إلا بالكسب وخصب العيش والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس، فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة، وينشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك، حتى يصير لهم سجية وخلقًا، فتنقص عصبيتهم وبسالتهم مع تعاقب الأجيال إلى أن تنقرض جملة. وإذ ذاك يتأذّنون بالانقراض. (أزر، بدع٢، ٧٠٢، ٤)

- (العوائق المنذرة بمنع دوام الملك) استحكام طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف وإيثار الدعة. بيان الأول: أن المجد متى كان مشتركًا بين العصابة كان سعيهم له واحدًا، واستماتتهم في طلب العزّ به مضمونة. وإذا انفرد به الواحد منهم على ما يقرّر - إن شاء الله! - كسر من سورتهم واستأثر بالأموال دونهم فتناسلوا لحقهم الوهن ومخامرة الذلّ. ثم الجيل الثاني ينشأ على ذلك؛ بحيث لا يعتقدون إلا أنّ إعطاء السلطان أجر لهم على الحماية. وقلّ أن يستأجر أحد نفسه على الموت. وذلك موجب لإقبال الدول به على الهرم وإفساد العصبية بذهاب نجدتها. بيان الثاني: من وجوه: أحدها: أن الترف الطبيعي للملك - على ما يأتي، إن شاء الله! - يكثر عوائد الدولة حتى لا يفي دخلها بخرجها، ويزداد ذلك في الأجيال المتأخّرة إلى أن يقصّر العطاء عن تلك العوائد ويطالب صاحبها بحصر النفقات في الحروب. فلا يجد أربابها محيصًا عن ذلك، فينزع ما بأيدي الكثير منهم لنفسه ولبنيه وذوي صنائعه فيضعفون - هم - لذلك، ويضعف - هو - لضعفهم. الثاني: أن تقصير العطاء عن النفقات - إذا كثر الترف - يضطرّ السلطان إلى الزيادة فيه. ومقدار الجباية لا يوفي بذلك. وإن زيد فيه بإحداث المكوس بقي - يعدّ - محدودًا. فإذا وزّع على الأعطيات وقد زيد فيها بأكثر من الترف نقص عدد الحامية. ثم لا يزال الترف يتزايد والأعطيات كذلك بسببه إلى أن يعود الجيش إلى أقلّ الأعداد، فتضعف الحماية، ويتجاسر على الدولة من يجاورها من الدول، أو من تحت أيديها من العصائب ويتأذّن الله - تعالى! - بالفناء الذي كتبه على خليقته. الثالث: أن الترف مفسد للخلق؛ بما يوهم في النفس من ألوان الشر والسفسفة، فيذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على نيل الملك، ويتّصفون بنقيضها من خلال الشرّ الدالّة على الإدبار والانقراض. وتأخذ الدولة مبادئ العطب، وينزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضي عليها. قلت: هو معنى قول أفلاطون: إذا أقبلت المملكة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات، لأنه لا حامل على الترف إلا حب الشهوات. بيان الثالث: أن الدعة الطبيعية للملك - على

ما يأتي، إن شاء الله! - تصير عند اتّخاذها - مألفًا خلقًا وجبلّة، شأن العوائد كلها، فتنشأ الأجيال الحادثة على ذلك، وتتقلب خلق التوحش، وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك، من البأس والنجدة. وإذ ذاك فلا فرق بينهم وبين سوقة الحضر؛ إلّا في الشارة، فتضعف حاميتهم ويعود وبال ذلك على الدولة. ثم لا يزالون يتلوّنون بعوائد السكون والدعة ورقّة الحاشية في جميع الأحوال. وهم في ذلك يبعدون عن خشونة البداوة، وينسلخون عنها شيئًا فشيئًا، وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية، حتى يعودوا عيالًا على حامية أخرى؛ إن كانت لهم. (أزر، بدع٢، ٧٠٥، ١٠)

- لما كان مبنى الملك على أساسين، لا بدّ منهما: أحدهما: العصبية، وهو المعبّر عنه بـ"الجند". الثاني: المال الذي هو قوام الجند، وما يحتاج إليه الملك، والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين. (أزر، بدع٢، ٧١٤، ٣)

- الملك منصب طبيعيّ للإنسان. إنّ البشر لا يمكّن حياتهم ووجودهم إلّا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروريّاتهم. وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ثمّ مدَّ كلُّ واحد منهم يده إلى حاجته ليأخذها من صاحبه - لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم وعدوان بعضهم على بعض - ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والألفة ومقتضى القوّة البشرية في ذلك، فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة، وهي تؤدّي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس المفضي إلى انقطاع النسل - وهو ممّا خصّه الباري سبحانه بالمحافظة - فاستحال بقاؤهم فوضى بلا حاكم يزع بعضهم عن بعض، واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكِّم. ولا بدَّ في ذلك من العصبية، لأنّ المطالبات كلّها والمدافعات لا تتمُّ إلّا بالعصبية. وهذا الملك منصب شريف تتوجّه نحوه المطالبات ويحتاج إلى المدافعات ولا يتمُّ شيء من ذلك إلّا بالعصبيّات. (فر، علل، ٤٦، ١٩)

- يؤول ابن خلدون الخلافة. صحيح أنها نظام سياسي إسلامي محض، لكنها مرتبطة بعصبية قريش، وبذلك يستطيع ابن خلدون أن يذهب إلى أبعد حدّ في تأويل بعض الأحاديث المعتبرة صحيحة، والتي تنصّ على أن الخليفة يجب أن يكون من سلالة قريش، مثل الحديث النبوي القائل: "الأئمة من قريش". يجب أن نفهم لماذا كان هذا الشرط ضروريًا في لحظة معيّنة من تاريخ العرب. يقول ابن خلدون: ". . وذلك أن قريشًا كانوا عصبة مضر وأصلهم، وأهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر مُضَر، العزّة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك، ويستكينون لغلبهم. فلو جعل الأمر في سواهم، لتوقّع افتراق الكلمة بمخالفتهم، وعدم إنقيادهم (. .) والشارع

محذّر من ذلك حريص على اتّفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم، لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية (..) فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخصّ الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها، وطردنا العلّة المشتملة على المقصود من القرشية، وهو وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين، أن يكونَ من قوم أولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها، ليستتبعوا من سواهم، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية". ولا شكّ أن هذا التأويل قد سهّله التطوّر الذي حصل في الفكر السياسي السُّنّي. فمنذ أمد طويل، كان الفكر السني يقبل أن يتولّى السلطة، شرعيًّا، شخص غير قريشي، بل وغير عربي، فكان في ذلك تعبير، على مستوى النظرية، عمّا كان قد أصبح ممارسة، خاصة منذ القرن الخامس الهجري (XIم)، أي منذ ظهور السلطنة كمؤسّسة سياسية مستقلّة أقامها مسلمون عجم، واختزال الخلافة إلى مجرّد لقب تشريفي. ويذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك، فالخلافة باعتبارها مؤسّسة، اختفت نهائيًّا، وظهر التباسٌ بين الخلافة والملك، لأنهما اقترنا ببعضهما خلال قيام الدولتين العربيتين الأوليين. إلا أن الخلافة اختفت باختفاء العرب وفناء جيلهم، ومن ثم لم يعد مبرّر لوجودها، ولو من حيث اللقب الشكلي: "ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم، وتلاشي أحوالهم، وبقي الأمر ملكًا بحتًا كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرق". (أوم، نهج، ١٦٣، ٤)

- المُلك، إذن، عقدة التاريخ من جهتين: هو عقدة المطالب، وهو أساس تنظيم التسلسل وسياقة الأخبار في إطارة التاريخ على الملوك. المُلك هو عنصر التاريخ بما هو وحدة ذات امتداد زمني معيّن تقع بين نقطة بدء زماني (تشكّل نهاية ملك آخر) ونقطة نهاية زمانية (تشكّل بداية ملك آخر) وحدة تقتطع لنفسها حيّزًا معيّنًا على محور الزمان، منظّمة بذلك حوادث التاريخ وهذه الحوادث إما متعلّقاتها، وإما الحوادث الجسيمة والغريبة - وجاعلة إيّاها، سرديًا، من خواصها. (عظم، عرف، ٧٦، ٦)

- ليس الملك من توابع شعب أو أمة بما لها جسم اجتماعي وسياسي واقتصادي وغيره، إذ ليس الملك عبارة عن جسم سياسي اجتماعي ما، بل إن المجتمع المدني هو الذي لا قوام له إلّا بالمُلك. المُلك بذلك هو الإسم الذي يطلق على دولة: فتاريخ الفرس مثلًا تاريخ ملوك الفرس، إذ ملوك الفرس هم مطالب هذا التاريخ، ولا كيان للشعب الفارسي دون وجود ملوكه. والدولة ليست تاج المجتمع المدني، بل أن المُلك أصل أشياء التاريخ، بحيث أن "الشعب" لا قوام له كوحدة تاريخية، بل إن ما نراه اليوم على أنه تاريخ هذا "الشعب" يقع خارج نطاق النظر التاريخي

العربي في العصور الوسطى ولا تاريخية له، على عكس تاريخ الملوك في تتاليهم - وذلك على الرغم من النص الخلدوني الذي قرأه الكثير من المعاصرين وكأنه مؤشّر على وحدات سوسيولوجية هي العصبيات، بينما العصبيات لا تدلّ إلّا على وحدات سياسية مجرّدة دون الالتفات إلى بناها الداخلية، وذلك تمامًا بمقتضى متطلّبات الكتابة التاريخية التي تستند إلى سرد أخبار ملوك يستندون إلى مجموعات ليست لبناها الداخلية أهمية بحدّ ذاتها، بل إن منظور اعتبارها سياسي بالمعنى الضيّق للكلمة - أي أن المجموعة تساوي الإسم الداخل في علاقة سلطان -. (عظم، عرف، ٧٧، ١٥)

- يقوم المُلك برزم أشياء التاريخ وعقدها تحت لوائه ليس فقط بتكوينه وحدتها الموضوعية، بل هو يمارس سطوته العمودية بفرضه نفسه معيارًا زمانيًّا للأشياء وتسمية لمكانها التاريخي - وبالتالي، لنظام تسلسلها الذي به فقط قوام التاريخ. ونحن نرى أن زمانية الأشياء، أي تتاليها الكرونولوجي، تتّحد عمومًا في الكتابة التاريخية التي تسرد أخبار ما قبل الهجرة "على الملوك"، أي إن حكم ملك ما في سلسلة ملوك يشكّل الإطار الزماني لسياقة الأحداث. والزمان المقاس بالملوك وذلك المحتوي على السنوات والتواريخ زمان واحد، بحيث يمكن استبدال الواحد بالآخر بسهولة كما رأينا. فمبتدأ أمر ملك ما أو دولة هو في العادة مبتدأ تقويم ما قائم عليه. ليس قيام التقاويم على الملوك إلّا من فاعليات الملك بما هو ربط لأشياء الزمان في تاريخيتها وفي موقعها في تتالي الأشياء. واعتماد الهجرة في التاريخ، مثلًا، لا يرجع بذلك إلى عدم الإختلاف في توقيتها فقط، بل إن الأمر أكثر من أمر ذي علاقة بالشروط التقنية لممارسة التاريخ - فالهجرة "صارت للنبي كالقيام للملوك وصفاء الملك لهم". (عظم، عرف، ٨٠، ١٧)

- إن ما يصدق، في إطار سطوة الملك على التاريخ، على الأخبار المفردة المندرجة في إطار زمان ملك ينطبق أيضًا على الأخبار عن الحوادث الجسيمة في إطار قطع زمانية أوسع، كزمان سلسلة الملوك التي تتركّب، في النهاية، من الجمع الحسابي لأعضائها. وبذلك، فإن خلق آدم يرجع، في الطبري، إلى "ما حدث في أيام سلطان" إبليس - وإبليس أول من أعطى ملكًا، فهو أول الملوك، وله الصدارة في تاريخ الملوك الذي هو تاريخ الطبري. (عظم، عرف، ٨٣، ١٠)

- كون المُلك إطار التاريخ يجعل من التاريخ تابعًا للملك كما أن كون الزمان إطارًا للأخبار يجعل من هذه الأخبار تابعة للزمان - فإطار الأخبار مرجعها ولا قوام لها، في الكتابة التاريخية، إلّا بهذا المرجع - ولو كان للأخبار المفردة المجرّدة عن تاريخ قوام في أطر أدبية أخرى، ككتب السياسة أو مجموعات آداب الكتاب مثلًا. هذا المرجع يجعل من

الأخبار وحدات تاريخية ويضفي عليها تاريخيتها. فهي، بكل بساطة، تصبح تاريخية لحظة اندراجها في هذه الوحدات، وتكون خارج التاريخ (إن لم تكن خارج الماضي) إن خرجت على هذا الأطر. (عظم، عرف، ٨٨، ٥)

- إختلاف الأجيال في أحوالها، إذن، نتيجة لتتابع الدول المختلفة التي ترعى تجيّل الأجيال الجديدة، فالناس على دين ملوكهم. التحوّل والتغيّر في التاريخ تابع لذلك العنصر الذي يجعل من التاريخ تاريخًا ومن الأشياء أشياء: ذلك هو المُلك. والمغايرة في أطباع ومذاهب الملوك هي ما تجعل من الأجيال أجيالًا متغايرة، وما يصدق عن المسلمين في أنهم "في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأقواله" لا شكّ يصدق على غيرهم. فمشاكلة الناس لزمانهم التزام بأخلاق وأفعال ملوكهم. فقد لبس الناس لباس المعتصم، كما أن أصل ذلك التغيّر الكبير الذي بموجبه قدّم الملوك ومواليهم وغلمانهم على أقربائهم هو قيام المنصور بذلك. (عظم، عرف، ٩٥، ١٠)

- ليس ثمّة حالة وسط بين المُلك والخلافة، على الرغم من اجتهادات أوائل المتكلّمين، إذ ليس ثمّة وسط بين القدس والدنس أو بين الكمال والنقص. ولذا ليس هناك اتّجاه فعلي للنقص بذاته، ولا يكون هناك من وجهة في التاريخ إلا إذا افترضنا غاية تستعيد بداية بفعل إلهي مباشر، كالقيامة. (عظم، عرف، ١٢٣، ١٨)

ملك سياسي

- الملك الطبيعيّ هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة؛ والسياسيّ هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار؛ والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به. (خلد، قدم، ٥٧٨، ٦)

ملك طبيعي

- الملك الطبيعيّ هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة؛ والسياسيّ هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار؛ والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به. (خلد، قدم، ٥٧٨، ٥)

ملك فاضل

- الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال، وعدمت فيه خصال، فأما الخصال التي يستحب أن توجد فيه، فمنها العقل. وهو أصلها وأفضلها، وبه تساس الدول، بل الملل، وفي هذا الوصف كفاية. ومنها العدل، وهو الذي تستغزر به الأموال، وتعمر به الأعمال، وتستصلح به الرجال. ولما فتح السلطان هلاكو بغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة. أمر أن يستفتي العلماء: أيما أفضل: السلطان الكافر العادل، أو السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب. وكان رضي الدين، علي بن طاوس حاضرًا هذا المجلس، وكان مقدمًا محترمًا، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا، ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر، على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده. ومنها العلم، وهو ثمرة العقل، وبه يستبصر الملك، فيما يأتيه ويذره، ويأمن الزلل في قضاياه وأحكامه، وبه يتزيّن الملك في عيون العامة والخاصة، ويصير به معدودًا في خواص الملوك. قال بعض الحكماء: الملك إذا كان خلوًا من العلم كان كالفيل الهائج، لا يمرّ بشيء إلا خبطه، ليس له زاجر من عقل، ولا رادع من علم. واعلم أنه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصوّر المسائل المشكلة، والتبحّر في غوامض العلوم، والإغراق في طلبها. قال معاوية: ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم، وإنما المراد من العلم في الملك، هو أن لا يكون له أنس بها، إلا بحيث يمكنه أن يفاوض أربابها فيها، مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر، ولا ضرورة في ذلك إلى التدقيق. (طق، فخر، ١٠، ٢)
- (الملك الفاضل من خصاله) الخوف من الله تعالى، وهذه الخصلة هي أصل كل خير، ومفتاح كل بركة، فإن الملك متى خاف الله، أمنه عباد الله. روى أن عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام، استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه، فدعاه مرارًا فلم يجبه، فدخل عليه رجل وقال: يا أمير المؤمنين، إنه بالباب واقف، وهو يسمع صوتك ولا يكلمك، فلما حضر العبد عنده قال: أما سمعت صوتي؟ قال بلى. قال فما منعك من إجابتي؟ قال أمنت عقوبتك. قال علي عليه السلام: الحمد لله الذي خلقني ممن يأمنه خلقه. (طق، فخر، ١١، ١٨)
- (الملك الفاضل من خصاله) العفو عن الذنوب. وحسن الصفح عن الهفوات. وهذه أكبر خصال الخير، وبها تستمال القلوب، وتصلح النيّات. (طق، فخر، ١٢، ٣)
- (الملك الفاضل من خصاله) الهيبة، وبها يحفظ نظام المملكة، ويحرس من أطماع الرعية. وقد كان الملوك يبالغون في إقامة الهيبة والناموس - يؤخذ مما بأيدينا من كتب اللغة أن استعمال كلمة (الناموس) في

معنى النظام كما هو مراد المؤلف هنا ليس استعمالًا صحيحًا -، حتى بارتباط الأسود والفيلة والنمور، وبضرب البوقات الكبار، كبوق النفير، والدبادب، والقصع، ورفع السناجق، وخفق الألوية، على رؤوسهم، كل ذلك لإثبات الهيبة في صدور الرعية، ولإقامة ناموس المملكة. (طق، فخر، ١٤، ١٢)

- (الملك الفاضل من خصاله) السياسة، وهي رأس مال الملك، وعليها التعويل في حقن الدماء، وحفظ الأموال، وتحصين الفروج، ومنع الشرور، وقمع الذعار والمفسدين، والمنع من التظالم، المؤدّي إلى الفتنة والاضطراب. (طق، فخر، ١٤، ١٨)

- (الملك الفاضل من خصاله) الوفاء بالعهد، قال تعالى سلطانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٤) وهو الأصل في تسكين القلوب، وطمأنينة النفوس، ووثوق الرعية بالملك، إذا طلب الأمان منه خائف، أو أراد المعاهدة منه معاهد. ومنها الاطلاع على غوامض أحوال المملكة، ودقائق أمور الرعية، ومجازات المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. (طق، فخر، ١٤، ٢١)

ملكة

- تعليم العلم من جملة الصنائع لأمرين: أحدهما: أن الملكة في العلم غير الفهم فيه، لوجود فهم مسألة واحدة من فن واحد مشتركًا بين الشادي في ذلك الفن والمبتدئ فيه، وبين العامي والعالم النحرير. والملكة إنما هي للعالم أو الشادي فقط. وكانت الملكات كلها جسمانية والجسمانيات بأسرها محسوسة، فتفتقر إلى التعليم ضرورة. الثاني: أن اختلاف الاصطلاحات فيه - كما لكل إمام - مما اختصّ به شأن الصنائع كلها، وكما بين المتقدّمين والمتأخّرين في علم الأصول والفقه والعربية، يدلّ على أن ذلك ليس من العلم؛ وإلا لكان واحدًا عند الجميع. فالعلم واحد وتلك الاصطلاحات صناعة. (أزر، بدع٢، ٨١٣، ١٧)

ملوك

- **أنواع الملوك**

أنواع الملوك	الألقاب الواقعة على أشخاص تلك الأنواع
ملوك الفرس الساسانيّة	شاهنشاه وكسرى
ملوك الرُّوم	باسلي وهو قيصر
ملوك الإسكندريّة	بطلميوس
ملوك اليمن	تُبَّع
ملوك التُّرك الخزر والتغزغز	خاقان
ملوك التُّرك الغُزِّيّة	حنوته
ملوك الصِّين	بغبور
ملوك الهند	بلهرا
ملوك قنُّوج	راق
ملوك الحبشة	النَّجاشيّ
ملوك النُّوبة	كابيل
ملوك جزائر البحر الشرقيّ	مهراج
ملوك جبال طبرستان	اصْفَهْبَذ

ملوك نباوند	مَصْمَغان
ملوك غَرْجِشتان	شار
ملوك سَرْخَس	زاذويه
ملوك نسا وأبِيوَرْد	بهمنه
ملوك كَشّ	نيدون
ملوك فَرْغانة	اخْشيد
ملوك أشرُوشَنَة	أفْشين
ملوك الشّاش	تدن
ملوك مَرْو	ماهويه
ملوك نَيسابُور	كنبار
ملوك سَمَرْقَنْد	طرخون
ملوك السَّرير	الحجّاج
ملوك دَهِسْتان	صول
ملوك جُرْجان	اناهيذ
ملوك الصَّقالبة	قبّار
ملوك السُّريانيّين	نِمْرُوذ
ملوك القبط	فرعون
ملوك باميان	شيرِباميان
ملوك مصر	العزيز
ملوك كابُل	كابل شاه
ملوك التِّرْمذ	ترمذ شاه
ملوك خوارزم	خوارزم شاه
ملوك شروان	شروان شاه
ملوك بخارا	بخارخداه
ملوك كوزكانان	كوزكان خذاه

(بير، بقي، ١٠٠، ١٩)

- الدولة كسلسلة والملوك كأفراد هذه السلسلة هما، إذن، كالزمان ومقاطعه، نقاط المرجعية في سياقة الأخبار، فدونهما ليس ثمّة انتظام للأخبار عن الحوادث الماضية من الوجهة الموضوعاتية أو من تلك البنائية. ولذا فإن سلسلة الملوك، وهي الدولة، هي الإطار الذي تتموضع فيه ليس فقط الأحداث الفردية، ولكن مقاطع وبرهات هذه الاستمرارية بما هي مقاطع من الزمان ومقاطع من تلك العقدة، المُلك، التي تؤسّس المادة التاريخية. (عظم، عرف، ٨٤، ١٧)

ملوك الأطراف

- ملوك الأطراف مثل ملوك الشام ومصر وصاحب الموصل، يحملون إليهم - (إلى الخلفاء العباسيين) - في كل سنة شيئًا، على سبيل الهدية والمصانعة، ويطلبون منهم تقليدًا بولاية بلادهم، بحيث يتسلّطون بذلك على رعيتهم، ويوجبون عليهم طاعتهم، بذلك السبب، ولعلّ الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك الأطراف عن هداياهم بما يناسبها، أو يفضل عنها، كل ذلك لحفظ الناموس الظاهر، وليكون لهم في البلاد والأطراف، السكّة والخطبة، حتى صار يضرب مثلًا لمن له ظاهر الأمر وليس له من باطنه شيء، أن يقال: قنع فلان من الأمر الفلاني بالسكة والخطبة، يعني قنع منه بالاسم دون الحقيقة، فهذه جمل من أحوال الدولة العباسية. (طق، فخر، ٢٠، ١٧)

ملوك مسلمون

- لم يفعل الملوك المسلمون إذًا إلا إتباع ضرورات "الملك" أي ما تتطلّبه الممارسة السياسية الفعلية، وحاولوا "بقدر

استطاعتهم" أن يظهروا بمظهر اتباع سياسة متمشّية مع الشرع. (أوم، نهج، ٢٠٧، ١٥)

مماكرة

- المماكرة في الحرب أنفع من المكابرة. إذا تقرّر هذا فقد ذكر من ذلك جملة. المكيدة الأولى: - وهي أهم ما يبدأ به قبل القتال -: الجواسيس الثقات في عسكر العدو وبلاده، لتعرف أخبارهم مع الساعات وما عندهم من العدّة والعدد، وما لهم من المكائد والحيل، وكم عدد رؤسائهم وشجعانهم، وما منزلتهم عند صاحبهم. ويدسّ إليهم ما يخدعون به من صلة أو ولاية حتى يغدروا صاحبهم أو يهربوا عنه أو يخذلوه عند لقائه. قال الطرطوشي: ووجوه الحيل لا تحصى والحاضر فيها أبصر من الغائب. المكيدة الثانية: أن يلقي على ألسنة كبراء العدو أنهم يكاتبون بالخدمة ووعد الوفاء بإظهارها ويشاع ما يزوّر من ذلك لتقوى به القلوب ويتحدّث الناس بمضمونه. وإذا بلغ العدو ذلك لا بدّ أن يتأثّر له وإن علم كذبه، وكذا فيما يرسل إليهم كأنه جواب ما وصل منهم. المكيدة الثالثة: أن تعمى الأخبار عن العدو، ويسدّ دونه أبواب العلم بها حتى لا يطلع على ما يحمله على اغتنام فرصة أو يحاول به إبطال مكيدة عليه، وذلك بإذكاء العيون على الجواسيس المتردّدة إليه في مراصد العثور عليهم وأماكن الشعور بهم، وانظر إلى دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم! - حين توجّه إلى فتح مكّة: "اللَّهُمّ أَعْمِ عَنْ قُرَيْش الأَخْبَارَ" (سيرة ابن هشام، ٢/٢٦٦، القاهرة، ١٩١٤). المكيدة الرابعة: موالاة طائفة من العدو ومصالحتهم متى قدر على ذلك، وأمكنت الخديعة به، فقد قيل: "ليكن السلطان لفريق من أعدائه مصاحبًا ومداهنًا"، ليعرف به أخبار بقيتهم ويهدم به اتّفاق جميعهم ويتسبّب به إلى خلافهم، وتشتيت رأيهم. وقيل: "الصلح أحد الحروب التي يدفع بها الأعداء عن المضرّة. فإذا كثر أعداؤك فصالح بعضهم وأطمع بعضهم بصلحك واستقبل بعضهم بحربك". المكيدة الخامسة: تولية بعض رؤساء العدو المتمرّدين على السلطان، وتضريب بعضهم ببعض. فقد قيل: إذا ابتلي السلطان بقوم ذوي نفاق وشدّة وقلّة انقياد إلى الطاعة فليقم منهم رؤساء، ويلق بينهم الخلاف حتى يكفيه بعضهم مؤونة بعض ويبقى هو في أمن وراحة، فإنه إن صلح ما بينهم رجعوا كلهم عليه فليدبرهم بهذا التدبير قبل تدبيرهم بالحرب. (أزر، بدع١، ١٧٤، ٢)

ممكن

- الواجب في العقل بنفس العقل استدلاله كعلمنا بأنّ البناء يقتضي بانيًا والكتابة يقتضي كاتبًا ولا بدّ لكلّ صنعة من صانع وأن الواحد والواحد اثنان وأن الشيخ كان شبابًا والصغير كان رضيعًا وما أشبه ذلك، والسالب الممتنع المستحيل في العقل بنفس العقل واستدلاله وهو أن يوجد كتاب

بغير كاتب وصنعة من غير صانع، فإنّ هذا لا يوجبه العقل ولا يتصوّره الوَهم ولا يستقرّ عليه الطبع. والممكن الجائز الموهوم في العقل بنفس العقل كما حكى عن القرون السالفة والبلدان النائية وما يذكر أنه سيكون بعد، فإنّ ذلك ممّا يجوز في العقل أنّه كذلك ويجوز أنه ليس كذلك لأنّه لا يدلّ خاطر على تحقيق شيء من ذلك إلّا ويجوز أن يدلّ خاطر على إبطاله لدخوله في حدّ الجواز والإمكان، فلما تكافأت الأدلّة به قصر على حدّ الوقوف، فلا شيء إلّا وهو معقول معلوم أو معروف أو موهوم أو محسوس. (بلخ، بد١، ٢٩، ٣)

- العالم كله حادث، وكل حادث فلحدوثه سبب، والدليل على أن العالم حادث أن العالم كل موجود سوى الله عزّ وجلّ، والموجود إذا كان متحيّزًا غير مؤتلف سمّي جوهرًا فردًا فإن ائتلف إلى غيره سمّي جسمًا. والعرض ما قام بغيره: كاللون، والطعم، وهذه الموجودات لا تخلو من الحوادث؛ كالحركة والسكون، وكل ما يخلو من الحوادث حادث. ومعنى قولنا "حادث" أنه وجد بعد عدمه، فلا يخلو وجوده قبل أن يكون محالًا أو ممكنًا، ولا يجوز أن يكون محالًا؛ لأن المحال لا يوجد أبدًا. فثبت أنه ممكن، والممكن ما يجوز أن يوجد ويجوز أن لا يوجد، فلا بدّ لوجوده من مرجّح له على العدم، وهذا أمر ضروري في العقل لا نزاع فيه، فظهر منه أنه لا بدّ للموجودات من موجد أوجده. فإن قيل: يبطل هذا بالخالق فإنه موجود لا بموجد. قلنا: الخالق واجب الوجود لم يزل، وهذه الأشياء جائزة الوجود وبدت بعد عدم فافتقر إلى موجد. (جو، نظم، ١١٨، ٢٢)

مملكة

- اختلفوا في السيف والقلم أيهما أفضل وأولى بالتقديم، فقوم يرون أن يكون القلم غالبًا للسيف، واحتجّوا على مذهبهم بأن السيف يحفظ القلم، فهو يجري معه مجرى الحارس والخادم، وقوم يرون أن يكون السيف هو الغالب، واحتجّوا بأن القلم يخدم السيف، لأنه يحصل لأصحاب السيوف أرزاقهم، فهو كالخادم له. وقوم قالوا: هما سواء، ولا غنى لأحدهما عن الآخر. قالوا: المملكة تخصب بالسخاء، وتعمر بالعدل، وتثبت بالعقل، وتحرس بالشجاعة، وتساس بالرياسة. (طق، فخر، ٣٤، ١٨)

- قيل للإسكندر: بم نلت هذه المملكة العظيمة، على حداثة السن؟ قال: باستمالة الأعداء، وتصييرهم بالبر والإحسان أصدقاء، وتعاهد الأصدقاء بأعظم الإحسان وأبلغ الإكرام. قال بعض الحكماء: لا يرد بأس العدو القاهر مثل التذلّل والخضوع، كما أن النبات الرطب يسلم من الريح العاصفة بلبنه، لأنه يميل معها كيف مالت. (طق، فخر، ٣٥، ٢٤)

مملكة إسلامية

- المملكة الإسلامية عند التخصيص هي غير الدولة الإسلامية، لأن هذه عبارة عن الحكومة ورجالها، وأما المملكة فهي البلاد وأهلها. (زي، مدن٢، ١١، ٢٢)

منا

- مَنَا - يساوي رطلين وجمعه أمناء - من العود الهندي يذوب في النّار كالشّمع، ويختم عليه فتتبيَّن الكتابة. (ز، ذخر، ٤، ٦)

منازل القمر

- البروج اثني عشر ينزل الشمس كلَّ شهر من شهور السنة برجًا منها: فأوّلها الحمل ثمّ الثور ثم الجوزاء ثم السرطان ثم الأسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب ثم القوس ثم الجدي ثم الدلو ثم الحوت، وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين جُزْءًا تسمّى منازل القمر ينزل القمر منها كلّ ليلة منزلًا وهي الشرطان والبُطَيْن والثريّا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزُبرة والصرفة والعوّاء والسماك والغفر والزباني والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلْدة وسعد الذابح وسعد بُلَعَ وسعد السَعُود وسعد الأخبية وفرغ الأوّل وفرغ الثاني وبطن الحوت، كلّ برج منها منزلان وثُلُثُ منزلٍ فيما يقطعه الشمس في السنة ويقطعه القمر في الشهر. (بلخ، بد٢، ١٥، ١٦)

مناطق الحضر

- مناطق الحضر المهمّة في الجزيرة العربية تتركّز في ثلاث مناطق هي: (أ) اليمن. (ب) ممالك الشمال وتشمل: ١- الأنباط. ٢- تدمر. ٣- الحيرة وغسان. (ج) الحجاز. (شل، سلم، ٩٤، ٥)

منافع

- المنافع، جمع منفعة، وهي في اللغة: ضدّ المضرّة، ومنه قوله:

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما
يرجى الفتى كيما يضر وينفع

وقد تطلق على الدواء، كقوله:

هم الناس فالزم إن عرفت طريقهم
ففيهم لضر العالمين منافع

وتطلق على المنفعة الشرعية، فتكون عبارة عن جميع ما شرع من أنواع البرّ للتعاون عليه، كالقرض، والعارية، والهبة، والصدقة، والوقف، وما أشبه ذلك مما يقتضي الألفة وإنفاق الآراء في تدبير المعاش والمعاد. وتطلق في عرف تدبير المنزل على ما يفعل لمصلحة تخصّ بلدة أو مدينة أو مملكة، لراحة أهلها وتنظيم أحوالها، من كل ما يعود عليهم بفائدة لها وقع في المملكة، وبها يترقّى الوطن، وتشترك في ثمرتها أربابه، فلهذا تقيّد بالعمومية، فهي بالمعنى العرفي تخصّ السياسة حيث أنه قد لا تقتضي الأوضاع الشرعية المتأدّب بها في المملكة عين المنفعة السياسية إلا بتأويلات للتطبيق على الشريعة، ومع ذلك فمبنى

المنفعة في السياسة الشرعية على طريق اكتساب المال من غير مهانة ولا عسف، وإنفاقه في المصارف الحميدة العاقبة، الجميلة الذكر، ومبنى المنفعة أيضًا على صرف الهمّة إلى إزالة المكروه عن الناس بقدر ما تسعه القدرة البشرية، من إسعافهم وإعانتهم. (طه، عمل١، ٢٦٥، ٣)

منجّم

- الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلّع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. ولقد نجد في المدن صنفًا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرّضون لمن يسألهم عنه. فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول، يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك، ما بين خط في الرمل ويسمّونه المنجّم، وطرق بالحصى والحبوب ويسمّونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمّونه ضارب المندل. وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار، لما تقرّر في الشريعة من ذمّ ذلك، وأن البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية. وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلّع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم. ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه. وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجّم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدّة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها. والتعرّض لأسمائهم ويسمّى مثل ذلك الحِدْثان. (خلد، قدم، ٨٢١، ١٦)

منجّمون

- أما المنجّمون فيستندون في حدثان الدول إلى الأحكام النجومية. أما في الأمور العامة مثل الملك والدول فمن القرانات، وخصوصًا بين العُلْوِيَّيْن. وذلك أن العُلوِيين زحل والمشتري يقترنان في كل عشرين سنة مرة، ثم يعود القِران إلى برج آخر في تلك المثلثة من التثليث الأيمن، ثم بعده إلى آخر كذلك، إلى أن يتكرّر في المثلثة الواحدة اثنتي عشرة مرة تستوي بروجه الثلاثة في ستين سنة، ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة، ثم يعود ثالثة ثم رابعة بالمستوى في المثلثة باثنتي عشرة مرة، وأربع عودات في مائتين وأربعين سنة، ويكون انتقاله في كل برج على التثليث الأيمن، وينتقل من المثلثة إلى المثلثة التي تليها أعني البرج الذي يلي البرج الأخير من القِران الذي قبله في المثلثة. وهذا القران الذي هو قران العُلْوِيَّيْن. ينقسم إلى كبير وصغير ووسط:

فالكبير هو اجتماع العُلوِيين في درجة واحدة من الفلك، إلى أن يعود إليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة؛ والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي عشرة مرة، وبعد مائتين وأربعين سنة ينتقل إلى مثلثة أخرى؛ والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج، وبعد عشرين سنة يقترنان في برج آخر على تثليثه الأيمن في مثل درجة أو دقائقه. مثال ذلك وقع القِران أول دقيقة من الحمل، وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من القوس، وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من الأسد، وهذه كلها نارية، وهذا كله قِران صغير. ثم إلى أول الحمل بعد ستين سنة ويسمّى دور القِران وعود القِران، وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية إلى الترابية لأنها بعدها، وهذا قِران وسط. ثم ينتقل إلى الهوائية ثم المائية، ثم يرجع إلى أول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير. والقِران الكبير يدلّ على عظام الأمور مثل تغيير الملك والدولة، وانتقال الملك من قوم إلى قوم؛ والوسط على ظهور المتغلّبين والطالبين للملك؛ والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن أو عمرانها. ويقع أثناء هذه القِرانات قِران النَّحْسَيْن في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمّى الرابع. وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريخ، فتعظم دلالة هذا القِران في الفتن والحروب، وسفك الدماء، وظهور الخوارج، وحركة العساكر، وعصيان الجند، والوباء والقحط؛ ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر السعادة والنحوسة في وقت قِرانهما على قدر تيسير الدليل فيه. (خلد، قدم، ٨٢٩، ٢٠)

منجنيق

- المنجنيق هو آلة قذافة استخدمها الفينيقيون قديمًا، وعنهم أخذها اليونان والإسرائيليون، وورد ذكرها غير مرّة في سفر المكابيين، وانتشرت بواسطة اليونان في سائر دول الأرض، فاستخدمها الفرس وعنهم أخذها العرب بعد الإسلام. والمشهور أن العرب لم يستخدموا هذه الآلة إلا في أواسط القرن الأول للهجرة، بعد مخالطتهم الروم والفرس. ولكننا رأينا في السيرة الحلبية أنهم استخدموها في حصار الطائف، أرشدهم إليها سلمان الفارسي في جملة ما أرشدهم إليه من فنون الحرب الفارسية، ويقال إنه صنعه لهم بيده. وذكر صاحب هذه السيرة أيضًا أن المسلمين لما فتحوا حصن الصعب في خيبر، وجدوا فيه منجنيقات ودبابات. (زي، مدن١، ١٩٦، ١١)

منظور المؤرّخين

- منظور المؤرّخين في العراق خاصة (لا في إيران) كان منظورًا عالميًّا بسبب الصفة العالمية (الكوزموبوليتية) التي كانت تتمتّع بها بغداد، ومن ورائها العراق، فكان إنتاجها بالضرورة شاملًا لأمور وأحداث

وتراجم من كلّ قطر إسلامي وتهمّ كل قطر، بينما غلبت الصفة الإقليمية المحدودة على مدارس الأقاليم (ومنها بالطبع الشام) فهي بأرضها ألصق وبرجالها وأحداثها أكثر اهتمامًا ومساسًا. (مص، رخ٢، ٢١٨، ١٣)

منهج

- منهج عام واحد في التاريخ العام العالمي هو الذي بقي وانتشر هو منهج الطبري منهج الخبر الحولي ولكن بعد حذف الإسناد... في نصف القرن الأخير من هذه الفترة ... أي ما بين أواخر القرن السادس وأواسط السابع تظهر هبة أخرى من التواريخ العامة تطبع الفترة كلها بطابع الاهتمام التاريخي الواسع على أن أهمّ ميّزاتها أنها مع اتّباعها مدرسة الطبري الحولية وسعة نظر اليعقوبي والمسعودي في الشمول الأممي وأسلوب مسكويه في السرد السياسي دون السند ودون الاهتمام بالجو الحضاري قد ضيّقت أحيانًا مفهوم التاريخ العام كما أضافت منهجين جديدين إليه: أولًا: فأمّا ضيق المفهوم فتجلّى في اقتصارها التاريخ على تاريخ المسلمين العام وتقصيرها الزمن التاريخي على مدى التاريخ الإسلامي فقط دون السابق له، ولعلّ السبب هو توسّع هذا التاريخ وتزايد مادته من جهة واعتبار بعض المؤرّخين - سواء عن تقى أو عن اقتناع - أن تاريخ الإسلام هو الذي يهمّ الناس وهو الجدير بالتدوين والمعرفة وما عداه ممّا سلف لا يعدو أن يكون زيادة لا قيمة لها ولا أثر... ولذلك كثيرًا ما نجد كتب التاريخ العامة إنما تبدأ بعصر الرسالة. وسوف نرى خلال البحث الأمثلة العديدة على ذلك. ثانيًا: أضافت أهم كتب التاريخ العام إلى مادتها في الحوادث مادة جديدة أخذتها من كتب التراجم. وقد جاءت هذه الإضافة ذيلًا وتتمّة للقسم الإسلامي منها. ثالثًا: فتحت بابًا يأتي في نهاية حوادث كل سنة هو باب الوفيات. لقد دمج المؤرّخون منذ أواخر القرن السادس تاريخ الرجال مع الأحداث في كتاب واحد. مفهوم التاريخ العام التقى فيه عندهم لا الأمم المختلفة في المناطق المختلفة فقط ولكن التقى فيه أيضًا فرعا التاريخ الداخليان: الأحداث والتراجم. الثاني: التنظيم الأبجدي وهو ابتكار ظهر في نهاية الفترة أي في النصف الثاني من القرن السابع. ومع أنه نقل عن كتب التراجم إلا أنه يعبّر عن فكر موسوعي نما حتى أدخل أحداث التاريخ في إطاره. (مص، رخ١، ٤١١، ١٠)

منهج الإسناد

- منهج الإسناد وهو يلجأ إلى التعديل والتجريح ليؤول في نهاية الأمر إلى فحص شهادة، فهو إذن يستند على مقياس أخلاقي - ديني. فالشهادة إذن أساس منهج الإسناد، وهكذا فإن النبي هو الشاهد الأول على صحة القرآن، أي صحة نسبته إلى أصل، أي أنه "كلام

الله"، والذين عرفوا النبي من أهل جيله هم الشهود على ما قاله أو فعله أو أقرّه أو نهى عنه (أي السنّة)، ويتسلسل نقل هذا كله خلال أجيال من الناقلين (الطبقات)، وهكذا يكون الإسناد في نفس الوقت وسيلة لإتمام هذا النقل ومراقبة صحّة تسلسله وأمانته للأصل. (أوم، نهج، ٤٣، ١٧)

منهج البحث التاريخي

- منهج البحث التاريخي هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية - بقدر المستطاع - ويقدّمها إلى المختصّين بخاصة والقراء بعامة. وتلخّص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له، ثم اختيار موضوع البحث، وجمع الأصول والمصادر، وإثبات صحّتها، وتعيين شخصية المؤلّف وتحديد زمان التدوين ومكانه، وتحرّى نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها، ونقدها نقدًا باطنيًا إيجابيًا، وسلبيًا، وإثبات الحقائق التاريخية، وتنظيمها وترتيبها، والاجتهاد فيها، وتعليلها، وإنشاء الصيغة التاريخية، ثم عرضها عرضًا تاريخيًا معقولًا. (عث، بحث، ٢٠، ٦)
- منهج البحث التاريخي في تعريف مبسط هو المراحل أو الخطوات التي يمضي فيها الباحث حتى يصل إلى الحقيقة التاريخية عن طريق فحص وتحليل سجلات الماضي ومخلّفاته ثم يدوّنها ليقدّمها للناس، والحقيقة التاريخية غير مطلقة، فمن العسير جدًا بلوغ الحقيقة المطلقة لأي شيء في الماضي، بل وفي الحاضر، وذلك لعوامل كثيرة تعترض سبيل من ينشدها، ومن أهمها ضياع البراهين وانطماس الأدلّة، وتدخل الأغراض والمصالح، لذلك تقرّر منذ البداية أن الحقيقة التي يصل إليها المؤرّخ لا تعدو أن تكون حقيقة نسبية، كلما زادت نسبة الصدق فيها اقتربت من الحقيقة المطلقة. وحين يبدأ الباحث في التاريخ عمله - ولا سيما في التاريخ القديم - فإنه لن يجد بين يديه ما هو بحاجة إليه من مصادر مكتوبة، وبالتالي فإنه يستخلص مادته من مخلفات الإنسان وآثاره المادية، كالنقوش والصناعات والآثار، وهذه جميعًا تحتفظ لنا بكثير من الحقائق التاريخية، ويحتاج المؤرّخ إلى بذل كثير من الجهد لاستنباط هذه الحقائق من تلك الآثار والمخلّفات الصامتة. ويحاول المؤرّخ باستخدام المنهج التاريخي والتدوين التاريخي أن يرسم صورة لماضي الإنسان بالقدر المتاح له، ونحن نسمّي العمليتين معًا في كثير من الأحيان "بالمنهج" لأنهما دائمًا متلازمتان متواكبتان، كلاهما جزء من عمل واحد. (علف، فت، ١٣٢، ٤)
- جمع المادة ... العنصر الثالث من عناصر منهج البحث التاريخي، ونعني بذلك جمع المادة التاريخية اللازمة للبحث من المراجع والمصادر وشتّى الأصول. ولعلّ أول ما يقال في هذا الصدد هو أن المكتبة ودور المحفوظات العلمية ودور

الأرشيف التاريخي هي مختبر المؤرّخ، ومن ثم فلا بدّ أن يكون كل باحث على بيّنة ودراية تامة بطريقة استغلال المكتبات وهذه الدور. (علف، فت، ١٤٠، ١٩)

- قاعدة عامة في منهج البحث التاريخي وهي أن دراسة الأصل ينبغي أن تبدأ بتحليل محتوياته للوصول إلى المعنى الذي قصده صاحب الأصل نفسه. ويحسن أن يجري الباحث تحليله في صفحات من حجم الفلسكاب يجعل لكل منها هامشين أحدهما يمين الصفحة والثاني يسارها وذلك بثني جانبيها ثنيًا متوازيًا على مسافة معقولة، وألا يكتب شيئًا في ظهر الصفحة، وفي بحر الصفحة يكتب التحليل الذي يهتدي إليه وفي هامشيها يدوّن ما يعنّ له من ملاحظات. ويشمل التحليل دائمًا النقاط الآتية: ١- المعنى العام للوثيقة أو الأصل. ٢- مجمل محتويات الوثيقة أو الأصل. ٣- تفصيل هذه المحتويات. ٤- وجهة نظر صاحب الأصل. ٥- رأي الباحث وتعليقاته. وللوصول إلى هذه النقاط نمرّ بمرحلتين، في الأولى نفسّر ظاهر الأصل ونحدّد معناه الحرفي، وفي الثانية نصل إلى معناه الحقيقي وندرك هدف صاحبه. ونلاحظ أن المرحلة الأولى عملية لغوية في جوهرها، تتطلّب من الباحث معرفة اللغة التي كتب بها النص، وتستلزم ألا نأخذ النص بمفرداته أو بعباراته، ونحدّد معاني هذه وتلك بعيدًا عن السياق العام، وإنما ينبغي أن يتمّ التفسير في نطاق هذا السياق. أما المرحلة الثانية، مرحلة الوصول إلى هدف صاحب النص، فالسبيل إليها هو قراءة ما بين السطور حين يضطرّ صاحب الأصل إلى عدم الإفصاح عمّا في ذهنه لسبب من الأسباب، أو حين يتضمّن النص عبارات تتطلّب قسطًا من المعاناة لتفسيرها. وحين ينتهي الباحث من ذلك كله، تكون عملية البحث (النقد) الباطني الإيجابي قد تمّت، ويصبح الباحث على بيّنة من المعلومات التي أوردها صاحب الأصل، ومن أفكاره الخاصة عن الموضوعات والأحداث التي تناولها. (علف، فت، ١٤٨، ١)

منهج بورجوازي

- نعني بالمنهج البورجوازي نوع التفكير الذي تبلور في عهد مصارعة الطبقة التجارية للطبقة الإقطاعية في الغرب الأوروبي والذي ابتدأ تاريخيًّا كطريقة لدرس الظواهر الطبيعية ثم طبّق في السياسة والاقتصاد ثم في التاريخ والأدب. إذ نظرنا إليه من حيث ظروف نشأته، نستطيع أن نسمّيه بورجوازيًّا أو ماديًّا. على هذا المنهج، تكوّنت إيديولوجيا، أي مجموعة قيم تعتبر قمّة ما وصل إليه النشاط الإنساني: على أسس فكرة الطبيعة مثلًا تكوّنت إيديولوجيا طبيعية في التربية عند روسو وفي الفن عند ديدور، وعلى فكرة الحرية تبلورت إيديولوجيا الليبرالية التي تدّعي حرية الفرد السياسي هي هدف ووسيلة التطوّر البشري. إن الإيديولوجيا هي التي تشبّث

بها الطبقة أما المنهج فقد أصبح قاعدة مشتركة لكل التيارات الفكرية العصرية. لذلك من الناحية التاريخية الصرفة إن الفكر الحديث هو أساسًا الفكر البورجوازي. لكن هذا الحكم لا ينطبق على ما آلت إليه الأفكار البورجوازية الليبرالية اليوم. هذا المنهج الحديث، الجديد في تركيبه لا في جميع مكنوناته، انفصل عن منهج آخر كان هو المتغلّب في سائر المجتمعات والذي كان آنذاك خليطًا من التفسيرات الموضوعية والتعليلات الخرافية، أي أنه كان في آن واحد علمًا وإيديولوجيا. عندما تغلّب الفكر الحديث في بعض المجتمعات اكتسح فعلًا ميدان دراسة الطبيعة وطرد منه الفكر السابق وطبعًا لم يختف هذا الأخير تمامًا، بل انتعش في علوم الإنسان. فهو إذن على طبقتين: فكر سابق للفكر الحديث يحتوي على الموضوعي والخرافي، وفكر لاحق تتغلّب فيه الظاهرة الإيديولوجية، نطلق عليه أسامي مختلفة حسب الزاوية التي ننظر منها إليه: إقطاعي ميثولوجي، لا بورجوازي، لا رأسمالي، تقليدي: هذه نعوت لا تعني أنه غير معاصر أو أنه لا يعبّر عن تيارات وحركات واقعية، لكنها تشير فقط إلى أنه لم يعد يزاحم الفكر البورجوازي، الذي أصبح علمًا ومنهجًا موضوعيًّا، في دراسة الطبيعة، ويمثل قيمًا مخالفة للقيم التي سمّيناها، بسبب التولّد التاريخي، بورجوازية أو ليبرالية. (عر، فكر، ٨، ٦)

منهج تاريخي

- المنهج التاريخي يتألّف من مجموعة العناصر الآتية: ١- الثقافة الواسعة. ٢- اختيار الموضوع. ٣- جمع المادة. ٤- نقد المادة. ٥- ترتيب الحقائق. ٦- إنشاء الصيغة التاريخية. ومن المقرّر أن قيمة التاريخ الذي نقرأه في الكتب تعتمد أساسًا على اتّساع ثقافة الكاتب وإتقانه لمنهج البحث التاريخي، كما تعتمد على استعداده وملكاته الشخصية ومدى تمتّعه بالصفات التي سبق أن تحدّثنا عن وجوب توافرها في المؤرّخ. ولا شكّ أن الثقافة الواسعة هي الركيزة الأولى التي لا بدّ منها لكتابة تاريخ علمي صحيح، والمقبل على كتابة تاريخية ينبغي أن يعرف تمامًا أنه بصدد مهمّة شاقّة تقتضي منه الدراسة العميقة والتحصيل الجاد المتنوّع، والتاريخ في هذا كله لا يختلف عن غيره من سائر العلوم، فالمعرفة بعامة متداخلة متشابكة وليس في وسع أحد أن يدرس علمًا بذاته مستقلًا تمامًا عن العلوم الأخرى. (علف، فت، ١٣٣، ١)

- إختيار الموضوع: ذلك هو العنصر الثاني من عناصر المنهج التاريخي، وعملية اختيار موضوع تاريخي معيّن لدراسته والكتابة فيه تتّصل اتّصالًا وثيقًا بميول الباحث ومدى إلمامه بالعلوم المساعدة التي يتطلّبها البحث في هذا الموضوع، وهي في الواقع أول مشكلة تواجه من يتصدّى للكتابة التاريخية، ومن واجبه أن يصرف فيها وقتًا كافيًا حتى يستقرّ على ما

يريد، ويضمن قدرته على المضي فيه. (علف، فت، ١٣٦، ١٩)

منهج حولي

- المنهج الحولي في التسجيل هو الذي سيطر تقريبًا ولكنه بدوره تطوّر في اتجاهين: الأول: تطوّر أحيانًا في اتّجاه التدقيق الشديد والتقيّد بالشهر لا بالحول وأحيانًا بالأيام، ومن الأمثلة على ذلك: - كتاب الاستظهار في معرفة الدول والأخبار لأبي القاسم علي بن محمد السمناني وهو في التاريخ على الشهور. - وقد ذيل عليه بذيل الاستظهار أبو علي الحسن بن محمد بن إسماعيل القيلوي القاضي (سنة ٦٣٣هـ). - كما نظّم القاضي الفاضل يومياته على شكل تاريخ يومي سمّي بالمياومات ومع أن هذا الاتجاه لم ينتشر بسبب قسوته وعدم توافر المعلومات دومًا فيه إلا أنّه مع ذلك سوف يستمرّ في العهد المملوكي الثاني ويسجّل عددًا من المؤلّفات التي نجد في بعض أخبارها ذكرًا للساعة التي جرى فيها الحادث. الثاني: الإتجاه المعاكس وهو التحرّر من قيد الزمن كله وترك الأخبار حرّة مرسلة لا يربط بينها الزمن ولكن الموضوع وأحيانًا تداعي الأفكار وحده. وفي هذا المجال كانت الكتب "الحضارية" وكتب القصص التاريخي والحكايات عن: الأذكياء مثلًا، وعقلاء المجانين، والطنبوريين والبخلاء والجواري والتوّابين والظراف والمتماجنين، والشجعان... الخ. كما كانت كتب الحكايات والملح والنوادر... وقد مرّ معنا من هذا وذلك الأمثلة العديدة الواسعة. (مص، رخ١، ٤٢٢، ١٥)

منهج سلفي

- المنهج السلفي ... اللجوء إلى ضمان الماضي لإنجاز إصلاحات فرضها الحاضر، كتحرير المرأة باسم القرآن والحديث، مع أن المجتمع الرأسمالي الذي يعتبر في الفرد قوة العمل فقط، كيف ما كان الجنس والسن، هو الذي فرض تحرير المرأة لا الدعوة إلى المساواة بين الناس، أو كجعل الزكاة أداة التعادل بين المواطنين مع أن المساواة في التوزيع داخل مجتمع غير رأسمالي تخالف في المفهوم والنتائج المساواة في ملكية وسائل الإنتاج داخل مجتمع رأسمالي. واللجوء إلى منهج الماضي يمنع من فهم إنجازات العصر الحديث التي ضمنت كلمات حرية ومساواة وكرامة مفهومًا موضوعيًا، وبانعدام الإدراك، تنعدم إمكانيات الإنجاز الفعلي. السؤال الذي يفرض نفسه بعد تجربة قرن هو: هل اللجوء إلى منطق الماضي يقتصد الطريق، يقنع العامة، يدفع الناس إلى قبول الجديد، أم يخضع الحاضر المتجدّد لمنطق الماضي الراكد، ويقوّي بالتالي، رغم المكاسب الجزئية، دعاة الماضي، غير المقتنعين بضرورة الإصلاحات. (عر، فكر، ١٨، ١)

منهج المعاينة

- منهج "المعاينة" قبل الشروع في كتابة

التاريخ هو المنهج السليم الذي تهدي إليه إليه الحاسة التاريخية السليمة، التي تتقرّى الحقائق بلمس "الأشياء" التاريخية قبل الرجوع إلى الكتب، لأن هذه "الأشياء" عندها من صدق الواقع ما قد تخلو منه حادثة مكتوبة لغرض معيّن، أو لهوى في النفس، وقد تكون الكتب واقعة في خطأ مقصود أو غير مقصود، فلا يصحّح الخطأ إلا "المعاينة" التي تقطع قول كل خطيب. (حس، عر، ١٣٢، ٣)

منيّة

- السؤال عن المائيّة والمنيّة والهويّة محال من وجه التفتيش عن ذاته لأنّ الإشارة إلى هذه الأشياء تصوّرها في الوهم ولا يتصوّر في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه من صفات الحدث. (بلخ، بد١، ٧٨، ١)

مهاجرون

- اصطلح المؤرّخون على إطلاق كلمة المهاجرين على المسلمين الذين انتقلوا من مكّة إلى المدينة، وكلمة الأنصار على مسلمي المدينة، ومن الملاحظ أن المهاجرين كانوا فقراء تركوا متاعهم وثرواتهم ونزحوا بدينهم وعقيدتهم إلى المدينة، وقد عقد الرسول بين طوائف المسلمين أخوّة، فاتّخذ هو عليًا بن أبي طالب أخًا له، وآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد بن زهير، وبين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وهكذا، فربط الرسول بين المهاجرين والأنصار، وبذلك أصبحت كل أسرة مرتبطة بأسر كثيرة عن طريق هذه المؤاخاة، وكان لهذه المؤاخاة قوة أخوّة النسب بما في ذلك الميراث حتى نزلت آيات المواريث، وبهذه المؤاخاة خلق الرسول وحدة دينية بدل الوحدة القبلية التي كانت سائدة عند العرب. (شل، سلم، ٢٤٧، ٩)

موالٍ

- شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم؛ فإنهم إنما يشرّفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدّد الآباء في ولايتها. ألا ترى إلى موالي الأتراك في دولة بني العباس وإلى بني برمك من قبلهم وبني نُوبَخْتَ كيف أدركوا البيت والشرف وبنوا المجد والأصالة بالرسوخ في ولاء الدولة. (خلد، قدم، ٤٩٤، ٨)

موت

- الموت فسكون دائم وخمود بانقطاع الحياة وذهاب الروح. وقد سمَّى الله تعالى الجوامد مواتًا عند فقد النماء والحركة، وقيل النوم أخو الموت، وقالوا للشَّيء الخامل المنسيّ هذا ميّت. (بلخ، بد٢، ١١٦، ٢)

موجود

- حدّ الموجود ما ثبت علمًا أو حسًّا أو وهمًا وهو معنى الشيء. (بلخ، بد١، ٣٩، ١)

- (التاريخ) علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزيّن في كل محفل ومقام، وإن حمله على التصنيف فيه وفي أخبار العالم محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى في العالم ذكرًا محمودًا، وعلمًا منظومًا عتيدًا. (جو، نظم، ٩، ٢٠)

موسى

- من هبوط آدم إلى الطوفان ألفان ومائتا سنة وستّ وخمسون سنة ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم عم اثني وثلاثين سنة خلت من عمر موسى، وذلك عند خروج بني إسرائيل من مصر خمس مائة وخمسون سنة ومن خروجهم إلى سنة أربع من ملك سليمان، وذلك وقت ابتدائه ببناء بيت المَقدس ستّمائة وستّ وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبع مائة سنة وسبع عشر سنة ومن ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاث مائة وسبع وستّون سنة ومن مولد المسيح إلى هجرة النبيّ صلعم خمس مائة وأربع وستّون سنة. (بلخ، بد٢، ١٥٢، ١)

موضوع التاريخ

- تحديد موضوع التاريخ، إذن، لا يمكن أن يتناول إلّا تفصيل أسماء مطالبه وعناوينها. فموضوعه "أمور حادثة غريبة" تتناول "الإنسان والزمان". وهذان هما العنصران الأكثر تجريدًا ونظرية في تحديد التاريخ، وهما في تجريدهما اللامتناهي هذا غير قادرين على تقبّل حدّ يمتاز عن الوصف العياني لأحوالهما. لذا فإن تحديد الموضوع لا يمكن أن يتمّ إلّا بتحلّله إلى العناصر التي يتكوّن منها، بحيث تصبح مساءلة "الأحوال المفصّلة للإنسان والزمان". ليس من الممكن تحديد مطالب الملك، وهو "موضوع" التاريخ بكونه عقدة مطالبه، من تحليل مفهوم الملك، إذ إن هذا المفهوم غير موجود ولا يقوم إلّا بالكلام المباشر والعياني - الوصفي - عن الملك. لذا فإن الإحصاء، إحصاء المسائل والمطالب كما تتبدّى في كتب التاريخ إحصاء تامًّا مصنّفًا إلى أنواع من المطالب وأنواع من الأفعال، يبدو وكأنه السبيل الوحيد الذي به نتمكّن من الإمساك بـ "حقيقة" هذا الملك، وبتحديد موضوع التاريخ. (عظم، عرف، ٦٧، ١٣)

- موضوع التاريخ - كأي علم آخر من العلوم - هو الكشف عن نوع معيّن من الحقائق، وهذا النوع هو جهود الإنسان ومنجزاته في الماضي، ونستطيع أن نقول في إجابة أخرى، أن التاريخ هو العلم الذي يحاول الإجابة عن الأسئلة التي

تتعلّق بما بذلته الإنسانية من جهود منذ كانت. (علف، فت، ١١٩، ١٨)

- موضوع التاريخ أنه "معرفة الماضي الإنساني" مادته إذن هي ما جرى في الزمن السالف. (علف، فت، ١٧٤، ١١)

موضوعات

- من مؤرّخي العرب والإسلام من حاول كتابة التاريخ على حسب الموضوعات؛ لا على حسب السنين كما فعل الطبري، ولا على حسب أيام الخلفاء والحكّام كما فعل اليعقوبي والمسعودي. ومن هؤلاء المؤرّخين: عزّ الدين ابن الأثير صاحب كتاب "الكامل" المتوفي سنة ٦٣٠هـ، وشهاب الدين النويري صاحب موسوعة "نهاية الأرب" والمتوفي سنة ٧٣٣هـ، وهو مؤرّخ أديب مصري صميم من أهل إقليم بني سويف بالصعيد. وابن الأثير المؤرّخ هو أول من نبّه إلى عيب طريقة التأريخ بالسنين لأنها تقطع أوصال الحادثة الواحدة فلا تأتي عليها جملة، وإنما تتفكّك بحسب السنين. وله في ذلك عبارة لا بأس أن نشير إليها هنا، وهي قوله: (ورأيتهم - يعني الذين سبقوه من المؤرّخين - أيضًا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطّعة، لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر. فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصّها، فأما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة، فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة، فأقول: ذكر عدّة حوادث. وإذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فإني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره، لأنه إذا تفرّق خبره لم يعرف للجهل به). وهكذا ترى أن ابن الأثير يخشى من التفريق في ذكر الحوادث، ويحب التجميع فيها. (حس، عر، ١٧٣، ١٧)

موضوعية التاريخ

- تقديس اللغة أي تحجيرها في مستوى معيّن وأخذ الثقافة العتيقة كسمة تمييزية للقومية العربية، هما تشجيع الاستمرار في الفكر الوسطوي ونفي موضوعية التاريخ. أن السلفي يظنّ أنه حرّ في أفكاره، لكنه في الواقع لا يفكّر باللغة العتيقة وفي نطاق التراث، بل أن اللغة والتراث هما اللذان يفكران من خلال فكره. هذا واقع لا يعيه ولا يمكن أن يعترف به السلفي لكنه محقّق ولم يعد في استطاعة أي شخص له أدنى اطّلاع على العلوم اللسنية الحديثة أن ينكره. أما الانتقائي فإنه غالبًا ما يفكّر في نطاق الثقافة التي استقى منها معلوماته وباللغة التي استعملها لذلك؛ فتغيّب عنه تمامًا مشكلات اللغة العربية والثقافية التقليدية أو لا يهتمّ بهما كثيرًا، وبذلك

يقوّي حتمًا موقف السلفي... على الملاحظ المنصف أن يعترف أن الاستلاب الحقيقي هو الضياع في تلك المطلقات التي ذكرناها: في اللغة، في التراث، في التاريخ القديم. يفنى فيها المثقّف العربي بكل طواعية واعتزاز، ويعتبر الذوبان فيها منتهى حرية الاختيار والتعبير الصادق عن هويته القارة الدائمة. هذه هي الأوزار والسلاسل ولن نتحرّر منها إلا بكسب وعي تاريخي. (عر، فكر، ١٨٦، ١٠)

- موضوعية التاريخ بوصفه حقيقة أجنبية عني، مستقلّة عن ذاتي، وذاتية اللحظة الحاضرة، التي بدونها لن يكون لتلك الحقيقة أي معنى عندي. وعلينا أن نغذّي الواحدة بالأخرى: - أتأمل التاريخ كموضوع بازائي أو كجبل في البعد يمكن أن يدرك كله في خطوطه العامة وفي تفاصيله. وفي وسعي أيضًا أن أدمج نفسي في الحاضر الأبدي... وهناك يصير التاريخ في نظري ذلك الحاضر - نغذّي الصورة الكلية للتاريخ بالشعور بالموقف الحاضر. فأعاني الحاضر وفقًا لطريقتي في رؤية جماع الماضي. وكلما نفذت في الماضي ازدادت مشاركتي في المجرى الحاضر للأشياء جوهرية وأهمية. (علف، فت، ٢٤٤، ٢١)

مَيْل

- أغرب ما في قضية "المَيْل" عند مؤرّخي العرب الأولين هو تلك النزعة "الشعوبية" التي كانت ترمي إلى تهوين شأن العرب والحط من قدرهم، وإعلاء شأن الأعاجم. وقد ظهرت هذه النزعة الغريبة عند إخباري يتمتّع بسمعة علمية طيّبة هو "أبو عبيدة" المتوفي سنة ٢١١هـ، وقد عاش أبو عبيدة حوالي مائة عام، منها قرابة ثمانين عامًا في العصر العباسي الذي رجحّت فيه كفّة الموالي. وقد ظهرت هذه النزعة فيما كتبه عن مثالب العرب. ولا شكّ أن هذه النزعة هي وليدة تلك الحركة الشعوبية التي قصد بها تشويه تاريخ العرب. وعلى الرغم من أنها خدشت ذلك الوجه الجميل لتاريخ العرب، إلا أنها كان لها فضل قيام حركة أخرى حماسية مضادّة لها، نتج عنها الاهتمام البالغ بدراسة التاريخ العربي على مقياس رحيب. وممن عاصروا أبا عبيدة وحملوا على العرب في تاريخهم الهيثم بن عدي المتوفي سنة ٢٠٧هـ. وكان من حاملي لواء الشعوبية، ولم تسلم قريش حتى من كتاب له في مثالبها... وقد تكون هناك اعتبارات للهوى في التاريخ غير اعتبارات الانتماء إلى القبيلة، أو إلى شيعة سياسية معيّنة، كاعتبارات التقرّب من حاكم، أو الخوف منه أو مجاملته. كما أن هناك بعض الاعتبارات الشخصية التي تقوم بين الناس في علاقاتهم بعضهم مع بعض، والتي لا ينبغي إغفالها من الحسبان حين الحكم على آثار المؤرّخين وكتّاب التراجم. وعامل المنافسة مثلًا بين الرجال هو عامل لا يجوز إغفاله في تعليل أكثر الحملات العنيفة التي قد نراها عند بعض المؤرّخين. (حس، عر، ٤٢، ١١)

ن

نار

- سبعة أمور لسبعة من الأنبياء: القربان، كان حكمًا لآدم - عليه السلام - فمن أحرقت النار قربانه علم أنه محق، ومن لا فلا. والسفينة، كانت حكمًا لنوح - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تتحرّك علم أنه محق، وإن تحركت علم أنه مبطل. والسلسلة، كانت حكمًا لداود - عليه السلام - فمن وصلت يده إليها علم أنه محق، ومن لم تصل يده إليها علم أنه مبطل. والنار، كانت حكمًا لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فمن وضع يده عليها ولم تحرقها فهو محق، ومن أحرقت يده فهو مبطل. والصاع، كان حكمًا ليوسف - عليه السلام - فمن وضع يده عليه وسكت علم أنه محق، وإن صوت وصاح علم أنه مبطل. والحفرة في صومعة سليمان - عليه الصلاة والسلام - كانت حكمًا له، فمن وضع رجله فيها ولم تأخذه علم أنه محق، ومن أخذته علم أنه مبطل. وقلم من حديد، كان حكمًا لزكريا - عليه السلام - وكان الناس يكتبون اسم الخصم عليه، ويلقونه في الماء، فإن جرى على الماء علم أنه محق، وإن رسب في الماء علم أنه مبطل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ (آل عمران: ٤٤). فلما بلغت النبوّة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - جُعِلَت البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر، كي يستتر من كان كاذبًا ويصير أمره إلى الله عزّ وجلّ. (كاف، مخ، ٨٥، ٧)

ناظر الإنشاء

- ناظر الإنشاء الشريف فهو كاتب السرّ وكاتم السرّ يطلق في حقّه ناظر الإنشاء الشريف. وناظر دواوين الإنشاء الشريف لأن بكلّ مملكة ديوان إنشاء، وقيل إن أوّل من وضع الخطّ العربيّ وصنع حروفه وأقسمه ستّة أشخاص من طسم كانوا نزولًا عند عدنان بن أُدد أسماؤهم أبجد، وهوّز، وحُطّي، وكلمُن، وسعفص، وقرشت، فلمّا أن وجدوا أحرفًا خارجةً عن أسمائهم ألحقوها بها وسمّوها روادف، وروي أنّ أوّل من أتى أهل مكّة بكتابة العربية سفيان بن أميّة بن عبد شمس ثم انتشرت، وقيل غير ذلك. والكاتب عضد معين وعون مسعد ولا بدّ للمملكة منه ولا غنى لها عنه ومراتب الكتابة المتعلّقة بالسلطنة كانت قديمًا ثلاثًا كتابة الإنشاء وكتابة الجيش وكتابة الأموال. (شاه، زبد، ٩٨، ١٦)

نبط

- النبط من ولد ماش سمّوا نبطًا لإنباطهم المياه ويقال أيضًا النبط من ولد شاروغ بن أرعو بن فالغ بن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وأن النمروذ هو أخو شاروغ

بن أرعوا، والأنبياء عليهم السلام كلهم عجميها وعربيها، والعرب كلها يمنيها ونزاريها من ولد سام بن نوح. (قتي، خبط، ١٤، ٢)

ندوة

- الندوة: وهي دار بناها قصي بجانب الكعبة للشورى فيجتمع فيها كبار قريش للمشاروة، ولا يدخلها إلا من بلغ الأربعين من عمره. وكان لا يتزوّج رجل ولا امرأة إلا في تلك الدار، ولا يعقد لواء الحرب إلا فيها ولا تدرع جارية من قريش إلا فيها فيشقّ صاحب الدار درعها ويدرعها بيده. وكانوا يفعلون ذلك في بناتهم إذا بلغن الحلم. وكانت دار الندوة في أيدي بني عبد الدار. (زي، مدن١، ٣٨، ٢٣)

نسّابون

- خدم النسّابون الدراسات التاريخية بإعطاء الأنساب مع بعض المعلومات عن حياة الشخصيات (خاصة عند مصعب الزبيري). وهنا يتبيّن أن الحاجات الاجتماعية والمنازعات القبلية، والانقسامات السياسية بين القبائل، كانت الدافع للاهتمام. وهذه الدراسات هيّأت عن إشراف القبائل ما هيّأته كتب الطبقات عن المحدثين ولكن بدرجة أقلّ بكثير من ناحية المادة. (دو، نشأ، ١٢٦، ١٠)

نسب

- لم يكن لاطّراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها، وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميّزون بها عند أمرائهم. ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم، وفسدت الأنساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطُّرِحَت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان. (خلد، قدم، ٤٨٦، ١٣)

- ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنُّعْرة والتناصر، فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى. وتعديد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها. فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب. وتفاوت البيوت في أهل الشرف بتفاوت العصبية؛ لأنه سرّها. (خلد، قدم، ٤٩٢، ٢)

- غلط أبو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الأوّل: "والحسب هو أن يكون من قوم قديم نُزُلُهُم بالمدينة"، ولم يتعرّض لما ذكرناه. وليت شعري ما الذي ينفعه قِدَمُ نُزُلهم بالمدينة إن لم تكن له عصابة يُرْهَب بها جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه؟ فكأنه أطلق الحسب على تعديد الآباء فقط. مع أن الخطابة إنما هي إستمالة من تؤثر استمالته وهم أهل الحل والعقد. وأما من لا قدرة له البتّة فلا يُلتفت إليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا

يُستمال هو. وأهل الأمصار من الحضر بهذه المثابة. إلا أن ابن رشد رَبِيَ في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا أنسوا أحوالها؛ فبقي في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعديد الآباء على الإطلاق، ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرّها في الخليقة. (خلد، قدم، ٤٩٣، ٣)

نشأة التاريخ

- شاركت بعض العلوم العربية في نشأة التاريخ ودراسته وكانت هذه المشاركة من السعة أحيانًا بحيث لا يمكن فهم تلك النشأة إلا في إطار الفعاليات الثقافية الأخرى. فدراسات الشعر العربي وجمعه بخاصة ودراسة اللغة والأدب والنحو وأسرار البلاغة كلها أدّت بشكل أو بآخر إلى حفظ الكثير من الأخبار والأحداث المتعلّقة بذلك الشعر وبمفردات اللغة والنثر الفني الأدبي. وتكوّنت من حصيلة تلك الأخبار المادة التاريخية الأولية التي خدمت المؤرّخين خدمة هامّة. وفي هذه الناحية أيضًا كان طبيعيًا أن نجد بين كبار اللغويين والرواة من كانوا في الوقت نفسه من الإخباريين البارزين ويمثّل هؤلاء خاصة: أبو عبيدة (المتوفي سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م) تلميذ عمرو بن العلاء الذي شمل باطلاعه كافة المعارف العربية، فكان كما أجمع الجاحظ وأبو الفرج الأصبهاني وابن النديم "من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها" وقد ألّف عددًا من كتب التاريخ التي تغلب عليها العناية اللغوية، كما كتب في المثالب والمفاخر والأخبار. تشجيع الخلفاء والحكام، فلقد كانت رغبة بعض الخلفاء الأمويين والولاة في المعرفة التاريخية - وإن كانت لها أسبابها بالنسبة إليهم - مشجّعًا لإدخال هذه المعرفة بين المعارف النبيلة المطلوبة في المجتمع الإسلامي. (مص، رخ١، ٦٦، ١٠)

نص

- لا يدخل الخبر إذن تأويل أو تفسير. فالخبر، كما يقول ابن خلدون بصدد الأنساب والقصص، أمر لا يدخله النسخ ولا يبقى إلا تحرّي صحته في "النسخ الصحيح والنقل المعتبر"، فهو لا يقتني حيزًا ما وراء الخبري كما في الأخبار الشرعية التي تنسخ بعضها البعض لأنها خطاب مطلق يقتضي أن تتوافق معه جميع الألفاظ. ولما كان الخبر بمنأى عن الفاعلية التفسيرية، فلا يبقى إلا القبول أو الرفض من جهة أخرى. فليس هناك ثمّة خلل وانحياز في منحى سردي ما، بل هناك فقط الخطأ. وليس هناك إيمان خاطئ، بل هناك مجرّد الوهم. فليس في الواقع فاعلية للامباشرة، بل هو قائم في وضعانيته. كذلك الأمر، ليس في الأخبار عن هذا الواقع أي فاعلية خطابية، بل هو يقوم على الإنباء المباشر والتام. وكل ما عدا المباشرة هذه كذب بالنسبة للواقع، وتحريف (عوضًا عن تفسير) للنص.

فالنص، شأنه شأن الواقع، حيّز للمعاني التي لا تستقيم إلّا بثبوتاتها الحاصل في ثباتها، وتصبح العملية التفسيرية بمثابة بحث قاموسي لفاعلية ترجمة تتمّ فيها المطابقة التامة، معرفيًّا وأنطولوجيا، بين الواحد والآخر، بين العين واللسان، وبين اللسان والقلم، بين الخبر والقول، وبين القول والخطاب - يجري بين هذه كلها حيّز استمرار تام يجعلها طبقات خارجية لوحدة جوهرية هي الواقع الذي ينتقل من العيان إلى الورق. ولئن أصاب العلماء في بيانها أن العلاقة بين الكتابة والعبارة والذهن والعيان علاقة دلالة المتقدّم على متأخّره، إلّا أن فعل الدلالة في إطار علم الخبر يختزل إلى واحد من الحدّين اللذين يحصران مجال المعاني الذي تعبره عبارة "دلالة"، ألا وهو اتّصال الأشباه صلة المثل بالمثل. فالوحدة دلالة تامة ومطابقة مطلقة -. (عظم، عرف، ٢٦، ٩)

نظام الملك

- نظام الملك لا يكون إلا إذا كان السلطان غير رشيد ويكون قد عيّنه بعهد من السلطان بالسلطنة وللنظام التصرّف في تعلّقات الملك خلا الأموال، لكن بمراجعة السلطان وله أبّهة أميز من غيره من الأمراء. (شاه، زبد، ١١٢، ٨)

نظرة تاريخية

- النظرة التأريخية التي تتجلى في هذا التيار القومي. إن هذه النظرة، في ما يبدو لنا، تتّصف بما يلي: ١- إقبال على الماضي إقبالًا يكاد في بعض الأحيان يبلغ حدّ الانغماس التام والخضوع الكلّي له، بحيث ينصرف الخيال والفكر والسعي إلى ما يبدو لنا في ذلك الماضي من أمجاد، فنقف عندها ونتغنّى بها وننزع إلى إحيائها وبثّ روائعها في القلوب والنفوس. يتجلّى هذا الإقبال وهذا الاستيحاء في مظاهر عدّة: منها المكانة التي نحلّ بها التأريخ القومي في مناهجنا الرسمية، واتّجاه هذه المناهج والكتب التي تؤلّف لتطبيقها، ومنها هذا الميل الجارف الذي نجده عند أدبائنا إلى معالجة موضوعات التاريخ القومي، وإلى كتابة سير أبطاله وإحياء أمجاده بأسلوب شعبي مشوّق . . . ٢- إن هذا الإحياء القومي الذي نبتغيه ونسعى إليه يختلف حسب تقديرنا لواقعنا وحسب الصورة التي نرسمها لمستقبلنا. فالذين يؤمنون منا بقومية عربية شاملة ينصبون على التاريخ العربي والحضارة العربية. أما الذين يؤمنون بقومية أخرى - سورية كانت أو لبنانية أو مصرية أو عراقية - فإن كل فريق منهم ينصرف إلى إحياء مجد البلد الذي يخصّه والحضارة التي يعتقدها لبّ قوميّته وميزة أمته. وهنا أيضًا نجد ما يماثل هذا الاختلاف في اختبارات الأمم التي سبقتنا في هذا التطوّر. نجده في تاريخ فرنسة وألمانية وإيطالية وغيرها من الأمم. وهو إن دلّ على شيء، فعلى حقيقة أساسية تتغلغل في فكر الإنسان وفي كيانه، وتتراءى لنا من مختلف نوافذ

البحث الذي نتناوله في هذه الفصول. هذه الحقيقة هي أن نظرة الإنسان لماضيه تتأثر إلى حدّ بعيد بنوع تقديره لحاضره وبالصورة التي يرسمها لمستقبله. ففي ذهن الإنسان الحي ونفسه يتجاذب الحاضر والماضي والمستقبل تجاذبًا دائمًا، وتتفاعل جميعها تفاعلًا مستمرًا، فلا يستطيع الفرد أو الشعب أن ينصرف إلى أي منها انصرافًا تامًا مستقلًا بل هو أبدًا في وسط تجاذبها وملتقى تفاعلها. والنظرة التي يكوّنها لكل منها، وقيمة هذه النظرة وأثرها، تأتيان دائمًا نتيجة لنظرته المشتركة لها جميعًا. ٣- إن لب الماضي، حسب هذه النظرة القومية، هو الماضي القومي. وهذه النظرة، إذ تضخّم هذا الماضي، تهمل في أحيان كثيرة الروابط التي تشدّه إلى تواريخ الشعوب والأمم الأخرى، وتسهو عن وحدة التاريخ البشري المتشابكة. والخطأ الذي يؤدّي إليه مثل هذا الموقف هو بتر هذه الوحدة وإغفال المؤثرات الخارجية التي تعرّض لها الشعب في مراحل حياته، أو الانتقاص من قيمتها وأثرها. فكثيرون منا مثلًا يبدأون درس التاريخ العربي بالجاهلية، ويتابعون مجراه تحت حكم الخلفاء في الحجاز والشام وبغداد ومصر والأندلس حتى سقوط بغداد في أيدي التتر أو زوال ملك أبي عبد الله في غرناطة، ثم يقفزون متخطّين قرونًا عديدة إلى عصر النهضة الحديثة. وهم في غالب الأحيان يضربون صفحًا عن كل ما جرى في هذه البلاد العريقة قبل ظهور العرب في ميدان الفعل التاريخي، ويهملون التفاعلات الحضارية التي حدثت بعد ظهورهم بينهم وبين سواهم من الشعوب، فيعزلون بذلك التاريخ العربي عن المجاري التي انصبّت فيه وتلك التي انصبّ فيها، ويخلّون بوحدة الحياة الكبرى التي يؤلّف هذا التاريخ جزءًا منها. إن أي فصل بين أجزاء الحياة المتماسكة أو أي تقطيع للخيوط التي تربطها أو أي سدّ مصطنع نقيمه بين مجاريها، إن أي انحراف من هذا القبيل يقف دون فهمنا الصحيح للحياة البشرية وحكمنا الصادق لها أو عليها وتحكمنا الفاعل بها. وسنعود إلى هذا في مناسبة أخرى. ٤- أما من حيث نقد حوادث التاريخ أو تعليلها، فإن الذين يتّجهون هذا الاتّجاه لا يتّخذون موقفًا معيّنًا ثابتًا بل يختلفون في نوع مواقفهم ودرجة وضوحها وحدّتها. فنراهم من جهة النقد يتأرجحون بين التصديق التام لروايات التأريخ وتغليب الخيال والوهم على النقد والتجريح وبين النظرة الموضوعية التي تنزع إلى التحقيق والتدقيق واستخراج اللبّ الصحيح مما علق به من خطأ وبطلان. منهم من هو في الطرف الأول، ومنهم من هو في الطرف الآخر، ومنهم من هو على درجات متفاوتة بينهما، وإن كانت الغلبة لا تزال، فيما نعتقد، للتصديق وللانسياق في مجرى الخيال المثير المضخّم أكثر مما هي للنقد الضابط المقيّد. وكذلك الأمر في التعليل: فبين تعليل لا يزال ثيوقراطيًّا في جوهره

واتّجاهه وآخر يشدّ الحياة القومية إلى جذورها الطبيعية والبشرية، تضطرب الميول وتختلف المنازع، واعية أو غير واعية، وتتّخذ مواقف متفاوتة، بحيث لا يمكننا أن نطلق عليها حكمًا عامًّا أو وصفًا مميّزًا. ونحن نرى هذا لا عندنا فحسب، بل عند شعوب أخرى، في حال كحالنا أو في أحوال مختلفة. إذ قلّ بين الناظرين إلى الماضي - بل قلّ بين المؤرّخين الاختصاصيين أنفسهم - من أوضح في ذهنه تفسيره لنشوء الحوادث وتطوّرها وسلك مذهبًا صريحًا ثابتًا في تعليله. (زري، نحن، ٣٣، ٢٥)

نظمية

- النظمية. التراث يكون نظامًا كاملًا مغلقًا. والمقصد، مبدأ الانتقاء، يسيّر كل مظاهر الحياة، الفكرية، الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية، العملية، الفنية، الأدبية، حيث تتّجه جميعها وجهة واحدة. ترتيب العناصر فيها ترتيب واحد. المشكلات فيها متناظرة والفصل فيها يخضع لقانون واحد. لا توجد فيها ظواهر متنافرة منثورة بدون مبرّر. (عر، فكر، ١٠٧، ٢٤)

نعرة

- صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل. ومن صلتها النُّعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة. (خلد، قدم، ٤٨٤، ٣)
- النُّعرة تقع عن أهل نسبهم لمخصوص وعن أهل النسب العام؛ إلا أنها في النسب الخاص أشدّ لقرب اللحمة. والرياسة فيهم إنما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل. ولما كانت الرياسة إنما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتتمّ الرياسة لأهلها. فإذا وجب ذلك تعيّن أن الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص بأهل الغلب عليهم؛ إذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمّت لهم الرياسة. فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى فرع، ولا تنتقل إلا إلى الأقوى من فروعه، لما قلناه من سرّ الغلب، لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج في المتكوّن؛ والمزاج في المتكوّن لا يصلح إذا تكافأت العناصر؛ فلا بدّ من غلبة أحدها، وإلا لم يتمّ التكوين. فهذا هو سرّ اشتراط الغلب في العصبية. ومنه تعيّن استمرار الرياسة في النصاب المخصوص بها. (خلد، قدم، ٤٨٨، ٧)

نفس

- النفس التي فينا مركّبة من أربعة أشياء وهي: العقل والعلم والرأي والحواسّ، ومنها تكون كلّ صناعة وكل مهنة وبها كنّا نحسّ أنفسنا. (بلخ، بدا، ١٣٧، ٧)
- سُمّيت النفس نفسًا لتنفُّسها ويُعبّر عن القلب بالنفس. (بلخ، بد٢، ١١٣، ٦)
- النفس جسم لطيف له مساحة البدن على

طوله وعرضه وعمقه وأنّه متداخل بعضه في بعض وكلٌّ في كلّ، واستدلّوا على أنّ جميع أجزاء النفس في جميع أجزاء البدن بأنّك كلّما قطعت جزءًا من أجزاء البدن وجدت له ألمًا ولولا النفس لم يألم. (بلخ، بد٢، ١٢٠، ١٢)

- النفس في البدن على التدبير والأحداث للأفاعيل ولا يقال هي البدن على السكون والحركة وذلك أنّ السكون والحركة إنّما تجوز على كلّ ذي مساحة وجسم على ما يحويه الأمكنة، ويجوز عليه النقلة من موضع إلى موضع ولا تجوز النقلة على شيء إلّا بأحد أمرين إمّا بجسم يرفع الجسم من مكان إلى مكان فإذا لم يكن جسمًا لم يمكن منه على الرفع والجرّ. (بلخ، بد٢، ١٢١، ١)

- كلّ ذي نفس ذو روح وحياة وكلّ ذي روح ذو حياة وليس كلّ ذي حياة ذا روح ونفس، لأنّ الأرض تحيا بالنبات وليست بذات روح، والبهائم حيوانات ذوات أرواح وليست بذوات أنفس، فالإنسان له نفس وروح وحياة فتمييزه وعقله وفطنته وفهمه من قبل نفسه وعيشه وبقاؤه ونماؤه من قبل روحه وحسُّه وإدراكه المحسوسات من قبل حياته، فالذي يبطل بموته حياته والنفس والروح ينتقلان عنه إلى أن يأذن الله في البعث والحشر. (بلخ، بد٢، ١٢٩، ٦)

- النفس على أخذ أمر النشأة الأخرى فَلْيَقِسْها على نشأة أوّل الخلق من جمع طين وما ضمّ إليه من حرارة الحياة. (بلخ، بد٢، ٢٢٨، ١٤)

نفوس بشرية

- النفوس البشرية على ثلاثة أصناف: صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني، فينقطع بالحركة إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي للفكر في البدن؛ وكلها خيالي منحصر نطاقه؛ إذ هو من جهة مبدئه ينتهي إلى الأوليات ولا يتجاوزها، وإن فسد فسد ما بعدها. وهذا هو في الأغلب نطاق الإدراك البشري الجسماني. وإليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم. وصنف متوجّه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والإدراك الذي لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك. فيتّسع نطاق إدراكه عن الأوليات التي هي نطاق الإدراك الأول البشري، ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية، وهي وجدان كلها لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها. وهذه مدارك العلماء والأولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية، وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة في البرزخ. وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيّتها وروحانيّتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير في لمحة من

اللمحات ملكًا بالفعل، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللمحة. وهؤلاء الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم؛ جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللمحة، وهي حالة الوحي، فِطرة فطرهم الله عليها وجبلة صوّرهم فيها، ونزّههم عن موانع البدن وعوائقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية، بما ركّب في غرائزهم من القصد والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة، وركّز في طبائعهم رغبة في العبادة تُكشف بتلك الوجهة وتسيغ نحوها. (خلد، قدم، ٤٠٨، ١٠)

نقابة

- النقابة، ونعني نقابة الأشراف، سمّوها بذلك إشارة إلى أنها تتعلّق بأشراف المسلمين وهم أهل بيت رسول الله. وذلك أنهم كانوا يجلّون حرمة أهل البيت فكانوا يجعلون منهم رئيسًا يتولّى أمورهم ويضبط أنسابهم ويدوّن مواليدهم ووفياتهم، وينزّههم عن المكاسب الدنيئة ويمنعهم من ارتكاب المآثم ويطالب بحقوقهم ويدعوهم إلى أداء الحقوق، وينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم في سهم ذوي القربى من الفيء والغنيمة، ويقسمه بينهم ويمنع الأيامى منهم أن يتزوجن إلا من الأكفاء وغير ذلك ممّا يشبه الوصاية العامة، وكان نقيب الأشراف وصيهم. وكانت نقابة الأشراف من المناصب السامية، ولها الشأن الأول من الشرف بعد الخلافة. (زي، مدن١، ٢٦١، ٥)

نقد

- تتلو عملية التفتيش والجمع هذه أو تصاحبها عملية النقد. فالمؤرّخ لا يأخذ الوثائق على علاتها، بل يعمد، بأساليب من النقد والتمحيص، إلى فحص كل منها لتبيّن قيمته ومدى إمكان الركون إليه في استخراج أخبار الماضي. وهذه الأساليب النقدية متعدّدة متتابعة، تقسم عادة قسمين رئيسيين: النقد الخارجي الذي يتّجه إلى تثبيت نصّ الوثيقة وتعرّف مؤلّفها وزمانها ومكانها، والنقد الداخلي الذي يتناول روايات النص لفهم معناها، وقدر اتجاهات مؤلّفها ومدى تسرّب الخطأ إليها أو تأثير التشيّع فيها. (زري، نحن، ٧١، ٨)
- الشكّ والنقد. ولا نغالي إذا قلنا إن التأريخ بدأ يتّخذ صفة علمية منذ أن أخذ رجاله يشكون في الروايات التي نقلت إليهم بالسماع أو الكتابة، ومنذ أن عمدوا إلى نقد صفات رواتها أو حاولوا امتحان مضمونها. وما فتئ تطوّر التأريخ كبحث علمي مرتبطًا أشدّ ارتباط بتقدّم هذا النقد وانضباط قواعده واتّساع تطبيقه. (زري، نحن، ٩٢، ٤)
- الفضيلة هي هنا، بالمعنى الأرسطوطاليسي، وسط بين طرفين: بين انعدام الشكّ والنقد، والمغالاة فيهما. وقد بدت هذه المغالاة (hypercriticism)

عند بعض المؤرّخين الغربيين، فاستسلموا إلى الشكّ كما استسلم سواهم إلى التصديق، وتطرّفوا في التساؤل والإنكار كما تطرّف هؤلاء في القبول والإثبات، وطغت على عملهم الروح السلبية فلم يجلب شكّهم ونقدهم الفائدة الإيجابية المرجوّة. ولعلّ أهم صفة تطلب من العالم هي صفة الاتّزان، ولعلّه أحوج ما يكون إليها في هذه الناحية النافذة المؤثرة من عمله: ناحية النقد والتجريح. فما أحرى المؤرّخ، وهو من أشدّ العلماء تعرّضًا للأهواء والنزعات. بأن يحرص على هذا الاتّزان، وأن يلتزمه في ما يحاول من اتّهام وتبرئة، وما يقبل عليه من تجريح وتعديل. (زري، نحن، ٩٥، ١٦)

- مرحلة النقد؛ وفي هذه المرحلة يفحص المؤرّخ ما جمع من مادة تاريخية ليتأكّد من صحّة أصلها، ودقّة روايتها، وكون عبارتها قابلة للتصديق، ولهذا يتحتّم على المؤرّخ أن يكون على علم بالاتجاهات الفنية المعمارية التي سادت في العصر الذي يدرسه ليتحقّق من نسبة الآثار المعمارية إليه، وأن يعرف ظروف المؤرّخين الذين يقتبس منهم، ومدى ما استمعوا به من حرية ومواهب وخلق. (شل، سلم، ٢٨، ٣)

- النقد نوعان، هما النقد الخارجي أو الظاهري، وهدفه دراسة مدى الأصالة في المصادر؛ والسبيل إلى ذلك هو التثبّت من صحة الأصل التاريخي ومعرفة نوع الورق المدوّن عليه الأصل، وأسلوب الخط الذي كتب به، وكذلك معرفة المؤلّف، ومكان التدوين وزمانه. ثم النقد الباطني أو الداخلي، ويهدف إلى الوقوف على حقيقة شخصية المؤلّف بدراسة حالته النفسية والعقلية أثناء قيامه بالكتابة، ومحاولة الكشف عن أهدافه من الكتابة، وهل كان واثقًا من صدق ما كتب؟ وهل كانت لديه الأدلّة والبراهين الكافية التي تجعله واثقًا من هذا الصدق؟ والأساس الذي ينبني عليه النقد بنوعيه هو الشكّ فيما ورد في الأصل التاريخي، ثم الدراسة الواعية المتعمّقة لكل ما نقرأ فيه لاستخلاص الحقائق، وتلك مهمة بالغة العسر، لأن المرء بطبيعته يميل إلى تصديق كل ما يصادف هوى في نفسه، بينما يميل بنفس الدرجة إلى تكذيب كل ما يصطدم برغباته وميوله، ونحن لا نستطيع أمام هذه الحقيقة أن نأخذ كل ما يصادفنا من مدوّنات على أنه حقيقة خالصة، لأن الناس يختلفون في ميولهم ونزعاتهم وأهوائهم وما يعتنقون من قيم. (علف، فت، ١٤٤، ٩)

نقد باطني

- عدّة مراحل للنقد. فالنقد الظاهري (External criticism) يتعلّق بعدّة أمور، مثل إثبات صحة الأصل التاريخي، ونوع الخط والورق، وتعيين شخصية المؤلّف وزمان التدوين ومكانه. أما النقد الباطني (Internal criticism) فيبحث في الحالات العقلية التي مرّ خلالها كاتب الأصل التاريخي، ويحاول أن يتبيّن قصد الكاتب بما كتب، وهل كان يعتقد صحّة ما كتبه، وهل توفّرت المبرّرات

التي جعلته يعتقد صحّة ذلك؟ وأساس النقد الحذر والشكّ في معلومات الأصل التاريخي، ثم دراسته وفهمه واستخلاص الحقائق من ثناياه، وما أكثر ما يتكلّم الناس عن ضرورة النقد، ولكن كثيرين منهم لا يطبقونه عمليًا، لأنه ليس بالأمر السهل. (عث، بحث، ٨١، ٧)

- النقد نوعان، هما النقد الخارجي أو الظاهري، وهدفه دراسة مدى الأصالة في المصادر؛ والسبيل إلى ذلك هو التثبّت من صحة الأصل التاريخي ومعرفة نوع الورق المدوّن عليه الأصل، وأسلوب الخط الذي كتب به، وكذلك معرفة المؤلّف، ومكان التدوين وزمانه. ثم النقد الباطني أو الداخلي، ويهدف إلى الوقوف على حقيقة شخصية المؤلّف بدراسة حالته النفسية والعقلية أثناء قيامه بالكتابة، ومحاولة الكشف عن أهدافه من الكتابة، وهل كان واثقًا من صدق ما كتب؟ وهل كانت لديه الأدلّة والبراهين الكافية التي تجعله واثقًا من هذا الصدق؟ والأساس الذي ينبني عليه النقد بنوعيه هو الشكّ فيما ورد في الأصل التاريخي، ثم الدراسة الواعية المتعمّقة لكل ما نقرأ فيه لاستخلاص الحقائق، وتلك مهمة بالغة العسر، لأن المرء بطبيعته يميل إلى تصديق كل ما يصادف هوى في نفسه، بينما يميل بنفس الدرجة إلى تكذيب كل ما يصطدم برغباته وميوله، ونحن لا نستطيع أمام هذه الحقيقة أن نأخذ كل ما يصادفنا من مدوّنات على أنه حقيقة خالصة، لأن الناس يختلفون في ميولهم ونزعاتهم وأهوائهم وما يعتنقون من قيم. (علف، فت، ١٤٤، ١٢)

- النقد الباطني عملية تستهدف الوصوف إلى الحقيقة التاريخية من خلال الوثائق والأصول، ونحن نعرف أن الأصل التاريخي يصل إلينا وقد مرّ بعدد من العمليات التي لا يوضحها لنا صاحبه، فهو لا يقول لنا كيف لاحظ الوقائع، ولا كيف جمع معلوماته، ولا كيف دوّنها، وتلك كلها أمور تهمّنا كل الأهمية ولا بدّ من الوقوف عليها. والسبيل إلى ذلك هو تحليل الوثيقة أو النص التاريخي تحليلًا دقيقًا، والتحليل هو أول عمليات النقد، ولا يمكن أن يكون هناك نقد بدون تحليل. ويمكن أن نقول أن عملية التحليل تمرّ بمرحلتين، المرحلة الأولى نحاول فيها أن نتحقّق من معنى الألفاظ وقصد الكاتب، وذلك نسمّيه "النقد الباطني الإيجابي"، والمرحلة الثانية نحاول فيها أن نتبيّن مدى الصحة في المعلومات المدوّنة بالنص، عن طريق تمحيصه واستبعاد الزائف منه، وذلك نسمّيه "النقد الباطني السلبي". (علف، فت، ١٤٧، ٨)

نقد باطني إيجابي

- النقد الباطني الإيجابي (hermeneutic) عبارة عن تحليل الأصل التاريخي بقصد تفسيره وإدراك معناه. ويمرّ ذلك في دورين: أولًا: تفسير ظاهر النص وتحديد المعنى الحرفي له. ثانيًا: إدراك المعنى الحقيقي للنص ومعرفة غرض المؤلّف مما كتبه.

وتحديد المعنى الحرفي لنص تاريخي معيّن عبارة عن عملية لغوية. ولا بدّ لفهم كل نص تاريخي من معرفة اللغة التي كتب بها. ولا تكفي المعرفة العامة لهذه اللغة، بل من الضروري فهم دقائقها، فضلًا عن الإلمام بلغة العصر التاريخي الذي يرجع إليه ذلك النص، مع الإستعانة بعلم الفيلولوجيا إذا اقتضى الأمر ذلك. (عث، بحث، ١١٦، ٢١)

- قاعدة عامة في منهج البحث التاريخي وهي أن دراسة الأصل ينبغي أن تبدأ بتحليل محتوياته للوصول إلى المعنى الذي قصده صاحب الأصل نفسه. ويحسن أن يجري الباحث تحليله في صفحات من حجم الفلسكاب يجعل لكل منها هامشين أحدهما يمين الصفحة والثاني يسارها وذلك بثني جانبيها ثنيًا متوازيًا على مسافة معقولة، وألا يكتب شيئًا في ظهر الصفحة، وفي بحر الصفحة يكتب التحليل الذي يهتدي إليه وفي هامشيها يدوّن ما يعنّ له من ملاحظات. ويشمل التحليل دائمًا النقاط الآتية: ١- المعنى العام للوثيقة أو الأصل. ٢- مجمل محتويات الوثيقة أو الأصل. ٣- تفصيل هذه المحتويات. ٤- وجهة نظر صاحب الأصل. ٥- رأي الباحث وتعليقاته. وللوصول إلى هذه النقاط نمرّ بمرحلتين، في الأولى نفسّر ظاهر الأصل ونحدّد معناه الحرفي، وفي الثانية نصل إلى معناه الحقيقي وندرك هدف صاحبه. ونلاحظ أن المرحلة الأولى عملية لغوية في جوهرها، تتطلّب من الباحث معرفة اللغة التي كتب بها النص، وتستلزم ألا نأخذ النص بمفرداته أو بعباراته، ونحدّد معاني هذه وتلك بعيدًا عن السياق العام، وإنما ينبغي أن يتمّ التفسير في نطاق هذا السياق. أما المرحلة الثانية، مرحلة الوصول إلى هدف صاحب النص، فالسبيل إليها هو قراءة ما بين السطور حين يضطرّ صاحب الأصل إلى عدم الإفصاح عمّا في ذهنه لسبب من الأسباب، أو حين يتضمّن النص عبارات تتطلّب قسطًا من المعاناة لتفسيرها. وحين ينتهي الباحث من ذلك كله، تكون عملية البحث (النقد) الباطني الإيجابي قد تمّت، ويصبح الباحث على بيّنة من المعلومات التي أوردها صاحب الأصل، ومن أفكاره الخاصة عن الموضوعات والأحداث التي تناولها. (علف، فت، ١٤٨، ٢١)

نقد باطني سلبي

- النقد الباطني السلبي عملية ضرورية لتصفية الحقائق واستبعاد الزائف منها، بقدر المستطاع. ونظرًا لصعوبة النقد الباطني السلبي فإن بعض الباحثين لم يعنوا به عنايتهم بالنقد الباطني التفسيري الإيجابي، واكتفوا بأن يعرفوا هل كان كاتب الأصل التاريخي معاصرًا للحوادث التي كتب عنها، وهل كان شاهد عيان صادقًا في رواية ما اعتقد أو ما تصوَّر حدوثه؟ وعلى كل حال فإن هذا القدر من النقد أفضل من لا شيء، وقد أفاد من غير شكّ في دراسة التاريخ وكتابته. ولكن ينبغي تطبيق النقد

الباطني السلبي بطريقة أدقّ وأعمق. فعلى الباحث في التاريخ أن يجعل قدرًا كبيرًا من الشكّ كنقطة البدء في بحثه. وكل المعلومات التي لم تثبت صحتها ينبغي أن ينظر إليها بروح من الشكّ، حتى يمكن الوصول إلى الأدلّة التي تثبت صحتها. ولا يملك الباحث حقّ اعتبار هذه المعلومات صحيحة دون أن تتوفّر لديه الأدلّة الكافية التي تثبت له ذلك. والاتجاه العام الذي يحدث في أحوال كثيرة، هو أن الباحث في التاريخ ينقد الأصل التاريخي كوحدة عامة، ويقسّم الأصول التاريخية قسمين، أصول موثوق بصحتها، وأصول غير موثوق بصحتها. والأصول التي تُعدّ صحيحة كوحدة عامة تقبل كل معلوماتها على أنها حقائق مسلّم بصحتها، ولا يخامر الباحث الشكّ في جزء منها، والعكس بالنسبة للأصول التي يتقرّر أنها ليست أهلًا للثقة بها. وأحيانًا قد يقنع الباحث بإثبات صحة الأصل التاريخي وبالتأكّد من أنه غير مزيف، ولكن ذلك لا يعني حتمًا صحة كل ما أورده من المعلومات. فينبغي على الباحث أن يقاوم هذا الإتجاه الطبيعي عند دراسة الأصول التاريخية ونقدها، إذ أنها تحتوي بالضرورة على معلومات متعدّدة متنوعّة، قد يكون بعضها صحيحًا، وقد يكون بعضها الآخر غير صحيح عن عمد أو عن غير عمد. وعلى ذلك فلا تكفي دراسة معلومات الأصل التاريخي كوحدة عامة، ولا الإقتصار على التأكّد من أنه غير مزيّف، بل ينبغي أن تُدرس كل رواية أو حادث أو تفصيل به على حدة. وليس النقد الباطني السلبي بالأمر المستطاع بغير هذا التثبّت الدقيق. (عث، بحث، ١٢٢، ١)

- يمكن التفرقة بين ناحيتين من النقد السلبي: أولًا: التثبّت من صدق المؤلّف وعدالته، وهل كذب أم لم يكذب. وثانيًا: التثبّت من صدق المعلومات التي أوردها ومبلغ دقّتها، وهل أخطأ المؤلّف وهل خُدع بشأنها أم لم يُخطئ ولم يُخدع. وأسئلة المجموعة الأولى تساعد على معرفة أسباب الشك في صدق أقوال المؤلّف، وفي الغالب تصل إلى معرفة هل وُجد المؤلّف في ظروف حملته على الكذب، وما هي هذه الظروف، سواء أكان منها بعض ما يتعلّق بسياق الأصل التاريخي في جملته أم في تفاصيله. (عث، بحث، ١٢٤، ١١)

- إن الشكّ في الأقوال المتعارضة والمتضاربة، والتسليم مقدّمًا بإمكان وجود خطأ أو كذب في الأصل، هما السبيل الأول إلى ما نريد. والتمحيص الدقيق للأصول التاريخية هو النقد الباطني السلبي الذي يهدف إلى تضفية المعلومات وغربلتها حتى نستخلص منها الصواب وحده، وتلك في حدّ ذاتها عملية شاقّة عسيرة، لعلّها أشقّ وأعسر من عملية النقد الباطني الإيجابي. والنقد الباطني السلبي يؤدّي بنا إلى قاعدتين هامّتين: القاعدة الأولى هي أن التثبّت اليقيني من أية حقيقة تاريخية لا يمكن أن يستند إلى الرواية التي

يرويها صاحب الأصل، بوصفه شاهد عيان أو بوصفه معاصرًا، وإنما لا بدّ أن تتوفّر لدى الباحث كل الأدلّة التي تسلّمه إلى اليقين. والقاعدة الثانية هي أن الأصل لا يجوز أن ينقد كوحدة عامة ويكتفى بذلك، وإنما لا بدّ من أن ينقد كل جزئياته وتفاصيله وأحداثه المفردة. ولا يجوز أبدًا أن يخدعنا طابع الصدق الذي قد يبدو في أصل من الأصول، فنستند إليه، ونثق في صدقه، لأن طابع الصدق في بعض الأحيان قد يكون مظهرًا خداعًا من إنسان اعتاد الكذب والتضليل والتلفيق، فنغترّ بالمظهر الذي يخفي وراءه أهدافًا هي أبعد ما تكون من الصدق والحقيقة. إن مهمة النقد الباطني السلبي هي تمحيص الظروف التي واكبت سلسلة العمليات العقلية التي مرّ بها الأصل حتى دوّنه صاحبه ووصل إلى الباحث، ولا شكّ أن معرفتنا بصاحب الأصل تكشف لنا عن بعض هذه الظروف، لأن نشأة صاحب الأصل وبيئته وعاداته ومستواه، كلها من الأمور التي تعيننا على الكشف عن دوافع الكذب أو الخطأ أو الخداع أو الصدق أو الصواب أو المصارحة عند هذا الكاتب أو ذاك من أصحاب الأصول التاريخية. (علف، فت، ١٤٩، ٥)

نقد تاريخي

- النقد التاريخي هو في أساسه فاعلية ترميميّة للأخبار، ولذا فإن النقد التاريخي في مجمله ينصب على ضبط التواريخ والأسماء، وتطبيق مقوّمات البداهة العقلانية البسيطة في ترميم الأخبار التي فسد البعض منها على أساس الفساد البديهي والضروري. فهو لا يؤسّس أخبارًا صحيحة في أصول لها، بل هو يعارض بعضها بالبعض الآخر ويقابل فيما بينها وما بينها وبين "ما علم بالضرورة وما من شأنه أن يتواتر ولم يتواتر" ثم يصار إلى رفض ما يتناقض مع البداهة والتقليد وما لا تتلقّاه العقول بالترحاب من أمور مجرّدة، بالإضافة إلى ما هو مستحيل صراحة - ولو أن هذا الأخير أمر عزيز على النفوس وخصوصًا نفوس العامة، التي تتلقّاه وتستحبه -. ويقابل هذا التعداد الأخير ما تتقبّله النفوس من أخبار: فهي تعتمد ما هو مألوف وما هو محسوس، كما هي تتقبّل ما تقبله الأخلاق وما هو عبره وما ينقله الثقات وما يتوافق مع أهوائها. (عظم، عرف، ٢٢، ١٣)
- النقد التاريخي لا يُثبت الحقيقة التاريخية، بل يساعد على بلوغها، ويؤدّي إلى احتمال الصدق فيها. وصحيح أنه ينبذ جانبًا الأخبار التي يثبت كذبها أو الخطأ فيها ولكنه لا يضع مكانها بديلًا. وبذلك تكون النتائج الثابتة المؤكّدة للنقد التاريخي هي نتائج سلبية، وكل النتائج الإيجابية تكون موضع الشكّ، ويوجد الإحتمال في صدقها. لا بدّ من عملية نهائية للوصول إلى نتيجة محدّدة، إذ ينبغي الخروج من دائرة الإحتمال والشكّ إلى دائرة اليقين. ومن الضروري للباحث في التاريخ أن

يتابع الدرس والبحث، للوصول إلى نتائج حاسمة بقدر المستطاع. فعليه أن يبدأ بتقسيم النتائج التي وصل إليها عن طريق النقد، ويضع في قسم واحد كل المعلومات الواردة عن حادث أو عن مسألة ما. والوصول إلى رأي نهائي في هذا الشأن، يقوم على أساس من العلاقة بين هذه المعلومات. (عث، بحث، ١٤٣، ١٢)

نقد خارجي

- أهم مراحل "النقد الخارجي". وهي تمهّد لمراحل "النقد الداخلي"، إذ بعد أن نتثبّت من النص ونتعرّف مؤلّفه وزمانه ومكانه، نبادر إلى رواياته لنتفهّم مقصود المؤلّف: ماذا يقول، أو ماذا كان يريد أن يقول. وأول ما يقتضينا هذا التفهّم معرفة اللغة التي كتبت بها الوثيقة. وكثيرًا ما يكون جهل لغة من اللغات عائقًا عن الاستفادة من نصوص هامّة ووثائق خطيرة. ولما كانت اللغة تتطوّر والمفردات تكتسب معاني مختلفة حسب تطوّر الحضارة، فيجدر بالباحث أن يكون واقفًا على لغة العصر الذي كتبت الوثيقة فيه واصطلاحاته الخاصة ومعاني المفردات والتراكيب المستعملة فيه. كذلك قد لا يكفي، في أحوال كثيرة، تفسير ظاهر النص، بل يحتاج المؤرّخ إلى استكناه باطنه والنفاذ من اللفظ الخادع أحيانًا إلى لبّ المعنى المقصود. (زري، نحن، ٧٢، ١٧)

- إن العرب قد لعبوا دورًا حاسمًا في تقدّم العلوم التاريخية وكان دورهم في عصورهم الذهبية يفوق بكثير دور الأمم الأخرى. فعن طريق منهجية الحديث، أدخلوا في التاريخ الاعتناء بالموضوعية، والتأكّد من صحة الأخبار المروية بفضل قواعد الجرح والتعديل، والاعتناء بنقد السند والرجال، أي بما نسمّيه اليوم النقد الخارجي. وبهذا جعلوا من التاريخ علمًا حقًّا، ذا جدية ومنهجية. وكذلك قد حاولوا أن يخرجوا به من حدود الإقليمية الضيّقة إلى حدود أوسع هدفها أن تشمل العالم المتحضّر المعروف في زمانهم. (علف، فت، ١٨، ٣٣)

- النقد نوعان، هما النقد الخارجي أو الظاهري، وهدفه دراسة مدى الأصالة في المصادر؛ والسبيل إلى ذلك هو التثبّت من صحة الأصل التاريخي ومعرفة نوع الورق المدوّن عليه الأصل، وأسلوب الخط الذي كتب به، وكذلك معرفة المؤلّف، ومكان التدوين وزمانه. ثم النقد الباطني أو الداخلي، ويهدف إلى الوقوف على حقيقة شخصية المؤلّف بدراسة حالته النفسية والعقلية أثناء قيامه بالكتابة، ومحاولة الكشف عن أهدافه من الكتابة، وهل كان واثقًا من صدق ما كتب؟ وهل كانت لديه الأدلّة والبراهين الكافية التي تجعله واثقًا من هذا الصدق؟ والأساس الذي ينبني عليه النقد بنوعيه هو الشكّ فيما ورد في الأصل التاريخي، ثم الدراسة الواعية المتعمّقة لكل ما نقرأ فيه لاستخلاص الحقائق، وتلك مهمة بالغة العسر، لأن

المرء بطبيعته يميل إلى تصديق كل ما يصادف هوى في نفسه، بينما يميل بنفس الدرجة إلى تكذيب كل ما يصطدم برغباته وميوله، ونحن لا نستطيع أمام هذه الحقيقة أن نأخذ كل ما يصادفنا من مدوّنات على أنه حقيقة خالصة، لأن الناس يختلفون في ميولهم ونزعاتهم وأهوائهم وما يعتنقون من قيم. (علف، فت، ١٤٤، ٩)

نقد خلدوني

- انتهى النقد الخلدوني لعلم التاريخ العربي ... إلى هذه النتيجة: وهي أن الخطاب التاريخي التقليدي خاطئ من الأساس، ذلك أن الجهل بقوانين العمران التي يؤكّد ابن خلدون أنّه مكتشفها يحرم المؤرّخين من أهم معيار لقياس صحة الأخبار. بل نتج عنه فارق بين التاريخ والخطاب التاريخي ينتهي إلى انقطاع بينهما حين يحلّ بالعمران (أو التاريخ) تغيّر جذري لا يترجم على مستوى الخطاب. لا سيما حين يستقرّ التقليد، آنذاك يكرّر المؤرّخون وهم في غفلة تامة، إنتاج أخبار وأنماط من ماضٍ بائد، فيخلّدون الخطأ والخطاب المجرّد الذي يحمله. (أوم، نهج، ٢١٣، ٥)

نقد داخلي

- النقد الداخلي في مصطلح التاريخ على نوعين: نقد داخلي إيجابي ونقد داخلي سلبي. فالإيجابي يفسّر النص ويظهر معناه. والسلبي يكشف الستار عن مآرب المؤلّف وأهوائه ودرجة تدقيقه في الرواية. (رس، مصط، ٤٣، ٥)

- أهم مراحل "النقد الخارجي". وهي تمهّد لمراحل "النقد الداخلي"، إذ بعد أن نتثبّت من النص ونتعرّف مؤلّفه وزمانه ومكانه، نبادر إلى رواياته لنتفهّم مقصود المؤلّف: ماذا يقول، أو ماذا كان يريد أن يقول. وأول ما يقتضينا هذا التفهّم معرفة اللغة التي كتبت بها الوثيقة. وكثيرًا ما يكون جهل لغة من اللغات عائقًا عن الاستفادة من نصوص هامّة ووثائق خطيرة. ولما كانت اللغة تتطوّر والمفردات تكتسب معاني مختلفة حسب تطوّر الحضارة، فيجدر بالباحث أن يكون واقفًا على لغة العصر الذي كتبت الوثيقة فيه واصطلاحاته الخاصة ومعاني المفردات والتراكيب المستعملة فيه. كذلك قد لا يكفي، في أحوال كثيرة، تفسير ظاهر النص، بل يحتاج المؤرّخ إلى استكناه باطنه والنفاذ من اللفظ الخادع أحيانًا إلى لبّ المعنى المقصود. (زري، نحن، ٧٢، ١٧)

نقد داخلي سلبي

- نقد داخلي سلبي، يكشف الستار عن مآرب المؤلّف وأهوائه ودرجة تدقيقه في الرواية، فيظهر لنا مقدار ما عنده من العدالة والضبط أو ما ينقصه منهما. والمؤرّخ العربي في أشدّ الحاجة إلى مثل هذا النوع من النقد. (رس، مصط، ٥٧، ٢)

نقد ذاتي

- النقد الذاتي فإنه يزيل نير السطوة المتحكّمة ويزيح كابوسها، بتمييزه بين الصالح والفاسد، والباقي والزائل، والنافع والضارّ، والباعث إلى التقدّم والرقي والداعي إلى التأخّر والانحلال، ويغدو هو ذاته عامل نهوض وتحفّز لتحقيق نتائج جديدة واستكشاف آفاق مجهولة. (زري، نحن، ١٧٢، ٢)

نقد ظاهري

- عدّة مراحل للنقد. فالنقد الظاهري (External criticism) يتعلّق بعدّة أمور، مثل إثبات صحة الأصل التاريخي، ونوع الخط والورق، وتعيين شخصية المؤلّف وزمان التدوين ومكانه. أما النقد الباطني (Internal criticism) فيبحث في الحالات العقلية التي مرّ خلالها كاتب الأصل التاريخي، ويحاول أن يتبيّن قصد الكاتب بما كتب، وهل كان يعتقد صحّة ما كتبه، وهل توفّرت المبرّرات التي جعلته يعتقد صحّة ذلك؟ وأساس النقد الحذر والشكّ في معلومات الأصل التاريخي، ثم دراسته وفهمه واستخلاص الحقائق من ثناياه، وما أكثر ما يتكلّم الناس عن ضرورة النقد، ولكن كثرين منهم لا يطبقونه عمليًّا، لأنه ليس بالأمر السهل. (عث، بحث، ٨١، ٥)

نقل

- الكامل في التاريخ كسائر التواريخ القديمة، سرد للحوادث والأخبار بحسب تواريخها. ويعترف صاحبه بأنّه نقل عن الطبري، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمته فقال إنّه أخذ عن التاريخ الكبير لأبي جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوّل عليه؛ أخذ منه جميع تراجمه، ولم يخلّ بواحدة منها، على أنّه لم يتبع خطى الطبري في التأليف، فإن الطبري كان يذكر في أكثر الحوادث روايات عديدة، فقصد ابن الأثير إلى أتمّها فنقله وأضاف إليه. ويدلّنا قوله هذا على أنّه لم ينقل الحوادث التاريخيّة على علاتها، وإنّما كان يختار منها ما يراه موافقًا لمعقوله ويؤلّفه تأليفًا جديدًا بما يضيف إليه؛ وهو إن لم يكن قد سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات، وهو أسلوب لم يُعرف إلّا مع ابن خلدون، فإنّه كان ينقد ما ينقله، ولم يكن ينقل إلّا كلّ ما رآه صوابًا، وكان يعرض عن نقل ما يراه غير موافق للعقل، فعله بما رواه الطبري عن خلق الشمس والقمر وسيرهما، قال: "وروى أبو جعفر، ههنا، حديثًا طويلًا عدّة أوراق عن ابن عبّاس، عن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، في خلق الشمس والقمر وسيرهما، فإنّهما على عجلتين لكلّ عجلة ثلاث مئة وستون عروة يجرّها بعددها من الملائكة، وإنّهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض، فذلك كسوفهما. ثمّ إنّ الملائكة يخرجونهما فذلك تجليتهما من الكسوف... إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها، فأعرضت عنها لمنافاتها العقول،

ولو صحّ إسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن الحديث غير صحيح. ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف" (مقدمة). (أث، كمل، ١٣، ١٨)

نمط

- النواة في التاريخ الكامل لا تسرد مرة واحدة، لا تنحصر في حياة النبي فقط، بل تتجدّد في التواريخ الخصوصية لأنها تلعب دور النمط، أي البنية الخفية التي تُفصَّل وتبوّب عليها تلك التواريخ المحلية. الفاطميون مثلًا والموحّدون، والوهابيون بعدهم سيرتّبون مراحل نشأة وتطوّر حركاتهم على نمط حياة الرسول بهجرتها ومحنتها ودعوتها وسراياها واحدها وعشرتها وفوزها وفتوحاتها وتنظيماتها. وحتى الزوايا وحتى الأسر التي تدّعي بعض الشرف في النسب أو الفقه أو علم الباطن رأت وصوّرت ماضيها على غرار النمط المذكور. وهذا هو معنى السنة والتقليد لكل مذهب ونحلة لأن الوسيلة الوحيدة لإضفاء الحقيقة على التاريخ، أي لتحويل العرض إلى الجوهر هي إدخاله في قالب السيرة. (عر، فكر، ٧٥، ١١)

نمط خطّي

- النمط الخطّي المسترسل التصاعدي أبدًا. ومعنى هذا هو أنهم يؤولون التاريخ كخط مستقيم متصاعد دائمًا نحو اكتمال مسترسل لا ينتهي. وهذه النظرية نتيجتها - وقاعدتها أيضًا - الإيمان المطلق بالرقي. فهي تأويل متفائل. (علف، فت، ٣٥، ١٥)

نمط دوري

- النمط الدوري. ومعنى ذلك هو أنهم يؤولون التاريخ كحلقة، بل قل كجملة حلقات متناهية زمنًا ومكانًا، منفصلة بعضها عن بعض، تمثّل كل حلقة منها حضارة، من يوم نشوئها عند ابتداء الحلقة إلى يوم وفاتها الحتمية عند انغلاق الحلقة. فكل حضارة إذن حلقة لها بداية ونهاية، وحلقة متناهية تمرّ بأطوار أربعة: التكوين، فالنمو، فالجمود، فالانحلال والاضمحلال. فهي في هذا تشبه كل الكائنات الحية: فهي تولد وتموت. (علف، فت، ٣٥، ١٨)

نهار

- العلماء اختلفوا في ذلك، فإن بعضهم يقول: إنّ الليل خُلق قبل النهار؛ ويستدلّ على ذلك بأن النهار من نور الشمس فإذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار، وهو النور، وارد على الظلمة التي هي الليل. وإذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتًا، فدلّ ذلك على أنّ الليل هو الأوّل؛ وهذا قول ابن عبّاس. وقال آخرون: كان النهار قبل الليل. واستدلّوا بأن الله تعالى كان ولا شيء معه، ولا ليل ولا نهار، وأن نوره كان يضيء به كلّ شيء خلقه حتى خلق الليل. قال ابن

مسعود: إنّ ربكم ليس عنده ليل ولا نهار. نور السموات من نور وجهه. (أث، كمل، ٢٠، ١٤)

نهج ثالث

- المثقفون الذين نناقش مواقفهم لأنهم ثوريون في أهدافهم، وتقليديون في تفكيرهم ومنطقهم، هم الذين روّجوا فكرة النهج الثالث. إنهم يهدفون إلى التحرير الاقتصادي بالإصلاح الزراعي والتأميم والتصنيع ... ويظنّون أن مضمون هذه الإصلاحات هو الاشتراكية، وبما أن الاشتراكية ليست الإقطاعية ولا البورجوازية، فإنهم يعتقدون أنهم ينهجون نهجًا ثالثًا يخالف في نفس الوقت المنهج التقليدي السائد في المجتمعات السابقة للرأسمالية والمنهج البورجوازي المتغلّب اليوم في الغرب الرأسمالي. وهكذا تختلط في أذهانهم الاشتراكية التي هي مجموعة أهداف سياسية واجتماعية وأخلاقية والماركسية التي هي طريقة تحليل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية. والواقع أن الاشتراكية ليست دائمًا ماركسية، كما يدلّ على ذلك تعدّد ألوانها ونعوتها، ومن السهل أن تتّفق مع المنهج التقليدي، بل يمكن أن تنبني عليه في البلاد التي لم تعرف تقدّمًا اقتصاديًا ملموسًا. (عر، فكر، ٧، ٢٠)

نهضة أوربية

- كان على مؤرّخي نهاية العصور الوسطى أن يوجّهوا كتابة التاريخ توجيهًا جديدًا فيخلّصوها من الخضوع لنظريات اللاهوت والفلسفة التي سيطرت على مجرى الأحداث التاريخية ورسمت لها مسارها دون أي اعتبار للواقع المادي ولنشاط الإنسان في رسم هذا المسار. وحين جاء عصر النهضة الأوروبية عاد الناس إلى تقييم التاريخ بوصفه دراسة اجتماعية تستند إلى أسلوب علمي، وإلى كتابته استنادًا إلى أعمال الإنسان ونشاطه في تحديد مساره تمامًا كما كان الحال في العصرين الإغريقي والروماني. وكانت النتيجة الأولى لذلك هي البدء في تنظيف المادة التاريخية التي كتبت في العصور الوسطى مما علق بها من خرافات لا أساس لها، كما كان من نتائجها أيضًا البدء في كتابة النتائج على أسس نقدية تحليلية. والواقع أن النظم في الدول الأوروبية كانت قد تقدّمت تقدّمًا كبيرًا في عصر النهضة، وأخذت العلاقات بين هذه الدول تتشابك وتتعقّد، كما اكتمل فن الدبلوماسية واتّضحت أساليبه، وبالتالي فقد أصبحت كل دولة بحاجة إلى هيئة منظّمة تتولّى كتابة تاريخها. والأمر الذي نلاحظه بوضوح تام في كتابة التاريخ في عصر النهضة هو أن حكام الدول أخذوا يستعينون بالأدباء لتدوين تاريخ دولهم، فبرز الأسلوب الأدبي ولا سيّما في إيطاليا بوصفها الدولة التي سبقت دول أوربا جميعًا إلى عصر النهضة. (علف، فت، ١٢٩، ٢١)

نوح

- قال وهب كان نوح أول نبي نبأه الله بعد إدريس وكان نجّارًا إلى الأدمة ما هو دقيق الوجه في رأسه طول، عظيم العينين غليظ الفصوص دقيق الساقين كثير لحم الفخذين دقيق الساعدين، ضخم السرّة طويل اللحية عريضها طويلًا جسيمًا وكان في غضبه وانتهاره شدّة، فبعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثلاثة قرون في قومه عايشهم وعمّر فيهم فلا يجيبونه ولا يتبعه منه إلا قليل كما قال الله عزّ وجلّ في التوراة، وأوحى الله إليه أن أصنع الفلك وليكن طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعًا وارتفاعها ثلاثين ذراعًا وليكن بابها في عرضها وادخل الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك ومن كل شيء من اللحم اثنين ذكورًا وإناثًا فإني منزّل المطر على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة فأتلف كل شيء خلقته على الأرض وأن تعمل تابوتًا تحمل جسد آدم فيه وتجعل التابوت من خشب الشمشار الساسم - الساسم شجر أسود أو هو الآبنوس أو شجر يعمل منه القسى - وتحمل معك زاد سنة. ففعل نوح وأرسل الله تعالى ماء الطوفان على الأرض في سنة ستمائة من عمر نوح في سبعة عشر يومًا من الشهر الثاني ولبثت في الماء مائة وخمسين يومًا. ثم أرسل الله ريحًا فغشيت الأرض فسكن الماء وانسدّت ينابيع الغوط الأكبر وميازيب السماء واستقرّت في الشهر السادس على جبل قردى وفي الشهر العاشر بانت رؤوس الجبال، فلما كانت في سنة ستمائة سنة وستة في أول يوم من الشهر الأول نضب الماء عن الأرض فكشف نوح غطاء الفلك فرأى وجه الأرض وفي سبعة عشر يومًا من الشهر الثاني جفّت الأرض. (قتي، خبط، ١٠، ٢٥)

- دمشق هي إِرَمُ ذات العماد، وكانت قبل دار نوح صلّى الله عليه ومن جبل لبنان كان مبتدأ سفينته واستوت على الجُوديّ جبل قَرْدَى ولمّا كثر ولد نوح نزلوا بابل السواد في ملك نِمْرُود بن كوش وهو أوّل ملك كان في الأرض. (خرد، مسلك، ٧٦، ١١)

نوح بن لمك

- (نوح بن لمك) ولد له شام وعمره على الرأيين خمسمائة سنة. وعلى الرأيين جميع أيامه تسعمائة وخمسون سنة. وفي سنة ستمائة لعمر نوح تهارج الناس وأباحوا المحظورات وارتكبوا المحارم. وكان نوح بارًّا صدّيقًا. وأخبره الله تعالى بحال الطوفان وأمره أن يصنع فلكًا طوله ثلثمائة ذراعًا وعرضه خمسون ذراعًا في عمق ثلاثين ذراعًا. ونزل إليه هو وزوجته وبنوه الثلاثة: شام وحام ويافث ونساؤهم وأدخل معهم من كل نوع من الطيور والحيوان الظاهر سبعة أزواج ذكورًا وإناثًا. ومن النجس زوجًا ومن الطعام ما يقوته ومن معه قوتًا ممسكًا للرمق. وقيل

إن تابوت أبينا آدم أيضًا كان معهم في الفلك. (عب، خصر، ٨، ٢٠)

نور الدين

- الألقاب المخصوصة بالمتغلّبين على الدول، تشريفًا لهم ممن غلبوه على الأمر، وإشعارًا بحسن ولايتهم له. وهم - في ذلك - فرقتان: إحداهما: الواقفون عند هذا الحدّ، كملوك عجم المشرق وفي تسمية الخلفاء المتقلبين لهم بـ"شرف الدولة" و"عضد الدولة"، و"نظام الملك"، و"بهاء الملك"، ونحو ذلك. الثانية: المتجاوزون إلى ما وراء الغاية من ذلك في انتحال ما هو خاص بالملك، إشعارًا بالخروج عن ربقة الاصطناع، حيث أضافوها إلى الدين فقط، كـ"صلاح الدين"، و"نور الدين"، ونحو ذلك. وهم المتأخّرون منهم، لما قوي استبدادهم، وتلاشت بهم عصبية الخلافة. (أزر، بدع٢، ٧٤٣، ٢٢)

نوع

- الجنس ما استوعب الأنواع، وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس، والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت النوع لا يجوز أن يتجزّأ ولا يكون له ثُلث ولا رُبع ولا نصف. قالوا ولولا ذلك لما كان للأجسام تناهٍ. (بلخ، بدا، ٣٩، ١٦)

نوميات

- من العلوم المساعدة الهامة للمؤرّخ علم "النوميات" أو علم النقود المسكوكة، فالعملة القديمة تحمل عادة صورًا للآلهة التي كان الناس يعبدونها، كما تحمل صور الملوك والأمراء وأسمائهم، وهذه كلها تمدّ الباحث بمادة تاريخية أصيلة عن العصور القديمة والعصور الوسطى على السواء، كما تعيننا على دراسة الأساطير والديانات والفنون والنشاط التجاري في الفترات التي ترجع إليها هذه المسكوكات. (علف، فت، ١٣٤، ٢٦)

هـ

هابيل

- قرأت في التوراة أن آدم عليه السلام جامع امرأته حواء فولدت له قابيل فقالت استفدت لله رجلًا ثم ولدت هابيل أخاه، فكان قابيل حراثًا وكان هابيل راعي غنم فقرّبا قربانًا من هابيل ولم يتقبّل من قابيل فقتل أخاه هابيل. (قتي، خبط، ٩، ٧)

- كان آدم وحواء عاريَين بغير لباس ولم يستح أحدهما من الآخر حتى دخل الشيطان في الحية وخدعت حواء فأكلت من الثمرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها وأعطت أيضًا آدم بعلها فأكل. فانفتحت أعين قلبيهما وأحسّا بالعُري فاستحيا واتّزرا بورق التين وأُهبط بهما من جنة عدن إلى الأرض على تسع ساعات من نهار الجمعة وكانت خلقتهما في الساعة الأولى من هذا النهار بعينه. وقد اختلفت علماؤنا في أمر الثمرة المنهي عنها فقال قوم إنها البُرّ وقال آخرون إنها العنب وقال الأكثرون إنها التين وغريغوريوس النوسويّ يزعم أنها رمز إلى القوة الشهوانية والنازينزيّ يرى أنها رمز إلى المراء في ذات الله وصفاته. وعلى رأي مار ثوديوس بعد ثلاثين سنة للانتفاء من الجنة باشر آدم حواء فولدت قابين وقليميا أخته توأمين. وبعد ثلاثين أخرى غشيها فولدت هابيل ولبوذا أخته توأمين. وبعد سبعين سنة أخرى حاول آدم تزويج كل واحد منهما بتوأمة أخيه. فأبى قايين طالبًا توأمته ولأجل ذلك قرّب قربانًا من ثمار أرضه لكونه فلاحًا فلم يُقبل لفساد طريقته. ورفع هابيل قربانًا من أبكار غنمه لكونه راعيًا فقبُل لحسن سيرته. فأسرّ قايين عداوة أخيه فقتله غيلة واستوطن أرض نوذ الخارجة عن حدود ولد أبيه. وحزن آدم على هابيل مائة سنة. ثم عاد مفضيًا إلى حواء فولدت شيث والماضي من عمر آدم يومئذٍ على رأي الاثنين والسبعين حبرًا الذين نقلوا التوراة وكتب الأنبياء لبطليموس ملك مصر قبل مجيء السيد المسيح لذكره التبجيل كما سيأتي شرح ذلك في موضعه مائتان وثلاثون سنة. وعلى رأي التوراة التي بأيدي اليهود بعد مجيئه مائة وثلاثون سنة. وجميع أيام آدم على الرأيين تسعمائة وثلثون سنة. (عب، خصر، ٥، ١٧)

هجرة

- (كتابة التاريخ) وأبتدئ بعون الله وتوفيقه وأذكر الدليل على وجود الصانع سبحانه وتعالى، ثم أردف ذلك بذكر أول المخلوقات، ثم ما يلي ذلك من الموجودات على ترتيب الوجود في الحادثات إلا أن يخفى زمان حادث فيذكر في الجملة، ثم أتبع ذلك بذكر آدم عليه السلام وأحواله وما جرى له، ثم أذكر

عظائم الحوادث التي كانت في زمانه ومن كان في مدة ولايته من أهل الخير، وروس أهل الشر. ثم أذكر من خلفه من أولاده، وما حدث في زمان ذلك الخالف من الأحداث، ومن كان في وقته من أهل الخير والشر، ثم من يخلف ذلك كذلك إلى زمان نبينا محمد، فيندرج في ذلك ذكر الأنبياء والملوك والعلماء والزهاد والحكماء والفراعنة والنماردة ومن له خبر يصلح إيراده من العوام، وما يحسن ذكره من الأمور والحوادث في كل زمن. فإذا آل الأمر إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، ابتدأ بذكر مولده ونسبه، وذكر عيون ما جرى في سنة مولده من الحوادث، ثم ما جرى في سنته الثانية من مولده كذلك إلى زمان نبوته، ثم بذكر ما جرى في كل سنة من سني النبوة إلى سنة هجرته إلى المدينة. فإذا انتهينا إلى مفتتح سني الهجرة، وهي التي عليها التاريخ إلى اليوم ذكرنا ما كان في (كل) سنة من الحوادث المستحسنة والمهمة وما لا بأس بذكره، ونضرب عن ما لا طائل في الإطالة به تحته مما يضيع الزمان بكتابته؛ إما لعدم صحته أو لفقد فائدته. (جو، نظم، ١١٦، ١٥)

- يقوم المُلك برزم أشياء التاريخ وعقدها تحت لوائه ليس فقط بتكوينه وحدتها الموضوعية، بل هو يمارس سطوته العمودية بفرضه نفسه معيارًا زمانيًا للأشياء وتسمية لمكانها التاريخي - وبالتالي، لنظام تسلسلها الذي به فقط قوام التاريخ.

ونحن نرى أن زمانية الأشياء، أي تتاليها الكرونولوجي، تتّحد عمومًا في الكتابة التاريخية التي تسرد أخبار ما قبل الهجرة "على الملوك"، أي إن حكم ملك ما في سلسلة ملوك يشكّل الإطار الزماني لسياقة الأحداث. والزمان المقاس بالملوك وذلك المحتوي على السنوات والتواريخ زمان واحد، بحيث يمكن استبدال الواحد بالآخر بسهولة كما رأينا. فمبتدأ أمر ملك ما أو دولة هو في العادة مبتدأ تقويم ما قائم عليه. ليس قيام التقاويم على الملوك إلّا من فاعليات الملك بما هو ربط لأشياء الزمان في تاريخيتها وفي موقعها في تتالي الأشياء. واعتماد الهجرة في التاريخ، مثلًا، لا يرجع بذلك إلى عدم الإختلاف في توقيتها فقط، بل إن الأمر أكثر من أمر ذي علاقة بالشروط التقنية لممارسة التاريخ - فالهجرة "صارت للنبي كالقيام للملوك وصفاء الملك لهم". (عظم، عرف، ٨١، ٩)

هجرة النبي

- لفظة "التأريخ" معرّبة، مأخوذة من "ماه روز"، والأصل فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما أنه: "يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل، قد قرأنا صكًا محله شعبان، فما ندري أي الشعبان هو؟ أهو الماضي أو الآتي". وقيل: إنه رُفِعَ إلى عمر صكٌ محله شعبان، فقال: "أي الشعبان هذا؟ أهو

الذي نحن فيه أو الذي هو آت". ثم جمع وجوه الصحابة، وقال: "إن الأموال قد كثرت، وما قسّمناه غير موقت، فكيف التوصّل إلى ما يضبط به ذلك؟" فقال الهرمزان - وهو ملك الأهواز - وقد أُسِرَ عند فتوح فارس وحُمِلَ إلى عمر وأسلم على يده: "إن للعجم حسابًا يسمّونه ماه روز، ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة". فعرّبوا لفظة "ماه روز" بمؤرخ، وجعلوا مصدره التأريخ، واستعملوه في وجوه التصريف. ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك، فقال عمر - رضي الله عنه: "ضعوا للناس تأريخًا يتعاملون عليه، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم". فقال له بعض من حضر من مسلمي اليهود: لنا حساب مثله، نسنده إلى الإسكندر. فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول. وقال قوم: نكتب على تاريخ الفرس. فقيل: إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين، بل كلما قام فيهم ملك ابتدؤا من لدن قيامه وطرحوا ما قبله. فاتّفقوا على أن يجعلوا تأريخ دولة الإسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت مبعثه، فإنه مُختلف فيه، وكذا وقت ولادته، حتى قيل: إنه ولد ليلة الثاني من ربيع الآخر، وقيل: ليلة الثامن، وقيل: ليلة الثالث عشر منه. وكذا اختلفوا في السنة التي وُلِدَ فيها، فقيل: سنة أربعين من ملك أنو شروان، وقيل سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة ثلاث وأربعين منه. وأما وقت وفاته صلى الله عليه وسلم وإن كان معينًا، فلم يحسن أن يجعلوه مبدأ التأريخ، فإن جعله أصلًا غير مستحسن عقلًا، لكن جُعِلَ وقت الهجرة لكونه وقت استقامة ملّة الإسلام، وتوالي الفتوح، وترادف الوفود، واستيلاء المسلمين أصلًا أولى، لأنه مما يُتبرك به ويَعْظُم وقعه في النفوس. وكانت الهجرة يوم الثلاثاء، لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وأول السنة - أعني المحرم - هو يوم الخميس بحسب أمر الأوسط، ولما كان مشتهرًا عند القوم اعتبروه، وأما بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات فهو يوم الجمعة. وقال صاحب "نهاية الإدراك": "العمل عليه"، وأرّخ منه في مستأنف الزمان. وكان اتّفاقهم على هذا الأمر في سنة سبع عشرة من الهجرة، وإلى هذه السنة كانوا يسمّون كل سنة باسم الحادثة التي وقعت فيها، ويؤرّخون بها، فسمّيت السنة الأولى من سني مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة الإذن بالرحيل، أي من مكة إلى المدينة، والثانية سنة الأمر بالقتال، والثالثة سنة التمحيص، وعلى هذا. ثم بعد ذلك تركوا تسمية السنين بالحوادث، والتأريخ بها. وهذا التأريخ يعرف بتأريخ الهجرة. (كاف، مخ، ٦٣، ١)

هدايا النيروز

- هدايا النيّروز، المحمولة إلى ملوك فارس

في كل سنة من دهاقين العراق، عشرة آلاف ألف، وهدايا المهرجان مئة ألف ألف. ثمّ حُملت إلى الخلفاء في الإسلام. (ز، ذخر، ٥، ٥)

هدف التاريخ

- هدف التاريخ فهو - في عبارة موجزة - وقوف الإنسان على حقيقة نفسه، ولست أعني بذلك مجرّد معرفته بمميزاته الشخصية التي تفرّق بينه وبين غيره من الناس، وإنما أعني أن يعرف الإنسان طبيعته كإنسان، وما يستطيع أن يعمل وأن يقدّم لبني جنسه، وهذا غير ممكن إلا إذا عرف الإنسان ماذا فعل في الماضي وما هي الجهود التي بذلها فعلًا. وإذًا فقيمة التاريخ ترجع إلى أنه يحيطنا علمًا بأعمال الإنسان في الماضي ومن ثم بحقيقة هذا الإنسان. (علف، فت، ١١٩، ٢٤)

هراة وبوشنج

- خراسان وكانت تحت يدي أصبهبذها باذُوسْبان وأربعة مرازبة إلى كلّ مرزبان ربع خراسان فربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها وربع إلى مرزبان بلخ وطخارستان وربع إلى مرزبان هَرَاة وبُوشَنْج وباذَغيش وسجستان. (خرد، مسلك، ١٨، ٩)

هرم في الدولة

- أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها. وذلك أن الملك عندما يستفحل ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلى غايتها، ويستبدّ صاحب الدولة بالمجد وينفرد به، يأنف حينئذٍ عن المشاركة، ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع، بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه. فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم، ونزعوا إلى القاصية، (واجتمع) إليهم من يلحق بهم (في) مثل حالهم من الاغترار والاسترابة. ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضايق ورجع عن القاصية. فيستبدّ ذلك النازع من القرابة فيها. ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة، حتى يقاسم الدولة أو يكاد. (خلد، قدم، ٧٥١، ١٣)

هرمس

- هرمس الأوّل وهو أخنوخ إدريس النبيّ صلعم. (بلخ، بد٢، ٩٧، ١٢)
- الأقدمون من اليونانيين يزعمون أن حنوخ هو هرمس ويلقّب طريسميجيسطيس أي ثلاثي التعليم لأنه كان يصف الباري تعالى بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة. والعرب تسمّيه إدريس. وقيل إن الهرامسة ثلاثة: الأول هرمس الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو أول من تكلّم في الجواهر العلوية وأنذر بالطوفان وخاف ذهاب العلوم ودرس الصنائع فبنى الأهرام وصوّر فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها طبقات العلوم حرصًا منه على تخليدها لمن بعده. والثاني هرمس البابلي سكن كلواذا مدينة الكلدانيين وكان بعد

الطوفان وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش. والثالث هرمس المصري وهو الذي يسمّى طريسميجيسطيس أي المثلث بالحكمة لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء ونُقلت من صحفه نبذ وهي من مقالاته إلى تلميذه طاطي على سبيل سؤال وجواب بينهما وهي على غير نظام وولاء لأن الأصل كان باليًا مفرقًا والنسخة موجودة عندنا بالسريانية. وقيل إن هرمس الأول بنى مائة وثمانين مدينة صغراها الرها وسنّ للناس عبادة الله والصوم والصلاة والزكاة والتعييد لحلول السيّارة ببيوتها وأشرافها وكذلك كلما استهلّ الهلال وحلّت الشمس برجًا من الإثني عشر. وأن يقرّبوا قرابين من كل فاكهة باكورتها ومن الطيّب والذبائح والخمور أنفسها. وحرَّم السكر والمآكل النجسة. والصابئة تزعم أن شيث بن آدم هو أغاثاديمون المصري معلم هرمس. وكان اسقليبياذيس الملك أحد من أخذ الحكمة عن هرمس وولّاه هرمس ربع الأرض المعمورة يومئذٍ وهو الربع الذي ملكه اليونانيون بعد الطوفان. ولما رفع الله هرمس إليه حزن اسقليبياذيس حزنًا شديدًا تأسّفًا على ما فات الأرض من بركته وعلمه وصاغ له تمثالًا على صورته ونصبه في هيكل عبادته. وكان التمثال على غاية ما يمكن من إظهار أهبة الوقار عليه والعظمة في هيبته ثم صوّره مرتفعًا إلى السماء وكان يمثُل بين يديه تارة ويجلس أخرى ويتذكّر شيئًا من حكمه ومواعظه على العبادة. وبعد الطوفان ظنّ اليونانيون أن الصورة لاسقليبياذيس فعظموه غاية التعظيم. وكان أبقراط إذا عهد إلى تلامذته يقول: نشدتكم الله باري الموت والحياة وأبي وأباكم اسقليبياذيس. وكان يصوّره وبيده نبات الخطميّ رمزًا منه إلى فضيلة الاعتدال في الأمور واللين والمؤاتاة والمطاوعة في المعاملة. وقال جالينوس: لا يجب أن يرفض الشفاء الذي يحصل عليه المرضى بدخولهم هيكل اسقليبياذيس. أقول كلما ورد من أخبار ما قبل الطوفان ولم يسند إلى نبإٍ نبوي فهو حدس وتخمين لعدم المخبر به على الوجه. (عب، خصر، ٧، ٩)

هند

- الهند سبعة أجناس: الشاكثريَّة وهم أشرافهم فيهم الملك تسجد الأجناس كلُّها لهم ولا يسجدون لأحد، والبراهمة وهم لا يشربون الخمر والأنبذة، والكستريَّة يشربون ثلثة أقداح فقط لا تزوّجهم البراهمة ويتزوَّجون فيهم، والشُودَريَّة وهم أصحاب زراعة، والبَيْشيَّة وهم أصحاب صناعات ومهن، والسَّنداليَّة وهم أصحاب اللهو واللحون وفي نسائهم جمال، والذَّنْبيَّة وهم سمر أصحاب لهو ومعازف ولعب. وملل أهل الهند اثنتان وأربعون ملَّة منهم من يثبت الخالق عزَّ وجلَّ والرسل ومنهم من ينفي الرسل ومنهم النافي لكلّ ذلك. (خرد، مسلك، ٧١، ٧)
- من كان موغلًا في الشمال فإفراط بُعد

الشمس عن مسامتة رؤوسهم برّد أمزجتهم وفجّج أخلاقهم فعظمت أبدانهم وابيضّت ألوانهم واستدلّت شعورهم فعدموا بهذا دقّة الأفهام وثقوب الخواطر فغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم الغيّ والغباوة، كالصقالبة ومجاوريهم. ومن كان منهم قريبًا من معدّل النهار وخلفه إلى نهاية المعمورة في الجنوب، لطول مقاربة الشمس رؤوسهم سخنت أمزجتهم واحترقت أخلاطهم فاسودّت ألوانهم وتفلفلت شعورهم فعدموا بهذا الاناة وثبوت البصائر، كالحبشة وباقي السودان، إلا الهند فإن الله قد فضلهم على كثير من السمر والبيض وهم معدن الحكمة وينبوع العدل، إلا أنهم يُثبتون أزل العالم ويُبطلون النبوّات ويحرمون ذبح الحيوان ويمنعون إيلامه. (عب، خصر، ٤، ٢)

- الصين والهند متتاخمتان ولا تفصل بينهما إلا جبال حملايا غير أن بينهما بونًا شاسعًا في الأخلاق والفطرة. ففي الصين تجد الفكر جافًا بعيدًا عن الخيال ناظرًا إلى ما لديه لا إلى ما وراء الأفق، وفي الهند تجد الفكر سائدًا عليه الوهم، وصاحبه بعيد الأماني مولع بغير المرئيات. والحكومة في البلادين آلة واحدة غير أن الذين يديرونها في الصين هم العلماء وأما الذين يديرونها في الهند فهم الكهنة. وكل رجل في الصين يستطيع الوصول إلى أرقى المقامات وأما في الهند فكل يلزم الطبقة التي ولد فيها ولا يخرج منها. (مط، مرأ، ٢٢، ١٥)

هوامش

- للهوامش فائدة كبرى في الكتابة التاريخية، ولعلّها أداة الحكم على أصالة هذه الكتابة وجدواها، ولهذا يعتبر المؤرّخ الذي يهملها أو يتخلّى عنها تمامًا في أي مؤلَّف يضعه، كأنما تخلّى عن أهم وسيلة يستطيع بها غيره أن يفحص ما وصل إليه من نتائج، والملحوظة الهامشية هي التي تهيّئ للقارئ فرصة الاستدلال على صدق المؤلِّف، كما تهيّئ له في نفس الوقت فرصة الحصول على مزيد من المعلومات التي قد تستهويه أو تهمّه أهمية مباشرة. وأهم سبب يدعو المؤرّخ إلى التهميش في كتابته أو حين عرضه لنص من النصوص، هو الإشارة إلى النصوص التي استمدّ منها هذه العبارة أو تلك، وهكذا تصبح الملحوظة الهامشية شاهدًا على الكاتب، ومن الخير أن تكون في هذه الحالة موجزة... فإذا كان هناك تضارب في المصادر التي يستعين بها المؤرّخ فإنه يجد نفسه مضطرًّا إلى الإطالة في الملحوظة الهامشية، حيث يشير فيها إلى مختلف الآراء، ويحاول أن يحسم مادة الخلاف برأي من عنده. وأحيانًا تكون الملحوظة الهامشية متضمّنة لاقتباسات حرفية توضع بين أقواس، وتلك طريقة مفيدة جدًّا للقارئ المهتمّ الذي يستطيع حينذاك أن يقارن بين ما جاء في عدّة مصادر دون الرجوع إلى هذه المصادر ذاتها. (علف، فت، ١٥٥، ٢)

هود

- هود بن عبدالله بن رباح بن جاوب بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وكان أشبه ولد آدم بآدم عليه السلام خلا يوسف عليه السلام وكان رجلًا آدم كثير الشعر حسن الوجه. وكانت عاد ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمل وبلادهم أخصب بلاد الله وكثرتهم وديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار إلى عمان إلى حضرموت إلى اليمن، فلما سخط الله عزّ وجلّ عليهم جعلها مفاوز وغيطانًا فلما أهلك الله قومه لحق هود ومن آمن معه بمكّة فلم يزالوا بها حتى ماتوا، وكان هود رجلًا تاجرًا. (قتي، خبط، ١٤، ٦)

هوى في التاريخ

- أغرب ما في قضية "المَيْل" عند مؤرّخي العرب الأولين هو تلك النزعة "الشعوبية" التي كانت ترمي إلى تهوين شأن العرب والحط من قدرهم، وإعلاء شأن الأعاجم. وقد ظهرت هذه النزعة الغريبة عند إخباري يتمتّع بسمعة علمية طيّبة هو "أبو عبيدة" المتوفي سنة ٢١١هـ، وقد عاش أبو عبيدة حوالي مائة عام، منها قرابة ثمانين عامًا في العصر العباسي الذي رجحّت فيه كفّة الموالي. وقد ظهرت هذه النزعة فيما كتبه عن مثالب العرب. ولا شكّ أن هذه النزعة هي وليدة تلك الحركة الشعوبية التي قصد بها تشويه تاريخ العرب. وعلى الرغم من أنها خدشت ذلك الوجه الجميل لتاريخ العرب، إلا أنها كان لها فضل قيام حركة أخرى حماسية مضادّة لها، نتج عنها الاهتمام البالغ بدراسة التاريخ العربي على مقياس رحيب. وممن عاصروا أبا عبيدة وحملوا على العرب في تاريخهم الهيثم بن عدي المتوفي سنة ٢٠٧هـ. وكان من حاملي لواء الشعوبية، ولم تسلم قريش حتى من كتاب له في مثالبها... وقد تكون هناك اعتبارات للهوى في التاريخ غير اعتبارات الانتماء إلى القبيلة، أو إلى شيعة سياسية معيّنة، كاعتبارات التقرّب من حاكم، أو الخوف منه أو مجاملته. كما أن هناك بعض الاعتبارات الشخصية التي تقوم بين الناس في علاقاتهم بعضهم مع بعض، والتي لا ينبغي إغفالها من الحسبان حين الحكم على آثار المؤرّخين وكتّاب التراجم. وعامل المنافسة مثلًا بين الرجال هو عامل لا يجوز إغفاله في تعليل أكثر الحملات العنيفة التي قد نراها عند بعض المؤرّخين. (حس، عر، ٤٣، ٦)

هوية

- السؤال عن المائيّة والمنيّة والهويّة محال من وجه التفتيش عن ذاته لأنّ الإشارة إلى هذه الأشياء تصوّرها في الوهم ولا يتصوّر في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه من صفات الحدث. (بلخ، بدا، ٧٨، ١)

هيئة إجتماعية عند البدو

- تقوم الهيئة الاجتماعية عند البدو على نظام العشيرة، ووحدتها الأسرة التي تمثّل

الواحدة منها الخيمة أو البيت، والحي عبارة عن مضرب الخيام، وأعضاء الحي يطلق عليهم لفظ قوم، وتتألّف القبيلة من أقوام أو عشائر تربطها أواصر النسب، وينظر أبناء العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض كأبناء دم واحد، وهم يؤدّون الطاعة لرئيس واحد هو شيخ القبيلة، . . . ويرجع اسم العشيرة في الغالب إلى الجد الأعلى الذي تنسب إليه، فيقال بنو تميم أو بنو شيبان وهكذا. (شل، سلم، ١٣٠، ٩)

هيبة

- (الملك الفاضل من خصاله) الهيبة، وبها يحفظ نظام المملكة، ويحرس من أطماع الرعية. وقد كان الملوك يبالغون في إقامة الهيبة والناموس - يؤخذ مما بأيدينا من كتب اللغة أن استعمال كلمة (الناموس) في معنى النظام كما هو مراد المؤلف هنا ليس استعمالًا صحيحًا -، حتى بارتباط الأسود والفيلة والنمور، وبضرب البوقات الكبار، كبوق النفير، والدبادب، والقصع، ورفع السناجق، وخفق الألوية، على رؤوسهم، كل ذلك لإثبات الهيبة في صدور الرعية، ولإقامة ناموس المملكة. (طق، فخر، ١٤، ١٢)

هيكل التاريخ

- البحث عن هيكل التاريخ أمر ليس بالجديد، فإن محاولة النفاذ وراء الأحداث العابرة لإدراك الاتجاهات والحركات التي تتضمّنها والقوى الدافعة والعلاقات التي تعطيها أهمية ومعنى، وقد أشغلت الفلاسفة والمؤرّخين من عهد فولتير وكوندورسيه في القرن الثامن عشر إلى هيجل وكومت وماركس. والتغيير الذي حدث هو أن التكدّس الواسع للمعرفة التاريخية الجديدة أخذ يجبر المؤرّخين على إعادة النظر وإعادة تقدير أبعاد النماذج التي استلموها من أسلافهم، فقد أصبح واضحًا مثلًا أن الصور التي رسمها رانكه في محاضراته "عن حقب التاريخ الحديث هي تفسير أثّر في أجيال المؤرّخين في أوربا الغربية وعكس أحوالًا ومواقف لم تعد اليوم ذات قيمة. ومن جهة أخرى فإن المعرفة الجديدة للتأريخ الآسيوي أثارت بين المؤرّخين الشيوعيين وغير الشيوعيين مسألة مدى إمكان قبول فكرة ماركس في الأنماط الآسيوية الخاصة في الإنتاج. وبصورة أعمّ أظهرت بين المؤرّخين اللاماركسيين على الأقلّ مسألة ما إذا كان من الممكن في المرحلة الحالية تكوين نظرة عامة مرضية عن مجرى التاريخ البشري، وما الذي يمكن أن يحلّ محلّها إذا لم يكن بالإمكان تكوينها. وقد ارتأى بعض الكتاب من أمثال بوبر، أنه لا يوجد تاريخ للإنسانية وإنما يوجد عدد غير محدود من تواريخ مختلفة لأوجه الحياة الإنسانية، ولذلك فإن البحث عن أشكال ثابتة أو متكرّرة للتطوّر التأريخي مكتوب لها الفشل. ومع كل هذا فلا يزال المؤرّخون لمختلف أوجه الحياة البشرية يتساءلون هل أن الهيكل القومي مثلًا

كاف؟ وإن لم يكن كافيًا، فما الذي يجب أن يحلّ محلّه؟ إن إنكار النظرة الشاملة لـ "ما وراء التأريخ" عن الماضي لا يتجنّب مسألة التوحيد، وإنما ينقلها فقط إلى مستوى آخر. (بار، وجه، ٢٥٢، ١٧)

و

واجب

- الواجب في العقل بنفس العقل استدلاله كعلمنا بأنّ البناء يقتضي بانيًا والكتابة يقتضي كاتبًا ولا بدّ لكلّ صنعة من صانع وأن الواحد والواحد اثنان وأن الشيخ كان شبابًا والصغير كان رضيعًا وما أشبه ذلك، والسالب الممتنع المستحيل في العقل بنفس العقل واستدلاله وهو أن يوجد كتاب بغير كاتب وصنعة من غير صانع، فإنّ هذا لا يوجبه العقل ولا يتصوّره الوَهم ولا يستقرّ عليه الطبع. والممكن الجائز الموهوم في العقل بنفس العقل كما حكى عن القرون السالفة والبلدان النائية وما يذكر أنه سيكون بعد، فإنّ ذلك ممّا يجوز في العقل أنّه كذلك ويجوز أنه ليس كذلك لأنّه لا يدلّ خاطر على تحقيق شيء من ذلك إلّا ويجوز أن يدلّ خاطر على إبطاله لدخوله في حدّ الجواز والإمكان، فلما تكافأت الأدلّة به قصر على حدّ الوقوف، فلا شيء إلّا وهو معقول معلوم أو معروف أو موهوم أو محسوس. (بلخ، بدا، ٢٨، ١٢)

واجب الوجود

- العالم كله حادث، وكل حادث فلحدوثه سبب، والدليل على أن العالم حادث أن العالم كل موجود سوى الله عزّ وجلّ، والموجود إذا كان متحيّزًا غير مؤتلف سمّي جوهرًا فردًا فإن ائتلف إلى غيره سمّي جسمًا. والعرض ما قام بغيره: كاللون، والطعم، وهذه الموجودات لا تخلو من الحوادث؛ كالحركة والسكون، وكل ما يخلو من الحوادث حادث. ومعنى قولنا "حادث" أنه وجد بعد عدمه، فلا يخلو وجوده قبل أن يكون محالًا أو ممكنًا، ولا يجوز أن يكون محالًا؛ لأن المحال لا يوجد أبدًا. فثبت أنه ممكن، والممكن ما يجوز أن يوجد ويجوز أن لا يوجد، فلا بدّ لوجوده من مرجّح له على العدم، وهذا أمر ضروري في العقل لا نزاع فيه، فظهر منه أنه لا بدّ للموجودات من موجد أوجده. فإن قيل: يبطل هذا بالخالق فإنه موجود لا بموجد. قلنا: الخالق واجب الوجود لم يزل، وهذه الأشياء جائزة الوجود وبدت بعد عدم فافتقر إلى موجد. (جو، نظم، ١١٩، ٤)

وازع

- التغيّر، فالتاريخ حسب ابن خلدون والعمران بوجه عام في تغيّر مستمرّ. بل إن المقدّمة نفسها تخضع في بنائها لحركة تتخلّلها من البداية إلى النهاية. فقد بنى المؤلّف مقدّمته بحيث يتبع هذا الكتاب حركة العمران نفسها؛ فالعمران ينتقل بطبيعته من البسيط إلى المركّب، ابتداء من إنتاج البسيط من المعاش (المعاش

الضروري كما يتجلّى في أنواع المعاش البدوي) إلى المركّب منه (كما يتجلّى في الاقتصاد الحضري)، وذلك عبر انتقال الجماعة نفسها من مستوى البداوة إلى مستوى التحضّر. هذا الانتقال اجتماعي - اقتصادي ولكنه أيضًا سياسي. ولذا تتابع المقدمة في الآن نفسه هذا الانتقال السياسي عبر مفهوم الوازع (السلطة) ابتداء من شكله البسيط: الرئاسة (السلطة القبلية)، حتى المستوى المعقّد وهو الدولة. فالمقدمة تتبع في بنائها إذن حركة العمران وذلك على مستويين: مستوى المعاش (ابتداء من أنماط المعاش الأكثر بساطة حتى الصَّنائع والعلوم وأنواع معاش الحضر)، ومستوى السلطة (الوازع) الذي تتبع المقدّمة تطوّره ابتداء من السلطة البسيطة أي الأقل قسرًا حتى الدولة بمختلف مؤسساتها (الخطط). يعبّر ابن خلدون أيضًا، عن وعي قوي بالتغيّر حين يعرض لمؤسسات لحق تاريخها تحوّل عميق، كالقضاء والتعليم. بل أن الخلافة نفسها كمؤسسة سياسية ارتبطت عنده بمجموعة قبلية محدّدة (القرشيين) واختفت باختفاء القوة السياسية لهؤلاء ونهاية السيادة العربية على العالم الإسلامي، فنتج عن ذلك تغيّر عميق في مؤسسات الخلافة (الخطط الخلافية) كالحسبة والجهاد. (أوم، نهج، ٦٧، ٢)

- السلطة هي إذًا نوع من التصحيح للطبيعة الإنسانية المخالفة للحياة الاجتماعية، حيث أن هذه الأخيرة ليست فطرية. وتأتي من هنا كلمة "وازع" التي تعني: ما ينهي... لكن ما ينهي يمكنه أن يكون أخلاقيًا وذاتيًا (ويلعب الدين دورًا أساسيًا في تصحيح الطبيعة الشريرة للإنسان بالعدالة والفضيلة)، أو موضوعيًا يتجسّد في سلطة خارجية. (أوم، نهج، ٢٠٧، ٨)

- أما بالنسبة للخلافة فهي عنده (إبن خلدون) السلطة المثالية بالنسبة للبشر، لأنها تحافظ في الوقت نفسه على مصالحهم في هذه الدنيا وفي الآخرة. غير أنهم لن يروها بعد الآن مطلقًا. يمكن لهذه السلطة أو تلك أن تدعيها، ولكن ذلك لن يكون إلا ادّعاء شكليًا، لأنها كنظام سياسي محدّد، لن تتكرّر في التاريخ. وذلك لأنها وافقت شرطين تاريخيين مضيا مع الزمن: ١- قرب الجيل الذي عرفها من الوحي الديني حيث كان الاختلاف ضئيلًا بين ما هو ديني وما هو إجتماعي. ولأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان آخر نبي، فإن هذا الشرط لن يتحقّق من جديد. ٢- وجود عصبية قريش العربية، ولا يكف ابن خلدون عن تكرار أن سلطة العرب انتهت تاريخيًا وحلّت مكانها سلطة "العجم" في المغرب والمشرق. والنتيجة هي أن التاريخ اضطرّ المسلمين إلى الحياة في أنظمة أدنى مما يأمر به الدين لم يعد هناك إذن إلا السياسة فقط، ولم تعد "السياسة الشرعية" ممكنة. السلطة الوحيدة الباقية قائمة على العصبية، أي على "الوازع" الذي هو موضوع النظرية السياسية للمقدمة والذي لا يعني في التحليل الأخير إلا

المجتمعات القبلية. (أوم، نهج، ٢٠٨، ٥)

وثائق

- الوثائق بالغة الأهمية في دراسة التاريخ الإسلامي، ولكن للأسف فقدت أغلب الوثائق في الحروب الداخلية التي كثيرًا ما التهمت نيرانها هذا المصدر الهام من مصادر التاريخ، ومع هذا فلا تزال لدينا مجموعة ذات بال، وقد جمع السيد حميد الله الحيدر آبادي في كتاب خاص "مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة"، كما جمع الأستاذ أحمد زكي صفوت أكبر مجموعة من هذا النوع في كتاب أسماه "جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة" وهو في أربعة أجزاء كبيرة. (شل، سلم، ٦٨، ١)

- يتّصل بالوثائق - في المعنى العام - الرسوم والصور، التي هي ذات أهمية خاصة من الناحية التاريخية. والوصف الكتابي مفيد دون شكّ في بيان خلُق وعادات نابليون - مثلًا -، ولكن رسم المصوّر إيّاه في أوضاع مختلفة، أو صنع المثّال تماثيل له، يعطينا بالألوان والظلال الواضحة في الصورة، ويمنحنا بالتجسيم الواضح في المرمر أو البرونز، فكرة أدقّ تضاف إلى ما يمكن أن نعرفه عنه من أوصافه وخلقه وطباعه، بطريق الكتابة. فالرسوم، والصور، والحفر البارز أو الغائر، والتماثيل، تساعدنا في فهم التاريخ، وتسجّل لنا أحيانًا أشكالًا ومناظر وأزياء تغيَّرت معالمها أو زالت من الوجود، أو ربما لا تنجح الكتابة في التعبير عنها كما ينبغي. (عث، بحث، ٧٧، ١٦)

- يتّصل بالوثائق أيضًا - في المعنى العام - آثار الإنسان وبقاياه - فمن ذلك بقايا جسم الإنسان نفسه، وملابسه، ومساكنه، ومبانيه، وأسلحته، وأدواته التي كان يستخدمها في أثناء حياته، ونقوشه على الأحجار... ما يدخل في نطاق علم الآثار. فينبغي على الباحث في التاريخ أن يشاهد ويدرس بنفسه آثار العصر الذي يدرس ناحية من تاريخه، ويزور المباني القائمة التي كان رجال ذلك العصر يعيشون فيها، والحدائق التي كانوا يُروّحون عن خواطرهم في أرجائها، إن وجدت. وعليه أن يتعرّف على طريقة معيشتهم وأزيائهم، ومخلفاتهم الشخصية، وأن يتلمّس ما كانوا يؤثرونه من أدوات الموسيقى وألحانها، إن كانوا قد فعلوا ذلك. ويمكن أن يرجع الباحث إلى بعض المتاحف العامة أو الخاصة، أو المباني أو الأماكن التي كان رجال الماضي يشغلونها أو يشغلون أجزاء منها، وتحوّلت الآن إلى أماكن عامة. (عث، بحث، ٧٨، ٤)

- التاريخ الذي نكتبه ليس أبدًا عين الحقيقة في ذاتها المجرّدة، إنما هو صورة ننتزعها من ذهننا نتوهّم بصدق أنها تعكس عين الحقيقة. فكل كتابة للتاريخ مبنية في قرارتها على هذا الوهم. ثم أن هناك

مشكلة الوثائق التي نعتمدها في كتابة التاريخ. فهذه الوثائق لا تمثل أبدًا كامل أوجه الواقع. مهما كان التاريخ الذي نكتبه قريبًا أو بعيدًا، وخاصة إذا ما كان بعيدًا، فإن ما يبلغنا من وثائق لا يحيط بجميع نواحيه. ذلك أن يد الدهر ويد الإنسان وانواع الصدف في النهاية تضمن البقاء للبعض وتتلف البعض الآخر إتلافًا بلا رجعة. وهكذا تكتسي كتابتنا للتاريخ صبغة اعتباطية تميّز بعض الظواهر دون بعض وما ذلك إلا لجهلنا، وعدم شمول وثائقنا، التي تترك في نسيج التاريخ ثقوبًا تكثر وتقلّ ويتّسع خرقها ويضيق. وكل هذا يختم في النهاية بألوان من التحريف، لا سيما عندما يستعين المؤرّخ بالخيال ليرتق الفتق، ويملأ البياض، ويرفو الثقب. (علف، فت، ٣٠، ٤)

وثيقة

- طريقة التاريخ أو منهج البحث فيه فهو تفسير الوثائق، والوثيقة هي الشيء الذي يرجع إلى زمان ومكان معينين، وتحمل معلومات ذات طابع خاص، يفكّر المؤرّخ فيه ويعمل على تفسيره. (علف، فت، ١١٩، ٢١)

وحدات تاريخية

- المسائل التي لا قوام للتاريخ دونها والتي تشكّل مضمون الوحدات التاريخية التي تطالها الكتابة، فهي تلك التي في عقدتها تشكّل الملوك ومتعلّقاتهم في إطار الدولة. فالملك ومتعلّقاته من وزارة وحجابة وحروب ودماء ودولة ونسب وفتوح وبطش هي المسائل التي تدخل في إطار الكتابة التاريخية. وليس للملك في علاقته بالتاريخ تحديد، كما ليس للتاريخ كتاريخ قائم على سرد ما للملوك تحديد، إذ ليس لأي منهما قابليّة لأن يعرف بواسطة أي عنصر غير نفسه، أي بأي أسلوب يتجاوز ذكر تجلّياته العيانية -. (عظم، عرف، ٧١، ١٤)

وحدة التاريخ

- إن وحدة التاريخ ليست موضوعًا للمعرفة. ولا يمكن أن نميّز فيها وحدة أصل بيولوجي للإنسان. وبوصفها وحدة كوكبية، محدّدة في المكان والزمان، فإنها ظاهرية فحسب. ولا يمكن البرهنة على وحدة غاية عالية. وتصوّر نظام عالمي مؤسّس على القانون يقوم على أساس أفكار إنسانية، لا على معنى التاريخ في مجموعه، ولا يزال تصوّرًا احتماليًا. وهذه الوحدة نحن لا نستطيع أن نقول إنها حقيقة واحدة كلية، لأن هذه الهوية لا تقوم إلا على الذهن. ووحدة التاريخ ليست تقدّمًا نحو غاية وليست أيضًا المنحنى الصاعد لعملية لا متناهية. ولا توجد بالنسبة إلى الشعور الواضح، ولا تعثر عليها فوق أعالي الخلق الروحي. وليست معنى يصدر عنه كل شيء أو يجب أن يصدر عنه كل شيء. ولا يمكن عدّها تركيبًا صنعته الإنسانية في مجموعها. وشمول التاريخ

ليس حاضرًا حقًّا في رؤيتنا التأملية: لا كواقع، ولا كمعنى. إن كل قول بوحدة التاريخ هو تبسيط خاطئ إذا كان يرى أن يفسّر التاريخ في شموله. وإنما الواجب علينا أن نحافظ على الجزئيات والتفاصيل العديدة، وفي نفس الوقت نعترف بأن ثم شيئًا يتجاوزها ويعلو عليها، ولا بدّ إذن من أن يظلّ العقل متأهّبًا ومتفتّحًا لإدراك نوع من الوحدة. ذلك أن فكرة الوحدة تستمرّ في فرض نفسها علينا. ومهمّتنا هي تحقيق التاريخ الكلّي. (علف، فت، ٢٤٢، ٣)

وحي

- الوحي إلهام وتوفيق وزعم آخرون أنّه قوّة الروح القُدسيّ وعند الفلاسفة النبوّة علم وعمل. والمسلمون يقولون الوحي على وجوه فمنه الإلهام ومنه الرؤيا ومنه تلقين ومنه تنزيل. (بلخ، بد١، ١١٣، ٥)

ورخ

- من ورخ مؤمنًا فكأنما أحياه ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا ومن زار ولي الله فقد استوجب رضوان الله في غرف الجنة، وحق على المزور أن يكرم زائره... ذكر الصالحين من الأموات رحمة الأحياء من أهل المودات، ويرجى لمن ورخ جماعة أن يشفع السعيد منهم في الشقي وفي الخبر لكل امرء منهم ما نوى والأعمال بالنيّات. (سخ، ذم، ٢٨، ١)

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٧)

وزائع

- الجباية أوّل الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة. والسبب في ذلك أن الدولة: إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية، وهي قليلة الوزائع -

(ما يتوزّع على الأشخاص) - لأن مقدار الزكاة من المال قليل...، وكذا زكاة الحبوب والماشية، وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية، وهي حدود لا تُتعدى؛ وإن كانت على سنن. التغلّب والعصبية فلا بدّ من البداوة في أولها...، والبداوة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن أموال الناس، والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر، فيقلّ لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الأموال من مجموعها. وإذا قلّت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه، فيكثر الاعتمار. ويتزايد محصول الاغتباط بقلّة المغرم، وإذا كثر الاعتمار كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع، فكثرت الجباية التي هي جملتها. فإذا استمرّت الدولة واتّصلت، وتعاقب ملوكها واحدًا بعد واحد واتّصفوا بالكَيس، وذهب شرّ البداوة والسذاجة وخلقها من الإغضاء والتجافي، وجاء الملك العضوض والحضارة الداعية إلى الكيس، وتخلق أهل الدولة حينئذٍ بخلق التحذلق، وتكثرت عوائدهم وحوائجهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف، فيكثّرون الوظائف والوزائع حينئذٍ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم، ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارًا عظيمًا لتكثر لهم الجباية، ويضعون المكوس على المبايعات وفي الأبواب كما نذكر بعد، ثم تتدرّج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرّج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والإنفاق بسببه، حتى تثقل المغارم على الرعايا وتنهضم وتصير عادة مفروضة، لأن تلك الزيادة تدرّجت قليلًا قليلًا ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين، ولا من هو واضعها، إنما تثبت على الرعايا كأنها عادة مفروضة ثم تزيد إلى الخروج عن حدّ الاعتدال فتذهب غبطة الرعايا في الاعتمار لذهاب الأمل من نفوسهم بقلّة النفع، إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين ثمرته وفائدته، فتنقبض كثير من الأيدي عن الاعتمار جملة، فتنقص جملة الجباية حينئذٍ بنقصان تلك الوزائع منها. وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه جبرًا لما نقص، حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة، لكثرة الإنفاق حينئذٍ في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوّة به. فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها، إلى أن ينتقض العمران بذهاب الآمال من الاعتمار، ويعود وبال ذلك على الدولة، لأن فائدة الاعتمار عائدة إليها. وإذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن؛ فبذلك تنبسط النفوس إليه لثقتها بإدراك المنفعة فيه. (خلد، قدم، ٧٢٩، ١٩)

وزارة

- الوزارة وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها يدلّ على مطلق الإعانة؛ فإن الوزارة مأخوذة إما من الموازرة وهي المعاونة، أو من الوِزْر وهو الثِّقْل كأنه يحمل مفاعله أوزاره وأثقاله، وهو راجع إلى المعاونة المطلقة. (خلد، قدم، ٦٦٥، ١٤)

- إنقسمت الوزارة حينئذٍ (عهد الدولة العباسية) إلى وزارة تنفيذ، وهي حال ما يكون السلطان قائمًا على نفسه، وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدًّا عليه. (خلد، قدم، ٦٦٩، ٩)

- الوزارة أسمى الرتب السلطانية، وليست من محدثات الإسلام بل هي فارسية الأصل اتّخذها المسلمون في عهد الدولة العباسية. أما إذا أريد بالوزارة استعانة الخليفة بمن يشدّ أزره أو يعاونه في الحكم، فهي تتّصل بصدر الإسلام. لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة، ويختصّ أبا بكر بخصوصيات أخرى، حتى أن العرب الذين خالطوا الروم والفرس قبل الإسلام كانوا يسمّون أبا بكر وزيره. وكذلك كان شأن عمر مع أبي بكر، وشأن علي وعثمان مع عمر. ولكن لفظ الوزير لم يكن يعرف بين المسلمين في سذاجة الدولة. (زي، مدن١، ١٥٩، ٣)

وزارة التفويض

- وزارة التفويض أن يستوزر الخليفة رجلًا يفوّض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده، فيتولّى الوزير كل شيء يمضيه عن الخليفة إلا ثلاثة أشياء: ١- ولاية العهد فإن للخليفة أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير. ٢- للخليفة أن يعزل من قلّده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلّده الخليفة. ٣- للخليفة أن يستعفي الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير. ومن وزراء التفويض آل برمك، ويحيى بن أكثم، وابن الفرات وغيرهم في الدولة العباسية، وأمير الجيوش في الدولة الفاطمية. (زي، مدن١، ١٦١، ١٦)

وزارة التنفيذ

- أما وزارة التنفيذ فالنظر فيها مقصور على تنفيذ ما يراه الخليفة، فيكون الوزير واسطة بين الخليفة وبين الرعية، فيمضي ما يأمره الخليفة به من تقليد الولاة، وتجهيز الجيوش، ويعرض عليه ما ورد من مهم وتجدّد من حدث ملم. خلافًا لوزير التفويض، فإنه يولي ويعزل كما يشاء، ويقضي ويمضي بلا حدّ ولا قياس. ويجوز للخليفة أن يستوزر وزيري تنفيذ: أحدهما للحرب مثلًا والآخر للخراج، ولكنه لا يستوزر إلا وزيرًا واحدًا تفويضيًّا. (زي، مدن١، ١٦٢، ٢٣)

وزراء الخلافة

- وزراء الخلافة قد لُقِّبوا بالأذواء كذي

اليمينين وذي الرئاستين وذي الكفايتين وذي السيفين وذي القلمين وأمثال ذلك. (بير، بقي، ١٣٤، ١٣)

وصاية

- الوصاية: وهي وصاية الخليفة لمن يخلفه بعد موته. وقد أوصى المتوكّل آخر الخلفاء العباسيين بمصر يوم فتحها الأتراك للسلطان سليم بالخلافة. (زي، مدن١، ١٢٩، ١١)

وصف

- الصفة ما يلاصق الموصوف كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة. (بلخ، بدا، ٩٦، ١٣)
- السببية في التاريخ هي في الواقع محاولة الكشف لا عن "السبب" ولكن عن تلك المجموعة المركّبة من الأسباب والعوامل الكامنة في كل حدث. وقد دخل مفهوم السببية في السرد التاريخي بشكل أصبحت كتابة التاريخ بدونه مجرّد فهرسة أو تخطيط زمني للسنين. ارتبطت في الواقع، علمية التاريخ إلى حدّ كبير بهذه المحاولة الفكرية لتلمّس الأسباب. ومع أن المؤرّخين قد حقّقوا - فيما يبدو - جانبًا من النجاح في هذا الميدان فإنه من الواجب أن نعترف أن مشكلة السبب التاريخي ما زالت في جوهرها دون حلّ. وأهم مشاكلها ليس الغموض فحسب وتركيز بعض المؤرّخين على أسباب دون أخرى ولكن أيضًا تحديد الفترة الزمنية التي يجب أن نفتّش فيها عن الأسباب والبنى المتشابكة للأحداث اللاحقة ثم معرفة العوامل الثابتة والمتحوّلة في كل حدث: عددًا ونوعًا وأثرًا. مع الأخذ بعين الاعتبار أن بحث العلل الأولى هو مشكلة غيبية تخرجنا من ميدان التاريخ إلى رحاب الميتافيزيك. وإذا كانت عملية التأريخ مرتبطة بخطّين من الأعمال: كيف حدث؟ (الوصف) ولماذا حدث؟ (التعليل) فقد يكون الجواب على (كيف؟) حتى بالشكل الدقيق المنطقي أسهل بكثير من الجواب على الـ (لماذا؟) التعليلية. وإذا كانت (كيف؟) قد تجرّ إلى السؤال عن أي الطرق وبأي الوسائل وضمن أي الظروف من اجتماعية أو طبيعية أو دينية أو نفسية، تمّ ذلك الحادث المركّب الذي تحقّق في وقت ما وفي مكان ما من التاريخ فإن مشكلة الـ (لماذا؟) ترتبط بعملية غوص بعيدة الأغوار عن العوامل السيكولوجية والاقتصادية والجغرافية والمناخية والفكرية والاجتماعية التي أثّرت في تكوينه وإخراجه على الشكل الذي خرج فيه. (علف، فت، ٢٠٢، ٢٧)

وضعي

- يتميّز موقفان: الوضعي والتاريخاني. ينفي المحلّل الوضعي كل فكرة مسبقة وبالتالي يعارض كل تقييم، جماليًا كان أو أخلاقيًا أو فلسفيًا أو دينيًا، فينتهي آخر الأمر، رغم كل محاولاته إلى أن كل تعبير مطابق للحالة التي يعبّر عنها. فتلتقي الوضعية المنهجية بالواقعية في الأدب، والحيادية

في السياسة، والعدمية في الأخلاق. ومن هنا يؤخذ على الوضعية أنها تبرّر كل عمل فكري، مع أن القارئ يحسّ بداهة بالفروق في القيمة والمستوى، ومن هذه الفجوة يتسرّب من جديد منطق الكشف. أما الموقف التاريخاني فإنه يرفض بالطبع وجود حقيقة مسبقة لكنه يرفض أيضًا الحياد. انطلاقًا من المجتمع الإنساني مجزأً إلى قوميات وكل قومية إلى فئات، وأن التطوّر التاريخي لا يتّبع وتيرة واحدة، نقول إن كل تطوّر في أي مجتمع يضع حدودًا لحركة المجتمعات الأخرى وضرورة اجتياز هذه الحدود هي التي تحدّد "حقيقة" كل فترة بالنسبة لكل مجموعة. توحّدت فرنسا وانجلترا، فأصبحت الوحدة القومية حقيقة الفترة اللاحقة بالنسبة لألمانيا وإيطاليا مع أنها لم تكن كذلك في الفترات السابقة. بناءً على هذا الوضع يمكن الحكم، إيجابًا أو سلبًا، على التنظيمات الاجتماعية والإنتاج الفكري، على أسس إنجازية تاريخية لا فلسفية أو أخلاقية. (عر، فكر، ٢٤، ٢)

وضوح

- الوضوح شرط أساسي في كتابة التاريخ، فإن المؤرّخ الحق لا يبلغ مراده من إيصال المعنى إلى من يكتب لهم إلا إذا كانت عبارته متميّزة بالوضوح. على أننا نفترض قبل الوضوح أن تكون الأساليب جارية على الأصول العربية الصحيحة. ونجد الوضوح وسلامة العبارة وصحّتها متوفّرة فيما رواه لنا المؤرّخون الأولون من كتّاب العرب والإسلام. والروايات الأولى للأخباريين وكتاب السيرة فيها من علو العبارة وارتفاع مستواها ما يؤكّد لنا أصالة اللغة العربية في نفوس هؤلاء القوم. فقد كانت العربية صحيحة لم يطرأ عليها الفساد، ولم تدخلها العجمة. (حس، عر، ١٣٩، ٢)

وظائف الملك

- أما ابن خلدون فيُحدِّد منهجه كالتالي: "إن كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبه إنما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر، لا بما يخصّها من أحكام الشرع". (أوم، نهج، ٢٠٢، ١١)

وعي بالتاريخ

- إن قراءة التاريخ تضيف لقارئه عمرًا ثانيًا، وأنها من ثم تضاعف العمر، لأنها تضيف إلى عمر القارئ عمر الشعوب والقادة والأبطال الذين قرأ تاريخهم، عن طريق إكسابه خبراتهم، وجعله يعيش ما عاشوا من أحداث ووقائع وأيام. ولما كان كلام أسلافنا القدماء عن "قارئ التاريخ، فإننا نستطيع أن نضيف هنا: أن "الوعي" بالتاريخ يكسب أصحابه إلى جانب عمرهم وعمر أسلافهم، أيضًا عمر الأجيال التي لم تأت بعد!!. لأن "الوعي" بالتاريخ تتجاوز فائدته وثمراته حدود الاستفادة بهذا "الوعي" في حياتنا الحاضرة وبناء واقعنا المعاش، إلى التأثير في المستقبل، القريب

منه والبعيد، ومن ثم فنحن نضيف إلى أعمارنا - إذا "وعينا" تاريخنا - أعمار الأقدمين، ونسهم كذلك في زيادة أعمار الأجيال القادمة، بما نضعه على دروبها من أضواء، وما نقدّمه لتجاربها وخبراتها من إضافات. (عم، وعى، ١٧، ٧)

- الفروق الجوهرية بين "قراءة" التاريخ، وبين "الوعي" بهذا التاريخ، من الوضوح لدى أصحاب الثقافة التاريخية إلى الحدّ الذي يجعلنا نمرّ عليها دون إفاضة في الحديث، فإننا نودّ أن ننبّه إلى أن قضية "الوعي" بالتاريخ لا تتطلّب فقط "ذكاء" الدارس والباحث والمؤرّخ، وقدرته على "الفهم" والتحليل، وإنما لا بدّ لهذه المهمة من الارتكاز على منهج علمي في دراسة التاريخ وتناول صفحاته وأحقابه وأحداثه والعلاقات التي تربط ربطًا موضوعيًا وجدليًا بين ما يراه البعض ركامًا من الأحداث، ومن ثم اكتشاف الروح السارية دائمًا والنامية أبدًا في هذا التاريخ، ودرجة النموّ واتجاه السير، وعلاقات ذلك بالقوى الاجتماعية والتيارات القومية والتأثيرات الداخلية والمؤثّرات الخارجية، وعوامل المدّ والتصاعد وقوى الجذر والهبوط التي اعترضت وتعترض مسار الأمم والطبقات في هذه المسيرة التي لا زالت زاحفة والتي بدأت مع بدء الإنسان ممارسة الحياة. (عم، وعى، ١٧، ١٧)

وعي تاريخي

- إنعدام الوعي التاريخي يؤدّي إلى خطأ في فهم العمل السياسي وإلى تعثّر الحركة الوطنية وتعكير الوعي القومي. (عر، فكر، ٦١، ٢٣)

وفاء بالعهد

- (الملك الفاضل من خصاله) الوفاء بالعهد، قال تعالى سلطانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٤) وهو الأصل في تسكين القلوب، وطمأنينة النفوس، ووثوق الرعية بالملك، إذا طلب الأمان منه خائف، أو أراد المعاهدة منه معاهد. ومنها الاطلاع على غوامض أحوال المملكة، ودقائق أمور الرعية، ومجازات المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. (طق، فخر، ١٤، ٢١)

وفيات

- الوفيات وقد قال الذهبي في مقدمة تاريخه أنه لم يعتن القدماء بضبطها كما ينبغي بل أنكلوا على حفظهم فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان الشافعي، ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة لمعرفتنا لهم فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين وجهلت وفيات أئمة من المعروفين انتهى. (سخ، ذم، ١٦٠، ٢)

وقائع التاريخ

- ينبغي إرجاع الخطاب عن التاريخ إلى وقائع التاريخ. ينبغي العودة إلى الأصول،

هذا المصطلح ... المستعار من علم ديني يعني هنا شيئًا آخر: فالأصول هنا هي قوانين المجتمع والتاريخ: طبائع العمران. فاللجوء إلى مصطلحات علم ديني إنما من أجل إحداث فصل منهجي: انتزاع التاريخ من مجال العلوم الدينية وإرجاع أخبار التاريخ إلى قوانين التاريخ، وباختصار: إلغاء الانفصام بين التاريخ والخطاب التاريخي. (أوم، نهج، ٦٦، ٧)

وقائع تاريخية

- تتحدّد الوقائع التاريخية بمكان حدوثها وزمانها. وإذا ألغينا المكان والزمان بالنسبة لها فقدت مُشخّصاتها التاريخية، ودخلت في نطاق المعلومات الإنسانية العامة مثل (الفولكلور) الذي لا تُعرف أصوله على وجه التحديد. والباحث في التاريخ مضطرّ إلى أن يدرس الحقائق المتعلّقة بالمكان والزمان في العصور المختلفة، كلًّا على حدة. (عث، بحث، ١٥٦، ٧)

وقف

- الصدقة الجارية، خصّها بعض العلماء بالوقف، وجعلها من أدلّة تشريعه، وقال بعدم الوصية في معنى الصدقة، وبعدم دخول صدقة التطوع، والقرينة دالّة على العموم، لا سيما إذا كان الحديث في معرض فضائل الأعمال، فالعبرة بعموم لفظه، فالمدار على أن تكون الصدقة جارية مستمرّة باقية مخلِدة، لا ينقطع نفعها، ولا يمتنع من الدرّ ضرعها، كحفر الآبار في أي محل من المحال، حيث يصير النفع بها، رصدت على جهة أم لم ترصد، وغرس الأشجار التي يتظلّل بها، وإجراء الأنهار، وتسليك الطرق، وجميع الأفعال الخيرية الدائمة، فالصدقة الجارية بهذا المعنى جامعة لأكثر أركان المنافع العمومية، والأوقاف داخلة فيها، مما يرصد للمساجد والمارستانات، ونحو ذلك مما يبتغي به الواقف وجه الله تعالى، حتى يكون من المنافع العمومية، والباقيات الصالحات، والأعمال الحسنات، فإن كثيرًا من أرباب اليسار يحرصون على بناء المساجد والمدارس، ويحبسون عليها الدور والخانات والحوانيت وغيرها، ويكتبون أسماء عليها ليتخلّد ذكرهم، ويذكر في الصحف أهل الخير خيرهم، فإذا كان هذا البناء وما يرصد عليه من وجه حلال طيب، كان من مصداق الحديث، يعني من الصدقات الجارية النفع والثواب، وإلا بأن كان بوجه الاغتصاب أو كان لمجرّد الفخر، كان راصده مجرّدًا عن الأجر، مجازى بالعقاب، فلو كان صاحبه ردّ المال على أربابه لكان أولى. (طه، عمل١، ٢٧١، ١٤)

ولاية

- يراد بالولاية الإمارة على البلاد، فيولّي السلطان أو الملك من يقوم مقامه في حكومة الولايات، وهي الأعمال في

اصطلاحهم. وهذا النوع من الحكومة قديم. (زي، مدن١، ١٥٠، ٣)

وهم

- الوهم اعتقاد صورة شيء محسوس أو مظنون وإن كان منفيًّا وجوده في الظاهر لأنّ قوّة الوهم في انبساطها تضعُف فلذلك ترى ما لا تراه العيون، وكذلك العين إذا امتدّت قوّة بصرها وبعدت مسافة المرئيّ عنها رأته على خلاف ما هو به من الصغر والعظم والصورة واللون وغير ذلك من الهيآت وما خلا عن الهيآت، والصفات والحدود كلّها فلا يمسّها الوهم ولا يتصوّر في النفس. (بلخ، بدا، ٢٢، ٤)

ي

يافث بن نوح

- يافث بن نوح. وأما يافث فمن ولده الصقالب وبرجان والاسبان وكانت منازلهم أرض الروم قبل الروم، ومن ولده الترك والخرز ويأجوج ومأجوج. (قتي، خبط، ١٣، ٤)

يرح

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٥)

يرحا

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٥)

يرخ

- يعرف القمر بلفظ مشترك عند الساميين ما عدا العرب فهو: "يرح" و"يرحا" في السريانية وهو "أرخو" في البابلية، وفي الآرامية "أرجا" (كما في سفر عزرا ٦: ١٥ وسفر دانيال ٤: ٢٦)، وفي الحميرية "ورخ". ومنها جاءت "أرخ". ولا بدّ أن نشير أن كلمة "تاريخ" مادة ذات أصل في السامية الأولى. وقد أعطيت "يرخ" بدلالتها على القمر دلالة جديدة هي الشهر "للعلاقة الزمنية التي تنجم عن إكمال القمر لدورته في شهر". أما العبرانيون فإنهم استعملوا كلمة "حودش" بمعنى "حديث" للدلالة على الشهر وهو يشير إلى نشوء الهلال وحدوثه. وأرّخ العرب بأحداث مشهورة كعام الفيل أو بيوم مشهور من أيامهم كيوم الفجار. وأرّخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عندهم تاريخ يعرف بـ"زمن الفطحل". وكانت سنتهم قمرية مؤلّفة من ١٢ شهرًا قمريًا وكانوا يعدّلونها بالنسيء أو الكبس فتدور مع سنة الشمس ويظلّ توالي الفصول (ولا سيما الحج) متمشيًا مع السنة الشمسية. (سي، شم، ٣، ٩)

يرموك

- جرت واقعة اليرموك الشهيرة (١٣ رجب ١٥ هـ - ٢٠ أغسطس ٦٣٦ م) التي بدأت في حياة أبي بكر. واليرموك واد بناحية الشام بجوار بصرى يسيل فيه الماء حتى يصبّ قرب بحيرة طبرية واسمه اليوناني (Hieromax) عرّبه العرب "يرموك"، وعلى ضفاف ذلك الماء حصلت تلك الواقعة الهائلة وهي ذات شأن عظيم في فتوح الشام، لأن فوز المسلمين فيها نشطهم على مواصلة الفتح وأضعف عزائم الروم. (زي، مدن١، ٧٨، ١١)

يعقوب

- يعقوب هو إسرائيل الذي ولد الأسباط كلهم وكان رجلًا أزعر - الأزعر قليل الشعر - نحيفًا رزينًا لا يكاد يبرح القبة، وكذلك قيل في التوراة. وكان إسحق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأن ينكح امرأة من بنات خاله لابان ابن ناهر بن آزر وكان مسكنه الفدان فتوجّه إليه يعقوب فأدركه الليل في بعض الطريق فبات متوسّدًا حجرًا فرأى فيما يرى النائم أن سلمًا منصوبًا إلى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى الله عزّ وجلّ إليه أني أنا الله لا إله إلا أنا إلّهك وإلّه آبائك وقد ورّثتك هذه الأرض المقدسة وذريّتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكمة والنبوّة. ثم أنا معك وأحفظك حتى أردك إلى هذا المكان وأجعله بيتًا تبعدني فيه وذريّتك فهو بيت المقدس. (قتي، خبط، ١٨، ٦)

يقين

- اليقين وهو استقرار الحقّ وانتفاء الشكّ والشبهة عنه وإنّما اشترطنا في الخطرة الصدق لأنّه قد يخطر للنفس والهوى

والطبع والعادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يُعدّ من آخر العلم اليقين الذي يُحيط بالآشياء على وجهها ويدركها بكنهها. (بلخ، بدا، ٢١، ١٠)

يوم

- أهل هذه الصناعة قسّموا اليوم والليل إلى ساعات معتدلة، وساعات زمانية. فالمعتدلة، وتسمّى المستوية، هي مقدار زمان دور الفلك الأطلس خمسة عشر جزءًا. والزمانية ما هو جزء من اثني عشر جزءًا من النهار، وجزء من اثني عشر جزءًا من الليل، أبدًا، سواء كان النهار أطول من الليل أو بالعكس. فالمعتدلة يختلف عددها على قدر طول النهار وقصره وطول الليل وقصره، ولا يختلف مقدارها. والزمانية يختلف مقدارها باعتبار طول النهار وقصره وطول الليل وقصره، ولا يختلف عددها. (كاف، مخ، ٥٩، ١٦)

يوم بليلته

- اليوم بليلته هو عودة الشمس بدوران الكلّ إلى دائرة قد فرضت ابتداءً لذلك اليوم بليلته أيَّ دائرة كانت إذا وقع عليها الاصطلاح وكانت عظيمةً لأنّ كلّ واحدة من العظام أفق بالقوّة أعني بالقوّة أنّه يمكن فيها أن يكون أفقًا لمسكن ما، وبدوران الكلّ حركة الفلك بما فيه المرئيّة من المشرق إلى المغرب على قطبيه، ثمّ إنّ العرب فرضت أوّل مجموع اليوم والليلة نقط المغارب على دائرة الأفق فصار اليوم عندهم بليلته من لدن غروب الشمس عن الأفق إلى غروبها من الغد، والذي دعاهم إلى ذلك هو أنّ شهورهم مبنيّة على مسير القمر مستخرجة من حركاته المختلفة وأوائلها مقيّدة برؤية الأهِلّة لا الحساب، وهي ترى لدى غروب الشمس ورؤيتها عندهم أوّل الشهر، فصارت الليلة عندهم قبل النهار وعلى ذلك جرت عادتهم في تقديم الليالي على الأيّام إذا نسبوها إلى أسماء الأسابيع، واحتجّ لهم مَنْ وافقهم على ذلك بأنّ الظُّلمة أقدم في المرتبة من النور وأنّ النور طاغٍ على الظلمة فالأقدم أولى بأن يُبتدأ به وغلّبوا السُّكون لذلك على الحركة بإضافة الراحة والدَّعة إليه وأنّ الحركة لحاجة وضرورة والتّعب عقيب الضرورة فالتّعب نتيجة الحركة. وبأنّ السُّكون إذا دام في الأسطقسات مدّة لم يولِّد فسادًا فإذا دامت الحركة فيها واستحكمت أفسدت وذلك كالزّلازل والعواصف والأمواج وأشباهها. فأمّا عند غيرهم من الرُّوم والفرس ومن وافقهم فإنّ الاصطلاح واقع بينهم على أنّ اليوم بليلته هو من لدن طلوعها من أفق المشرق إلى طلوعها منه بالغد، إذ كانت شهورهم مستخرجة بالحساب غير متعلّقة بأحوال القمر ولا غيره من الكواكب وابتداؤها من أوّل النهار فصار النهار عندهم قبل الليل، واحتجّوا بأنّ النُّور وجود والظلمة عدم ومقدِّمو النور على الظلمة يقولون بتغليب الحركة على السكون لأنّها وجود لا عدم وحياة لا موت. ويعارضونهم بنظائر ما قاله أولئك كقولهم أنّ السّماء أفضل من

الأرض وأنّ العامل والشّابّ أصحُّ والماء الجاري لا يقبل عفونة كالرَّاكد. وأمّا أصحاب التنجيم فإنّ اليوم بليلته عند جلِّهم والجمهور من علمائهم هو من لدن موافاة الشَّمس فلك نصف النّهار إلى موافاتها إيّاه في نهار الغد، وهو قول بين قولين فصار ابتداء الأيّام بلياليها عندهم من النِّصف الظاهر من فلك نصف النَّهار وبنوا على ذلك حسابهم في الزِّيجات واستخرجوا عليه مواضع الكواكب بحركاتها المستوية ومواضعها المقوَّمة في دفاتر السنة، وبعضهم آثر النِّصف الخفيَّ من فلك نصف النَّهار فابتدأ بهما من نصف الليل. (بير، بقي، ٥، ١٤)

يوم العروبة

- (آدم) أبو البشر خلق يوم العروبة - أي الجمعة - سادس الشهر الأول وهو نيسان سنة إحدى للعالم بعد أن خلق الله تعالى في يوم الأحد وهو أول نيسان السماء العليا أي الفلك التاسع المتحرّك بالحركة الأولى من المشرق إلى المغرب والأرض وتسع مراتب الملائكة والنور والأركان الأربعة. وخلق تعالى في يوم الإثنين الرقيع وهو السماء الدنيا أي الفلك الثامن وما في ضمنه من الأرقعة السبع المتحرّكة بالحركة الثانية من المغرب إلى المشرق. وفي يوم الثلثاء أمر الله تعالى الماء فاجتمع إلى مكان واحد صائرًا بحرًا وأُظهرت الأرض منبتة عشبًا وأشجارًا مثمرة وغير مثمرة. وفي يوم الأربعاء قال عزّ من قائل: لتكن مصابيح أي كواكب في علو الرقيع للفصل بين الليل والنهار ولدلالات الأوقات والأيام والأعوام فرُصِّعت الثوابت بالفلك الثامن والنيّران والخمسة المتحيّرة كل بفلكه واستولت الشمس على سلطان النهار واستولى القمر على سلطان الليل وبقي الفلك التاسع وحده متطلّسًا. وفي يوم الخميس خلق الله تعالى التنانين العظام وكل نفس متحرّكة في الماء وكل طائر ذي جناح. وفي يوم الجمعة أمر الله تعالى الأرض فأخرجت أنفسًا حيوانية بهائم وسباعًا وحشرات. ثم خاطب ملائكته قائلًا: هلّموا نخلق إنسانًا بصورتنا ومثالنا عارفًا بالخير والشرّ مستطيعًا لفعلهما. فظهرت يمين مبسوطة فيها أجزاء من العناصر الأربع ونفخ فيها نسيم الحياة فوُجد آدم شابًّا. ثم ألقى الله عليه الرقاد وانتزع إحدى أضلاعه من جنبه الأيمن وخلق منها حواء أم البشر وأسكنهما فردوس عدن وهو الجنة ومستقرّها نحو المشرق وأباحهما الأكل من جميع ثمار الجنة خلا شجرة معرفة الخير والشر. وأردف ذلك يوم السبت فلم يخلق فيه شيئًا. ومن علمائنا مار غريغوريوس النوسويّ ويعقوب الرهاويّ يزعمان أن جميع المخلوقات إنما وجدت في آن واحد والكتاب الإلهي إنما خصّص كون كل كائن بيوم لتعليمنا حسن الترتيب في الأمور وأن الله غير موجب بالذات بل فاعل بالاختيار له أن يبرأ ما شاء متى شاء. (عب، خصر، ٤، ٥)

الفهارس

فهرس الموضوعات وجذورها

ب

خ

مسند المصطلحات *

عربي - فرنسي - انكليزي

أ

أبحاث تاريخية	Recherches historiques	*Historical researches*
إبراز	Manifestation	*Manifestation*
إتجاه إسلامي	Inclination Islamique	*Islamic inclination*
إتجاه قبلي	Inclination tribale	*Tribal inclination*
آثار	Archéologie	*Archeology*
آثار الإنسان	Trace, ethnologie, marques humaines	*Trace, ethnology, human marks*
آثار مادية	Monuments	*Monuments*
إثبات الوقائع	Dater les événements	*Dating of events*
إجتماع	Union	*Union*
إجتماع إنساني	Réunion, société humaine	*Union, human association*
إجتهاد	Jugement indépendant	*Independent judgement*
أجيال	Groupes des peuples, générations	*Groups of people, generations*
إحتمال	Possibilité	*Possibility*
أحكام سلطانية	Gouvernements royaux	*Royal governments*
أخبار	Récits des événements	*Stories*
أخبار الأنبياء	Histoire des prophètes	*Stories of Prophets*
أخبار الملوك	Histoire des rois	*History of kings*
إختلاف الأجيال	Différence des générations	*Difference of generations*
إختلال العمران	Désordre de la civilisation	*Disorder of the civilization*

* تجدر الإشارة إلى أن المسند قد اعتمد في اختيار المصطلحات المترجمة رؤوس الموضوعات الكبرى إضافةً إلى بعض تفريعاتها، وبما يقارب المعنى الغربي نظراً إلى وجود تفريعات متشعّبة تختص بالذهنية العربيّة والإسلاميّة يستحيل ايجاد اللفظ الغربي المعبّر عنها. أما الألفاظ والمصطلحات العلمية المعرّبة ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني، فقد أوجدنا مرادفاتها الأجنبية المطابقة وتركناها على لغتها الأم في الكثير من الأحيان.

إختيار الموضوع	Choix de l'objet	*Choice of the subject*
أدب	Littérature	*Literature*
أدلّة	Signes, preuves	*Signs, proofs*
إرادة	Volonté	*Will*
إرتقاء	Avancement, progrès	*Advancement, progress*
أرّخ	Historisation	*Historization*
أرض	Terre	*Earth*
أركيولوجيا	Archéologie	*Archeology*
أساطير	Mythes, légendes	*Myths, legends*
أسباب الأحداث	Motifs des événements	*Motives of events*
إستبداد	Autocratie, despotisme, totalitarisme	*Autocracy, despotism, totalitarianism*
إستدلال	Inférence	*Inference*
إستعادة الماضي	Réminiscence du passé	*Recollection of the past*
أسطورة	Mythe, légende	*Myth, legend*
أسلوب المحدّثين	La méthode des narrateurs	*The method of the narrators*
إسم	Nom	*Name*
إسناد	Attribution, renvoi	*Attribution, cross-reference*
أصالة	Originalité	*Originality*
أصل تاريخي	Origine historique	*Historical origin*
أصول التاريخ	Origines de l'histoire	*Origins of the history*
أصول تاريخية	Principes historiques	*Historic principles*
أطوار الدولة	Phases de l'empire	*Phases of the empire*
إعتمار	Urbanisme	*Urbanizm*
إعلام بالوقت	Dater	*Dating*
إقتداء	Imitation	*Imitation*
إقتصاد	Economie	*Economy*
إلتزام	Engagement	*Commitment*
ألفة	Familiarité	*Familiarity*
إمارة خاصة	Principauté	*Princedom*
إمام	Imam	*Imam*
أمة	Nation, communauté	*Nation, community*

أمير	Prince	*Prince*
أمير المؤمنين	Commandeur des croyants	*Commander of the believers*
أمير المسلمين	Prince des musulmans	*Prince of Moslems*
أنباط	Nabatéens	*Nabataens*
إنتقاء	Sélection	*Selection*
إنتقال الملك	Déplacement de la royauté, transmission de la royauté, transfert de la royauté	*Transfer of the royality*
إنجيل	Évangile	*Gospel (the)*
إنحطاط	Décadence	*Decadence*
أنساب	Lignages, extractions	*Lineage, parentage*
إنسان	Homo, homme	*Homo, man*
أهل البدو	Familles nomades	*Nomadic families*
أهل الحضر	Familles urbaines	*Urbanite families*
أهل الذمة	Chrétiens et Juifs qui jouissent de la protection de l'Islam	*Christians and Jews who are protected by the Islamic*
أورشليم	Jérusalem	*Jerusalem*
أيام	Récits Arabes antérieurs à l'Islam	*Arab stories before Islam*
إيديولوجيا	Idéologie	*Ideology*

ب

باحث	Chercheur	*Researcher*
بحث تاريخي	Recherche historique	*Historical research*
بدء الخلق	Commencement	*Beginning*
بداوة	Bédouinisme, vie bédouine	*Bedouinism*
بدو	Bédouins	*Bedouins*
بروج	Tours, signes du zodiaque	*Towers, signs (of the zodiac)*
بريد	Poste, courrier	*Post, courier*
بطانة	Cortège, entourage	*Retinue, entourage*
بيت المال	Trésor public	*Public treasury*
بيعة	Abbaye, installation d'un Khalife	*Abbey, setting up the Khalifa*

ت

تأريخ	Datation	*Dating*
تاريخ	Histoire	*History*
تاريخ الإسلام	Histoire de l'Islam	*History of the Islam*
تاريخ الأمراء	Histoire des princes	*History of the princes*
تاريخ مقارن	Histoire comparée	*Comparative history*
تاريخانية	Historicisme	*Historicism*
تأسيس	Fondement	*Foundation*
تأليف	Composition	*Composition*
تأليف تاريخي	Enregistrement de l'histoire, rédaction de l'histoire	*Recording of the history*
تأويل	Herméneutique	*Hermeneutics*
تبدّل الأحوال	Substitution des modes d'être	*Change of the manners*
تجارب	Expérimentations	*Experimentations*
تجديد	Renouvellement	*Renewal*
تجرّد	Abstrait, objectivité	*Abstract, objectivity*
تحليل تاريخي	Analyse historique	*Historical analysis*
تحوّل	Changement, transformation, altération	*Change, transformation*
تدوين	Enregistrer, écrire	*Recording, writing*
تراتب الروايات	Hiérarchie des narrations, subordination des récits	*Hierarchy of the narrations*
تراجم	Biographie	*Biography*
ترتيب زمني	Chronologie	*Chronology*
ترف	Luxe	*Luxury*
ترك	Abandon	*Abandonment*
تساس الدول	Commandement de l'état	*Command of the state*
تشبيه	Comparaison	*Simile*
تصانيف	Livres	*Books*
تصوف	Mysticisme	*Mysticism*

تعبئة العساكر	Disposer les troupes pour le combat, mobilisation des troupes	*Disposing the troops for combat*
تعليل	Énumération des causes	*Enumeration of the causes*
تعليل التاريخ	Justification de l'histoire	*Justification of history*
تعليم التاريخ	Enseignement de l'histoire	*Teaching the history*
تعميم	Généralisation	*Generalization*
تغلّب	Victoire	*Victory*
تغيّر	Changement, transformation	*Change, transformation*
تفاضل في الجماعة	Différenciation dans la communauté	*Differentiation in community*
تفتيش	Recherche, inspection	*Search, inspection*
تفرّق	Séparation	*Separation*
تفسير التاريخ	Construction de l'histoire, interprétation de l'histoire	*Construction of the history, interpretation of the history*
تفسير تاريخي	Explication historique	*Historical explanation*
تفسير النص	Exégèse	*Exegesis*
تفكير تاريخي	Raisonnement historique	*Historical reasoning*
تقليد	Initation, tradition	*Initation, tradition*
تقميش	Collectionner, recherche	*Collecting, research*
تمدّن	Urbanisation, civilisation	*Urbanization, civilization*
تمدّن إسلامي	Urbanisation islamique	*Islamic urbanization*
تنافس قبلي	Rivalité tribale	*Tribal rivalry*
تنجيم	Astrologie	*Astrology*
تنظيم الحقائق التاريخية	Organisation des faits historiques	*Organization of the historical facts*
تنظيم وتأليف	Organisation et composition	*Organization and composition*
تنوّع	Diversité	*Diversity*
توالد أحداث التاريخ	Diachronie	*Diachrony*
توالي النبوات	Alternation des prophètes	*Alternation of the prophets*
توحيد	Monothéisme	*Monotheism*
توراة	Bible	*Bible*

توريخ	Historisation	*Historization*
تيار تقليدي	Courant traditionaliste, courant conservateur	*Traditional courant, preserver courant*
تيار قومي	Courant nationaliste	*National courant*

ث

ثروة الدولة	Fortune de l'état	*Fortune of the state*
ثغور	Villes frontalières fortifiées	*Fortified frontier towns*
ثقافة	Culture	*Culture*
ثورة	Révolution	*Revolution*

ج

جاهلية أولى	Pré-Islam	*Pre-Islam*
جباية	Perception des impôts	*Perception of taxes*
جرح وتعديل	Dénigrement et justification, médisance et altération	*Denigration and adjustment or regulation, evil speaking and alteration*
جزية	Capitation, taxe, tribut	*Capitation, poll-tax, tribute*
جفر	Art de prédire l'avenir	*Art of telling the future*
جن	Démon	*Demon*
جنة	Paradis	*Paradise*
جند	Soldats	*Soldiers*
جنس	Genre, race	*Genus, race*
جهاد	Combat, guerre sainte	*Combat, holy war*
جيل	Génération, cohorte	*Generation*

ح

حاجب	Chambellan	*Chamberlain*
حادثة مفردة	Événement, incident	*Event, incident*
حاضر	Présent	*Present*

حال الإستبداد	Autocratie	*Autocracy*
حبشة	Éthiopie	*Ethiopia*
حجابة	Charge de chambellan	*Charge of the chamberlain*
حدثان الدول	Avènement des Etats	*Creation of states*
حركة التاريخ	Mouvement de l'histoire	*Movement of history*
حروب	Guerres	*Wars*
حزم	Fermeté	*Firmness*
حِسْبة	Calcul, récompense, fonction religieuse	*Calculation, recompense, religious function*
حضارة	Civilisation	*Civilization*
حضارة إسلامية	Civilisation Islamique	*Islamic civilization*
حضر	Urbain	*Urbanites*
حضري	Civilisé	*Civilized*
حفرة	Fossé	*Fossa*
حق الإنتخاب	Droit électoral	*Electoral right*
حقائق	Vérités	*Truth*
حقيقة تاريخية	Vérité historique	*Historical truth*
حكم التاريخ	Jugement de l'histoire	*Judgement of history*
حكمة	Sagesse	*Wisdom*
حكومة	Gouvernement	*Government*
حلف	Alliance	*Alliance*
حماية الحرمين	Protection de la Mecque et de la Médine	*Protection of Mecca and Medina*
حوادث تاريخية	Événements historiques	*Historical events*

خ

خبر	Récit, narration	*Recital, narration*
خبر تاريخي	Récit historique	*Historical recite*
ختم على الكتاب	Scellage	*Seal (stamp)*
خراج	Impôt foncier, tribut, récolte	*Land tax, tribute, crop*
خرافة	Légende	*Legend*

خط الإستواء	Équateur	*Equator*
خط عربي	Calligraphie arabe, écriture arabe, graphie arabe	*Arabic calligraphy, Arabic writting*
خطاب	Discours	*Discourse*
خطاب تاريخي	Discours historique	*Historical discourse*
خطابة	Rhétorique	*Rhetoric*
خلافة	Successeur de Mahomet, vicariat	*Successor of the prophet, vicarship*
خلق	Création	*Creation*
خليفة	Successeur, calife	*Successor, caliph*
خواص الملك	Particularités de l'autorité	*Particularity of the authority*

د

دار الصناعة	Arsenal	*Arsenal*
دار العدل	Palais de justice	*Court of justice*
دراسات إسلامية	Études islamiques	*Islamic studies*
دراسات تاريخية	Études historiques	*Historical studies*
دسّ	Interpoler	*Introduce into*
دعوة	Invocation	*Invocation*
دليل	Preuve, argument	*Proof, argument*
دنيا	Monde, ce bas monde	*Life in this world*
دهاء	Ruse	*Slyness*
دور التاريخ	Rôle de l'histoire	*Role of the history*
دول مطلقة	Empires	*Empires*
دولة	État	*State*
ديمقراطية	Démocratie	*Democracy*
ديمومة	Continuité, pérennité	*Continuity, perennity*
دين	Religion	*Religion*
ديوان	Bureau, office	*Bureau, office*
ديوان الجند	Office des soldats	*Office of the soldiers*

ذ

ذاكرة الأمة	Mémoire de la nation	*Memory of nation*
ذراع	Aune, mesure	*Ell, measure*
ذكر	Souvenir, renommée	*Remembrance, reputation*
ذهن	Esprit, mental	*Spirit, mind*
ذهول عن المقاصد	Perte du but, déviation	*Lose one's target, deviation*

ر

رؤيا	Apocalypse, vision	*Apocalypse, vision*
رئاسة	Présidence, autorité	*Presidency, authority*
راهب	Moine	*Monk*
راو	Narrateur, raconteur	*Narrator, raconteur*
رأي	Opinion	*Opinion*
راية	Bannière	*Banner*
رسول	Prophète	*Prophet*
رعية	Patronnés, gouvernés	*Governed people*
رواية	Narration, récit	*Narration, story*
رواية تاريخية	Récit historique	*Historical story*
روح	Esprit	*Spirit*
رياسة	Présidence	*Presidency*

ز

زكاة	Pureté, taxe, excès	*Purity, tax, excess*
زمان	Temps	*Time*
زمانية الحدث	Événement chronologique	*Chronologic order of event*

س

سببية تاريخية	Causalité historique	*Historical causality*
سريّة	Brigade	*Brigade*
سعادة	Bonheur	*Happiness*

سفارة	Ambassade, conciliation	*Embassy, conciliation*
سقاية	Arrosage	*Watering*
سكة ونقود	Monnayage	*Coinage*
سلسلة	Succession, série	*Succession, series*
سلطان	Empereur	*Emperor*
سلطة	Autorité	*Authority*
سلطنة	Empire	*Empire*
سلفية	Traditionalisme	*Traditionalism*
سنة	Année, tradition	*Year, tradition*
سياسة	Politique	*Politic*
سياسة مدنية	Régime politique, politique civile	*Political regime, civil politics*
سياسة الملك	Politique du pouvoir	*Politic of authority*
سِيَر	Biographies	*Biographies*
سِيَر الأفراد	Biographies	*Biographies*
سيكولوجية الجماعة	Psychologie de la masse	*Psychology of the mass*

ش

شجاعة	Courage	*Courage*
شرائع وأديان	Lois, lois divines	*Laws, devine laws*
شرطة	Police	*Police*
شرع	Loi divine, droit musulman	*Divine law, religious law*
شروط المؤرّخ	Conditions des narrateurs	*Conditions of the narrator*
شعوبية	Arabophobie	*Anti-Arabism*
شك	Doute	*Doubt*
شيء	Chose, objet	*Thing, object*
شيعة	Les chiites (secte)	*The Shiite (sect)*

ص

صدفة	Accident, hasard	*Accident, haphazard*
صدقة	Aumône légals	*Legal alms*

Quality, attribute	Qualité, attribut	صفة
Probity of the nationals	Probité des gouvernés	صلاح الرعية
Arts, industries	Arts, industries	صنائع
Art of the history	Art de l'histoire	صناعة التاريخ
Historical art	Art historique	صناعة تاريخية
Idol	Idole	صنم
Historical composition	Composition historique	صياغة تاريخية
Becoming	Devenir	صيرورة

ض

Necessities of authority	Nécessités du pouvoir	ضرورات الملك

ط

Community	Communauté	طائفة
Obedience, submission	Obéissance, soumission	طاعة
Characters	Caractères	طبائع
Characters of civilization	Caractères de la civilisation	طبائع العمران
Classes	Classes	طبقات
Nature of the civilization	Nature de la civilisation	طبيعة العمران
Nature of authority	Nature du pouvoir	طبيعة الملك
Order, style	Ordre, style	طراز

ظ

Wronging, injustice, oppression	Iniquité, injustice, oppression	ظلم
Apparition of the Islam	Apparition de l'Islam	ظهور الإسلام

ع

Elements' world	Monde des éléments	عالم العناصر
Natural factor	Facteur naturel	عامل طبيعي
Factor of the solidarity	Facteur de la solidarité	عامل العصبية

عجائب الدنيا	Merveilles du monde	*Wonders of the world*
عدالة	Balance, justice	*Balance, justice*
عدل	Équité	*Equity*
عرب	Population de race Arabe	*Population of the Arab race*
عرش	Trône	*Throne*
عرض	Présentation	*Presentation*
عروبة	Arabisme	*Arabism*
عشيرة	Clan	*Clan*
عصبية	Solidarité	*Solidarity*
عصر أموي	Epoque Ommayade	*Ommayad's period*
عفو	Amnistie, clémence	*Amnesty, clemency*
عقل	Raison	*Reason*
عقيدة إسلامية	Dogme islamique	*Islamic dogm*
علة	Cause	*Cause*
علم	Science, connaissance	*Science, understanding*
علم الإجتماع	Sociologie	*Sociology*
علم التاريخ	Histiographie, science de l'histoire	*Histiography, historical science*
علم الرنوك	Heraldrique	*Heraldry*
علم قراءة الخطوط	Paléographie	*Paleography*
علم المغازي والسير	Vie du Prophète Mahomet	*Life of the Prophet Mohammed*
علم ناموسي	Nomologique	*Nomologic*
علم النميّات	Numismatique	*Numismatics*
علم الوثائق	Diplomatique	*Diplomatics*
علماء	Savants, érudits	*Scholars, scientists*
عمارة	Architecture	*Architecture*
عمالقة	Amalécites	*Amalecites*
عمران	Peuplement, civilisation, état de culture et de prospérité	*Ekistics, settlement, state of culture and prosperity*
عمل التاريخ	Action de l'histoire	*Action of the history*
عهد	Charte, promesse	*Charter, promise*
عوائد	Habitudes, coutumes	*Habits, customs*

غ

غائية	Finalité	*Finality*
غاية التاريخ	But de l'histoire	*Aim of history*
غزوة	Invasion	*Invasion*
غلب	Domination, victoire	*Domination, victory*
غنيمة	Butin, proie	*Booty, spoil*

ف

فترات تاريخية	Epoques historiques	*Historical periods*
فداء	Rançon	*Ransom*
فردوس	Paradis	*Paradise*
فرس	Perse	*Persians*
فساد المملكة	Décadence du royaume	*Corruption of kindgom*
فساطيط	Futaines	*Fustians*
فضيلة الملك	Vertu du pouvoir	*Virtue of authority*
فقه اللغة	Philologie	*Philology*
فلسفة التاريخ	Philosophie de l'histoire	*Philosophy of history*
فلك	Orbite, sphère céleste	*Orbit, celestial sphere*
فن	Art	*Art*
فنون	Arts	*Arts*
فهم	Compréhension	*Comprehension*
فيء	Tribut, imposition, butin	*Tribute, imposition, booty*

ق

قبة	Coupole	*Cupola*
قبط قدماء	Copte	*Copt*
قبيلة	Tribu	*Tribe*
قراءة الخطوط	Paléographie	*Paleography*
قربان	Oblation	*Oblation*
قرون متوسطة	Moyen âge	*Middle ages*

قصة	Narration, histoire	*Narration, story*
قصص الأنبياء	Histoire des prophètes	*Stories of the prophets*
قضاة	Juges	*Judges*
قمر	Lune	*Moon*
قواعد الإسلام	Règles de l'Islam	*Rules of Islam*
قوة الإختيار	Intensité du choix, force du choix	*Power of choice*
قومية	Nationalisme	*Nationalism*
قومية عربية	Nationalisme arabe, arabisme	*Arabic nationalism, arabism*
قياس	Analogie, preuve	*Analogy, proof*
قيمة التاريخ المكتوب	Valeur de l'histoire rédigée	*Value of history*

ك

كاتب	Scribe	*Scriber*
كتاب	Livre	*Book*
كتابة	Ecriture	*Writing*
كذب	Mensonge	*Lying*
كرسي	Trône	*Throne*
كسب	Acquisition, gain	*Acquisition, gain*
كهانة	Divination	*Divination*
كواكب سبعة	Les sept planètes	*The seven planets*

ل

لسان	Langage	*Language*
لغات	Langues	*Languages*
لواء	Bannière	*Banner*
لوح محفوظ	Table divine, âme	*Divine tablet, soul*

م

مؤاخاة	Fraternité, union	*Fraternity, union*
مؤرّخون	Historiens	*Historians*

مؤلّف	Auteur	*Author*
ما قبل التاريخ	Préhistoire	*Prehistory*
مال	Argent, propriété, fonds	*Money, property, fund*
مجتمع حضري	Société urbaine	*Urbanite society*
مدن	Polis, cités	*Cities*
مدينة	Polis, cité	*City*
مدينة فاضلة	Cité vertueuse	*Virtuous city*
مرحلة التأويل	Phase de l'interprétation	*Phase of interpretation*
مرحلة النقد	Stade de la critique	*Phase of criticism*
مستشرقون	Orientalistes	*Orientalists*
مشورة	Conseil	*Counsel*
مصادر	Références	*References*
مصادرة	Participation	*Participation*
مصر	Lieu	*Place*
مصطلح التاريخ	Terminologie de l'histoire	*Terminology of history*
مطبوع	Inné	*Innate*
معاش	Salaire, moyen de subsistance	*Salary, subsistence*
معاصرة	Contemporanéité	*Contemporation*
معرفة	Connaissance	*Knowledge*
معنى	Sens	*Meaning*
معنى حرفي	Sens littéral	*Literal meaning*
مقصد	Orientation	*Orientation*
مكارم الأخلاق	Noblesse de caractère	*Noblility of character*
ملاحم	Epopées	*Epics*
ملّة	Secte	*Sect*
ملك	Règne, possession	*Reign, possession*
ملك سياسي	Souveraineté politique	*Political sovereignty*
ملك طبيعي	Souveraineté naturelle	*Natural sovereignty*
ملكة	Faculté	*Faculty*
مماكرة	Duplicité et ruse	*Deception and slyness*
ممكن	Possible	*Possible*

مملكة	Royaume	*Kingdom*
منجّم	Devin	*Diviner*
منجنيق	Catapulte	*Mangonel*
منهج	Méthode	*Method*
منهج تاريخي	Méthode historique	*Historical method*
مهاجرون	Emigrants	*Emigrants*
موضع التاريخ	Objet d'histoire	*Subject of history*
موضوعية التاريخ	Objectivité de l'histoire	*Objectivity of history*

ن

ناظر الإنشاء	Administrateur	*Administrator*
نسب	Descendance, lignage, parenté	*Descent, lineage, consanguinity*
نفس	Âme	*Soul*
نقد	Critique	*Critique*
نقل	Raconter	*Relate*
نمط	Modèle	*Pattern*
نهضة أوربية	Renaissance Européenne	*European renaissance*
نوميات	Numismatiques	*Numismatics*

هـ

هجرة	Migration	*Migration*
هرم في الدولة	Décadence de l'empire	*Decadence of the empire*
هوامش	Marges	*Footnotes, margins*
هوية	Identité	*Identity*
هيبة	Crainte	*Fear*

و

واجب	Obligation	*Obligation*
واجب الوجود	L'être nécessaire (Dieu)	*Necessary of being (God)*
وازع	Coercitif	*Coercive*

وثائق	Documents	*Documents*
وحي	Révélation, inspiration	*Revelation, inspiration*
وزارة	Ministère, charge de vizir	*Ministry, charge of the minister*
وصاية	Régence	*Regency*
وصف	Description	*Description*
وضعي	Positiviste	*Positivist*
وضوح	Clarté	*Clarity*
وظائف الملك	Fonctions de l'empereur	*Functions of emperor*
وعي تاريخي	Conscience historique	*Historical consciousness*
ولاية	Province, état	*Province, state*
وهم	Illusion, chimère	*Illusion, chimera*

ي

يعقوب	Jacob	*Jacob*
يقين	Certitude, assurance	*Certitude, assurance*
يوم العروبة	Vendredi	*Friday*

مسند المصطلحات
إنكليزي - فرنسي - عربي

A

Abandonment	*Abandon*	ترك
Abbey, setting up the Khalifa	*Abbaye, installation d'un Khalife*	بيعة
Abstract, objectivity	*Abstrait, objectivité*	تجرّد
Accident, haphazard	*Accident, hasard*	صدفة
Acquisition, gain	*Acquisition, gain*	كسب
Action of the history	*Action de l'histoire*	عمل التاريخ
Administrator	*Administrateur*	ناظر الإنشاء
Advancement, progress	*Avancement, progrès*	إرتقاء
Aim of history	*But de l'histoire*	غاية التاريخ
Alliance	*Alliance*	حلف
Alternation of the prophets	*Alternation des prophètes*	توالي النبوات
Amalecites	*Amalécites*	عمالقة
Amnesty, clemency	*Amnistie, clémence*	عفو
Analogy, proof	*Analogie, preuve*	قياس
Anti-Arabism	*Arabophobie*	شعوبية
Apocalypse, vision	*Apocalypse, vision*	رؤيا
Apparition of the Islam	*Apparition de l'Islam*	ظهور الإسلام
Arab stories before Islam	*Récits Arabes antérieurs à l'Islam*	أيام
Arabic calligraphy, Arabic writting	*Calligraphie arabe, écriture arabe, graphie arabe*	خط عربي
Arabic nationalism, arabism	*Nationalisme arabe, arabisme*	قومية عربية
Arabism	*Arabisme*	عروبة
Archeology	*Archéologie*	آثار
Archeology	*Archéologie*	أركيولوجيا
Architecture	*Architecture*	عمارة

Arsenal	*Arsenal*	دار الصناعة
Art	*Art*	فن
Art of telling the future	*Art de prédire l'avenir*	جفر
Art of the history	*Art de l'histoire*	صناعة التاريخ
Arts	*Arts*	فنون
Arts, industries	*Arts, industries*	صنائع
Astrology	*Astrologie*	تنجيم
Attribution, cross-reference	*Attribution, renvoi*	إسناد
Author	*Auteur*	مؤلّف
Authority	*Autorité*	سلطة
Autocracy	*Autocratie*	حال الإستبداد
Autocracy, despotism, totalitarianism	*Autocratie, despotisme, totalitarisme*	إستبداد

B

Balance, justice	*Balance, justice*	عدالة
Banner	*Bannière*	راية
Banner	*Bannière*	لواء
Becoming	*Devenir*	صيرورة
Bedouinism	*Bédouinisme, vie bédouine*	بداوة
Bedouins	*Bédouins*	بدوِ
Beginning	*Commencement*	بدء الخلق
Bible	*Bible*	توراة
Biographies	*Biographies*	سِيَر
Biographies	*Biographies*	سِيَر الأفراد
Biography	*Biographie*	تراجم
Book	*Livre*	كتاب
Books	*Livres*	تصانيف
Booty, spoil	*Butin, proie*	غنيمة
Brigade	*Brigade*	سريّة
Bureau, office	*Bureau, office*	ديوان

C

Calculation, recompense, religious function	*Calcul, récompense, fonction religieuse*	حِسْبَة
Capitation, poll-tax, tribute	*Capitation, taxe, tribut*	جزية
Cause	*Cause*	علة
Certitude, assurance	*Certitude, assurance*	يقين
Chamberlain	*Chambellan*	حاجب
Change of the manners	*Substitution des modes d'être*	تبدّل الأحوال
Change, transformation	*Changement, transformation, altération*	تحوّل
Change, transformation	*Changement, transformation*	تغيّر
Characters	*Caractères*	طبائع
Characters of civilization	*Caractères de la civilisation*	طبائع العمران
Charge of the chamberlain	*Charge de chambellan*	حجابة
Charter, promise	*Charte, promesse*	عهد
Choice of the subject	*Choix de l'objet*	إختيار الموضوع
Christians and Jews who are protected by the Islamic	*Chrétiens et Juifs qui jouissent de la protection de l'Islam*	أهل الذمة
Chronologic order of event	*Événement chronologique*	زمانية الحدث
Chronology	*Chronologie*	ترتيب زمني
Cities	*Polis, cités*	مدن
City	*Polis, cité*	مدينة
Civilization	*Civilisation*	حضارة
Civilized	*Civilisé*	حضري
Clan	*Clan*	عشيرة
Clarity	*Clarté*	وضوح
Classes	*Classes*	طبقات
Coercive	*Coercitif*	وازع
Coinage	*Monnayage*	سكة ونقود
Collecting, research	*Collectionner, recherche*	تقميش
Combat, holy war	*Combat, guerre sainte*	جهاد
Command of the state	*Commandement de l'état*	تساس الدول

Commander of the believers	*Commandeur des croyants*	أمير المؤمنين
Commitment	*Engagement*	إلتزام
Community	*Communauté*	طائفة
Comparative history	*Histoire comparée*	تاريخ مقارن
Composition	*Composition*	تأليف
Comprehension	*Compréhension*	فهم
Conditions of the narrator	*Conditions des narrateurs*	شروط المؤرّخ
Construction of the history, interpretation of the history	*Construction de l'histoire, interprétation de l'histoire*	تفسير التاريخ
Contemporation	*Contemporanéité*	معاصرة
Continuity, perennity	*Continuité, pérennité*	ديمومة
Copt	*Copte*	قبط قدماء
Corruption of kindgom	*Décadence du royaume*	فساد المملكة
Counsel	*Conseil*	مشورة
Courage	*Courage*	شجاعة
Court of justice	*Palais de justice*	دار العدل
Creation	*Création*	خلق
Creation of states	*Avènement des Etats*	حدثان الدول
Critique	*Critique*	نقد
Culture	*Culture*	ثقافة
Cupola	*Coupole*	قبة

D

Dating	*Dater*	إعلام بالوقت
Dating	*Datation*	تأريخ
Dating of events	*Dater les événements*	إثبات الوقائع
Decadence	*Décadence*	إنحطاط
Decadence of the empire	*Décadence de l'empire*	هرم في الدولة
Deception and slyness	*Duplicité et ruse*	مماكرة
Democracy	*Démocratie*	ديمقراطية
Demon	*Démon*	جن

Denigration and adjustment or regulation, evil speaking and alteration	*Dénigrement et justification, médisance et altération*	جرح وتعديل
Descent, lineage, consanguinity	*Descendance, lignage, parenté*	نسب
Description	*Description*	وصف
Diachrony	*Diachronie*	توالد أحداث التاريخ
Difference of generations	*Différence des générations*	إختلاف الأجيال
Differentiation in community	*Différenciation dans la communauté*	تفاضل في الجماعة
Diplomatics	*Diplomatique*	علم الوثائق
Discourse	*Discours*	خطاب
Disorder of the civilization	*Désordre de la civilisation*	إختلال العمران
Disposing the troops for combat	*Disposer les troupes pour le combat, mobilisation des troupes*	تعبئة العساكر
Diversity	*Diversité*	تنوّع
Divination	*Divination*	كهانة
Divine law, religious law	*Loi divine, droit musulman*	شرع
Divine tablet, soul	*Table divine, âme*	لوح محفوظ
Diviner	*Devin*	منجّم
Documents	*Documents*	وثائق
Domination, victory	*Domination, victoire*	غلب
Doubt	*Doute*	شك

E

Earth	*Terre*	أرض
Economy	*Economie*	إقتصاد
Ekistics, settlement, state of culture and prosperity	*Peuplement, civilisation, état de culture et de prospérité*	عمران
Electoral right	*Droit électoral*	حق الإنتخاب
Elements' world	*Monde des éléments*	عالم العناصر
Ell, measure	*Aune, mesure*	ذراع

Embassy, conciliation	*Ambassade, conciliation*	سفارة
Emigrants	*Emigrants*	مهاجرون
Emperor	*Empereur*	سلطان
Empire	*Empire*	سلطنة
Empires	*Empires*	دول مطلقة
Enumeration of the causes	*Énumération des causes*	تعليل
Epics	*Epopées*	ملاحم
Equator	*Équateur*	خط الإستواء
Equity	*Équité*	عدل
Ethiopia	*Éthiopie*	حبشة
European renaissance	*Renaissance Européenne*	نهضة أوربية
Event, incident	*Événement, incident*	حادثة مفردة
Exegesis	*Exégèse*	تفسير النص
Experimentations	*Expérimentations*	تجارب

F

Factor of the solidarity	*Facteur de la solidarité*	عامل العصبية
Faculty	*Faculté*	ملكة
Familiarity	*Familiarité*	ألفة
Fear	*Crainte*	هيبة
Finality	*Finalité*	غائية
Firmness	*Fermeté*	حزم
Footnotes, margins	*Marges*	هوامش
Fortified frontier towns	*Villes frontalières fortifiées*	ثغور
Fortune of the state	*Fortune de l'état*	ثروة الدولة
Fossa	*Fossé*	حفرة
Foundation	*Fondement*	تأسيس
Fraternity, union	*Fraternité, union*	مؤاخاة
Friday	*Vendredi*	يوم العروبة
Functions of emperor	*Fonctions de l'empereur*	وظائف الملك
Fustians	*Futaines*	فساطيط

G

Generalization	*Généralisation*	تعميم
Generation	*Génération, cohorte*	جيل
Genus, race	*Genre, race*	جنس
Gospel (the)	*Évangile*	إنجيل
Governed people	*Patronnés, gouvernés*	رعية
Government	*Gouvernement*	حكومة
Groups of people, generations	*Groupes des peuples, générations*	أجيال

H

Habits, customs	*Habitudes, coutumes*	عوائد
Happiness	*Bonheur*	سعادة
Heraldry	*Heraldrique*	علم الرنوك
Hermeneutics	*Herméneutique*	تأويل
Hierarchy of the narrations	*Hiérarchie des narrations, subordination des récits*	تراتب الروايات
Histiography, historical science	*Histiographie, science de l'histoire*	علم التاريخ
Historians	*Historiens*	مؤرّخون
Historic principles	*Principes historiques*	أصول تاريخية
Historical analysis	*Analyse historique*	تحليل تاريخي
Historical art	*Art historique*	صناعة تاريخية
Historical causality	*Causalité historique*	سببية تاريخية
Historical composition	*Composition historique*	صياغة تاريخية
Historical consciousness	*Conscience historique*	وعي تاريخي
Historical discourse	*Discours historique*	خطاب تاريخي
Historical events	*Événements historiques*	حوادث تاريخية
Historical explanation	*Explication historique*	تفسير تاريخي
Historical method	*Méthode historique*	منهج تاريخي
Historical origin	*Origine historique*	أصل تاريخي
Historical periods	*Epoques historiques*	فترات تاريخية

Historical reasoning	*Raisonnement historique*	تفكير تاريخي
Historical recite	*Récit historique*	خبر تاريخي
Historical research	*Recherche historique*	بحث تاريخي
Historical researches	*Recherches historiques*	أبحاث تاريخية
Historical story	*Récit historique*	رواية تاريخية
Historical studies	*Études historiques*	دراسات تاريخية
Historical truth	*Vérité historique*	حقيقة تاريخية
Historicism	*Historicisme*	تاريخانية
Historization	*Historisation*	أرّخ
Historization	*Historisation*	توريخ
History	*Histoire*	تاريخ
History of kings	*Histoire des rois*	أخبار الملوك
History of the Islam	*Histoire de l'Islam*	تاريخ الإسلام
History of the princes	*Histoire des princes*	تاريخ الأمراء
Homo, man	*Homo, homme*	إنسان

I

Identity	*Identité*	هوية
Ideology	*Idéologie*	إيديولوجيا
Idol	*Idole*	صنم
Illusion, chimera	*Illusion, chimère*	وهم
Imam	*Imam*	إمام
Imitation	*Imitation*	إقتداء
Independent judgement	*Jugement indépendant*	إجتهاد
Inference	*Inférence*	إستدلال
Initation, tradition	*Initation, tradition*	تقليد
Innate	*Inné*	مطبوع
Introduce into	*Interpoler*	دسّ
Invasion	*Invasion*	غزوة
Invocation	*Invocation*	دعوة
Islamic civilization	*Civilisation Islamique*	حضارة إسلامية

Islamic dogm	*Dogme islamique*	عقيدة إسلامية
Islamic inclination	*Inclination Islamique*	إتجاه إسلامي
Islamic studies	*Études islamiques*	دراسات إسلامية
Islamic urbanization	*Urbanisation islamique*	تمدّن إسلامي

J

Jacob	*Jacob*	يعقوب
Jerusalem	*Jérusalem*	أورشليم
Judgement of history	*Jugement de l'histoire*	حكم التاريخ
Judges	*Juges*	قضاة
Justification of history	*Justification de l'histoire*	تعليل التاريخ

K

Kingdom	*Royaume*	مملكة
Knowledge	*Connaissance*	معرفة

L

Land tax, tribute, crop	*Impôt foncier, tribut, récolte*	خراج
Language	*Langage*	لسان
Languages	*Langues*	لغات
Laws, devine laws	*Lois, lois divines*	شرائع وأديان
Legal alms	*Aumône légals*	صدقة
Legend	*Légende*	خرافة
Life in this world	*Monde, ce bas monde*	دنيا
Life of the Prophet Mohammed	*Vie du Prophète Mahomet*	علم المغازي والسير
Lineage, parentage	*Lignages, extractions*	أنساب
Literal meaning	*Sens littéral*	معنى حرفي
Literature	*Littérature*	أدب
Lose one's target, deviation	*Perte du but, déviation*	ذهول عن المقاصد
Luxury	*Luxe*	ترف

Lying	*Mensonge*	كذب

M

Mangonel	*Catapulte*	منجنيق
Manifestation	*Manifestation*	إبراز
Meaning	*Sens*	معنى
Memory of nation	*Mémoire de la nation*	ذاكرة الأمة
Method	*Méthode*	منهج
The method of the narrators	*La méthode des narrateurs*	أسلوب المحدّثين
Middle ages	*Moyen âge*	قرون متوسطة
Migration	*Migration*	هجرة
Ministry, charge of the minister	*Ministère, charge de vizir*	وزارة
Money, property, fund	*Argent, propriété, fonds*	مال
Monk	*Moine*	راهب
Monotheism	*Monothéisme*	توحيد
Monuments	*Monuments*	آثار مادية
Moon	*Lune*	قمر
Motives of events	*Motifs des événements*	أسباب الأحداث
Movement of history	*Mouvement de l'histoire*	حركة التاريخ
Mysticism	*Mysticisme*	تصوف
Myth, legend	*Mythe, légende*	أسطورة
Myths, legends	*Mythes, légendes*	أساطير

N

Nabataens	*Nabatéens*	أنباط
Name	*Nom*	إسم
Narration, story	*Narration, récit*	رواية
Narration, story	*Narration, histoire*	قصة
Narrator, raconteur	*Narrateur, raconteur*	راو
Nation, community	*Nation, communauté*	أمة

National courant	*Courant nationaliste*	تيار قومي
Nationalism	*Nationalisme*	قومية
Natural factor	*Facteur naturel*	عامل طبيعي
Natural sovereignty	*Souveraineté naturelle*	ملك طبيعي
Nature of authority	*Nature du pouvoir*	طبيعة الملك
Nature of the civilization	*Nature de la civilisation*	طبيعة العمران
Necessary of being (God)	*L'être nécessaire (Dieu)*	واجب الوجود
Necessities of authority	*Nécessités du pouvoir*	ضرورات الملك
Noblility of character	*Noblesse de caractère*	مكارم الأخلاق
Nomadic families	*Familles nomades*	أهل البدو
Nomologic	*Nomologique*	علم ناموسي
Numismatics	*Numismatique*	علم النميّات
Numismatics	*Numismatiques*	نوميات

O

Obedience, submission	*Obéissance, soumission*	طاعة
Objectivity of history	*Objectivité de l'histoire*	موضوعية التاريخ
Oblation	*Oblation*	قربان
Obligation	*Obligation*	واجب
Office of the soldiers	*Office des soldats*	ديوان الجند
Ommayad's period	*Epoque Ommayade*	عصر أموي
Opinion	*Opinion*	رأي
Orbit, celestial sphere	*Orbite, sphère céleste*	فلك
Order, style	*Ordre, style*	طراز
Organization and composition	*Organisation et composition*	تنظيم وتأليف
Organization of the historical facts	*Organisation des faits historiques*	تنظيم الحقائق التاريخية
Orientalists	*Orientalistes*	مستشرقون
Orientation	*Orientation*	مقصد
Originality	*Originalité*	أصالة
Origins of the history	*Origines de l'histoire*	أصول التاريخ

P

Paleography	*Paléographie*	علم قراءة الخطوط
Paleography	*Paléographie*	قراءة الخطوط
Paradise	*Paradis*	جنة
Paradise	*Paradis*	فردوس
Participation	*Participation*	مصادرة
Particularity of the authority	*Particularités de l'autorité*	خواص الملك
Pattern	*Modèle*	نمط
Perception of taxes	*Perception des impôts*	جباية
Persians	*Perse*	فرس
Phase of criticism	*Stade de la critique*	مرحلة النقد
Phase of interpretation	*Phase de l'interprétation*	مرحلة التأويل
Phases of the empire	*Phases de l'empire*	أطوار الدولة
Philology	*Philologie*	فقه اللغة
Philosophy of history	*Philosophie de l'histoire*	فلسفة التاريخ
Place	*Lieu*	مصر
Police	*Police*	شرطة
Politic	*Politique*	سياسة
Politic of authority	*Politique du pouvoir*	سياسة الملك
Political regime, civil politics	*Régime politique, politique civile*	سياسة مدنية
Political sovereignty	*Souveraineté politique*	ملك سياسي
Population of the Arab race	*Population de race Arabe*	عرب
Positivist	*Positiviste*	وضعي
Possibility	*Possibilité*	إحتمال
Possible	*Possible*	ممكن
Post, courier	*Poste, courrier*	بريد
Power of choice	*Intensité du choix, force du choix*	قوة الإختيار
Prehistory	*Préhistoire*	ما قبل التاريخ
Pre-Islam	*Pré-Islam*	جاهلية أولى
Present	*Présent*	حاضر
Presentation	*Présentation*	عرض

Presidency	*Présidence*	رياسة
Presidency, authority	*Présidence, autorité*	رئاسة
Prince	*Prince*	أمير
Prince of Moslems	*Prince des musulmans*	أمير المسلمين
Princedom	*Principauté*	إمارة خاصة
Probity of the nationals	*Probité des gouvernés*	صلاح الرعية
Proof, argument	*Preuve, argument*	دليل
Prophet	*Prophète*	رسول
Protection of Mecca and Medina	*Protection de la Mecque et de la Médine*	حماية الحرمين
Province, state	*Province, état*	ولاية
Psychology of the mass	*Psychologie de la masse*	سيكولوجية الجماعة
Public treasury	*Trésor public*	بيت المال
Purity, tax, excess	*Pureté, taxe, excès*	زكاة

Q

Quality, attribute	*Qualité, attribut*	صفة

R

Ransom	*Rançon*	فداء
Reason	*Raison*	عقل
Recital, narration	*Récit, narration*	خبر
Recollection of the past	*Réminiscence du passé*	إستعادة الماضي
Recording of the history	*Enregistrement de l'histoire, rédaction de l'histoire*	تأليف تاريخي
Recording, writing	*Enregistrer, écrire*	تدوين
References	*Références*	مصادر
Regency	*Régence*	وصاية
Reign, possession	*Règne, possession*	ملك
Relate	*Raconter*	نقل
Religion	*Religion*	دين

Remembrance, reputation	*Souvenir, renommée*	ذكر
Renewal	*Renouvellement*	تجديد
Researcher	*Chercheur*	باحث
Retinue, entourage	*Cortège, entourage*	بطانة
Revelation, inspiration	*Révélation, inspiration*	وحي
Revolution	*Révolution*	ثورة
Rhetoric	*Rhétorique*	خطابة
Role of the history	*Rôle de l'histoire*	دور التاريخ
Royal governments	*Gouvernements royaux*	أحكام سلطانية
Rules of Islam	*Règles de l'Islam*	قواعد الإسلام

S

Salary, subsistence	*Salaire, moyen de subsistance*	معاش
Scholars, scientists	*Savants, érudits*	علماء
Science, understanding	*Science, connaissance*	علم
Scriber	*Scribe*	كاتب
Seal (stamp)	*Scellage*	ختم على الكتاب
Search, inspection	*Recherche, inspection*	تفتيش
Sect	*Secte*	ملّة
Selection	*Sélection*	إنتقاء
Separation	*Séparation*	تفرّق
The seven planets	*Les sept planètes*	كواكب سبعة
The Shiite (sect)	*Les chiites (secte)*	شيعة
Signs, proofs	*Signes, preuves*	أدلّة
Simile	*Comparaison*	تشبيه
Slyness	*Ruse*	دهاء
Sociology	*Sociologie*	علم الإجتماع
Soldiers	*Soldats*	جند
Solidarity	*Solidarité*	عصبية
Soul	*A^me*	نفس
Spirit	*Esprit*	روح

Spirit, mind	*Esprit, mental*	ذهن
State	*État*	دولة
Stories	*Récits des événements*	أخبار
Stories of Prophets	*Histoire des prophètes*	أخبار الأنبياء
Stories of the prophets	*Histoire des prophètes*	قصص الأنبياء
Subject of history	*Objet d'histoire*	موضع التاريخ
Succession, series	*Succession, série*	سلسلة
Successor, caliph	*Successeur, calife*	خليفة
Successor of the prophet, vicarship	*Successeur de Mahomet, vicariat*	خلافة

T

Teaching the history	*Enseignement de l'histoire*	تعليم التاريخ
Terminology of history	*Terminologie de l'histoire*	مصطلح التاريخ
Thing, object	*Chose, objet*	شيء
Throne	*Trône*	عرش
Throne	*Trône*	كرسي
Time	*Temps*	زمان
Towers, signs (of the zodiac)	*Tours, signes du zodiaque*	بروج
Trace, ethnology, human marks	*Trace, ethnologie, marques humaines*	آثار الإنسان
Traditional courant, preserver courant	*Courant traditionaliste, courant conservateur*	تيار تقليدي
Traditionalism	*Traditionalisme*	سلفية
Transfer of the royality	*Déplacement de la royauté, transmission de la royauté, transfert de la royauté*	إنتقال الملك
Tribal inclination	*Inclination tribale*	إتجاه قبلي
Tribal rivalry	*Rivalité tribale*	تنافس قبلي
Tribe	*Tribu*	قبيلة
Tribute, imposition, booty	*Tribut, imposition, butin*	فيء
Truth	*Vérités*	حقائق

U

Union	*Union*	إجتماع
Union, human association	*Réunion, société humaine*	إجتماع إنساني
Urbanite families	*Familles urbaines*	أهل الحضر
Urbanite society	*Société urbaine*	مجتمع حضري
Urbanites	*Urbain*	حضر
Urbanization, civilization	*Urbanisation, civilisation*	تمدّن
Urbanizm	*Urbanisme*	إعتمار

V

Value of history	*Valeur de l'histoire rédigée*	قيمة التاريخ المكتوب
Victory	*Victoire*	تغلّب
Virtue of authority	*Vertu du pouvoir*	فضيلة الملك
Virtuous city	*Cité vertueuse*	مدينة فاضلة

W

Wars	*Guerres*	حروب
Watering	*Arrosage*	سقاية
Will	*Volonté*	إرادة
Wisdom	*Sagesse*	حكمة
Wonders of the world	*Merveilles du monde*	عجائب الدنيا
Writing	*Ecriture*	كتابة
Wronging, injustice, oppression	*Iniquité, injustice, oppression*	ظلم

Y

Year, tradition	*Année, tradition*	سنة

مسند المصطلحات
فرنسي - إنكليزي - عربي

A

Abandon	*Abandonment*	ترك
Abbaye, installation d'un Khalife	*Abbey, setting up the Khalifa*	بيعة
Abstrait, objectivité	*Abstract, objectivity*	تجرّد
Accident, hasard	*Accident, haphazard*	صدفة
Acquisition, gain	*Acquisition, gain*	كسب
Action de l'histoire	*Action of the history*	عمل التاريخ
Administrateur	*Administrator*	ناظر الإنشاء
Alliance	*Alliance*	حلف
Alternation des prophètes	*Alternation of the prophets*	توالي النبوات
Amalécites	*Amalecites*	عمالقة
Ambassade, conciliation	*Embassy, conciliation*	سفارة
Âme	*Soul*	نفس
Amnistie, clémence	*Amnesty, clemency*	عفو
Analogie, preuve	*Analogy, proof*	قياس
Analyse historique	*Historical analysis*	تحليل تاريخي
Année, tradition	*Year, tradition*	سنة
Apocalypse, vision	*Apocalypse, vision*	رؤيا
Apparition de l'Islam	*Apparition of the Islam*	ظهور الإسلام
Arabisme	*Arabism*	عروبة
Arabophobie	*Anti-Arabism*	شعوبية
Archéologie	*Archeology*	آثار
Archéologie	*Archeology*	أركيولوجيا
Architecture	*Architecture*	عمارة
Argent, propriété, fonds	*Money, property, fund*	مال
Arrosage	*Watering*	سقاية

Arsenal	*Arsenal*	دار الصناعة
Art	*Art*	فن
Art de l'histoire	*Art of the history*	صناعة التاريخ
Art de prédire l'avenir	*Art of telling the future*	جفر
Art historique	*Historical art*	صناعة تاريخية
Arts	*Arts*	فنون
Arts, industries	*Arts, industries*	صنائع
Astrologie	*Astrology*	تنجيم
Attribution, renvoi	*Attribution, cross-reference*	إسناد
Aumône légals	*Legal alms*	صدقة
Aune, mesure	*Ell, measure*	ذراع
Auteur	*Author*	مؤلّف
Autocratie	*Autocracy*	حال الإستبداد
Autocratie, despotisme, totalitarisme	*Autocracy, despotism, totalitarianism*	إستبداد
Autorité	*Authority*	سلطة
Avancement, progrès	*Advancement, progress*	إرتقاء
Avènement des Etats	*Creation of states*	حدثان الدول

B

Balance, justice	*Balance, justice*	عدالة
Bannière	*Banner*	راية
Bannière	*Banner*	لواء
Bédouinisme, vie bédouine	*Bedouinism*	بداوة
Bédouins	*Bedouins*	بدو
Bible	*Bible*	توراة
Biographie	*Biography*	تراجم
Biographies	*Biographies*	سِيَر
Biographies	*Biographies*	سِيَر الأفراد
Bonheur	*Happiness*	سعادة
Brigade	*Brigade*	سريّة
Bureau, office	*Bureau, office*	ديوان

But de l'histoire	*Aim of history*	غاية التاريخ
Butin, proie	*Booty, spoil*	غنيمة

C

Calcul, récompense, fonction religieuse	*Calculation, recompense, religious function*	حِسْبة
Calligraphie arabe, écriture arabe, graphie arabe	*Arabic calligraphy, Arabic writting*	خط عربي
Capitation, taxe, tribut	*Capitation, poll-tax, tribute*	جزية
Caractères	*Characters*	طبائع
Caractères de la civilisation	*Characters of civilization*	طبائع العمران
Catapulte	*Mangonel*	منجنيق
Causalité historique	*Historical causality*	سببية تاريخية
Cause	*Cause*	علة
Certitude, assurance	*Certitude, assurance*	يقين
Chambellan	*Chamberlain*	حاجب
Changement, transformation	*Change, transformation*	تغيّر
Changement, transformation, altération	*Change, transformation*	تحوّل
Charge de chambellan	*Charge of the chamberlain*	حجابة
Charte, promesse	*Charter, promise*	عهد
Chercheur	*Researcher*	باحث
Les chiites (secte)	*The Shiite (sect)*	شيعة
Choix de l'objet	*Choice of the subject*	إختيار الموضوع
Chose, objet	*Thing, object*	شيء
Chrétiens et Juifs qui jouissent de la protection de l'Islam	*Christians and Jews who are protected by the Islamic*	أهل الذمة
Chronologie	*Chronology*	ترتيب زمني
Cité vertueuse	*Virtuous city*	مدينة فاضلة
Civilisation	*Civilization*	حضارة
Civilisation Islamique	*Islamic civilization*	حضارة إسلامية

Civilisé	*Civilized*	حضري
Clan	*Clan*	عشيرة
Clarté	*Clarity*	وضوح
Classes	*Classes*	طبقات
Coercitif	*Coercive*	وازع
Collectionner, recherche	*Collecting, research*	تقميش
Combat, guerre sainte	*Combat, holy war*	جهاد
Commandement de l'état	*Command of the state*	تساس الدول
Commandeur des croyants	*Commander of the believers*	أمير المؤمنين
Commencement	*Beginning*	بدء الخلق
Communauté	*Community*	طائفة
Comparaison	*Simile*	تشبيه
Composition	*Composition*	تأليف
Composition historique	*Historical composition*	صياغة تاريخية
Compréhension	*Comprehension*	فهم
Conditions des narrateurs	*Conditions of the narrator*	شروط المؤرّخ
Connaissance	*Knowledge*	معرفة
Conscience historique	*Historical consciousness*	وعي تاريخي
Conseil	*Counsel*	مشورة
Construction de l'histoire, interprétation de l'histoire	*Construction of the history, interpretation of the history*	تفسير التاريخ
Contemporanéité	*Contemporation*	معاصرة
Continuité, pérennité	*Continuity, perennity*	ديمومة
Copte	*Copt*	قبط قدماء
Cortège, entourage	*Retinue, entourage*	بطانة
Coupole	*Cupola*	قبة
Courage	*Courage*	شجاعة
Courant nationaliste	*National courant*	تيار قومي
Courant traditionaliste, courant conservateur	*Traditional courant, preserver courant*	تيار تقليدي
Crainte	*Fear*	هيبة

Création	*Creation*	خلق
Critique	*Critique*	نقد
Culture	*Culture*	ثقافة

D

Datation	*Dating*	تأريخ
Dater	*Dating*	إعلام بالوقت
Dater les événements	*Dating of events*	إثبات الوقائع
Décadence	*Decadence*	إنحطاط
Décadence de l'empire	*Decadence of the empire*	هرم في الدولة
Décadence du royaume	*Corruption of kindgom*	فساد المملكة
Démocratie	*Democracy*	ديمقراطية
Démon	*Demon*	جن
Dénigrement et justification, médisance et altération	*Denigration and adjustment or regulation, evil speaking and alteration*	جرح وتعديل
Déplacement de la royauté, transmission de la royauté, transfert de la royauté	*Transfer of the royality*	إنتقال الملك
Descendance, lignage, parenté	*Descent, lineage, consanguinity*	نسب
Description	*Description*	وصف
Désordre de la civilisation	*Disorder of the civilization*	إختلال العمران
Devenir	*Becoming*	صيرورة
Devin	*Diviner*	منجّم
Diachronie	*Diachrony*	توالد أحداث التاريخ
Différence des générations	*Difference of generations*	إختلاف الأجيال
Différenciation dans la communauté	*Differentiation in community*	تفاضل في الجماعة
Diplomatique	*Diplomatics*	علم الوثائق
Discours	*Discourse*	خطاب
Discours historique	*Historical discourse*	خطاب تاريخي
Disposer les troupes pour le combat, mobilisation des troupes	*Disposing the troops for combat*	تعبئة العساكر

Diversité	*Diversity*	تنوّع
Divination	*Divination*	كهانة
Documents	*Documents*	وثائق
Dogme islamique	*Islamic dogm*	عقيدة إسلامية
Domination, victoire	*Domination, victory*	غلب
Doute	*Doubt*	شك
Droit électoral	*Electoral right*	حق الإنتخاب
Duplicité et ruse	*Deception and slyness*	مماكرة

E

Economie	*Economy*	إقتصاد
Ecriture	*Writing*	كتابة
Emigrants	*Emigrants*	مهاجرون
Empereur	*Emperor*	سلطان
Empire	*Empire*	سلطنة
Empires	*Empires*	دول مطلقة
Engagement	*Commitment*	إلتزام
Enregistrement de l'histoire, rédaction de l'histoire	*Recording of the history*	تأليف تاريخي
Enregistrer, écrire	*Recording, writing*	تدوين
Enseignement de l'histoire	*Teaching the history*	تعليم التاريخ
Énumération des causes	*Enumeration of the causes*	تعليل
Epopées	*Epics*	ملاحم
Epoque Ommayade	*Ommayad's period*	عصر أموي
Epoques historiques	*Historical periods*	فترات تاريخية
Équateur	*Equator*	خط الإستواء
Équité	*Equity*	عدل
Esprit	*Spirit*	روح
Esprit, mental	*Spirit, mind*	ذهن
État	*State*	دولة
Éthiopie	*Ethiopia*	حبشة

L'être nécessaire (Dieu)	*Necessary of being (God)*	واجب الوجود
Études historiques	*Historical studies*	دراسات تاريخية
Études islamiques	*Islamic studies*	دراسات إسلامية
Évangile	*Gospel (the)*	إنجيل
Événement chronologique	*Chronologic order of event*	زمانية الحدث
Événement, incident	*Event, incident*	حادثة مفردة
Événements historiques	*Historical events*	حوادث تاريخية
Exégèse	*Exegesis*	تفسير النص
Expérimentations	*Experimentations*	تجارب
Explication historique	*Historical explanation*	تفسير تاريخي

F

Facteur de la solidarité	*Factor of the solidarity*	عامل العصبية
Facteur naturel	*Natural factor*	عامل طبيعي
Faculté	*Faculty*	ملكة
Familiarité	*Familiarity*	ألفة
Familles nomades	*Nomadic families*	أهل البدو
Familles urbaines	*Urbanite families*	أهل الحضر
Fermeté	*Firmness*	حزم
Finalité	*Finality*	غائية
Fonctions de l'empereur	*Functions of emperor*	وظائف الملك
Fondement	*Foundation*	تأسيس
Fortune de l'état	*Fortune of the state*	ثروة الدولة
Fossé	*Fossa*	حفرة
Fraternité, union	*Fraternity, union*	مؤاخاة
Futaines	*Fustians*	فساطيط

G

Généralisation	*Generalization*	تعميم
Génération, cohorte	*Generation*	جيل

Genre, race	*Genus, race*	جنس
Gouvernement	*Government*	حكومة
Gouvernements royaux	*Royal governments*	أحكام سلطانية
Groupes des peuples, générations	*Groups of people, generations*	أجيال
Guerres	*Wars*	حروب

H

Habitudes, coutumes	*Habits, customs*	عوائد
Heraldrique	*Heraldry*	علم الرنوك
Herméneutique	*Hermeneutics*	تأويل
Hiérarchie des narrations, subordination des récits	*Hierarchy of the narrations*	تراتب الروايات
Histiographie, science de l'histoire	*Histiography, historical science*	علم التاريخ
Histoire	*History*	تاريخ
Histoire comparée	*Comparative history*	تاريخ مقارن
Histoire de l'Islam	*History of the Islam*	تاريخ الإسلام
Histoire des princes	*History of the princes*	تاريخ الأمراء
Histoire des prophètes	*Stories of Prophets*	أخبار الأنبياء
Histoire des prophètes	*Stories of the prophets*	قصص الأنبياء
Histoire des rois	*History of kings*	أخبار الملوك
Historicisme	*Historicism*	تاريخانية
Historiens	*Historians*	مؤرّخون
Historisation	*Historization*	أرّخ
Historisation	*Historization*	توريخ
Homo, homme	*Homo, man*	إنسان

I

Identité	*Identity*	هوية
Idéologie	*Ideology*	إيديولوجيا
Idole	*Idol*	صنم

Illusion, chimère	*Illusion, chimera*	وهم
Imam	*Imam*	إمام
Imitation	*Imitation*	إقتداء
Impôt foncier, tribut, récolte	*Land tax, tribute, crop*	خراج
Inclination Islamique	*Islamic inclination*	إتجاه إسلامي
Inclination tribale	*Tribal inclination*	إتجاه قبلي
Inférence	*Inference*	إستدلال
Iniquité, injustice, oppression	*Wronging, injustice, oppression*	ظلم
Initation, tradition	*Initation, tradition*	تقليد
Inné	*Innate*	مطبوع
Intensité du choix, force du choix	*Power of choice*	قوة الإختيار
Interpoler	*Introduce into*	دسّ
Invasion	*Invasion*	غزوة
Invocation	*Invocation*	دعوة

J

Jacob	*Jacob*	يعقوب
Jérusalem	*Jerusalem*	أورشليم
Jugement de l'histoire	*Judgement of history*	حكم التاريخ
Jugement indépendant	*Independent judgement*	إجتهاد
Juges	*Judges*	قضاة
Justification de l'histoire	*Justification of history*	تعليل التاريخ

L

Langage	*Language*	لسان
Langues	*Languages*	لغات
Légende	*Legend*	خرافة
Lieu	*Place*	مصر
Lignages, extractions	*Lineage, parentage*	أنساب
Littérature	*Literature*	أدب

Livre	*Book*	كتاب
Livres	*Books*	تصانيف
Loi divine, droit musulman	*Divine law, religious law*	شرع
Lois, lois divines	*Laws, devine laws*	شرائع وأديان
Lune	*Moon*	قمر
Luxe	*Luxury*	ترف

M

Manifestation	*Manifestation*	إبراز
Marges	*Footnotes, margins*	هوامش
Mémoire de la nation	*Memory of nation*	ذاكرة الأمة
Mensonge	*Lying*	كذب
Merveilles du monde	*Wonders of the world*	عجائب الدنيا
Méthode	*Method*	منهج
La méthode des narrateurs	*The method of the narrators*	أسلوب المحدّثين
Méthode historique	*Historical method*	منهج تاريخي
Migration	*Migration*	هجرة
Ministère, charge de vizir	*Ministry, charge of the minister*	وزارة
Modèle	*Pattern*	نمط
Moine	*Monk*	راهب
Monde, ce bas monde	*Life in this world*	دنيا
Monde des éléments	*Elements' world*	عالم العناصر
Monnayage	*Coinage*	سكة ونقود
Monothéisme	*Monotheism*	توحيد
Monuments	*Monuments*	آثار مادية
Motifs des événements	*Motives of events*	أسباب الأحداث
Mouvement de l'histoire	*Movement of history*	حركة التاريخ
Moyen âge	*Middle ages*	قرون متوسطة
Mysticisme	*Mysticism*	تصوف
Mythe, légende	*Myth, legend*	أسطورة
Mythes, légendes	*Myths, legends*	أساطير

N

Nabatéens	*Nabataens*	أنباط
Narrateur, raconteur	*Narrator, raconteur*	راو
Narration, histoire	*Narration, story*	قصة
Narration, récit	*Narration, story*	رواية
Nation, communauté	*Nation, community*	أمة
Nationalisme	*Nationalism*	قومية
Nationalisme arabe, arabisme	*Arabic nationalism, arabism*	قومية عربية
Nature de la civilisation	*Nature of the civilization*	طبيعة العمران
Nature du pouvoir	*Nature of authority*	طبيعة الملك
Nécessités du pouvoir	*Necessities of authority*	ضرورات الملك
Noblesse de caractère	*Noblility of character*	مكارم الأخلاق
Nom	*Name*	إسم
Nomologique	*Nomologic*	علم ناموسي
Numismatique	*Numismatics*	علم النميّات
Numismatiques	*Numismatics*	نوميات

O

Obéissance, soumission	*Obedience, submission*	طاعة
Objectivité de l'histoire	*Objectivity of history*	موضوعية التاريخ
Objet d'histoire	*Subject of history*	موضع التاريخ
Oblation	*Oblation*	قربان
Obligation	*Obligation*	واجب
Office des soldats	*Office of the soldiers*	ديوان الجند
Opinion	*Opinion*	رأي
Orbite, sphère céleste	*Orbit, celestial sphere*	فلك
Ordre, style	*Order, style*	طراز
Organisation des faits historiques	*Organization of the historical facts*	تنظيم الحقائق التاريخية
Organisation et composition	*Organization and composition*	تنظيم وتأليف

Orientalistes	*Orientalists*	مستشرقون
Orientation	*Orientation*	مقصد
Originalité	*Originality*	أصالة
Origine historique	*Historical origin*	أصل تاريخي
Origines de l'histoire	*Origins of the history*	أصول التاريخ

P

Palais de justice	*Court of justice*	دار العدل
Paléographie	*Paleography*	علم قراءة الخطوط
Paléographie	*Paleography*	قراءة الخطوط
Paradis	*Paradise*	جنة
Paradis	*Paradise*	فردوس
Participation	*Participation*	مصادرة
Particularités de l'autorité	*Particularity of the authority*	خواص الملك
Patronnés, gouvernés	*Governed people*	رعية
Perception des impôts	*Perception of taxes*	جباية
Perse	*Persians*	فرس
Perte du but, déviation	*Lose one's target, deviation*	ذهول عن المقاصد
Peuplement, civilisation, état de culture et de prospérité	*Ekistics, settlement, state of culture and prosperity*	عمران
Phase de l'interprétation	*Phase of interpretation*	مرحلة التأويل
Phases de l'empire	*Phases of the empire*	أطوار الدولة
Philologie	*Philology*	فقه اللغة
Philosophie de l'histoire	*Philosophy of history*	فلسفة التاريخ
Police	*Police*	شرطة
Polis, cité	*City*	مدينة
Polis, cités	*Cities*	مدن
Politique	*Politic*	سياسة
Politique du pouvoir	*Politic of authority*	سياسة الملك
Population de race Arabe	*Population of the Arab race*	عرب
Positiviste	*Positivist*	وضعي

Possibilité	*Possibility*	إحتمال
Possible	*Possible*	ممكن
Poste, courrier	*Post, courier*	بريد
Préhistoire	*Prehistory*	ما قبل التاريخ
Pré-Islam	*Pre-Islam*	جاهلية أولى
Présent	*Present*	حاضر
Présentation	*Presentation*	عرض
Présidence	*Presidency*	رياسة
Présidence, autorité	*Presidency, authority*	رئاسة
Preuve, argument	*Proof, argument*	دليل
Prince	*Prince*	أمير
Prince des musulmans	*Prince of Moslems*	أمير المسلمين
Principauté	*Princedom*	إمارة خاصة
Principes historiques	*Historic principles*	أصول تاريخية
Probité des gouvernés	*Probity of the nationals*	صلاح الرعية
Prophète	*Prophet*	رسول
Protection de la Mecque et de la Médine	*Protection of Mecca and Medina*	حماية الحرمين
Province, état	*Province, state*	ولاية
Psychologie de la masse	*Psychology of the mass*	سيكولوجية الجماعة
Pureté, taxe, excès	*Purity, tax, excess*	زكاة

Q

Qualité, attribut	*Quality, attribute*	صفة

R

Raconter	*Relate*	نقل
Raison	*Reason*	عقل
Raisonnement historique	*Historical reasoning*	تفكير تاريخي
Rançon	*Ransom*	فداء

Recherche historique	*Historical research*	بحث تاريخي
Recherche, inspection	*Search, inspection*	تفتيش
Recherches historiques	*Historical researches*	أبحاث تاريخية
Récit historique	*Historical recite*	خبر تاريخي
Récit historique	*Historical story*	رواية تاريخية
Récit, narration	*Recital, narration*	خبر
Récits Arabes antérieurs à l'Islam	*Arab stories before Islam*	أيام
Récits des événements	*Stories*	أخبار
Références	*References*	مصادر
Régence	*Regency*	وصاية
Régime politique, politique civile	*Political regime, civil politics*	سياسة مدنية
Règles de l'Islam	*Rules of Islam*	قواعد الإسلام
Règne, possession	*Reign, possession*	ملك
Religion	*Religion*	دين
Réminiscence du passé	*Recollection of the past*	إستعادة الماضي
Renaissance Européenne	*European renaissance*	نهضة أوربية
Renouvellement	*Renewal*	تجديد
Réunion, société humaine	*Union, human association*	إجتماع إنساني
Révélation, inspiration	*Revelation, inspiration*	وحي
Révolution	*Revolution*	ثورة
Rhétorique	*Rhetoric*	خطابة
Rivalité tribale	*Tribal rivalry*	تنافس قبلي
Rôle de l'histoire	*Role of the history*	دور التاريخ
Royaume	*Kingdom*	مملكة
Ruse	*Slyness*	دهاء

S

Sagesse	*Wisdom*	حكمة
Salaire, moyen de subsistance	*Salary, subsistence*	معاش
Savants, érudits	*Scholars, scientists*	علماء
Scellage	*Seal (stamp)*	ختم على الكتاب

Science, connaissance	*Science, understanding*	علم
Scribe	*Scriber*	كاتب
Secte	*Sect*	ملّة
Sélection	*Selection*	إنتقاء
Sens	*Meaning*	معنى
Sens littéral	*Literal meaning*	معنى حرفي
Séparation	*Separation*	تفرّق
Les sept planètes	*The seven planets*	كواكب سبعة
Signes, preuves	*Signs, proofs*	أدلّة
Société urbaine	*Urbanite society*	مجتمع حضري
Sociologie	*Sociology*	علم الإجتماع
Soldats	*Soldiers*	جند
Solidarité	*Solidarity*	عصبية
Souvenir, renommée	*Remembrance, reputation*	ذكر
Souveraineté naturelle	*Natural sovereignty*	ملك طبيعي
Souveraineté politique	*Political sovereignty*	ملك سياسي
Stade de la critique	*Phase of criticism*	مرحلة النقد
Substitution des modes d'être	*Change of the manners*	تبدّل الأحوال
Successeur, calife	*Successor, caliph*	خليفة
Successeur de Mahomet, vicariat	*Successor of the prophet, vicarship*	خلافة
Succession, série	*Succession, series*	سلسلة

T

Table divine, âme	*Divine tablet, soul*	لوح محفوظ
Temps	*Time*	زمان
Terminologie de l'histoire	*Terminology of history*	مصطلح التاريخ
Terre	*Earth*	أرض
Tours, signes du zodiaque	*Towers, signs (of the zodiac)*	بروج
Trace, ethnologie, marques humaines	*Trace, ethnology, human marks*	آثار الإنسان
Traditionalisme	*Traditionalism*	سلفية
Trésor public	*Public treasury*	بيت المال

Tribu	*Tribe*	قبيلة
Tribut, imposition, butin	*Tribute, imposition, booty*	فيء
Trône	*Throne*	عرش
Trône	*Throne*	كرسي

U

Union	*Union*	إجتماع
Urbain	*Urbanites*	حضر
Urbanisation, civilisation	*Urbanization, civilization*	تمدّن
Urbanisation islamique	*Islamic urbanization*	تمدّن إسلامي
Urbanisme	*Urbanizm*	إعتمار

V

Valeur de l'histoire rédigée	*Value of history*	قيمة التاريخ المكتوب
Vendredi	*Friday*	يوم العروبة
Vérité historique	*Historical truth*	حقيقة تاريخية
Vérités	*Truth*	حقائق
Vertu du pouvoir	*Virtue of authority*	فضيلة الملك
Victoire	*Victory*	تغلّب
Vie du Prophète Mahomet	*Life of the Prophet Mohammed*	علم المغازي والسير
Villes frontalières fortifiées	*Fortified frontier towns*	ثغور
Volonté	*Will*	إرادة

فهرس المصطلحات

ب

ت

خ

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية

موسوعة

مُصْطَلحات عِلم التاريخ العَربيّ وَالإسلاميّ

الدكتور رفيق العجم

مكتبة لبنان ناشرون

سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية

موسوعة

مُصطلحات عِلم التاريخ العربيّ وَالإسلاميّ

الدكتور رفيق العجم

مكتبة لبنان ناشرون

سِلسِلة مَوْسُوعَاتِ المُصْطَلَحَاتِ العَرَبيَّة وَالإسْلاميَّة

مَوسُوعَة

مُصْطَلَحَاتِ عِلْمِ التَّارِيْخ العَرَبِيّ وَالإسْلامِيّ

الدكتور رفيق العجم

الطَّبعة الألفيّة

مَكتَبة لبنَان نَاشِرُون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
web site address:
www. librairie-du-liban.com.lb
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ٢٠٠٠
رقم الكتاب 01R160910
طبع في لبنان

موسوعة
مصطلحات علم التاريخ
العربي والإسلامي

المُحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم
التوبة ١٠٥

المقدّمة

تداخل التفكير التاريخي مع نشوء الإسلام وانبنائه. ولم يكن كنه الفكر التاريخي بعيدًا عن بنية الإسلام معتقدًا نظريًا وأقوامًا حملته ووعته ونشرته في بقاع الأرض. وقد حصل هذا الانتشار في مدة وجيزة.

والمقصود في الفكر التاريخي: وعي الإنسان لتجارب أناس وأقوام ماضية، وربط هذه الأحداث السالفة فيما بينها ربطًا هادفًا. والهدف أخذ عبرة أو طرفة أو توكيد مقولة أو تسويغ نظرة لتنظيم الحاضر والمستقبل، وربما لجمع معلومات للذكرى والحفظ.

بَيْدَ أن هذا التفكير التاريخي بقي يثير إشكالًا معرفيًا منذ القدم وحتى العصور الحديثة. ويتجلّى هذا الإشكال في ذاك التداخل أو التساوق بين تسلسل الأحداث والوقائع التاريخية وبين تتبّعها وتدوينها ووعيها. ففي المرحلة الأولى تشكّل الوقائع أحداثًا وأخبارًا خارجة عن ذات المؤرّخ أو القصّاص. وفي المرحلة الثانية تنسلك هذه الوقائع والأخبار في وعي المؤرّخ والقصّاص وتندمج أو تتراكب مع ذهنيته، ثم تثبّت تدوينًا أو تنقل مشافهة وقد امتزجت بفضاء المؤرّخ الذاتي وتقولبت تبعًا لذهنيته وثقافته وعلوم عصره.

وانطلاقًا من هذه الإشكالية قامت عمليات النقد التاريخي لاحقًا والشكّ في موضوعية الخبر والتساؤل عن مدى صحته. وشهَرَ العرب في تدوين التاريخ سلاح اعتماد الخبر على الإسناد، حتى يكاد هذا الإسناد ينتهي إلى من يشاهد الواقعة التاريخية ويعايشها. ولكن يبقى الشكّ في من يؤول إليه الإسناد، أي إلى المشاهد الشاهد، ألم يكن هذا المشاهد محكومًا بفضائه المعرفي وذهنيته لا يستطيع الإنفكاك عن طَبيعة ثقافته ومجريات السياسة والاجتماع في عصره؟

ومن ثمَّ بقيت الحيرة المنهجية لدى الدارسين والتساؤل: كيف يمكن لمؤرّخ أو لمجموعة مؤرّخين لعالم أو أكثر أن يستخرج واحدهم أو جميعهم من وقائع مجزّأة قاعدة عامة أو قانونًا كليًا جامعًا؟. أي كيف يمكن الانتقال من سيرورة أحداث متتابعة إلى

صيرورة مستقبلية؟ بحيث يتمّ وضع ثوابت عقلية لحركة الأحداث، هي بحدّ ذاتها فوق الأحداث ومن بنات فكر المؤرّخ، هذا الفكر الذي عقل الأحداث وفهمها وصاغها بلغة محدّدة ثم وضع ثوابت أو فلسفة سمّيت لدى الأوروبيين بفلسفة التاريخ.

والأمر هنا يماثل حركة فلسفة العلوم التي قامت على حركة نقدية قوّضت تباعًا محاولات العلم في إيجاد قانون كلي شبه ثابت لظواهر الطبيعة. ودعت إلى الفصل بين ما يقع في أحداث الطبيعة وبين ما نعرفه عن هذه الأحداث أو التنبّه على الأقل لمزالق منهج الاستقراء.

فهل تتبلور حركة نقدية في التاريخ تعيد النظر إليه كعلم يبلغ مبلغ الكليات؟ وكفلسفة توظف الأحداث والأخبار خدمةً لقَبْلية فكرية ونظرية كلية حتمية؟ بمعنى تحتّم وقوع أحداث مستقبلية استنادًا لسياق الماضي ولفرضية فكرية.

من هذه الإشكالية يمكن القول إن التاريخ يمكن وصفه علمًا إذا كان العلم موضوعه إدراك الكليات وإضفاء القَبْليات والآراء المسبقة على موضوع ما. ويمكن سحب صفة العلم عنه بالقدر الذي يجهد فيه الباحث إلى إدراك الوقائع والأحداث بجزئياتها وتفرّدها، وعند تحوّل مفهوم العلم من النظر الكلي إلى الجزئي.

لهذا كله اصطلح العرب والمسلمون على العلم بتعريفات وميّزوا بينه وبين المعرفة.

فقيل: المعرفة هي إدراك صور الموجودات بما يتميّز عن غيرها ولذلك هي بالمحسوسات أَلْيَق لأنها تحصل بالرسوم. والعلم بالمعقولات أَلْيَق لأنه يحصل بالحدود والمعاني الثابتة للشيء (التوحيدي، المقابسات، ص ٣١٣). ولعلّ هذا التعريف ينطلق منطلق النظرة الإسلامية القديمة المماثلة للنظرة اليونانية والعقلية التقليدية، التي تعتبر الكلي هو المعبّر عن كنه وجوهر الشيء وحقيقته. بينما الإدراك للجزئي بالمحسوس ليس إلا رسمًا أو شكلًا تصوريًا حسيًا لا يعبّر عن حقيقة الشيء. وندرك تمامًا كيف أن الفكر التجريبي المعاصر قد أطاح بهذه النظرة وميّز بين تصوّر الشيء والحدث وبين حقيقة الشيء والحدث. ثم تحدّث عن الآليات المعرفية واللغوية التي تلعب دورها في التصوّر وبناء النظرية.

وما ينطبق على علوم الطبيعة ينطبق على الأحداث الإنسانية ولو على سبيل المقاربة وليس المشابهة. ولا سيما أن الظاهرة الإنسانية نفسية ولغوية واجتماعية وتاريخية تحمل سمات مركّبة ومعقدة لكنها تبقى ظاهرة ملتصقة بالطبيعة.

وإن عودة لبحث مسألة الفكر التاريخي تبعًا لهذه العجالة تبيّن كيف أن التاريخ برمّته قد انبنى على اندماج بين معرفة المؤرّخ وبين الوقائع والأخبار، مما يسمح بالقول إن ما استخرج لاحقًا من علم التاريخ الإسلامي وما تمّ وعيه وتنظيره قد نشأ من وظيفة إسلامية بحتة تخدم الإيديولوجيا أي العقيدة الإيمانية الدينية ثم العقيدة السياسية لتثبيت السلطان السياسي.

فالتاريخ لم يكن دخيلًا على الإسلام بل هو في باطن بنائه وعلى الشكل التالي:

١) إن قصص الأولين أنبياء وأقوامًا شكّلت زادًا متينًا في القرآن الكريم، وجاءت تبيانًا لفكرة التوحيد الديني الحنيف في مساره من موسى عبر المسيح إلى الرسول صلعم بتوالي النبوات، هداية من الله عزّ وجلّ للبشر ودفعهم نحو التوحيد والتوجّه إلى الله الواحد الخالق والتخلّي عن الوثنية والأوثان والجاهلية. وهذا الخطاب الإلهي حرّفه البشر ونزل تباعًا على قدر أحوالهم واختتم بالمصطفى عليه السلام. وما قصص الأولين الغابرة إلا للعبرة وعدم الشطط عن الطريق المستقيم وتجنّب الانحراف عن المعيار القويم. فالأحداث التاريخية سلسلة لا بدّ أن تتّبع سبيل الهداية لبلوغ المآل الدنيوي في السعادة والصلاح، والمآل الأخروي في العودة إلى خالقها. فخُطّ بذلك طريق عالمية التاريخ وأبديته.
إن للقصص القرآني إذًا غاية أسمى من قانون زماني محدود إنها غاية تبلغ اللامتناهي وما وراء الطبيعة.

٢) حمل الإسلام ورفع رايته أقوام من العرب كانت لهم ثقافتهم قبل الإسلام ونظرتهم إلى أنفسهم وماضيهم والوجود. ومن ضمن هذه الثقافة، التي بمعظمها غير مكتوبة، كانت قصص الأيام وهي عبارة عن مرويات شفهية تناقلها الأفراد من جيل إلى جيل بصورة جماعية وقبلية تحكي أخبارًا وأحداثًا مغلّفة طبعًا بالمخيال الشعبي. وكانت هذه القصص تعتبر ملكًا مشتركًا للقبيلة. وبقيت في تناقلها حتى القرن الثاني الهجري تقريبًا عندما بُدِءَ بجمعها وتصنيفها وتدوينها وربما أصبحت فرعًا من فروع التواريخ كما يرى حاجي خليفة في كشف الظنون: ١/ ٢٠٤.

وإذا كان الأمر كما رجّحناه سابقًا ومفاده أن الفكر التاريخي انبنى مع الإسلام بواسطة الكتاب - العقيدة - وأضاف البعض أحاديث الرسول وأقواله وأمثلته عن الأمم الغابرة. وبواسطة الموروث الذي حمله العرب من قصص الأيام: إذا كان الترجيح كذلك فإن لحظة استخدام المصطلح التاريخ والتوريخ بمعنى التوقيت فما زالت في

معرض النقد لكن معظم الروايات تتّفق على أن فكرة التاريخ بمعنى التوقيت قد بدأت مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب نظرًا لحاجته إلى ضبط الفترات والاعطيات والمعاملات، وحينها تمّ الاعتماد على لحظة الهجرة كزمن فاصل أو عتبة لبدء التاريخ الإسلامي وتوقيته.

ولقد جاء التاريخ الإسلامي، تأريخًا لأخبار في البداية أو كتبًا تاريخية منجمعة فيما بعد، جاء على شيء من المنهجية والدقّة نسبة إلى ذلك العصر تخطّت الكتابات الأسطورية الكاملة متّبعة أسلوبًا معيّنًا في الصياغة.

بين التاريخ وعلم التاريخ:

انكب المؤرّخون من العرب والمسلمين على صياغة الكتب التاريخية، أو ذات الطابع السردي الإخباري ابتداءً من القرن الثاني للهجرة. وزاد إنتاجهم وتعاظم حتى بلغ المدوّنات الكبرى والمجلّدات الغزيرة. وقيل إن عدد المؤرّخين المسلمين قارب الخمسة آلاف مؤرّخ تركوا نتاجًا يزيد على اثني عَشَرَ أَلْفَ عُنوانٍ ومُؤلَّف.

بدأت الكتابة التاريخية تصف حادثة واحدة في بضع صفحات. وهذا استمرار طبيعي لطريقة قصص الأيام. واستخدم تعبير خبر عنوانًا واستعمل تعبير حديث أحيانًا واتّسمت هذه الكتابة بميزات منها:

كان كل خبر تامًا بنفسه لا يحتمل إشارة إلى أي نوع من المواد المضافة والمكمّلة. بل فقدت الروابط بين الأخبار وانعدمت السببية بين الأحداث.

احتفظ الخبر بصورته القصيرة ذات المصدر الحسي والوقائع المثيرة.

ترافق مع الخبر استشهادات شعرية وهي صورة من صور التعبير الفني الذوقي.

أعقب هذه الكتابة تنظيم آخر وصلتنا مؤلفاته، يتّسم بصور الحوليات. وكما يشير الاسم يخضع هذا التنظيم لتعاقب السنين المفردة. فكانت مختلف الحوادث تعدّد في كل سنة بعناوين ترتبط فيما بينها بعبارة (وفي السنة نفسها وحدث فيها . . . الخ).

ثم تطوّرت هذه الطريقة في الكتابات اللاحقة وتوزّعت على الأشهر والأيام أحيانًا، محافظة على البنية الأم التي بدأتها. واستخدمت أيضًا في كتب التراجم والأعلام.

ثم ظهرت الكتابة التاريخية بمظهر تاريخ الدول، وجاء بعضها مشوشًا خاليًا من

الاتّساق أو الترتيب.

كما قسّمت الكتب التاريخية إلى قرن وطبقة. فحدّد القرن بجيل وحدّد البعض الطبقة بعشرين سنة. وأفادت هذه التقسيمات ولا سيما الطبقات كتب التراجم.

وتجدر الملاحظة إلى أن الاهتمام بالنسب ترافق مع بدء كتابة التاريخ الإسلامي. وهو الاهتمام نفسه الذي عايشه المسلمون منذ بدء انطلاقتهم وتجربتهم السياسية. لقد تمثّل في الاعتزاز السياسي بالقريشيين. والاهتمام الطائفي بآل علي، والافتخار القديم بالقبائل العربية بمثل الافتخار اللاحق عند الحكام والأشراف بأجدادهم. وتأثّرت الكتب التاريخية بكتب الأنساب كالبلاذري الذي استفاد منه ابن الأثير في كتابه الكامل. وجرت هذه العادة ذاتها على كتب التراجم، التي تعتبر صناعة تاريخية أيضًا. هذه التراجم أرّخت للخلفاء والسلاطين والولاة والعلماء وعلماء الدين والمذاهب بمثل ما ذكرت أخبار الشعراء والأدباء والنحاة، وميزتها العامة الاهتمام بسنة الوفاة. كما تمّ الجمع بين الجغرافيا والتواريخ، مثل أعمال اليعقوبي والمسعودي وياقوت وسواهم.

ولعل كتب اليعقوبي والطبري والمسعودي كانت نماذج لما صارت إليه الكتابة التاريخية وشاهدًا على التأريخ العالمي الإسلامي. وكذلك عبّرت كتب التواريخ المحلية عن شعور المؤلِّف والجماعة التي ينتمي إليها تجاه ما يربط الناس بمكان مولدهم. وهذا الحب للوطن عبّر عنه في بداية التآليف مثلما ورد في محاسن أصبهان للمافرخي، وغيره بالعشرات المذكورة في ثبت فهارس الكتب والمكتبات.

ولقد امتزجت الكتابة التاريخية بألوانٍ من السجع وأبيات من الشعر أحيانًا. كما أن بعض الكتابات التاريخية اعتمد القصص. ولعلّ هذا الأسلوب الروائي جعل التاريخ ينفذ إلى قلوب الناس ورسّخ لدى الأطفال أن الإسلام ظاهرة تاريخية. ودخلت هذه الطريقة في كتب الكبار كالأصمعي وابن هشام وابن المقفع. ثم في إبداع بعض الروايات المميّزة كسيرة بيبرس وسيف بن ذي يزن.

لهذا يمكن القول إن التاريخ بمعنى السرد، أي نظام اتبع، قامت مؤلّفاته بدور مهم في غرس مثل الإسلام وآماله ونظرته في قلوب عدد وفير من المسلمين. كما أبقى حيوية لذكريات مختلف الشعوب الإسلامية وأمدها بزخم تفتخر فيه على صعيد تراثها القوي أو اعتزازها المكاني، نسبة إلى المكان الذي يتحدّث عنه المؤرّخ. كما وأن كتب التاريخ التي اعتنت بالتراجم أغنت النظرة العلمية والواقعية لدى المسلم فأمدته بتحليل للإنسان

وآماله وعطاءاته، وهي كلها مصادر للتطوّر الثقافي.

هذا الأمر يتعلّق بصورة سريعة عن الكتابات التاريخية في مناحيها النظرية، ولكن شتان بين طرق الكتابة التاريخية ومسالكها وبين وعي عملية التاريخ عن غير الطريق العفوي، أي وعي التاريخ كعلم يخضع لِمَنْهَج ويستخرج مبادئ ويتحدّث عن قوانين. أو على الأقل تمييزه وتصنيفه علمًا مستقلًا بين العلوم له قواعده. إن مؤلفات التاريخ غزيرة غزر سنينه، ولكن كتب علم التاريخ ضئيلة نسبيًّا. إنها الكتب التي تجعل التاريخ علمًا تُعَرِّف به وتستخرج قواعد وقوانين له، تزعم أنها بمثابة ثوابت تتحكّم بالأحداث التاريخية وتوجّهها، أو أن التاريخ يسير بمقتضاها. حيث تعتمد مبدأ الوصف الكلي تارة ومنهج الاستقراء طورًا.

يعتبر روزنتال أن «المختصر في علم التاريخ» للكافيجي (-٨٧٩) يعدّ من أقدم الرسائل الإسلامية لدينا عن نظرية التاريخ. وقد طبق المنهج الفقهي مستخرجًا منهجًا للبحث والتدوين من خلاله. ويأتي «الشماريخ في علم التاريخ» للسيوطي (-٩١١هـ) في هذا الصدد، ولكنه أقلّ شأنًا وتحليلًا. أما كتاب السخاوي (-٩٠٢هـ) «الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ» فأوسع عرضًا وأدقّ مسائل وتعريفات. وقد تغافل روزنتال عن دور ابن خلدون. مع أن ابن خلدون قام بنقد اختصّ بالتاريخ العربي والإسلامي وجعل له قوانين. ولقد ميّز منهجيًّا بين التاريخ التقليدي بكونه علمًا بالظاهر وبين رؤية التاريخ في عمقه. أي استخراج المحرّكات والمؤثّرات فيه. ومن خلاصة قراءة الآراء الخلدونية يمكننا استخراج سمات علم التاريخ بحسب رأيه وهي:

- نقد ابن خلدون التقليد في سَوْق الخبر رافضًا كل خبر تاريخي لا تسنده قوانين العمران
- والعمران له طبائع وقوانين هي عينها قوانين المجتمع والتاريخ. فالعمران ينتقل من البسيط إلى المركّب ومن البداوة إلى الحضر ومن الترحّل إلى الاستقرار المدني. ويرافق ذلك تحوّل إنتاج البسيط من المعاش الضروري إلى إنتاج المركّب وبلوغ الاقتصاد الحضري.
- كما يرافق العمران الوازع مبدأ منبثًا في السلطة القبلية، إذ تعتمد السياسة هنا على الوازع العصبي وتتحوّل إلى الحال المعقّد المتمثّل في الدولة.
- وإن هذه الثوابت قائمة في سيرورة التاريخ وفي داخل صعود المجتمعات والدول وانحلالها بحركة دائرية وليست تصاعدية.

- وتحكم الأحداث التاريخية أيضًا عملية التغيّر البطيء في توالي الأجيال، والتغيّر العنيف المفاجئ كإنهيار العمران من الطاعون أو السيل الجارف أو ظهور شعب قوي على مسرح التاريخ.

لذا يمكن القول إن التاريخ عند العرب والمسلمين انبنى وظهر مع بداية الدعوة، أما علم التاريخ كما وصفناه فجاء لاحقًا وفي مرحلة متأخّرة نسبيًّا بلغت ثمانية قرون ونيّف. وهذا ما يؤكّد الرأي السابق، وهو الفرق بين سرد الماضي والخروج من وقائع الماضي بقاعدة كلية نظرية. كما أن هناك فرقًا بين سرد التاريخ سردًا قصصيًّا وإسناديًا وبين جعله علمًا مستقلًا له موضوعه وميادينه ضمن العلوم الأخرى. فعلم التاريخ يهتم بالتنظير بوعي كلي شامل. أما التاريخ فيهتم بتسجيل الحوادث والأخبار وترتيبها فقط.

وتوجد إشارات عن بدء تمييز التاريخ بين أصناف العلوم. ومنها محاولة قام بها الكندي (-٢٦٠هـ) في كتابيه: أقسام العلم الأنسي وماهية العلم وأصنافه. ولم يصلا إلينا. كما أن هناك إشارات في كتاب أقسام العلوم لأبي زيد البلخي (-٣٢٢هـ). وخصّص محمد الخوارزمي (-٣٨٧هـ) فقرة لموضوع الأخبار والتاريخ وجعلها تتكلم على المصطلحات الواردة في تواريخ الفرس والعرب والروم واليونان واليمن. ووردت علامات في إحصاء العلوم للفارابي (-٣٨٨هـ) وفي رسائل أخوان الصفا (أواخر الرابع الهجري). وفي جوامع العلوم لابن فريغون تلميذ البلخي المذكور أعلاه. وتتابع إفراد تصنيف للتواريخ والأخبار في رسالة أقسام العلوم العقلية لابن سينا (-٤٢٩هـ) ورسالة مراتب العلوم لابن حزم الأندلسي (-٤٥٦هـ). ولعلّ كلًّا من السابقين قد وضع للأخبار والسير والتواريخ تفسيرًا أو مقامًا في تصنيفه. إذ وضعه أخوان الصفا بين العلوم الرياضية. والخوارزمي أفرده صنفًا مستقلًّا تحت عنوان السير والأخبار. وجعله ابن فريغون مع علوم الحكمة وضمّه ابن حزم إلى العلوم الفقهية واعتبره مساعدًا لها.

كما جعل البعض ممن لم نورده سابقًا كالرازي والآملي والبسطامي التاريخ بحثًا من خلال الفلسفة باعتبار الأخيرة أم العلوم. بينما السخاوي بحث التاريخ وصنّفه من الناحية الدينية. وجعله مساوقًا لعلوم الدين في السند وفي المتون. بل وضع شرف التاريخ في رسالته الأخلاقية وروحه التي تخدم العلوم الدينية.

لفظ التاريخ وأصالته:

إن لفظ التاريخ وفعل أرّخ أثيرت حولهما الشكوك أو عمليات البحث في مدى

أصالتهما أو بالأحرى أصالة فعل «أرّخ» عربيًا. ففي لسان العرب نجد دلالة قصيرة تبيّن أن أرّخ بمعنى: وقّت، «تعريف الوقت، والتوريخ مثله. أرّخ الكتاب ليوم كذا: وقّته والواو فيه لغة، وقيل: إن التأريخ الذي يؤرّخه الناس ليس بعربي محض، وإن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب، وتأريخ المسلمين أرّخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله (صلعم) كُتِبَ في خلافة عمر، رضي الله عنه، فصار تاريخًا إلى اليوم»(١) ولم ترد زيادة في معاجم اللغة عن هذه الدلالة. بل ظهرت دلالة أخرى الأرخُ والإرخُ: الفتي من البقر وهذا لا يعنينا هنا.

وتدلّ الدراسات في اللغات السامية على أن اللفظة تعني القمر أو الشهر وجاءت في الأكادية «أرخو» وفي العبرية «يرخ». ويستبعد روزنتال أن تستعار من الأكادية أو العبرية أو الآرامية. ويرجّح أنها من العربية الجنوبية «توريخ». ويرى أن ما يؤيّد ترجحيه أن التقويم الهجري (التاريخ) أخذ في الأصل من اليمن، بإيراد رواية السخاوي القائلة: «... وقيل أول من أرّخ التاريخ يعلي بن أمية حيث كان باليمن، وذلك أنه كتب إلى عمر كتابًا من اليمن مؤرّخًا فاستحسنه عمر فشرع في التاريخ. أخرجه أحمد بن حنبل بسند صحيح لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلي ... وروى ابن أبي خيثمة عن طريق محمد بن سيرين قال: قدم رجل من اليمن فقال رأيت باليمن شيئًا يسمّونه التاريخ يكتبونه من عام كذا أو شهر كذا، فقال عمر هذا حسن فأرّخوا». ويضيف أن هذا التدليل على الأصل العربي الجنوبي طريف وترجيحي. ويروي البخاري في صحيحه أن المسلمين: ما عدّوا من بعث النبي ولا من وفاته ما عدّوا إلا من مقدمه المدينة(٢). فاستخدم كلمة عدّ. كما وأنه يرجّح أيضًا خطًّا ثانيًا في الأصل العربي الجنوبي لأرّخ. فيرى البعض أن هذا اللفظ ظهر في نقش كاسم مقارب للتعابير القانونية التي تعني حكم أو ما شابه. واستعملت أرّخ مقرونة بكلمة سنة. ويُستند على دراسات C. Conti Rossini الذي يوضح أن المعنى الأول هو (انتداب أو عمل) والمعنى الثاني يشير إلى (حقبة)(٣). ويعلّق روزنتال أن الكلمة السامية المطابقة للجذر العربي الجنوبي هي بمعنى (سبيل أو

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة أرخ.

(٢) صحيح البخاري، مناقب الأنصار ٤٧، ٣/ ٤٩.

(٣) يمكن مراجعة .Glazer 1606 cf N. Rhodokanakis WZKM XXXVII 150. fn, I (1930)

A. Jaussen and R. Savignac: Mission Archeologique en Arabia vol 2, Menaean inscriptions, No 32 (Paris 1909-14)

C. Conti Rossini, GWL in Sud-arabico in RSO XII, 119 (1929-30).

سنّة) وتطوّر التعبير فأصبح طريقًا معينًا للعمل. وهناك اجتهاد بأن تعبير الحقبة يتوسّع ليصبح شيئًا يشبه العادات الثابتة أو السنن.

وخلاصة الأمر أن أفضل مقاربة لأصول كلمة تاريخ هي التوقيت حسب القمر، أي الإشارة إلى الشهر واليوم عن طريق ملاحظة القمر. ثم انتقل إلى معنى الحقبة ليصل ربما إلى سنة الحقبة.

ولم يجزم حتى اليوم بمن بدأت كلمة تاريخ تتداول. لكن البيّن أنها بدأت تستعمل منذ القرن الثاني الهجري.

ومقابل هذا الأمر فإن كلمة Istoria مقتصرة على معرفة الأحداث التي رافقت نموها. وأبقى الرومان على التعبير Historia. بل وبقي معنى Istoria الأصلي ساريًا وأينع التعبير ضمن المجتمع الإغريقي وزمن الدويلات الايونية وساد منذ القرن السادس ق.م. وهو في منشئه يتمثّل في الدلالة على المعرفة التي تهم المواطن. وهي معرفة البلاد والعادات والمؤسّسات السياسية. ثم معرفة الأحداث التي أدّت إلى هذه الظواهر.

وقد استقرّت الكلمة وأخذت معناها العلمي في اللغات الأوروبية الحديثة مثل (Historie, History, Histoire) ثم ترجمت إلى بعض اللغات المحلية مثل كلمة Geschichte الألمانية.

ومنذ القرن التاسع عشر توسّع معنى التاريخ غربيًا ليدّعي أن كل نشاط إنساني هو موضوع لبحثه.

واستفاد العرب المحدثون، ولا سيّما أهل التاريخ منهم، من الدراسات الغربية التاريخية وافتتنوا بها وبفلسفة التاريخ. كما أنهم وجدوا الكثير من هذه الدلالات متأصّلة في تراثهم التاريخي ولا سيّما المتأخّر منه.

واستقرّ أمرهم على اعتبار أن التاريخ يدلّ على عملية التطوّر التاريخي وعلى وصف تلك العملية.

ولا ضَيْرَ قبل ختم الكلام على أصل كلمة التاريخ من التعرّف على كلمة الأخبار التي وازت كلمة التاريخ في الاستعمال وربما سبقتها ودلّت على المضمون عينه الذي نحن بصدده. فالأخبار مفردها خبرٌ من خبر فعلًا. ويدلّ اللسان على عدّة دلالات لهذا الفعل أبرزها: أن خبر بمعنى علم. وخَبَرتُ الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته. والخبر

ما أتاك من نبأ عمن تستخبر. والخبير من أسماء الله عزّ وجلّ[1]. والدلالة الثانية الملفتة خبِرَت الأرض خَبَرًا كثر خَبارُها. والمخابرة المزارعة والخِبْرُ بالكسر بهذا المعنى.

فلو أردنا التحليل لوجدنا معنى الزرع منبث في خلفية الدلالة أي التنبت والحرث فربما عَبَرَ المعنى إلى معنى تنبّت الحدث وتمّ نقله في ذهن العربي وأصبح خبرًا يشير إلى العلم والإنباء عن الحوادث. رغم ضعف هذا التحليل يبقى أقرب من مقارنة روزنتال لهذا الجذر مع مشابهه في الأكادية والعبرية والاثيوبية.

ولا بدّ من التأكيد على أن فكرة التاريخ الحديثة هي من تطوّرات الفلسفة الحديثة، وهي متباينة متمايزة عن مفهوم التاريخ في الإسلام. إن فكرة التطوّر وما يصاحبها من تبدّل تصاعدي يطبع السلوك الإنساني والمجتمعات، ويشكّل منبعًا للتاريخ وسيرورته، غائبة عن مؤرّخي التاريخ الإسلامي وعلمائه. وهذا الأمر يجعلنا نواجه خاصية مع التراث التاريخي الإسلامي. هذا التراث الذي ضمّ في مخزونه المؤلفات الأدبية التاريخية والتقاويم والتراجم، وجعلها جزءًا من التاريخ السردي والقصصي والتعليلي. وهي ليست في صميم البحث التاريخي إذا فُهم التاريخ بمنظار المؤرّخين الأوروبيين المحدثين. ولا تدخل في نطاق الفكر التنظيري الذي يتحدّث عن آليات التبدّل والتحوّل. والشاهد على ذلك العودة إلى تعريفات التاريخ عند ابن خلدون والكافيجي وسواه. وليس هذا نقصًا في مفهوم التاريخ الإسلامي إنما هو سمة وخصائص تخصّه.

سيرورة التدوين التاريخي:

لم تكن صناعة التاريخ عند المسلمين علمًا أو نهجًا أو اهتمامًا علميًا بديئًا. فقد سبقتهم إليها كتابات الحضارات السالفة عليهم.

ويعتبر البعض أن أقدم التواريخ المدوّنة أسفار موسى الخمسة وأسفار يشوع وصموئيل. وقيل إن تدوينها حصل حوالي ٩٠٠ق.م.

وترى مصادر أخرى أن أقدم تدوين تاريخي حصل على يد المؤرّخ الفينيقي الكنعاني: سنخونياتون **Sanchuniathon**، حوالي ٢٠٠٠-١٨٠٠ق.م. وقيل بعد ذلك حوالي ١٣٠٠ق.م. وذلك تبعًا لإشارة أيزوبس نقلًا عن فيلون الجبيلي[2]. حيث تحدّث

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة خبر.

(٢) جاءت نصوص ايزوبس في اليونانية ووصلتنا بالفرنسية. علمًا أن فيلون عاش في القرن الأول الميلادي=

عن أصل التكوين بالمنظار الكنعاني مع إعطاء صورة عن عادات ومعتقدات شعبه. لكن أثر سنخونياتون فُقِدَ وبقي ما ذكره فيلون. وقد دعّمت حفريات تل العمارنة هذه النصوص القديمة وأكّدت صحّة ما نقل عن فيلون[١].

ومن التواريخ القديمة كتابات هكتايوس الملطي اليوناني ما يقارب القرن السادس قبل الميلاد. وقد تحدّث عن أصل الشعب اليوناني وتجوالاته الأولى. وتميّزت كتابته عن الكتابة الأسطورية. بل أعلن بنفسه أن الأساطير حديث خرافة وليس سردًا لوقائع وتأريخًا لها. فهل هذا يعني هوميرس وتاريخه الأسطوري أم هناك مصادر أخرى.

أما الإسلام فقد سبق وأشرنا أنه تأسّس على القصص التاريخي ففي باطن الشرح المنزّل - القرآن الكريم - تأكيد على أمثلة من التاريخ الغابر وعظاته، وإشارات إلى أمم سالفة وإلى سياق واحد في دعوة الأنبياء يتّجه وجهة التوحيد.

ثم ظهر اتجاهان في كتابة التاريخ أو التدوين السردي للأحداث والرجال: اتّجاه إسلامي ظهر لدى أهل الحديث يعتمد على سرد الرواية بالإسناد. واتّجاه تقليدي قبلي تمثّل في نهج كتابة الأيام أو نقلها، كذلك لعب الإسناد دورًا مهمًا فيه. وقد سبق الإسلام كما ذكرنا.

ولعلّ عروة بن الزبير (-٩٤هـ) الفقيه والمحدّث من أول من ألّف في المغازي. والمغازي تعبير يفيد الإشارة إلى غزوات الرسول وسيرته في نشر الدعوة، وأتت بشكل سردي مسند. ولم تصلنا روايات عروة ومغازيه مباشرة بل من خلال المؤرّخين اللاحقين

=وايزوبس في القرن الرابع الميلادي.

Eusèbe de Césarée, la préparation évangélique, livre I, Paris, 1974.

(١) يمكن الاستئناس بمرجعين مهمّين:

آ- Philo of Byblos, the Phoenician history, Introduction critical text, translation, Notes. Attridge, Harold W. and Oden, Robert A., zr. The Catholic Biblical Quarterly Monograph series 9, Washigton, D.C. the Catholic Biblical Association of America, 1981.

وهو نص انكليزي، عبارة عن ترجمة لنص إغريقي يقابله. موضّح بشروحات وافية. تشكل كل ما بقي من أعمال فيلون الجبيلي حول الميتولوجيا الفينيقية، مستقاة من كتاب مسيحيين على رأسهم ايزوبس. وشكك الكثيرون من الدارسين فيما قاله فيلون أو نسب إليه. لكن حفريات أوغاريت أزالت بعضًا من الشكّ. ومن المؤكّد أن عمله مطبوع بمسحة هللينية ويتضمن قصة التكوين الفينيقية.

ب - I.P. Cory, Ancient fragments, 1828.

وهذا المرجع يصعب العثور عليه ويتضمّن كتابات: سنخونياتون، برسوس، أبدينوس ماجسنس، ومانتو، والكتاب الهرمسي، والحوليات القديمة، ورسالة ايراتوستينس، والحوليات الصورية، ونبوآت زرادشت، وزوادة حنون.

عليه كالطبري وابن إسحاق والواقدي وابن سيد الناس وابن كثير. كما أن سراحبيل بن سعد (-١٢٣هـ) من أوائل من دوّن. وكان اهتمامه منصبًا على تقديم لوائح بأسماء الصحابة الذين شاركوا في الأحداث الكبرى.

ثم جاء جيل أمثال: عبدالله بن أبي بكر بن حزم (-١٣٠هـ) وعاصم بن عمر بن قتادة (-١٢٠هـ) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (-١٢٤هـ)، ودارت مؤلفاتهم في إطار المغازي. بينما توسّع الزهري في روايات المدينة وأحاديثها، ومحّصها ووصفها بإطار واضح. وأهمية معلوماته أنها ارتكنت إلى السيرة الشريفة للرسول (صلعم) وليس إلى القصص. كما أنه كتب في الأنساب وأدخل الإسناد الجمعي في ثبت الرواية أو الواقعة الحادثة. بحيث دمج عددًا من الروايات في خبر متسلسل.

ثم اتّبع تلميذة موسى بن عقبة (-١٤١هـ) أسلوبه في السند، أو أسلوب مدرسة المدينة المكرِّس لمنهجية السند والذي تبلور وترسّخ تباعًا.

أما سيرة ابن اسحاق فهي أقدم سيرة مجموعة وصلتنا على الأرجح. وقد توضح خط المغازي لديه منضافًا إليه عنصر القصص الشعبي مع الاتجاه نحو المبالغة. فيكون بذلك قد جمع بين أسلوب المحدّثين والقصّاص. لكن سيرة ابن إسحاق عليها انتقادات كثيرة.

ويعطينا محمد بن عمر الواقدي (-٢٠٧هـ) في كتابه المغازي فكرة أبين عن بدايات الدراسات التاريخية وأسلوب التدوين في ذلك العصر، وعن طابع مدرسة المدينة في المادة والأسلوب. وقد نظّم عرضه في الكتاب مبيّنًا الموضوع وإطاره ثم يعقّب بالتفاصيل فقائمة بمصادره الأساسية وقائمة بمغازي الرسول. كما أنه أورد مثلًا في أثناء غزو الرسول أسماء أمراء المدينة في غيابه. وكان يتناول تواريخ الغزوات واحدة بعد الأخرى في تسلسل تاريخي. وكان أدقّ من ابن إسحاق في الإسناد وفي تقليص عنصر القصص الشعبي. وقد استعمل الإسناد الجمعي. وروي عنه أنه كان يزور موقع المعارك مُمحصًا في المواد التي وصلته. كما أورد ابن سيد الناس[1]. وما يدلّ على دقّته كتابه الطبقات أو طبقات المحدّثين، وذلك لتتبعه الأسانيد، إذ استفاد منه ابن سعد في طبقاته استفادة جمّة. ويتبيّن لنا الصلة الوثيقة بين عناية هؤلاء بدارسة السيرة والحديث وبين الدراسات التاريخية عندهم.

---

(١) عيون الأثر، ج١، ص١٧.

وظهر إتجاه آخر في الكتابة التاريخية تمثّل في الاهتمام بالمآثر والأنساب القبلية. وسمّي عمل هؤلاء في الكتابة عمل الإخباريين - أي عمل الرواة والقصاصين -. ومنهم: أبو مخنف (-١٥٧هـ)، وكان ميالًا للعلويين. وعوانة بن الحكم (-١٤٧هـ) وكان متضلّعًا في الشعر والأنساب اهتم بسيرة معاوية وبني أمية. ثم ظهر سيف بن عمر (-١٨٠هـ)، الذي كتب عن الردّة والفتوحات. وأبرز الإخباريين المدائني (-٢٢٥هـ). وقد ظهر على يديه الجمع بين الإسناد وتنظيم الروايات التاريخية، وكان في البصرة ثم انتقل إلى بغداد.

كما يعتبر البعض أبا عبيدة بن المثنى (-٢١٠هـ) المصدر الرئيسي لكل ما كتب عن القبائل العربية في زمنه وفي ماضي هذه القبائل. وسمّي بديوان العرب[١].

وظهر نسابون كثر آنذاك منهم: أبو اليقظان النسابة (-١٩٠هـ) ومحمد بن السائب الكلبي (-١٤٦هـ) وابنه هشام (-٢٠٤هـ) ومصعب الزبيري (-٢٣٣هـ).

أما الهيثم بن عدي (-٢٠٦هـ) فقد جمع بين دراسة الأنساب والدراسات التاريخية ففي كتابه (تاريخ الاشراف الكبير) سبق لأنساب البلاذري وله (طبقات الفقهاء والمحدثين). وتوجد مقتطفات لمؤلفات الهيثم في كتب الطبري والبلاذري.

ومال البعض إلى الاهتمام بمسائل اللغة والشعر، ومن خلال ما يرد في الشعر من أخبار وأنساب تمّ تدوين تاريخي، كحال ابن العلاء وتلميذه أبي عبيدة (-٢١١هـ) الذي جمع الرواية عن لسان البدو. وعدّه البعض أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها[٢]. ونقد البعض أبا عبيدة في ميوله الشعوبية وقدروه في أعماله وكتاباته.

توالت بعدها الكتابات التاريخية المنظّمة فظهر أعلام منهم:

أحمد ين يحي البلاذري (-٢٧٩هـ) وكتب في «فتوح البلدان» و«أنساب الاشراف». وفيهما كان متزنًا يعتمد أحيانًا الإسناد وروايات أهل المدينة كما يعود إلى المؤلفات المكتوبة والروايات الشفهية.

واليعقوبي (-٢٨٤هـ) مؤرّخ من طبقة الكتاب عبّر عن فكرة التاريخ العالمي وراعى

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٥٣.

(٢) طه الهاجري، أبو عبيدة، مجلة الكاتب المصري، ١٩٢٦، عدد ٦، ص٢٨٠. والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣/ ٢٥٢. وياقوت معجم الأدباء ٦/ ١٦٥.

في تاريخه تسلسل الفترات والحوادث. انتقى من الروايات ورجع إلى أصحاب السير والأخبار. وكان متزنًا أيضًا وجاء بمعلومات فريدة.

وابن قتيبه (-٢٧٠هـ) في كتابه المعارف كان دائرة معارف أخذ اتجاه عالمية التاريخ منذ الخليقة إلى زمن المعتصم. انتقى معلوماته ونقد مصادره.

وكتب الدينوري (-٢٨٢هـ) الأخبار الطوال وهو نموذج للتاريخ العالمي. روعي فيه التسلسل والتركيز على بعض الحوادث والحركات. وتناول بعضها بشيء من التفصيل. وغلب التاريخ الفارسي على تواريخ الأمم التي ذكرها. وأبدى ميلًا للعباسيين ولم يبد اهتمامًا بالإسناد.

كان من الطبيعي أن يختمر هذا العطاء في التاريخ مهيئًا لمرحلة أشمل وقوية السبك، تجلّت في الطبري (-٣١٠هـ) الذي يمثل محطة مهمة في مرحلة التكوين، وربما محطة كملت فيها الكتابة التاريخية أو بالأحرى نضجت. فقد هضم التاريخ بمنظار الأمة الواحدة. وشكّل نموذجًا لتبلور رؤية الأمة الإسلامية للتاريخ.

ففي كتابه «تاريخ الرسل والملوك» يظهر مؤرّخًا اعتمد على تكوينه كمحدث وفقيه. نهج الطبري منهج الإسناد، فكانت أخباره موثوقة، وقد رتّبت بحسب الأحداث، وكل حدث دُعِّمَ بسند. بل بلغ توثيق الخبر التاريخي مبلغًا يماثل الخبر الشرعي. وفيه حاول تحقيق شبه إجماع لمؤرّخي الأمة، طبعًا الإجماع على الخبر التاريخي وعلى نهج الإجماع على الخبر الشرعي.

إن جديد طريقة الطبري نقد الرواية المتّجه وجهة الإسناد المدعّم بمؤرّخين ونقلة من أهل الثقة والعلم. وحاول أن يجعل سنده في الرواية قريبًا من الحادثة فكلّما قرب السند كان أفضل. ولم يدلِ الطبري بحكم أو يفضّل رواية على أخرى. كما أنه اعتمد على عدد وفير جدًّا من المصادر. وأهمية الطبري تكمن في تبيانه الواضح أن التاريخ تعبير عن إرادة الله. بينما الحوادث والحركات فمسؤولية بشرية.

ويمكن القول في سيرورة الكتابة التاريخية إنه مع الطبري كانت قد اكتملت كل من طريقة السيرة وطريقة القصص. ونهجت المدارس التاريخية على هذا المنوال التأسيسي وتعزّزت الكتابة بنهج الإسناد الذي سرى في كل طريقة بنسبة ما. وظهرت مدرسة المدينة ومدرسة العراق ومدرسة الشام ولاحقًا مدرسة مصر والأندلس. ولكل منها خصائص ومزايا وكتّاب. وإذا وقفنا عند الطبري فلا يجوز أن ننسى المسعودي الذي سلك الطريقة

نفسها، لكن المجال هنا غير مخصّص لإيراد كل المؤرّخين إنما الهدف ذكر المحطات الكبرى والمسار العام للكتابة التاريخية.

ومن المؤلّفات الكبيرة التاريخية تجارب الأمم لمسكويه وسير الملوك للثعالبي والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها المئات[١].

وإننا إذ نتوقّف عند هذه المرحلة من التعداد فلأن أمهات الكتب التاريخية يصعب ضبطها لكثرتها. لكن الهدف من بيان هذه السيرورة بلوغ الحدّ الذي يمكن عبره استخراج الطابع والخصائص والهدف مما وصلت إليه الكتابة التاريخية. وذلك بالانتقال من الحدث المتعدّد والقصص المتفرّقة إلى الصياغة الكلية الشاملة بإحلال الوحدة في المتعدّد وإلزام الكثرة بأن تصير واحدًا على مستوى الإيديولوجيا الجماعية. والأرجح أن الكتب التاريخية الشاملة قد بلغت هذا المستوى منذ القرن الثالث للهجرة تقريبًا وفيما يليه.

أما ما آلت إليه بعض الدراسات التاريخية من تحوّل عن السرد إلى استخراج قواعد وعلوم من التاريخ. واستنباط قواعد وضوابط لمسار الدول وحركات الشعوب، فقد سبق وألممنا به سابقًا.

إنما لا بدّ من ذكر جانب ملفت في هذه الدراسات، ويتمحور حول وعي بعض المؤرّخين بأن الكتابة التاريخية ليست بريئة كل البراءة، ولم تكن موضوعية تمامًا. فلا بدّ من الحذر عند قراءة التاريخ. هذا المنحى تمثّل في بلورة مفهوم النقد التاريخي والذي لمع فيه ابن خلدون وكان سباقًا. فمرحلة النقد هذه مرحلة متأخّرة، لكنها تؤكّد على طور جديد في مسار الكتابات التاريخية. لقد ذكر ابن خلدون مثلًا بعضًا من المحكّات النقدية الواجب تبيانها أو الاحتكام إليها ليأتي التاريخ أقرب إلى الموضوعية. ومما ذكر الآتي:

- التشيّع للآراء والمذاهب، وقصد به اتباع فرقة أو الانتصار لرأي أو تأييد دولة وسلطان.
- الثقة بالناقلين، التسليم المطلق لما جاء به النقلة يُغفل عن أثر العنصر الذاتي والميول الشخصية في نقل الخبر وتدوين الحدث.
- الذهول عن المقاصد، وجد ابن خلدون أن المؤرّخين المقلّدين يعيدون إنتاج أخبار

(١) يمكن مراجعة مجموعة كبيرة من أسماء الكتب التي أوردها ابن النديم في الفهرست. طاش كبرى زادة في مفتاح السعادة تحت علم التواريخ، وقد نشرناه ضمن هذه السلسلة.

أنشئت في ظروف مضت وفي أزمان خلت ثمّ يخلّدون في الحاضر ماضيًا قد تجمّد وانقضى. فلا بدّ من قطع الصلة مع التقليد.

- الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع، وهو تتمّة لما سبق يهدف إلى إرجاع الخطاب عن التاريخ إلى وقائع التاريخ، وينبغي العودة إلى الأصول وهي قوانين المجتمع والتاريخ.
- تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التجلّة، وهذا ما يحدث عند أكثر المؤرّخين فيحاولون أثناء كتابة تواريخهم والوقائع التقرّب للسلطان بالمديح والثناء أو تدبيج الوقائع بإظهار ما يخدم هذا الغرض وإخفاء وقائع سلبية. إما خوفًا من بطش وإما منفعة مالية أو معنوية.

ولقد نمت هذه الحركة النقدية ولاقت صداها لدى المؤرّخين العرب المحدثين، وهم أولئك الذين بدأوا في الظهور مع بداية القرن العشرين، وقد استفادوا استفادة جمّة من حركة علم التاريخ وفلسفته التي اشتدّت في أوروبا في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين. حيث تحوّلت كتابات بعض الفلاسفة إلى رؤية تاريخية، كما ظهرت حركات نقد ودراسات تاريخية طالت أوروبا والعالم. ثم جاءت عمليات نقد للتاريخ ومناهجه وتفاعلت مع حركات الكشوف في مجال الإناسة «الانتروبولوجيا» والجغرافيا والآثار والحفريات وعلم الاجتماع والاقتصاد. علاوة على انتشار الطباعة واستخدام الآلات. وقد وصلت آثار ذلك إلى المؤرّخين العرب فاستفادوا استفادات مختلفة.

وكان من نتائج ذلك أن ظهر مؤرّخون عرب أعادوا سرد الحدث مع بيان أسبابه، وذكر الفروض المختلفة حول علل الحوادث وأسباب قيام الدول، وأصول الاجتماع والعمران. كما استفادوا من مسار تاريخي معيّن لخدمة بناء مشروع مستقبلي، مثلما فعل دعاة القومية العربية. وراح آخرون يسعون إلى إعادة توظيف لحظة الخلافة الإسلامية كفترة مثلى وإعادة تحقيقها في الأمة الإسلامية. وذهب نفر آخر للعودة إلى أصول تاريخية تعود إلى ما قبل ظهور الإسلام أنبنت عليها أمم ومجتمعات محلية. فظهرت دعوة تسويغ لأمة مصرية فرعونية وأمة سورية وأمة لبنانية فينيقية وما شابه.

وراح جيل من المؤرّخين يرجع الحوادث إلى عوامل مادية وآخر يعيدها إلى عوامل روحية أو نفسية تعود لقائد أو سلطان. واعتقدوا أنه يمكن تفسير حركة التاريخ بهذه المؤثرات. وتساءلوا هل التاريخ علم وذهبوا مذاهب شتى. ومنهم من اشتغل على تمييز المصطلح ففرّقوا بين تاريخ وتأريخ، إذ التاريخ يمرّ بمراحل ثلاث: جمع المادة

التاريخية بجمع الوقائع والاختيار فيما بينها، ونقد المادة المجموعة، من الشك بصحة الأصل ودقّة الرواية، ثم التأويل وفيها يعمد المؤرّخ إلى استخدام العقل والعاطفة والخيال لرسم صورة قريبة من الحقيقة. أما التأريخ فيعتمد على المراحل الثلاث السابقة ليبدأ التدوين من غير تأخير، ويوضّح كل حقيقة أو واقعة تاريخية بصفتها وحدة قائمة بذاتها.

لغة التاريخ ومصطلحه العلمي:

لغة التاريخ تماثل تطوّره كصناعة ووعي، وهي صورة صادقة عن سيرورة التدوين التاريخي. فلقد مرّت هذه اللغة في مراحل ثلاث كبرى هي:

١- المرحلة العفوية وفيها استخدمت السنة وأسماء الأعلام، وكانت بمثابة المصطلحات. أو المفاتيح. ولعب اسم العَلَم دورًا لما شكّله من رمز لحقبة بصفته نبيًّا أو قائدًا أو عالمًا. كما لعبت الأماكن وأسماء المدن والقبائل هذا الدور بشكل أضعف. وتلاها جميعًا بعض المصطلحات الفلكية والجغرافيا وتعابير التوقيت والزمن. ثم أخذت بعض التعابير الإسلامية والعلمية تدخل تدريجيًّا. ولنأخذ على ذلك مثالًا من القرون الستة أو السبعة الأولى للهجرة من خلال سرد هذه المصطلحات:

أرّخ، تاريخ، أهلّة، مبعث رسول الله/ إبراهيم، إبليس، ادريس، آدم إلياس، أيوب، جن، حام بن نوح، حواء، خلق، سام بن نوح، شيث، صالح، فردوس، نوح، قابيل وهابيل، نبط، يعقوب الخ./ ابراز، اثيوفيا، اخشيد، أرض معمورة، اروفى، افريذون، بلخ وطخارستان، بنات نعش، خاقان، خراسان، خط الاستواء، دمشق، سرنديب، صفة الأرض، عجائب الدنيا، فرسخ، قبلة، قيصر، كسرى، مرو، مصر، هند./ اجتهاد، اخنوخ، ارادة، اسم العلم، أصول العلم، أفعال، إنسان، براهمة، توحيد، جنوب، حدث العالم، خلق، خلق الخلق، دبور، دليل، سليمان، شاهد، شرائع وأديان، طبائع، عقل، علة، فلك، لوح محفوظ، منازل القمر./ اريوسية، أنواع الملوك، بدء الخلق، تاريخ الطوفان، تاريخ هجرة النبي، سنة القمر، سنة شمسية، سياقة التاريخ، علم أخبار أمة، قانون، كيومرث، وزراء الخلافة./ أكاسرة، هدايا النيروز./ احتذاء المشاكلة، أخبار الأنبياء، آداب سياسة الملوك، إعلام بالوقت، تاريخ الأشراف، تاريخ الأطباء، (تواريخ الفرق الإسلامية وأصحاب المهن كثيرة)، توريخ، جرح وتعديل، حادث، سماع الأخبار، سير،

سيرة نبينا، غابر، فنون التواريخ، قصص الأنبياء، كتابة التاريخ، مؤرّخون، هجرة./ إملال، انتقال الملك، تجارب، حوادث المتقدّمين، كتب التواريخ، مسموع، معرفة بالحوادث، نقل./ أصول الأمم، ترك، حبشة، حكم المصريين، سريانية، صقالبة، عبرانيون، هرمس، يوم العروبة./ أحزم الملوك، تساس الدول، خطبة، دولة الأربعة، رأي، رسول، رعية، سكة، سلطان، سياسة، سيف، طاعة، عدل، عفو، فساد المملكة، فضيلة الملك.

إننا نلحظ جيدًا كيف تبلورت في المصطلحات الأخيرة لغة السياسة والحكم ممهّدة لمرحلة جديدة من لغة التاريخ.

٢- المرحلة العلمية، وفيها تمّ وعي التاريخ كعلم وقواعد كلية، له مصطلحاته السابقة من أسماء الأعلام وتعداد السنين وله مصطلحات جديدة باينت سابقاتها، وأضافت زادًا يعبّر عن وعي للاجتماع والتاريخ والنقد. ولنا شاهد على ذلك من خلال المصطلحات التي بدأت تظهر منذ أواخر القرن الثامن الهجري منها:
اجتماع، اجتماع إنساني، أجيال، أحكام سلطانية، أحوال واقعة في العمران، أخبار عن الواقعات، اختلال العمران، أطوار الدولة، اعتمار، أهل البدو، أهل الحضر، أوطان خالية من العصبيات، تبدّل الأحوال، تشيّع للآراء، تغلّب، توهّم الصدق، ثقة بالناقلين، جهل بطبائع الأحوال في العمران، حدثان الدول، حضارة، ذهول عن المقاصد، رياسة، سلطان، طبائع العمران، طبيعة الملك، عالم التكوين، عصبية، علم التاريخ، عمر الدولة، فن التاريخ، مدينة فاضلة، ملّة، نسب، نعرة، هرم في الدولة، وازع./ ديوان الإنشاء./ تعارض بلا ترجيح، زمان، سلسلة، علم ويقين، قواعد علم التاريخ، مقصود المؤرّخ./ استبداد، ألوية، بطانة، رئاسة، سياسة الرعية، صنائع، ضرورة في اجتماع طبيعي، مفاتيح الغيب./ شرط المؤرّخ، عدالة، معرفة الأخبار./ أرخو، (أسماء الشهور والأيام العربية كثيرة) - بدء التقاويم-.

٣- المرحلة الحديثة، واتّسمت هذه المرحلة بقطع مع بعض الألفاظ والمصطلحات التاريخية. وإحلال اصطلاحات وألفاظ جديدة مستجدّة. ومن أبرز ما غاب في هذه المرحلة أسماء الأنبياء والملوك والقادة. وإذا ما اعتبرنا أسماء الأعلام هذه مصطلحات تاريخية، فلأن العلم منهم كان يمثل مرحلة تاريخية، وعبره يتمُّ استعراض الكثير من الحوادث. والأبعد من ذلك، من خلاله يعرض المؤرّخ لرؤية تاريخية كونية يفسّر فيها أطوار الأحداث وربما بدء الخليقة. إن هذا الشكل من

الألفاظ غاب في كتابة التاريخ العربي والإسلامي الحديث. كما غاب تسلسل السنين. وحلّت عناوين جديدة في سرد التاريخ تعتمد على الحقب وأسماء الدول. فقسّم التاريخ تقسيمًا جديدًا. كما أن هموم المؤرّخين ساوقت الأمال السياسية المستقبلية، فانقلب حتى المصطلح الموروث إلى التركيز على ألفاظ وأحداث عربية وثقافية مؤسّسة. واستحدث الألفاظ التي تعنى بمنهجية التاريخ وبكونه علمًا نقديًّا خاضعًا لفن خاص واصطلاح تقني. ومن نماذج هذه المصطلحات الآتي:

حلف، خط عربي، سوق عكاظ، لسان العرب، معلّقات، وقف./ إتحاد بالإسلام، إلجاء، إمارة، أهل الخراج، أهل الذمة، تمدّن، ثغور، جزية، حق الانتخاب، حكومة في الجاهلية، دول مطلقة، ديوان، ديوان الإقطاع، ديوان المظالم، سدانة الكعبة، طراز، عرب إسماعيلية، عرب الحجاز، عصر أموي، عهد، ندوة، نقابة، وزارة، ولاية./ أسلوب قصصي في التاريخ، أصالة الأصول، أصول تاريخية، انتقاء، إيضاح التاريخ، تأليف، تعليل، تعميم، تفسير النص، تقميش، تنظيم الحقائق المفردة، دسّ، شك المؤرّخ، طبائع الحوادث، علوم موصلة، مصطلح التاريخ، نقد داخلي./ إثبات الوقائع، ارتقاء، استعادة الماضي، بدء التاريخ، تاريخ قومي، تعليل التاريخ، حكم في التاريخ، صناعة التاريخ، صيرورة، غاية التاريخ./ أمة عربية، إسلام، أيام، (مدارس تاريخية كثيرة)، منهج حولي./ اتجاهات روحية، اتجاهات مادية، تأويل، علل الحوادث، فلسفة التاريخ./ استلاب، أصالة، انحطاط، أنصار الإصلاح، تجديد، ثورة، ديمقراطية، منهج بورجوازي، منهج سلفي، وضعي/ حتمية في التاريخ، عروبة./ قومية عربية، بنية قبلية، ذاكرة الأمة، منهج الإسناد./ آثار الإنسان، اجتهاد إيجابي وسلبي، بحث عن الوثائق، تحليل وتركيب، تعارض الأصول (علوم تاريخية مساعدة كثيرة..)./ أساليب التاريخ، علم الاجتماع، ما قبل التاريخ، ما وراء التاريخ.

هدف موسوعة مصطلحات علم التاريخ:

تتوجّه الموسوعة المعَنْوَنَة بـ «موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي» مع مثيلاتها في السلسلة نحو سبر معظم المصطلحات والألفاظ وجمعها، أو على الأقل تخيّر نماذج مصطلحية تقدّم فكرة وافية عن مصطلحات علم التاريخ ومصطلحات المؤرّخين المسلمين التي هي بمثابة محاور دلالية كأسماء الأنبياء والسلاطين وبعض المناطق الخ.

ولم يصلنا حتى الآن مُؤلَّف مَطبوع اهتم بمصطلحات علم التاريخ ونظمها بشكل معجمي. وربما قامت بعض المحاولات الخاصة بمؤرّخ أو عالم.

وقد جهدنا في أن نجمع قدرًا كبيرًا من هذه المصطلحات رغم وعورة الطريق الذي سلكناه. وتعود الصعوبة في كون المؤلّفات التاريخية تناهز العشرة آلاف مؤلَّف. كيف يمكننا الاختيار بينها؟ ثم هي بجملتها تتوزّع على مواضيع وطرق، أي الطرق نسلك؟ ولهذا وبعد قراءات طويلة تمّ التعرّف تباعًا على جزء يسير جدًّا اعتنى بعلم التاريخ كما اشرنا إليه وميّزناه. وقد جمع هؤلاء المؤرّخون بين الفكر التاريخي وبين المنحى العلمي التعريفي. فاخترنا هذا العدد القليل الذي تحدّث عنه مؤرّخو العرب والمستشرقون، ووضعنا جانبًا العدد الأكبر من المؤلفين والمؤرخين الذين لم تكن كتبهم تعنى سوى بالسرد والقصص والرواية، وتكاد تخلو هذه المؤلفات الضخمة من أي تعريف أو تعليل أو رؤية كلية. ثم وجدنا أن المؤرّخين العرب المحدثين قد اعتنوا بعلم التاريخ، وتكاد مؤلّفات الكثير منهم تكتنز بالمصطلحات والتعريفات، ربما تحت تأثير الغرب الثقافي، وربما نتيجة الظروف الحادثة والحاجة إلى التاريخ لتبرير العقائد والأفكار. فاخترنا عيّنة عشوائية اهتمّت بهذه الجوانب زيادة في إغناء المعجم المصطلحي الذي نعمل على إبرازه.

كانت الغاية محاولة تتبّع ما أمكن من المصطلحات المختارة من التاريخ عبر حقبة زمنية طويلة بدأت بالقرن الثالث الهجري وحطّت ترحالها في القرن الحالي. لكن على الرغم من طول هذه الحقبة فإن الزاد المصطلحي لعلم التاريخ ضئيل نسبيًّا قياسًا على التصوّف والكلام والفلسفة وأصول الفقه وغيرها من الأعمال السابقة.

والأمل في أن يسهم هذا العمل في تنظيم ثروة مصطلحية من الموروث الثقافي، فيشرّع الأبواب والمجالات أمام المؤرّخ والباحث والمحلّل للاطلاع على العمل التاريخي التعليلي، وعلى فلسفة قيام الحضارات واندثار الدول وطبائع العمران وأسباب الحدثان ورؤية الأخبار البشرية وقيام العالم وانتهائه من منظار المسلمين.

والعمل المعجمي الذي أعددناه في هذه الموسوعة اعتمد على الأرجح أسهل الطرق وأيسرها، مما يسمح للقارئ والمؤرّخ أن يتناول مفاهيم علم التاريخ ومصطلحاته بدقّة وسرعة، فيحلّل ويقوّم ويعلّل.

ومما لا شكّ فيه أن هذه الثروة المصطلحية قد أغنت جوانب عدّة في دلالات الألفاظ، ووسّعت المدلولات وأغنتها بمعانٍ سياسية وحضارية وقانونية إلى جانب

الأخبار والسير والروايات ومفردات النقد. بل وقدّمت تصورًا عن كيفية فهم الخليقة وخصائص الذهنية العربية والإسلامية التي حبكت قصة التكوين وذهنتها في اللامفكّر به.

ولقد حرصنا أن لا تكون الشروح تخصّ السرد التاريخي، لما يقتضيه ذلك من مطوّلات، وما يسبّبه ذلك من ملل لدى القارئ. فجاء التركيز على مؤرّخين اعتنوا بالاصطلاح الذي تمّ انتقاؤه من بين نصوصهم. وشملت نصوص بعض المحدثين، وربما وقع هنا إغفال لعلماء مؤرّخين من عصرنا، لكن الغرض هنا كان إعطاء بيّنة والتركيز على الفترات الأولى التراثية.

وزيادة في إغناء المعلومات رأينا إدراج عمل مؤرّخين غربيين: روزنتال وجفري باراكلو. والحجّة في ذلك أن عملهما أثر في المفكرين المحدثين، إضافة إلى إماطتهما اللسان عن بعض جوانب علم التاريخ عند المسلمين ولا سيما روزنتال. كما أن الأخير سهل تقديم نصوص تاريخية تراثية في كتابه وفّرت علينا العودة إلى الأصول. إضافة إلى فهم رأي خارجي لموضوع علم التاريخ الإسلامي. ولعلّ كل ذلك جدير بأن يدفعنا نستقي بعض التعريفات من مؤلّفاتهما.

ونأمل أن توفي هذه المصطلحات والألفاظ المشروع الذي نمضي قدمًا في تنفيذه، ولا سيما أن علم التاريخ يعبّر عن أفكار ورؤى تختلف عن تلك المجالات العقلية التجريدية. ويدل في تعابيره على تصوّرات تخصّ الشعوب والعادات والمعاش والسلطة والوقائع والأحداث والمواقيت. وهي في مجملها أقرب إلى المحسوس والواقعي. والأرجح أنها أغنت النهضة العربية الحديثة برافد لفظي ومعجمي، وذلك لقربها من معالجات حادثة وميادين سياسية واجتماعية صبغت تطلّع البشر في العصور الحديثة وأخذت باهتماماتهم. فأفادت بالتالي مجالات قيام التدريس في الجامعات العربية ولا سيما التدريس النظري. بحيث تم تداول الكثير من المصطلحات في يومنا، مثال: اجتماع، أجيال، أحوال العمران، أخبار، إخبار، أساطير أسباب الأحداث، إسناد، أطوار الدولة، التزام، أمة، أنصار، أهلّة، بدو، بطانة، بيعة، تاريخ، تاريخ حولي. . .، تبدّل الأحوال، تدوين، تراجم، تعليل، تغيّر، تفسير التاريخ، تقليد، تمدّن، جرح وتعديل، جهل بطبائع الأحوال في العمران، حدثان، حضارة، حضر، حكم التاريخ، حكومة، خبر، خلق، خليقة، دليل، دولة، ديوان، ذهول عن المقاصد، سلطة، سلطان، سياسة، سيرة، شرع، شعوبية، صدفة، صلاح، صناعة، ضرورة، طبائع، طبيعة العمران. عالم التكوين، عامل، عدالة، عروبة، عصبية، علل الحوادث، علم

أخبار، علم الطبقات والتراجم، عمارة، عمران، غاية التاريخ، غلب، فتح، فضيلة الملك، فن التاريخ، قصص، قواعد، قوام، كتابة، لسان، لوح، مؤرّخ، مبنى الملك، مدرسة. . .، مدنية، مدينة، مشاهدة، معاش، منهج، ندوة، نسب، نظام الملك، نقد، هجرة، هوية، هيئة، وازع، وحي، وزارة، وعي، ولاية، يوم الخ. . .

وزيادة في التحري عن الألفاظ والتفتيش عنها، عثرنا على عدد خاص من مجلّة فكرية، خصّصت أبحاثها لعلم التاريخ الإسلامي، فقمّشنا المناسب من المصطلحات لمزيد من الإحاطة.

وإننا لا ندّعي الإحاطة في كل مصطلحات علم التاريخ، لا بدّ أن قصّرنا عن أشياء فاتتنا أو لم نتمكّن من الحصول على مراجعها. ولا سيما أن بعض الفهارس ذكر كتبًا فقدت أصولها وهي تعنى بعلم التاريخ. كما أن المكتبات العاملة في بيروت ربما لم تحتو على ما تحتويه مكتبات خارج لبنان. لكن العزاء أننا استطعنا أن نبلور ونجمع مجموعة لا بأس بها من المصطلحات، التي تمدّ الباحث بعدة أفكار عن التصوّرات التاريخية وكلّيات الرؤيا.

ويضاف إلى ذلك أن عملية جمع المصطلح التاريخي هذا تدفع باتجاه امتلاك مخزون كبير من المعلومات المنظّمة تسوّغ المصطلح بأفكاره وآفاقه للدخول في عملية الترجمة السليمة، وهي أمل المستقبل وجسر عبور اللغة العربية نحو المعاصرة، وانتقالها للدلالة على المعاني الحادثة برابط مع أصولها باعتماد التجوّز والمناسبة والمقايسة والتفعيل.

وكل هذا يصبّ في خصوصية ثقافية ضمن الثقافة العالمية، وينمّي التنوّع في إطار الوحدة الإنسانية، تنشيطًا للتفكير العقلي والعلمي المحلي عند الشعوب مساوقة للتفكير العلمي العالمي المبرّز.

منهجيّة تحقيق الموسوعة

أولًا: تنظيم مضامين المصطلحات

١) تمّ اختيار المصطلحات التاريخية ذات التعريفات الحاملة لأبعاد علمية ولرؤى شمّالة تبيّن النظرة إلى الكون عند المسلمين، وتلك التي تحمل دلالات فنية نقدية تخصّ هذا العلم. واستلت من نتاج المؤرّخين العرب والمسلمين، وخلال فترة التأسيس التاريخي حتى العصور الحديثة. وهي بدورها تمثّل ألفاظًا غنية المعاني تغني اللسان العربي وترفده برافد دلالي مهم. واستبعدت الشروح والألفاظ التاريخية ذات الوصف السردي كمفاتيح السنين وأسماء التراجم والقصص الطويلة غير المفصلية.

٢) حُصِرَ التعريف بالمفاهيم الأساسية لجعله مستقلًا بيّنًا، وحذف التطويل والاستطراد والاعتراض، ووضع مكانه عدّة نقاط. كذلك الأمر في إيراد الأخبار التاريخية الطويلة ذات الوصف المستفيض والمحتوية عدّة أفكار.

٣) أضيفت ألفاظ بين قوسين تفيد توضيح المعنى، أو كانت قد وردت قبل البدء بالنص المعتمد في سياق الكلام التمهيدي لكل مؤلّف. ووردت بعض شروح المصطلحات طويلة اقتضتها العبارة نظرًا إلى فائدتها أو تبعًا لاستكمال المعنى بحسب أسلوب المؤرّخ.

٤) استوفى كل مصطلح تفريعاته من التي اعتمدها المؤرّخون، إذ أدرج المصطلح الرئيس ثم أدرجت الفروع عليه. كآثار، آثار الإنسان، آثار مادية، آثار مسجّلة... وكأخبار، أخبار الأنبياء، أخبار عن الواقعات، أخبار الماضين، أخبار الملك. لكن الملاحظ في تفريع مصطلحات التاريخ الإنحصار والاقتصار على عدد معيّن، عكس الحال في مصطلحات التصوّف وأصول الفقه.

٥) وردت بعض الشروح مكرّرة في عدّة مصطلحات، أو بعض الأفكار والمضامين، وربما أخذ المؤرّخون عن بعضهم أو استشهدوا بمقاطع قديمة. وقد ظهرت بعض النصوص والتعريفات تحتوي على شرح لعدّة مصطلحات بشكل متداخل، فاقتضى ذلك تكرار الشروح تحت كل مصطلح.

٦) وردت أقواس وإشارات اعتراضية وقطع للجملة بكلمات. وجاءت ألفاظ وبقربها معناها الفرنسي أو الإنكليزي. فبقيت جميعها صورة صادقة لواقع الكتب وما فيها من نصوص معتمدة ونقلت إلى المعجم. ويظهر ذلك بشكل جلي في شروح مؤرّخي العصر الحديث.

٧) جاءت بعض المصطلحات القليلة في صيغة التثنية أو الجمع أو الجمل أو الأسماء الأعجمية الغريبة. فأوردناها جميعًا لما تحمله من أبعاد وغنى ومفاهيم تاريخية.

٨) أسقطت مصطلحات كثيرة قد تكرّرت لدى مؤلّف واحد أو عدّة مؤلّفين.

ثانيًا: نظم المصطلحات وترتيبها

١) رُتّبت المصطلحات بحسب لفظها وكما هو رسمها، من غير عودة إلى الجذر أو طريق آخر. ثم وضع فهرس في نهاية الموسوعة لهذه المصطلحات وأمام كل مصطلح جذره أو جذوره.

٢) جاءت المصطلحات أو ما سمّي رؤوس الموضوعات نكرة مراعاة لنظام الحاسوب الآلي وتسهيلًا عليه. أما المصطلح المركّب فقد روعي فيه عادة اللغة إذا اقتضى الأمر وضع اللفظ الثاني أو الثالث معرَّفًا. مثل: إثبات الحقائق المفردة، أحوال واقعة في العمران، آداب سياسة الملوك، أساليب الكتابة التاريخية... الخ.

٣) أرفق كل شرح وتعريف للمصطلح بإشارة إلى إسم العالم أو المؤرّخ - المؤلّف - واسم الكتاب مرمَّزين. وإلى رقمي الصفحة والسطر. أما رقم السطر بحدّ ذاته فأتى مطابقًا لموقع المصطلح في التعريف، وليس لبداية التعريف. وإذا كان الكتاب أكثر من جزء، فقد أشير مع رمز الكتاب إلى الجزء، مثال ذلك: أبو زيد البلخي، البدء والتاريخ، فرمّز هكذا (بلخ، بد١، أو بد٢) الخ...

٤) كان الحرص أن تأتي معظم المصطلحات أسماء وليس أفعالًا، باستثناء البعض.

٥) أظهرت بعض التعريفات تفصيلًا وشرحًا زائدًا، مما جعلنا نميّز الشروح بالنقاط والفواصل والقواطع، وجاءت الكثير من الشروح سردًا طويلًا، ففصلنا بين جملها تبعًا لطبيعة الطباعة القديمة، ولعدم توفر طباعة حديثة وتحقيق سليم لبعض كتب التاريخ.

٦) شابت بعض الشروح الأسماء والأماكن التي يغلب عليها الطابع الأعجمي والغريب، وهي تعابير وألقاب شعوب إسلامية بائدة ونائية، فتركت كما جاءت زيادة في خصب المعلومات والتوثيق.

٧) تباينت شروح المصطلحات في مسائل التنوين، منها ما كان تنوينه مشبعًا ومنها ما لم ينوّن، قمنا قدر المستطاع بالتنوين الضروري في مواضع الشدّة والهمزة والأماكن التي تثير التباس القارئ. ومرد ذلك أن عمليات الطباعة تجري نقلًا تلقائيًا عن المتن الذي حدّدناه وحدّدنا مصطلحه.

٨) تم ضبط آيات القرآن الكريم وإثباتها، والآيات التي وردت غير مثبتة تكون قد أثبتت هي نفسها في أماكن سابقة، وحصل الأمر عينه في إسناد الحديث.

٩) تمّ اختيار مسند للمصطلحات في الأجنبية تخيّرناه من بين المصطلحات، لأن بعضها له المعنى العربي والإسلامي المحض، فاستحال إيجاد مقابله في الأجنبية لاختلاف بنى اللغة والذهنيات.

ثالثًا: المصادر وفقًا لتسلسلها

ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري، (-٢٤٠هـ) - تاريخ خليفة بن خياط، بغداد، مجهول، ١٩٧٧

ابن قتيبة الدينوري، أحمد بن داود، (-٢٨٢هـ) - كتاب الأخبار الطوال، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (- حوالي الثالث الهجري) - المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (-٣٦٢هـ) - كتاب البدء والتأريخ، ٢ج، باريز، مطبع بوطرند بشالون، ١٨٩٩م.

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (-٤٤٠هـ) - الآثار الباقية عن القرون الخالية، بغداد، مكتبة المثنى ودار الكتاب اللبناني، د.ت.

ابن الزبير، القاضي الرشيد، حقّقه محمد حميد الله (- الخامس الهجري) - كتاب الذخائر والتحف، الكويت، دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٥٩. (سلسلة التراث العربي)

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (-٥٩٧هـ) - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

ابن الأثير، عز الدين (-٦٣٠هـ) - الكامل في التاريخ، ج١، بيروت، دار صادر، د.ت.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي (-٧٠٠هـ) - تاريخ مختصر الدول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، د.ت.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (-٧٠٩هـ) - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مصر، المطبعة الرحمانية، ١٩٢١م.

ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (القرن التاسع الهجري) - كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، باريس المحروسة، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م.

ابن خلدون، عبد الرحمن (-٨٠٨هـ) - مقدمة ابن خلدون، مع تكملتها وتحقيقها وشرحها والتعليق عليها بقلم د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط٣، د.ت.

الكافيجي، الشيخ محيي الدين محمد (-٨٧٩هـ) - المختصر في علم التاريخ. تحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٨م.

ابن الأزرق الأندلسي، أبو عبدالله محمد (-٨٩٦هـ) - بدائع السلك في طبائع الملك، ٢ج، دراسة وتحقيق د. محمد بن عبد الكريم، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (-٩٠٢هـ) - الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، عني بنشره القدسي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٤٩هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ) - الشماريخ في علم التاريخ، نشره وقدمه د. إبراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧١م.

الطهطاوي، رفاعه (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) - الأعمال الكاملة، ٤مج، دراسة وتحقيق محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤، ج١ وج٣.

زيدان، جرجي (القرن ١٤هـ) - تاريخ التمدّن الإسلامي، ٢ج، مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس، القاهرة، دار الهلال، مجهول.

رستم، أسد - مصطلح التاريخ، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٥م.

زريق، قسطنطين - نحن والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م.

مطران، خليل - كتاب مرآة الأيام في ملخّص التاريخ العام، مصر، مطبعة الجوائب

المصرية، ١٩٠٥م.

مصطفى، شاكر - التاريخ العربي والمؤرّخون، دراسة في تطوّر علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ٢مج، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

شلبي، أحمد - التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م، ط٨.

روزنتال، فرانز - علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد علي، مراجعة محمد توفيق حسين، بغداد ونيويورك، مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين. د.ت.

الدوري، عبد العزيز - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٣م.

العروي، عبدالله - العرب والفكر التاريخي، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ١٩٨٠م، ط٣.

فروخ، عمر - كلمة في تعليل التاريخ، بيروت، مجهول، ١٩٧٧م، ط٣.

حسن، محمد عبد الغني - علم التاريخ عند العرب، مصر، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ١٩٦١م.

عمارة، محمد - دراسات في الوعي بالتاريخ، بيروت، دار الوحدة، ١٩٨١م.

أومليل، علي - الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، بيروت، معهد الإنماء العربي، د.ت.

العظمة، د. عزيز - الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية. مقدّمة في أصول صناعة التاريخ العربي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٣م.

عثمان، حسن - منهج البحث التاريخي، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م، ط٢.

باراكلو، جفري - الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية، ترجمة د. صالح أحمد العلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.

محمد الطالبي وحسين مؤنس ومحمد عواد حسين وشاكر مصطفى وعبد الرحمن بدوي - عالم الفكر (مجلة)، فلسفة التاريخ، الكويت، مجلة دورية مجلد ٥/١، ١٩٧٤م.

رابعًا: أسماء العلماء والمؤرّخين المعتمدين في الموسوعة بحسب عام الوفاة*

ابن خياط، خليفة العصفري	٢٤٠هـ
ابن قتيبة الدينوري، أحمد بن داود	٢٨٢هـ
ابن خرداذبه	حوالي الثالث هـ
البلخي، أبو زيد	٣٦٢هـ
البيروني، أبو الريحان	٤٤٠هـ
ابن الزبير، رشيد	الخامس هـ
ابن الجوزي، أبو الفرج	٥٩٧هـ
ابن الأثير	٦٣٠هـ
ابن العبري	٧٠٠هـ
ابن الطقطقي بن طباطبا	٧٠٩هـ
ابن خلدون، عبد الرحمن	٨٠٨هـ
ابن شاهين الظاهري	التاسع هـ
الكافيجي، محيي الدين	٨٧٩هـ
ابن الأزرق	٨٩٦هـ
السخاوي، شمس الدين	٩٠٢هـ
السيوطي، جلال الدين	٩٠٩هـ
الطهطاوي، رفاعة	١٢٩٠هـ
زيدان، جرجي	الرابع عشر هـ
رستم، أسد	
زريق، قسطنطين	
مطران، خليل	
مصطفى، شاكر	
شلبي، أحمد	
روزنتال، فرانز	

(*) وردت أسماء المؤلفين بدءًا من أسد رستم من غير عام وفاة لأن بعض هؤلاء ما زال حيًا والبعض القليل توفي حديثًا، ولم ترد وفاته في فهارس التراجم المعاصرة.

الدوري، عبد العزيز
العروي، عبدالله
فروخ، عمر
حسن، محمد عبد الغني
عمارة، محمد
أومليل، علي
العظمة، عزيز
عثمان، حسن
باراكلو، جفري
محمد الطالبي وحسين مؤنس ومحمد عواد حسين وشاكر مصطفى وعبد الرحمن بدوي

خامسًا: لائحة الرموز المستعملة

وردت مصادر كل تعريف تدريجًا وفقًا لاسم المؤلّف والكتاب ثم رقم الصفحة والسطر. واستعملت إشارة إلى المؤلف والكتاب الرموز التالية:

اسم المؤلف	رقمه	رمزه	اسم الكتاب	رقمه	رمزه
ابن خياط، خليفة العصفري (-٢٤٠هـ)	١	خ	تاريخ ابن خياط	١	تارخ
ابن قتيبة الدينوري، أحمد بن داود (-٢٨٢هـ)	٢	قتي	كتاب الأخبار الطوال	٢	خبط
ابن خرداذبه (حوالي الثالث الهجري)	٣	خرد	المسالك والممالك	٣	مسلك
البلخي، أبو زيد (حوالي-٣٦٢هـ)	٤	بلخ	البدء والتاريخ ج١	٤	(بد١)
			البدء والتاريخ ج٢	٥	بد(٢)
البيروني، أبو الريحان (-٤٤٠هـ)	٥	بير	الآثار الباقية عن القرون الخالية	٦	بقي
ابن الزبير، رشيد (- الخامس هـ)	٦	ز	كتاب الذخائر والتحف	٧	ذخر
ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (-٥٩٧هـ)	٧	جو	المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	٨	نظم
ابن الأثير (-٦٣٠هـ)	٨	أث	الكامل في التاريخ ج١	٩	كمل

اسم المؤلف	رقمه	رمزه	اسم الكتاب	رقمه	رمزه
ابن العبري، غريغوريوس (-٧٠٠هـ)	٩	عب	تاريخ مختصر الدول	١٠	خصر
ابن الطقطقي بن طباطبا (-٧٠٩هـ)	١٠	طق	الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية	١١	فخرابن
ابن خلدون، عبد الرحمن (-٨٠٨هـ)	١١	خلد	المقدمة	١٢	قدم
ابن شاهين الظاهري (القرن التاسع الهجري)	١٢	شاه	زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك	١٣	زبد
الكافيجي، محيي الدين (-٨٧٩هـ)	١٣	كاف	المختصر في علم التاريخ	١٤	مخ
ابن الأزرق، (-٨٩٦هـ)	١٤	أزر	بدائع السلك في طبائع الملك ج١	١٥	بدع(١)
			بدائع السلك في طبائع الملك ج٢	١٦	بدع(٢)
السخاوي، شمس الدين (-٩٠٢هـ)	١٥	سخ	الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ	١٧	ذم
السيوطي، جلال الدين (-٩٠٩هـ)	١٦	سي	الشماريخ في علم التاريخ	١٨	شم
الطهطاوي، رفاعة (-١٢٩٠هـ)	١٧	طه	الأعمال الكاملة ج١	١٩	عمل(١)
			الأعمال الكاملة ج٣	٢٠	عمل(٣)
زيدان، جرجي (القرن الرابع عشر هـ)	١٨	زي	تاريخ التمدن الإسلامي ج١	٢١	مدن(١)
			تاريخ التمدن الإسلامي ج٢	٢٢	مدن(٢)
رستم، أسد	١٩	رس	مصطلح التاريخ	٢٣	مصط
زريق، قسطنطين	٢٠	زري	نحن والتاريخ	٢٤	نحن
مطران، خليل	٢١	مط	كتاب مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام	٢٥	مرأ
مصطفى، شاكر	٢٢	مص	التاريخ العربي والمؤرخون ج١	٢٦	رخ(١)
			التاريخ العربي والمؤرخون ج٢	٢٧	رخ(٢)

اسم المؤلف	رقمه	رمزه	اسم الكتاب	رقمه	رمزه
شلبي، أحمد	٢٣	شل	التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية	٢٨	سلم
روزنتال، فرانز	٢٤	روز	علم التاريخ عند المسلمين	٢٩	علم
الدوري، عبد العزيز	٢٥	دو	بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب	٣٠	نشأ
العروي، عبدالله	٢٦	عر	العرب والفكر التاريخي	٣١	فكر
فروخ، عمر	٢٧	فر	كلمة في تعليل التاريخ	٣٢	علل
حسن، محمد عبد الغني	٢٨	حس	علم التاريخ عند العرب	٣٣	عر
عمارة، محمد	٢٩	عم	دراسة في الوعي التاريخي	٣٤	وعى
أومليل، علي	٣٠	أوم	دراسة لمنهجية ابن خلدون	٣٥	نهج
العظمة، عزيز	٣١	عظم	الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية	٣٦	عرف
عثمان، حسن	٣٢	عث	منهج البحث التاريخي	٣٧	بحث
باراكلو، جفري (ترجمة صالح علي)	٣٣	بار	الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية	٣٨	وجه
محمد الطالبي وآخرون	٣٤	علف	(عالم الفكر) - فلسفة التاريخ	٣٩	فت

تم العمل بحمد الله وتوفيقه
في الأول من ربيع الأول ١٤٢٠هـ
الرابع عشر من حزيران ١٩٩٩م

رفيق العجم